(تمت)

(فهرست سراج القلوب وعلاج الذنوب الموضوع بهامش الجزء الاول من كتاب القوت)

(فهرسة الجزء الاول من كتاب قوت القلوب لابي طالب المكي)

بالانوار

(الجزء الاول)

من كتاب قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق
المريد الى مقام التوحيد لسيدنا ومولانا الشيخ الامام
العالم المحقق أبي طالب محمد بن أبي الحسن على
ابن عباس المكي تعمده الله برحمته
وأسكنه فسيح جنته
آمين

*(وبهامشه كتابان جليلان * أولهما كتاب سراج القلوب)*
(وعلاج الذنوب للشيخ أبي على زين الدين على المعبرى)
*(الفنانى * والثانى حياة القلوب فى كيفية الوصول الى المحبوب)*
(لعماد الدين الاموى رحم الله الجميع)

ترجمة قوت القلوب فى معاملة المحبوب مؤلف فى التصوف واشتهر اسمه بطريق المريد للوصول الى مقام التوحيد تأليف الفاضل ابى طالب المكى محمد بن على المتوفى سنة ست وثمانين وثلثمائة ببغداد حتى قال جل علماء عصره فى الاقطار لم يؤلف فى هذا الباب مثله ولم يسمع به فى الامصار ثم نسى ذلك الاسم واشتهر الآن بدقائق الطريقة واختصره زين الدين الشيخ محمد بن خلف الاموى المتوفى سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة بمحروسة دمشق الشام وسماه الوصول الى العرض المطلوب من جواهر قوت القلوب انتهى كشف الظنون وفى شرح الشفاء للخفاجى هو أبو محمد بن أبى طالب شيخ الصوفية وأهل السنة المتبحر فى التفسير وغيره من العلوم وله تفسير كبير وكتابه القوت كتاب جليل

(تمت)

(فهرست حياة القلوب وكيفية الوصول الى المحبوب الموضوع بأواخر هامش الجزء الاول من كتاب القوت وبكامل الجزء الثانى منه)

(البقية تأتى)

بالاقدام *(الفصل الحادى عشر)* فيه كتاب فضل الصلاة فى الايام والليالى *(الفصل الثانى عشر)* فى ذكر الوتر وفضل الصلاة فى الليل *(الفصل الثالث عشر)* فيه كتاب جامع ما يستحب ان يقول العبد اذا استيقظ من نومه وفى يقظته عند الصباح *(الفصل الرابع عشر)* فى تقسيم قيام الليل ووصف القائمين *(الفصل الخامس عشر)* فى ذكر ورد العبد من التسبيح والذكر والصلاة فى اليوم والليلة وفضل صلاة الجماعة وذكر فضل الاوقات المرجو فيها الاجابة وذكر صلاة التسبيح *(الفصل السادس عشر)* فى ذكر معاملة العبد فى التلاوة ووصف التالين حق تلاوته بقيام الشهادة *(الفصل السابع عشر)* فيه كتاب ذكر نوع من المفصل والموصل من الكلام ومدح العاملين به وذم الغافلين عنه وهو من تفسير غريب القرآن (الفصل الثامن عشر) فيه كتاب ذكر الوصف المكروه من نعت الغافلين *(الفصل التاسع عشر)* فيه كتاب ذكر الجهر بالقرآن وما فى ذلك من النيات وتفصيل حكم الجهر والاخفات *(الفصل العشرون)* فى ذكر الليالى المرجو فيها الفضل المستحب احياؤها وذكر مواصلة الاوراد فى الايام الفاضلة *(الفصل الحادى والعشرون)* فى كتاب الجمعة وهيئة آدابها وذكر المزيد فى يوم الجمعة وليلتها *(الفصل الثانى والعشرون)* فيه كتاب الصوم وترتيبه ووصف الصائمين *(الفصل الثالث والعشرون)* فى ذكر محاسبة النفس ومراعاة الوقت *(الفصل الرابع والعشرون)* فى ذكر ماهية الورد للمريد ووصف حال العارف بالمزيد *(الفصل الخامس والعشرون)* فيه كتاب تعريف النفس وتعريف مواجيد العارفين *(الفصل السادس والعشرون)* فيه كتاب ذكر مشاهدة أهل المراقبة *(الفصل السابع والعشرون)* فيه كتاب أساس المريدين *(الفصل الثامن والعشرون)* فيه كتاب مراقبة المقربين *(الفصل التاسع والعشرون)* فيه ذكر أهل المقامات من المقربين وتمييزهم ونعت حال المتعبدين الموقنين وتمييز حال أهل الغفلة المبعدين *(الفصل الثلاثون)* فيه كتاب ذكر خواطر القلب لاهل معاملات القلوب *(الفصل الحادى والثلاثون)* فيه كتاب العلم وتفضيله وأوصاف العلماء وذكر فضل علم المعرفة على سائر العلوم وكشف طريق العلماء من السلف الصالح وذكر بيان فضل علم الباطن على علم الظاهر والفرق بين علماء الدنيا وعلماء الآخرة وذكر علماء السوء الآكلين بعلومهم الدنيا وذكر وصف العلم وطريق السلف وما أحدث المتأخرون من القصص والكلام وباب ذكر ما أحدث الناس من القول والفعل فيما بينهم مما لم يكن عليه السلف وباب من تفضيل علم الايمان واليقين على سائر العلوم والتحذير من الزلل فيه وبيان ما ذكرناه وباب تفصيل الاخبار وبيان طريق الآثار *(الفصل الثانى والثلاثون)* فى شرح مقامات اليقين وأحكام الموقنين وأصل مقامات اليقين التى ترد اليها فروع أحوال المتقين وهى تسعة أولها التوبة ثم الصبر ثم الشكر ثم الرجاء ثم الخوف ثم الزهد ثم التوكل ثم الرضا ثم المحبة *(الفصل الثالث والثلاثون)* فيه شرح مبانى الاسلام وهى خمسة فالاول فرض شهادة التوحيد للمؤمنين ووصف فضائلها وهى شهادة المقربين وذكر شهادة الرسول صلى الله عليه وسلم وفضلها للموقنين والثانى شرح الصلاة فأولها فرض الاستنجاء وسننه وفرائض الوضوء وسننه وفضائله وفرائض الصلاة وسننها وأحكام المصلى فى فوت الصلاة ودركها وما يتعلق بها وهيئة الصلاة وآداب المصلى فيها والثالث شرح الزكاة ووقت أدائها وذكر فضائل الصدقة وآداب العطاء ووصف أحوال الفقراء والرابع شرح صوم شهر رمضان والخامس شرح كتاب الحج الذى به كمال الشريعة وتمام الملة *(الفصل الرابع والثلاثون)* فيه كتاب تفصيل الاسلام والايمان وعقود السنة واعتقاد القلوب وشرح معاملة الناس من العلم الظاهر وذكر دعائم الاسلام وأركان الايمان واتصال الايمان بالاسلام واقتران القلوب بالعمل وذكر بيان التفرقة بين الايمان والاسلام والاستثناء فى الايمان والاشفاق من

وقال تعالى فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم خ م عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انما مثلى ومثل ما بعثنى الله به كمثل رجل أتى قوما فقال انى رأيت الجيش بعينى وانى أنا النذير العريان فالنجاء النجاء فأطاعه طائفة من قومه فادلجوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم فذلك مثل من أطاعنى فاتبع ما جئت به ومثل من عصانى وكذب ما جئت به من الحق أى من أطاعنى فيما أمرته ونهيته نجا وفاز ومن عصانى فلم يمتثل ما أمرته به هلك وباد خ م عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلى ومثلكم كمثل رجل استوقد نارا فلما أضاءت ما حولها جعل الفراش وهذه الدواب التى تقع فى النار يقعن فيها وجعل يحجزهن ويغلبنه فيتقحمن فيها قال فذلك مثلى ومثلكم أنا آخذ بحجزكم عن النار هلم عن النار هلم عن النار فتغلبونى تقحمون فيها قال الشيخ كمال الدين الدميرى فى حياة الحيوان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الأول الأزلي قبل الكون والمكان من غير أول ولا بداية الآخر الأبدي بعد فناء المكونات والأزمان بغير آخر ولا غاية الظاهر في علو قهره من غير بعد والباطن في دنوه بقربه من دون مس الذي أحسن لصنعه كل شيء بدأه وأتقن صنع كل شيء أنشأه ودبر الأحكام بحكمته وصرف المحكومات بمشيئته فأظهر في الغيب والشهادة لطيف قدرته وعم في العاجل والآجل خلقه بنعمته ونشر على من أحب منهم فضله وبسط لجميعهم عدله وأتم عليهم نعمه بتعرفه إليهم بأنه سبحانه وتعالى ربه عز وجل وأحسن إليهم بإحسانه إياهم إليه وأفضل عليهم بتيسير كلامه لهم ومنّ عليهم ببعثه رسولا من أنفسهم إليهم فنسأله الصلاة على النبي وآله وأن يوزعنا فضله شكر نعمه ويعرفنا حق قدره وصلى الله تبارك وتعالى على سيد الأولين والآخرين رسوله المفضل بالشفاعة والحوض المورود المخصوص بالوسيلة والمقام المحمود وعلى إخوانه النبيين في الأزمان وأنصاره والتابعين بإحسان (وبعد) فهذا كتاب قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد تصنيف الشيخ أبي طالب محمد بن علي بن عطية الحارثي المكي رضي الله عنه يشتمل على ثمانية وأربعين فصلا لا اهتداء لغيرها *(الفصل الأول)* في ذكر الآي التي فيها المعاملات *(الفصل الثاني)* في الآي التي فيها ذكر أوراد الليل والنهار *(الفصل الثالث)* في ذكر عمل المريد في اليوم والليلة *(الفصل الرابع)* في ذكر ما يستحب من الذكر وقراءة الآي المندوب إليها بعد التسليم من صلاة الصبح *(الفصل الخامس)* في ذكر أدعية المختارة بعد صلاة الصبح *(الفصل السادس)* في ذكر عمل المريد بعد صلاة الصبح *(الفصل السابع)* في ذكر أوراد النهار وهي سبعة أوراد *(الفصل الثامن)* في ذكر أوراد الليل وهي خمسة أوراد *(الفصل التاسع)* في ذكر وقت الفجر *(الفصل العاشر)* فيه كتاب معرفة الزوال وزيادة الظل ونقصانه

بالأقدام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على ما أولانا والصلاة والسلام على من به هدانا ورضوان الله عن آله وصحبه الراشدين والأئمة المجتهدين والعلماء الزاهدين (وبعد) فهذا سراج القلوب وعلاج الذنوب أتيت فيه من الأحاديث والآثار والمواعظ المشرقات والحكايات الشافعات بما يحث على الطاعات وينهى عن المحرمات منقولا من كتب الأئمة الثقات متبركا بالابتداء بالآيات تذكرة لي ولمثلي من العصاة أسأل الله عز وجل أن ينفعنا به في الدنيا والآخرة

(فصل) في المبادرة إلى الطاعة والانتهاء عن المعصية قال الله سبحانه وتعالى كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون يعني من أطاعني فقد شكر ومن عصاني فقد كفر

قال الله تعالى وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا وقال جل ثناؤه ان لك في النهار سبحا طويلا واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا وقال سبحانه واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا وقال تعالى وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن الليل فسبحه وادبار السجود وقال تعالى وسبح بحمد ربك حين تقوم ومن الليل فسبحه وادبار النجوم وقال تعالى ان ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قيلا وقال تعالى ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى وقال تعالى أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقال تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا وقال عز اسمه والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما وقال سبحانه وتعالى كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالاسحار هم يستغفرون وقال تعالى أقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا ومن الليل فتهجد به نافلة لك وقال وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيآت ذلك ذكرى للذاكرين وقال سبحانه وتعالى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون *(الفصل الثالث)* في ذكر عمل المريد في اليوم والليلة من فرائض الاوامر وفضائل النوادب فمن ذلك يستحب عند طلوع الفجر وهو البياض المشتق من سواد الليل المعترض في قطر السماء الشرقي عند ادبار النجوم وادبارها افتراقها وذهاب ضوءها العلبة ضوء الفجر عليها وهو الوقت الذي أمر الله تعالى فيه بذكره اذ يقول تعالى ومن الليل فسبحه وادبار النجوم فليصل العبد ركعتي الفجر يقرأ فيهما قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد فهو أكثر ما روى ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ فيهما فان شاء خافت وان شاء جهر *فقد روى حديثان أحدهما يدل على المخافتة وهو حديث عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفف ركعتي الفجر حتى أقول قرأ فيهما بفاتحة الكتاب أم لا والآخر يدل على الجهر وهو حديث ابن عمر رمقت النبي صلى الله عليه وسلم عشرين يوما فسمعته يقرأ في ركعتي الفجر قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد وفي حديث أبي هريرة وابن عباس انه قرأ صلى الله عليه وسلم في الركعة الاولى الآية التي في سورة البقرة قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسمعيل الى آخرها وفي الركعة الثانية ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين فليقرأ بذلك احيانا ثم يستغفر الله تعالى سبعين مرة يقول في كل مرة أستغفر الله العظيم الذي لا اله الا هو الحي القيوم وأسأله التوبة ثم يسبح الله ويهلله مائة مرة بالكلمات الاربع الجامعات المختصرات التي هي في القرآن وليست بقرآن سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر وأستغفر الله وتبارك الله مرة واحدة وليدع بهذا الدعاء فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو به بعد ركعتي الفجر (روينا) عن ابن أبي ليلى عن داود بن علي عن أبيه عن ابن عباس قال بعثني العباس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله فأتيته ممسيا وهو في بيت خالتي ميمونة فقام يصلي من الليل فلما صلى الركعتين قبل صلاة الفجر قال اللهم اني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي وتجمع بها شملي وتلم بها شعثي وترد بها الفتي وتصلح بها علانيتي وتقضي بها ديني وتحفظ بها غائبي وترفع بها شاهدي وتزكي بها عملي وتبيض بها وجهي وتلقني بها رشدي وتعصمني بها من كل سوء اللهم اعطني ايمانا صادقا ويقينا ليس بعده كفر ورحمة أنال بها شرف كرامتك في الدنيا والآخرة اللهم اني أسألك الفوز عند القضاء ومنازل الشهداء وعيش السعداء ومرافقة الانبياء والنصر على الاعداء اللهم اني أنزل بك حاجتي وان قصر رأيي وضعف عملي وافتقرت الى رحمتك فاسألك يا قاضي الامور ويا شافي الصدور كما تجير بين البحور أن تجيرني من عذاب السعير ومن دعوة الثبور ومن فتنة القبور اللهم ما قصر عنه رأيي وضعف عنه عملي ولم تبلغه نيتي وأمنيتي من خير وعدته أحدا من خلقك أو خير أنت معطيه أحدا من عبادك فاني أرغب اليك فيه وأسألكه يارب

فقال لها انسية أنت فانشأت تقول (شعر)

شكوت الى المولى وقد علم الشكوى
وأعطاك ما ترجو وقد كشف البلوى
وارسلني انسا اليك وانني
أناجيك طول الليل لو تسمع النجوى

فقال ياجارية لمن أنت فقالت أنا لك فقال كم لي مثلك جورية قالت مائة جورية ولكل جورية مائة خادمة ولكل خدمة مائة وصيفة ولكل وصيفة مائة قهرمانة ففرح وقال ياجورية هل أعطى أحدا أكثر مني قالت يامسكين أعطاك عطاء البطالين الذين يقولون أستغفر الله ويغفر لهم ثم يستغفرون الله عند غروب الشمس فيغفر الله لهم ثم أنشأت تقول (شعر)

وله خصائص مصطفون لحبه
اختارهم في سالف الازمان
اختارهم من قبل فطرة خلقه
فهم ودائع حكمة وبيان

(وأنشدت أيضا)

نشرت لهم اعلام حب
بينهم
فتبادروا وتناهبوا الاعلاما
باحسنهم في ظل عرش
مليكهم

النفاق وطريقة السلف في ذلك *(الفصل الخامس والثلاثون)* فيه كتاب السنة وشرح فضائلها وجمل
من آداب الشريعة وعقود القلوب من علم الظاهر وهي ستة عشر خصلة أولها أن تعتقد أن الايمان
قول وعمل وأن القرآن كلام الله تبارك وتعالى غير مخلوق وأن تسلم أخبار الصفات وأن تعتقد تفضيل
تفضيل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن تقدم من قدمه الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم
وأن تعتقد أن الامامة في قريش عامة الى أن تقوم الساعة وأن لا تكفر أحدا من أهل القبلة وأن
تصدق بجميع أقدار الله عز وجل خيرها وشرها وأن مسألة منكر ونكير حق وأن عذاب القبر حق
وأن تؤمن بالميزان وأن تعتقد أن الصراط حق وأن تؤمن بالحوض المورود حوض محمد صلى الله
عليه وسلم وأن تؤمن بالنظر الى الله سبحانه وتعالى وأن تعتقد اخراج الموحدين من النار وأن تؤمن
بوقوع الحساب وفيه فصل مستنبط من معنى الاجماع بذكر أهل البدع واخراجهم من الجماعة وذكر
فضائل السنة ووصف طرائق السلف الصالح التابعين باحسان (الفصل السادس والثلاثون) فيه ذكر
جمل الشريعة وعرى الايمان وذكر شرط المسلم الذي يكون به مسلما وذكر حسن اسلام المرء وعلامة محبة
الله عز وجل له وذكر حق المسلم على المسلم وهو وجوب حرمة الاسلام على المسلمين وذكر سر الحسد
وذكر ما في الغيبة من المعاصي والبدع وذكر ما جاء في فضل بعض ذلك واستحسانه وكتاب ما ذكر من نوافل
الركوع وما يكره من الفضائل منه *(الفصل السابع والثلاثون)* فيه كتاب شرح الكبائر وتفصيلها
ومسئلة في محاسبة الكفار *(الفصل الثامن والثلاثون)* فيه كتاب الاخلاص وشرح النيات والامر
بتحسينها في تصرف الاحوال والتحذير من دخول الآفات عليها في الاعمال *(الفصل التاسع والثلاثون)*
فيه كتاب ترتيب الاقوات بالنقصان منها أو زيادة الاقوات *(الفصل الاربعون)* فيه كتاب الاطعمة
وما يجمع الاكل من السنن والآداب وما يشتمل على الطعام من الكراهية والاستحباب *(الفصل الحادي
والاربعون)* فيه كتاب فرائض الفقر وفضائله ونعت قوم الفقراء ووصفهم وتفضيل قول العلماء
وزهده وطرائق السلف فيه *(الفصل الثاني والاربعون)* فيه كتاب حكم المسافر والمقاصد في الاسفار
(الفصل الثالث والاربعون) فيه كتاب حكم الامام ووصف الامام والمأموم *(الفصل الرابع
والاربعون)* فيه كتاب الاخوة في الله عز وجل والصحبة ومحبة الاخوان فيه تبارك وتعالى وأحكام المؤاخاة
وأوصاف المحبين *(الفصل الخامس والاربعون)* فيه كتاب ذكر التزويج في فعله وتركه أيهما أفضل
ومختصر أحكام النساء في ذلك *(الفصل السادس والاربعون)* فيه كتاب ذكر دخول الحمام *(الفصل
السابع والاربعون)* فيه كتاب الصنائع والمعايش والبيع والشراء وما يجب على التاجر والصانع من
شروط العلم في أحكام التصرف *(الفصل الثامن والاربعون)* فيه كتاب تفصيل الحلال والحرام
وما بينهما من الشبهات وفضل الحلال وذم الشبهة وتفصيل ذلك بصور الالوان *(فالفصل الاول)* وهو ذكر
الآي التي فيها ذكر المعاملة قال الله تعالى ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان
سعيهم مشكورا وقال عز وجل من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته
منها وماله في الآخرة من نصيب وقال سبحانه وتعالى وأن ليس للانسان الا ما سعى وأن سعيه سوف يرى
ثم يجزاه الجزاء الاوفى وقال جل ذكره كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الايام الخالية وقال عز من
قائل ولكل درجات مما عملوا وقال تبارك وتعالى وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى الا من
آمن وعمل صالحا فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وقال سبحانه وتعالى ونودوا أن تلكم الجنة التي
أورثتموها بما كنتم تعملون وقال سبحانه وتعالى فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا
يعملون وقال سبحانه وتعالى نعم أجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون وقال سبحانه لهم دار السلام
عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون *(الفصل الثاني)* في ذكر الآي التي فيها أوراد الليل والنهار

الفراش دواب مثل
البعوض وهي التي تطير
وتتهافت في السراج بسبب
ضعف أبصارها فهي بسبب
ذلك تطلب الضوء وترمي
بنفسها الى الكوة فاذا
جاوزتها ورأت الظلام
ظنت انها لم تصب الكوة
ولم تقصدها على السداد
فتعود اليها مرة أخرى حتى
تحترق قال الامام الغزالي
رحمة الله عليه ولعلك تظن
ان ذلك من جهلها بل
جهل الانسان في الانكباب
على الشهوات كالتهافت
على النار ويهلك هلاكا
مؤبدا فليت جهل الانسان
كان كجهل الفراش فانها
باغترارها بظاهر الضوء
ان احترقت تخلصت في
الحال والآدمي يبقى في
النار أبدا الآبدين أو مدة مديدة
قال الشيخ عبد الله اليافعي
رحمة الله عليه في روض
الرياحين حكي عن بعض
الصالحين انه عبد الله
عز وجل أربعين سنة فلما
كان بعض الليالي أخذته
دالة على الله عز وجل فقال
رب أرني ما قد أعددت لي
في الجنة وأرني ما قد
أعددت لي من الحور
الحسان فما استتم كلامه
حتى انشق المحراب
فخرجت منه حورية لو
خرجت الى الدنيا لفتنتها

لآخرتك فقل اللهم صل على محمد وآل محمد واهدني من عندك وأفض علي من فضلك وانشر علي من رحمتك وأنزل علي من بركاتك ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما انه اذا وافى بهن يوم القيامة لم يدعهن فحله أربعة أبواب من الجنة يدخل من أيها شاء وان قال المسبعات العشر التي أهداها الخضر عليه السلام الى ابراهيم التيمي ووصاه ان يقولها غدوة وعشية وقال له الخضر أعطانيها محمد صلى الله عليه وسلم وذكر من فضلها وعظم شأنها ما يجل عن الوصف وانه لا يداوم على ذلك الا عبد سعيد قد سبقت له من الله عز وجل الحسنى وحذفنا ذكر فضائلها اختصارا فان قال ذلك فقد استكمل الفضل والمداومة عليهن تجمع له جميع ما فرقناه من الادعية روى ذلك سعيد بن سعيد عن أبي طيبة عن كرز بن وبرة قال وكان من الابدال قال أتاني أخ لي من الشام فأهدى لي هدية وقال يا كرزا قبل مني هذه الهدية فانها نعم الهدية فقلت يا أخي من أهدى لك هذه الهدية قال أعطانيها ابراهيم التيمي قلت أفلم تسأل ابراهيم من أعطاه قال بلى قال كنت جالسا في فناء الكعبة وأنا في التهليل والتسبيح والتحميد فجاءني رجل فسلم علي وجلس عن يميني فلم أر في زماني أحسن منه وجها ولا أحسن منه ثيابا ولا أشد بياضا ولا أطيب ريحا فقلت يا عبد الله من أنت ومن أين جئت فقال أنا الخضر فقلت في أي شيء جئتني قال جئتك للسلام عليك وحبا لك في الله عز وجل وعندي هدية أريد ان أهديها اليك فقلت ما هي قال هي ان تقرأ قبل طلوع الشمس وتنبسط على الارض وقبل ان تغرب سورة الحمد سبع مرات وقل أعوذ برب الناس سبع مرات وقل أعوذ برب الفلق سبع مرات وقل هو الله أحد سبع مرات وقل يا أيها الكافرون سبع مرات وآية الكرسي سبع مرات وتقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر سبع مرات وتصلي على النبي صلى الله عليه وسلم سبع مرات وتستغفر لنفسك ولوالديك وما توالدا ولاهلك وللمؤمنين والمؤمنات الاحياء منهم والاموات سبع مرات وتقول اللهم يا رب افعل بي وبهم عاجلا وآجلا في الدين والدنيا والآخرة ما أنت له أهل ولا تفعل بنا يا مولاي ما نحن له أهل انك غفور حليم جواد كريم رؤف رحيم سبع مرات وانظر ان لا تدع ذلك غدوة وعشية فقلت أحب ان تخبرني من أعطاك هذه العطية فقال أعطانيها محمد صلى الله عليه وسلم فقلت أخبرني بثواب ذلك فقال لي اذا لقيت محمدا صلى الله عليه وسلم فسله عن ثوابه فانه سيخبرك فذكر ابراهيم التيمي رحمه الله انه رأى ذات ليلة في منامه ان الملائكة جاءته فاحتملته حتى أدخلوه الجنة فرأى ما فيها ووصف أوصافا عظيمة مما رأى في صفة الجنة قال فسألت الملائكة فقلت لمن هذا كله فقالوا للذي يعمل مثل عملك وذكر انه أكل من ثمرها وسقوه من شرابها فأتاني النبي صلى الله عليه وسلم ومعه سبعون نبيا وسبعون صفا من الملائكة كل صف مثل ما بين المشرق والمغرب فسلم علي وأخذ بيدي فقلت يا رسول الله ان الخضر أخبرني انه سمع منك هذا الحديث فقال صدق الخضر صدق الخضر وكل ما يحكيه فهو حق وهو عالم أهل الارض وهو رئيس الابدال وهو من جنود الله عز وجل في الارض فقلت يا رسول الله فمن فعل هذا ولم ير مثل الذي رأيت في منامي هل يعطى مما أعطيته قال والذي بعثني بالحق انه ليعطى العامل بهذا وان لم يرني ولم ير الجنة انه ليغفر له جميع الكبائر التي عملها ويرفع الله عز وجل عنه غضبه ومقته ويؤمر صاحب الشمال ان لا يكتب عليه شيئا من السيئات الى سنة والذي بعثني بالحق نبيا ما يعمل بهذا الا من خلقه الله تعالى سعيدا ولا يتركه الا من خلقه شقيا وقد كان ابراهيم التيمي رحمه الله مكث أربعة أشهر لم يطعم طعاما ولم يشرب شرابا فلعله بعد الرؤيا والله تعالى أعلم ذكره الاعمش عنه فهذا من جل ما أتى مما يستحب ان يقرأ أو يقال بعد صلاة الغداة ولذلك فضائل جمة وردت بها الاخبار حذفنا ذكرها للاختصار

(الفصل الخامس) في ذكر الادعية المختارة بعد صلاة الصبح الجامعة المختصرة المأثورة في الاخبار المتفرقة روي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا افتتح دعاء افتتحه بقوله سبحان ربي العلي الاعلى الوهاب وانه كان يقول لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير لا اله الا الله أهل النعمة والفضل والثناء الحسن لا اله الا الله ولا نعبد الا اياه مخلصين له الدين ولو كره

المصالح وامنوا القوارع وذلوا البلاد والعباد قهرا فغبروا بذلك دهرا ثم بدلوا نعمة الله كفرا ولم يقابلوا احسانه اليهم شكرا فشربوا الخمور وارتكبوا الفجور وتسامروا بالغيبة وتفاخروا بالريبة وباعوا الامانات وأضاعوا الصلوات واتبعوا الشهوات واستمعوا القينات واظهروا المنكرات بأكل الربا في التجارات وفعل الرياء وزور الشهادات ولم يعتبروا بالآيات ولا استحيوا من عالم الخفيات فلم يزالوا كذلك وعلى ذلك حتى اصطلموا وغيبوا في التراب وارتهنوا ولقد علموا على من قدموا ولم تنفعهم الندامة اذا ندموا كعاد ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد أي مثل عاد في قوتهم وطول قامتهم كان طول الرجل منهم أربعمائة ذراع وكان الرجل منهم يأتي على الصخرة فيلقيها على الحي أي القبيلة فيهلكهم وثمود الذين جابوا الصخر أي قطعوا واتخذوا الجبال وبنوا الفا وسبعمائة مدينة كلها من الحجارة بالواد أي وادي القرى وفرعون ذي الاوتاد اي ذي الجنود الكثيرة وكانت لهم مضارب

العالمين اللهم اجعلنا هادين مهديين غير ضالين ولا مضلين حربا لاعدائك وسلما لاوليائك نحب بحبك الناس ونعادي بعداوتك من خالفك من خلقك اللهم هذا الدعاء وعليك الاجابة وهذا الجهد وعليك التكلان فانا لله وانا اليه راجعون لا حول ولا قوة الا بالله ذي الحبل الشديد والامر الرشيد أسألك الامن يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود والركع السجود والموفين بالعهود انك رحيم ودود أنت تفعل ما تريد سبحان الذي تعطف بالعز وقال به سبحان الذي لبس المجد وتكرم به سبحان الذي لا ينبغي التسبيح الا له سبحان ذي الفضل والنعم سبحان ذي القدرة والكرم سبحان الذي أحصى كل شيء بعلمه اللهم اجعل لي نورا في قلبي ونورا في قبري ونورا في سمعي ونورا في بصري ونورا في شعري ونورا في بشري ونورا في لحمي ونورا في دمي ونورا في عظامي ونورا من بين يدي ونورا من خلفي ونورا عن يميني ونورا عن شمالي ونورا من فوقي ونورا من تحتي اللهم زدني نورا واعطني نورا واجعل لي نورا هذه الانوار التي سألها رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله في كل جزء من أجزائه انما هو دوام النظر من نور النور يشاهد القيومية في كل سكون وحركة منه يكاؤه بنظره ويتولاه بحيطته فينظر اليه بدوام نظره ليستقيم له بتولي حفظه فلا يزيغ بصره ولا يطغى ولا تستهويه النفس بهوى فليدع العبد بهذا الدعاء بعد ركعتي الفجر لكن يقدم على دعائه المسئلة لله تبارك وتعالى في الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله فيستجيب سبحانه وتعالى دعوته ولا يرده لقول الرسول صلى الله عليه وسلم اذا سألتم الله تعالى حاجة فابدؤا بالصلاة علي فان الله تعالى أكرم من أن يسئل في حاجتين فيعطي احداهما ويرد الاخرى ثم ليصل العبد صلاة الغداة في جماعة ليكون في ذمة الله وجواره وفي الحديث صلاة الغداة في جماعة أفضل من قيام ليلة وصلاة العشاء الآخرة في جماعة أفضل من قيام نصف ليلة وليكن قائما في صلاته بالقاء سمع وشهود قلب وحضور عقل وجمع هم وصحة تيقظ وحسن اقبال وتدبر الكلام وترتيل وتفهم بالتماس غرائب التنزيل فاذا سلم من صلاته قال ما يستحب من الذكر

(الفصل الرابع) في ذكر ما يستحب من الذكر وقراءة الآي المندوب اليها بعد التسليم من صلاة الصبح استخرجناها من الآثار اللهم صل على محمد وآله اللهم أنت السلام ومنك السلام واليك يعود السلام فحينا ربنا بالسلام وأدخلنا دار السلام تباركت ياذا الجلال والاكرام ثم ليقل سبحان الله العظيم وبحمده ثلاثا ثم يستغفر الله ثلاثا ثم يقول اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد ثم ليقل وهو ثان رجله من قبل أن يتكلم هذه الكلمات عشر مرات لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير كله وهو على كل شيء قدير ثم ليقرأ وهو كذلك قل هو الله أحد عشرا ويقول أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون عشر مرات وليقل سبحان ربك رب العزة عما يصفون الى آخر السورة ثلاث مرات وليقل فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الى آخر الثلاث آيات ثلاث مرات ثم يسبح ثلاثا وثلاثين ويحمد كذلك ويكبر أربعا وثلاثين فتلك مائة مرة وان أحب جعلها خمسا وعشرين زاد فيها التهليل وان قال سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر خمسا وعشرين مرة استوعب ذلك المائة تسبيحة وكان أيسر عليه لاجل المداومة ثم يقرأ سورة الحمد وآية الكرسي وخاتمة البقرة من قوله آمن الرسول وشهد الله الآية وقل اللهم مالك الملك الآيتين ثم يقرأ لقد جاءكم رسول من أنفسكم الى آخرها ثم يقرأ وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا الآية ثم يقرأ لقد صدق الله رسوله الرؤيا الى آخر السورة ثم يقرأ خمسا من أول سورة الحديد وثلاثا من آخر سورة الحشر ثم ليقل اللهم اني أسألك بكرم وجهك الصلاة على محمد وآله وأسألك الجنة وأعوذ بك من النار سبع مرات وقال قبيصة بن مخارق للنبي صلى الله عليه وسلم علمني كلمات ينفعني الله بها وأوجز فقد كبر سني وعجزت عن أشياء كنت أعملها فقال أما الدنياك فاذا صليت الغداة فقل ثلاث مرات سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وبحمده لا حول ولا قوة الا بالله فانك اذا قلتهن أمنت من عمى وجذام وبرص وفالج واما

لآخرتك

آكل يقودمن الحبيب زماما
حتى اذا صاروا بحضرة قدسه
كشف المليك حجابه اكراما
فهم الملوك العارفون بربهم
والدائبون ببابه خداما
قال اليافعي وهذه خمسة
أبيات قلتها وألحقتها بهذه
الابيات الاربعة (شعر)
من غال ياقوت وزاهي جوهر
يعلوه نور يسكنون خياما
ومع الحسان الحور عين
لو بدت
ليلا أنارت بالجمال ظلاما
واعطارت كل الوجود
وزخرفت
ولهات كل بالجمال غراما
ياحسنها بين الجواري عندها
تمشي لتلقى قادمين كراما
يجزون غرفات بما فوق الى
وتحية يلقونها وسلاما
أيها الناس ان أحلام
العقلاء مفصحة بصدق مقاول
المثلات وان الاصرار على
التبعات يؤذن بهجوم
مسموم البيات وكفى
بتطاور الاعداء عن خبث
السرائر خبرا وباختلاف
الاهواء على قرب نزول
الدوائر منذرا ألم يأتكم نبأ
من سلف من الاولين وما
حل بهم عند مخالفتهم سنن
المرسلين وهم الذين
أعارتهم الايام محاسنها
وأظهرت لهم الارض
معادنها فجندوا الجنود
وسحبوا البرود واتخذوا

عن عمر بن عبد العزيز عن محمد بن عبيد الله قال أتى أبو الدرداء فقيل له احترقت دارك فقال ما كان الله عز
وجل ليفعل ثم أتاه آت فقال يا أبا الدرداء ان النار حيث دنت من دارك طفئت فقال قد علمت فقيل له ما ندري
أي قوليك أعجب قال اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قال هؤلاء الكلمات في ليل أو نهار لم
يضره شيء وقد قلتهن وهي اللهم انت ربي لا اله الا أنت عليك توكلت وأنت رب العرش العظيم لا حول ولا
قوة الا بالله العلي العظيم ما شاء الله عز وجل ربي كان وما لم يشأ لم يكن أعلم ان الله على كل شيء قدير وان الله
قد أحاط بكل شيء علما اللهم اني أعوذ بك من شر نفسي ومن شر كل دابة انت آخذ بناصيتها ان ربي على صراط
مستقيم وقد روينا عن أبي الدرداء انه قال من قال في كل يوم سبع مرات فان تولوا فقل حسبي الله لا اله
الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم كفاه الله عز وجل ما أهمه من أمر آخرته صادقا كان أو كاذبا
وروينا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما أصاب أحدا هم ولا حزن فقال اللهم اني عبدك ابن عبدك ابن
أمتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك عدل في قضاؤك أسألك اللهم بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته
في كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك ان تصلي على نبيك وحبيبك محمد وآله
وان تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي وغمي الا أذهب الله عز وجل همه
وحزنه وأبدله مكانه فرحا قال قيل يا رسول الله الا نتعلمها فقال صلى الله عليه وسلم بلى ينبغي لمن سمعها ان يتعلمها
وروينا في الاخبار ان ابراهيم الخليل كان يقول اذا أصبح اللهم هذا خلق جديد فافتحه علي بطاعتك واختمه لي
بمغفرتك ورضوانك وارزقني فيه حسنة تقبلها مني وزكها وضعفها لي وما عملت فيه من سيئة فاغفرها لي انك
غفور رحيم ودود كريم قال ومن دعا بهذا الدعاء اذا أصبح فقد أدى شكر يومه وكذلك اذا أمسى وروينا عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال اذا أصبح واذا أمسى ثلاث مرات رضيت بالله عز وجل ربا وبالاسلام
دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا كان حقا على الله ان يرضيه يوم القيامة وروينا عن معمر عن جعفر بن
برقان ان عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم كان يقول اللهم اني أصبحت لا أستطيع دفع ما أكره ولا أملك
نفع ما أرجو وأصبح الامر بيدك لا بيد غيرك وأصبحت مرتهنا بعملي فلا فقير أفقر مني اللهم لا تشمت بي عدوي
ولا تسئ بي صديقي ولا تجعل مصيبتي في ديني ولا تجعل الدنيا أكبر همي ولا مبلغ علمي ولا غاية أملي ولا تسلط
علي من لا يرحمني وروينا عن عطاء عن ابن عباس قال يلتقي الخضر والياس في كل موسم فيفترقان عن هذه
الكلمات بسم الله ما شاء الله لا قوة الا بالله ما شاء الله كل نعمة من الله ما شاء الله الخير كله بيد الله عز وجل
ما شاء الله لا يصرف السوء الا الله ما شاء الله لا حول ولا قوة الا بالله فمن قالها اذا أصبح ثلاث مرات أمن الحرق
والغرق والسرق ويقال ان هذا من استغفار الخضر عليه السلام اللهم اني استغفرك من كل ذنب تبت اليك
منه ثم عدت فيه اللهم اني استغفرك من كل عقد عقدته لك ثم لم أوف لك به اللهم اني استغفرك من كل نعمة
انعمت بها علي فتقويت بها على معصيتك اللهم اني استغفرك من كل عمل عملته لوجهك خالطه ما ليس لك
وحكى سعيد بن أبي الرجاء الجمال وكان من أهل الخير انه توحد ذات ليلة في أرض قفرة فاستوحش وفزع
فظهر له شخص قال فاستدبرني منه حتى سمعته يقرأ القرآن ثم قال ألا أدلك على شيء اذا انت قلته است
اذا استوحشت واهتديت اذا ضللت ونمت اذا ارقت قلت على رحمك الله قال قل بسم الله ذي الشأن عظيم
البرهان شديد السلطان كل يوم هو في شأن لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وحدثونا عن يعقوب بن عبد
الرحمن الدعاء قال سمعت محمد بن حسان يقول قال لي معروف الكرخي رحمه الله الا أعلمك عشر كلمات خمسة
للدنيا وخمسة للآخرة من دعا الله عز وجل بهن وجد الله سبحانه وتعالى عندهن قلت اكتبها قال لا ولكن
أرددها عليك كما ردها علي بكر بن حبيش حسبي الله تبارك وتعالى لديني حسبي الله عز وجل لدنياي
حسبي الله الكريم لما أهمني حسبي الله الحكيم القوي لمن بغى علي حسبي الله الشديد لمن كادني بسوء حسبي
الله الرحيم عند الموت حسبي الله الرؤف عند المسألة في القبر حسبي الله الكريم عند الحساب حسبي الله

وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون أي بسلامة الايمان والنجاة عن التبعات والدركات (م) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا أيها الناس توبوا الى الله فاني أتوب اليه في اليوم مائة مرة اعلم انه انما استغفر صلى الله عليه وسلم مع انه مغفور له ومعصوم تعليما للامة (خ) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال ان المؤمن يرى ذنوبه كانه قاعد تحت جبل يخاف ان يقع عليه وان الفاجر يرى ذنوبه كذباب مر على أنفه فقال به هكذا أي بيده فذبه عنه ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لله أفرح بتوبة عبده المؤمن من رجل نزل بارض دوية مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه فوضع رأسه فنام نومة فاستيقظ وقد ذهبت راحلته فطلبها حتى اذا اشتد عليه الحر والعطش أو ما شاء الله قال ارجع الى مكاني الذي كنت فيه فانام حتى أموت فوضع رأسه على ساعده ليموت فاستيقظ فاذا راحلته عنده عليها طعامه وشرابه فالله أشد فرحا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وزاده فسبحان الله ما أرحمه بعبده وأحبه له فرح أي رضي أشد الرضا بتوبة عبده مع ان نفع توبته له

الكافرون * وروينا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعائشة رضي الله عنها عليك بالجوامع الكوامل قولي اللهم اني أسألك الصلاة على محمد وآله وأسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم وأعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم وأسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل وأسألك من الخير ما سألك به عبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم وأستعيذك مما استعاذك منه عبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم وأسألك ما قضيت لي من امر ان تجعل عاقبته رشدا برحمتك يا أرحم الراحمين (وعن) أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا فاطمة ما يمنعك ان تسمعي ما أوصيك به ان تقولي يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث فاغثني ولا تكلني الى نفسي طرفة عين واصلح لي شأني كله وعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق رضي الله عنه هذا الدعاء فقال قل اللهم اني أسألك بمحمد نبيك وابراهيم خليلك وموسى نجيك وكليمك وعيسى روحك وكلمتك وبكلام موسى وانجيل عيسى وزبور داود وفرقان محمد صلى الله عليه وسلم وكل وحي أوحيته أو قضاء قضيته أو سائل أعطيته أو غني أفقرته أو فقير أغنيته أو ضال هديته وأسألك باسمك الذي أنزلته على موسى وأسألك باسمك الذي ثبت به أرزاق العباد وأسألك باسمك الذي وضعته على الارض فاستقرت وأسألك باسمك الذي وضعته على السموات فاستقلت وأسألك باسمك الذي وضعته على الجبال فارست وأسألك باسمك الذي استقل به عرشك وأسألك باسمك الطهر الطاهر الاحد الصمد الوتر المنزل في كتابك من لدنك من النور المبين وأسألك باسمك الذي وضعته على النهار فاستنار وعلى الليل فاظلم وبعظمتك وكبريائك وبنور وجهك ان تصلي على محمد نبيك وعلى آله وان ترزقني القرآن والعلم وتخلطه بلحمي ودمي وسمعي وبصري وتستعمل به جسدي بحولك وقوتك فانه لا حول لي ولا قوة الا بك يا أرحم الراحمين وروينا عن ابن عمران جبريل عليه السلام أتى النبي صلى الله عليه وسلم فعلمه هذا الدعاء يا نور السموات والارض يا جمال السموات والارض يا عماد السموات والارض يا بديع السموات والارض يا ذا الجلال والاكرام يا صريخ المستصرخين يا غوث المستغيثين يا منتهى رغبة الراغبين والمفرج عن المكروبين والمروح عن المغمومين ومجيب دعوة المضطرين وكاشف السوء وأرحم الراحمين واله العالمين منزول بك كل حاجة يا أكرم الاكرمين ويا أرحم الراحمين (وعن) ابن عمر رضي الله عنهما قال لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يدع ان يدعو بهؤلاء الكلمات حين يصبح وحين يمسي اللهم اني أسألك العافية في الدنيا والآخرة وأسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وفي أهلي ومالي اللهم استر عوراتي وآمن روعاتي وأقلني عثراتي اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذ بك ان أغتال من تحتي وقال بريد الاسلمي قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بريد الا أعلمك كلمات من أراد الله عز وجل به خيرا علمهن اياه ثم لم ينسهن اياه أبدا قال قلت بلى يا رسول الله صلى الله عليك قال قل اللهم اني ضعيف فقوّ في رضاك ضعفي وخذ الى الخير بناصيتي واجعل الاسلام منتهى رضاي اللهم اني ضعيف فقوني واني ذليل فاعزني واني فقير فاغنني برحمتك يا أرحم الراحمين وروينا عن أبي مالك الاشجعي قال حدثني أبي قال كنا نغدو الى النبي صلى الله عليه وسلم فيجيء الرجل أو تجيء المرأة فيقول كيف أقول يا رسول الله اذا أصبحت قال تقول اللهم صل على محمد وآله واغفر لي وارحمني واهدني وارزقني وعافني واجبرني فقد جمعن لك خير دنياك وآخرتك وروينا عن أبي زرعة قال كتب الي أبو هريرة فيما أكاتبه وشافهني به فيما ألقاه ان الشيطان لا يطيف بانسان يقول حين يصبح وحين يمسي اللهم اني أعوذ باسمك وكلمتك التامة من شر السامة والهامة وأعوذ باسمك وكلمتك التامة من شر عذابك وشر عبادك وأعوذ باسمك وكلمتك التامة من شر الشيطان الرجيم اللهم اني أسألك باسمائك وكلمتك التامة ان تصلي على نبيك محمد وآله وأسألك من خير ما تعطي وما تسال ومن خير ما تخفي وخير ما تبدي اللهم اني أعوذ باسمك وكلمتك التامة من شر ما يجري به النهار ان ربي الله الذي لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم وان كان مساء قال ومن شر ما جاء به الليل يقول ذلك ثلاثا * وروينا

كثيرة يضربونها اذا نزلوا الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد فصب عليهم ربك سوط عذاب أي عذبهم عذابا مؤلما دائما ان ربك لبالمرصاد وهو المكان الذي يترقب فيه الرصد وهذا مثل لارصاده العباد بالجزاء أي انهم لا يفوتونه وانه عالم بما يصدر منهم وحافظ ليجازيهم عليه ان خيرا فخير وان شرا فشر اللهم اجعلنا ممن أخذ لنفسه قبل الاخذ منها وصرف بالتوبة وبذل النعمة عنها بمحض فضلك وكرمك يا أرحم الراحمين

(فصل) في التوبة قال الله سبحانه وتعالى يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا أي خالصة لتقلعوا من المعاصي ظاهرا وباطنا وهي الندم على الذنوب الماضية واعادة الفرائض بقدر الامكان ورد المظالم على أربابها ثم ورثتهم ثم التصدق بها واستحلال الخصوم ان أمكن ثم الاحسان اليهم والعزم على ان لا يعود وتربية النفس في طاعة الله كما رباها في معصيته ثم قال تعالى عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار وقال تعالى

الرحيم لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين اللهم اني أدعوك باسمك المكنون المخزون المنزل السلام
الطاهر الطاهر القدوس المقدس يا دهر يا ديهور يا ديهار يا أبديا أزل يا من لم يزل ولا يزول هو يا هو لا اله الا هو
يا من لا هو الا هو يا من لا يعلم ما هو الا هو يا كان يا كينان يا روح يا كائن قبل كل كون يا كائن بعد كل كون
يا مكون لكل كون أهيا شراهيا أدوناي اصباؤت يا محلي عظائم الامور فان تولوا فقل حسبي الله لا اله الا هو
عليه توكلت وهو رب العرش العظيم ليس كمثله شئ وهو السميع البصير اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما
صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك
حميد مجيد وليقل هذه الادعية المأثورة اللهم اني أسألك الثبات في الامر والعزيمة على الرشد وأسألك شكر
نعمتك وحسن عبادتك وأسألك اللهم يا رب قلبا سليما ولسانا صادقا وعملا متقبلا وأسألك من خير ما تعلم وأعوذ
بك من شر ما تعلم وأستغفرك لما تعلم فانك تعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم صل على محمد وعلى آل محمد
واغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أعلنت وما أسررت فانك أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شئ قدير
وعلى كل غيب شهيد اللهم اني أسألك ايمانا لا يرتد ونعيما لا ينفد وقرة عين الابد ومرافقة نبيك محمد صلى الله
عليه وسلم في أعلى جنة الخلد اللهم اني أسألك الطيبات وفعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين
أسألك اللهم يا رب الصلاة على محمد وعلى آله أجمعين وأسألك حبك وحب من يحبك وحب عمل يقرب الى حبك
وان تتوب علي وتغفر لي وترحمني واذا أردت بقوم فتنة فاقبضني اليك غير مفتون يا أرحم الراحمين اللهم بعلمك
الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما كانت الحياة خيرا لي وتوفني اذا كانت الوفاة خيرا لي أسألك اللهم يا رب
خشيتك في الغيب والشهادة وكلمة العدل في الرضا والغضب والقصد في الغنى والفقر ولذة النظر الى وجهك
والشوق الى لقائك وأعوذ بك من ضراء مضرة وفتنة مضلة اللهم يا رب زينا بزينة الايمان واجعلنا هداة
مهتدين اللهم صل على محمد وعلى آل محمد واقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معصيتك ومن طاعتك
ما تبلغنا به جنتك ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وارزقنا
حزن خوف الوعيد وسرور رجاء الموعود حتى نجد لذة ما نطلب وغم ما منه نهرب اللهم صل على محمد
وعلى آل محمد سيد الاولين والآخرين وصل على محمد وعلى آله أجمعين وألبس وجوهنا منك الحياء
واملأ قلوبنا بك فرحا واسكن في نفوسنا من عظمتك وذلل جوارحنا لخدمتك واجعلك أحب الينا مما سواك
واجعلنا أخشى لك مما سواك اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وأعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك
اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وأسألك تمام النعمة بتمام التوبة ودوام العافية بدوام العصمة وأداء
الشكر بحسن العبادة اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وأعوذ بك من فتنة الغنى وفتنة الفقر وأعوذ بك من
ضيق الصدر وشتات الامر وعذاب القبر وأعوذ بك من غنى مطغ ومن فقر منس ومن هوى مرد ومن قرين
مغو اللهم اني أسألك الصلاة على محمد وعلى آله وأسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى اللهم صل على محمد
نبيك وصفيك ولا تهلكني بعذابك ولا تؤخرني لسيئ الفتن أعوذ بك يا الله من الفتن ما ظهر منها وما بطن وأعوذ
بك من الجن ما خفي منها وما علن اللهم اني أسألك الصلاة على نبيك محمد وعلى آله وأسألك خير هذا اليوم
وخير ما فيه وأعوذ بك من شره وشر ما فيه أعوذ بك اللهم يا رب من شر طوارق الليل والنهار ومن نائبات الامور
وفجأة الاقدار ومن شر كل طارق يطرق الا طارقا يطرق منك بخير يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما اللهم
صل على محمد وعلى آله واجعل يومنا هذا أوله صلاحا وأوسطه فلاحا وآخره نجاحا اللهم صل على محمد وعلى
آل محمد واجعل أوله رحمة وأوسطه نعمة وآخره تكرمة اللهم صل على محمد نبيك وعلى آله وأعوذ بك أن أزل
أو أزل أو أضل أو أضل أو أظلم أو أظلم أو أجهل أو يجهل علي عز جارك وجل ثناؤك وتبارك أسماؤك ولا اله
غيرك اللهم صل على محمد وعلى آله وأعوذ بك من عذاب جهنم وعذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات ومن
فتنة المسيح الدجال واذا أردت بقوم سوءا أو فتنة فاقبضني اليك غير مبدل ولا مفتون اللهم صل على محمد

ان لا يعود فان تمت توبته
فهو المطلوب والا غفرت
ذنوبه الماضية وليس عليه
الا الذنوب الواقعة فعليه
تجديد التوبة عنها ويقول
لعلي أموت قبل العود في
هذه المرة وكذلك ثانيا
وثالثا ويجدد التوبة
والعود اليها حرفة كما تجدد
المعصية والعود اليها حرفة
واحدهما أشد من الجد في
أمر الدنيا فعذاب الآخرة
أشد وأبقى وينبغي ان
لا يسوف فان الاجل
مكتوم لا يدري متى يفجؤه
الموت أو المرض المفضي
اليه ويجتهد في تحقيقها كل
الاجتهاد اذ رأس مال
المؤمن الايمان وقد يزول
الايمان بعدم التوبة وشؤم
الذنب فيبقى في نار جهنم
خالدا مخلدا كالكافرين
والمنافقين أو الجاحدين
وآخرهما كفر وشقوة الابد
أعاذنا الله منهما وفي روض
الرياحين عن أبي اسحق
الفزاري قال كان رجل
كثير الجلوس الينا ونصف
وجهه مغطى فقلت له انك
تكثر الجلوس الينا ونصف
وجهك مغطى أطلعني على
هذا فقال وتعطيني الامان
قلت نعم قال كنت نباشا
فدفنت امرأة فأتيت قبرها
فنبشته حتى وصلت الى
اللبن فرفعت اللبن ثم ضربت
بيدي الى الرداء ثم ضربت
بيدي الى اللفافة فجذبتها
فجعلت تجذبها هي فقلت

اللطيف عند الميزان حسبي الله القدير عند الصراط حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم وادع بهؤلاء الكلمات اللهم يا هادي المضلين وراحم المذنبين ومقيل عثرات العاثرين ارحم عبدك ذا الخطر العظيم والمسلمين كلهم أجمعين واجعلنا من الاحياء المرزوقين الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين آمين يا رب العالمين يقال ان عتبة الغلام رؤي في المنام فقال دخلت الجنة بهذه الدعوات وليقل بعد ذلك هذا الدعاء اللهم عالم الخفيات رفيع الدرجات ذا العرش تلقي الروح من أمرك على من تشاء من عبادك غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذا الطول لا اله الا أنت اليك المصير رؤي ابراهيم الصائغ في النوم فقيل له بأي شيء نجوت فقال بهذه الدعوات وليقل هذا الدعاء يا من لا يشغله سمع عن سمع ولا تشتبه عليه الاصوات يا من لا تغلطه المسائل ولا تختلف عليه اللغات يا من لا يتبرم بالحاح الملحين أذقني برد عفوك وحلاوة رحمتك يقال ان الخضر عليه السلام علم علي بن أبي طالب عليه السلام هذا الدعاء وليسبح تسبيحات ابي المعتمر وهو سليمان التيمي فقد روي من فضلها ان يونس بن عبيد رأى رجلا كان قد قتل شهيدا ببلاد الروم فقال له ما أفضل ما رأيت ثم من الاعمال قال رأيت تسبيحات أبي المعتمر من الله سبحانه وتعالى بمكان وقال المعتمر بن سليمان رأيت عبد الملك بن خالد بعد موته فقلت ما صنعت قال خيرا فلت نرجو للخاطئ شيأ قال يلتمس تسبيحات أبي المعتمر فانها نعم الشيء وهذه هي التسبيحات سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله عدد ما خلق الله وعدد ما هو خالق وزنة ما خلق وزنة ما هو خالق وملء ما خلق وملء ما هو خالق وملء سمواته وملء أرضه ومثل ذلك واضعاف ذلك وعدد خلقه وزنة عرشه ومنتهى رحمته ومداد كلماته ومبلغ علمه ورضاه وحتى يرضى واذا رضي وعدد ما ذكره به خلقه في جميع ما مضى وعدد ما هم ذاكروه فيما بقي في كل سنة وشهر وجمعة ويوم وليلة وساعة من الساعات ونسمة وشم ونفس ولمحة وطرفة من الابد الى الابد ابد الدنيا وأبد الآخرة وأكثر من ذلك لا ينقطع أولاه ولا ينفد أخراه وليدع بهذا الدعاء فانه دعاء التوبة مرجو فيه الاجابة روينا عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت لما أراد الله عز وجل ان يتوب على آدم طاف سبعا بالبيت وهو يومئذ ليس ببني ربوة حمراء ثم قام فصلى ركعتين ثم قال اللهم انك تعلم سري وعلانيتي فاقبل معذرتي وتعلم حاجتي فاعطني سؤلي وتعلم ما في نفسي فاغفر لي ذنوبي اللهم اني اسألك ايمانا يباشر قلبي ويقينا صادقا حتى أعلم انه لا يصيبني الا ما كتبت لي والرضا بما قسمت لي يا ذا الجلال والاكرام فاوحى الله عز وجل اليه اني قد غفرت لك ولن يأتيني أحد من ذريتك يدعوني بمثل الذي دعوتني به الا غفرت له وكشفت غمومه وهمومه ونزعت الفقر من بين عينيه واتجرت له من وراء كل تاجر وجاءته الدنيا وهي راغمة وان كان لا يريدها وليقل هذه الكلمات المأثورة فانها مما روي في اسم الله سبحانه وتعالى الاعظم باخبار في ذلك مأثورة اللهم اني اسألك بأن لك الحمد لا اله الا أنت الحنان المنان بديع السموات والارض ذو الجلال والاكرام أنت الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد يا حي يا قيوم يا حي حين لا حي في ديمومة ملكه وبقائه يا حي محيي الموتى يا حي مميت الاحياء ووارث أهل الارض والسماء اللهم اني أسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم وباسمك الذي لا اله الا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم اللهم اني أسألك باسمك الاعظم الاجل الاعز الاكرم الذي اذا دعيت به اجبت واذا سئلت به أعطيت يا نور النور يا مدبر الامور يا عالم ما في الصدور يا سميع يا قريب يا مجيب الدعاء يا لطيفا لما يشاء يا رؤف يا رحيم يا كبير يا عظيم يا الله يا رحمن يا ذا الجلال والاكرام الم الله لا اله الا هو الحي القيوم وعنت الوجوه للحي القيوم يا الهي واله كل شيء الها واحدا لا اله الا انت اللهم اني اسألك باسمك الله الله الله الذي لا اله الا هو رب العرش العظيم فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم أنت الاول والآخر والظاهر والباطن وسعت كل شيء رحمة وعلما كهيعص حمعسق الرحمن يا واحد يا قهار يا عزيز يا جبار يا أحد يا صمد يا ودود يا غفور هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن

وان ضر وذنوبه عليه وما أقسى قلب العبد واجهله اذا لم يتب عن ذنبه فعلى العبد المبادرة بالتوبة وتحقيق حدودها ليتخلص من سخط الله تعالى ومقته ونار جهنم والنكال والاغلال ولينجو من هلاك الابد ويظفر بسعادة السرمد والقرب من باب الله تعالى ورحمته وينال رضوانه وجنته وليوفق للطاعة ولتقبل منه فان أكثر العبادة نفل والتوبة فرض ولا يقبل النفل قبل الفرض ولا يتخلف عنها بخوف وقوعه في الذنب فانه ظن ادخله الشيطان في قلبه ليسوفها فقد روى أحمد عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله يحب العبد المؤمن المفتن التواب أي كثير الذنوب كثير التوبة وحكي عن بعض المشايخ انه تاب سبعين مرة ونقض سبعين مرة حتى استقام على التوبة في الحادية والسبعين وحكي انه تاب بعض المريدين عن الذنب ثم وقع في المعصية ثم ندم وخطر بباله انه لو رجع الى التوبة كيف يكون حاله فهتف هاتف اطعتنا فشكرناك ثم تركتنا فامهلناك فان عدت الينا قبلناك فعلى العبد ان يفزع الى التوبة بالندم والاقلاع والعزم على

للذين كفروا واغفر لنا ربنا انك أنت العزيز الحكيم ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار اللهم اني أسألك ان تصلي على نبيك محمد وعلى آل محمد واسألك الصيانة والعون على الطاعة والعصمة من المعصية وافراغ الصبر في الخدمة وايزاع الشكر على النعمة واسألك يا مولاي يا الله يا رب الصلاة على نبيك محمد وعلى آل محمد وحسن الخاتمة اللهم اني اسألك أن تصلي على نبيك محمد وعلى آل محمد واسألك اليقين وحسن المعرفة بك واسألك المحبة وحسن التوكل عليك واسألك الرضا وحسن المنقلب اليك ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان ان آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيآتنا وتوفنا مع الابرار ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا الى آخرها اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وطهر قلوبنا في قلوب الابرار وزك أعمالنا في عمل الاخيار وصل على أرواحنا في أرواح الشهداء يا أكرم الاكرمين ويا اجود الاجودين ويا ارحم الراحمين ربنا آتنا في الدنيا حسنة وعلما وزهدا وعبادة وأمنا ورزقا من حلال وفي الآخرة حسنة رضوانك والجنة وقنا برحمتك عذاب النار وعذاب القبر وقنا سخطك وغضبك وعذابك وأهواله عاجلا وآجلا في الدين والدنيا والآخرة برحمتك يا ارحم الراحمين وان تحمد الله تعالى غدوة وعشية بما حمد به نفسه عز وجل فقد روي من ثواب ذلك ما هو غاية الطالبين روينا عن علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله تبارك وتعالى يحمد نفسه في كل يوم يقول سبحانه وتعالى اني أنا الله رب العالمين اني أنا الله لا اله الا أنا الحي القيوم اني أنا الله لا اله الا أنا العلي العظيم اني أنا الله لا اله الا أنا العفو الغفور اني أنا الله لا اله الا أنا مبدئ كل شيء والي يعود اني أنا الله لا اله الا انا لم ألد ولم أولد اني أنا الله لا اله الا أنا العزيز الحكيم اني أنا الله لا اله الا أنا مالك يوم الدين اني أنا الله لا اله الا أنا الرحمن الرحيم اني أنا الله لا اله الا أنا خالق الخير والشر اني أنا الله لا اله الا أنا خالق الجنة والنار اني أنا الله الذي لا اله الا أنا الواحد الاحد الفرد الصمد الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولدا اني أنا الله لا اله الا أنا الفرد الوتر اني أنا الله لا اله الا أنا عالم الغيب والشهادة اني أنا الله لا اله الا أنا الملك القدوس اني أنا الله لا اله الا أنا السلام المؤمن المهيمن اني أنا الله لا اله الا أنا العزيز الجبار المتكبر اني أنا الله لا اله الا أنا الخالق البارئ اني أنا الله لا اله الا أنا الاحد المصور اني أنا الله لا اله الا أنا الكبير المتعال اني أنا الله لا اله الا أنا المقتدر القهار اني أنا الله لا اله الا أنا الحكيم الكبير اني أنا الله لا اله الا أنا القادر الرزاق اني أنا الله لا اله الا أنا أهل الثناء والمجد اني أنا الله لا اله الا أنا أعلم السر وأخفى اني أنا الله لا اله الا أنا فوق الخلق والخليقة اني أنا الله لا اله الا أنا الجبار المتكبر ويختم ويقول فسبحان الله رب العرش العظيم فمن دعا بهذه الكلمات فليقل أنت الله كذا وأنت الله كذا ومن دعا بهذه الاسماء كتب من الشاكرين الساجدين المخبتين الذين يجاورون محمدا صلى الله عليه وسلم وابراهيم وموسى وعيسى والنبيين صلوات الله عليهم أجمعين في دار الجلال وله ثواب العابدين في السموات والارضين وليقل اللهم صل على محمد وآل محمد صلاة تكون لك رضاء ولحقه أداء واعطه الوسيلة والفضيلة وابعثه المقام المحمود الذي وعدته واجزه عنا ما هو أهله واجزه أفضل ما جازيت نبيا عن أمته واعطه الشرف والشفاعة يوم الدين اللهم صل على محمد نبي الرحمة وسيد الامة وعلى جميع اخوانه النبيين وصل على أبينا آدم وأمنا حواء ومن ولدا بينهما من الصالحين والمسلمين وصل على ملائكتك أجمعين من أهل السموات والارضين وصل علينا معهم برحمتك يا أرحم الراحمين واغفر لي ولوالدي وما توالدا وارحمهما كما ربياني صغيرا واغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الاحياء منهم والاموات رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم وأنت الاعز الاكرم وأنت خير الراحمين وخير الغافرين وانا لله وانا اليه راجعون ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وحسبنا الله ونعم الوكيل وحسبنا الله وحده لا شريك له فهذا جامع

موت فكذلك من ليس له الا أصل الايمان وهو مقصر في الاعمال قريب من ان ينقطع شجرة ايمانه اذا صدمتها الرياح العاصفة المحركة للايمان في مقدمة قدوم ملك الموت فكل ايمان لم يثبت في اليقين أصله ولم ينتشر في الاعمال فروعه لم يثبت على عواصف الاهوال عند ظهور ناصية ملك الموت ويخيف عليه سوء الخاتمة الا ما سقي بماء الطاعات على توالي الايام والساعات حتى رسخ وثبت فبادروا بلحاق التوبة قبل استحقاق دار الخيبة بالهاد الرامعد وما رحاؤها محتسوما بسلاؤها مظلمة مسالكها مبهمة مهالكها مخلدا أسيرها مؤبدا سعيرها متناهيا بغيرها عالبا زفيرها شراب أهلها الحميم وعذابهم أبدا مقيم الزبانية تقمعهم والهاوية تجمعهم لهم فيها بالويل ضجيج ولهم فيهم أجيج أمانيهم فيها الهلاك ومالهم من أسرها فكاك قد شدت أقدامهم الى النواصي واسودت وجوههم بظلمة المعاصي ينادون من فجاجها وشعابها كناس ترادف عدابها يا مالك قد حق علينا الوعيد يا مالك قد حق علينا الوعيد يا مالك قد سال منا الصديد يا مالك قد أثقلنا الحديد يا مالك قد نضجت منا الجلود يا مالك اخرجنا

وعلى آله اللهم احيني ما كانت الحياة خيرا لي وتوفني اذا كانت الوفاة خيرا لي واسألك خير الحياة وبركة الحياة وأعوذ بك من شر الوفاة واسألك خير ما بينهما وخير ما بعد ذلك احيني حياة السعداء حياة من تحب بقاءه وتوفني وفاة الشهداء وفاة من تحب لقاءه يا خير الرازقين ويا أحسن التوابين ويا أحكم الحاكمين ويا أرحم الراحمين ويا رب العالمين أعوذ بك من شر ما يلج في الارض وما يخرج منها ومن شر ما ينزل من السماء وما يعرج فيها الحمد لله الذي تواضع كل شيء لعظمته وذل كل شيء لعزته وخضع كل شيء لملكه واستسلم كل شيء لقدرته والحمد لله الذي سكن كل شيء لهيبته والحمد لله الذي أظهر كل شيء بحكمته وتصاغر كل شيء لكبريائه اللهم صل على نبيك محمد وعلى آل محمد وأزواجه وذريته في العالمين انك حميد مجيد كريم اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الامي الرسول الامين واعطه المقام المحمود يوم الدين اللهم اني أعوذ بك من حدة الحرص وشدة الطمع وسورة الغضب وسنة الغفلة وتعاطي الذلة أعوذ بك من مباهاة المكثرين والازراء على المقلين وأن أنصر ظالما أو أخذل مظلوما وان أقول في العلم بغير العلم واعمل في الدين بغير يقين اللهم اني أعوذ بك ان أشرك بك وأنا أعلم واستغفرك لما لا أعلم اللهم اني أعوذ بك من اتباع خطرات الشيطان وشركه في المال والاهل وقبول أمره في السوء والفحشاء اللهم اني أسألك الصلاة على نبيك محمد وعلى آله واسألك حسن الاختيار وصحة الاعتبار وصدق الافتقار اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وافتح بخير واختم بخير وأنت الفتاح العليم اللهم صل على نبيك محمد وعلى آل محمد وارحم ما خلقت واغفر ما قدرت وطيب ما رزقت وتمم ما أنعمت وتقبل ما استعملت واحفظ ما استحفظت ولا تهتك ما سترت فانه لا اله لنا الا أنت استغفرك من كل لذة بغير ذكرك ومن كل راحة بغير خدمتك ومن كل سرور بغير قربك ومن كل فرح بغير مجالستك ومن كل شغل بغير معاملتك اللهم صل على محمد وعلى آل محمد واجعلنا من أوليائك المتقين وحزبك المفلحين وعبادك الصالحين اللهم صل على محمد وعلى آل محمد واستعملنا بمرضاتك عنا ووفقنا لمحابك منا وصرفنا بحسن اختيارك لنا اللهم صل على نبيك محمد وعلى آله ونسألك جوامع الخير وفواتحه وخواتمه ونعوذ بك من جوامع الشر وفواتحه وخواتمه اللهم صل على محمد وعلى آل محمد واحفظنا فيما امرتنا واحفظنا عما نهيتنا واحفظ لنا ما اعطيتنا يا حافظ الحافظين ويا ذاكر الذاكرين ويا شاكر الشاكرين بحفظك حفظوا وبذكرك ذكروا وبفضلك شكروا يا غوث يا مغيث يا مستغاث يا غياث المستغيثين لا تكلني الى نفسي يا رب طرفة عين فاهلك ولا تكلني الى الخلق فاضيع اكلاني كلاءة الوليد ولا تتخل عني وتولني بما تتولى به عبادك الصالحين اللهم صل على نبيك محمد وعلى آله وبقدرتك علي تب على انك أنت التواب الرحيم وبحلمك عني اعف عني انك أنت الغفار وبعلمك بي ارفق بي انك أنت الرحمن الرحيم وبملكك لي ملكني نفسي ولا تسلطها علي انك أنت الملك الجبار سبحانك وبحمدك لا اله الا أنت عملت سوأ وظلمت نفسي فاغفر لي ذنبي انك أنت ربي لا اله الا أنت انه لا يغفر الذنوب الا أنت اللهم صل على محمد وعلى آل محمد والهمني رشدي وقني شر نفسي اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وارزقني حلالا لا تعاقبني عليه وقنعني بما رزقتني واستعملني به صالحا تقبله مني اللهم اني أسألك ان تصلي على نبيك محمد وعلى آل محمد واسألك العفو والعافية وحسن اليقين والمعافاة في الدنيا والآخرة اللهم صل على نبيك محمد وعلى آل محمد وأعوذ بعفوك من عقابك وأعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك أبوء بنعمتك اليك وأبوء بذنوبي اليك هذه يداي بما كسبت أنا عبدك ابن عبدك ناصيتي بيدك جار في حكمك نافذ في قضاؤك عدل في مشيئتك ان تعذب فاهل ذلك أنا وان ترحم فاهل ذلك أنت فافعل اللهم يا مولاي يا الله يا رب افعل بي ما أنت له أهل ولا تفعل اللهم يا رب يا الله بي ما أنا له أهل فانك أهل التقوى وأهل المغفرة يا من لا تضره الذنوب ولا تنقصه المغفرة هب لي اللهم يا رب ما لا يضرك واعطني ما لا ينقصك افرغ اللهم علينا يا رب صبرا وتوفنا مسلمين والحقنا بالصالحين أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة انا هدنا اليك ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير ربنا لا تجعلنا فتنة

للدين

* أثراها تغلبني فمشيت على ركبتي فحسرت اللفافة فرفعت يدها فلطمتني وكشف وجهه فاذا أثر خمس أصابع في وجهه فقلت له ثم مه قال ثم رددت عليها لفافتها وازارها ثم رددت التراب وجعلت على نفسي ان لا أنبش قبرا ما عشت قال فكتبت بذلك الى الاوزاعي فكتب الي الاوزاعي ويحك سله عمن مات من أهل التوحيد ووجهه الى القبلة قال فسألته عن ذلك فقال أكثرهم حول وجهه عن القبلة فكتبت بذلك الى الاوزاعي فكتب الي انا لله وانا اليه راجعون ثلاث مرات وأما من حول وجهه عن القبلة فانه مات على غير السنة قال اليافعي رحمه الله لعل الامام الاوزاعي رضي الله عنه أراد بالسنة ههنا ملة الاسلام والمعنى والله أعلم ان الاصرار على المعاصي يجر كثيرا من العصاة الى الموت على الكفر والعياذ بالله قال الغزالي رضي الله عنه الايمان كالانسان وفقد شهادة التوحيد كفقد الروح والذي ليس له الا شهادة التوحيد والرسالة هو كانسان مقطوع الاطراف مفقوء العين فاقد لجميع أعضائه الظاهرة والباطنة الا أصل الروح وكما ان من هذا حاله قريب من ان

الله عز وجل به فقال والصبح اذا تنفس فتنفسه من طلوع الفجر الى طلوع الشمس وهو الظل الذي أمده الله تعالى لعباده ثم قبضه اليه ببسطه الشمس عليه وأظهر من آياته وجعل الشمس كشفاله ودليلا عليه فقال سبحانه ألم تر الى ربك كيف مد الظل يعني بسطه ولو شاء لجعله ساكنا يعني مقيما على حاله لا يتحول ثم جعلنا الشمس عليه دليلا يقول كشفناه بها ففيه ان الدليل هو الذي يكشف المشكل ويرفع المشتبه ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا يعني ان الظل من تحت الشمس قبض قبضا يسيرا أي خفيا لا يفطن له ولا يرى فاندرج الظل في الشمس بقدرته اندراج الظلمة في النور واذا دخل عليها بحكمته وهو الاصباح والفلق الذي يمدح الله عز وجل بخلقه وأمرنا بالتنزيه له عنده والاستعاذة من شر ما خلق فيه فقال عز وجل فالق الاصباح وقال فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون أي فسبحوه بالصلاة عندهما وقال قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق يعني فلق الصبح فاذا امن العبد الفتنة والكلام فيما لا يعنيه والاستماع الى شبهة من القول وامن النظر الى ما يكره أو يشغله عن الذكر أو يذكره الدنيا امن من دخول الآفة عليه من التزين والتصنع للناس ورزق الشغل بمولاه والاخلاص له بالاعراض عمن سواه فقعوده لما ذكرناه من الذكر في مصلاه في مسجد الجماعة فهو أفضل فلذلك أمر الله برفع المساجد في قوله عز وجل في بيوت أذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه وان لم يأمن الفتنة وخشي دخول الآفة عليه من لقاء من يكره ومن يلجئه الى تقية ومداراة أو خاف الكلام فيما لا يعنيه أو الاستماع الى ما لا يندب اليه انصرف اذا صلى الغداة الى منزله أو الى موضع خلوة بعد ان يقول لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير عشر مرات في مصلاه وهو ثان رجله قبل أن يقوم ويقرأ بعدها قل هو الله أحد عشرا قبل ان يتكلم فقد اشترط ترك الكلام في هذين الحديثين اللذين وردا فيهما ثم أتى ببقية ورده في بيته أو في خلوته وهو في ذلك مستقبل القبلة وهذا حينئذ أفضل له وأجمع لقلبه ولا يقدم على التسبيح لله عز وجل والذكر له بعد صلاة الغداة وقبل طلوع الشمس الا أحد معنيين معاونة على بر وتقوى فرض عليه أو ندب اليه ما يختص به لنفسه أو يعود نفعه على غيره ويكون ذلك أيضا مما يخاف فوته بفوت وقته والمعنى الآخر يكون الى تعلم علم أو استماعه مما يقرب به الى الله تعالى في دينه وآخرته ويزهده في الدنيا والهوى من العلماء بالله عز وجل الموثوق بعلمهم وهم علماء الآخرة أولوا اليقين والهدى الزاهدون في فضول الدنيا ويكون في طريقه ذاكرا لله عز وجل أو متفكرا في أفكار العقلاء عن الله عز وجل فان اتفق له هذان فالغدو اليهما أفضل من جلوسه في مصلاه لانهما ذكر الله عز وجل وعمل له وطريق اليه على وصف مخصوص مندوب اليه قال الله عز وجل ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه وقال النبي صلى الله عليه وسلم من غدا من بيته في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع وقال ابن مسعود أغد عالما أو متعلما أو مستمعا ولا تكن الرابع فتهلك والغدو والغداة تكون قبل طلوع الشمس وفي الخبر من خرج من بيته في طلب العلم فهو في سبيل الله عز وجل حتى يرجع ومن خرج من منزله يلتمس علما وضعت له الملائكة أجنحتها رضا بما صنع واستغفر له دواب الارض وملائكة السماء وطير الهواء وحيتان الماء وفي حديث أبي ذر الغفاري رحمه الله حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة وأفضل من شهود ألف جنازة ومن عيادة ألف مريض قيل ومن قراءة القرآن فقال وهل تنفع قراءة القرآن الا بعلم فان لم يتفق له أحد هذين المعنيين فقعوده في مصلاه أو في مسجد جماعته أو في بيته أو في خلوته ذاكرا لله عز وجل بانواع الاذكار أو متفكرا فيما فتح له بمشاهدة هذه الافكار في مثل هذه الساعة أفضل له مما سواها روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لان أقعد في مسجد أذكر الله عز وجل فيه من صلاة الغداة الى طلوع الشمس احب الى من ان اعتق أربع رقاب وروينا ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا صلى الغداة قعد في مصلاه حتى تطلع الشمس وفي بعضها ويصلي ركعتين وقد ندب الى ذلك في غير حديث وجاء في فضل الجلوس بعد صلاة الصبح الى طلوع الشمس وفي صلاة ركعتين بعد ذلك ما يحل

فرض وفي الحلال الذي لا يحتاج اليه في قوام البنية نفل قال الله سبحانه وتعالى انما أموالكم وأولادكم فتنة وقال تعالى ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا وعن السدي رضي الله عنه قال ان في القيامة يخرج لهب النار من فيه ومسامعه وأنفه وعينيه يعرفه من رآه قال الحسني وأي هلاك أعظم من ان يملئ جوف الشخص نارا من الاكل فان انضم اليه اللبس انغمر البدن بالنار ظاهرا وباطنا لو وقعت شرارة من نار جهنم على جبل لذاب من شدة حرها أعاذنا الله منها بمنه وكرمه ثم عن عمرو بن عوف الانصاري رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فوالله ما الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى ان تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم ت عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافرا شربة ماء وروى أحمد في الزهد عن نوف البكالي قال انطلق رجل مؤمن ورجل كافر يصيدان السمك فجعل الكافر يلقي شبكته ويذكر آلهته فتمتلئ ويلقي المؤمن

ما جاء من فضائل ما يقال من الدعاء عن المصطفى صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه وعن أئمة الهدى وحذفنا ذكر فضائل ذلك وما جاء فيه من الروايات ايجازا يقول هذا الدعاء بعد صلاة الغداة وقبل غروب الشمس في كل يوم فان قاله بعد صلاة مكتوبة فقد استكمل الفضل بفضل الله عز وجل ورحمته

(الفصل السادس) في ذكر عمل المريد بعد صلاة الغداة وهو انه يأخذ في تلاوة القرآن وفي أنواع الذكر من التسبيح والحمد والثناء وفي التفكر في عظمة الله سبحانه وتعالى وآلائه وفي تواتر احسانه ونعمائه من حيث يحتسب العبد ومن حيث لا يحتسب وفيما يعلم العبد وفيما لا يعلم و يتفكر في تقصيره عن الشكر في ظواهر النعم وبواطنها وعجزه عن القيام بما أمر به من حسن الطاعة ودوام الشكر على النعمة أو يتفكر فيما عليه من الاوامر والنوادب فيما يستقبل أو يتفكر في كشف ستر الله تبارك وتعالى عليه ولطيف صنعه به وتحفي لطفه له وفيما اقترف وفرط فيه من الزلل وفي فوت الاوقات الخالية من صالح العمل أو يتفكر في حكم الله تعالى في الملك وقدرته في الملكوت وآياته وآلائه فيهما أو يتفكر في عقوبات الله عز وجل وبلائه الظاهرة والباطنة فيهما ومن ذلك قوله عز وجل وذكرهم بأيام الله قيل بنعمه وقيل بعقوباته ومنه قوله عز وجل فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون ومنه فبأي آلاء ربكما تكذبان أي بأي نعمة تكذبان يا معشر الجن والانس ان استطعتم وهما الثقلان ففي أي نوع من هذه المعاني أخذ فيه فهو ذكر والذكر عبادة وهو يخرج الى الفكر والفكر يدخل في الخوف والرجاء والذكر اذا قوي صار مشاهدة كما قال عز وجل يذكرون الله قياما ثم قال ويتفكرون في خلق السموات والارض ثم قال سبحانك فقنا عذاب النار ولا يكون مشاهدة الا عن يقين واليقين روح الايمان ومزيده وفن المؤمن وقال بعض العلماء في تفسير الخبر تفكر ساعة خير من عبادة سنة وهو التفكر الذي ينقل أي من المكاره الى المحاب ومن الرغبة والحرص الى القناعة والزهد وقيل هو التفكر الذي يظهر مشاهدة وتقوى ويحدث ذكرا وهدى كقوله تعالى واذكروا ما فيه لعلكم تتقون ولقوله تعالى لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا ومثله يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة أي يعلمون ما يبقى ويرغبون فيها وهم ويزهدون فيما يفنى وقد جعل الله عز وجل البيان يعلمنا اقتضاء الشكر عليه فقال يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون وكما قال تعالى واذكروا ما فيه لعلكم تتقون وقد وصف أعداءه بعد ذلك فقال الذين كانت اعينهم في غطاء عن ذكري وقالت ام الدرداء كانت اكثر عبادة أبي الدرداء التفكر وقد كان يقول ما يسرني ان اربح في كل يوم ثلثمائة دينار انفقها في سبيل الله عز وجل قيل ولم ذلك قال يشغلني ذلك عن التفكر أو يعتقد تحسين النيات وينوي جميل الطويات فيما بينه وبين الخالق تعالى وفيما بينه وبين الخلق أو يستغفر الله تعالى و يجدد التوبة لما مضى من عمره واما يأتنف من مستقبله أو يخلص الدعاء بتمسكن وتضرع وتملق وتخشع ووجل وانحبات الى ان يعصمه من جميع المهوى وان يوفقه لصالح الاعمال ويتفضل عليه برغائب الافضال وهو في ذلك فارغ القلب مجرد الهم موقن بالاجابة راض بالقسم أو يتكلم بمعروف وخير ويدعو به الى الله تعالى وينفع به اخاه ويعلم من هو دونه في العلم فهذه كانت اذكار المتقدمين وأفكار السالفين وقد كان الذكر والفكر من أفضل عبادة العابدين وهو طريق مختصر الى رب العالمين ففي أي هذه المعاني أخذ فهو ذاكر لله عز وجل فلا يزال كذلك وهو في جميع ذلك مستقبل القبلة في مصلاه ولا يستحب له ان يتكلم أو يعمل غير ما ذكرناه من الاذكار وقد كانوا يكرهون الكلام بغير معروف وتقوى من طلوع الفجر الى طلوع الشمس ومنهم من شدد في ذم الكلام من الفجر الى صلاة الغداة بغير ذكر وبر وهذه سنة قد خلت فمن عمل بها فيذكرها

(الفصل السابع) في ذكر أوراد النهار وهي سبعة أوراد وهذا هو الورد الاول من النهار وفي النهار سبعة أوراد أولها من طلوع الفجر الثاني الى طلوع الشمس وهو كما ذكرناه من الاذكار وهو الذي أقسم

منها فانا لا نعود فيها فيهم مالك بعد زمان هيهات هيهات لات حين أمان ولا خروج من دار الهوان اخسئوا فيها بغضب الرحمن فهذي الامر الذي فيه تستفتيان اللهم أجرنا من نارك الموقدة واصلح لنا ضمائر الافئدة وارزقنا الجنة واجزل علينا المنة وانقلنا من ذل معصيتك الى عز طاعتك

(فصل في العوائق) اعلم انه اذا تخلص العبد من قيد الذنوب وثقلها وشؤمها بالتوبة ورد المظالم وقضاء الفوائت وتوجه الى عبادة ربه عرض له عوائق أربع تمنعه عن العبادة كما هو حقها وهي الدنيا والخلق والشيطان والنفس كما قيل

شعر

اني بليت بأربع يرمينني
بسهام قوس ما لها تقتير
ابليس والدنيا ونفسي والورى
يا رب أنت على الخلاص قدير

الاول الدنيا فانه ما مع ان حرامها عذاب وحلالها حساب تشغله الرغبة فيها عن العبادة ظاهره بالطلب وباطنه بالارادة وحديث النفس لان مثل الدنيا والآخرة كالمشرق والمغرب اذا قرب من أحدهما بعد من الآخر فحق من يطلب عبادة ربه ان يزهد في الدنيا والزهد في الحرام منها

عن وسط الفلك فتقطع عرضا فيكون أقرب لغروبها فليقدر ذلك تقريبا ومقدار استوائها قبل الزوال نحو أربع ركعات بجزء من القرآن أو قدر جزء وهو آخر الورد الثالث وإغفاءه ورد القراءة والتسبيح والتفكر وهو أحد الأوقات الخمسة التي نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الصلاة فيهن والأربعة الأخر عند طلوع الشمس حتى ترتفع قيد رمحين في عين الناظر وعند تدليها للغروب حتى تغيب وبعد صلاة الصبح وبعد صلاة العصر وأحب له الإحياء ما بين الأذان والإقامة بالركوع لأنها ساعة يستجاب فيها الدعاء وتفتح فيها أبواب السماء وتزكو فيها الأعمال وأفضل أوقات النهار أوقات الفرائض فإن لم يقرأ بين الأذانين من درسه فاستحب له أن يقرأ في تنفله الآي التي فيها الدعاء مثل آخر سورة البقرة وآخر سورة آل عمران ومن تضاعيف السور الاثنين والثلاث مثل قوله تعالى أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا ومثل قوله ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وقوله ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير وإن قرأ الآي التي فيها التعظيم والتسبيح والأسماء الحسنى فحسن مثل أول سورة الحديد وآخر سورة الحشر ومثل آية الكرسي وقل هو الله أحد ليكون بذلك جامعا بين التلاوة والدعاء وبين الصلاة والتعظيم والمدح بالأسماء ثم ليصل الظهر في جماعة ولا يدع أن يصلي قبلها أربعا وبعدها أربعا بعد ركعتين وهذا آخر الورد الرابع من النهار وهو أقصر الأوراد وأفضلها فإن كان قد رقد قبل الزوال فلا يرقد في هذا الورد فإنه يكره له نومتان في يوم كما يكره له نوم النهار من غير سهر بالليل وروينا عن بعض العلماء ثلاث يمقت الله عليها الضحك من غير عجب والأكل من غير جوع ونوم النهار من غير سهر بالليل وإن لم يكن قد رقد فأحب أن ينام بين الظهر والعصر ليتقوى بذلك على قيام الليل فليغنم فإن نومه بعد الظهر لليلة المستقبلة ونومه قبل الظهر لليلة الماضية فإن دام سهره بالليل واتصلت أوراده بالنهار حسن أن ينام قبل الظهر لما سلف من ليله وينام بعد الظهر لما غبر من الأخرى إلا أنه لا يستحب له أن يزيد في اليوم والليلة أكثر من نوم ثمان ساعات ومن الناس من يقول إنه إن نقص من نوم هذا المقدار في اليوم والليلة اضطرب بدنه لأن النوم قوت الجسم وراحته قال الله تعالى وجعلنا نومكم سباتا أي راحة كما قال وجعلنا النهار معاشا إلا أن يكون السهر عادة فإن العادة قد تعمل عمل الطبع وتنقل عن العرف فلا يقاس عليها وإحياء ما بين الظهر والعصر وهو صلاة الغفلة وهو يشبه بقيام الليل ويستحب العكوف في المسجد بين الأولى والعصر للصلاة والذكر ليجمع بين الاعتكاف والانتظار للصلاة فقد كان ذلك من سنة السلف قال كان الداخل يدخل المسجد بين الظهر والعصر فيسمع للمصلين دويا كدوي النحل من التلاوة إلا أن يكون بيته أسلم لدينه وأجمع لقلبه فالأسلم هو الأفضل وكذلك إحياء الورد الثالث الذي هو بين الضحى الأعلى إلى زوال الشمس فوق هذا الفضل يدرك به العبد فوت قيام الليل لأن الناس في هذين الوقتين مشغولون بطلب الدنيا وخدمة الهوى والقلب المتيقظ لربه عز وجل يفرغ في هذين الوقتين ويسكن ويجد العامل للعمل حلاوة وللإقبال والتفرغ لذة ويكون لفراغه من الخلق وشغله بالخالق تعالى مزيد وبركة وهذا أحد الوجهين في قوله تعالى وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا أي جعلهما خلفتين يتعاقبان في الفضل فيخلف أحدهما الآخر فمن فاته شيء من الليل قضاه في هذين الوردين من النهار أحدهما من الضحى الأعلى إلى الزوال والثاني ما بين الأولى والعصر والوجه الثاني أن النهار كله خلفة من الليل فمن فاته شيء من عمل الليل قضاه بالنهار فكان منه بدلا ومن فاته شيء من أوراد النهار كان الليل خلفا إذ كل واحد منهما خلف من صاحبه ففيه درك ما فات وخلف ما سلف من الذكر والشكر والذكر اسم جامع لأعمال القلوب كلها من مقامات اليقين ومشاهدة العلوم من الغيب والشكر أيضا يستعمل على جمل أعمال الجوارح من شرائع الإسلام وهذان جملة عمل العبد وكنه خدمته وهذان المعنيان اللذان هما ذكرهما الكليم للجليل في قوله تعالى كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا انتظم التسبيح والذكر في جمل تصرف الجسم وتصرف القلب وهذا الورد الخامس الذي هو ما بين

شيء قال الحصني هذا في ثوب فيه درهم من حرام فكيف الحال في ثوب كله حرام كما يفعله الظلمة من الأخذ بالقهر والغلبة وكذا ما يرسله الشخص على وجه البرطيل أو يعطيه خوفا من أن يطلب منه أكثر من ذلك فكل هذا وأشباهه حرام ومن اعتقد حله بعد العلم بما ذكرنا فهو كافر وإن صلى وصام وحج واعتمر ت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالما ومتعلما قال في حياة الحيوان اعلم أن المباح لعنه من الدنيا ما كان منها مبعدا عن الله وشاغلا عنه كما قال بعض السلف كل ما شغلك عن الله من مال وولد فهو مشؤوم عليك وأما ما كان من الدنيا يقرب من الله ويعين على عبادته فهو محمود وهو المصرح به في قوله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الدنيا فإنها نعم مطية المؤمن عليها يبلغ الخير وبها ينجو من الشر إن العبد إذا قال لعن الله الدنيا قالت الدنيا لعن الله أعصانا لربه أيها المشغول باللذات الفانيات متى تستعد للممات [illegible] أتطمع مع حب الدنيا في لحاق السادات وأنى لك ذلك منهم وأنى هيهات يا غنائم الجراءة يا كثير الانبساط ألا فقدم تصلح لا شيء على

وصفه اختصرناه روينا عن الحسن ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يذكر من رحمة ربه انه قال يا ابن آدم اذكرني من بعد صلاة الفجر ساعة وبعد صلاة العصر ساعة اكفك ما بينهما فاذا ارتفعت الشمس وابيضت صلى الضحى ثمان ركعات وهذا الوقت هو الذي ذكره الله عز وجل في قوله يسبحن بالعشي والاشراق ثم ينظر فان علم من يضاءاده وان حضرت جنازة شيعها وان كانت معونة على بر وتقوى سعى فيها وان كانت حاجة لاخ من اخوانه قضاها وان كانت فرضا يلزمه القيام به سارع اليه وان لاح له فضل ندب اليه انتهزه قبل فوته فهذا أفضل شيء يعمله بعد الاذكار والافكار من بعد طلوع الشمس فاذا فرغ من ذلك ولم يتفق له ماذكرناه من القربات أخذ في الصلاة وتلاوة القرآن أو صنوف الاذكار مما أمر به أو ندب اليه أو المحاسبة لنفسه فيما سلف أو المطالبة لها والاستخراج منها فيما يأتنف أو المراقبة لربه في كل حال الى ان تنبسط الشمس وترمض الفصال ويرتفع النهار هذا هو الورد الثاني من النهار وهو الضحى الاعلى الذي اقسم الله تعالى به فقال والضحى أي اذا أضحت الاقدام بحر الشمس واذا كان العبد على ذلك فقد اتبع ما أنزل اليه من ربه عز وجل وقد سمع قوله عز وجل اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم لانه قال انما أمرت ان أعبد رب هذه البلدة الذي حرمها ثم قال وان أتلو القرآن وكما قال تعالى اتل ما اوحى اليك من الكتاب واقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر وصلاة الضحى في هذا الوقت أفضل وهو حقيقة وقتها الوجود اسمها قال النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الضحى اذا رمضت الفصال وخرج على أصحابه عليه الصلاة والسلام يوما وهم يصلون عند الاشراق فنادى باعلى صوته الا ان صلاة الاوابين اذا رمضت الفصال وقوله الاوابين يعني التوابين الى الله عز وجل في كل وقت ثم ليأخذ العبد بعد ذلك فيما ندب اليه وأبيح له من التصرف في معاش ان كان من تجارة بصدق أو صناعة بنصح ان احوج الى ذلك وليكتف ان كفى وأدنى أحواله الصمت والنوم ففيهما سلامة من الآثام ومخالطة الانام فقد جاء في العلم يأتي على الناس زمان يكون أفضل عملهم الصمت وأفضل اعمالهم النوم ومن الناس من يكون أحسن أحواله النوم وليت العبد يكون في اليقظة كالنوم اذ في نومه سلامة والسلامة متعذرة في يقظته وانما الفضائل للافاضل الذين زادوا على السلامة والعدل بالاحسان والفضل هذا لدخول المشكلات في الكلام ووجود الآفات في الاحوال وخروج الاخلاص من الاعمال وكان سفيان الثوري يقول كان يعجبهم اذا تفرغوا أن يناموا طلبا للسلامة فمن الناس من يكون أحسن أحواله النوم وليت العبد يكون يقظته كالنوم اذ في نومه السلامة وأفضل أعماله في هذا الوقت السلامة وانما الفضائل لاهل الافضال الذين زادوا على السلامة والعدل بالاحسان والفضل فان نام في هذا الوقت فهو حينئذ نوم القائلة وما تسبب فيه من المعايش يصنعه في هذا الوقت من الضحى الاعلى الى زوال الشمس وهذا هو الورد الثالث من النهار ثم يتوضأ للصلاة قبل دخول وقتها وكذلك يستحب وهو من المحافظة عليها والاقامة لها فان حصلت كفايته في يومه وقوته في وقت من النهار ترك السوق ودخل بيته أو قعد في بيت مولاه تعالى واشتغل بخدمته متزودا لعاقبته وقد كان الصالحون كذلك يفعلون كان يقال لا يوجد المؤمن الا في ثلاث مواطن مسجد يعمره أو بيت يستره أو حاجة لابد له منها فاذا زالت الشمس فان أبواب السماء تفتح للمصلين والذاكرين ويستجاب الدعاء للمؤمنين فهذا هو الورد الرابع من النهار وليصل بعد الزوال أربع ركعات يقرأ فيهن بمقدار سورة البقرة أو سورتين من المائتين أو اربع من المثاني يطيلهن ويحسنهن ولا يفصل بينهن بتسليم هذه الصلاة وحدها من بين صلاة النهار أربع ركعات بتسليمة واحدة وهذا الورد هو الاظهار الذي ذكر الله عز وجل الحمد فيه فقال وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون وليتق العبد الصلاة عند استواء الشمس في كبد السماء وهو قبل زوالها عند تقلص الظل وقيام ظل كل شيء تحته فاذا زال الظل فقد زالت وقد يخفى استواؤها في الشتاء لقصر النهار ولعدول الشمس في سيرها

ويذكر الله تعالى ولا يصطاد شيأ قال ففعلا ذلك الى مغيب الشمس ثم ان المؤمن اصطاد سمكة فأخذها بيده فاضطربت فوقعت في الماء فرجع المؤمن وليس معه شيء ورجع الكافر وقد امتلأت سفينته فاسف ملك المؤمن وقال رب عبدك هذا المؤمن الذي يدعوك رجع وليس معه شيء وعبدك الكافر رجع وقد امتلأت سفينته قال الله عز وجل لملك المؤمن تعال فاراه مسكن المؤمن في الجنة قال ما يضر عبدي هذا المؤمن ما أصابه بعد ان يصير الى هذا وأراه مسكن الكافر في النار فقال هل يغني عنه من شيء أصابه في الدنيا قال لا والله يا رب

(١) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اطلعت على الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء واطلعت على النار فرأيت أكثر أهلها الاغنياء ١ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من اكتسب مالا حراما فان تصدق منه لم يقبل منه وان تركه وراءه كان زاده الى النار ت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل لحم نبت من الحرام فالنار أولى به ا عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من اشترى ثوبا بعشرة دراهم في ثمنه درهم حرام لم يقبل الله صلاته وعليه منه

كسبت رهبة الأصحاب اليمين وجاء في الخبر لا بورك لي في يوم لا أزداد فيه خيرا وجاء في الأثر من استوى يوماه فهو مغبون ومن كان يومه شرا من أمسه فهو محروم ثم دخلت أوراد الليل الخمس فتدارك الآن رحمك الله تعالى فيما يستقبل من الليل ما فات فيما مضى من النهار فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل يبغض كل جعظري جواظ أي سمين كثير الأكل صخاب بالأسواق جيفة بالليل حمار بالنهار عالم بأمر الدنيا جاهل بأمر الآخرة

(الفصل الثامن) في ذكر أوراد الليل الخمسة وفي الليل خمسة أوراد أوّلها أن يصلي بعد المغرب ست ركعات ويستحب ذلك قبل أن يكلم أحدا يقرأ في الأوليين قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد وليسرع بهما بعد صلاة المغرب من قبل أن يتكلم ويشتغل بشيء ففي الخبر أسرعوا بركعتين بعد المغرب فانهما ترفعان مع المغرب فان كان منزله قريبا من المسجد فلا بأس أن يركعهما في بيته وليطل القراءة فيهما الأخر وكان أحمد ابن حنبل رحمه الله يستحب أن يصليهما الرجل في بيته وكذلك كان يفعل ويقول هو سنة لانه روى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصليهما في بيته ولكن بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في مؤخر المسجد وقد صلاهما في المسجد ثم ليصل بين العشاءين ما تيسر الى ان يغيب الشفق الثاني وهو البياض الذي يكون بعد ذهاب الحمرة وبعد غسق الليل وظلمته لانه آخر ما بقي من شعاع الشمس في القطار الغربي اذا قطعت الأرض العليا ودارت من وراء جبل قاف مصعدة تطالب المشرق فهذا هو الوقت المستحب لصلاة العشاء الآخرة وهذا آخر الورد الأول من أوراد الليل والصلاة فيه ناشئة الليل أي ساعاته لانه أول نشو ساعاته وهو آن من الآناء التي ذكرها الله عز وجل في قوله ومن آناء الليل فسبح والآناء جمع آن أي وقت منه فصل وقيل ناشئة الليل قيام الليل هذا وافق لسان الحبشة تقول نشا اذا قام وقد أقسم الله تعالى به فقال فلا أقسم بالشفق والشفق ما بين العشاءين وهي صلاة الأوّابين ويقال أيضا صلاة الغفلة قال يونس بن عبيد عن الحسن في قوله عز وجل تتجافى جنوبهم عن المضاجع قال الصلاة بين العشاءين حتى قال أنس بن مالك رضي الله عنه وقد سئل عمن نام بين المغرب والعشاء فقال لا تفعل فانها هي الساعة التي وصف الله عز وجل المؤمنين بالقيام فيها فقال الله عز وجل تتجافى جنوبهم عن المضاجع يعني الصلاة بين المغرب والعشاء وقد أسند ابن أبي الدنيا الى النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل عن هذه الآية تتجافى جنوبهم عن المضاجع فقال الصلاة فيما بين العشاءين ثم قال عليكم بالصلاة فيما بين العشاءين فانها تذهب بملاغاة أول النهار وتهذب آخره وقوله الملاغاة جمع ملغاة من اللغو أي تسقط اللغو أي تطارح المطرح عن العبد من الباطل واللهو وتهذيبه آخره أي تصفيه وتجوده ويستحب العكوف في المسجد بين العشاءين للصلاة وتلاوة القرآن فقد روى فضل ذلك الا ان يكون بيته أسلم له فيحول آخذه عليه فاسلم فيه فصل به ثم ليصل قبل العشاء الآخرة أربعا وبعدها ركعتين ثم أربعا ويقال ان الأربع بعد صلاة العشاء في بيته تعدل مثلهن من ليلة القدر وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصليهن في بيته أول ما يدخل قبل أن يجلس وكان ابن مسعود يكره ان يصلي بعد كل صلاة مثلها وكانوا يستحبون ان يصلي بعد المكتوبة ركعتين ثم أربعا فيقرأ في الأربع في الأولى آية الكرسي والآيتين اللتين بعدها وفي الثانية آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والآية قبلها وفي الثالثة أول الحديد الى قوله عز وجل وهو عليم بذات الصدور وفي الرابعة آخر الحشر من قوله تعالى هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة فقد أحسن وأصاب فان صلى بعد الأربع ثلاث عشرة ركعة آخرهن الوتر فحسن فان هذا العدد أكثر ما روى ان النبي صلى الله عليه وسلم صلاه من الليل الا في خبر منقطع وهو سبع عشرة ركعة والمشهور انه كان يصلي أحد عشر ركعة وثلاث عشرة ركعة ومن عاجز والنهار كعتي الفجر واستحب له ان يقرأ في ركوعه هذه ثلثمائة آية فصاعدا فاذا فعل ذلك لم يكتب من الغافلين ودخل في أحوال العابدين فقد قيل ان الأكياس يأخذون أوقاتهم من أول الليل والأقوياء أخذوا أورادهم من آخر الليل فان

في سبيل الله قال ثم من قال رجل معتزل في شعب من الشعاب يعبد ربه وفي رواية يتقي الله ويدع الناس من شره وحكي عن حاتم الاصم رضي الله عنه انه قال طلبت من هذا الخلق خمسة أشياء فلم أجد طلبت منهم الطاعة والزهادة فلم يفعلوا فقلت أعينوني عليها ان لم تفعلوا فلم يفعلوا فقلت ارضوا عني ان فعلت فلم يفعلوا فقلت لا تمنعوني عنها اذا فعلوني فقلت لا تدعوني الى ما لا يرضي الله العظيم ولا تعادوني عليها ان لم أتابعكم ففعلوا فتركتهم واشتغلت بخاصة نفسي قال الـ … وى المستحب العزلة عند فساد الزمان أو الخوف من فتنة في الدين ووقوع في حرام وشبهات والحذر الاختلاط بالناس وحضور جمعهم وجماعاتهم ومشاهد الخير ومجالس الذكر معهم وعيادة مريضهم وحضور جنائزهم ومواساة محتاجهم وارشاد جاهلهم وغير ذلك من مصالحهم لمن قدر على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقمع نفسه عن الايذاء وصبر على الاذى … ان لا يصاحب الا من احتمع … الاولى العقل فالعدو العاقل خير من الصديق الاحمق الثانية حسن الخلق فلا تصحب من ساء خلقه وهو الذي لا يملك نفسه …

العصر من أطول الاوراد وأمتعها للعبادة وهو يضاهى الورد الثالث فى الطول وهو أصيل النهار وأحد
الآصال التى ذكرالله عز وجل فيه سجود كل شئ وقرنه بالغدوّ فقال ولله يسجد من فى السموات والارض
طوعا وكرها وظلالهم بالغدوّ والآصال فأخبر ان تكون الاشياء الموات لربها ساجدات ذاكرات والمؤمن
الحى عن ربه معرض ذو غفلات ثم لا يصل قبل صلاة العصر أربعا ويغتنم الصلاة بين الاذان والاقامة كما
ذكرنا آنفا فانها ساعة مرجوة فيها الاجابة فاذا دخل وقت العصر دخل العبد فى الورد السادس
من النهار وقد أقسم الله عز وجل به فى قوله والعصر وهذا أحد المعنيين فى الآية وهو احد الوجهين
من الوقت فى الآصال الذى ذكره الله عز وجل وهو العشى الذى ذكرالله عز وجل التسبيح فيه
والتنزيه والحمد له فقال وعشيا وحين تظهرون وقال بالعشى والاشراق وليس فى هذا الورد صلاة الا ما
كان بين الاذانين ثم ينتقل بعد العصر فيما شاء من ذكر أو فكر من أعمال القلوب والجوارح فيما فرض
عليه أو ندب اليه وأفضل ذلك تلاوة القرآن بتدبر وترتيل وتفهم وحسن تأويل فاذا اصفرت الشمس ومات
حرها وارتفعت الى أطراف الجدر ورؤس الشجر فكانت مثلها حين تطلع دخل فى الورد السابع من النهار
فهذا التسبيح والذكر والتلاوة والاستغفار الى غروب الشمس ومن أفضل ما قيل فى هذا الوقت وفى مثله
من أول النهار ان يقال استغفر الله لذنبى وسبحان الله بحمد ربى لجمعه بين الاستغفار والتسبيح فى الكلام
بلفظ الامر بهما فى القرآن لقوله تعالى واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشى والابكار وان قال استغفر
الله الحى القيوم واسأله التوبة سبحان الله العظيم وبحمده فقد جاء فضل ذلك فى الاثر والافضل
الاستغفار على الاسماء كما فى القرآن مثل ان يقول استغفر الله انه كان غفارا استغفر الله انه كان توابا
استغفر الله ان الله غفور رحيم استغفر الله التواب الرحيم رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين فاغفر لنا
وارحمنا وأنت خير الغافرين وهذا الورد فى الفضل مثل الورد الاول من طلوع الفجر الى طلوع الشمس
وهو المساء الذى ذكرالله تعالى التنزيه فيه فقال فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون أى سبحوا
الله عز وجل فأقام الاسم مقام الفعل وهو الطرف الثانى من النهار الذى أمر الله عز وجل فيه بالتسبيح
بقوله عز وجل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى ويستحب أن يقرأ قبل غروب الشمس والشمس وضحاها
والليل اذا يغشى والمعوذتين وان تغرب الشمس عليه وهو فى الاستغفار فذلك مما أمر به فى هذا الوقت من
الاذكار وكلما يستحب من التسبيح والحمد والدعاء والذكر فى أوّل النهار قبل طلوع الشمس فانه يستحب فى
هذا الورد قبل غروب الشمس لان الله تعالى قرنهما فى الذكر فقال تعالى وسبح بحمد ربك قبل طلوع
الشمس وقبل الغروب وقال تعالى وأطراف النهار لعلك ترضى وقال تعالى بالعشى والابكار وقال تعالى قل
أعوذ برب الفلق من شر ما خلق ومن شر غاسق اذا وقب أى من شر الليل اذا دخل وليعد العبد ما ذكرناه فى
الورد الاول من الادعية والتسبيح وليقل عند أذان المغرب اللهم هذا اقبال ليلك وادبار نهارك وأصوات
دعاتك وحضور صلاتك وشهود ملائكتك صل على محمد وعلى آله واعطه الوسيلة والفضيلة وابعثه المقام
المحمود الذى وعدته ثم ليقل رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ثلاثا ففى هذا
أثر وفضل وكذلك فليقل مثله اذا سمع أذان الفجر الا انه يقول عند ادبار ليلك واقبال نهارك والنص بهذا
فى صلاة المغرب وكان الحسن البصرى يقول كانوا أشد تعظيما للعشى منهم لاول النهار وقال بعض
السلف كانوا يجعلون أول النهار للدنيا وآخره للآخرة فاذا توارت بالحجاب انقضت أوراد النهار السبعة
فانظر أيها المسكين ماذا انقضى لك معها وماذا انقضى منك عندها وماذا اقضى عليك فيها فقد قطعت من
عمرك مرحلة ونقصت من أيامك يوما فماذا اقطعت فى سفرك بقطع مرحلتك وماذا ازددت فى غدك بما
نقصت من يومك قال النبى صلى الله عليه وسلم الناس غاديان فعاد لنفسه فمعتقها أو راهن نفسه فموبقها وقد
قال الله عز وجل فى تصديق قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان سعيكم لشتى وقال فى معناه كل نفس بما

كسبت

الصراط ويحك يا ابن آدم
اتدرى ماذا اصنعت بعت
القرب بالبعد والعقل
بالهوى والدين بالدنيا
اخوانى تذهب اللذة ويبقى
الاسف ويبقى عض اليدين
على قبح ما سلف من قبل فم
اللذة عضته أسنان الندامة
كم ذاق آدم غصة بعد تلك
اللقمة مضت والله اللذات
وبقيت التبعات قال اليافعى
رحمه الله شعر
وكم من أكلة حرمت كثيرا
من الخيرات فى طاعات مولى
ولذات بخلوات تجلى *
بها المولى وقد ناجاه ليلا
اللهم شرفنا بالتقوى وجملنا
بالعافية واغفر لنا ولوالدينا
ولمن احب وأحسن الينا
ولجميع المسلمين * العائق
الثانى الخلق فانهم يشغلونك
عن طاعة الله تعالى قال
الله تعالى ففروا الى الله
خ عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال يوشك ان
يكون خير مال المسلم غنم
يتبع بها شعف الجبال
ومواقع القطار يفر بدينه
من الفتن م عن سعد
ابن أبى وقاص قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ان الله تعالى يحب
العبد التقى الغنى الخفى
قال النووى وغيره والمراد
بالغنى غنى النفس خ م
عن أبى سعيد الخدرى رضى
الله عنه قال قال رجل اى
الناس أفضل يا رسول الله
قال من يجاهد بنفسه وماله

حتى شغله عن الصلاة والذكر فان الشيطان ينام حتى يعقل ما يقول و ينشط في خدمته وقد كان ابن عباس
يكره النوم قاعدا وفي الخبر لا تكابدوا الليل وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانة تصلي من الليل فاذا
غلبها النوم تعلقت بحبل فنهى عن ذلك وقال ليصل احدكم من الليل ما تيسر فاذا غلبه النوم فليرقد وقال
اكلفوا من العمل ما تطيقون فان الله تعالى لا يمل حتى تملوا وقيل له ان فلانا يصلي الليل لا ينام و يصوم الدهر
لا يفطر فقال صلى الله عليه وسلم خير هذا الدين ايسره ثم قال لكني أنا اصلي وأنام وأصوم وافطر فهذه سنتي
فمن رغب عن سنتي فليس مني وقال صلى الله عليه وسلم لا تشادوا هذا الدين فانه متين فمن يشاده يغلبه ولا
تبغض الى نفسك عبادة الله عز وجل والورد الثالث يكون بعد نومة النائم وهو التهجد الذي ذكره الله في
قوله ومن الليل فتهجد به نافلة لك ولا يكون التهجد الا بعد النوم وتلك الهجعة ومنها الهجوع الذي قال الله
عز وجل من القائمين اناء الليل فقال تعالى كانوا قليلا من الليل ما يهجعون فالهجوع النوم والتهجد
القيام وقد قال الله عز وجل أيضا وهذا يكون نصف الليل فهذا أوسط الاوراد وهو يشبه الورد الاوسط من
النهار في أفضل أوراده وهو أفضل الاوراد وأمتعها للعبادة وقد أقسم الله عز وجل به في قوله تعالى والليل
اذا سجى قيل اذا سكن وسكونه هدوه وسنة كل عين فيه وغفلتها الا عين الله تبارك وتعالى فانه الحي الذي
لا تأخذه سنة ولا نوم وقيل اذا سجى اذا امتد وطال و يقال اذا اظلم وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم
أي الليل اسمع فقال جوف الليل الغابر و روينا في أخبار داود عليه السلام الهي اني أحب ان أتعبد
لك فأي وقت تفضل فأوحى الله عز وجل اليه يا داود لا تقم أول الليل ولا آخره فانه من نام أوله نام آخره
ومن قام آخره لم يقم أوله ولكن قم وسط الليل حتى تخلو بي وأخلو بك وارفع الي حوائجك والورد الرابع
يكون بين الفجرين أحدهما الفجر الاول وهو بدو سلطان شعاع الشمس اذا ظهر من وراء الارض
الخامسة وسطع ضوؤها في وسط السماء حتى يقطعها بمقدار طلوع الفجر الاول ثم تغرب في الفلك الاسفل
المحاذي وتحجبها الارض السادسة فيذهب الضوء و يعود سواد الليل كما كان لغيبة الشمس وهو الثلث
الاخير وفيه هبوب رياح الاسحار باهتزاز العرش وانتشار الرياح من جنات عدن ومن نزول الجبار الى سماء
الدنيا وفيه الخبر الذي جاء ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل أي الليل أفضل فقال نصف الليل الغابر يعني الباقي
وهذا هو الورد الرابع من نصف الليل الى وقت السحر الاول ثم يدخل الورد الخامس وهو السحر الاخير وفيه
يستحب السحور فمن لم يتسحر في أوله نعته الفجر وهو قبل طلوع الفجر الثاني بمقدار قراءة خمسين من القرآن
وفي هذا الورد الخامس الاستغفار وقراءة القرآن وقد ذكره الله عز وجل في قوله وقرآن الفجر ان قرآن
الفجر كان مشهودا قيل تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار لتوسط هذا الورد بينهما ومن ذلك ذهب أهل
الخبار الى ان الصلاة الوسطى التي نص الله تعالى على المحافظة عليها هي صلاة الفجر تعظيما لهذا الوقت
وتشريفا له لتوسطه بين آخر الليل وأول النهار فهذا الورد هو أقصر الاوراد ومن أفضلها وهو من السحر
الاول الى طلوع الفجر الثاني الا ما كان من صلاة نصف الليل فذلك هو أفضل شيء من الليل وهو أوسط
الاوراد لانه هو الورد الثالث و يصلح في هذا الورد الخامس من السحر الاخير الصلاة لمن استيقظ من ساعته
أول مرة صلاة فان الصلاة لها فضل وشرف وهو بمنزلة الصلاة في أول الليل بين العشاءين ولان معنى قوله
عز وجل عند بعض المفسرين و بالاسحار هم يستغفرون أي يصلون وكذلك قوله عز وجل وقرآن
الفجر يعني به الصلاة فكنى بذلك القرآن والاستغفار عن الصلاة لانهما وصفان منها كما قيل للصلاة تسبيح
وسجدة لان فيها التسبيح وكذلك قيل للصلاة استغفار لانه يطلب بها المغفرة وتكون هذه الصلاة في السحر
بدلا من السحور الى طلوع الفجر الثاني وقد أمر سلمان أخاه أبا الدرداء لما زاره في حديث طويل قال
في آخره فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء ليقوم فقال له سلمان نم فنام ثم ذهب ليقوم فقال له نم فنام فلما كان
عند الصبح قال له سلمان قم الآن فقاما فصليا فقال ان لنفسك عليك حقا وان لاهلك عليك حقا وان لربك

ماتضع مرة يا أبا يحيى قال
هذا خير من جليس السوء
وأنشد بعض الاخيار شعر
تجنب قرين السوء واصرم
حباله
اذا لم تجد عنه محيصا فداره
وأحبب حبيب الصدق واحذر
مراءه
تنل منه صفو الود ما لم تماره
ولله في عرض السموات جنة
ولكنها محفوفة بالمكاره
يا وحشة الناس السالكين
بالعبيد الى العالمين فيح
الباب لارباب الالباب وورد
في وحشتك أمالك انسان
تستأنس به أمالك وقت
تنادمه ولا ولي تجده
عنده استوحش أيتها
حبيب واستأنس بالله
ما أطيق فراقه فان الامر
أرحب لك وان الرشد
لا يخفى من الغي قال
الراوي رحمه الله
شعر
أرى كل من ألهاك عنه
كسب طاعة
عدوا وان كان الصديق
المداويا
لئن أمسى العدا اسودا
حاسر وقد اضحى لهام ليا ليا
هم اعرضوا عني فهان وانما
عدا بين دار العيش لم
صارفا
ولو خلق الله السوداء
لي ارتضى
بها الى رب عال الرأس
ساويا
ستدري على أي تناسي
تقدموا

قرأ في ركوعه هذا سورة الفرقان وسورة الشعراء ففيهما ثلثمائة آية فان لم يحسنهما قرأ خمسا من المفصل فيهن ثلثمائة آية سورة الواقعة وسورة نون وسورة الحاقة وسورة المدثر وسورة سأل سائل فان لم يحسنهن قرأ من سورة الطارق الى آخر القرآن ثلثمائة آية ولا يستحب للعبد ان ينام حتى يقرأ هذا المقدار من الآى فى هذا العدد من الركوع بعد صلاة العشاء الآخرة فان قرأ فى هذا الورد الثانى اعنى بعد صلاة العشاء الآخرة وقبل ان ينام ألف آية فقد استكمل الفضل وكتب له قنطار من الاجر وكتب من القانتين وأفضل الآى أطولها لكثرة الحروف وان اقتصر على قصار الآى عند فتوره أدرك الفضل لحصول العدد ومن سورة الملك الى آخر القرآن ألف آية فان لم يحسن ذلك قرأ قل هو الله أحد مائتى وخمسين مرة فى ثلاث عشرة ركعة فان فيها ألف آية وهذا فضل عظيم وفى الخبر من قرأها عشر مرات بنى الله عز وجل له قصرا فى الجنة ورويناعن النبى صلى الله عليه وسلم فى السور التى لم يكن يدعها فى كل ليلة ثلاثة أحاديث أشهرها انه لم يكن ينام حتى يقرأ سورة السجدة وتبارك الملك والذى بعده انه كان يقرأ فى كل ليلة بنى اسرائيل والزمر والقريب منها انه كان يقرأ المسبحات فى كل ليلة ويقول فيها انه أفضل من ألف آية قال وكان العلماء يجعلونها ستا ويزيدون فيها سبح اسم ربك الاعلى وفى الخبر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب سبح اسم ربك الاعلى فهذا يدل على انه كان يكثر قراءتها ولا يدع ان يقرأ هذه الاربع سور فى كل ليلة سورة يس وسورة لقمان وسورة الدخان وتبارك الملك فان ضم اليها سورة الواقعة وسورة الصف والحاقة والزمر فقد أكثر وأحسن فان لم يكن من عبادته القيام من الليل قدم الوتر بنيئا الخبر المروى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال أوصانى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا انام الا على وتر وان كان معتادا الصلاة الليل فالافضل تأخير الوتر الى آخر صلاته من تهجده أو الى السحر على حديث ابن عمر رضى الله عنه صلاة الليل مثنى مثنى فاذا خفت الصبح فاوتر بركعة وفى حديث عائشة رضى الله عنها أوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم من أول الليل ومن أوسطه ومن آخره وانتهى وتره الى السحر فان نام على وتر ورزق القيام لم يوتر بعد وكفاه وتره الاول على الخبر الذى جاء لا وتران فى ليلة وقد قال بعض العلماء يصلى ركعة واحدة يشفع بها وتره من أول الليل ثم يصلى صلاته من الليل ويوتر آخر صلاته وقد روى فى هذا أثر عن عثمان وعلى رضى الله عنهما وان كان قد صلى ركعتين من جلوس بعد وتره الاول ثم استيقظ للصلاة شفعتا وتره الركعة الواحدة لانهما بمنزلة ركعة واحدة يشفع بها ركعة الوتر التى صلاها قبلها ثم ليصل من الليل مستأنفا ما بداله ثم يوتره بركعة واحدة فى آخر صلاته فيكون له فى ذلك ثلاثة أعمال قصر الامل وتحصيل الوتر والوتر من آخر الليل وكذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى ركعتين جالسا بعد وتره والله تعالى أعلم وليقرأ فيهما جالسا بسورة الزلزلة وسورة الهاكم التكاثر فقد جاء ذلك فى حديثين ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يقرأ فيهما بذلك لما فى الزلزلة والتكاثر من التخويف والوعظ وفى رواية قل يا ايها الكافرون لما فى سورة الكافرون من التنزيه من عبادة سوى المعبود وافراد العبادة لله سبحانه فيها بالتوحيد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بها عند النوم وأوصى رجلا بقراءتها عند منامه وتقديم الوتر مستحب لمن لم يكن عادته قيام الليل ولمن كان الاغلب عليه النوم وتأخير الوتر يكون لمن أخر صلاته قبل طلوع الفجر أفضل وليقل بعد التسليم من الوتر سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح جللت السموات والارض بالعظمة والجبروت وتعززت بالقدرة وقهرت العباد بالموت يقول هذا ثلاث مرات وهذا هو الورد الثانى من الليل اعنى الصلاة بعد العشاء الآخرة الى حد نومة الناس فقد أقسم الله عز وجل فى قوله والليل وما وسق أى وما جمع من ظلمته وذكره الله عز وجل فى قوله الى غسق الليل فهنالك يغسق الليل وتستوسق ظلمته ثم ينام ان أحب وهو على طهارة وعن ذكر وقد كان الصالحون لا ينامون الا عن غلبة ويكرهون التعمد للنوم وهو التهيؤ للعادة وقد كان منهم من يتعمد لنفسه بالنوم ليتقوى بذلك على صلاة أوسط الليل وآخره للفضل فى ذلك ومن غلبه النوم

الباطل ولا ءلك نفسه عند الغضب والشهوة الثالثة الصلاح قال الله تعالى ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار قال ابن عباس الركون الميل بالقلب والمحبة فلا تصحب مصرا على معصية كبيرة أو صغيرة كترك الصلاة والزكاة والربا والزنا أو كل مانهى الله عن أكله من نجس و غيره مما يأكله الاوباش لان مشاهدة الفاسق والمعصية على الدوام تزيل عن قلبك كراهة المعصية فتقع أنت فيها وان الطبع يسرق الطبع وقد قال بعض العلماء ان من شروط التوبة أن لا يعاشر فاسقا الرابعة ان لا يكون حريصا على الدنيا فصحبة الحريص تزيد فى حرصك الخامسة الصدق فلا تصحب كذابا فانك منه على غرور (خ) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك اما ان يحذيك واما أن تبتاع منه واما أن تجد منه ريحا طيبة ونافخ الكير اما ان يحرق ثيابك أو تجد ريحا خبيثة (دت) عن النبى صلى الله عليه وسلم قال الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل وروى أحمد فى الزهد عن جعفر بن سليمان قال رأيت مع مالك بن دينار كلبا فقلت

أو عاقه مرض فلم يقم في تلك الليلة صلى من النهار اثنتي عشرة ركعة ومن دخل المسجد لصلاة الصبح ولم يكن صلى ركعتي الفجر في منزله صلاهما واجزأتا عنه تحية المسجد ومن كان قد صلاهما في بيته نظر فان كان دخوله المسجد بغلس عند طلوع الفجر واشتباك النجوم صلى ركعتين تحية المسجد وان كان دخوله عند انمحاق النجوم ومسفرا عند الاقامة قعد ولم يصل ركعتين لئلا يكون جامعا بين صلاة الصبح وبين صلاة قبلها ولا يصلي بعد طلوع الفجر الثاني شيأ الا ركعتي الفجر فقط ومن دخل المسجد ولم يكن صلى ركعتي الفجر فان كان قبل الاقامة صلاهما وان دخل وقت الاقامة وقد افتتح الامام الصلاة فلا يصليهما وليدخل في الصلاة المكتوبة فانه أفضل والنهي فيه رويناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أقيمت الصلاة فلا صلاة الا المكتوبة وليقل من قعد في المسجد من غير صلاة ركعتين تحية المسجد سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر هذه الاربع كلمات يقولها أربع مرات فانها عدل ركعتين في الفضل وكذلك من دخله وكان على غير وضوء أو مر في المسجد عابر طريق ومن دخل مسجدا فلا يقعد حتى يصلي ركعتين واكره له دخول المسجد والقعود فيه على غير وضوء

(الفصل العاشر) فيه كتاب معرفة الزوال وزيادة الظل ونقصانه بالاقدام واختلاف ذلك في الصيف والشتاء قال الله جلت قدرته الم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا وقال تعالى وجعلنا الليل والنهار آيتين الآية الى قوله عدد السنين والحساب وقال سبحانه الشمس والقمر بحسبان وفي حديث أبي الدرداء وكعب الاحبار في صفة هذه الامة راعون الظلال لاقامة الصلاة وأحب عباد الله الى الله عز وجل الذين يراعون الشمس والقمر والاظلة لذكر الله عز وجل وقال بعض العلماء بالحساب والاثر من أهل الحديث ان الليل والنهار أربع وعشرون ساعة وان الساعة ثلاثون شعيرة يأخذ كل واحد منهما من صاحبه في كل يوم شعيرة حتى تستكمل الساعة في شهر وبين أول الشهر وآخره ثلاثون درجة الشمس كل يوم في درجة قال وتفسير ذلك انه اذا مضى من ايلول سبعة عشر يوما استوى الليل والنهار ثم يأخذ الليل من النهار من ذلك اليوم في كل يوم شعيرة حتى يستكمل ثلاثين يوما فيزيد ساعة حتى يصير سبعة عشر يوما من كانون الاول فينتهي طول الليل وقصر النهار وكانت تلك الليلة أطول ليلة في السنة وهي خمسة عشر ساعة وكان ذلك اليوم أقصر يوم في السنة وهو تسع ساعات ثم يأخذ النهار من الليل كل يوم شعيرة حتى اذا مضى سبع عشرة ليلة من آذار استوى الليل والنهار وكان كل واحد منهما اثنى عشر ساعة ثم يأخذ النهار من الليل كل يوم شعيرة حتى اذا مضى سبعة عشر يوما من حزيران كان نهاية طول النهار وقصر الليل فيكون النهار يومئذ خمسة عشر ساعة والليل تسع ساعات ثم ينقص من النهار كل يوم شعيرة حتى اذا مضى سبع عشرة ليلة من ايلول استوى الليل والنهار ثم يعود الحساب على ذلك قال فمواقيت الصلاة من ذلك ان الشمس اذا وقفت فهو قبل الزوال فاذا زالت باقل القليل فذلك أول وقت الظهر فاذا زادت على سبعة أقدام بعد الزوال فذلك أول وقت العصر وهو آخر وقت الظهر قال والذي جاء في الحديث ان الشمس اذا زالت بمقدار شراك فذلك وقت الظهر الى ان يصير ظل كل شئ مثله فذلك آخر وقت الظهر وأول وقت العصر وهكذا صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في أول يوم ثم صلى من الغد الظهر حين صار ظل كل شئ مثله فذلك آخر وقت الظهر وأول وقت العصر ثم صلى العصر حين صار ظل كل شئ مثليه وقال ما بين هذين وقت فاذا أردت أن تقيس الظل حتى تعرف ذلك فانصب عودا أو قم قائما في موضع من الارض مستو ثم اعرف موضع الظل ومنتهاه نخط على موضع الظل خطا ثم انظر أينقص الظل أم يزيد فان كان الظل ينقص فان الشمس لم تزل بعد ما دام الظل ينقص فاذا قام الظل فذلك نصف النهار ولا يجوز في هذا الوقت الصلاة فاذا زاد الظل فذلك زوال الشمس الى طول ذلك الشئ الذي قست به طول الظل وذلك آخر وقت الظهر فاذا زاد الظل بعد ذلك قدما فقد دخل

فيستهل صارخا من مس الشيطان غير مريم وابنها خ م قال النبي صلى الله عليه وسلم ان ابليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه يفتنون الناس فادناهم منه منزلة اعظمهم فتنة يجيء أحدهم فيقول فعلت كذا وكذا فيقول ما صنعت شيأ قال ثم يجيء أحدهم فيقول ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته فيدنيه منه ويقول نعم أنت قال الاعمش أراه قال فيلتزمه ت عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة بابن آدم فاما لمة الشيطان فايعاد بالشر وتكذيب بالحق وأما لمة الملك فايعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم انه من الله فليحمد الله ومن وجد الاخرى فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم قرأ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء م عن عثمان بن العاص رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله ان الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي يلبسها فقال رسول الله ذلك الشيطان يقال له خنزب فاذا أحسسته فتعوذ بالله منه واتفل عن يسارك ثلاثا ففعلت ذلك فاذهبه الله عني قال النووي رحمه الله الصحيح ان ابليس كان من الملائكة من طائفة يقال لهم الجن فلما عصى الله تعالى صار من الكافرين

عليك حقا وان لضيفك عليك حقا فاعط كل ذي حق حقه وذلك ان امرأة أبي الدرداء أخبرت سلمان انه لا ينام الليل قال فاتيا النبي صلى الله عليه وسلم فذكرا ذلك له فقال صدق سلمان وهذا الورد الخامس يشبه الورد السابع من النهار قبل الغروب في فضل وقتهما وهذا قبل الفجر الثاني والفجر الثاني هو انشقاق شفق الشمس وهو بدو بياضها الذي تحته الحمرة وهو الشفق الثاني على ضد ضرو بها لان شفقها الاول من العشاء وهو الحمرة بعد الغروب وبعد الحمرة البياض وهو الشفق الثاني من أول الليل وهو آخر سلطان الشمس وبعد البياض سواد الليل وغسقه ثم ينقلب ذلك الى الضد فيكون بدو طلوعها الشفق الاول وهو البياض وبعده الحمرة وهو شفقها الثاني وهو أول سلطانها من آخر الليل وبعده طلوع قرص الشمس والفجر هو انفجار شعاع الشمس من الفلك الاسفل اذا ظهرت على وجه الارض الدنيا يستر عنها الجبال والبحار والاقاليم المرموقة العالية ويظهر شعاعها منتشرا الى وسط السماء عرضا مستطيرا فهذا آخر الورد الخامس وعنده يكون الوتر فاذا طلع الفجر فقد انقضت أوراد الليل الخمسة ودخلت أوراد النهار فانظر هل دخلت في دخوله عليك في جملة العابدين أم خرج عنك وأنت فيه من الغافلين وتفكر أي لبسة البسك فان الليل جعل لباسا هل ألبست فيه حلة النور بتيقظك فتربح تجارة لن تبور أم ألبسك الليل ثوب ظلمته فتكون ممن مات قلبه بموت جسده بغفلتك ثم يقوم العبد حينئذ فيصلي ركعتي الفجر وهما معنى قوله تعالى ومن الليل فسبحه وأدبار النجوم قيل ركعتي الفجر ثم يقرأ أعوذ بالله من سخطه وبعده شهد الله انه لا اله الا هو الى آخرها ويقول انا أشهد بما شهد الله به لنفسه وشهدت به ملائكته وأولو العلم من خلقه واستودع الله العظيم هذه الشهادة وهي لي عند الله وديعة حتى يؤديها وأسأله حفظها حتى يتوفاني الله عليها اللهم احطط بها عني وزرا واجعل لي بها عندك ذخرا واحفظها علي وتوفني عليها حتى ألقاك بها غير مبدل تبديلا وأفضل ما عمل العبد في ورد من أوراد الليل والنهار بعد القيام بفرض يلزمه أو قضاء حاجة لاخيه المؤمن بعينه الصلاة بتدبر الخطاب ومشاهدة المخاطب فان ذلك يجمع العبادة كلها ثم بعد ذلك التلاوة بتيقظ عقل وفراغ هم ثم أي عمل جمع له فيه من فكر أو ذكر برقة قلب وخشوع جوارح ومشاهدة غيب فان ذلك أفضل اعماله في وقته

(الفصل التاسع) فيه ذكر وقت الفجر وحكم ركعتيه الاداء والقضاء وحكم الوتر ووقت القضاء له والاداء وفي الشهر ليلتان يعتبر بهما وقت الفجر احداهما يطلع القمر فيها عند طلوع الفجر الاول وهي ليلة ست وعشرين والاخرى يغيب القمر فيها عند طلوع الفجر وهي ليلة اثنتي عشرة من الشهر ومن طلوع الفجر الى طلوع الشمس مقدار ثلثي سبع ثلث الليل وهذا يكون في الصيف ويكون في الشتاء أقل من ذلك لانه يكون نصف سدس ثلث الليل وهذا الورد الاول من النهار ووقت الاداء للوتر من بعد صلاة العشاء الآخرة الى طلوع الفجر الثاني فاذا طلع الفجر الثاني فقد ذهب وقت الاداء وهو وقت القضاء للوتر فليصل الوتر حينئذ من لم يكن أداه الى قبل صلاة الصبح فاذا صلى الصبح ذهب وقت قضاء الوتر أيضا ووقت الاداء لركعتي الفجر اذا طلع الفجر الثاني فالمستحب له ان يصليهما في منزله وقبل صلاة الغداة والسنة ان يخففهما فاذا صلى الصبح ولم يكن صلاهما فقد ذهب وقت الاداء وبقي له وقت القضاء فليمهل حتى تطلع الشمس وتحل الصلاة فليقضهما على سبحة الضحى وهذا وقت القضاء لركعتي الفجر الى صلاة الظهر فاذا صلى الظهر ولم يكن صلاهما فقد ذهب وقت قضائهما أيضا ومن فاته ورد من الاوراد فاستحب له فعل مثله في وقته أو قبله اذا ذكره لا على وجه القضاء فانه لا يقضى الا الفرائض ولكن على وجه التدارك ورياضة النفس بذلك ليأخذ بالعزائم كيلا يعتاد التراخي والترخص ولاجل الخبر المأثور أحب الاعمال الى الله عز وجل أدومها وان قل كيف وفي حديث عائشة رضي الله عنها الوعيد على ترك العادة في العبادة روت عن النبي صلى الله عليه وسلم من عبد الله تعالى عبادة ثم تركها ملالة مقته الله تعالى وقالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غلبه النوم

ويبدو غدا ما كان في اليوم خافيا
اللهم انا نسألك حبك وحب من يحبك وحب عمل يقربني الى حبك اللهم اجعل حبك أحب الي من نفسي ومالي وأهلي ومن الماء البارد عند العطشان العائق الثالث الشيطان قال الله سبحانه وتعالى ألم أعهد اليكم يابني آدم ان لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين وان اعبدوني هذا صراط مستقيم ولقد أضل منكم جبلا كثيرا أفلم تكونوا تعقلون هذه جهنم التي كنتم توعدون اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون وقال عز وجل ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير م عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال تعالى اني خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم م عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما منكم من أحد الا وكل به قرينه من الجن قالوا واياك يا رسول الله قال واياي الا ان الله تعالى أعانني عليه فاسلم فلا يأمرني الا بخير خ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من بني آدم مولود الا مسه الشيطان حين يولد

فقد أدرك الضحى فاذا كانت الشمس على حاجبك الايسر وأنت مستقبل القبلة في الصيف
مبلغ علمك ومنظر عينك فاذا كانت بين عينيك فهو استواؤها في كبد السماء نظر عينك
قد زالت لقصر النهار وفي أول الشتاء وقد لا تكون زالت اذا طال النهار وتوسط الصيف
بك الايمن فقد زالت في أي وقت كان ثم ان هذا يختلف في الشتاء فاذا كانت على حاجبك
وأنت مستقبل القبلة فيصلح ان تكون زالت لقصر النهار في أول الشتاء وقد لا تكون زالت
أول الصيف فاذا كانت الشمس بين عينيك في الشتاء فقد زالت لا شك فيه فصل الظهر فاذا
ك الايمن فهذا آخر وقت الظهر في الشتاء وهو أول وقت الظهر في الصيف وهذا التقدير
العراق وخراسان لانهم يصلون الى الحجر الاسود وتلقاء الباب من وجهة الكعبة فاما
اليمن فان تقديرهم على ضد ذلك وقبلتهم الى الركن اليماني والى مؤخر الكعبة ولذلك
تضاد الاختلاف للتوجه الى شطر البيت وتفاوت الامصار في الاقاليم المستدير نحوله
المتقدمين وما سوى ذلك من التدقيق والتحرير فمحدث الا انه علم لاهله ومن أشكل
الادلة أو لغيم اعترض فليتحر بقلبه ويجتهد بعلمه ولا يصلي صلاة الا بعد تيقن دخول وقتها
ا أفضل حينئذ ولكن قد جاء في الخبر ثلاث من مناقب الايمان الصيام في الصيف واسباغ
و تعجيل الصلاة في يوم دجن ومن أمثال العرب يوم الدجن يضرب فيه عبد السوء هذا
م مكانه يقصر لغيبة الشمس فيغفل الانسان عن مراعاة الوقت أو يتشاغل عنه لان
الا عن يقين فاداؤها بعد دخول الوقت على اليقين أفضل من ادائها في الوقت على الشك الم
الله عليه وسلم فان غم عليكم فاكملوا عدد شعبان ثلاثين فترك الاحتياط لليقين ومن صلى
ت أو توجه الى القبلة فيما يعلم ثم تبين له بعد انه صلى قبل الوقت أو صلى لغير القبلة نظر فان
بعد فليعد الصلاة احتياطا وان كان الوقت قد خرج فلا شيء عليه وهو معفو الخطا
ك الصلاة متى ذكرها وقال بعض العلماء للشمس سبعة ازولة ثلاثة منها لا يعلمها البشر
ه عن قطب الفلك الاعلى لا يشهده ولا يعلمه الا الله عز وجل والزوال الثاني عن وسط
خلق الله تعالى الا خزان الشمس الموكلون بها الذين يرمونها بجبال الثلج ليسكن حرها
عن العالمين ويسوقونها على العجلة المركبة في الفلك والزوال الثالث يعلمه ملائكة الارض
ع يكون على ثلاثة دقائق وهو ربع شعيرة والشعيرة جزء من اثنى عشر جزأ من ساعة فهذا
سفة من المنجمين اهل العلم بمساحة الفلك وتركيب الافلاك فيه وتقدير سير الشمس في
في فلكها منه فيقومون ذلك بالنظر في المرتجلات الطالعة على التقويم فاذا زالت الشمس
ف شعيرة وهي ست دقائق عرف زوالها أهل الحساب والتقاويم بالاسطرلاب الطالع
وهو الزوال السادس المشترك وهو جزء من اثنى عشر جزأ من ساعة عرف زوالها علماء
مراعاة الاوقات فاذا زالت ثلاث شعيرات فهو الزوال السابع وهو ربع ساعة عرف
وعند هذا الوقت صلاة الكافة وهو أوسط الوقت وأوسعه وذلك واسع برخصة الله سبحانه
هذا كله لبعد منصب السماء ولاستواء تقويم صنعتها في الافق الاعلى ولاتقان صنعتها في
في الاقطار المتسعة المستديرة استواء او متناسبا وقد روي في الخبران النبي صلى الله عليه
ل عليه السلام فقال هل زالت الشمس فقال لا نعم فقال كيف هذا فقال بين قولي لك لا نعم
سين ألف فرسخ فكان النبي صلى الله عليه وسلم سأله عن زوالها على علم الله سبحانه وتعالى
ملا سطقات السماء تدور كما تدور الرحا فتدير الافلاك بدورانها على القطب ولكن
دها وعلوها وتقويم استدارتها وقد ذكره بعض العلماء من السلف فتبارك الله أحسن

وهجرتمونا يا ابعدى كم
أتقرب منك وأنت تفر مني
كم أداريك وأنت تعرض
عني ويحك تمر علينا ولا تمر
بخاطرك ونحن في كل ساعة
نذكرك يا غدار قد طال
دهر التهاجر تعال حتى
نصطلح وينصلح كل حالك
وتذهب الاكدار يا هذا
درديك كالدردي سالك لو
علق بثوبك مسمار رجعت
الى ورائك لتخلصه فهذا
مسمار الاصرار قد علق
بقلبك فلو عدت الى الندم
خطوتين خلصت هيهات
صبي الغفلة كلما حولك نام
يا مجنون الهوى اما مارستان
العزلة وقيد الجوع ومرافقة
بشر ومعروف والا
فمارستان جهنم وقيد
الاغلال وصحبة ابليس كل
يوم تحضر المجلس فيقف لك
الشيطان على الباب فاذا
خرجت كما دخلت قال
قد منينا من لا يفلح اللهم
اعصمنا من شر الشيطان
وجوارحنا من المخالفة
والعصيان واغفر لنا
ما اقترفنا من الذنوب واستر
على جميعنا ما كان من
العيوب وارحمنا وأحبابنا
ولجميع المسلمين
(العائق الرابع) النفس
قال الله تعالى ان النفس
لامارة بالسوء الا ما رحم
ربي أي الاوقات رحمة ربي
وقال تعالى والشمس
وضحاها أي وضوئها اذا
اشرقت والقمر اذا تلاها

وقت العصر حتى يزيد الظل طول ذلك الشيء مرة أخرى فذلك وقت العصر الثاني فاذا قمت قائماً تريد ان
تقيس الظل بطولك فان طولك سبعة أقدام بقدمك سوى قدمك التي تقوم عليها فاذا قام الظل فاستقبل
الشمس بوجهك ثم مر انساناً يعلم طرف ذلك بعلامة ثم قس من عقبك الى تلك العلامة فان كان بينهما
أقل من سبعة أقدام سوى ما زالت عليه الشمس من الظل فانك في وقت الظهر ولم يدخل وقت العصر حتى
يزيد الظل على سبعة أقدام سوى ما تزول الشمس عليه من الظل فذلك وقت العصر ثم ان الاقدام تختلف في
الشتاء والصيف فيزيد الظل وينقص في الايام فمعرفة ذلك ان استواء الليل والنهار في سبعة عشر يوماً من آذار
فان الشمس تزول يومئذ وظل الانسان ثلاثة أقدام وكذلك ظل كل شيء تنصبه فان الشمس تزول يومئذ
وظل كل شيء ثلاثة أسباعه ثم ينقص الظل وكلما مضى ستة وثلاثون يوماً نقص الظل قدماً حتى ينتهي
طول النهار وقصر الليل في سبعة عشر يوماً من حزيران فتزول الشمس يومئذ وظل الانسان نصف
قدم وذلك أقل ما تزول عليه الشمس ثم يزيد الظل فكلما مضت ستة وثلاثون يوماً زاد الظل قدماً حتى
يستوي الليل والنهار في سبعة عشر يوماً من أيلول فتزول الشمس يومئذ والظل على ثلاثة أقدام ثم يزيد الظل
وكلما مضى أربعة عشر يوماً زاد الظل قدماً حتى ينتهي طول الليل وقصر النهار وذلك في سبعة عشر يوماً من
كانون الاول فتزول الشمس يومئذ على تسعة أقدام ونصف قدم وذلك أكثر ما تزول الشمس يومئذ عليه ثم
كلما مضى أربعة عشر يوماً زاد الظل قدماً حتى ينتهي الى سبعة عشر يوماً من آذار فذلك استواء الليل والنهار
وتزول الشمس على ثلاثة أقدام وذلك دخول الصيف وزيادة الظل ونقصانه الذي ذكرناه في كل ستة وثلاثين
يوماً قدم في الصيف والقيظ وزيادته في كل أربعة عشر يوماً قدم في الربيع والشتاء وهذا ذكره بعض
علماء المتأخرين من أهل العلم بالنجوم وقد ذكر غيره من القدماء قريباً من هذا وذكر زوال الشمس بالاقدام
في شهر تشرين وخالف هذا في حدين من نهاية الطول والقصر قدمين فذكر ان أقل ما تزول عليه الشمس
في حزيران على قدمين وان أكثر ما تزول عليه الشمس في كانون ثمانية أقدام فكان الاول هو أدق تحديداً
وأقوم تحريراً وذكر ان الشمس تزول في أيلول على خمسة أقدام وفي تشرين الاول على ستة وفي تشرين
الاخير على سبعة وفي كانون على ثمانية قال وذلك منتهى قصر النهار وطول الليل وهو أكثر ما تزول عليه
الشمس قال ثم ينقص الظل ويزيد النهار فتزول الشمس في كانون الاخير على سبعة أقدام وتزول في شباط
على ستة أقدام وفي آذار على خمسة وذلك استواء الليل والنهار وتزول في نيسان على أربعة أقدام وتزول
في أيار على ثلاثة أقدام وتزول في حزيران على قدمين فذلك منتهى طول النهار وقصر الليل وهو أقل ما تزول
الشمس عليه فيكون النهار حينئذ خمس عشرة ساعة والليل تسع ساعات وزوال الشمس في تموز على ثلاثة
أقدام وفي آب على أربعة أقدام وفي أيلول على خمسة أقدام وفيه يستوي الليل والنهار وقد روينا عن سفيان
الثوري رحمه الله أكثر ما تزول عليه الشمس تسعة أقدام وأقل ما تزول عليه قدم وهذا أقرب الى القول
الاول في التحديد وقد جاء في ذكر الاقدام لوقت الصلاة أثر من سنة فلذلك ذكرناه لما شرحه من عرفه روينا
عن أبي مالك سعد بن طارق الاشعري عن الاسود بن يزيد عن ابن مسعود قال كان قدر صلاة الظهر مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم في الصيف ثلاثة أقدام الى خمسة أقدام وفي الشتاء خمسة أقدام الى ستة أقدام وفصل
الخطاب ان معرفة الزوال بهذا التحديد ليس بفرض ولكن صلاة الظهر بعد تيقن زوال الشمس فرض
متى زالت الشمس مبلغ علمك ويقين قلبك ومنظر عينك فكانت الشمس على حاجبك الايمن في الصيف اذا
استقبلت القبلة فقد زالت لا شك فيه فصل الى ان يكون ظل كل شيء مثله فهذا آخر وقت الظهر وأول وقت
العصر ثم صل العصر الى ان يصير ظل كل شيء مثليه فهذا آخر وقت العصر المستحب ثم الى ان تصفر الشمس
وتتدلى للغروب فهذا وقت الضرورات وهو مكروه الا لمريض أو معذور وروي عن النبي صلى الله عليه
وسلم من أدرك من العصر ركعة قبل ان تغرب الشمس فقد أدرك العصر ومن أدرك من الصبح ركعة قبل

وأما انظاره الى يوم الدين
فزيادة في عقوبته وتكثير
معاصيه وغوايته وفي حياة
الحيوان قال رجل للحسن
يا أبا سعيد اينام ابليس قال
لو نام لوجدنا راحة ولكن
لا خلاص للمؤمنين منه
الا بتقوى الله تعالى قال في
الاحياء من غفل عن ذكر
الله تعالى ولو لحظة ليس له
قرين في تلك اللحظة الا
الشيطان ولذلك قال الله
تعالى ومن يعش عن ذكر
الرحمن نقيض له شيطاناً فهو
له قرين وقال عليه السلام
ان الله يبغض الشاب الفارغ
لان الشاب الفارغ اذا لم
يشغل ظاهره بمباح يستعين
به على دينه عشش الشيطان
في قلبه وباض وفرخ ثم
تعود فراخه فتبيض
وتفرخ مرة أخرى وهكذا
يتوالد نسل الشيطان
توالداً أسرع من توالد سائر
الحيوان لان طبعه من النار
واذا وجدت النار الحلفاء
اليابسة كثر توالدها فلا يزال
تتوالد النار من النار ولا
تنقطع البتة فالشهوة في
نفس الشاب للشيطان
كالحلفاء اليابسة للنار
ولذلك قال الحسين الحلاج
هي نفسك ان لم تشغلها
بالحق شغلتك بالباطل
انتهى اخواني كان ابليس
كالبلدة العامرة فوقعت
فيها صاعقة الطرد انما طرد
ابليس لانه لم يسجد لكم
فالعجب كيف صالحتموه

وما فيها والخبر المشهور أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل أي الاعمال أفضل فقال الصلاة لوقتها وقد جاء في الاثر الوقت الاول رضوان الله عز وجل والوقت الاخير عفو الله تبارك وتعالى قيل فرضوان الله عز وجل يكون للمحسنين وعفو الله سبحانه وتعالى يكون عن المقصرين والوقت الاول من كل صلاة من عزيمة الدين وطريقة المتقين للصلاة المحافظين والوقت الثاني رخصة في الدين وسعة من الله عز وجل ورحمة للغافلين

(الفصل الحادي عشر) فيه كتاب فضل الصلاة في الايام والليالي (ذكر ما جاء في صلاة النهار من الفضائل) روينا عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خرجت من منزلك فصل ركعتين يمنعانك مخرج السوء واذا دخلت الى منزلك فصل ركعتين يمنعانك مدخل السوء وعن سعيد بن أبي سعيد الطويل سمع أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال في صلاة الصبح من توضأ ثم توجه الى مسجد يصلي فيه الصلاة كان له بكل خطوة حسنة ويمحى عنه سيئة والحسنة بعشر أمثالها فاذا صلى ثم انصرف عند طلوع الشمس كتب له بكل شعرة في جسده حسنة وانقلب بحجة مبرورة فان جلس حتى يركع كتب الله له بكل جلسة ألف ألف حسنة ومن صلى العتمة فله مثل ذلك وانقلب بحجة وعمرة مبرورة وعن عطاء بن يسار عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى أربع ركعات بعد زوال الشمس يحسن قراءتهن وركوعهن وسجودهن صلى معه سبعون ألف ملك يستغفرون له حتى الليل ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدع أربعا بعد الزوال يطيلهن ويقول ان أبواب السماء تفتح في هذه الساعة وأحب أن يرفع لي فيها عمل قيل يا رسول الله فيهن سلام فاصل قال لا وروي عنه صلى الله عليه وسلم رحم الله عبدا صلى أربعا قبل العصر (ذكر صلاة يوم الاحد) وروي عن سعيد بن جبير عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم من صلى يوم الاحد أربع ركعات يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وآمن الرسول مرة كتب الله عز وجل له بعدد كل نصراني ونصرانية حسنات وأعطاه ثواب نبي وكتب له حجة وعمرة وكتب له بكل ركعة ألف صلاة وأعطاه الله عز وجل في الجنة بكل حرف مدينة من مسك أذفر وروينا عن علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وسلم قال وحدوا الله تبارك وتعالى بكثرة الصلاة في يوم الاحد فانه سبحانه وتعالى واحد أحد لا شريك له فمن صلى يوم الاحد بعد صلاة الظهر أربع ركعات بعد الفريضة والسنة قرأ في الركعة الاولى فاتحة الكتاب وتنزيل السجدة وفي الثانية فاتحة الكتاب وتبارك الملك ثم تشهد وسلم ثم قام فصلى ركعتين أخريين قرأ فيهما فاتحة الكتاب وسورة الجمعة وسأل الله تبارك وتعالى حاجته كان حقا على الله سبحانه وتعالى ان يقضي حاجته ويبرئه مما كانت النصارى عليه (ذكر صلاة يوم الاثنين) روينا عن أبي الزبير عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى يوم الاثنين عند ارتفاع النهار ركعتين يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وآية الكرسي مرة وقل هو الله أحد مرة والمعوذتين مرة فاذا سلم استغفر الله عز وجل عشر مرات وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم عشر مرات غفر الله عز وجل له ذنوبه كلها وعن ثابت البناني عن أنس ابن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى يوم الاثنين اثنتي عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسي مرة فاذا فرغ من صلاته قرأ اثنتي عشرة مرة قل هو الله أحد واستغفر الله اثنتي عشرة مرة ينادى به يوم القيامة أين فلان بن فلان ليقم فليأخذ ثوابه من الله عز وجل فاول ما يعطى من الثواب ألف حلة ويتوج ويقال له ادخل الجنة فيستقبله مائة ألف ملك مع كل ملك هدية يشيعونه حتى يدور على ألف قصر من نور يتلألأ (ذكر صلاة يوم الثلاثاء) يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى يوم الثلاثاء عشر ركعات عند انتصاف النهار يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسي مرة وقل هو الله أحد ثلاث مرات لم يكتب عليه خطيئة الى سبعين يوما فان مات الى سبعين يوما مات شهيدا وغفر له ذنوب سبعين سنة (ذكر صلاة يوم الاربعاء) أبو ادريس الخولاني عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى يوم الاربعاء اثنتي عشرة ركعة عند ارتفاع النهار يقرأ فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد ثلاث

الآخرة فاشتغلوا بعذاب الدنيا قال ابن مسعود همما معلقات بشعورهما الى قيام الساعة وهلم جرا لا يوجد في الخلق فتنة ولا مصيبة ولا ضلالة ولا معصية الا وأصلها النفس ولا يوجد خير ولا فضل الا بجهة قهرها ولله در القائل شعر

توق نفسك لا تأمن غوائلها
فالنفس أخبث من سبعين شيطانا

وقد حكي في روض الرياحين عن بعضهم قال انكسرت بنا السفينة وبقيت أنا وامرأتي على لوح وقد ولدت في تلك الحالة صبية فصاحت بي وقالت يقتلني العطش فقلت هو ذا يرى حالنا فرفعت رأسي فاذا رجل في الهواء جالس في يده سلسلة من ذهب فيها كوز من ياقوت أحمر وقال هاك اشربا فأخذت الكوز وشربنا منه فاذا هو أطيب من المسك وأبرد من الثلج وأحلى من العسل فقلت له من أنت يرحمك الله قال عبد لمولاك فقلت بم وصلت الى هذا قال تركت الهوى لمرضاته فأجلسني على الهواء ثم غاب عني ولم أره رضي الله عنه اذا عرفت هذا فاعلم ان طريق الخلاص من مهالكها لزام التقوى التي هي وصية الله له ولي فيها امن الاثم ومنها التخلص من الشدائد والغم ومنها الفوز بالدرجات

الخالقين وذكر بعض العارفين أعجب من هذا والطف من قدرة الله عز وجل وخفي صنعه ذكر ان الليل والنهار أربعة وعشرون ساعة وان الساعة اثناعشر دقيقة كل دقيقة اثناعشر شعيرة وكل شعيرة أربعة وعشرون نفسا فتظهر الانفاس من خزانة الجسم فتنشئ الشعائر وتنشأ الشعائر فتظهر الدقائق فتنتج الساعات وتتحرك الساعات فتدور الافلاك وتدور الافلاك فتنشر الليل والنهار في الجو والاقطار وينشر الليل والنهار فتدور السماء في الآفاق وينعقد الحسبان بالتفصيل فاذا انحفى الاحساس انقطعت الانفاس فانفكت الافلاك فعندها تنتشر النجوم وتنشق السماء وتخرب الديار وتظهر دار القرار فسبحان الله الطف الصانعين واقهر القادرين وقد قال سبحانه وتعالى اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت وقال سبحانه وتعالى يوم تمور السماء مورا يعني تدور دورا فسبحان اللطيف الحكيم أدار تلك الافلاك الكثاف بهذه الانفاس اللطاف كما حجب الفلك الكثيف بستر الفضاء اللطيف فالفلك العظيم لا يحجب السماء والفضاء الرقيق يحجب الفلك لانه أراد سبحانه وتعالى ان يرينا السماء وأحب ان يخفي عنا الفلك فلم يرالا ما أرانا فالعبد هو سبب ذلك ومحرك لذلك ولا يشعر بذلك فقداره أنفاسه وأنفاسه ساعاته وساعاته عمره وعمره أجله وأجله آخرته وهو في غفلة بدنياه وفي لعب بما يهواه فان نظرت الى السماء رأيتها تنشئ الانفاس وان نظرت الى الانفاس رأيتها تدير الافلاك وان نظرت الى فوق الفوق عميت عما سواه فلا اله الا هو رب العرش العظيم صنع الله الذي أتقن كل شئ ان ربي لطيف لما يشاء سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم وفي الارض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون فلا أقسم بما تبصرون ومالا تبصرون سيذكر من يخشى ويتجنبها الاشقى فاما صلاة المغرب فافضل ما صليت فيه اذا تدلى حاجب الشمس الاعلى وهو غيبتها عن الابصار روى عن عمر رضي الله عنه انه أخر صلاة المغرب ليلة حتى طلع نجم فاعتق رقبة وروينا عن ابن عمر رضي الله عنهما انه اخر المغرب حتى طلع كوكبان فاعتق رقبتين وأفضل ما صليت فيه عشاء الآخرة اذا غاب البياض الغربي وأظلم مكانه وهو الشفق الثاني الى ما بعد ذلك فتأخيرها أفضل الى ربع الليل مالم تنم والنوم قبلها مكروه شديد ووقت حسن في سنة ان تصلى بمقدار غيبة القمر ليلة ثلاث من الشهر وهذا يكون بعد سبع ونصف من الليل لانا روينا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي العشاء الآخرة لسقوط القمر ليلة ثلاث وأفضل ما صليت فيه صلاة الصبح اذا طلع الفجر الثاني وهي الصلاة الوسطى التي أفرد الله تبارك وتعالى بمحافظتها لانها تختص بمعان ثلاث من التوسط لا توجد في سائر الصلوات منها انها بين الليل والنهار والثاني انها بين صلاتين من صلاة الليل وصلاتين من صلاة النهار والثالث انها متوسطة بين صلاتي جهر وصلاتي مخافتة وأيضا فانها أقصر الصلاة عددا الا ثلاثا ولا أربعا فلما اختصت بتوسط هذه المعاني دون غيرها كانت هي الوسطى وأيضا فان الله تعالى نص على ذكر الفجر في قوله عز وجل وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا وقيل في تفسير ذلك تشهده ملائكة الليل والنهار فكان هذا ذكرا لها بوصف آخر توكيدا للمحافظة عليها فان صح الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر بطل ما قلناه وثبت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه هو الحق وبه نقول ولا أحسب الخبر الا ثابتا فقد جاء باشد اليقين أخبرنا ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عنها فقال هي التي شغل عنها أخي سليمان حتى توارت بالحجاب والسنة ان تقرأ في صلاة الصبح بسورة من المثاني أو بطوال المفصل لانها اقصرت وعوض عنها طول القيام فان كان أجمع للمصلين وأكثر لعددهم اذا توسط الوقت فحسن قبل ان تمحق النجوم فاما ان يسفر حتى ينتشر البياض تحت الحمرة وذلك هو شئ من شعاع الشمس فلا وان كثر وافصلا لانها بغلس في القليل أفضل والمحافظة على أوائل الاوقات من كل صلاة من أفضل الاعمال الا ما ذكرناه من تأخير صلاة العشاء الآخرة للاثر فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل الصلاة في أول الوقت على الصلاة في آخر الوقت كفضل الآخرة على الدنيا وفي الخبر ان العبد ليصلي الصلاة في آخر وقتها ولما فاته من الوقت الاول خير له من الدنيا

أي تبع طلوعه طلوعها وهو أول الشهر أو غروبها يعني حين كونه بدرا والنهار اذا جلاها والليل اذا يغشاها أي الشمس فانها تغيب في الليل والسماء وما بناها أي ومن بناها والارض وما طحاها أي ومن بسطها ونفس وما سواها أي سوى خلقها بتعديل الاعضاء والقوى فالهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها أي طهرها من الاخلاق الذميمة وقد خاب من دساها أي من دنسها ونقصها وعدلها عن الهدى وكيف لا يخيب من دساها وقد وقع كل ذنب وفضيحة وهلاك وكفر في الخلق من أول الخلق الى يوم القيامة من قبل هذه النفس اما بها وحدها كابليس فانه غرق في هلاك الابد بسبب كبر النفس وحسدها الابدنيا وخلق وشيطان واما بمعونتها كآدم فانه اغتر بقول ابليس بسبب شهوة النفس وحرصها على البقاء حتى نزل من قرار الفردوس الى الدنيا الفانية ولقي أولاده ما لقوا الى الابد وكذا قابيل فانه بالحسد والشح قتل هابيل فاسود جسده وتبرأ منه أبواه قيل انه أول من نصب النار وعبدها وكذا هاروت وماروت أوقعتهما الشهوة في المعصية فخيرهما الله بين عذاب الدنيا وعذاب

لنفسه ولوالديه خمسا وسبعين مرة وصلى على محمد خمسا وسبعين مرة ثم سأل الله سبحانه وتعالى حاجته كان حقا على الله عز وجل ان يؤتيه سؤله ما سأل وهي تسمى صلاة الحاجة القاسم بن عبد الرحمن عن أبي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى ليلة الاثنين ركعتين يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد خمس عشرة مرة وقل أعوذ برب الفلق خمس عشرة مرة وقل أعوذ برب الناس خمس عشرة مرة ويقرأ بعد التسليم خمس عشرة مرة آية الكرسي و يستغفر الله سبحانه وتعالى خمس عشرة مرة جعل الله عز وجل اسمه في أصحاب الجنة وان كان من أصحاب النار وغفر له ذنوب السر وذنوب العلانية وكتب له بكل آية قرأها حجة وعمرة وان مات ما بين الاثنين الى الاثنين مات شهيدا (ذكر صلاة ليلة الثلاثاء) في الخبر من صلى ليلة الثلاثاء اثنتي عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة واذا جاء نصر الله خمس عشرة مرة بنى الله له بيتا في الجنة عرضه وطوله وسع الدنيا سبع مرات (صلاة ليلة الاربعاء) في الخبر من صلى ليلة الاربعاء ركعتين يقرأ في أول ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل أعوذ برب الفلق عشر مرات وفي الركعة الثانية فاتحة الكتاب مرة وقل أعوذ برب الناس عشر مرات نزل من كل سماء سبعون ألف ملك يكتبون ثوابه الى يوم القيامة (فضل صلاة ليلة الخميس) أبو صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى ليلة الخميس ما بين المغرب والعشاء ركعتين يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسي خمس مرات وقل هو الله أحد خمس مرات والمعوذتين خمس مرات فاذا فرغ من صلاته استغفر الله تبارك وتعالى خمس عشرة مرة و جعل ثوابه لوالديه فقد أدى حقهما وان كان عاقا لهما وأعطاه الله تعالى ما يعطي الصديقين والشهداء (فضل صلاة ليلة الجمعة) أبو جعفر محمد بن علي عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى ليلة الجمعة بين المغرب والعشاء اثنتي عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله أحد عشر مرة فكأنما عبد الله سبحانه وتعالى اثنتي عشرة سنة صيام نهارها وقيام ليلها و روينا عن كثير بن سليم عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى ليلة الجمعة العشاء الآخرة في جماعة وصلى ركعتي السنة ثم صلى بعدهما عشر ركعات قرأ في كل ركعة الحمد مرة وقل هو الله أحد مرة والمعوذتين مرة ثم أوتر بثلاث ركعات ونام على جنبه الايمن و وجهه الى القبلة فكأنما أحيا ليلة القدر وقال النبي صلى الله عليه وسلم أكثروا علي من الصلاة في الليلة الغراء واليوم الازهر يعني ليلة الجمعة و يوم الجمعة (فضل صلاة ليلة السبت) عن كثير بن شنظير عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى ليلة السبت بين المغرب والعشاء اثنتي عشرة ركعة بنى الله له قصرا في الجنة وكأنما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة وتبرأ من اليهودية وكان حقا على الله عز وجل ان يغفر له (ذكر فضل الصلاة بين العشاءين وما يختص به ذلك الوقت في كل ليلة) روينا عن سلمان التيمي ان رجلا حدثه قال قيل لعبيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بالصلاة غير المكتوبة قال ما بين المغرب والعشاء أبو صخر سمع محمد بن المنكدر يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى ما بين المغرب والعشاء فانها من صلاة الاوابين عبد الرحمن بن الاسود عن أبيه قال ما أتيت عبد الله بن مسعود في تلك الساعة الا وجدته يصلي فقلت له في ذلك فقال نعم ساعة الغفلة يعني بين المغرب والعشاء وسئل مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أي شئ كان يصنع النبي صلى الله عليه وسلم بين المغرب والعشاء اذا دخل منزله قال يصلي ثابت البناني قال كان أنس بن مالك يصلي بين المغرب والعشاء و يقول هي ناشئة الليل حدثنا عن فضيل بن عياض عن ابان بن أبي عياش قال سألت امرأة أنس بن مالك فقالت اني أرقد قبل العشاء فنهاها وقال نزلت هذه الآية فيما بينهما تتجافى جنوبهم عن المضاجع حدثنا أحمد بن أبي الحواري قال قلت لابي سليمان الداراني أصوم النهار وأفعد تعشي بين المغرب والعشاء أحب اليك أو أفطر النهار وأحيي ما بينهما فقال ان جمعتهما فهو أفضل قلت فان لم يتيسر لي قال فافطر بالنهار وصل بين المغرب والعشاء هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان

فقال لو علمت ان الله عز وجل تقبل مني سجدة أو صدقة درهم لم يكن غائب أحب الي من الموت أتدري ممن يتقبل انما يتقبل الله من المتقين واذا كان هذا السيد الجليل يقول ذلك وقد كان لا يأكل طعاما الا وعلى مائدته يتيم وأتته يوما عشرون ألف دينار فلم يقم من مجلسه حتى فرقها وكان يحيي الليل وما بين الظهر والعصر فكيف يحسن بأحد ان يظن في نفسه انه من المتقين فعليك يا مسكين بالتقوى فانك لا تدري متى ينزل بك القدر اللازم أين من ملك الدنيا فعمرها وكنز الكنوز فدخرها وقاد الجيوش فرجزها ودانت له البرايا فنهاها وأمرها شتت الموت شمله بعد اجتماع وأذله عره بعد القوى والامتناع

شعر

المرء في بدار لا مقام بها
فيها الفجائع والروعات ترتدف

واذكر سبيلا قطيعا أنت سالكه
ما عن ورود حياض الموت منصرف

واذكر تجرع كأس أنت شاربها
وأنت منجدل في غمرة دنفه

والنفس في سكرات الموت دائقة
والقلب في قلق والصدر منحنف

مرات والمعوذتين ثلاث مرات نادى به ملك عند العرش يا عبد الله استأنف العمل فقد غفر لك ما تقدم من ذنبك ودفع الله عز وجل عنه عذاب القبر وضيقه وظلمته ودفع عنه شدائد القيامة ورفع له من يومه عمل نبي (ذكر صلاة يوم الخميس) روينا عن عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى يوم الخميس ما بين الظهر والعصر ركعتين يقرأ في الركعة الاولى فاتحة الكتاب مرة ومائة مرة آية الكرسي وفي الركعة الثانية فاتحة الكتاب مرة ومائة مرة قل هو الله أحد ويصلي على النبي مائة مرة أعطاه الله عز وجل ثواب من صام رجب وشعبان ورمضان وكان له من الثواب مثل حاج البيت وكتب له بعدد كل من آمن بالله عز وجل وتوكل عليه (ذكر صلاة يوم الجمعة) روينا عن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن أبيه عن جده قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم الجمعة صلاة كله ما من عبد مؤمن قام اذا استقلت الشمس وارتفعت قيد رمح أو أكثر من ذلك فتوضأ ثم أسبغ الوضوء فصلى تسبيحة الضحى ركعتين ايمانا واحتسابا كتب الله له مائتي حسنة ومحا عنه مائتي سيئة ومن صلى أربع ركعات رفع الله تبارك وتعالى له في الجنة أربعمائة درجة ومن صلى ثمان ركعات رفع الله له في الجنة ثمانمائة درجة وغفر الله له ذنوبه كلها ومن صلى اثنتي عشرة ركعة كتب الله عز وجل له ألفا ومائتي حسنة ومحا عنه ألفا ومائتي سيئة ورفع له في الجنة ألفا ومائتي درجة أبو صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى الصبح يوم الجمعة في جماعة ثم جلس في المسجد يذكر الله سبحانه وتعالى حتى تطلع الشمس كان له في الفردوس الاعلى سبعون درجة بعد ما بين الدرجتين حضر الجواد المضمر سبعين سنة ومن صلى صلاة الجمعة في جماعة كان له في الفردوس خمسون درجة حضر الجواد خمسين سنة ومن صلى العصر في جماعة فكأنما أعتق ثمانية من ولد اسمعيل كلهم رب بيت ومن صلى المغرب في جماعة فكأنما حج حجة مبرورة وعمرة متقبلة نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دخل الجامع يوم الجمعة فصلى أربع ركعات قبل صلاة الجمعة قرأ في كل ركعة الحمد مرة وقل هو الله أحد خمسين مرة فانه لم يمت حتى يرى مقعده في الجنة أو يرى له (ذكر صلاة يوم السبت) سعيد عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى يوم السبت أربع ركعات يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل يا أيها الكافرون ثلاث مرات فاذا فرغ وسلم قرأ آية الكرسي كتب الله له بكل حرف حجة وعمرة ورفع له بكل حرف اجر سنة صيام نهارها وقيام ليلها وأعطاه الله عز وجل بكل حرف ثواب شهيد وكان تحت ظل عرشه مع النبيين والشهداء (فضل صلاة الجماعة) أبو كامل عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى أربعين يوما في جماعة لا تفوته التكبيرة الاولى مع الامام كتب الله عز وجل له براءتين براءة من النار وبراءة من النفاق * ذكر ما جاء في صلوات الليل وما دخل فيه من الصلاة بين العشاءين (صلاة ليلة الاحد) عن مختار بن فلفل عن أنس بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من صلى ليلة الاحد عشرين ركعة قرأ في كل ركعة الحمد لله مرة وقل هو الله أحد خمسين مرة والمعوذتين مرة ثم استغفر الله عز وجل مائة مرة واستغفر لنفسه ولوالديه مائة مرة وصلى على النبي وتبرأ من حوله وقوته والتجأ الى حول الله عز وجل وقوته وقال أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن آدم صفوة الله تبارك وتعالى وفطرته وابراهيم خليل الله وموسى كليم الله وعيسى روح الله ومحمد صلى الله عليه وسلم حبيب الله تبارك وتعالى كان له من الثواب بعدد من دعا لله عز وجل ولدا ومن لم يدع لله عز وجل ولدا وبعثه الله تبارك وتعالى يوم القيامة مع الآمنين وكان حقا على الله سبحانه وتعالى يوم القيامة ان يدخله الجنة مع النبيين (فضل صلاة ليلة الاثنين) روينا عن الاعمش عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى ليلة الاثنين أربع ركعات قرأ في الركعة الاولى الحمد لله وقل هو الله أحد عشر مرات وفي الركعة الثانية الحمد لله وقل هو الله أحد عشرين مرة وفي الركعة الثالثة الحمد مرة وقل هو الله أحد ثلاثين مرة وفي الركعة الرابعة الحمد مرة وقل هو الله أحد أربعين مرة ثم تشهد وسلم وقرأ قل هو الله أحد خمسا وسبعين مرة واستغفر الله

١٣ والنجاة من الدركات وهي العروة الوثقى والبغية العظمى والتجارة الكبرى وبها اعتناء أولى النهى وبها نالت الصوفية أجل المنى قال الله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا أي من الكرب والمضايق ويرزقه من حيث لا يحتسب ت عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكثر ما يدخل الناس الجنة فقال تقوى الله وحسن الخلق وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار فقال الفم والفرج عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أولى الناس بي المتقون من كانوا وحيث كانوا وفضائل التقوى كثيرة عد الغزالي رحمة الله عليه اثنتي عشرة منها وهي مذكورة في هذه الابيات

شعر

فضائل تقوى مدح رب وحفظه
ونصر نجاة من عظام بليعة
واصلاح أعمال وغفران ذنبه
وعز واكرام قبول لطاعة
وبشرى لدى موت وحب الهنا
نجاة من النار الخلود وجنة

ويحكى انه جاء سائل يسأل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فقال لابنه اعطه دينارا فلما ذهب السائل فقال له ابنه تقبل الله منك يا أبتاه

ورحيم بهما يارب يارب يارب ياالله ياالله ياالله ثم قم وأنت رافع يديك وادع بهذا الدعاء ثم نم حيث شئت
مستقبل القبلة على يمينك وصل على النبي صلى الله عليه وسلم وادم الصلاة عليه حتى يذهب بك النوم فقلت له
أحب ان تعلمني ممن سمعت هذا الدعاء فقال اني حضرت محمدا صلى الله عليه وسلم حيث علم هذا الدعاء وأوحى
اليه به وكنت عنده وكان ذلك بحضرمني فتعلمته ممن علمه اياه ويقال ان هذه الصلاة وهذا الدعاء من داوم
عليه بحسن يقين وصدق نية رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامه قبل ان يخرج من الدنيا وقد فعل ذلك
بعض الناس فرأى انه دخل الجنة ورأى فيها الانبياء ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلمه وعلمه
ولهذا فضائل كثيرة اختصرناها للايجاز

(الفصل الثاني عشر) في ذكر الوتر وفضل الصلاة بالليل *عن مبارك بن عوف الاحسي عن عمر بن
الخطاب قال ان الاكياس الذين يوترون أول الليل وان الاقوياء يوترون آخر الليل وهو أفضل وقد روي
في خبر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل أبا بكر رضي الله عنه متى توتر فقال من أول الليل قبل ان أنام
وقال لعمر رضي الله عنه متى توتر فقال من آخر الليل فقال لابي بكر حذر هذا وقال لعمر قوي هذا وفي بعض
الاخبار انه قال لابي بكر مثلك كالذي قال أحرزت نهبي وابتغي النوافل وقال لعمر انك لقوي مكين وروينا
عن عثمان رضي الله عنه انه قال أما أنا فاوتر أول الليل فاذا استيقظت صليت ركعة شفعتها وترى فما
شبهتها الا كالغريبة من الابل ضممتها الى اخواتها ثم أوترت من آخر صلاتي والمشهور عنه من فعله انه كان
يحيي الليل كله بركعة واحدة يختم فيها القرآن وهي وتره وروينا عن علي عليه السلام انه قال الوتر على ثلاثة
انحاء ان شئت أوترت أول الليل ثم صليت ركعتين ركعتين وان شئت أوترت بركعة فاذا استيقظت شفعت
اليها أخرى ثم أوترت من آخر الليل وان شئت أخرت الوتر حتى يكون آخر صلاتك وفي حديث ابن عمر صلاة
الليل مثنى مثنى فاذا خفت الصبح فاوتر بركعة وهذا أحب الوجوه الي وقال مجاهد قال عبد الله بن عمر من صلى
أربعا بعد العشاء كن كعدلهن من ليلة القدر قال حصين فذكرت ذلك لابراهيم فقال كان عبد الله بن
مسعود يكره ان تتبع كل صلاة بمثلها وكانوا يصلون العشاء ثم يصلون ركعتين ثم أربعا فمن بدا له ان يوتر أوتر
ومن اراد أن ينام نام وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوتروا يا أهل القرآن من كل الليل وقالت عائشة
رضي الله عنها قد أوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم من أوله وأوسطه وانتهى وتره الى السحر وفي الخبر كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوتر عند الاذان ويصلي ركعتين عند الاقامة وسأل رجل عليا عليه السلام عن
وقت الوتر فسكت عنه ثم خرج اليهم عند الاذان لصلاة الفجر فقال أين السائل عن الوتر هذا وقت وتر حسن
أبو امامة عن عمرو بن عنبسة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان أقرب ما يكون الرب عز وجل
من العبد جوف الليل الاخير فان استطعت ان تكون ممن يذكر الله سبحانه وتعالى في تلك الساعة فكن
أبو ذر الغفاري قال قلت يا رسول الله أي الليل الصلاة فيه أفضل قال نصف الليل الغابر يعني الباقي وسأل
رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام أي الليل اسمع فقال ان العرش يهتز من السحر وقد روي
في الخبر ان في الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله خيرا الا أعطاه وروي في خبر آخر يصلي أو يدعو الا
استجاب له وهي في كل ليلة ويقال ان في الليل وقتا الابدان ينام فيه وتعمل كل ذي عين الا الحي الذي
لا يموت فاعلها هذه الساعة وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا مضى نصف الليل وفي لفظ آخر اذا بقي
ثلث الليل الاخير نزل الجبار سبحانه وتعالى الى السماء الدنيا فقال لا يسأل عن عبادي غيري هل من تائب
فأتوب عليه هل من مستغفر فاغفر له هل من داع فاستجيب له هل من سائل فاعطيه كذلك حتى يطلع
الفجر وفي حديث عمرو بن عبسة ان الصلاة آخر الليل فانها مشهودة محضورة يعني يحضرها ملائكة الليل
وملائكة النهار

(الفصل الثالث عشر) فيه كتاب جامع ما يستحب ان يقول العبد اذا استيقظ من نومه للتهجد وفي يقظته

غفر الله ذنوبه ولو كانت
مثل زبد البحر واذا لبست
ثيابك فانوبه ستر العورة
ي عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال من لبس ثوبا
فقال الحمد لله الذي كساني
هذا ورزقنيه من غير حول
مني ولا قوة غفر الله له
ما تقدم من ذنبه واحذر
الحرير وجوبا وثوب الجمال
أدبا خرج عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال من
لبس الحرير في الدنيا لم
يلبسه في الآخرة د عنه
صلى الله عليه وسلم من ترك
لبس الجمال وهو يقدر عليه
وفي رواية تواضعا كساه
الله حلة الكرامة واذا
خرجت من بيتك فارفع
طرفك الى السماء وقل
بسم الله توكلت على
الله اللهم اني أعوذ بك ان
أضل أو أضل او ازل أو
أزل أو اظلم أو أظلم أو
اجهل أو يجهل علي ي قال
رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما يمنع أحدكم اذا عسر
عليه أمر معيشته ان يقول
اذا خرج من بيته بسم الله
على نفسي ومالي وديني
اللهم رضني بقضائك وبارك
لي فيما قدر لي حتى لا أحب
تعجيل ما أخرت ولا تأخير
ما عجلت واذا قصدت قضاء
الحاجة فراع سننه وآدابه
الى ان تخرج كتحية ما فيه
اسم الله أو القرآن وقدم
اليسرى في الدخول
واليمنى في الخروج وان

أفضل الصلوات عند الله عز وجل صلاة المغرب لم يحطها عن مسافر ولا مقيم فتح بها صلاة الليل وختم بها صلاة النهار فمن صلى المغرب وصلى بعدها ركعتين بنى الله له قصرين في الجنة لا أدري من ذهب أو فضة ومن صلى بعدها أربع ركعات غفر الله له ذنوب عشرين سنة أو قال أربعين سنة أبو سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى ست ركعات بعد المغرب عدلت له عبادة سنة أو كأنه أحيا ليلة القدر سعيد بن جبير عن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عكف نفسه ما بين المغرب والعشاء في مسجد جماعة لم يتكلم الا بصلاة أو قرآن كان حقا على الله سبحانه وتعالى ان يبنى له قصرين في الجنة مسيرة كل قصر منهما مائة عام ويغرس له بينهما غراسا لو طافه أهل الدنيا لوسعهم محمد بن الحجاج سمع عبد الكريم بن الحرث يحدث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من ركع عشر ركعات ما بين المغرب والعشاء بنى له قصر في الجنة فقال عمر اذا تكثر قصورنا يا رسول الله قال الله أكبر وأفضل أو قال وأطيب أبو عائشة السعدى وأبو حفص العوفى عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى المغرب في جماعة ثم صلى بعدها ركعتين ولم يتكلم بشيء فيما بين ذلك من أمر الدنيا يقرأ في الركعة الاولى بفاتحة الكتاب وعشر آيات من أول البقرة وآيتين من وسطها وهي والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم الى آخر الآيتين وقل هو الله أحد خمس عشرة مرة ثم يركع ويسجد فاذا قام الى الركعة الثانية قرأ بفاتحة الكتاب وآية الكرسي وآيتين بعدها الى قوله تعالى أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون وثلاث آيات من آخر البقرة من قوله عز وجل لله ما في السموات الى آخرها وقل هو الله أحد خمس عشرة مرة بنى له في جنات عدن ألف مدينة من الدر والياقوت في كل مدينة ألف قصر في كل قصر ألف دار في كل دار ألف حجرة في كل حجرة ألف صفة في كل صفة منها ألف خيمة في كل خيمة ألف سرير من أصناف الجواهر على كل سرير ألف فراش بطائنها من استبرق وظواهرها من نور منضد وألف مرفقة من هذا الطرف من السرير وألف مرفقة من الطرف الآخر وفوق تلك الفرش زوجة من الحور العين لا توصف بشيء الا زادت عليه جمالا وكمالا لو راها الملك المقرب ولا نبي مرسل الا افتتن بحسنها قد ملأ ما كتفاها ما بين طرفي السرير على كل زوجة منهن ألف حلة لا توارى حلة حلة ولا توارى الحلل كلها الجلد يرى بعضها من تحت بعض كما يرى السلك من الياقوتة وكما يرى الشراب الاحمر من الزجاجة البيضاء لكل زوجة منهن مائة ألف وصيف ومائة ألف جارية ومائة ألف قهرمان على قصورها وضياعها هذا الهاخاصة سوى خدم زوجها في كل خيمة منهن نهر من التسنيم ونهر من الكوثر وعين من الكافور وعين من الزنجبيل وعين من السلسبيل وغصن من شجرة طوبى وغصن من سدرة المنتهى في كل خيمة ألف مائدة من الدر والياقوت أدنى مائدة منها مثل استدارة الدنيا مرتين على كل مائدة منها ألف صحفة صحاف من ذهب مكللة بالدر والجوهر في كل صحفة منها مائة ألف لون من طعام مختلف طعمه ولونه وريحه يعطى الله سبحانه وتعالى ولي المؤمن من القوة ما يأتي على تلك الاطعمة ومثلها من الاشربة ويأتي على أولئك الازواج كلهن في مقدار يوم من ايام الدنيا فسبحان الملك الوهاب القادر على ما يشاء رب العالمين عبد الرحمن بن منده عن سعد بن سعيد عن كرز بن وبرة قال وكان وبرة من الابدال قال قلت للخضر عليه السلام علمني شيأ أعمله في ليلي فقال اذا صليت المغرب فقم الى صلاة العشاء الآخرة مصليا من غير ان تكلم أحدا واقبل على صلاتك التي أنت فيها وسلم في كل ركعتين واقرأ في ركعة بفاتحة الكتاب مرة وقل هو الله أحد سبع مرات فاذا فرغت من صلاتك انصرف الى منزلك ولا تكلم أحدا وصل ركعتين واقرأ بفاتحة الكتاب مرة وقل هو الله أحد سبع مرات في كل ركعة ثم اسجد بعد تسليمك واستغفر الله سبحانه وتعالى سبع مرات وصل على النبي صلى الله عليه وسلم سبع مرات وقل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم سبع مرات ثم ارفع رأسك من السجود واستو جالسا وارفع يديك وقل يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والاكرام يا اله الاولين والآخرين يا رحمن الدنيا والآخرة

وغادروك باطباق الثرى وغدوا
ما آنسوك ولا آووا ولا صرفوا
عنك الشدائد بل خلفت منجدلا
فردا وحيدا وولى القوم وانصرفوا
وخلفوك غريبا لا وسادة لك
مهدا عن صعيد القبر ملتحف
اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها
أنت وليها ومولاها

(فصل) اعلم ان الحيلة في انقياد النفس لعمل التقوى ان تذللها وتكسر هواها بحمل اثقال العبادات عليها ومنعها شهواتها والاستعانة بالله والتضرع اليه بان يعينك بان الدابة الحرون اذا زيد في حملها ونقص علفها انقادت بعون الله وأما حل أثقال العبادات عليها فبان تقسم أوقاتك في يومك وليلتك وتجعل في كل وقت عبادة أو شغلا تستعين به على طاعة الله تعالى من حين تنتبه من نومك الى نومك بالليل فاذا انتبهت من النوم فاجتهد ان تذكر الله تعالى بقلبك ولسانك وقل الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا واليه البعث والنشور وى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من عبد يقول عند رد الله تعالى روحه لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير الا

العبد يوصف من نعت بالخشوع والأنذار وخص بالمزيد والاستبشار في قوله عز وجل فلما حضروه قالوا انصتوا فلما قضي ولوا الى قومهم منذرين وفي قوله عز وجل فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون ويكون من نعت من مدحه بالعلم وأثنى عليه بالرجاء ووصفه بالخوف في قوله تعالى يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقال عز وجل يدعون ربهم خوفا وطمعا فكان هذا من أهل الله وخاصته ومن محبيه وخالصته كما روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل القرآن أهل الله وخاصته من خلقه وقال ابن مسعود لا على أحدكم ان يسأل عن نفسه الا القرآن فان كان يحب القرآن فهو يحب الله وان لم يكن يحب القرآن فليس يحب الله وهذا كما قال لانك اذا أحببت متكلما أحببت كلامه واذا كرهته كرهت مقاله وقال أبو محمد سهل من علامة الايمان حب الله عز وجل ومن علامة حب الله حب القرآن ومن علامة حب القرآن حب النبي صلى الله عليه وسلم وعلامة حب النبي صلى الله عليه وسلم اتباعه وعلامة اتباعه الزهد في الدنيا وحدثونا عن بعض المريدين قال كنت في جدة ارادتي قد لهجت بتلاوة القرآن ثم رهقتني فترة فبقيت أياما لا أقرأ فهتف بي هاتف من قبل الله عز وجل ان كنت تحبني فلم جفوت كتابي أما ترى ما فيه من لطيف عتابي وقال بعض العارفين لا يكون المريد مريدا حتى يجد في القرآن كل ما يريد ويعرف منه النقصان والمزيد ويستغني بالمولى عن العبيد وأقل ما قيل في العلوم التي يحويها القرآن من ظواهر المعاني المجموعة فيه أربعة وعشرون ألف علم وثمانمائة علم اذ لكل آية علوم أربعة ظاهر وباطن وحد ومطلع وقد يقال انه يحوي سبعة وسبعين ألف علم ومائتين من علوم اذ لكل كلمة علم وكل علم عن وصف فكل كلمة تقتضي صفة وكل صفة موجبة أفعالا حسنة وغيرها على معانيها فسبحان الفتاح العليم

(الفصل الثامن عشر) فيه كتاب ذكر الوصف المنكر وهو من نعت الغافلين فاذا خالف التالي هذا الوصف الذي شرحناه أو كان على ضد ذلك من السهو والغفلة والعمى والحيرة تحدثا لنفسه مصغيا الى هواه ووسوسة عدوه متوهما الظنون عاكفا على الاماني خفت عليه ان يكون بمعاني ما قال الله عز وجل ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب الا أماني يعني الا تلاوة القرآن لا غير وان هم الا يظنون فوصفهم بالظن وهو ضد اليقين كما أخبر عن الظانين في قولهم ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين وبمعنى ما قال وكأين من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون فالقرآن من أجل آيات الارضين والسموات الدالة على فاطرهما ومنزله (٣) وكان يوصف من يردده بعلمه فيه عند استماعه لكلامه العزيز بمقتها ونابه مناجيا لغيره ان يقول تعالى نحن أعلم بما يستمعون به اذ يستمعون اليك واذ هم نجوى ومثل من يستمع وقلبه مشغول عن المسموع بما يضره عما ينفعه حتى اذا خرج عن الكلام سأل من حضر بقلبه ماذا فهم من الخطاب الذي كان هو عنه بغفلته قد غاب وقد كان حاضرا بجسمه تجاه عليه فمن ذلك قوله عز وجل ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفا قال الله تعالى أولئك الذين طبع الله على قلوبهم أي عن فقه الخطاب فلم تسمعه القلوب ولم تعه واتبعوا أهواءهم يعني أباطيلهم وظنونهم الكاذبة ويقال ان العبد اذا تلا القرآن واستقام نظر الله اليه برحمته فاذا قرأ القرآن وخلط ناداه الله عز وجل ما لك ولكلامي وأنت معرض عني دع عنك كلامي ان لم تتب الي وروينا في الاسرائيليات أوحى الله عز وجل الى نبيه موسى وداود عليهما السلام مر عصاة بني اسرائيل ان لا يذكروني فاني آليت على نفسي ان أذكر من ذكرني واني أذكرهم باللعنة وكان يوصف من أخبر عنه اذ يقول تعالى فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا الآية وهذا وصفهم الظن الكاذب والرجاء المختلف اللذان لم يقترنا الى خوف واشفاق عصوا الله فاتهم عاجلا وتمنوا عليه المغفرة آجلا جهلا منهم بحكمته واعراضا عن أحكامه قال الله عز وجل ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق ودرسوا ما فيه ثم أخبر عن علمهم بذلك علم قول وخبر لا علم يقين ومعاينة قال سبحانه ودرسوا ما فيه أي قرؤا هذا وعلموه ولم يعملوا به فلم ينتفعوا

اعتكف لوما ابتغاء وجه الله جعل الله بينه وبين النار ثلاثة خنادق كل خندق أبعد ما بين الخافقين (٥) عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من أغاث ملهوفا كتب الله له ثلاثا وسبعين مغفرة واحدة فيها صلاح أمره كله وثنتان وسبعون له درجات يوم القيامة * عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قضى لاحد من أمتي حاجة يريد ان يسره بها فقد سرني ومن سرني فقد سر الله ومن سر الله أدخله الجنة دت عن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من رجل يعود مريضا ممسيا الا خرج معه سبعون ألف ملك يستغفرون له حتى يصبح وكان له خريف في الجنة ومن أتاه مصبحا خرج معه سبعون ألف ملك يستغفرون له حتى يمسي وكان له خريف في الجنة م عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى يقول يوم القيامة يا ابن آدم مرضت فلم تعدني قال يارب كيف أعودك وأنت رب العالمين قال أما علمت ان عبدي فلانا مرض فلم تعده أما علمت انك لو عدته لوجدتني عنده يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني قال يارب كيف أطعمك وأنت رب العالمين قال أما علمت انه استطعمك

المعنى وانما وحد الجنس فكأنه قال يا أيها الناس لتركبن طبقا عن طبق فاخر هذا الخبر انما توسطه من الكلام المتصل بالقصة ومعناه التقديم ومثل هذا قوله عز وجل ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان وقوله الا قليلا هو متصل بقوله لعلمه الذين يستنبطونه منهم الا قليلا وآخر الكلام لاتبعتم الشيطان وقد قيل ان قوله الا قليلا مستثنى من الاول فى قوله واذا جاءهم أمر من الامن أو الخوف أذاعوا به الا قليلا منهم وفى هذا بعد والاول أحب الى وعلى هذا المعنى قرأ ابن عباس فى رواية عنه لايحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم جعله متصلا بقوله تعالى ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم الا من ظلم وصار آخر الكلام لايحب الله الجهر بالسوء من القول فاصلا ومثل هذا قوله تعالى والذين كفروا بعضهم أولياء بعض الا تفعلوه تكن فتنة فى الارض انما هو من صلة قوله وان استنصروكم فى الدين فعليكم النصر الا تفعلوه تكن فتنة فى الارض وكذلك قوله فى أول السورة لهم مغفرة ورزق كريم كما أخرجك ربك من بيتك بالحق ليس هذا من صلة الكلام انما هو مقدم ومتصل فى المعنى بقوله قل الانفال لله والرسول كما أخرجك ربك من بيتك بالحق أى فصارت أنفال الغنائم لك اذ أنت راض باخراجك وهم كارهون فاعترض بينهما الامر بالتقوى والاصلاح والوصف بحقيقة الايمان والصلاح فاشكل فهمه وعلى هذا قوله عز وجل حتى تؤمنوا بالله وحده الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك انما هو موصول بقوله تعالى قد كانت لكم اسوة حسنة فى ابراهيم والذين معه الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك لانهم مازالت فى قولهم فقد استغفر ابراهيم لابيه وهو مشرك عند قوله لاستغفر لك ربى فقالوا فهلا نستغفر لآبائنا المشركين فنزلت هذه الآية ليستثنى القدوة فى ابراهيم فى هذا ثم نزلت الآية الاخرى معذرة له أو عدة اياه الى ان علم موته على الكفر فقال وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه الآية وكذلك قوله عز وجل ورضيت لكم الاسلام دينا فمن اضطر فى مخمصة غير متجانف لاثم وهذا متصل بقوله حرمت عليكم الميتة والدم الى آخر المحرمات ثم قال فمن اضطر فى مخمصة يعنى مجاعة ومثل ماذكرناه من علم القرآن كثير وانما نبهنا بيسير على كثير ودللنا بنكت على جم غفير ليستدل بما ذكرناه على نحوه ويتطرق به اليه وهذا كله على ضروب كلام العرب ومعانى استعمالهم ووجوه استحسانهم انه فى كلامهم المطول للبيان والمختصر للحفظ والمقدم والمؤخر للتحسين وكله فصيح بليغ لان وصف البلاغة عندهم رد الكثير المنثور الى القليل المجمل وبسط القليل المجمل الى المبثوث المفسر فالمقصر من الكلام عندهم مع الحاجة الى المعانى المتفرقة عجز والمطول منه مع الاكتفاء بالمعنى الجامع منه عى فلما خاطبهم بكلامهم أفهمهم بعقولهم ومستعملاتهم لحسن ذلك عندهم فيكون حجة عليهم من حيث يعقلون لانه أمرهم بما يعلمون وما يستحسنون حكمة منه ولطفا وذلك أيضا على هذه المعانى يفهم الخصوص من مكانهم ومشهدهم على علو مقامهم فى مكان ما أظهر لهم من العلم به ونصيب ماقسم لهم من العقل عنه فهم متفاوتون فى الاشهاد والفهوم بحسب تفاوتهم فى الانصبة من العقول والعلوم اذ القرآن عموم وخصوص ومحكم ومتشابه وظاهر وباطن فعمومه لعموم الخلق وخصوصه لخصوصهم وظاهره لاهل الظاهر وباطنه لاهل الباطن والله واسع عليم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه فاذا صفا القلب بنور اليقين وأيد العقل بالتوفيق والتمكين وتجرد الهم من التعلق بالخلق ونأله السر بالعكوف على الخالق وخلت النفس من الهوى سرت الروح فجالت فى الملكوت الاعلى كشف القلب بنور اليقين الثاقب ملكوت العرش عن معانى صفات موصوف وأحكام خلاق مألوف وباطن أسماء معروف وغرائب علم رحيم رؤف فشهد عن الكشف أوصاف ما عرف فقام حينئذ بشهادة ما عرف فكان ممن قال سبحانه يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به فحق التلاوة للمؤمنين لانه اذا أعطاه حقيقة من الايمان أعطاه مثلها من معناه وعلمه حقيقة من مشاهدة فكانت تلاوته عن مشاهدة وكان مزيده عن معنى تلاوته وكان ذلك على معيار حقيقة من ايمانه كما قال واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا أولئك هم المؤمنون حقا فكون

جنات عدن لهم ما يشتهون بها
فى مقعد الصدق بين الروض والزهر
الهم من الله مالا شئ يعدله
سماع تسليمه والفوز بالنظر
اللهم يسر علينا متابعتهم وأوصل الينا فتوحاتهم والحقنا بهم واحشرنا فى زمرتهم واهدنا هديهم وسلكنا طريقهم الهنا ومولانا نسألك ان تصلح شأننا وشأن اقاربنا واحبابنا وشأن ولاة أمورنا * الامر الثالث ان تشتغل بما تعين به أهل العلم والعبادة أو بما تدخل به سرورا فى قلوب المؤمنين كخدمة أهل الدين والفقهاء والصوفية وهم الزهاد النساك والتردد فى أشغالهم والسعى فى اطعام المساكين وتشييع الجنائز وعيادة المرضى وكل هذا أفضل من النوافل فان هذه عبادات فيها رفق للمسلمين قال الله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى خبر عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال الساعى على الارملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله وأحسبه قال وكالقائم لا يفتر وكالصائم لا يفطر وروى الطبرانى فى الاوسط والحاكم عن النبى صلى الله عليه وسلم من مشى فى حاجة أخيه كان خيرا له من اعتكاف عشر سنين ومن

ان العبد في قراءة القرآن بحسب ماله من تعظيمه والفهم له والمشاهدة منه والمعاملة به لانه من أكبر شعائر الله في خلقه وأعظم آياته في أرضه الدالات عليه وأسبغ نعمه الكاملة علينا وللعبد من التعظيم له بقدر تقواه وله من فهم الخطاب وتعظيم الكلام على نحو ما أعطى من معرفة المتكلم وهيبته واجلاله فاذا عظم المتكلم في قلبه وكبر في فهمه أنعم تدبر كلامه وأطال الفكر في خطابه وأكثر ترداده وتكريره على قلبه وأسرع بذكره عند النازلة به والحاجة اليه فاتق وحذر ولذلك قال سبحانه واذكروا ما فيه لعلكم تتقون وقال كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون ولعلهم يتذكرون لان كل كلام موقوف على قائله يعظم بتعظيمه ويقع في القلب بعلو مكانه أو يهون بسهولة شأنه قال الله عز وجل ليس كمثله شئ في العظمة والسلطان وليس ككلامه كلام في الاحكام والبيان وقرأت في سورة الحنين من التوراة يا عبدي أما تستحي مني يأتيك كتاب من بعض اخوانك وأنت في الطريق تمشي فتعدل عن الطريق وتقعد لاجله وتقرؤه وتتدبره حرفا حرفا حتى لا يفوتك شئ منه وهذا كتابي أنزلته اليك انظر كم وصلت لك فيه من القول وكم كررت عليك فيه فتأملت طوله وعرضه ثم أنت معرض عنه أفكنت أهون عليك من بعض اخوانك أي عبدي يقعد اليك بعض اخوانك فتقبل عليه بكل وجهك وتصغي الى حديثه بكل قلبك فان تكلم متكلم أو شغلك شاغل عن حديثه أومأت اليه أن كف وها أنا ذا مقبل عليك ومحدث لك وأنت معرض بقلبك عني فجعلتني أهون عندك من بعض اخوانك أو كما قال وانما خف القيام على أهل الليل لفهم الخطاب وثقل على أهل النوم لانفصام القلوب عن الذوق وشدة الحجاب كما قال تعالى ثقلت في السموات والارض أي خفي علمها يعني الساعة فثقلت عليهم فسمي ما خفي علمه ثقيلا والله أعلم

(الفصل التاسع عشر) كتاب فيه ذكر الجهر بالقرآن وما في ذلك من النيات وتفصيل حكم الجهر والاخفات روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال فضل قراءة السر على قراءة العلانية كفضل صدقة السر على صدقة العلانية وفي لفظ آخر الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة والمسر به كالمسر بالصدقة وفي الخبر العام يفضل عمل السر على عمل العلانية بسبعين ضعفا وفي مثله من العموم خير الرزق ما يكفي وخير الذكر الخفي وفي الخبر لا يجهر بعضكم على بعض في القراءة بين المغرب والعشاء وسمع سعيد بن المسيب ذات ليلة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن عبد العزيز يجهر بالقرآن في صلاته وكان حسن الصوت فقال لغلامه برد اذهب الى هذا المصلي فمره أن يخفض من صوته فقال الغلام ان المسجد ليس لنا وان للرجل فيه نصيبا فرفع سعيد صوته فقال يا أيها المصلي ان كنت تريد الله عز وجل بصلاتك فاخفض صوتك وان كنت تريد الناس فانهم لن يغنوا عنك من الله شيئا قال فسكت عمر وخفف ركعته فلما سلم أخذ نعليه وانصرف وهو يومئذ أمير المدينة وعلى ذلك فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع جماعة من أصحابه يجهرون بالقراءة في صلاة الليل فيصوب بذلك لهم ويسمع اليهم وقد أمر بالجهر فيما روي عنه اذا قام أحدكم من الليل يصلي فليجهر بقراءته فان الملائكة وعمار الدار يستمعون الى قراءته ويصلون بصلاته ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثلاثة من أصحابه في الليل مختلفي الاحوال منهم من كان يخافت وهو أبو بكر رضي الله عنه فسأله عن ذلك فقال ان الذي أناجيه يسمعني ومنهم من كان يجهر وهو عمر رضي الله عنه فسأله عن ذلك فقال أوقظ الوسنان وأزجر الشيطان ومنهم من كان يقرأ آيا من هذه السورة ومن هذه السورة وهو بلال فسأله عن ذلك فقال اخلط الطيب بالطيب فقال كلكم قد أحسن وأصاب فنقول والله أعلم ان المخافتة بالقراءة أفضل اذا لم تكن للعبد نية في الجهر أو كان ذاهبا عن الهمة والمعاملة بذلك لانه أقرب الى السلامة وأبعد من دخول الآفة وان الجهر أفضل لمن كان له نية في الجهر ومعاملة ومراد به لانه قد قام بسنة قراءة الليل ولان المخافت نفعه لنفسه والجهر نفعه له ولغيره وخير الناس من ينفع الناس والنفع بكلام الله عز وجل أفضل المنافع ولانه قد ادخل عملا ثانيا يرجو به قربة

ربكم الذي وعدكم الثواب الجزيل على العمل القليل وجدوا في التزود لسفركم الخطير تظفروا بالفضل الغزير ولا تهملوا أنفسكم في اتباع الشهوات فلا تندموا يوم تبدو الخفيات وأعينوا أهل الطاعات تنالوا أجل البغيات قال أبو بشر كانت جارة لمنصور بن المعتمر وكان لها بنتان لا يصعدان الى السطح الا بعد أن ينام الناس فقالت احداهما ذات ليلة يا أماه ما فعلت القائمة التي كنت أراها على سطح فلان فقالت يا بنية لم تكن تلك القائمة انما كان ذلك منصورا يحيي الليل كله في ركعة لا يركع فيها ولا يسجد فقالت يا أماه بلغ به الفرق من النار هذا قال فعل قالت يا بنية مات فقالت يا أماه انطلقي فاشتري لي مدرعة أتعبد فيها فوالله لا يجمع رأسي ورأس رجل أبدا رجل لا ينام الليل عشرين سنة فرقا من النار فاشترت لها مدرعة من شعر فدخلت البيت ودخلت أختها معها في العبادة فتعبدتا بعد ذلك عشرين سنة لا تنامان الليل ولا تفطران النهار رضي الله عنهما وعن أمهما التي أعانتهما على عبادة ربهما وهي الام الحنونة المساعدة على الخير الدافعة عن بناتها النار بخلاف

بشيء منه فكان هذا توبيخا لهم وتقريعا كقوله تعالى قل بئسما يأمركم به ايمانكم ان كنتم مؤمنين وفيها
وجه غريب ودرسوا ما فيه أي محوه بترك العمل به والفهم له من قولك درست الريح الآثار اذا محتها وخط
دارس وربع دارس اذا امحى وعفى أثره وهذا المعنى مواطئ لقوله تعالى نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب
كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون واتبعوا ما تتلو الشياطين أي ما تتبع وتهوى ومواطئ لقوله تعالى
فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون فسمى ترك العمل منهم به في كل حالة طرحا له والقاء
ونفيا له وبيعا له وبالدنيا اشتراء وكل آية في التهدد والوعيد فللعاقلين منها وعظ وتخويف وللغافلين عنها
وصف وتعريف علمه من علمه كقوله تعالى في ذكر النار ذلك يخوف الله به عباده يا عبادي فاتقون وقال في
خبرها أعدت للكافرين وقال بعض السلف ان العبد ليفتتح سورة فتصلي عليه الملائكة حتى يفرغ منها وان
العبد ليفتتح سورة فتلعنه حتى يفرغ منها فقيل وكيف ذلك قال اذا أحل حلالها وحرم حرامها صلت عليه والا
لعنته وقال بعض العلماء ان العبد ليتلو القرآن فيلعن نفسه وهو لا يعلم يقول ألا لعنة الله على الظالمين
وهو ظالم ألا لعنة الله على الكاذبين وهو منهم وقال سفيان في قوله تعالى سأصرف عن آياتي الذين
يتكبرون في الارض بغير الحق قال أصرف عنهم فهم القرآن وفي الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا
عظمت أمتي الدنيا والدرهم نزع منها هيبة الاسلام واذا تركوا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر حرموا بركة
الوحي قال الفضيل حرموا فهم القرآن وفي الاخبار من ذم قراءة البطالين أكثر من أن تذكر فمنها ما روى
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال أكثر منافقي أمتي قراؤها وكان الحسن يقول انكم اتخذتم قراءة القرآن
مراحل وجعلتم الليل جملا فأنتم تركبونه فتقطعون به مراحله وان من كان قبلكم رأوه رسائل أتتهم من
ربهم فكانوا يتدبرونها بالليل وينفذونها بالنهار وكان ابن مسعود من قبله يقول أنزل عليهم القرآن
ليعملوا به فاتخذوا دراسته عملا ان أحدهم ليتلو القرآن من فاتحته الى خاتمته ما يسقط منه حرفا وقد أسقط
العمل به وفي حديث ابن عمر وحديث جندب لقد عشنا برهة من دهرنا وأحدنا يؤتى الايمان قبل القرآن
فتنزل السورة على محمد صلى الله عليه وسلم فيتعلم حلالها وحرامها وأمرها وزجرها وما ينبغي ان يقف عليه
منها كما تعلمون أنتم القرآن ثم بعد لقد رأيت رجالا يؤتى أحدهم القرآن قبل الايمان فيقرأ ما بين فاتحته
الى خاتمته لا يدري ما أمره ولا زجره ولا ما ينبغي ان يقف عنده منه فينثره نثر الدقل وهذا كما قال لان المراد
والمقصود بالقرآن الائتمار لاوامره والانتهاء عن زواجره اذ حفظ حدوده مفترض ومسؤل عنه العبد
ومعاقب عليه وليس حفظ حروفه فريضة ولا عقاب على العبد اذا لم يحفظ ما وسعه منه قال الله عز وجل انا
سنلقي عليك قولا ثقيلا أي العمل به ثقيل والا فقد يسره للذكر ومن ذلك الخبر المأثور عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم اقرؤا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم ولانت له جلودكم فاذا اختلفتم فلستم تقرؤنه وفي بعضها
فاذا اختلفتم فقوموا عنه وحدثني شيخ فاضل قرأت عليه القرآن قال قرأت القرآن على شيخ لي فلما ختمت
رجعت اليه لاقرأ فانتهرني وقال جعلت القرآن علي عملا اذهب فاقرأ على الله عز وجل فانظر ماذا يسمعك
منه وبم يفهمك عنه وقد كان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من لا يحفظ الا الجزء والجزأين والسور
المعدودة وسورتين وكان من يحفظ الحزب منه وهو السبع أو البقرة والانعام عالما فيهم وقبض رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن عشرين ألف صحابي لم يقرؤا القرآن غير نفر فلم يحفظ القرآن كله منهم الا
ستة اختلف منهم في اثنين وقال بعضهم ولم يكن جمعه من الخلفاء الاربعة أحد وختم ابن عباس على
أبي بن كعب وقرأ عبد الرحمن بن عوف على ابن عباس وقرأ عثمان بن عفان على زيد بن ثابت وقرأ أهل
الصفة على أبي هريرة وكلهم كان متبعا للاوامر مجتنبا للزواجر عالما به فقيها فيه وقال يوسف بن اسباط
وقد قيل له اذا ختمت القرآن بأي شيء تدعو فقال بأي شيء أدعو استغفر الله عز وجل مائة مرة من تلاوتي
وكان يقول اني لاهم بقراءة القرآن فاذا ذكرت ما فيه خشيت المقت فاعدل الى التسبيح والاستغفار واعلم

عبدي فلان فلم تطعمه أما
علمت انك لو أطعمته
لوجدت ذلك عندي يا ابن
آدم استسقيتك فلم تسقني
قال يا رب كيف أسقيك
وأنت رب العالمين قال
استسقاك عبدي فلان فلم
تسقه أما علمت انك لو سقيته
لوجدت ذلك عندي خرج
عن النبي صلى الله عليه
وسلم من اتبع جنازة مسلم
ايمانا واحتسابا وكان معه
حتى يصلى عليها ويفرغ
من دفنها فانه يرجع من
الاجر بقيراطين كل قيراط
مثل أحد ومن صلى عليها ثم
رجع قبل ان تدفن فانه
يرجع بقيراط وعنه
صلى الله عليه وسلم قال الخلق
عيال الله فأحب الخلق الى
الله من أحسن الى عياله
وروي ان رجلا من أهل
الشام قال دخلت المدينة
فرأيت رجلا راكبا على بغلة
لم أر أحسن سمتا ولا ثوبا ولا
دابة منه فمال قلبي اليه
فسألت عنه فقيل لي هذا
علي بن حسين قال فامتلأ
قلبي له بغضا وحسدت عليا
ان يكون له ابن مثله فقلت
له بك وبأبيك أسب عليا فلما
انقضى كلامي قال أحسبك
غريبا قلت أجل قال فمل بنا
فان احتجت الى منزل أنزلناك
أو الى مال واسيناك أو الى
حاجة عاوناك قال فانصرف
وما على وجه الارض أحب
الى منه أيها الناس أطيعوا

الصلاة والتلاوة حتى جاء البغداديون بدقائق الرياء وخفايا الآفات فسكت المتعبدون فلم يزل ذلك ينقص حتى ذهب وانقطع وترك إلى اليوم فان لم يكن للتالي نية في شيء مما ذكرناه وكان ساهيا غافلا عن ذلك وكان واقفا مع شيء من الآفات أو لمح في قلبه شخص أو ساكن ذكرهوى فقد اعتل فعليه ان يحتمي الجهر فان جهر على ثقل قلبه فسد عمله لاستكان الداء فيه وكان الى النقصان أقرب ومن الاخلاص أبعد فعليه حينئذ بالاخلاص فهو دواؤه يعالج به حاله فانه أصلح لقلبه وأسلم لعمله وأحمد في عاقبته وقد يكون العبد واجدا لحلاوة الهوى في الصلاة والتلاوة وهو يظن ان ذلك حلاوة الاخلاص وهذا من دقيق شأن الشهوة الخفية ولطيف الانتقاص وقد يلتبس ذلك على الضعفاء ولا يفطن له الا العلماء وانما يجد حلاوة الاخلاص الزاهدون في الدنيا وفي مدح الناس لهم به ويتلذذون بنعيم المعاملة وصدق الخدمة المحبون لله عز وجل الخائفون منه واعتبار فقد ذلك باحد شيئين سقوط النفس باستواء المدح والذم وهذا حال في مقام الزهد أو الخلو من القلب بشهادة اليقين وهذا في مقام المعرفة وفي هذين المقامين يستوي السر والعلانية وقد تكون العلانية أفضل لائمة التقوى والعدل وحدثت عن رجل من أهل الخير قال كنت اقرأ في السحر في غرفة لي شارعة سورة طه فلما ختمتها اغفوت بعدها غفوة فرأيت شخصا نزل من السماء بيده صحيفة بيضاء فنشرها بين يدي فاذا فيها سورة طه واذا تحت كل كلمة عشر حسنات مثبتة الا كلمة واحدة فاني رأيت مكانها محوا ولم ار تحتها شيأ فعمني ذلك فقلت قد والله قرأت هذه الكلمة ولم أر لها ثوابا ولا أراها أثبتت فقال الشخص صدقت قد قرأتها وكتبناها الا انا سمعنا مناديا ينادي امحوها واسقطوا ثوابها فمحوناها فبكيت في منامي وقلت لم فعلتم ذلك قالوا مر رجل فرفعت صوتك بها لاجله فمحوناها وقد روينا ان النبي صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يجهر بقراءته فناداه يا فلان اسمع الله ولا تسمعني واعلم ان السمعة مقرونة بالرياء ومحكوم لها بحكمه من فساد العمل ونقصان العامل وهي مأخوذة من السمع كان العبد يسمع بعمله غير الله عز وجل ويحب ان يسمع به مخلوق ليحمد به لغلبة هواه وضعف نفسه فيكون قد أشرك في عمله غير الله عز وجل فيبطل عمله لجهله بالتوحيد اذ لو علم يقينا ان لا نافع الا الله عز وجل ولا ضار ولا معطي ولا مانع الا اياه لخلص له توحيده من الشرك فخلص له عمله من الرياء وكذلك الرياء مأخوذ من رأي العين فالسمعة هي بمعناه وفي الخبر لا يقبل الله عز وجل من مسمع ولا مراء وفي خبر آخر من سمع سمع الله به ومن راءى راءى الله به وصغره وحقره فأما من كانت له نية صالحة في ان يسمع أخاه كلام الله ليتعظ به ويتدبره أو ينتفع باستماعه ويتذكر به فليس داخلا في السمعة لوجود حسن النية وصحة القصد ولفقد اقتران الآفة لارادة طمع عاجل من مدح أو غرض دنيا كما قال أبو موسى لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو علمت انك تسمع لحبرته لك تحبيرا فلم ينكر عليه لانه ذو نية في الخير وحسن قصد به وقال للآخر الذي رفع صوته بالآية أسمع الله عز وجل ولا تسمعني فانكر عليه لما شهد السمعة فيه وقد روينا انه صلى الله عليه وسلم مر برجل يظهر التأوه والوجل فقال من كان معه يا رسول الله أتراه مرائيا فقال لا بل أواه منيب واعلم ان الأكل والنوم على السلامة والصدق أفضل في الحال وارفع في المقام واحمد في المآل من القيام والصيام على يسير من التصنع والتزين للخلق ومعرفة هذا والقيام به هو موضع علم العلماء بالله عز وجل وحدثنا عن الحسن البصري قال تفقدوا الحلاوة في ثلاث فان وجدتم فابشروا وامض لقصدك وان لم تجدها فاعلم ان بابك مغلق عند تلاوة القرآن وعند الذكر وفي السجود وزاد غيره وعند الصدقة وبالاسحار وقراءة القرآن في المصحف أفضل من قراءته عن ظهر قلب قال الختمة بسبع ختم لان النظر في المصحف عبادة وكان كثير من الصحابة والتابعين يقرؤن في المصحف ويستحبون ان لا يخرج يوما الا نظر وافيه وخرق عثمان مصحفين من كثرة درسه فيهما

(الفصل العشرون) في ذكر احياء الليالي المرجو فيها الفضل المستحب احياؤها وذكر مواصلة

ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم أي بالتجارة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من طلب الدنيا حلالا استعفافا عن المسألة وسعيا على أهله وتعطفا على جاره لقي الله يوم القيامة ووجهه مثل القمر ليلة البدر ومن طلب الدنيا حلالا مكاثرا مفاخرا مرائيا لقي الله تعالى وهو عليه غضبان رواه البيهقي وأبو نعيم فينبغي ان تنوي بكسبك الاستعفاف عن المسألة والتعطف على الجار والسعي على العيال لتنال هذه الدرجة ت عن النبي صلى الله عليه وسلم التاجر الصدوق الامين مع النبيين والصديقين والشهداء ت عنه صلى الله عليه وسلم التجار يحشرون يوم القيامة فجارا الا من اتقى وبر وصدق خ م عنه صلى الله عليه وسلم البيعان بالخيار مالم يتفرقا وبينا فان صدقا بورك لهما في بيعهما وان كتما وكذبا محقت بركة بيعهما وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال البركة في التجارة وصاحبها لا يفتقر الا تاجر حلاف مهين م قال النبي صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يغرس غرسا الا كان ما أكل منه له صدقة ولا يرزؤه أحد الا كان له صدقة وفي رواية ولا يغرس المسلم غرسا فأكل منه

ثانية على عمله الاول فكان في ذلك أفضل وليجعل العبد مفتاح درسه ان يقول أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون وليقرأ قل أعوذ برب الناس وسورة الحمد قبلها وليقل عند فراغه من كل سورة صدق الله وبلغ رسول الله اللهم انفعنا به وبارك لنا فيه الحمد لله رب العالمين استغفر الله الحي القيوم ومن حفظ جوارحه وقلبه عن المنهي فقد عمل بالقرآن الى خاتمته لانه مقسط على جملة العبد وجوارحه جملة وفي الجهر بالقراءة سبع نيات منها الترتيل الذي أمر به ومنها تحسين الصوت بالقرآن الذي ندب اليه في قوله صلى الله عليه وسلم زينوا القرآن باصواتكم وفي قوله ليس منا من لم يتغن بالقرآن أي يحسن به صوته وهو أحد الوجهين وأصحهما الى أهل العربية والوجه الآخر أي من لم يستغن به من الغنية والاكتفاء وقد قال من هذا الوجه يتغانى به ومنها ان يسمع أذنيه ويوقظ قلبه ليتدبر الكلام ويتفهم المعاني ولا يكون ذلك كله الا في الجهر ومنها ان يطرد الشيطان والنوم عنه برفع صوته ومنها ان يرجو بجهره يقظة نائم فيذكر الله عز وجل فيكون هو سبب احيائه ومنها ان يراه بطال غافل فينشط للقيام ويشتاق الى الخدمة فيكون معاونا له على البر والتقوى ومنها ان يكثر بجهره تلاوته ويدوم قيامه على حسب عادته للجهر ففي ذلك كثرة عمله فاذا كان العبد معتقدا لهذه النيات طالبا لها ومتقربا الى الله سبحانه وتعالى عالما بنفسه مصححا لقصده ناظرا الى مولاه الذي استعمله فيما رضاه فجهره أفضل لان له فيه اعمالا وانما يفضل العمل بكثرة النيات فيه وارتفع العلماء وفضلت اعمالهم بحسن معرفتهم بنيات العمل واعتقادهم لها فقد يكون في العمل الواحد عشر نيات يعلم ذلك العلماء فيعملون بها فيعطون عشرة أجور وأفضل الناس في العمل أكثرهم نية فيه وأحسنهم قصدا وأدبا وفي بعض التفاسير في قوله عز وجل وأما بنعمة ربك فحدث قال قراءة القرآن وفي الخبر من استمع الى آية من كتاب الله عز وجل كانت له نورا يوم القيامة وفي خبر آخر كتب له عشر حسنات والتالي شريك المستمع في الاجر لانه أكسبه ذلك وقال بعضهم للقارئ أجر وللمستمع أجران وقال آخر للمستمع تسعة أجور وكلاهما صحيح لان كل واحد منهما على قدر انصاته ونيته فاذا كان التالي مكسبا لغيره هذه الاجور فان له بكل أجر أكسبه اياه أجرا يكتسبه لقوله صلى الله عليه وسلم الدال على الخير كفاعله سيما اذا كان عالما بالقرآن فقيها فيه فيكون مقرأه ووقوفه حجة وعلما للسامعه وفي الخبر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينتظر عائشة رضي الله عنها فابطأت عليه فقال ما حبسك فقالت يا رسول الله كنت استمع قراءة رجل ما سمعت صوتا أحسن منه فقام صلى الله عليه وسلم حتى استمع اليه طويلا ثم رجع فقال هذا سالم مولى أبي حذيفة الحمد لله الذي جعل في أمتي مثله واستمع أيضا ذات ليلة الى قراءة عبد الله بن مسعود ومعه أبو بكر وعمر رضي الله عنهم فوقفوا طويلا ثم قال من أراد ان يقرأ القرآن غضا كما أنزل فليقرأ على قراءة ابن أم عبد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن مسعود اقرأ فقال يا رسول الله اقرأ وعليك أنزل فقال اني أحب ان أسمعه من غيري فكان يقرأ وعينا رسول الله صلى الله عليه وسلم تفيضان وذلك عند قوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا واستمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قراءة أبي موسى فقال لقد أوتي هذا مزمارا من مزامير داود فبلغ ذلك أبا موسى فقال يا رسول الله لو علمت انك تسمع الي لحبرت لك تحبيرا وكان ابن مسعود يأمر علقمة بن قيس ان يقرأ بين يديه فيقول له رتل فداك أبي وأمي وكان حسن الصوت بالقرآن وفي الخبر كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اجتمعوا أمروا أحدهم ان يقرأ سورة من القرآن وقد كان عمر يقول لابي موسى رضي الله عنهما ذكرنا ربنا فيقرأ عنده حتى يكاد وقت الصلاة ان يتوسط فيقال يا أمير المؤمنين الصلاة الصلاة فيقول أولسنا في صلاة فكانه يتأول قوله عز وجل ولذكر الله أكبر وقال بعض عباد البصريين لما وضع بعض البغداديين كتابا في معاني الرياء ودقائق آفات النفوس قال لقد كنت أمشي بالليل أسمع أصوات المتهجدين كانها أصوات المازيب فكان في ذلك أنس وحث على

نساء زماننا الغاشات لانفسهن ولاولادهن فكاني بهن وقد تناثرت لحومهن وسعت الديدان في خدودهن وشعورهن وتتابعت عليهن الافاعي وغير ذلك من الآفات فندمن حين لا ينفعهن الندم فتوبوا الى الله تعالى من ذنوب مضت وقولوا نادمين من خطيئات سلفت شعر

يارب قد تبت فاغفر زلتي كرما

وارحم بعفوك من أخطا ومن ندما

لا عدت أفعل ما قد كنت أفعله

عمري نفذ بيدي ياخير من رحما

هذا مقام ظلوم خائف وجل

لم يظلم الناس لكن نفسه ظلما

فاصفح بعفوك عمن جاء معتذرا

واغفر ذنوب مسيء طال ما اجترما

اللهم سلمنا من آفات الدنيا وأغوال الشيطان وشهوات النفس فانا قد رجعنا اليك معتذرين عما أسلفنا وارزقنا التوبة واغفر لنا الحوبة (الامر الرابع) ان تشتغل بكسب نفسك أو عيالك وتنال بذلك درجات أصحاب اليمين دون المقربين لكن بشرط أداء الفرائض كلها واجتناب المعاصي أجمعها وسلامة المسلمين من يدك ولسانك قال الله تعالى

الثواب واذا مقت عبدا استعمله باسوأ الاعمال فى أفاضل الاوقات ليضاعف له السيآت بانتقاص حرمات الشعائر وانتهاك المحرمات فى الحرمات ويقال من علامات التوفيق ثلاث دخول أعمال البر عليك من غير قصد لها وصرف المعاصى عنك مع الطلب لها وفتح باب اللجا والافتقار الى الله عز وجل فى الشدة والرخاء ومن علامات الخذلان ثلاث تعسر الخيرات عليك مع الطلب لها وتيسر المعاصى لك مع الرهب منها واغلاق باب اللجا والافتقار الى الله عز وجل فى كل حال فنسال الله تعالى بفضله حسن التوفيق والاختيار ونعوذ به من سوء القضاء والاقدار

(الفصل الحادى والعشرون) فيه كتاب الجمعة وذكرهيآتها وآدابها وما يستحب من العمل فيها للمريد فى يومها وليلتها صلاة الجمعة واجبة باوصاف وساقطة باوصاف فوجوبها يكون بالاقامة والاستطاعة وحضور وقت الظهر وتكملة عدة أربعين رجلا أحرارا وسقوطها بالسفر ودخول وقت العصر ونقصان العدد ووقوع العذر وهى من أعمال الامراء تصلى خلف كل من أقامها منهم الانى أحب اعادتها ظهرا اذا صليت خلف مبتدع فان اجتمع فى بلد كبير جامعان صليت خلف الافضل من امامهما فان استويا فى الفضل صليت فى القديم من الجامعين فان تساويا صليت فى الاقرب منهما الا ان تكون له نية فى الابعد لاستماع علم او نشره أو تعلمه او صلاتها فى الجامع الاعظم وحيث يكون المسلمون أكثر أفضل ومن صلى فى أيهما أحب حسبت صلاته قال ابن جريج قلت لعطاء اذا كان فى المصر جامعان أو ثلاثة فى أيها أصلى قال صل حيث جمع المسلمون فانها جمعة وهو يوم عظم الله تعالى به الاسلام وزينه وشرف به المسلمين وفضلهم قال الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع الآية فالبيع والشراء محرم بعد الاذان للجمعة عند طائفة من العلماء لعموم النهى عنه ومنهم من قال يرد البيع لانه فاسد الانى أحسب ان ذلك يحرم عند الاذان الثانى وهو مع خروج الامام اذا قعد على المنبر لان هذا كان هو الاذان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهد أبى بكر وعمر رضى الله عنهما والاذان الاول أحدثه عثمان رضى الله عنه لما كثر الناس وقال الله عز وجل فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله الآية فامر عباده المؤمنين فى يوم الجمعة بالذكر له ونهاهم عن البيع وأمرهم فيه بطلب الفضل منه ووعدهم الخير والفلاح وهما اسمان جامعان لغنيمة الدنيا والآخرة وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل فرض عليكم الجمعة فى يومى هذا فى مقامى هذا وروى عنه صلى الله عليه وسلم من ترك الجمعة ثلاثا من غير عذر طبع الله على قلبه وفى لفظ حديث آخر فقد نبذ الاسلام وراء ظهره واختلف رجل الى ابن عباس فسأله عن رجل مات لم يكن يشهد جمعة ولا جماعة فقال فى النار فلم يزل يتردد اليه شهرا يسأله عنه كل ذلك يقول فى النار وتقصد الجمعة من فرسخين أو ثلاثة واستحب ابن بكر الهاء من أهل القرى فادركها وأدركه الليل فاواه الى أهله اذا رجع ان يشهدها الا انها ساقطة عن خمسة الصبى والمملوك والمرأة والمسافر والمريض فمن شهدها من هؤلاء فصلاها أجزأت عنه وكان مؤديا الفرضه وفى الخبر ان أهل الكتابين اعطوا يوم الجمعة فاختلفوا فيه فصرفوا عنه وهدانا الله عز وجل برحمته له ادخره لهذه الامة جعله عيدا لهم فهم أول الناس به سبقا وأهل الكتابين لهم تبع وفى حديث أنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم قال قال أتانى جبريل عليه السلام وفى كفه مرآة بيضاء فقال هذه الجمعة يفرضها عليك ربك لتكون لك عيدا ولامتك من بعدك قلت فما لنا فيها قال لكم فيها خير ساعة من دعا فيها بخير هو له قسم أعطاه الله عز وجل اوليس من قسم أدخر له ما هو أعظم أو يتعوذ من شر هو عليه مكتوب الا أعاذه الله تعالى من أعظم منه وهو سيد الايام عندنا ونحن ندعوه فى الآخرة يوم المزيد قلت ولم قال ان ربك عز وجل اتخذ فى الجنة واديا أفيح من مسك أبيض فاذا كان يوم الجمعة نزل من عليين على كرسيه وذكر الحديث قال فيه ويتجلى لهم حتى ينظروا الى وجهه ذكرناه بتمامه فى مسند الالف وروى عنه صلى الله عليه وسلم

دينارا ورمى به فى البحر ودينارا فى السفينة حتى قسمها نصفين فالقى ثمن الماء فى الماء قال مر أبو هريرة بانسان يحمل لبنا وقد خلطه بالماء فقال له أبو هريرة كيف لك يوم القيامة حيث يقال لك خلص الماء من اللبن فعليك يا أخى رحمك الله أن لا تشتغل بعد اداء الفرض والرواتب الا بما ينفعك فى معادك أو بمعاشك الذى تستعين به على معادك ولا تضيع ما بقى من أنفاسك فانه مثل الكبريت الاحمر واستعد لرمسك وحشرك واقتد بالسادات الاخيار الذين عمروا ظاهرهم وباطنهم بالتقوى ولم يقعوا يوما فى شرك الهوى (شعر)

قلوب بتقوى الله والذكر عامره
وأوجههم بالقرب والبشر زاهره
يناجون مولاهم بفرط تضرع
وأنوارهم من بهجة الحق باهره
يناديهم الرحمن أنتم أحبتى
وأرواحهم شوقا الى القرب طائره
اذا اجتمعوا فى خلوة الذكر فى الدجى
بمقعد صدق والرحاب دائره
ترى أعين العشاق نحو حبيبهم
الى ذلك الوجه المقدس ناظره

الاوراد فى الايام الفاضلة ويستحب احياء خمس عشرة ليلة فى السنة خمس منها فى شهر رمضان وهى وتر ليالى العشر الاخير منه وليلة سبع عشرة من رمضان هى صبيحة يوم الفرقان يوم التقى الجمعان فيه كانت وقعة بدر وكان ابن الزبير يذهب الى انها ليلة القدر وأما التسعة الاخر فاوّل ليلة من شهر المحرم وليلة عاشوراء وأوّل ليلة من شهر رجب وليلة النصف منه وليلة سبع وعشرين منه وفيها أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج وليلة عرفة وليلة العيدين وليلة النصف من شعبان وقد كانوا يصلون فى هذه الليلة مائة ركعة بالف مرة قل هو الله أحد عشرا فى كل ركعة ويسمون هذه الصلاة صلاة الخير ويتعرفون بركتها ويجتمعون فيها وربما صلوها جماعة وروينا عن الحسن قال حدثنى ثلاثون من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ان من صلى هذه الصلاة فى هذه الليلة نظر الله عز وجل اليه سبعين نظرة وقضى له بكل نظرة سبعين حاجة أدناها المغفرة وقد قيل ان هذه الليلة هى التى قال الله عز وجل فيها فيها يفرق كل أمر حكيم وانه ينسخ فيها أمر السنة وتدبير الاحكام الى مثلها من قابل والله أعلم والصحيح من ذلك عندى انه فى ليلة القدر وبذلك سميت لان التنزيل يشهد له اذ فى أوّل الآية انا نزلناه فى ليلة مباركة ثم وصفها فقال فيها يفرق كل أمر حكيم فالقرآن انما أنزل فى ليلة القدر فكانت هذه الآية بهذا الوصف فى هذه الليلة مواطئة لقوله عز وجل انا أنزلناه فى ليلة القدر * ذكر مواصلة الاوراد فى الايام الفاضلة وهى تسعة عشر يوما تستحب فيها مواصلة الاوراد والدأب فى العبادة يوم عاشوراء ويوم عرفة ويوم سبعة وعشرين من رجب ويوم سبعة عشر من شهر رمضان ويوم النصف من شعبان ويوم الجمعة ويوم العيد والايام المعلومات وهى عشر ذى الحجة والايام المعدودات وهى أيام التشريق وفى الخبر صوم يوم عرفة يكفر سنتين سنة ماضية وسنة مستقبلة وصوم يوم عاشوراء كفارة سنة وقد روينا عن أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سلم يوم الجمعة سلمت الايام واذا سلم شهر رمضان سلمت السنة وقال بعض علمائنا من أخذ مهناه فى هذه الايام الخمسة فى الدنيا لم ينل مهناه فى الآخرة وقال هذه الايام يرجى فيها الفضل من الله عز وجل والمزيد فاذا اشتغلت فيها بما يلذ وعاجل الدنيا فمتى ترجو الفضل والمزيد يعنى بالايام الخمسة العيدين ويوم الجمعة ويوم عرفة ويوم عاشوراء ومن فواضل الايام بعد هذه يوم الاثنين ويوم الخميس يومان ترفع فيهما الاعمال الى الله عز وجل ومن الفاضل الشهور الاربعة الحرم وهى ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب خصهن الله عز وجل بالنهى عن الظلم فيهن لعظم حرمتهن فكذلك الاعمال لها فيهن فضل على غيرها وأفضلها ذو الحجة لوقوع الحج فيه ولما خص به من الايام المعلومات والايام المعدودات ثم ذو القعدة لجمعه الوصفين معا وهو من الاشهر الحرم ومن أشهر الحج فاما المحرم ورجب فليسا من أشهر الحج وأما شوّال فليس من أشهر الحرم ولكنه من أشهر الحج وأفضل الايام فى الشهور العشران العشر الآخر والعشر الاوّل من ذى الحجة وبعدهما عشر المحرم من أوله فالاعمال فى هذه الايام لها فضل ومزيد على سائر الشهور وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من صام ثلاثة أيام من شهر حرام بعده الله من النار سبعمائة عام يوم الخميس ويوم الجمعة ويوم السبت وفى خبر آخر صوم يوم من شهر حرام يعدل صوم ثلاثين يوما من غيره وصوم يوم من شهر رمضان يعدل صوم ثلاثين يوما من شهر حرام ثم ان أفضل الاوقات فى جملة الايام أوقات الصلوات الخمس وروينا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا دخلت العشر الاواخر من شهر رمضان طوى الفراش وشد المئزر وفى حديث آخر اذا دخلت العشر الاواخر دأب وادأب أهله يعنى أدام وأداموا التعب والنصب فى العبادة وفى الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من أيام العمل فيهن أفضل وأحب الى الله عز وجل من أيام عشر ذى الحجة ان صوم يوم منه يعدل صيام سنة وقيام ليلة منه يعدل قيام ليلة القدر قيل ولا الجهاد فى سبيل الله قال ولا الجهاد فى سبيل الله الا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع منهما بشئ وفى لفظ آخر الا من عقر جواده وأهريق دمه واذا أحب الله عز وجل عبدا استعمله فى الاوقات الفاضلة بافضل الاعمال ليثيبه أفضل

انسان ولا طير ولا دابة الا كانت له صدقة الى يوم القيامة خ قال قتادة كان القوم يتبايعون ويتجرون ولكنهم اذا نابهم حق من حقوق الله تعالى لم تلههم تجارة ولا بيع عن ذكر الله حتى يؤدوه الى الله تعالى وفى كتاب البركة وتحسين أعمال النساء المغزل روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم قال نعم لهو المرأة المغزل خ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يديه وان نبى الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يديه خم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتى على الناس زمان لا يبالى المرء من أين أخذ المال أمن الحلال أم من الحرام زاد رزين فاذا ذلك لا يجاب لهم دعوة * عن أبى بكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة جسد غذى بحرامه عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تشوبوا اللبن بالماء فان رجلا كان فيمن كان قبلكم كان يبيع اللبن ويشوبه بالماء فاشترى قردا وركب البحر حتى اذا لجج فيه ألهم الله القرد صرة الدنانير فأخذها وصعد الدقل ففتح الصرة وصاحبها ينظر اليه فأخذ

أفضل وروينا عن الصحابة أمرنا بالغسل يوم الجمعة في الصيف فلما جاء الشتاء كان من شاء اغتسل ومن
لم يشأ ترك الغسل وقد روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من شهد الجمعة من الرجال والنساء فليغتسل
فلذلك قال مالك بن أنس ان النساء اذا حضرن الجمعة اغتسلن لها ومن اغتسل من جنابة أجزأه لغسل الجمعة
اذا نوى ولابد من النية لغسل الجنابة لاجل الجمعة فهو أفضل ويكون الغسل للجمعة ذا خلاف فيه فاذا
أفاض عليه الماء ثانية بعد غسله للجنابة لاجل الجمعة فهو أفضل دخل بعض الصحابة على ابنه يوم الجمعة
وهو يغتسل فقال للجمعة غسلك هذا قال لابل من الجنابة قال فاعد غسلا ثانيا فاني سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول واجب على كل مسلم ان يغتسل يوم الجمعة ومن اغتسل بعد طلوع الفجر للجمعة أجزأه
ولكن أفضل الغسل لها عند الرواح الى الجامع وأحب ان لا يحدث وضوأ بعد الغسل حتى يفرغ من صلاة
الجمعة فن العلماء من كره ذلك ولكن ان بكر الى الجامع فتوضأ هنالك من حدث لحقه لامتداد الوقت فانه
على غسل الجمعة ويستحب ان يستاك وان يلبس من صالح ثيابه ويجتنب الشهرة من الثياب ومن أفضل
ما لبس البياض أو بردين يمانيين ولبس السواد يوم الجمعة ليس من السنة ولا من الفضل ان ينظر الى لابسه
وليقلم أظفاره ويأخذ من شاربه فقد روى فضل ذلك من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أمره
وقد روينا عن ابن مسعود وغيره من قلم أظفاره يوم الجمعة أخرج الله عز وجل منه داء وادخل شفاء
وليتطيب باطيب طيبه مما ظهر ريحه وخفي لونه فذلك طيب الرجال وطيب النساء مما ظهر لونه وخفي ريحه
روينا ذلك في الاثر وتستحب العمامة يوم الجمعة وقد روينا فيها حديثا شاذا عن واثلة بن الاسقع عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل وملائكته يصلون على أصحاب العمائم يوم الجمعة فان أكربه
الحر فلا بأس ان ينزعها قبل الصلاة وبعدها ولكن يخرج من منزله الى الجامع وهو لابسها ولا يصلي الا معتما
لتحصل له فضيلة العمة فان نزعها فليلبسها حينئذ عند صعود الامام المنبر ثم ليصل وهي عليه فان شاء نزعها
بعد ذلك وليخرج الى الله عز وجل خاشعا متواضعا ذا سكينة ووقار واخبات وافتقار وليكثر من الدعاء
والاستغفار وينوي في خروجه زيارة مولاه في بيته والتقرب اليه باداء فريضته والعكوف في المسجد الى حين
انقلابه ثم لينو كف جوارحه عن اللهو واللغو ويتق الشغل حين يخدم مولاه وليترك راحته في ذلك اليوم
في مهنة من عاجل حظ دنياه وليواصل الاوراد فيه فيجعل أوله الى انقضاء صلاة الجمعة للخدمة بالصلاة
وأوسطه الى صلاة العصر لاستماع العلم ومجالس الذكر وآخره الى غروب الشمس للتسبيح والاستغفار
فكذلك كان المتقدمون يقسمون يوم الجمعة هذه الاقسام الثلاثة وان صامه فحسن يضم اليه يوم الخميس
أو يضيف اليه يوم السبت وقد كره افراده بصوم ومن لم يصمه وكان له أهل فالمستحب ان يجامع فيه فقد روى
فضل ذلك وكان بعض السلف يفعله وقد روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من غسل واغتسل وغدا
وبكر ودنا من الامام ولم يلغ كان له بكل خطوة صيام سنة وقيامها وفي خبر آخر ودنا من الامام واستمع كان
له ذلك كفارة لما بين الجمعتين وزيادة ثلاثة أيام وفي لفظ آخر غفر له الى الجمعة الاخرى وقد اشترط في بعضها
ولم يتخط رقاب الناس فمعنى قوله من غسل بالتشديد أي غسل أهله كناية عن الجماع وبعض الرواة يخففه
فيقول غسل واغتسل فيكون معناه غسل رأسه واغتسل لجسده وليتق أن يتخطى رقاب الناس فان ذلك
مكروه جدا وقد جاء فيه وعيد شديد ان من فعل ذلك جعل جسرا يوم القيامة على جهنم تتخطاه الناس وقال
ابن جريج حديثا مرسلا ان النبي صلى الله عليه وسلم بينما هو يخطب يوم الجمعة اذ رأى رجلا يتخطى رقاب
الناس حتى تقدم وجلس فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم صلاته عارض الرجل حتى لقيه فقال يا فلان
ما منعك ان تجمع اليوم معنا فقال يا نبي الله قد جمعت فقال أولم أرك تتخطى رقاب الناس وفي حديث مسند ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال له ما منعك ان تصلي معنا الجمعة فقال أولم ترني قال قد رأيتك تأنيت وآذيت أي
تأخرت عن البكور وآذيت بالحضور ولا يقعد الى القصاص في يوم الجمعة فقد كره ذلك ولا في حلقة قبل

* (فصل) * ثم ان كان لك
قيام بالليل أو سهر في الخير
فنم قبل الزوال ثم انتبه قبل
الزوال وتوضأ وصل أربع
ركعات سنة الظهر ثم صل
الفريضة ثم أربع ركعات
روى الترمذي وغيره ان
رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال من حافظ على
اربع ركعات قبل الظهر
وأربع ركعات بعدها حرمه
الله على النار ثم اشتغل
باحد الامور الاربعة
المذكورة الى العصر ثم
صل سنة العصر أربعا قال
رسول الله صلى الله عليه
وسلم رحم الله امرأ صلى
قبل العصر أربعا ثم صل
الفرض واشتغل باحد
الامور الاربعة المذكورة
خ قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من ترك صلاة
العصر فقد حبط عمله ثم
اذا اصفرت الشمس
فاشتغل بالتسبيح والذكر
قال الله تعالى وسبح بحمد
ربك قبل طلوع الشمس
وقبل غروبها وروى ابن
السني ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال لان اجلس مع
قوم يذكرون الله تعالى من
صلاة العصر الى ان تغرب
الشمس أحب الي من ان
اعتق ثمانية من ولد اسمعيل
ثم صل المغرب بوراتبتها
وروى الترمذي ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال من
صلى بعد المغرب عشرين

خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أهبط الى الارض وفيه تقوم الساعة وهو عند الله يوم المزيد كذلك تسميه الملائكة فى السماء وهو يوم النظر الى الله عز وجل فى الجنة فى أخبار يطول ذكرها وفى الحديث ما من دابة الا وهى قائمة على ساق يوم الجمعة مصيخة أى مصغية تتوقع مشفقة من قيام الساعة الا الشياطين وشقى بنى آدم ويقال ان الطير والهوام يلقى بعضها بعضا فى يوم الجمعة فتقول سلام سلام يوم صالح وفى الخبر ان لله عز وجل فى كل يوم جمعة ستمائة ألف عتيق من النار وفى حديث أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم اذا سلم يوم الجمعة سلم الايام وقال كعب فى الخبر ان الله عز وجل فضل من كل شئ من خلقه شيأ ففضل من البلدان مكة ومن الشهور رمضان ومن الايام الجمعة وفى الخبر ان جهنم تسعر فى كل يوم قبل الزوال عند استواء الشمس فى كبد السماء فلا تصلوا فى هذه الساعة الا يوم الجمعة فانه صلاة كله وان جهنم لا تسعر فيه فافضل ما يعمله العبد فى يوم الجمعة البكور الى الجامع فى الساعة الاولى فان لم يفعل ففى الساعة الثانية فان لم يفعل ففى الساعة الثالثة لان النبى صلى الله عليه وسلم قال من راح الى الجمعة فى الساعة الاولى فكانما قرب بدنة ومن راح فى الساعة الثانية فكانما قرب بقرة ومن راح فى الساعة الثالثة فكانما قرب كبشا أقرن ومن راح فى الساعة الرابعة فكانما أهدى دجاجة ومن راح فى الساعة الخامسة فكانما أهدى بيضة فاذا خرج الامام طويت الصحف ورفعت الاقلام واجتمعت الملائكة عند المنبر يستمعون الذكر فمن جاء بعد ذلك فكانما جاء لحق الصلاة وليس من الفضل فى شئ فالساعة الاولى تكون بعد صلاة الصبح والساعة الثانية تكون عند ارتفاع الشمس والثالثة تكون عند انبساطها وهى الضحى الاعلى اذا رمضت الاقدام بحر الشمس والساعة الرابعة تكون قبل الزوال والساعة الخامسة اذا زالت الشمس أو مع استوائها وليس الساعة الرابعة والخامسة مستحبتين للبكور ولا فضل لمصلى الجمعة بعد الساعة الخامسة لان الامام يخرج فى آخرها فلا يبقى الا فريضة الجمعة ويقال ان الناس يكونون فى قربهم من الله عز وجل عند الزيارة للنظر اليه تعالى على قدر بكورهم الى الجمعة ودخل ابن مسعود يوم الجمعة بكرة فرأى ثلاثة نفر وقد سبقوه بالبكور فوجم لذلك وجعل يقول رابع أربعة يعنى نفسه وما رابع أربعة من الله ببعيد وهذا من اليقين فى هذه المشاهدة للخبر وقد جاء فى الاثر ان الملائكة يفتقدون العبد اذا تأخر عن وقته يوم الجمعة فيسأل بعضهم بعضا عنه ما فعل فلان وما الذى أخره عن وقته فيقولون اللهم ان كان أخره فقر فاغنه وان كان أخره مرض فاشفه وان كان أخره شغل عنه ففرغه لعبادتك وان كان أخره لهو فاقبل بقلبه على طاعتك ولا تقعد الى القصاص يوم الجمعة فقد كره ذلك ولا فى حلقة قبل الصلاة وروينا فى خبر مقطوع عن النبى صلى الله عليه وسلم ثلاث لو يعلم الناس ما فيهن لركضوا الابل فى طلبهن الاذان والصف الاول والغدو الى الجمعة قال أحمد بن حنبل وقد ذكر هذا الحديث افضلهن الغدو الى الجمعة وقد روى فى خبر آخر اذا كان يوم الجمعة قعدت الملائكة على أبواب المسجد بايديهم صحف من فضة وأقلام من ذهب يكتبون الاول فالاول على مراتبهم وروينا فى خبر عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن التحلق يوم الجمعة قبل الصلاة الا ان يكون عالما بالله تعالى يذكر بايام الله عز وجل ويفقه فى دين الله عز وجل يتكلم فى الجامع بالغداة فيجلس اليه فيكون جامعا بين البكور الى الجمعة والاستماع الى العلم ولا يدع الغسل لها يوم الجمعة الا من ضرورة فانه عند بعض العلماء فرض والاغتسال فى البيت أفضل وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم غسل الجمعة واجب على كل محتلم والمشهور من حديث نافع عن ابن عمر من أتى الجمعة فليغتسل وكان أهل المدينة يتسابون بينهم فيقولون لانت شر ممن لا يغتسل يوم الجمعة وقد قال عمر لعثمان رضى الله عنهما لما دخل وهو يخطب أهذه الساعة فقال ما زدت بعد ان سمعت الاذان أن توضأت وخرجت فقال عمر والوضوء أيضا وقد علمت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمر بالغسل ولكن فى ترك الغسل رخصة لوضوء عثمان مع علمه ويسند ذلك الى الخبر المسند من توضأ يوم الجمعة فبها ونعمت ومن اغتسل فالغسل

أفضل

فيا نفس هذا مشرب القوم فاشربى
عسى أن تكونى عند ذلك ناضره
وتحظى برؤيا من لحسن جماله
غدت السن المداح تتلو مفاخره
رسول أتى والشرك كالليل حالك
فأجلى بانوار الرشاد دياجره
رؤف رحيم شاهد متوكل
سراج منير فاز من كان زائره
فلو شاهدت عيناك زوار قبره
وأعينهم كالسحب بالدمع ماطره
وتأتى وفود العاشقين صبابة
الى نحوه من كل فج مبادره
لتهدى نفوسا اججت فى غرامها
وكانت شلالا قبل ذلك حائره
وهبت لها من ذلك الحى نسمة
وأنفاسها من طيب رياه عاطرة
فيا أيها المختار من آل هاشم
ومن كرم الله العظيم عناصره
أغثنا وجد واشفع لنا بشفاعة
فأنت لكسر القلب ما زلت جابره
عليك صلاة الله ما ذر شارق
ولاحت نجوم فى دجى الليل زاهره
اللهم ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار برحمتك يا أرحم الراحمين

على سنته وتوفنا على ملته وأوردنا حوضه واسقنا بكأسه غير خزايا ولا نادمين ولا شاكين ولا مبدلين ولا فاتنين ولا مفتونين آمين رب العالمين وليكثر من الاستغفار يوم الجمعة وليلتها وأي لفظ ذكر فيه سؤال المغفرة فهو مستغفر وان قال اللهم اغفر لي وتب علي انك أنت التواب الرحيم فهو أفضل وان قال رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم وأنت خير الراحمين فحسن واستحب له ان يقرأ ختمة يوم الجمعة فان ضاق عليه ذلك فليشفع اليه ليلتها ليكون ابتداؤه من ليلة الجمعة وان جعل ختمه للقرآن في ركعتي الفجر من يوم الجمعة أو في ركعتي المغرب ليلة الجمعة فحسن ليستوعب بذلك كله اليوم والليلة وان جعل ختمه بين الاذان للجمعة والاقامة للصلاة ففيه فضل عظيم ويستحب ان يصلي قبل الجمعة اثنتي عشرة ركعة وبعدها ست ركعات واذا دخل الجامع فليصل أربع ركعات يقرأ فيهن قل هو الله أحد مائتي مرة في كل ركعة خمسين مرة ففيه أثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من فعله لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة أو يرى له واذا دخل الجامع فلا يقعدن حتى يصلي ركعتين قبل ان يجلس وكذلك ان دخل والامام يخطب صلاهما خفيفتين وان جمعه لامر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك لانه قد جاء في حديث غريب ان النبي صلى الله عليه وسلم سكت له حتى صلاهما فقال الكوفيون ان سكت له الامام صلاهما ولعل سكوت رسول الله صلى الله عليه وسلم مخصوص له لوجوب قوله وروى ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس وأبي هريرة قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة أو يوم الجمعة أعطي نورا من حيث يقرأها الى مكة وغفر له الى الجمعة الاخرى وفضل ثلاثة أيام وصلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح وعوفي من الداء والدبيلة وذات الجنب والبرص والجذام وفتنة الدجال واستحب ان يصلي يوم الجمعة أربع ركعات بأربع سور سورة الانعام وسورة الكهف وسورة طه ويس فان لم يحسن ذلك قرأ سورة يس وسجدة لقمان وسورة الدخان وسورة الملك ولا يدع قراءة هذه الاربع سور في كل ليلة جمعة ففي ذلك أثر وفضل كبير فان لم يحسن جميع القرآن قرأ ما يحسن منه فذلك له ختمة فيقبل ختمة من حيث علمه وقد كان العابدون يستحبون ان يقرؤا يوم الجمعة ألف مرة قل هو الله أحد فان قرأها في عشر ركعات أو عشرين فهو أفضل من ختمة وقد كانوا يصلون على النبي صلى الله عليه وسلم ألف مرة ومن التسبيح والتهليل بالكلمات الاربع ألف مرة وهذه ثلاثة أوراد حسنة في يوم الجمعة أعني قراءة قل هو الله أحد والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والتسبيح والتهليل ألفا ألفا فلا يدعن ذلك من رزقها أو أحدها فانه من أفضل الاعمال في هذا اليوم وان صلى يوم الجمعة قبل الزوال صلاة التسبيح وهي ثلثمائة تسبيحة في أربع ركعات فقد أكثر وأطاب وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال صلها في كل جمعة مرة وذكر أبو الجوزاء عن ابن عباس انه لم يكن يدع هذه الصلاة كل يوم بعد الزوال وأخبر عن فضلها ما يجل وصفه وان قرأ المسبحات الست في يوم الجمعة أو ليلتها فحسن وليس يروى ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ السور بأعيانها الا يوم الجمعة وليلتها فانا روينا انه كان يقرأ في صلاة المغرب ليلة الجمعة قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد وكان يقرأ في صلاة العشاء الآخرة ليلة الجمعة بسورة الجمعة وسورة المنافقين وقد روي انه كان يقرأ بهاتين السورتين في صلاة الجمعة وكان يقرأ في صلاة الغداة يوم الجمعة بسورة سجدة لقمان وسورة هل أتى على الانسان واستماعه الى علم اليقين والمعرفة وحضور مجالس الذكر أفضل من صلاته وصلاته أفضل من حضوره مجالس القصاص وروينا في حديث أبي ذر حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة وفي خبر آخر لان يتعلم أحدكم بابا من العلم أو يعلمه خير له من صلاة ألف ركعة وفي خبر قيل يا رسول الله ومن قراءة القرآن فقال وهل ينفع القرآن الا بعلم والصلاة اذا عدم مجالس العلم بالله والتفقه في دين الله عز وجل أزكى من حضور مجالس القصص ومن الاستماع الى القصاص فان القصص كان عندهم بدعة وكانوا يخرجون القصاص من الجامع روي ان ابن عمر جاء ذات يوم الى مجلسه في المسجد فاذا قاص يقص فقال

كنز من كنوز الجنة ففي صحيح البخاري ومسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل ربنا تبارك وتعالى الى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول من يدعوني فاستجيب له ومن يسألني فاعطيه من يستغفرني فاغفر له وروى الترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عليكم بقيام الليل فانه دأب الصالحين قبلكم وهو قربة لكم الى ربكم ومكفرة للسيئات ومنهاة عن الاثم ابن آدم واظب على هذا الترتيب بقية عمرك واصبر على هذا أياما قلائل رجاء لاستراحة أبد الآباد صبر المريض على مر الدواء رجاء الشفاء ولا تطول أملك فيثقل عليك عملك والاستعداد للموت أولى من الاستعداد للدنيا فان فعلت ذلك فرحت عند الموت فرحا شديدا الا آخر له وان سوفت خسرت عند الموت خسرانا لا آخر له قال خالد الوراق كانت لي جارية شديدة الاجتهاد فدخلت عليها يوما فذكرتها بشيء من رفق الله تعالى وقبوله يسير العمل فبكت ثم قالت يا خالد اني لاؤمل من الله عز وجل آمالا لو حملتها الجبال لاشفقت من حملها كما ضعفت عن حمل الامانة واني لاعلم ان

الصلاة فقد روى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن عبد الله بن عمران النبي صلى الله عليه وسلم نهى
عن التحلق يوم الجمعة قبل الصلاة الا ان يكون عالما بالله عز وجل يذكر بايام الله ويفقه في الدين يتكلم في
الجامع بالغداة فيجلس اليه فيكون جامعا بين البكور الى الجمعة وبين الاستماع الى العلم وقد روينا عن
بعض علماء السلف قال ان لله تعالى فضلا من الرزق سوى أرزاق العباد لا يعطى من ذلك الفضل الا من سأله
عشية الخميس ويوم الجمعة وفي الخبر المشهور ان في الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله عز وجل فيها
شيأ الا أعطاه وفي لفظ آخر لا يصادفها عبد يصلي واختلف في وقت هذه الساعة فقيل انها عند طلوع
الشمس وقيل اذا قام الناس الى الصلاة وقيل عند الزوال ويقال مع الاذان وقيل هي اذا صعد الامام المنبر
وأخذ في الذكر وقيل بعد العصر من آخر أوقاتها وقيل عند غروب الشمس اذا تدلى حاجبها الاسفل كانت
فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تراعي ذلك الوقت وتأمر خادمها ان ينظر الى الشمس فيؤذنها
بسقوطها فتأخذ في الدعاء والاستغفار في ذلك الوقت الى أن تغرب الشمس وتخبران تلك الساعة هي المنتظرة
وتؤثره عن أبيها صلى الله عليه وسلم فهذا جل ما قيل في هذه الساعة بروايات جاءت في ذلك متفرقة حذفنا
ذكرها للاختصار فليتوخ هذه الاوقات وليتعهد الدعاء فيها والصلاة فيما يصلح منها وقد قال بعض العلماء ان
هذه الساعة مبهمة في جميع اليوم لا يعلمها الا الله عز وجل كانها بمنزلة ليلة القدر مبهمة في جميع شهر رمضان
وكانها مثل الصلاة الوسطى في جملة الصلوات الخمس وقد قيل انها تنتقل في ساعات يوم الجمعة كتنقل ليلة القدر
عند بعضهم في ليالي الشهر ذلك ليكون العبد طالبا الى الله عز وجل وراغبا متضرعا مفتقرا في جميع ذلك
اليوم فمن واصل الاوراد فيه وعمر بالذكر كل ساعة صادفها باذن الله عز وجل فان لم يواصل الساعة في يوم
واحد فليواصلها في جميع شئ وقتا على وقت على ترتيب أوقات يوم فانها تقع في جميع الاوقات لا محالة وليكثر
الدعاء والتضرع في وقتين خاصة عند صعود الامام المنبر الى ان تقام الصلاة ويدخل فيها وعند آخر ساعة وقت
تدلى الشمس للغروب فهذان الوقتان من أفضل أوقات الجمعة ويقوى في نفسي ان في أحدهما الساعة
المرجوة وقد اجتمع كعب الاحبار مع أبي هريرة واجتمع رأي كعب انها في آخر ساعة من يوم الجمعة فقال
أبو هريرة كيف تكون آخر ساعة وقد سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لا يوافقها عبد يصلي ولات
حين صلاة فقال كعب ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم من قعد ينتظر الصلاة فهو في صلاة قال بلى قال
فذلك صلاة فسكت أبو هريرة فكأنه وافقه وليكثر من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في يوم الجمعة وليلتها
وأقل ذلك ان يصلي عليه صلى الله عليه وسلم ثلثمائة مرة وقد جاء في الخبر من صلى علي في يوم الجمعة ثمانين مرة
غفر الله له ذنوب ثمانين سنة قيل يا رسول الله كيف الصلاة عليك قال تقول اللهم صل على محمد عبدك ونبيك
ورسولك النبي الامي وتعقدها واحدة وكيف ما صلى عليه بعد ان يأتي بلفظ ذكر الصلاة عليه فهي صلاة
والصلاة المشهورة هي التي رويت في التشهد وان جعل من صلاته عليه ان يقول اللهم صل على محمد وعلى آل
محمد صلاة تكون لك رضاء ولحقه أداء واعطه الوسيلة وابعثه المقام المحمود الذي وعدته واجزه عنا ما هو أهله
واجزه أفضل ما جزيت نبيا عن امته وصل على جميع اخوانه من النبيين والصالحين يا أرحم الراحمين تقول
هذا سبع مرات ففي هذا فضل عظيم ويقال من قاله سبع جمع في كل جمعة سبع مرات وجبت له شفاعة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وان زاد هذه الصلاة فهي مأثورة اللهم اجعل فضائل صلواتك وشرائف
زكواتك ونوامي بركاتك ورأفتك ورحمتك وتحيتك على محمد سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين ورسول
رب العالمين قائد الخير وفاتح البر ونبي الرحمة وسيد الامة اللهم ابعثه مقاما محمودا تزلف به قربه وتقربه عينه
يغبطه به الاولون والآخرون اللهم اعطه الفضل والفضيلة والشرف والوسيلة والدرجة الرفيعة والمنزلة
الشامخة المنيفة اللهم أعط محمدا سؤله وبلغه مأموله واجعله أول شافع وأول مشفع اللهم عظم برهانه وثقل
ميزانه وأبلج حجته وارفع في أعلى المقربين درجته اللهم احشرنا في زمرته واجعلنا من أهل شفاعته وأحينا

ركعة بنى الله له بيتا في الجنة
وروى الترمذي والنسائي
ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال من قال لا اله الا الله
وحده لا شريك له له الملك
وله الحمد وهو على كل شئ
قدير عشر مرات على اثر
المغرب بعث الله عز وجل
له مسلحة يتكفلون من
الشيطان حتى يصبح وكتب
الله له عشر حسنات
موجبات ومحا عنه عشر
سيئات موبقات وكانت له
عدل عشر رقاب مؤمنات
ثم صل العشاء وراتبتها
والسنة لمن أوتر بثلاث
ركعات ان يقرأ في الاولى
سبح اسم ربك الاعلى وفي
الثانية قل يا أيها الكافرون
وفي الثالثة قل هو الله أحد
والمعوذتين وقل بعد الوتر
سبحان الملك القدوس
ثلاث مرات اللهم اني أعوذ
برضاك من سخطك
وبمعافاتك من عقوبتك
وأعوذ بك منك لا احصي ثناء
عليك أنت كما أثنيت على نفسك
ثم اشتغل الى النوم بما
ينفعك في آخرتك ونم
طاهرا تائبا عازما على قيام
الليل وقل عند النوم
باسمك ربي وضعت جنبي
وباسمك أرفعه ان أمسكت
نفسي فاغفر لها وان أرسلتها
فاحفظها بما تحفظ به
عبادك الصالحين ولا تترك
قيام الليل وان قل
فركعتان في جوف الليل

عندهم ان تقدمة الصفوف الى فناء المنبر بدعة وكان الثوري يقول الصف الاول هو الخارج من بين يدى المنبر ومن خشى الفتنة والآفة فى قربه من الامام بان يسمع ما يجب عليه انكاره أو يرى ما يلزم الامر فيه أو النهى عنه من لبس حرير أو لبس ديباج أو الصلاة فى السلاح الثقيل المشغل كان بعده من الصفوف المقدمة أصلح لقلبه واجمع لهمه لقلة ملاقاة الناس ولترك النظر اليهم فالاصلح للقلب والاجمع للهم هو الافضل حينئذ وقد كان جماعة من العلماء والعباد يصلون فى أواخر الصفوف ايثار السلامة وقيل لبشر ابن الحرث نراك تبكر يوم الجمعة وتصلى فى اواخر الصفوف فقال يا هذا انما يراد قرب القلوب لا قرب الاجساد ونظر سفيان الثورى الى شعيب بن حرب عند المنبر يستمع الى خطبة أبى جعفر فلما جاءه بعد الصلاة قال شغل قلبى قربك من هذا هل أمنت ان تسمع كلاما يجب عليك انكاره فلا تقوم به ثم ذكر ما أحدثوا من لبس السواد قلت يا أبا عبد الله أليس فى الخبر ادن واستمع فقال ويحك ذاك للخلفاء الراشدين المهديين فاما هؤلاء فكلما بعدت عنهم ولم تنظر اليهم كان أقرب لك الى الله عز وجل وقد روينا عن أبى الدرداء فضيلة فى الصف المؤخر قال سعيد بن عامر صليت الى جنبه فجعل يتأخر فى الصفوف حتى كنا فى آخر صف فلما صلينا قلت له أليس يقال خير الصفوف أولها قال نعم الا ان هذه أمة مرحومة منظور اليها من بين الامم وان الله عز وجل اذا نظر الى عبد منهم فى الصلاة غفر لمن وراءه من الناس فانما تأخرت رجاء ان يغفر لى بواحد منهم ينظر الله اليه وقد رفعه بعض الرواة ان أبا الدرداء سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول ذلك والصدقة مستحبة مفضلة يوم الجمعة خاصة فانها تضاعف الا على من سأل والامام يخطب وكان يتكلم فى كلام الامام فهذا مكروه قال صالح بن أحمد سأل مسكين يوم الجمعة والامام يخطب وكان بجنب أبى فاعطاه رجل قطعة ولم يعرفه ليناوله اياها فلم يأخذها منه أبى وقال ابن مسعود اذا سأل الرجل فى المسجد فقد استحق ان لا يعطى واذا سأل على القرآن فلا تعطوه ومن العلماء من كره الصدقة على سؤال الجامع الذين يتخطون رقاب الناس الا ان يسأل قائما من غير ان يتخطى المسلمين أو قاعدا فى مكان وروينا عن كعب الاحبار من شهد الجمعة ثم انصرف يتصدق بشيئين مختلفين من الصدقة ثم رجع فركع ركعتين يتم ركوعهما وخشوعهما وسجودهما ثم يقول اللهم انى أسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم وباسمك الذى لا اله الا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم لم يسأل الله عز وجل شيأ الا أعطاه وقد روينا عن بعض السلف على غير هذا الوصف قال من أطعم مسكينا فى يوم الجمعة ثم غدا وابتكر ولم يؤذ أحدا ثم قال حين يسلم الامام اللهم انى أسألك بسم الله الرحمن الرحيم الحى القيوم ان تغفر لى وترحمنى وان تعافينى من النار ثم دعا بما بدا له استجيب له وان سمع قراءة الامام لم يقرأ فى صلاته الا سورة الحمد لا غير وان لم يسمع قراءته قرأ سورة مع الحمد ان أحب فاما من سمع قراءة الامام وقرأ معه سورة الجمعة أو غيرها من السور فقد خالف الامة وعصى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أعلمه مذهب أحد من المسلمين فاذا سلم من صلاة الجمعة قرأ وهو ثان رجله قبل ان يتكلم الحمد سبع مرات وقل هو الله أحد سبعا والمعوذتين سبعا سبعا ففى ذلك أثر عن بعض السلف ان من فعله عصم من الجمعة الى الجمعة وكان ذلك حرزا له من الشيطان واستحب له ان يقول بعد صلاة الجمعة اللهم يا غنى يا حميد يا مبدئ يا معيد يا رحيم يا ودود اغننى بحلالك عن حرامك وبفضلك عمن سواك يقال من داوم على هذا الدعاء أغناه الله عز وجل عن خلقه ورزقه من حيث لا يحتسب وقد روى ابن عمر ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يصلى بعد الجمعة ركعتين وروى أبو هريرة انه كان يصلى بعدها أربعا وروى على وعبد الله رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يصلى بعدها ستا فاذا صلى العبد ست ركعات فقد استوعب جميع الروايات وأكره شراء الماء فى المسجد للشرب أو لتسبيله لئلا يكون مبتاعا فى المسجد فقد كره الشراء والبيع فى المسجد فان باعه أو دفع اليه القطعة خارجا من المسجد وشرب أو سبل فى المسجد فلا بأس وقد جاء عن بعض السلف انه كره الصلاة فى رحاب الجامع عن بعض الصحابة انه كان

اتحرقنى بالنار يا غاية المنى فأين رجائى فيك أين مخافتى اللهم احسن عاقبتنا فى الامور كلها واجرنا من خزى الدنيا وعذاب الآخرة

*(فصل) اعلم ان الصلاة أفضل العبادات البدنية وتركها اقطع شئ فى الدين قال الله سبحانه وتعالى فخلف من بعدهم خلف قال مجاهد وعكرمة وعطاء هم من هذه الامة فى آخر الزمان أضاعوا الصلاة أى تركوها أو أخروها عن الوقت واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا أى شرا وخسرانا وقال عبد الله بن مسعود هو واد فى جهنم يسيل فيه صديد أهل النار خ م عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن اذا اجتنبت الكبائر وروى أحمد عن أبى ذر ان النبى صلى الله عليه وسلم خرج زمن الشتاء والورق يتهافت فقال فأخذ بغصنين من شجرة قال فجعل ذلك الورق يتهافت فقال يا أبا ذر قلت لبيك يا رسول الله قال ان العبد المسلم ليصلى الصلاة يريد بها وجه الله فتهافت عنه ذنوبه كما تهافت هذا الورق عن هذه الشجرة ت عن عبد الله بن شقيق قال كان أصحاب رسول الله صلى

له قم من مجلسي فقال لا أقوم وقد جلست فيه أو قال قد سبقتك اليه قال فارسل ابن عمر الى صاحب الشرطة فاقامه فلو كان ذلك من السنة لما حل لابن عمر ان يقيمه من مجلسه سيما وقد سبقه الى الموضع كيف وهو الذي روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقيم أحدكم أخاه من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن تفسحوا وتوسعوا قال فكان ابن عمر اذا قام له الرجل من مجلسه لم يجلس فيه حتى يعود اليه وروينا ثم يجلس فيه وقد روينا ان قاصا كان يجلس بفناء حجرة عائشة يقص فارسلت الى ابن عمران هذا قد آذاني بقصصه وشغلني عن سبحتي قال فضربه ابن عمر حتى كسر عصاه على ظهره ثم طرده وليحذر ان يمر بين يدي المصلي وان كان مروره لا يقطع الصلاة ففي الخبر لأن يقف أربعين سنة خير له من ان يمر بين يدي المصلي وقد جاء فيه وعيد شديد لان يكون الرجل رمادا تذروه الرياح خير له من ان يمر بين يدي المصلي وقد سوّى في ذلك بين المار والمصلي في الوعيد ففي حديث زيد بن خالد الجهني قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو يعلم المار بين يدي المصلي والمصلي ما عليهما في ذلك لكان ان يقف أربعين خيرا له من ان يمر بين يديه وليسدن المصلي من اسطوانة أو جدار فاذا فعل ذلك فلا يدع أحدا ان يمر بين يديه وليدفعه ما استطاع وفي حديث عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري عن أبيه قال فان أبي فليقاتله فانما هو شيطان وكان أبو سعيد يدفع من يمر بين يديه حتى يصرعه فربما تعلق به الرجل فاستعدى عليه مروان فيخبره ان النبي صلى الله عليه وسلم أمره بذلك فان لم يتفق له اسطوانة فليجعل شيأ بين يديه يكون طوله عظم الذراع وقد قيل ان كان حبلا ممدودا فاحجز بينه وبين المارة وقد قيل أربع من الجفاء ان يبول الرجل قائما أو يصلي في الصف الثاني ويترك الاول فارغا أو يمسح جبهته في صلاته أو يصلي بسبيل من يمر بين يديه وقد كان الحسن يقول تخطوا رقاب الذين يقعدون على أبواب الجامع يوم الجمعة فانه لا حرمة لهم وليقرب من الامام وينصت ويسمع ويستقبله بوجهه كذلك السنة الا ان يخاف ان يسمع أو يرى منكرا من لبس نقش سواد أو حرير أو ديباج أو حمل سلاح ثقيل ولا يستطيع تغييره فليبعد حينئذ فهو أسلم ولا يلغو ولا يتكلم في خطبة الامام وان بعد ولا يجلس في حلقة من يتكلم والامام يخطب ولا يقول لآخر اسكت ولكن يومئ اليه ايماء أو يحصبه بحصاة فان لغا والامام يخطب بطلت جمعته ولا يتكلم في العلم في خطبة الامام ومن لم يقرب من الامام ولم يسمع فلينصت وان بعد كذلك المستحب وقد روينا عن عثمان وعلي رضوان الله عليهما من استمع وأنصت فله أجران ومن لم يستمع وأنصت فله أجر ومن سمع ولغا فعليه وزران ومن لم يستمع ولغا فعليه وزر واحد وفي حديث أبي ذر لما سأل أبيا والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب فقال متى أنزلت هذه السورة فاومأ اليه أن اسكت فلما نزل النبي صلى الله عليه وسلم قال له أبي اذهب فلا جمعة لك فشكاه أبو ذر الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال صدق أبي وكذلك جاء في الخبر من قال لصاحبه والامام يخطب انصت أو مه فقد لغا ومن لغا والامام يخطب فلا جمعة له وليقطع الصلاة اذا قام المؤذنون للاذان بين يدي الامام فقد روى أبو اسحق عن الحرث عن علي رضوان الله عليهم تكره الصلاة في أربع ساعات بعد الفجر وبعد العصر ونصف النهار والصلاة والامام يخطب وقد جاء في الأثر خروج الامام يقطع الصلاة وكلامه يقطع الكلام وسجود العامة عند قيام المؤذنين للاذان قبل الخطبة ليس بسنة فان وافق ذلك سجوده في صلاته أو سجود قرآن فلا بأس ان يجتهد في الدعاء الى فراغهم لانه وقت مفضل ولا أعرف في ذلك أثرا غير انه مباح ومن العلماء من كره الصلاة في المقصورة لاجل انها قصرت على السلطان وأوليائه وذلك بدعة عند أهل الورع ابتدعت في المساجد لانها غير مطلقة لجملة الناس فلذلك نقل في الخبر كان الحسن وبكر المزني لا يصليان في المقصورة وروى رأيت أنس بن مالك يصلي في المقصورة وعمران بن حصين أيضا ومنهم من لم يكره ذلك ورأيت فيه فضلا لاجل السنة في الدنو من الامام واستماع الذكر فان اطلقت للعامة زالت الكراهة عنها وان خص بها أولياء السلطان تركت عليهم فان صلى لا يصلي فيها فان بعض العلماء كره الصلاة في فناء المنبر من قبل ان المنبر يقطع الصفوف وكان

عندهم

في كرم الله عز وجل مستغاثا لكل مذنب ولكن كيف بحسرة السباق قلت وما حسرة السباق قالت غدا أتحسر اذا بعثر ما في القبور وركب الابرار نجائب الاعمال فاستبقوا الى الصراط وعزة سيدي لا يسبق مقصر مجتهدا أبدا ولو حبا المجتهد حبوا أم كيف لي بموت الحزن والكمد اذا رأيت القوم يسترا كضون وقد رفعت اعلام المحسنين ثم بكت وقالت يا خالد لا يقطعنك قاطع عن سرعة المبادرة بالاعمال فانه ليس بين الدارين دار يدرك فيها الخدام ما فاتهم من الخدمة فويل لمن قصر عن خدمة سيده ومعه الآمال فهلا كانت الآمال توقفهم اذا نام البطالون والله أعلم وكانت رابعة العدوية تقول في حال الخوف (شعر)

ألا أيها المأمول في كل شدة اليك شكوت الضر فارحم شكايتي
ألا يا رجائي أنت كاشف كربتي أقلني ذنوبي كلها واقض حاجتي
وزادي قليل ما أراه مبلغي الزاد أبكي أم لبعد مسافتي
أتيت باعمال قباح ردية وما في الورى جان جنى كجنايتي

روينا حديثا من طريق أهل البيت فيه نظر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يأتي على أمتي زمان يتأهبون لجمعتهم في أمر دنياهم عشية الخميس كما يتأهب اليهود لسبتها عشية الجمعة وانما كان المؤمنون يتأهبون فيه للآخرة بالاوراد الحسنة ويزدادون من الاوراد المتصلة وقد كان أبو محمد سهل رحمه الله يقول من أخذ مهنأ من الدنيا في هذه الايام لم ينل مهنأ في الآخرة منها يوم الجمعة وقال أيضا يوم الجمعة من الآخرة ليس هو من الدنيا وقال بعضهم لولا يوم الجمعة ما أحببت البقاء في الدنيا فهو عند الخصوص يوم العلوم والانوار ويوم الخدمة والاذكار لانه عند الله عز وجل يوم المزيد بالنظر اليه في المزار وروينا حديثا غريبا عن مجاهد عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوا أشغالكم يوم الجمعة فانه يوم صلاة وتهجد وروينا عن جعفر الصادق قال يوم الجمعة لله عز وجل ليس فيه سفر قال الله تعالى وابتغوا من فضل الله وما ذكرناه من الصلاة والسور المقروأة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وجميع الذكر في يوم الجمعة فانه يستحب في ليلتها وهي من أفضل الليالي فلابد عن ذلك من وجد اليه سبيلا فان للصادق المريد في كل وقت مفضل من الله عز وجل مزيدا فاذا أحب الله تعالى عبدا استعمله في الاوقات الفاضلة بفواضل الاعمال واذا مقت عبدا استعمله في الاوقات المفضلة بسيء الاعمال ليكون أوجع في عقابه وأشد لمقته لحرمانه بركة الوقت وانتهاكه حرمة الوقت ومما يختص به يوم الجمعة من الذكر والتمجيد بالاسماء فصول أربعة * أولها الاربعون اسما التي دعا بها ادريس صلى الله عليه وسلم خصه الله تعالى بها وذكر الحسن البصري ان موسى صلى الله عليه وسلم قد كان دعا بهن وانها كانت من دعاء محمد صلى الله عليه وسلم * والفصل الثاني كان ابراهيم بن أدهم الزاهد يدعو بها كل يوم جمعة عشر مرات اذا أصبح واذا أمسى فكان ذلك من عمله في يومه * والفصل الثالث روينا عن علي رضي الله عنه رواه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل يمجد نفسه في كل يوم وليلة * والفصل الرابع تسبيحات أبي المعتمر وهو سليمان التيمي الذي كان رأى الشهيد بعد قتله في المنام فقيل له ما أفضل ما رأيت هنالك من الاعمال فقال رأيت تسبيحات أبي المعتمر من الله عز وجل بمكان فاما هذان الفصلان من تمجيد الرب سبحانه وتعالى نفسه وتسبيحات أبي المعتمر فقد ذكرناهما في أول الكتاب فيما اخترنا من الادعية المختارة بعد صلاة الغداة وقبل غروب الشمس في كل يوم فاستثقلنا اعادتها ههنا وأما الفصلان الآخران فنحن ذاكروهما ونذكر دعاء ادريس النبي صلى الله عليه وسلم حدثنا الحسن بن يحيى الشاهد حدثنا القاسم بن داود القراطيسي حدثنا عبد الله بن محمد القرشي حدثنا محمد بن سعيد المؤذن حدثنا سلام الطويل عن الحسن البصري قال لما بعث الله عز وجل ادريس الى قومه علمه هذه الاسماء فاوحى الله اليه قلهن سرا في نفسك ولا تبدهن للقوم فيدعوني بهن قال وبهن دعا فرفعه الله عز وجل مكانا عليا ثم علمهن الله عز وجل موسى عليه السلام ثم علمهن الله عز وجل محمدا صلى الله عليه وسلم وبهن دعا في غزوة الاحزاب قال الحسن وكنت مستخفيا من الحجاج فدعوت الله بهن فحبسه عني ولقد دخل علي ست مرات فادعو الله بهن فأخذ الله عز وجل بابصارهم عني فادع الله عز وجل بهن لالتماس المغفرة لجميع الذنوب ثم سل حاجتك من أمر آخرتك ودنياك فانك تعطاه ان شاء الله تعالى فانهن أربعون اسما عدد أيام التوبة سبحانك لا اله الا أنت يارب كل شيء ووارثه ورازقه وراحمه يا الله الآلهة الرفيع جلاله يا الله المحمود في كل فعاله يا رحمن كل شيء وراحمه يا حي حين لا حي في ديمومة ملكه وبقائه يا قيوم فلا يفوت شيء من علمه ولا يؤده يا واحد الباقي في أول كل شيء وآخره يا دائم فلا فناء ولا زوال لملكه يا صمد من غير شبيه ولا شيء كمثله يا بارئ فلا شيء كفوه ولا مكان لوصفه يا كبير أنت الذي لا تهتدي القلوب لوصف عظمته يا بارئ النفوس بلا مثال خلا من غيره يا زاكي الطاهر من كل آفة تقدسه يا كافي الموسع لما خلق من عطايا فضله يا نقيا من كل جور لم يرضه ولم يخالطه فعاله يا حنان أنت الذي وسعت كل شيء رحمة وعلما يا منان ذا الاحسان قد عم كل الخلائق منه يا ديان العباد كل يقوم خاضعا

ولا نجاة وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبي بن خلف أيها المسكين كيف تصبر على نار وقودها الناس والحجارة وعلى مقاساة عذاب مع قارون وفرعون وهامان وأبي بن خلف الذين هم أشد على الرحمن عتيا ونفسك لا تقدر على الصبر على حر نار الدنيا ولا حر الظهيرة ويمكن ان يكون في قوله صلى الله عليه وسلم مع قارون وفرعون وهامان وأبي بن خلف اشارة الى سلب الايمان نعوذ بالله من ذلك فاي بدن يصبر على خلود نار يزيد حرها على نار الدنيا بتسعة وستين جزأ فيها ملائكة غلاظ شداد بايديهم مقامع لو ضربت بها الجبال تكسرت يصب على رؤسهم بعد ما ضربت بها رؤسهم الحميم لو وقع قطرة منه على جبل الدنيا الذابت يا عاصي أنت عدو لنفسك أم محب لها أمؤمن أنت أم كافر وكيف اجترأت على ترك اطاعة سيدك الذي خلقك سالما سويا ورزقك طيبا هنيا وان الكلب الذي هو أخس الحيوانات يطيع صاحبه فانظر لنفسك وطاعتها قبل ان تقع اسيرا كي لا تندم حين لا ينفع الندم قال الاصمعي مررت يوما بقبور كنت أعرف أهلها أهل سرور وافات

يضرب الناس ويقيمهم من الرحاب ويقول لاتجوز الصلاة فى الرحاب فهذا عندى على ضربين وهو ان الصلاة فى رحاب الجامع الزوائد فيه المتصلة بالصفوف المحيط بها حائط الجامع الاعظم كالصلاة فى وسطه غير مكروهة والصلاة فى رحابه المتفرقة فى أفنيته التى هى من وراء جدار الجامع كله مكروهة وكذلك الصلاة فى الطرقات المنفردة عن الجامع غير المتصلة بالصفوف لجز طريق أو بعده كان فلا يجوز وهذا الذى كرهه من كان ينهى عن الصلاة فيه فاذا صلى الجمعة انتشر فى أرض الله عز وجل يطلب من فضل الله عز وجل ومن الفضل طلب العلم واستماعه ويقال هو مزيد يوم الجمعة للعالم والمتعلم قال الله عز وجل وعلمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما قال الله تعالى ولقد آتينا داود منا فضلا يعنى العلم بدليل نظيرها من الآية الاخرى فى قوله تعالى ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذى فضلنا وروينا عن أنس بن مالك فى قوله عز وجل فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله قال أما انه ليس بطلب دنيا ولكنه عيادة مريض وشهود جنازة وتعلم علم وزيارة أخ فى الله عز وجل فان الذكر بالعلم وتعليم الناس اياه والتذكير بالله عز وجل والدعوة اليه فى يوم الجمعة له فضل على سائر الايام لانه يوم المزيد فللقلوب فيه اقبال وتصديد وكذلك السعى اليه والاستماع له وحضور مجالس الذكر يوم الجمعة لا مجالس القصاص أفضل من سائر الايام والمستمع شريك القائل فى الاجر وقد قيل انه أقرب للرحمة وقد كره العلماء الجلوس الى القصاص سيما يوم الجمعة خاصة لانهم يثبطون عن الغدو الى الجامع فى الساعة الاولى والثانية لان الكتاب ورد بالفضل فيهما فمن اتفق له عالم بالله عز وجل يذكره ويدله عليه من علماء الآخرة الزاهدين فى الدنيا يوم الجمعة غدوة فى الجامع أو بعد صلاة الجمعة جلس اليه واستمع منه وان حضر مفت يتكلم بعلم الدين وكان العبد محتاجا الى ذلك وجالسه فهو الافضل فان مجالس العلماء فى الجامع من زين يوم الجمعة ومن تمام فضله قال الحسن الدنيا ظلمة الا مجالس العلماء فان لم يتفق له ذلك سيما بين الصلاتين وهو الورد الخامس من النهار ويستحب صلاة العصر فى الجامع الا لسبب لابد منه مانع وان قعد الى غروب الشمس فهو أثوب للساعة المنتظرة من آخر النهار اذا أمن الفتنة والتصنع والكلام فيما لا يعنيه ويقال من صلى العصر فى الجامع كان له ثواب حجة ومن صلى المغرب كان له ثواب عمرة فان خشى دخول الآفة عليه أو لم يأمن التصنع والخوض فيما لا يعنيه انصرف الى منزله ذاكرا لله عز وجل مفكرا فى آلائه وحسن نعمائه فراعى غروب الشمس بالاذكار والتسبيح والاستغفار فى منزله أو مسجد حيه فذلك حينئذ أفضل له وقال بعض السلف أوفر الناس نصيبا يوم الجمعة من راعاها وانتظرها من الامس وأخس الناس منها نصيبا من يصبح يوم الجمعة فيقول ايش اليوم وقد كان بعضهم يبيت ليلة الجمعة فى الجامع لاجل صلاة الجمعة ومنهم من كان يبيت ليلة السبت فى الجامع لمزيد الجمعة وكثير من السلف من كان يصلى الغداة يوم الجمعة فى الجامع ويقعد ينتظر صلاة الجمعة لاجل البكور وليستوعب فضل الساعة الاولى ولاجل ختم القرآن وعامة المؤمنين كانوا ينصرفون من صلاة الغداة فى مساجدهم فيتوجهون الى جوامعهم ويقال أول بدعة حدثت فى الاسلام ترك البكور الى الجوامع قال وكنت ترى يوم الجمعة سحرا وبعد صلاة الفجر الطرقات مملوءة من الناس يمشون فى السرج ويزدحمون فيها الى الجامع كما ترون اليوم فى الاعياد حتى درس ذلك وقل وجهل وترك أولا يستحى المؤمن ان أهل الذمة يبكرون الى كنائسهم وبيعهم قبل خروجه الى جامعه أولا يعتبر بأهل الاطعمة الباعة فى رحاب الجامع انهم يغدون الى الدنيا والناس قبل غدوه هو الى الله تعالى والى الآخرة فينبغى أن يسابقهم الى مولاه ويسارعهم الى ما عنده من زلفاه ويجب أن يكون للمؤمن يوم الجمعة مزيد فى الاوراد والاعمال وليتفرغ فيه لربه عز وجل ويجعله يوم آخرته ان لم يكن له يوم السبت فيوم الجمعة فى الاوراد المتصلة والمزيد من الاذكار على المداوم منها فلا يكون الجمعة كالسبت فى تجارة الدنيا والشغل بأسبابها أو أكره له التأهب ليوم الجمعة فى باب الدنيا من يوم الخميس من اعداد المأكول والترفه من النعمة والاكل والشرب فقد

الله عليه وسلم لايرون شيئا من الاعمال تركه كفر غير الصلاة خ م عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال الذى يفوته صلاة العصر كأنما وتر أهله وماله أى سلبهما فبقى بلا أهل ولا مال وروى ابن ماجه عن أبى الدرداء قال أوصانى خليلى ان لاتشرك بالله شيأ وان قطعت وحرقت ولا تترك صلاة مكتوبة متعمدا فمن تركها متعمدا فقد برئت منه الذمة ولاتشرب الخمر فانها مفتاح كل شر ت س عن بريدة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العهد الذى بيننا وبينهم الصلاة ومن تركها فقد كفر أى استحق عقوبة الكافر فان ترك كسلا الظهر أو العصر الى غروب الشمس او المغرب أو العشاء الى طلوع الفجر او الصبح الى طلوع الشمس استتيب فان تاب والاقتل بضرب عنقه حدا وقيل كفرا وان ترك الصلاة جاحدا وجوبها كفر وقتل ولم يصل عليه ولم يدفن مع المسلمين وروى أحمد والدارمى والبيهقى عن عبد الله بن عمرو بن العاصى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه ذكر الصلاة يوما فقال من حافظ عليها كانت له نورا وبرهانا ونجاة يوم القيامة ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نورا وبرهانا

روينا

فاذا دعا بهذه الادعية الاربع يوم الجمعة فقد كمل الله عز وجل عمله وتمم عليه فضله فاذا عمل بخير ما ذكرناه من الاعمال والاذكار واجتنب سيء ما ذكرناه من الاقوال والافعال فهو من أهل الجمعة وممن له المزيد بها نصيبا موفورا وكان عمله الخالص وذكره الصادق عند الله عز وجل مشكورا وهذا آخر كتاب الجمعة وهيآتها وآدابها

(الفصل الثاني والعشرون) فيه كتاب الصيام وترتيبه ووصف الصائمين وذكر ما يستحب للعبد من الصيام وطرقات الصائمين في الصوم ووصف صوم الخصوص قال الله عز وجل واستعينوا بالصبر والصلاة جاء في التفسير الصبر يعني الصوم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمي رمضان شهر الصبر لان الصبر حبس النفس عن الهوى وايقافها وحبسها على أمر المولى وقد روينا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الصبر نصف الايمان والصوم نصف الصبر وقال الله تعالى واستعينوا بالصبر قيل معناه على مجاهدة النفس وقيل على مصابرة العدو وقال بعض العلماء استعينوا بالصبر على الزهادة في الدنيا بالصوم لان الصائم كالزاهد العابد فالصوم مفتاح الزهد في الدنيا وباب العبادة للمولى لانه منع النفس عن ملاذها وشهواتها من الطعام والشراب كما منعها الزاهد العابد بدخوله في الزهد وشغله بالعبادة ولذلك جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما في المعنى فقال ان الله عز وجل يباهي ملائكته بالشاب العابد فيقول أيها الشاب التارك شهوته من أجلي المبتذل شبابه لي أنت عندي كبعض ملائكتي وقال في الصائم مثل ذلك يقول عز وجل يا ملائكتي انظروا الى عبدي ترك شهوته ولذته وطعامه وشرابه من أجلي ففي الصوم عون على مجاهدة النفس وقطع حظوظها ومنع عادتها وفيه اضعاف لها ونقصان لهواها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل كل عمل ابن آدم له الا الصوم فانه لي وأنا أجزي به فأضافه عز وجل اليه تفضيلا له وتخصيصا كما قال تعالى وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا وكما قال انما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرمها فلما كانت المساجد أحب بيوت الدنيا اليه وكانت مكة أشرف البلاد عنده أضافها الى ذكره وله كل شيء كذلك لما كان الصيام أفضل الاعمال عنده وأحبها اليه لان فيه تخلقا من أخلاق الصمدية ولانه من أعمال السر بحيث لا يطلع عليه الا هو أضافه لنفسه وقيل ما في عمل ابن آدم شيء الا ويقع فيه قصاص ويذهب برد المظالم الا الصوم فانه لا يدخله قصاص ويقول الله عز وجل يوم القيامة هذا لي فلا يقتص منه أحد شيئا يقال ما من عمل الا وله جزاء معلوم الا الصوم فانه لا تعلم نفس ما جزاؤه ويكون أجره بغير حساب يفرغ له افراغا ويجازف مجازفة وهو أحد الوجوه في قوله عز وجل فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون قيل كان عملهم الصيام وكذلك في تأويل قوله عز وجل السائحون قيل هم الصائمون كأنهم ساحوا الى ربهم عز وجل بجوعهم وعطشهم وتركوا قرة أعين أبناء الدنيا من أكلهم وشربهم فآواهم مولاهم فيما أخفي لهم من قرة أعين جزاء لعملهم وقال تعالى انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب قيل الصائمون والصبر اسم من أسماء الصوم فلما أخفى ذكره بالصوم في نفسه اخفى الله عز وجل جزاءه اياه عن غير نفسه وفي الحديث من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي فالصوم ذكر الله عز وجل وهو سر وليس أستحب للعبد ان يزيد على افطار أربعة أيام نسقا فان ذلك يقسي القلب ويغير الحال ويولد العادات ويفتق الشهوات ولانه لم يؤمر ولم يندب الى ان يوالي بين افطار أكثر من أربعة أيام متوالية وهي النحر وأيام التشريق ويستحب له أن يصوم يوما ويفطر يوما أو يصوم يومين ويفطر يومين وذلك صوم نصف الدهر وان أحب فليصم يومين ويفطر يوما وذلك صوم ثلثي الدهر فان أحب فليصم يوما ويفطر يومين وهذا صيام ثلث الدهر هذه طريق الصائمين وفيها روايات حذفنا ذكر فضائلها للاختصار فان صام ثلاثا من أول الشهر وثلاثا من وسطه وثلاثا من آخره فحسن فان صام الاثنين والخميس والجمعة فذلك خير كبير وأقل من ذلك أن يصوم الايام البيض وأول يوم من الشهر وآخر يوم منه وأفضل الصيام ما كان في الاشهر الحرم وأفضل ذلك ما وقع في العشرين

الذي يعقبه سلام والجلوس فيه والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فيه والتسليمة الاولى والترتيب وأكثر ما يختل من الاركان النية فيحافظ عليها بان يحضر في قلبه قبيل التكبير ما يجب ان ينوي به من نية فعل الصلاة وتعيينها من المعينة والفرضية في الفرض ثم يقصد الى هذا المعلوم ويجعل قصده هذا مقارنا لاول التكبير ولا تغفل عن تذكره حتى تتم التكبير ولا يجوز ان يبتدئ النية بالقلب مع ابتداء التكبير باللسان ويفرغ منها مع الفراغ من التكبير والمختار عند النووي الاكتفاء بالمقارنة العرفية وهي المقارنة لبعض التكبير وصوبه السبكي ويراعي حروف الفاتحة والتشهد ومخارجها والطمأنينة ثم عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رجلا دخل المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في ناحية المسجد فصلى ثم جاء فسلم عليه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليك السلام ارجع فصل فانك لم تصل فرجع فصلى ثم جاء فسلم عليه فقال وعليك السلام ارجع فصل فانك لم تصل فقال في الثالثة أو في التي بعدها علمني يا رسول الله فقال اذا قمت الى الصلاة فاسبغ

لرهبته ياخالق من في السموات والارض وكل اليه معاده يارحيم كل صريخ ومكروب وغياثه ومعاده ياتام فلا تصف الالسن كل جلال ملكه وعزه يامبدع البدائع لم يبغ في انشائها عونا من خلقه ياعلام الغيوب فلا يفوته شئ من خلقه ولا يؤده ياحليم ذا الاناة فلا يعادله شئ من خلقه يامعيد ما أفناه اذا برز الخلائق لدعوته من مخافته ياحميد الفعال ذا المن على جميع خلقه بلطفه ياعزيز المنيع الغالب على أمره فلا شئ يعادله ياقاهر ذا البطش الشديد أنت الذي لا يطاق انتقامه ياقريب المتعالي فوق كل شئ علو ارتفاعه يامذل كل جبار عنيد بقهر عزيز سلطانه يانور كل شئ وهداه أنت الذي فلق الظلمات بنوره ياعالي الشامخ فوق كل شئ علو ارتفاعه ياقدوس الطاهر من كل سوء فلا شئ يعادله من خلقه يامبدئ البرايا ومعيدها بعد فنائها بقدرته ياجليل المتكبر عن كل شئ فالعدل أمره والصدق وعده يامحمود فلا تبلغ الاوهام كنه ثنائه ومجده ياكريم العفو ذا العدل أنت الذي ملأ كل شئ عدله ياعظيم ذا الثناء الفاخر وذا العز والمجد والكبرياء فلا يذل عزه ياعجيب فلا تنطق الالسن بكنه آلائه وثنائه ياغياثي عند كل كربة ويامجيبي عند كل دعوة أسألك اللهم يارب الصلاة على نبيك محمد صلى الله عليه وسلم وأمانا من عقوبات الدنيا والآخرة وأن تحبس عني أبصار الظالمين المريدين بي السوء وأن تصرف قلوبهم عن شر ما يضمرون بي الى خير ما لا يملكه غيرك اللهم هذا الدعاء ومنك الاجابة وهذا الجهد وعليك التكلان ولا حول ولا قوة الا بالله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم * ذكر دعاء ابراهيم بن أدهم * حدثنا أحمد بن الموصلي الوكيل بن المتوكل حدثنا جعفر بن نصير الخواص الخراساني حدثني ابراهيم بن بشار خادم ابراهيم بن أدهم قال كان ابراهيم ابن أدهم يقول هذا الدعاء في يوم الجمعة اذا أصبح ويقوله اذا أمسى مثل ذلك مرحبا بيوم المزيد والصبح الجديد والكاتب الشهيد يومنا هذا يوم عيد اكتب لنا ما نقول بسم الله الحميد المجيد الرفيع الودود الفعال في خلقه ما يريد أصبحت بالله مؤمنا وبلقائه مصدقا وبحجته معترفا ومن ذنبي مستغفرا ولربوبية الله خاضعا ولسوى الله عز وجل في الالهية جاحدا والى الله فقيرا وعلى الله متوكلا والى الله منيبا أشهد الله وأشهد ملائكته وأنبياءه ورسله وحملة عرشه ومن خلق ومن هو خالقه بانه هو الله لا اله الا هو وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وأن الجنة حق والنار حق والحوض حق والشفاعة حق ومنكرا ونكيرا حق ولقاءك حق ووعدك حق والساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور على ذلك أحيا وعليه أموت وعليه أبعث ان شاء الله اللهم أنت ربي لا اله الا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك اللهم من شر كل ذي شر اللهم اني ظلمت نفسي فاغفر لي ذنوبي فانه لا يغفر الذنوب الا أنت واهدني لاحسن الاخلاق فانه لا يهدي لأحسنها الا أنت واصرف اللهم يارب عني سيئها فانه لا يصرف سيئها الا أنت لبيك وسعديك والخير كله بيديك أنا لك واليك أستغفرك وأتوب اليك آمنت اللهم بما أرسلت من رسول وآمنت اللهم بما أنزلت من كتاب وصلى الله على سيدنا محمد النبي وعلى آله وسلم كثيرا خاتم كلامي ومفتاحه وعلى أنبيائه ورسله أجمعين آمين يارب العالمين اللهم أوردنا حوضه واسقنا بكأسه مشربا رويا سائغا هنيا لا نظمأ بعده أبدا واحشرنا في زمرته غير خزايا ولا نادمين ولا ناكثين ولا مرتابين ولا مفتونين ولا مغضوب علينا ولا ضالين اللهم اعصمني من فتن الدنيا ووفقني لما تحب وترضى من العمل واصلح لي شأني كله وثبتني بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولا تضلني وان كنت ظالما سبحانك سبحانك ياعلي ياعظيم يابار يارحيم ياعزيز ياجبار سبحان من سبحت له السموات باكنافها وسبحان من سبحت له الجبال بأصواتها وسبحان من سبحت له البحار بأمواجها وسبحان من سبحت له الحيتان بلغاتها وسبحان من سبحت له النجوم في السماء بأبراجها وسبحان من سبحت له الشجر بأصولها وثمارها وسبحان من سبحت له السموات السبع والارضون السبع ومن فيهن ومن عليهن سبحانك سبحانك ياحي ياحليم سبحانك لا اله الا أنت وحدك لا شريك لك تحيي وتميت وأنت حي لا تموت بيدك الخير وأنت على كل شئ قدير

فاذا

ورفاهة وشهوات فرأيت في لوح مكتوبا من الابيات

(شعر)

أيها الماشي بين هذي القبور
غافلا عن معقبات الامور
أدن مني أنبئك عني ولا
ينبئك عني يا صاح مثل خبير
انا ميت كما تراني طريح
بين أطباق جندل وصخور
انا في بيت غربة وانفراد
مع اني بين جيرتي وعشيري
ليس لي فيه مؤنس غير سعي
من صلاح سعيته أو فجور
فكذا أنت فاتعظ بي والا
صرت مثلي رهينا ليوم النشور

اللهم انا نسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي وتجمع بها شملي وتلم بها شعثي وتصلح بها ديني

(فصل) اعلم انه لا تبرأ ذمتك من عهدة الصلاة الا بادائها مراعيا لشروطها وأركانها فلا تصح صلاة ان اختل شرط من شروطها أو ركن من أركانها وهي تسعة عشر النية وتكبيرة الاحرام والقيام وقراءة الفاتحة بحروفها وتشديداتها والركوع والطمأنينة فيه وهي ان ينفصل رفعه عن هويه والاعتدال والطمأنينة فيه والسجود والطمأنينة فيه والجلوس بين السجدتين والطمأنينة فيه والسجدة الثانية والطمأنينة فيها والتشهد

الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم وأكلهم السحت فالعبد الحافظ لحدود الله عز وجل ان أفطر بالاكل والجماع فهو صائم عند الله في الفضل للاتباع ومن صام من الاكل والجماع وتعدى الحدود وأضاع فهو مفطر عند الله عز وجل صائم عند نفسه لان ما أضاع أحب الى الله عز وجل وأكثر مما حفظ ومثل من صام من الاكل وأفطر بمخالفة الامر بسائر الجوارح مثل من مسح كل عضو من أعضائه في وضوئه ثلاثا ثلاثا ثم صلى فقد وافق الفضل في العدد الا أنه تارك للفرض من الغسل فصلاته مردودة عليه لجهله وهو مغتر بفعله ومثل من أفطر بالاكل وصام بجوارحه عن النهي مثل من غسل كل عضو من أعضائه في وضوئه مرة مرة فهو تارك للفضل في العدد الا انه مكمل للفرض محسن في العمل فصلاته متقبلة لاحكامه الاصل و لعمله بالعلم ومثل من صام من الاكل والجماع وحفظ جوارحه من الآثام كمثل من غسل كل عضو ثلاثا ثلاثا فقد تمم الفرض وأحسن بتكملة الفضل فهذا كما قال تعالى تماما على الذى أحسن وكما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الوضوء كذلك هذا وضوئي و وضوء الانبياء من قبلي و وضوء أبي ابراهيم عليه السلام وقد قال الله تعالى ملة أبيكم ابراهيم أى عليكم بها فاتبعوا واقتدوا به فيها وقد روينا عن النبي صلى الله عليه وسلم الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر وجاء في الخبران امرأتين صامتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجهدهما الجوع والعطش في آخر النهار حتى كادتا ان تتلفا فبعثتا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستأذناه في الافطار فارسل اليهما قدحا وقال قل لهما قيئا فيه ما أكلتما قال فقاءت احداهما نصفه دما عبيطا ولحما غريضا وقاءت الاخرى مثل ذلك حتى ملأتاه فعجب الناس من ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هاتان صامتا عما أحل الله عز وجل لهما وأفطرتا على ما حرم الله عز وجل عليهما قعدت احداهما الى الاخرى فجعلا يغتابان الناس فهذا ما أكلا من لحومهم وكان أبو الدرداء يقول يا حبذا نوم الاكياس وفطرهم يعيبون صوم الحمقى وسهرهم ولذرة من ذى يقين وتقوى أفضل وأرجح من أمثال الجبال من عبادة المغترين وكل محظور عليك ان تتفوه به فمحظور عليك ان تستمع اليه وكل حرام عليك ان تفعله فمكروه ان تنظر اليه أو يخطر ببالك وقد سوى الله عز وجل بين المستمع والقائل في قوله تعالى انكم اذا مثلهم ومثل الصائم مثل التوبة لان الصبر من أوصافها وانما كانت التوبة مكفرة لما سلف من السيآت لاجل انه صبر عما سلف من سيء العادات ثم اعتقد ترك العود الى مثل ما سلف بصيانة جوارحه التى كانت طرائق المكروهات كذلك كان الصيام جنة من النار وفضيلة من درجات الابرار اذا صبر عليه الصائم فحفظ جوارحه فيه من المآثم فاذا أمرحها في الآثام كان كالتائب المتردد الناقض للميثاق لم تكن توبته نصوحا ولا كان صوم هذا صالحا وجيها ألا ترى الى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم الصوم جنة من النار مالم يخرقها بكذب أو غيبة وأمره في قوله عليه السلام اذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يجهل وان امرؤ شاتمه فليقل انى صائم وفى لفظ آخر لا يجعل يوم صومه و يوم فطره سواء أى يتحفظ في صومه لحرمته وفى خبر آخر الصوم أمانة فليحفظ أحدكم أمانته فحفظ الامانة من صيانة الجوارح لقول النبي صلى الله عليه وسلم لما تلا هذه الآية ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى أهلها وضع يده على سمعه وبصره فقال السمع أمانة والبصر أمانة فذلك مجاز قوله فليقل انى صائم أى يذكر الامانة التى حمل فيؤديها الى أهلها ومن حفظ الامانات ان يكتمها فان أفشاها من غير حاجة فهى خيانة لان مودعها قد لا يحب ان يظهرها وحقيقة حفظ السر نسيانه وضياع السر ان يكثر خزانه فحقيقة الصائم ان يكون ناسيا لصومه لا ينتظر الوقت شغلا عنه بالموقت

(الفصل الثالث والعشرون) فيه كتاب محاسبة النفس ومراعاة الوقت قال الله عز وجل ونضع الموازين القسط ليوم القيامة الى قوله أتينا بها وكفى بنا حاسبين وقرئت آتينا بها ممدودة أى جازينا بها فالتخويف بهذا الحرف أشد وأبلغ وقال تعالى يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم الآية وأوصى أبو بكر عمر رضى الله عنهما عند موته فقال ان الحق ثقيل وهو مع ثقله مرىء وان الباطل خفيف وهو مع خفته وبىء وان لله

سفينة تغرق الا أصلح سفينة نفسك التى هى محملك امنت أن يغافصك الموت أم رضيت أن يدركك الندم على الفوت يا من ركن الى الدنيا باقامة وثبات احذر أسد الموت فان له وثبات كيف تركن الى اللذات وقد نجت في طلبك الممات فاعتبر يا هذا بمصارع الهالكين ففيهم لذى الذكرى عظات وروى عن أخوين كان أحدهما عابدا والآخر مسرفا على نفسه وكان العابد يتمنى ان يرى ابليس في محرابه فتمثل له يوما وقال وا أسفا عليك ضيعت من عمرك أربعين سنة في حصر نفسك واتعاب بدنك وقد بقى من عمرك مثل ما مضى فاطلق نفسك في شهواتها وتلذذ ثم تب بعد ذلك وعد الى العبادة فان الله غفور رحيم فقال العابد اعلى أنزل الى أخى في أسفل الدار واوافقه على اللهو واللذات عشرين سنة ثم أتوب وأعبد الله في العشرين سنة التى تبقى من عمرى فنزل وقال أخوه المسرف على نفسه وقد أفنيت عمرى في المعاصى وأخى العابد يدخل الجنة وأنا أدخل النار والله لاتوبن واصعد الى عند أخى فأوافقه في العبادة باقى عمرى ولعل الله ان يغفر لى فنزل على نية التوبة ونزل أخوه

منها وهو المحرم وذو الحجة وبعد ذلك ما كان في شعبان فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكثر الصيام فيه حتى يصله بشهر رمضان ولا يدع أن يصوم من كل شهر ثلاثة أيام وليواظب على صوم الاثنين والخميس وفي الخبر أفضل الصيام بعد شهر رمضان وشهر الله المحرم وصوم النصف الاول من شهر شعبان مستحب وقد كانوا يفطرون النصف الاخير منه وقد روينا الخبر اذا كان النصف من شعبان فلا صوم حتى يدخل رمضان وليفطر قبل رمضان أياما فان وصل شعبان برمضان جائز ولا يجوز أن يستقبل رمضان بيومين أو ثلاثة الا أن يوافق ذلك يوم اثنين أو خميس قد كان يصومه وقد كان بعض الصحابة يكره أن يصام رجب كله لئلا يضاهي به شهر رمضان وكانوا يستحبون ان يفطروا منه أياما وقد كره قوم صيام الدهر كله وردت اخبار في كراهته وقد تأول ذلك بانهم كانوا يصومون السنة كلها مع يوم العيد وأيام التشريق فوردت الكراهة لذلك وان كان يريد صلاح قلبه وانكسار نفسه واستقامة حاله في صوم الدهر فليصمه فهو حينئذ كالواجب عليه اذا كان تقواه وصلاحه فيه فقد روينا عن سعيد عن قتادة عن أبي تميمة الهجيمي عن أبي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صام الدهر ضيقت عليه جهنم وعقد تسعين معناه لم يكن له فيها موضع وقد دلت الاصول على فضل صوم الدهر وقد صامه طبقات من السلف الصالح من الصحابة والتابعين باحسان الا ان يكون الرجل يرغب عن السنة ولا يرى الرخصة في الافطار فيكره له صوم الدهر للمعاندة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بالسعة في الدين وأخبر الله عز وجل بانه يحب ان يؤخذ برخصه كما يحب أن يؤخذ بعزائمه وفي لفظ آخر يحب أن يؤخذ برخصه كما يكره ان تؤتى معصيته وقد دلت الاخبار على فضل صوم نصف الدهر بان يصوم يوما ويفطر يوما وذلك ليكون العبد بين حالين حال صبر وحال شكر ومن ذلك ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم عرضت على مفاتيح خزائن الدنيا وكنوز الارض فرددتها فقلت أجوع يوما وأشبع يوما أحمدك اذا شبعت وأتضرع اليك اذا جعت ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم أفضل الصيام صيام أخي داود عليه السلام كان يصوم يوما ويفطر يوما ومن ذلك منازلته عليه السلام لعبد الله بن عمرو في الصوم وهو يقول اني أريد أفضل من ذلك حتى قال له النبي صلى الله عليه وسلم صم يوما وافطر يوما قال أريد أفضل من ذلك قال لا أفضل من ذلك وروي في الخبر صوم يوم من شهر حرام أفضل من صوم ثلاثين يوما من غيره وصوم يوم من رمضان أفضل من صوم ثلاثين يوما من شهر حرام وفي حديث من صام ثلاثة أيام من شهر حرام الخميس والجمعة والسبت كتب الله تعالى له عبادة سبعمائة عام وقد روينا ان النبي صلى الله عليه وسلم ما صام شهرا كاملا قط الا رمضان بل كان يفطر منه وقد وصل مرة شعبان برمضان وفصل صوم رمضان مرارا من شعبان وما ذكرنا من أنواع الصوم فهو صيام جماعة من السلف الصالح وفي كل منه ورد فيه فضائل يكثر ذكرها وكذلك في جميع ما نذكره من أعمال القلوب والجوارح في الايام والليالي وكذلك فيما نذكره من أخلاق الايمان وأوصاف الموقنين وقد جاءت في أكثر ذلك فضائل ومثوبات الا أنا لم نقصد تعديد ذلك وليس مذهبنا الاشتغال بذكر فضائل الاعمال الظاهرة انما تهذيب قلوب العمال فبطهارة القلوب وحقيقة الايمان تزكو الاعمال وتقرب العاملون من ذي الجلال ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم * ذكر صوم الخصوص من الموقنين اعلم وفقك الله تعالى ان الصوم عند الصائمين هو صوم القلب فأما صوم الخصوص من الموقنين فان الصوم عندهم هو صوم القلب عن الهمم الدنية والافكار الدنيوية ثم صوم السمع والبصر واللسان عن تعدي الحدود وصوم اليد والرجل عن البطش والسعي في أسباب النهي فمن صام بهذا الوصف فقد أدرك وقته في جملة يومه وصار له في كل ساعة من نهاره وقت وقد عمر يومه كله بالذكر ولمثل هذا قيل نوم الصائم عبادة ونفسه تسبيح وقد قرن الله عز وجل الاستماع الى الباطل والقول بالاثم الى أكل الحرام ولولا ان في المسموعات والمقولات حراما على المستمع والاصغاء اليه وحراما على القائل النطق به ما قرنهما الى أكل الحرام وهو من الكبائر فقال تعالى سماعون للكذب أكالون للسحت وقال سبحانه وتعالى لولا ينهاهم

الوضوء ثم استقبل القبلة فكبر ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن ثم اركع حتى تطمئن راكعا ثم ارفع حتى تستوي قائما ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا ثم ارفع حتى تطمئن جالسا ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا ثم ارفع حتى تطمئن جالسا وفي رواية حتى تستوي قائما ثم افعل ذلك في صلاتك كلها ط عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اسوأ السرقة الذي يسرق صلاته قالوا وكيف يسرق صلاته يا رسول الله قال لا يتم ركوعها ولا سجودها م عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا ينظر الله الى عبد لا يقيم ظهره بين ركوعه وسجوده خ س رأى حذيفة رجلا يصلي فطفف فقال له حذيفة منذ كم تصلي هذه الصلاة قال منذ أربعون سنة قال ما صليت منذ أربعون سنة ولو مت وأنت تصلي هذه الصلاة مت على غير فطرة محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال ان الرجل يخفف ويتم ويحسن اخواني فتشوا أعمالكم هل أقمتموها على نهج الشرع أم عملتموها كيفما اتفق فمن لا يراعي شيأ من شرائطها وأركانها فهو من الاخسرين الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا يا من لا يركب ماله

ان يخافك به اذا غبت عنه واعفه ما استطعت ان يعفيك منه واعمل بعمل رجل يعلم انه مكافأ بالاحسان مأخوذ بالاساءة وفي وصية العباس لابنه عبد الله قال يا بني اني أرى هذا الرجل يقدمك على الاشياخ ويكرمك فاحفظ عني هذه الخصال لا تفشين له سرا ولا تعصين له أمرا ولا تغتابن عنده أحدا ولا يطلعن منك على خيانة ولا يجربن عليك كذبة هذا في روايتين دخلت احداهما في الاخرى قال في احداهما قلت للشعبي كل واحدة منهن خير من ألف فقال كل واحدة منهن خير من عشرة آلاف وقال يوسف بن أسباط كان يقال ثلاث من كن فيه فقد استكمل ايمانه من اذا رضي لم يخرج رضاه الى باطل واذا غضب لم يخرج غضبه عن حق واذا قدر لم يأخذ ما ليس له وقد روينا مسندا من طريق وقال سري بن المغلس ثلاث يستبين بهن اليقين القيام بالحق في مواطن الهلكة والتسليم لامر الله عز وجل عند نزول البلاء والرضا بالقضاء عند زوال النعمة نعوذ بالله منه وقد روينا عن النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه استكمل ايمانه لا يخاف في الله لومة لائم ولا يرائي بشيء من عمله واذا عرض عليه أمران أحدهما الدنيا والاخر للآخرة آثر الآخرة على الدنيا وفي الخبر المشهور ثلاث منجيات وثلاث مهلكات فأما المنجيات فخشية الله في السر والعلانية وكلمة العدل في الرضا والغضب والقصد في الغنى والفقر وأما المهلكات فشح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وروينا في الخبر التكرم التقوى والشرف التواضع والغنى اليقين وفي الحديث الايمان عريان ولباسه التقوى وزينته الحياء وثمرته العلم وفي حديث عمار أسنده الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كفى بالموت واعظا وكفى بالخشية علما وكفى باليقين غنى وكفى بالعبادة شغلا روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الخطباء وخطيب الخطباء وحكيم الحكماء في خطبة الوداع كلمات جامعات موجزات في الوعظ والتذكرة والزهد والتبصرة وينتظم جميع معاني ما قيل في معناها رواه أبان بن عياش عن أنس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب على ناقته فقال يا أيها الناس كأن الموت فيها على غيرنا كتب وكأن الحق فيها على غيرنا وجب وكأن من نشيع من الاموات سفر عما قليل الينا راجعون نبوئهم أجداثهم ونأكل تراثهم كأنا مخلدون بعدهم قد نسينا كل واعظة وأمنا كل جائحة طوبى لمن شغله عيب نفسه عن عيوب الناس وانفق من مال اكتسبه من غير معصية ورحم أهل الذل والمسكنة وخالط أهل الفقه والحكمة طوبى لمن أذل نفسه وحسنت خليقته وصلحت سريرته وعزل عن الناس شره طوبى لمن عمل بعلمه وأنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوله ووسعته السنة ولم يعدها الى بدعة وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم حديث جامع لهذه المعاني المبثوثة مختصر في اللفظ والمعنى يقال انه نصف العلم وهو قوله من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه وما لم يؤمر به العبد فرضا ولم يندب اليه فضلا ولا يحتاج اليه مباحا فهو مما لا يعنيه وفي حديث آخر هو نصف الورع قوله صلى الله عليه وسلم دع ما يريبك الى ما لا يريبك فان الاثم حواز القلوب أي دع ما تشكن فيه من قول أو فعل فان فيه غنيمة أو سلامة الى شيء أنت على يقين من الفضيلة فيه أو السلامة معه وما حز في قلبك ولم ينشرح له فدعه فان ذلك اثم وان قل ودق وقد روينا عنه صلى الله عليه وسلم في الوصف المبسوط من أوصاف المؤمنين كوصف الله تعالى أولياءه في الكلام المشروح انه بينا هو جالس صلى الله عليه وسلم بين أصحابه اذ سجد فأطال ثم رفع رأسه ماداً يديه فقال اللهم أكرمنا ولا تهنا وزدنا ولا تنقصنا وأعزنا ولا تذلنا قلنا وما ذاك يا رسول الله قال انزلت علي آيات من أقامها دخل الجنة ثم تلا علينا قد أفلح المؤمنون الى آخر العشر وروينا عنه في حديث مجمل ان رجلا سأله فقال يا رسول الله متى أعلم اني من أهل الجنة وفي لفظ آخر اني مؤمن حقا فقال اذا كنت بهذه الاوصاف ثم تلا عليه قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم الى آخر النعوت وروينا عنه صلى الله عليه وسلم في الوصف الجامع المختصر كوصف الحكيم الاكبر من صلح له من عباده بالاخلاص في التوحيد والعمل فقال صلى الله عليه وسلم لو لم تنزل علي الا هذه الآية كانت تكفي ثم قرأ آخر سورة الكهف فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا الى آخرها فكان هذا فصل الخطاب

فوالله ما كنت بأكثرنا له تبعا ولا أقدمنا له صحبة قال بلى قالوا فاعرض قال كان اذا قام الى الصلاة رفع يديه حتى يحاذي بهما منكبيه ثم يكبر حتى يقر كل عظم في موضعه معتدلا ثم يقرأ ثم يكبر ويرفع يديه حتى يحاذي بهما منكبيه ثم يركع ويضع راحتيه على ركبتيه ثم يعتدل فلا يصبي رأسه ولا يقنع ثم يرفع رأسه فيقول سمع الله لمن حمده ثم يرفع يديه حتى يحاذي بهما منكبيه معتدلا ثم يقول الله أكبر ثم يهوي الى الارض ساجدا فيجافي يديه عن جنبيه ثم يرفع رأسه ويثني رجله اليسرى فيقعد عليها ويفتح أصابع رجليه اذا سجد ويسجد ثم يقول الله أكبر ويرفع رأسه ويثني رجله اليسرى فيقعد عليها ثم يعتدل حتى يرجع كل عضو الى موضعه ثم يصنع في الاخرى مثل ذلك ثم اذا قام من الركعتين كبر ويرفع يديه حتى يحاذي بهما منكبيه كما كبر عند افتتاح الصلاة ثم يصنع ذلك في بقية صلاته حتى اذا كان السجدة التي فيها التسليم اخر رجله اليسرى وقعد متوركا على شقه الايسر ثم سلم قالوا صدقت * اعلم ان عماد الصلاة الخشوع وكل صلاة لا يحضر

عز وجل حقا بالنهار لا يقبله بالليل وحقا بالليل لا يقبله بالنهار وانك لو عدلت على الناس كلهم وجرت على واحد منهم لمال جورك بعدلك فان حفظت وصيتي لم يكن شئ أحب اليك من الموت وهو مدركك وان ضيعت وصيتي لم يكن شئ أبغض اليك من الموت ولن تعجزه وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه حاسبوا أنفسكم قبل ان تحاسبوا وزنوها قبل ان توزنوا وتزينوا للعرض الاكبر على الله تعالى يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية وانما خف الحساب في الآخرة على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا وثقلت موازين قوم في الآخرة وزنوا أنفسهم في الدنيا وحق لميزان لا يوضع فيه الا الحق ان يكون ثقيلا فمحاسبة النفس تكون بالورع والموازنة تكون بمشاهدة اليقين والتزين للعرض الاكبر يكون بمخافة الملك الاكبر وهو حقيقة الزهد وأوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا ذر فقال له اتق الله أينما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن ووجدت هذه الوصية في كتاب الله عز وجل لعباده بقوله عز وجل ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله والكلمة الثانية في قوله تعالى ويدرؤن بالحسنة السيئة أي يدفعون بعمل الحسنة ويتبعونها السيئة المتقدمة تكفرها والكلمة الثالثة في قوله تعالى وقولوا للناس حسنا وقد أخبر الله عز وجل عن وصية عباده الصالحين بثلاث فقال ان الانسان لفي خسر أي لفي خسران ونقص بفوت أوقاته وفقد أرباحه ثم استثنى فقال الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر وقال في الوصف الثالث وتواصوا بالمرحمة واتباع الحق بمخالفة الهوى فيه الصلاح اذ في موافقة الهوى الفساد والصبر قوام الامر وبمقداره يكون الربح والرحمة للخلق باب الرحمة من الخالق ومفتاح حسن الخلق ومعها حسن الظن وسلامة القلب وعندها ينتفي الحسد والغل ويوجد التواضع والذل وهذا وصف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين اختارهم لصحبته عليه السلام وأنزل عليهم السكينة وأيدهم بروح منه فقال رحماء بينهم وقال تعالى في حقيقة الرحمة واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقال في مثله عن وصف أحبابه لاخوانهم أذلة على المؤمنين فهذه الثلاثة مفاتيح رقة القلب ومغالق القسوة وفي الرقة الاقبال على الله عز وجل وعلى الدار الآخرة والتيقظ لامره والتفكر في وعده ووعيده وفي القسوة الاعراض وطول الغفلة فمحاسبة النفس تكون بالورع وموزنتها تكون بمشاهدة عين اليقين والتزين للعرض الاكبر يكون بمخافة الملك الاكبر وهو حقيقة الزهد وروينا عن علي رضي الله عنه أما بعد فان المرء يسره درك ما لم يكن ليفوته ويسوءه فوت ما لم يكن ليدركه فما نالك من دنياك فلا تكثرن به فرحا وما فاتك منها فلا تتبعه نفسك أسفا وليكن سرورك بما قدمت وأسفك على ما خلفت وشغلك لآخرتك وهمك فيما بعد الموت وقال أيضا الهوى شريك العمى ومن التوفيق الوقوف عند الحيرة ونعم طارد الهم اليقين وعاقبة الكذب الذم وفي الصدق السلامة رب بعيد أقرب من قريب وغريب من لم يكن له حبيب والصديق من صدق غيبه ولا يعدمك من حبيب سوء الظن نعم الخلق التكرم والحياء سبب الى كل جميل وأوثق العرا التقوى وأوثق سبب أخذت به نفسك سبب بينك وبين الله عز وجل انما لك من دنياك ما أصلحت به مثواك والرزق رزقان رزق تطلبه ورزق يطلبك فان لم تأته أتاك وان كنت جازعا على ما أتلفت من يديك فلا تجزعن على ما لم يصل اليك واستدل على ما لم يكن بما كان فان الامور أشباه وقال عبد الله بن عباس لكل شئ آفة وآفة العلم النسيان وآفة العبادة الكسل وآفة اللب العجب وآفة الظرف الصلف وآفة التجارة الكذب وآفة السخاء التبذير وآفة الجمال الخيلاء وآفة الدين الرياء وآفة الاسلام الهوى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم آفة أمتي الدينار والدرهم وروينا عن مورق السلمي عن مجاهد قال أوصاني ابن عباس بخمس لهن أحسن من الدرهم الموقوف ومن الذهب الموصوف قال لا تتكلمن فيما لا يعنيك فانه أقرب لك من السلامة ولا آمن عليك الخطأ ولا تتكلمن فيما يعنيك حتى ترى له موضعا فرب متكلم فيما يعنيه قد وضعه في غير موضعه فلقي عنتا ولا تمار ين حليما ولا سفيها أما الحليم فيقليك وأما السفيه فيؤذيك واخلف أخاك اذا غاب عنك بمثل ما تحب

على نية المعصية فزلت رجله فوقع على أخيه فمات فاتا جميعا في السلم فحشر العابد على نية المعصية وحشر المسرف على نية التوبة

شعر

سبحان من خلق الاشياء وقدرها
ومن يجود على العاصي ويستره
يخفي القبيح ويبدي كل صالحة
ويغمر العبد احسانا ويشكره
ويغفر الذنب للعاصي ويقبله
اذا أناب وبالغفران يجبره
ومن يلوذ به في دفع نائبة
يعطيه من فضله عزا وينصره
ولا يضيع مثقالا لمجتهد
بل في المآل يربيه ويذخره
ومن يكن قلبه من ذنبه دنسا
فبالمدامع والتقوى يطهره
فليس للعبد تصريف وان له
مولى يغنيه أو ان شاء يفقره
فلا الحذار ينجي العبد من قدر
يريده الله أو أمر يدبره
فنسأل الله حقا حسن خاتمة
عند الممات وصفوا لا يكدره

(فصل) لا ينبغي ان لا تترك السنن والهيئات كي لا يفوت الثواب الجزيل دت عن محمد بن عمرو بن عطاء انه قال كنت جالسا مع نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرنا صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابن حميد أنا أعلمكم بصلاته قالوا فلم

برأيه وقد قال الله عز وجل فلا تزكوا أنفسكم وقد وصف أهل الرأى من أوليائه فى قوله عز وجل ان فى ذلك لآيات للمتوسمين وقال تعالى على بصيرة أنا ومن اتبعنى وجاء فى الاثر ما رآه المؤمنون حسنا فهو عند الله حسن وما رآه المؤمنون قبيحا فهو عند الله قبيح وجاء أنتم شهداء الله فى أرضه وعن بعض السلف أفضل العبادة الرأى الحسن فاما ما أشكل لتجاذب الامثال ولم يتبين لك الى أى مثل ترده فالورع ان تقف ولا تمضى حتى ينكشف واما ما اشتبه لقصور العلم بالاستدلال فالعلم فيه ان تعرف الاصلين من الحرام والحلال ثم ترده الى أشبههما به وهذا ظاهر مثل ما أحلت طائفة النظر الى الغلام الجميل لانه ذكر فتحتاج الى ان ترده الى أحد الاصلين لانه مشتبه قال الله عز وجل أنظروا الى ثمره اذا أثمر وقال قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم فكان هذا الاصل أشبه لوجود الجنس ومثله الاستماع الى القصائد أى انشاد الشعر المباح فكان الاستماع الى القرآن حلالا والاستماع الى الغناء حراما وكانت القصائد بالغناء أشبه فكره هنا لغير أهله وكذلك القول فى تلحين القرآن اذا جاوز الحد فى مد المقصور وقصر الممدود مكروه لشبهه بالاغانى ومثل لبس القطن ولبس الحرير فكره هنا لبس الملحم والعمل به لانه بالحرير أشبه لما فيه منه فاما الاقدام على الامور الغامضة مما لم ينكشف للاسماع فلم يظهر للابصار فان القلوب تسأل عن عقود سوء الظن بها والقطع بظاهر الامر عليها وهو معنى قول الله عز وجل عن قفو ما لم يبين علمه اذ لم يجعل من علم العبد ونهى عنه وجعله مسؤولا الجوارح عنه فى قوله تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم أى لا تتبع ولا تجسس أمر ما لم تعلم فتشهد عليه بسمع أو رؤية أو عقد قلب اذ حقيقة العلم السمع والمشاهدة فلذلك قال ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا وكذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والظن فان الظن أكذب الحديث فمن اشتبه عليه الامر فقطع به فهو متبع للهوى ومن تظاهر فى فعل أو امر غاب عنه حقيقة فاخبر به وأظهره على صاحبه فقد أساء كيف وقد جاء فى الخبر من حدث بما رأته عيناه أو سمعت أذناه كتبه الله عز وجل من الذين يحبون ان تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا هذا لكشف ستر الله على عباده ومحبته للساترين منهم ولذلك كان من دعاء أبى بكر الصديق رضى الله عنه اللهم أرنا الحق حقا فنتبعه والباطل باطلا فنجتنبه ولا تجعل ذلك علينا متشابها فنتبع الهوى وكذلك روينا عن عيسى عليه السلام انما الامور ثلاثة أمر استبان لك رشده فاتبعه وأمر استبان غيه فاجتنبه وأمر أشكل عليك فكله الى عالمه وقد كان من دعاء على رضى الله عنه اللهم انى أعوذ بك ان أقول فى العلم بغير علم فنعمة الله سبحانه وتعالى فى كشف الباطل باطلا وبيان الضلال ضلالا مثل نعمته فى اظهار الحق وبيان الصدق لانه باب من اليقين ولذلك تحمل الله به على نبيه صلى الله عليه وسلم وجعله من تفصيل آياته فى قوله سبحانه وتعالى وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين فنصب سبيل على اضمار اسمه ورفعه على كشف دلالاته وتبيان طرقه وقد وعد الله ذلك المتقين وقدمه على تكفير السيآت والمغفرة وأخبر ان ذلك من الفضل العظيم فى قوله عز وجل يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيآتكم أى نورا فى قلوبكم تفرقون به بين الشبهات ومثله ومن يتق الله يجعل له مخرجا أى من كل أمر أشكل على الناس ورزقه من حيث لا يحتسب علم بغير تعليم بل الهام وتوفيق من لدن الخبير العليم وقد وعد ذلك المؤمنين عند اختلاف العلماء للبغى بينهم وهو الكبر والحسد وحرم ذلك المنافقين الذين لا يصدقون بالآيات والقدر الغائبات فقال عز وجل فى ذلك وما اختلف فيه الا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه فصنع الهداية للحق ان يكشف الحق اذا هدى التقى له ما يبدئ الباطل للابتلاء وما يعيد على العبد من الاحكام وقد يكون الباطل اسم العدو ويكون وصفا للنفس ألم تسمع قوله عز وجل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد أى لما جاء الحق أبدى الباطل وأعاده فاظهر حقيقة الامر بدأ أو عودا وقد قيل ان الباطل يعنى به ابليس ههنا فتدبروا وقال ان الذين لا يؤمنون

والفرائض الى سوء
تيممون بالتراب والماء
فائض يا متكاسلا فى الطاعة
وهو فى المعصية ناهض بالله
من لم يكن من نفسه واعظا لم
تنفعه المواعظ شعر
اخشع لربك فى الصلاة طويلا
واذكر وقوفك للحساب ذليلا
أطل البكاء على الذنوب فربما
كان البكاء على النجاة سبيلا
واذكر نزولك جوف قبر مظلم
للدود صرت به اذا ما أكولا
وعليك أطباق الثرى قد
طبقت
لا تستطيع الى الرجوع
سبيلا
وبقالك كل مصاحب صاحبته
وتسيك من بالامس كان
خليلا
وخلوت بالفعل الذى قدمته
رهنا تروح وتغدو بكرة وأصيلا
أحبابنا كانوا نزولا فى الحشى
مناه صاروا فى القبور نزولا
يا غافلا والموت يهدم عمره
لا تحسبن الموت عنك غفولا
(فصل فى الجمعة) قال الله تعالى
يا أيها الذين آمنوا اذا نودى
للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا
الى ذكر الله وذروا البيع
ذلكم خير لكم ان كنتم
تعلمون فاذا قضيت الصلاة
فانتشروا فى الارض وابتغوا
من فضل الله واذكروا الله
كثيرا لعلكم تفلحون ان
عن النبى صلى الله عليه وسلم
قال ان يوم الجمعة سيد
الايام وأعظمها عند الله
عز وجل وهو أعظم عند
الله من يوم الاضحى ويوم

وبلاغالاولى الالباب فالعمل الصالح الاخلاص فى العبادة ونفى الشرك بالخلق هو اليقين بتوحيد الخالق وقد قال الله وهو أحسن القائلين فى وصف أوليائه الخائفين ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون والذين هم بآيات ربهم يؤمنون الى قوله وهم لها سابقون فوصفهم بسبع مقامات جامعات بالغات تنتظم مقامات أهل المحاسبة وتستحوذ على معانى أحوال أهل المراقبة افتتحها بالخشية والاشفاق وختمها بالوجل والانفاق وجعل موجبه اليقين به والذى زعجت به موازين المتقين صيره آخر وصفهم ونهاية نعتهم وهو قوله تعالى انهم الى ربهم راجعون أى لاجل يقينهم بمرجعهم اليه خافوه وأشفقوا وآمنوا به وأخلصوا وآتوه نفوسهم وأموالهم فهذا كقوله فى الكلام المختصر واتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه وبشر المؤمنين فالخائفين الامن من الخوف عند اللقاء وحسن المنقلب والبشرى بالقرب لديه والزلفى فصورة المحاسبة ان يقف العبد وقفة عند ظهور الهمة وابتداء الحركة ثم يميز الخاطر وهو حركة القلب والاضطراب وهو تصرف الجسم فان كان ما خطر به الخاطر من الهمة التى تقتضى نية أو عقدا أو عزما أو فعلا أو سعيا ان كان لله عز وجل وبه وفيه ومعنى لله عز وجل أى خالصا لاجله ومعنى به أى بمشاهدة قربه لا بمقاربة نفسه وهواه ومعنى فيه أى فى سبيله وطلب رضاه عنه وما ندب عنده أمضاه وسارع فى تنفيذه وان كان لعاجل دنيا أو عارض هوى أو لهو وغفلة سرى بطبع البشرية ووصف الجبلية نفاه وسارع فى نفيه ولم يمكن الخاطر من قلبه بالاصغاء اليه والمحادثة له فيولد فيه همارديا يصعب عليه بعد حين طرحه وينتج منه فكرا ردئيا يعسر بعد وقت نفيه ويؤثر ذلك فى قلبه أثرا يستبين له بعد حين فعله معنى قولنا ان كان لله تعالى أى خالصا لاجله ومعنى قولنا به أى بمشاهدة قربه لا بمقارنة نفسه ووصفه وهواه ومعنى قولنا فيه أى فى سبيله وطلب ما عنده لا لاجل عاجل حظه فان اشتبه عليه الخاطر فلم ينكشف له ما ورد به أمحمود هو لله عز وجل فيه رضاه وعلى العبد فيه سبق وتنفيذ أم مكروه وليس لله فيه محبة وللعبد فى نفيه مزيد وقربة فيكون اشكال ذلك لاحد معان ثلاث ضعف يقين عن نقص معرفة بالمبتلى أو قلة علم عن جهل بغامض الحكم الباطل أو لغلبة هوى كامن فى النفس متولد من طبائع الحس وقد قال بعض العلماء ليس العالم الذى يعرف الخير من الشر هذا العاقل يعرفه ولكن العالم من يعرف خير الشرين يعنى يفعله اذا اضطر اليه ويعرف شر الخيرين يعنى فاجتنبه لما يؤول اليه واعلم ان حكم الله فيما اشتبه من الامور الامساك والوقوف وان لا يقدم العبد على ذلك بعقد ولا عزم ان كان من أعمال القلوب ولا يمضى ذلك بفعل ولا سعى ان كان من عمل الجوارح بل يقف ويوقف الامر حتى يتبين له وهو صورة الورع لان الورع هو الجبن والتأخر عن الاقدام على المشكلات وعن الهجوم فى الشبهات لا يقول ولا يفعل ولا يعتقد حتى تنكشف وانكشافها بغامض العلم لغموضها وتدقيق معرفة المعانى لدقتها وخفائها كما جاء فى الخبر أعلم الناس أعرفهم بالحق اذا اختلف الناس وعن النبى صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل يحب البصير الناقد عند ورود الشبهات والعقل الكامل عند هجوم الشهوات وجاء عن ابن مسعود فى وصف كثرة الشبهات أنتم اليوم فى زمان خيركم فيه المسارع وسيأتى عليكم زمان يكون خيركم فيه المتثبت كما وقف طائفة من الصحابة عن القتال مع أهل العراق وأهل الشام لما أشكل عليها الحال منهم سعد وابن عمر وأسامة ومحمد بن مسلمة وغيرهم فمن لم يتوقف عند الشبهات واقدم عليها كان متبعا لهواه معجبا برأيه وهذا من معنى الخبر الذى جاء فى ذم من كان هذا وصفه فاذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا واعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك بخاصة نفسك فلم يذم بوجود الشح لانه صفة النفس وانما ذم من أطاع النفس فى شحها بامساك مجبوبها على ايثار محبة الله عز وجل من الانفاق ومثله وهوى متبع فلم يعب بوجود الهوى لانه روح النفس مستكن فيها وانما عيب باتباعه وكذلك قوله واعجاب كل ذى رأى برأيه لم ينقصه بوجود رأيه بما رآه من الامر لانه نتيجة عقله وثمرة فهمه وانما نقصه بنظره اليه وادلاله به دون سبق نظره الى من أراه وبنوره هداه وبايثار رأيه على رأى من هو أعلم منه أو بان يزرى على رأى غيره افتخارا

برايه

فيهما القلب فهى الى العقوبة أسرع قال مالك عن عبد الله بن أبى بكر ان رجلا من الانصار كان يصلى فى حائط له بالعقف فى واد من أودية المدينة فى زمن التمر والنخل قد ذللت فهى مطوقة بثمرها فنظر اليها فأعجبه ما رأى من ثمرها ثم رجع الى صلاته فاذا هو لا يدرى كم صلى فقال لقد أصابتنى فى مالى هذا فتنة فجاء عثمان بن عفان رضى الله عنه وهو يومئذ خليفة فذكر له ذلك قال هو صدقة فاجعله فى سبيل الخير فباعه عثمان بن عفان بخمسين ألفا فسمى ذلك المال الخمسين وكان ابن عمر رضى الله عنهما لا يعجبه شئ من ماله الا خرج عنه لله تعالى وكان رقيقه يعلمون منه ذلك فربما لزم أحدهم المسجد فاذا رآه ابن عمر على تلك الحالة الحسنة اعتقه فيقول له أصحابه انهم يخدعونك فيقول من خدعنا بالله انخدعنا وطلب منه نادم بثلاثين ألفا فقال أخاف ان تفتنى دراهم ابن عامر وكان هو الطالب له وقال له اذهب فانت حر قال الغزالى وكانوا يفعلون ذلك قطعا لمادة الفكر لما جرى من نقصان الصلاة وهذا هو الدواء القامع لمادة العلة ولا يغنى غيره انتهى والى كم تضيعون السنن

وهو البلاء الثالث وهم بغية الله عز وجل من خلقه الذين قال في حقهم الا عبادك منهم المخلصين وهذا مقتضى كلمة الاخلاص من نفي ما سواه وهي لا اله الا الله وليس بعده الا الاشفاق الى وقت التلاق أي قد عملته بعلم فلمن عملته لوجه الله عز وجل خالصا فاجرك عليه أم لشخص مثلك فخذ أجرك منه أم عملته لتتناول عاجل دنياك فقد وفيناك حظك منها أم عملته لنفسك بسهوك وغفلتك فقد سقط أجرك وحبط عملك لذهابك عن القصد وعدم النية في الفعل فجميع ما أردت به سواه فقد تعرضت للمقت واستوجبت العقاب بترك ما عليك وجهل ما لمولاك اذ كنت عبدا لي تتولى غيري واذا أنت تأكل رزقي وتعمل لسواي واذا كان الدين قد جعلته لنفسي فقصدت به من دوني ويلك اما سمعتني أقول ألا لله الدين الخالص ويلك ما قبلت أمري اذ قلت وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقول له ويلك اما سمعتني أقول ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه فهذه امثال القرآن يشهدها العلماء أمثالهم وهي اذا كان الخطاب عند تدبره يفهمها العارفون اذكارهم فيكون توبيخ الله عز وجل للغافلين بعزائم كلامه وغلائظ خطابه أشد عليهم وأوجع لهم من أليم عقابه وذلك ان الله تعالى استخلص الدين لنفسه ولم يشرك فيه أحدا من خلقه فقال ألا لله الدين الخالص يعني الطريق الموحد غير المشترك الصافي غير الكدر لان الاخلاص التصفية من اكدار الهوى والشهوة وضده الشرك وهو الخلط بغيره من النفس والناس كما أنعم علينا بالرزق الخالص من بين الفرث والدم فتمت به النعمة فقال نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا فلو وجد فيه خلط من أحدهما لم تتم به النعمة علينا فكذلك ينبغي ان يكون عملنا له خالصا من الهوى والشهوة لنستحق به الاجر والحظوة منه مع القيام بواجب الحق علينا فكما انا لو رأينا في اللبن الذي أنعم به علينا فرثا أو دما عافته أنفسنا فلم نأكله فكذلك الحكيم الخبير اذا رأى في عملنا خلطا من رياء أو شهوة رده علينا فلم يقبله وكما جعل لنا مما عملت يده بقدرته أنعاما ذللها لنا فمنها ركوبنا ومنها نأكل فينبغي ان نشكره فنعمل له عملا صالحا كما أمرنا بعد اذ أنعم الله علينا فقال كلوا من الطيبات واعملوا صالحا فمن جهل ما جعل الله لنفسه وترك ما أمر به من الاخلاص بالدين لوجهه استوجب المقت لجهله واستحق العقاب لمخالفته وفي تدبر ما قلناه الهرب من الخلق والبكاء على النفس الى لقاء الحق لمن أشهد ووقف وأريد بالحضور فلم يصرف

(الفصل الرابع والعشرون) في ذكر ماهية الورد للمريد ووصف حال العارف المزيد* اعلم ان الورد اسم لوقت من ليل أو نهار يرد على العبد مكررا فيقطعه في قربة الى الله ويورد فيه محبوبا يرد عليه في الآخرة والقربة اسم لاحد معنيين أمر فرض عليه أو فضل ندب اليه فاذا فعل ذلك في وقت من ليل أو نهار وداوم عليه فهو ورد قدمه يرد عليه غدا اذا قدم وأيسر الاوراد صلاة أربع ركعات أو قراءة سورة من المثاني أو سعي في معاونة على بر أو تقوى قال أنس بن سيرين كان لمحمد بن سيرين في كل ليلة سبعة أوراد فكان اذا فاته منها شيء قضاه بالنهار فسمى العمل الموظف المؤقت وردا وقال المعتمر بن سليمان ذهبت ألقن أبي عند الموت فاوما الي بيده دعني فاني في وردي الرابع فسمى الحزب من أحزاب القرآن لوقتنا وردا فمن العمال من كان يجعل الاوراد من أجزاء القرآن ومنهم من كان يجعله من أعداد الركوع وفوق هؤلاء من العلماء كانوا يجعلون الاوراد من أوقات الليل والنهار فان قطع الوقت بآية أو ركعة أو فكرة أو شهادة فذلك ورده وأما العارفون فانهم لم يوقتوا الاوراد ولم يقسموا الاوقات بل جعلوا الورد واحدا لمولاهم وجعلوا حاجتهم من الدنيا ضرورتهم وصيروا الوقت متساويا لسيدهم وتمسريطهم اعمالهم يدخل عليهم فوضعوا رقابهم في ربق العبودية وصفوا أقدامهم في مصاف الخدمة فكانوا في كل وقت بحكم ما يستعملون ويوصفون بما به يطالبون ذلك وردهم وتلك علامتهم عن حسن اختيار الله عز وجل لهم وجميل توليه اياهم لا يكلهم الى نفوسهم ولا يوليهم بعضهم وهو يتولى الصالحين مشاهدتهم ذكرهم وقربهم الحبيب

أو تجارة استغنى الله عنه والله غني حميد وروى الدينوري عن الاوزاعي انه قال كان عندنا صياد يصطاد النينان فكان يخرج الى الصيد فلا يمنعه مكان الجمعة من الخروج فخسف به وببغلته فخرج الناس وقد ذهبت بغلته في الارض فلم يبق منها الا اذناها وذنبها اعلم انه اذا كان هذه الآفات فمن تخلف عنها فانظر لك من عاد جمعة في بلدة اتباعا لهواه فلا تدري نفس ما يلحق هذا الظالم من العذاب والنكال في الدنيا والآخرة اعاذنا الله تعالى واياكم من مثل هذا الذنب الشنيع الموبق وروى البيهقي أكثروا الصلاة على ليلة الجمعة ويوم الجمعة من صلى على صلاة صلى الله عليه بها عشرا م عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من توضأ فاحسن الوضوء ثم أتى الجمعة فاستمع وانصت غفر له ما بينه وبين الجمعة وزيادة ثلاثة أيام ومن مس الحصى فقد لغا ت وعن أوس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من غسل يوم الجمعة واغتسل وبكر وابتكر ومشى ولم يركب ودنا من الامام واستمع ولم يلغ كان له بكل خطوة عمل

بآيات الله لايهديهم الله وكما أن لله عز وجل في البيان نعمة لانه لاتقع الا بقدرة كما قال فلما تبين له قال أعلم ان الله على كل شئ قدير فكذلك على العبد فيه شكر وقد يكون سببا للانعام بالبيان وعلى الله المزيد على الشكر كما قال كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون وقال في تحقيق الشكر بالمزيد للشاكرين على التصريف كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون فاذا وقف العبد في الشبهات عن الامضاء وأوقف الخاطر على الابتداء حتى يكشفه الله عز وجل له بمزيد علم أو قوة يقين أو كشف حجاب الهوى فقد وفق للصواب وهو من معنى قوله عز وجل وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب وداخل في قوله ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا هذا اذا لم يرد بالطلب ولم يجعل لعالم آخر فيه مكان كشفه للعبد بوصفه فاذا أراده بالطلب لاوليائه وجعل للعلماء مكانا للدلالة عليه اضطره ان يسأل عالما بالله وبباطن أحكامه عارفا بلطيف حجابه وخفي كشفه فيكشف له على لسانه اذا لم يكن العبد ممن يكاشف بقلبه لتحقيق قوله فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لاتعلمون ولتصديق قوله الرحمن فاسأل به خبيرا والله تعالى هو المسير الاول والمبين الآخر الا ان السير والسؤال على العبد والهدى والبيان على الهادي المبين كما قال سيروا في الارض فانظروا وقال تعالى فان كنت في شك مما أنزلنا اليك فاسأل الذين يقرؤن الكتاب الآية ثم قال ان علينا بيانه ان علينا للهدى وعلى الله قصد السبيل كذلك سنته التي قد خلت من قبل ولاتبديل لها ولاتحويل ألم تسمع قول الله تعالى وعلم آدم الاسماء كلها فهذا هو المجتبي للتعليم الآخذ نصيبه من الله عز وجل بتفهيم المصطفى لمكان التخصيص ثم قال يا آدم أنبئهم باسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم ترك آدم ورد اليه وذكر نفسه بالعلم منه بعد ان دل بالواسطة عليه فقال ألم أقل لكم انى أعلم ولم يقل ان آدم يعلم فاخذ آدم نصيبه من رازقه بقلبه لمكان رتبته وأخذت الملائكة انصبتها من الله عز وجل من نصيب آدم بواسطته والله هو الرزاق ذو القوة المتين كما هو الخلاق هل من خالق غير الله يرزقكم والعبيد يأخذون أنصبتهم باقسامهم من حيث هي طرق وسبب لهم وهذا حينئذ أول المحاسبة عن مشاهدة حسيب والتحقيق بالمحاسبة هو أول المراقبة عن رؤية رقيب والمقام من المراقبة هو حال من أحوال الموقنين وعلم اليقين هو آخر علم الايمان وآخر نصيب العبد من علم اليقين أعني نهايته أول عين اليقين وهو شهادة المعرفة والمعرفة على هذا الوصف أول المشاهدة وهذا هو مقام المقربين أعني بمشاهدة وصف قريب محيط ببعد النفس فيستولي عليها فيغيب بعدها في قربه ويتنبه عقله تحت ظنه وتنطوي حكمته في قدرته كمحو نور القمر في ضياء الشمس والله غالب على أمره وعلم معاني الاسماء والصفات وتعريف الاخلاق وباطن أحكام الذات يكون في مقامات القرب بمرآة نور الوجه فيرفع نور وحكم المكان ويشهد كأن رفع كون المرآة ويشهد الوجه بنورها وتغيب المرآة عن كونها فيكون العبد قائما بقيوميته فيصير العبد شهيدا بمشاهدة محيطة قريبة لابكونه كما يشهد الوجه بنور المرآة لابحسها ولايكون هذا الا بعد معاينة وصف وبعد حسن المراقبة في جميع المعاملة وحسن الادب في محاضرة الرب بتنفيذ خواطر الخير وسرعة نفي خواطر السر حتى لايبقى شئ منها وهذا حال المشاهدة والقرب وذلك يخرج العبد الى صفاء القلب بعلم اليقين وصفاء القلب برفعه مقامات في مشاهدة العين حتى لايخطر بقلبه الاخاطر حق فان عصاه عصى الحق وفي ترك هذا والعرض عنه كدر القلب وفي كدره ظلمته وذلك مقامات في القسوة وهي أول البعد وبلغني انه مامن فعلة وان صغرت الاوينشر لها ثلاثة دواوين الديوان الاول لم والثاني كيف والثالث لمن فمعنى لم أي لم فعلت وهذا موضع الابتلاء عن وصف الربوبية بحكم العبودية أي أكان عليك ان تعمل لمولاك أم كان ذلك منك بهواك فان سلم من هذا الديوان بأن كان عليه ان يعمل كما أمر به سئل عن الديوان الثاني فقيل له كيف فعلت هذا وهو مكان المطالبة بالعلم وهو البلاء الثاني أي قد علمت بان كان عليك عمله فكيف عملته أبعلم أم بجهل فان الله تعالى لايقبل عملا الا على طريقته وطريقه العلم فان سلم من هذا نشر عليه الديوان الثالث فقيل لمن وهذا طريق التعبد بالاخلاص لوجه الربوبية

الفطر فيه خمس خلال خلق الله فيه آدم وأهبط الله فيه آدم الى الارض وفيه توفى الله آدم وفيه ساعة لايسأل العبد فيها شيأ الا أعطاه مالم يسأل حراما وفيه تقوم الساعة مامن ملك مقرب ولاسماء ولا أرض ولارياح ولا جبال ولابحر الا وهن يشفقن من يوم الجمعة ان تقوم الساعة م عن ابن عمر وأبي هريرة انهما قالا سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على أعواد منبره لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات أوليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين م عن ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لقوم يتخلفون عن الجمعة لقد هممت ان آمر رجلا يصلي بالناس ثم أحرق على رجال يتخلفون عن الجمعة بيوتهم وروى الشافعي عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من ترك الجمعة من غير ضرورة كتب منافقا في كتاب لايمحى ولايبدل وروى الدارقطني عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فعليه الجمعة يوم الجمعة الا مريضا أومسافرا أو امرأة أو صبيا أومملوكا فمن استغنى بلهو

وهو

القدرة من معنى ما تشهده الانبياء في يقظتهم فيكون نوم العارف يقظة لان قلبه حياة و يكون يقظة الغافل نوماً لان قلبه موات فيعدل نوم العالم يقظة الجاهل وتقرب يقظة الجاهل الغافل من نوم العالم كيف وقد جاء في خبر أبي موسى ان النبي صلى الله عليه وسلم نظر الى أحد فقال هذا جبل أحد ولا يعلم خلق ما وزنه وان من أمتي من تكون التسبيحة منه والتهليلة أوزن عند الله عز وجل منه وفي حديث ابن مسعود اذ قال العمر ما أنكرت ان يكون عمل عبد في يوم واحد أثقل من في السموات والارض ثم وصف ذلك بانه هو العاقل عن الله عز وجل الموقن العالم به وقد سئلت عائشة رضي الله عنها عن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان فقالت ما كان يخص رمضان بشيء دون غيره ولا كان يزيد في رمضان على سائر السنة شيأ وقال أنس بن مالك ما كنت تريد ان ترى رسول الله صلى الله عليه وسلم نائماً من الليل الا رأيته ولا تريد ان تراه قائماً الا رأيته وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينام ثم يقوم قدر ما نام ثم ينام قدر ما قام ثم يقوم قدر ما نام ثم ينام ثم يخرج الى الصلاة وقالت عائشة رضي الله عنها ما صام رسول الله صلى الله عليه وسلم شهراً كاملاً قط الا رمضان ولا قام ليلة الى الصبح حتى ينام منها قالت وكان يصوم من الشهر و يفطر و يقوم من الليل و ينام وفي الخبر الآخر كان يصوم حتى تقول لا يفطر و يفطر حتى تقول لا يفطر و يفطر حتى تقول لا يصوم وكان يصبح صائماً ثم يفطر و يصبح مفطراً ثم يصوم وفي الخبر الآخر كان يدخل من الضحى فيقول هل عندكم من شيء فان قدم اليه شيء أكل والا قال اني صائم وخرج يوماً فقال اني صائم ثم دخل فقلنا يا رسول الله اهدي لنا حيس فقال اما اني كنت أردت الصوم ولكن قربيه وكان ورده صلى الله عليه وسلم حكم ما ورد عليه فعن هذا المعنى يكون تصريف العارفين ومن هذا المعنى تكون مشاهدة الموقنين ليسوا مع الله بارادة توقيت ولا يقطع على تحديد كما قيل لبعضهم باي شيء عرفت الله عز وجل فقال بفسخ العزائم وحل العقد ولكن الاوراد طريق العمال والوظف أحوال العباد منها دخلوا وفيها يرفعون الى أن يشهدوا الواحد فتكون الاوراد كلها ورداً واحداً و يكونون بشهادتهم قائمين قال بعض العلماء من السلف الايمان ثلاثمائة خلق وثلاثة عشر على اعداد الانبياء المرسلين كل مؤمن على خلق منها هو طريقه الى الله عز وجل و وجهته من الله عز وجل ونصيبه وفي كل طريقة من المؤمنين طبقة و بعضهم أعلى مقاماً من بعض وقال عالم آخر الطرق الى الله عز وجل بعدد المؤمنين وقال بعض العارفين الطرق الى الله بعدد الخليقة يعني ان للشهيد بكل خلق طريقاً فقد صارت المكونات للمكون طرقات وروينا في الخبر الايمان ثلاثمائة وثلاثة وثلاثون طريقة من لقي الله عز وجل بالشهادة على طريقة منها دخل الجنة ومن هذا قوله عز وجل قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلاً فدل انهم كلهم مهتدون و بعضهم أهدى من بعض يعني انه أقرب الى الله عز وجل وأفضل وقد ندب الى القرب في الامر بطلبه وأخبر عن المقربين بالمنافسة في طلب القرب فقال يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة يعني القرب وقال تعالى فيما أخبر أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب فاقرب الخلق من الله عز وجل أعلاهم عند الله عز وجل وأعلاهم عنده أعرفهم به وأفضلهم لديه وروينا في التفسير قل كل يعمل على شاكلته قال على وحدانيته يعني بذلك على توحيده الذي يوحد الله عز وجل به و يعرفه منه والشاكلة الطريقة والخلق فذو شاكلة وقد شكل فيه ومن ذلك قول علي رضي الله عنه لكل مؤمن سيد من عمله وهذا السيد من العمل هو الذي يرجو به المؤمن النجاة و يفضل به عند مولاه وقال بعض العلماء كان عباد الكوفة أربعة أحدهم صاحب ليل ولم يكن صاحب نهار والآخر صاحب نهار ولم يكن صاحب ليل و بعضهم صاحب سر ولم يكن صاحب علانية والآخر صاحب علانية ولم يكن صاحب سر وقد كان بعضهم يفضل عبادة النهار على عبادة الليل لما فيها من مجاهدة النفس وكف الجوارح لان النهار مكان حركة الغافلين وموضع ظهور الجاهلين فاذا سكن العبد عند حركة الغافلين وموضع ظهور الجاهلين كان هو التقي المجاهد

تفطن لما كان البلوى به عامة انتهى قال المحشي هذه مسئلة نفيسة قل من يعرفها على وجهها فينبغي الاعتناء بها ولا تغتر بفعل ضعفاء الطلبة وجهلة المتصوفة فان الشيطان يتلاعب بصوفية زماننا كتلاعب الصبيان بالكرة وأكثرهم صدهم عن العلم مشقة الطلب فاستدرجهم الشيطان قال السيد الجليل ضرار بن عمرو ان قوماً تركوا العلم ومجالسة العلماء واتخذوا محاريب وصلوا وصاموا حتى يبس جلد أحدهم على عظمه خالفوا فهلكوا والذي لا اله غيره ما عمل عامل على جهل الا كان ما يفسد أكثر مما يصلح انتهى و يتصدق في هذا اليوم بشيء وان قل و يزور القبور و يدعو لهم حكي عن امرأة من المتعبدات يقال لها ناهية لما اشرفت على الموت رفعت رأسها الى السماء وقالت يا ذخري و يا ذخيرتي و يا من عليه اعتمادي في حياتي ومماتي لا تخذلني عند الموت ولا توحشني في قبري فلما ماتت كان لها ولد يأتي قبرها في كل جمعة و يقرأ عندها شيأ من القرآن و يدعو و يستغفر لها ولاهل المقابر قال فرأيتها في المنام فسلمت عليها وقلت يا امام كيف

سهم ليس يشهدون فضيلة في غير محبوبهم ولا يرجون قربة بغير معروفهم به يتقربون اليه واليه
يسعون له وعليه يتوكلون له ومنه يخافون عنه واياه يحبون منه لو اسقطوا الاعمال كلها غير ما تعلق
بالتوحيد ثبوته ما نقص من توحيدهم ذرة ولو تركوا أوراد المريدين كلهم ما أثر في قلوبهم بقسوة ولا فترة
لانهم لا يزيدون بالاعمال فينقصون بها ولا يتفقدون قلوبهم وأحوالهم بالاوراد فيعرفون النقصان والمزيد
منها ولا تجتمع قلوبهم بسبب ولا تقوى نفوسهم بطلب فتتشتت لفقد سبب ويضعف يقينهم لطلب
هذه المعاني هي أحوال المريدين وجملة تغييرهم في شيئين ضيقهم بالخالق فهربوا منه واتساعهم بالخلق
فاستراحوا اليه ولو دام قربهم منه لدامت راحتهم به ولو وقفت شهادتهم عليه لما نظروا الى سواه واما
العارفون فقد فرغ لهم من قلوبهم واجتمعت المتفرقات بجامعها لهم واقامهم القائم لهم بشهادتهم له
فاهم بكل شئ مزيد ومن كل شئ توحيد كل خاطر بهم يردهم اليه وكل منظور اليه يدلهم عليه وكل نظرة
وحركة طريق لهم اليه فتوحيدهم في مزيد ويقينهم في تجديد بغير تغيير ولا تصريد ولا يقاف ولا تحديد
ولربما طلب أحدهم التسبب بالاسباب فيجمعهم ارباب الارباب لانه مراد بالاجتماع وانما استروح
بالشتات لاستجمام ما هو في قلبه آنسة منه بحبيبه وتمكنا عند محبوبه اذ قد علم انه طالب فطرح نفسه
لحمله فحمله بما تولاه ولم يكله الى نفسه وهواه فهذه مقامات لاهلها لا يعرفها سواهم ولا تصلح الا لهم ولا
تليق الا بهم ولا يقاس عليها ولا يدعى مكانها ولا تنتظر فتترك لها الاوراد ولا تتوقع فيقصر لاجلها في الاجتهاد
والمرادون بها محمولون بها مواجهون بعلمها مسلوك بهم طريقها مزودون زادها وهي محبوسة عليهم
مقصورة لهم فهم لها سابقون فاولياء الله عابدوه وقد عكفوا بقلوبهم لمن عبدوه ونظروا الى معبودهم الذي
عكفوا عليه ففهموا عنه فصل الخطاب بما آتاهم من شهادة حكمه محكم الكتاب اذ يقول وانظر الى الهك الذي
ظلت عليه عاكفا بعد قوله للغافلين فصيرهم معرضا لعبد أصناما فظل لها عاكفين مع قوله ان امشوا واصبروا
على آلهتكم ان هذا الشئ يراد الى قوله فاصبر لحكم ربك فانك باعيننا فعلموا ان الاخلاص الذي أمروا به
هو العبادة ولا عبادة الا بمجانبة الهوى وبعدها الانابة الى المولى أما سمعت قوله عز وجل والذين اجتنبوا
الطاغوت ان يعبدوها وأنابوا الى الله لهم البشرى وأيقنوا ان الصلاة عماد الدين ولا صلاة الا للمتقين
ولا تقوى الا بالانابة كما قال تعالى منيبين اليه واتقوه ثم قال وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين فهذه
عبادة العارفين على سنة النبيين فانابتهم مشاهدتهم لمذكورهم كقوله في وصف ضدهم كانت أعينهم في
غطاء عن ذكري فهم عن كشف من ذكره اذ كانوا بضد وصفهم وحقيقة ذكرهم نسيانهم لسوى مذكورهم
بمعنى قوله واذكر ربك اذا نسيت فاخرجهم الذكر له الى الفرار اليه كما فهموا عنه اذ يقول لعلكم تذكرون
ففروا الى الله فلما هربوا اليه أواهم بقربه ووهب لهم هداية الى حبه ونشر لهم من رحمته وطواهم في قبضته
فلم يرهم الا هم ولم يعرفهم سواهم وقد قال تعالى واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله فاووا الى الكهف ينشر
لكم ربكم من رحمته وقال تعالى انى ذاهب الى ربي سيهدين * ذكر الاوراد وما يرجى بها من الازدياد
ولكن بمواصلة الاوراد المرسومة والاعمال الموقتة المعلومة يستبين للمريد النقصان من المزيد ويعرف
قوة العزم والشره من وهن العادة والفترة وفي الاوراد ايضا فضيلة وهو ان العامل اذا شغل عنها
بمرض أو سفر كتب له الملك مثل ثواب ما كان يعمل في الصحة وقد يكون نوم العارف أفضل من صلاة الجاهل
لان هذا النائم سالم وهو ذلك الزاهد العالم اذا استيقظا وجدوه هذا الصائم القائم لا يؤمن عليه الآفات
وتبارقه الاعداء في العبادات وهو ذلك الجاهل المغتر اذا وجد فقد وقد روينا في خبر نوم العالم عبادة
ونفسه تسبيح وفي الحديث عالم واحد أشد على الشيطان من ألف عابد وروينا في خبر مقطوع لو وقعت
هذه على هذه يعني السماء على الارض ما ترك العالم علمه لشئ ولو فتحت الدنيا على عابد ترك عبادة ربه ولان
العالم قد يكاشف في نومه بالآيات والعبر ويكشف له الملكوت الاعلى والاسفل ويخاطب بالعلوم ويشاهد

سنة أجر صيامها وقيامها طخ قال النبي صلى الله عليه وسلم في جمعة من الجمع يا معشر المسلمين ان هذا يوم جعله الله عيدا فاغتسلوا ومن كان عنده طيب فلا يضره ان يمس منه وعليكم بالسواك خم عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا كان يوم الجمعة وقفت الملائكة على باب المسجد يكتبون الاول فالاول ومثل المهجر كمثل الذي يهدي بدنة ثم كالذي يهدي بقرة ثم كبشا ثم دجاجة ثم بيضة فاذا خرج الامام طووا صحفهم ويستمعون الذكر عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تكلم يوم الجمعة والامام يخطب فهو كمثل الحمار يحمل أسفارا والذي يقول له انصت ليس له جمعة ت عنه صلى الله عليه وسلم قال من تخطى رقاب الناس يوم الجمعة اتخذ جسرا الى جهنم اعلم انه يكره للداخل حال الخطبة ان يسلم فان سلم وجب الرد ويسن له ان يصلي ركعتين خفيفتين قال الاسنوي ويحرم الزيادة على ركعتين واطالة النفل التي كان شرع قبل صعود الامام ولا يجوز التنفل بالصلاة بالاتفاق سمع أم لا لانه اعراض عن الامام بالكلية

تطالب بجهواها الضوء وفيه هلاكها فاذا وصلت الى شيء منه لم تقتنع بيسيره لشرهها فتحرص على الغاية منه وتطالب عين الضوء وجلاءه وهو نفس المصباح فتحرق ولو قنعت بقليل الضوء عن بعد سلمت فكذلك النفس في طيشها الذي يتولد من العجلة وفي شرهها الذي ينتج من الحرص والطمع والحرص والطمع هما اللذان كانا سبب اخراج آدم عليه السلام من الجنة لانه طمع في الخلود فحرص على الاكل وكان ذلك عن الجهل والشره فكانت معصيته سبب عمارة الدنيا فصارت الطاعة سبب عمارة الآخرة فلذلك قيل حب الدنيا رأس كل خطيئة فصار الزهد أصل كل طاعة فانظر كيف أخرج من الجنة بعد ان جعل فيها بذنب واحد وأنت تريد أن تدخلها ولم تلك النظر اليها بذنوب كثيرة وفي الحديث الايمان عريان فلباسه التقوى وزينته الحياء وثمرته العلم ومن ثم قيل ان الجنة طيبة لا يسكنها الا الطيب ألا ترى طابوا لها فدخلوها ألم تسمع الى وفاقه بين ذلك في قوله تعالى الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم وقال تعالى وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين لانه قال ومساكن طيبة في جنات عدن والذنوب خبائث كما قال ويحرم عليهم الخبائث فلما طابوا لها طابت لهم وقد اجمل ذلك بقوله تعالى الخبيثات للخبيثين وبقوله الطيبات للطيبين وقد مثل بعضهم النفس في شرهها بمثل ذباب مر على رغيف عليه عسل فوقع فيه يطلب الكلية فعلق بجناحه فقتله وآخر مر به فدنا من بعضه فنال حاجته فرجع الى وراءه سالما وقد مثل بعض الحكماء ابن آدم مثل دود القز لا يزال ينسج على نفسه لجهله حتى لا يكون له مخلص فيقتل نفسه ويصير القز لغيره وربما قتلوه اذا فرغ من نسجه لان القز يلتف عليه فيروم الخروج منه فيشمس وربما غمزوه بالايدي حتى يموت لئلا يقطع القز وليخرج القز صحيحا فهذه صورة المكتسب الجاهل الذي أهلكه أهله وماله فتنعم ورثته بما شقي به فان أطاعوا به كان أجره لهم وحسابه عليه وان عصوا به كان شريكهم في المعصية لانه أكسبهم اياها به فلا يدري أي الحسرتين عليه أعظم اذهابه عمره لغيره أو نظره الى ماله في ميزان غيره ومما سمعت في علم شره النفس ما حدثني بعض اخواني عن بعض هذه الطائفة قال قدم علينا بعض الفقراء فاشترينا من جار لنا جملا مشويا ودعوناه عليه في جماعة من أصحابنا فلما مد يده ليأكل وأخذ لقمة وجعلها في فيه لفظها ثم اعتزل وقال كلوا أنتم فانه قد عرض لي عارض منعني من الاكل فقلنا الا تأكل ان لم تأكل معنا فقال أنتم أعلم اما انا فغير آكل ثم انصرف قال فكرهنا ان نأكل دونه فقلنا ادعوا الشواء فسألناه عن أصل هذا الجمل فلعل له سببا مكروها فدعوناه فلم نزل به نسأل عنه حتى أقر انه كان ميتة وان نفسه شرهت الى بيعه حرصا على ثمنه فشواه فوافق انكم اشتريتموه قال فرقناه للكلاب قال ثم اني لقيت الرجل بعد وقت فسألته لاي معنى تركت أكله وبأي عارض فقال أخبرك ما شرهت نفسي الى طعام منذ عشرين سنة بالرياضة التي رضتها به فلما قدمتم الى هذا شرهت نفسي اليه شرها ما عهدته قبل ذلك فعلمت ان في ذلك الطعام علة فتركت أكله لاجل شره النفس اليه فانظر رحمك الله كيف اتفقا في شره النفس عن قصد واحد ثم اختلفا في التوفيق والخذلان فعصم العالم بالورع والمحاسبة وترك الجاهل مع شره النفس بالحرص وتركه المراقبة أعني البائع للجمل ثم عصم الآخرون للتوفيق بحسن الادب وهو قمع شره النفس عن الاكل بعد صاحبهم ثم تدارك البائع بعد وقوعه صدق المشتري وحسن نيته * وجبلات النفس الاربع هي أصول ما تفرع من هواها وهي مقتضى ما فطرها عليه وأولها الضعف وهو مقتضى فطرة التراب ثم البخل وهو مقتضى جبلة الطين ثم الشهوة وموجبها الحمأ ثم الجهل وهو ما اقتضاه موجب الصلصال وهذه الصفات على معاني تلك الجبلات للابتلاء بالامشاج ففيها بعد الامر والامر جاء ذلك تقدير العزيز العليم ثم ان النفس مبتلاة باوصاف أربعة متفاوتة أولها معاني صفات الربوبية نحو الكبر والجبرية وحب المدح والعز والغنى ومبتلاة باخلاق الشياطين مثل الخداع والحيلة والحسد والظنة ومبتلاة بطبائع البهائم وهو حب الاكل والشرب والنكاح وهي مع ذلك كله مطالبة باوصاف العبودية مثل الخوف

واجعلوه خاصة لآخرتكم ولا تتركوا هذه السنن فانها زاد معادكم وأكثروا فيه من الاذكار والقراءة والدعاء واجتهدوا في مصادفة ساعة الاجابة فانها ما بين ان يجلس الامام على المنبر الى ان تقضى الصلاة كما في صحيح مسلم وقيل بعد العصر الى الغروب كما في الترمذي واحذروا ان تقوموا الى الصلاة والامام يخطب فان ذلك حرام كما نقلوه عن شرح المهذب ولا تغتروا بكثرة من يفعل ذلك فانهم جهال اخواني كم تحملون احمال الاوزار وهي ثقال وكم تبارزون بالمعاصي ذا الجلال وكم تتعللون بالتسويف والآمال وكم تتبعون الشهوات وهي خيال وكم تطمعون في البقاء وقد دنا الانتقال وكم قيدتكم الاماني من التواني والاعتلال وكم أنذركم من رحل من الاحباب بالارتحال أين من جمع الاموال وعددها أين من عمر الحدائق وغرسها أزعجه والله هادم اللذات من غير اختياره وأخرجه كرها من بين أهله وداره ولم يمهله ساعة ولم يداره كم دموع من الاسف ... الحمام ... على ما مضى من أيام البطالة في المعاصي يا مغترا بالآمال ربما ...

والفاضل العابد وقد قيل ان العبادة ليست الصوم والصلاة حسب بل أفضل العبادة اداء الفرائض واجتناب المحارم وتقوى الله عز وجل عند اكتساب الدرهم وهذا من أعمال النهار وقد قال الله عز وجل وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار أى ما كسبت جوارحكم فعلق الاجتراح بالنهار ثم يبعثكم فيه فاذا لم يعلم من عبد اجتراحا بالنهار ولم يبعثه فيه فى مخالفة فمن أفضل منه وكان الحسن يقول أشد الاعمال قيام الليل بالمداومة على ذلك ومداومة الاوراد من أخلاق المؤمنين وطرائق العابدين وهى مزيد الايمان وعلامة الايقان وسئلت عائشة رضى الله عنها عن عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان عمله ديمة وكان اذا عمل عملا اتقنه وهذا كان سبب ما نقل عنه صلى الله عليه وسلم من صلاته بعد العصر ركعتين انه كان ترك مرة ركعتى النافلة بعد الظهر شغله الوفد عن ذلك فصلاهما بعد العصر ثم لم يزل يصليهما بعد العصر كلما دخل منزله روت ذلك عنه عائشة وأم سلمة ولم يكن يصليهما فى المسجد لئلا يستن الناس به وفى الخبر المشهور اكلفوا من الاعمال ما تطيقون فان الله عز وجل لا يمل حتى تملوا وفى الحديث الآخر أحب الاعمال الى الله عز وجل ما ديم عليه وان قل وقد روينا فى خبر من عوده الله عز وجل عبادة فتركها ملالة مقته الله تعالى وفى خبر عن عائشة رضى الله عنها وقد أسنده بعض الرواة من طريق كل يوم لا ازداد فيه علما فلا بورك لى فى صباح ذلك اليوم وقد جاء فى الخبر كلام تارة يروى عن الحسن بن على وتارة يروى عن الحسن البصرى ومرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع يقول من استوى يوماه فهو مغبون ومن كان يومه شرا من أمسه فهو محروم ومن لم يكن فى مزيد فهو فى النقصان وفى لفظ آخر من لم يتفقد النقصان من نفسه فهو فى نقصان ومن كان فى نقصان فالموت خير له ولعمرى ان المؤمن شكور والشاكر على مزيد

(الفصل الخامس والعشرون) فى ذكر تعريف النفس وتصريف مواجيد العارفين اعلم ان النقصان يبدو من الغفلة والغفلة تنشأ من آفات النفس والنفس مجبولة على الحركة وقد أمرت بالسكون وهو ابتلاؤها لتفتقر الى مولاها وتبرأ من حولها وقواها ومثل ذلك قوله تعالى ولا تموتن الا وأنتم مسلمون لتفزعوا اليه فتقولوا ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين وكما قال وكان الانسان عجولا خلق الانسان من عجل ثم قال سأريكم آياتى فلا تستعجلون وقال أتى أمر الله فلا تستعجلوه فأخبر عن وصفه بالعجلة ثم أمره بتركها للبلوى فان نزلت السكينة وهى مزيد الايمان سكنت النفس عن الهوى باذن منفسها وان حجب القلب بالغفلة وهى علامة على الافتقار والتضرع تحركت النفس بطبعها فان سكنت عن حركتها فبالمنة والفضل وان تحركت بوصفها فبالابتلاء والعدل فأول البلاء اختلافها وأول اختلافها وقدمته الهمة وبابه السمع وهو طريق الى الكلام والنظر والقول طريق الى الشهوة والشهوة مفتاح الخطيئة والخطيئة مقام من النار حتى يخرج عنها الجبار بالتوبة فى الدنيا والعفو فى العقبى وقد تكون المخالفة على المحب العارف أشد من النار كما حدثت عن بعضهم قال لان ابتلى بدخول النار أحب الى من ان أبتلى بمعصية قيل ولم قال لان فى المعصية خلاف ربى تعالى وسخطه وفى النار اظهار قدرته وانتقامه لنفسه قال فسخطه أعز على وأعظم من تعذيب نفسى وكذلك حدثونا فى معناه عن بعض الموقنين من العمال انه قال ركعتان تتقبل منى أحب الى من دخول الجنة قيل وكيف قال لان فى الركعتين رضا ربى عز وجل ومحبته وفى الجنة رضاى وشهوتى فرضا ربى عز وجل أحب الى من محبتى وقد قال وهيب بن الورد المكى فى لبن سئل أن يشربه فلم يفعل لانه سأل عن أصله فلم يستطبه فقالت له أمه اشرب فانى أرجو ان شربته أن يغفر الله لك فقال ما أحب انى شربته وان الله غفر لى قالت ولم قال لا أحب أن أنال مغفرته بمعصيته فجملة وصف النفس معنيان الطيش والشره فالطيش عن الجهل والشره عن الحرص وهما فطرة النفس فمثلها فى الطيش كمثل كرة أو جوزة فى مكان أملس مصوب سكونها بالمنة فان أشرت اليها أو حركتها أدنى حركة تحركت بوصفها وهو خفتها واستدارتها وصورتها فى الشره المتولدة من الحرص انها على صورة الفراشة انها تقع فى النار جاهلة شرهة

أنت وكيف حالك قالت يابنى ان للموت كربة شديدة وأنا بحمد الله فى راوح محمود ومفروش فيه الريحان وموسد فيه السندس والاستبرق الى يوم القيامة فقلت ياأمى ألك حاجة قالت نعم يابنى لا تدع ما كنت عليه من زيارتنا والقراءة والدعاء لنا فانى يابنى أسر بمجيئك الينا ليلة الجمعة ويوم الجمعة اذا أقبلت يقول الموتى ياناهية هذا ابنك فقد أقبل الينا فأسر بذلك ويسر من حولى قال فكنت أزورها فى كل ليلة جمعة ويوم جمعة فاقرأ عندها شيأ من القرآن وأقول آنس الله وحشتكم ورحم الله غربتكم وتجاوز الله عن سيآتكم قال فبينا أنا ذات ليلة نائم اذا بخلق كثير قد جاؤنى فقلت لهم من أنتم وما حاجتكم فقالوا نحن أهل المقابر جئناك لنشكرك ونسألك ان لا تقطعنا من تلك القراءة والدعوات فما زلت أقرأ لهم وأدعو لهم بهن كل ليلة جمعة ويوم جمعة وفى كتاب ابن السنى عن النبى صلى الله عليه وسلم من قال صبيحة يوم الجمعة قبل صلاة الغداة أستغفر الله الذى لا اله الا هو الحى القيوم وأتوب اليه غفر الله ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر اخوانى اغتنموا هذا اليوم العظيم

للرقيب ولامكان المحاسبة للحبيب فلا يفوتنك مقام الورعين ولا تبن عن حال التائبين وهوان تجعل لك
وردين في اليوم والليلة لمحاسبة النفس ومواقفتها مرة بعد صلاة الضحى لما مضى من ليلك وما سلف من
غفلتك فان رأيت نعمة شكرت الله وان رأيت بلية استغفرت فان وجدت في حالك أوصاف المؤمنين التي
وصفهم الله عز وجل ومدحهم عليها رجوت وطمعت واستبشرت وان وجدت من قلبك وحالك وصفا من
أوصاف المنافقين أوخلقا من أخلاق الجاهلين التي ذمهم الله عز وجل بها ومقتهم عليها حزنت واشفقت
وتبت من ذلك واستغفرت والمرة الثانية ان تحاسب نفسك بعد الوتر وقبل النوم لما مضى من يومك من
طول غفلتك وسوء معاملتك وما فعلته من أعمالك كيف فعلتها ولمن فعلتها وما تركته من سكوتك
وصمتك لم تركته ولمن تركته فتنعقد الزيادة والنقصان وتعرف بذلك التكلف والاخلاص من حركتك
وسكونك فما تحركت فيه وسكنت لاجل الله عز وجل به فهو الاخلاص ثوابك فيه على الله عز وجل
عند مرجعك اليه فاعمل في الشكر على نعمة التوفيق وحسن العصمة من التهلكة وما سكنت فيه أو تحركت
لهواك وعاجل دنياك فهو التكلف الذى أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم انه هو والاتقياء من أمته
برآء من التكلف وقد استوجبت فيه العقاب عند نشر الحساب الان يغفر المولى الكريم الوهاب فاعمل
حينئذ في الاستغفار بعد حسن التوبة وجميل الاعتذار وخف ان يكون قد وكلك الى نفسك فتهلك فاعمل
مشاهدة هذين المعنيين من خوف ماسلف منك والطمع في قبول ما أسلفت يمنعك من المنام ويطرد عنك
الغفلة فتحيي ليلتك بالقيام فتكون ممن وصف الله عز وجل في قوله تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون
ربهم خوفا وطمعا وقد قال بعض السلف كان أحدهم يحاسب نفسه أشد من محاسبة الشريك لشريكه
وقد قال بعض العلماء من علامة المقت ان يكون العبد ذاكرا لعيوب غيره ناسيا لعيوب نفسه ماقتا للناس
على الظن محبا لنفسه على اليقين وترك محاسبة النفس ومراقبة الرقيب من طول الغفلة عن الله عز وجل
والغافلون في الدنيا هم الخاسرون في العقبى لان العاقبة للمتقين قال الله عز وجل وأولئك هم الغافلون
لاجرم انهم في الآخرة هم الخاسرون وطول الغفلة من العبد عن طبائع القلب من العيوب والغفلة في
الظاهر غلاف القلب في الباطن تقول العرب غفله وغلفه بمعنى كما تقول جذب وجبذ وخشاف وخفاش
وطبائع القلب عن ترادف الذنب بعضه فوق بعض وهو الران الذى يعقب الكسب فيكون عقوبة له قال
الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون قيل المكاسب الخبيثة وأكل الحرام وفي التفسير
هو الذنب على الذنب حتى يسود القلب وأصل الرين الميل والغلبة وهو التغطية أيضا يقال ران عليه النعاس
اذا غلبه ورانت الخمر على عقله أى غطته ومن هذا قول عمر رضى الله عنه في سابق الحاج فاذان معرضا
فاصبح وقد رين به أى مال به الدين فغلبه وأصل ترادف الذنوب من اغفال المراقبة واهمال المحاسبة وتأخير
التوبة والتسويف بالاستقامة وترك الاستغفار والندم وأصل ذلك كله هو حب الدنيا وايثارها على
أمر الله عز وجل وغلبة الهوى على القلب ألم تسمع الى قوله عز وجل ذلك بانهم استحبوا الحياة الدنيا على
الآخرة الى قوله عز وجل أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وقال في دليل الخطاب ونهى النفس عن
الهوى يعنى عن ايثار الدنيا لان صريح الكلام ورد في وصفهم بالطغيان وايثار الحياة الدنيا ثم قال طبع الله
على قلوبهم واتبعوا أهواءهم فاتباع الهوى عن طبائع القلب وطبائع القلب عن عقوبة الذنب وميراث
العقاب الصمم عن فهم الخطاب اما سمعته يقول لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون
وقد جعل على رضى الله عنه الغفلة مقاما من مقامات الكفر فقال في حديثه الطويل فقام اليه سلمان فقال
اخبرنا عن الكفر على ما بنى فقال على أربع مقامات على الشك والجفاء والغفلة والعمى فاذا كثرت غفلة
القلب قل الهام الملك للعبد وهو سمع القلب لان طول الغفلة يصمه عن السمع وعسى ما سمع الكلام من الملك
عقوبة الخطايا وتثبيت الملك للعبد على الخير والطاعة وحى من الله عز وجل اليهم وتفضيل للعبد اما سمعت

لا يؤدى حقها الا أتى بها
يوم القيامة اعظم ما تكون
واسمنه تطؤه باخفافها
وتنطحه بقرونها كلما
جاوزت أخراها ردت عليه
أولاها حتى يقضى بين
الناس م عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال
مامن صاحب ذهب ولا
فضة لا يؤدى منها حقها الا
اذا كان يوم القيامة صفحت
له صفائح من نار فاحمى عليها
في نار جهنم فيكوى بها
جنبه وجبينه وظهره كلما
بردت اعيدت له في يوم كان
مقداره خمسين ألف سنة
حتى يقضى بين الناس
فيرى سبيله اما الى الجنة
واما الى النار الحديث
خ م قال النبي صلى الله
عليه وسلم مامن رجل
لا يؤدى زكاة ماله الامثل
له يوم القيامة شجاعا اقرع
له زبيبتان يفر منه وهو
يتبعه حتى يطوقه في عنقه
وفى رواية لمسلم يتبعه فاتحا
فاه فاذا أتاه فر منه فيناديه
خذ كنزك الذى خبأته
فاذا رأى انه لابد منه
سلك يده في فيه فيقضمها
قضم الفحل ثم يأخذه
بلهزمتيه يعنى شدقيه ثم
يقول أنا مالك أنا كنزك ثم
تلا هذه الآية ولا تحسبن
الذين يبخلون بما آتاهم
الله من فضله هو خيرا لهم
بل هو شر لهم سيطوقون
ما بخلوا به يوم القيامة ومن

والتواضع والذل بمعنى ماقلناه قيل انها اذا اقت متحركة وأمرت بالسكوت وانى لها بذلك ان لم يتداركها المالك وكيف تسكن بالامر ان لم يسكنها محركها بالخير فلا يكون العبد عبدا مخلصا حتى يكون للمعانى الثلاث مخلصا فاذا تحقق باوصاف العبودية كان خالصا من المعانى التى هى بلاؤه من صفات الربوبية فاخلاص العبودية للوحدانية عند العلماء الموحدين أشد من الاخلاص فى المعاملة عند العاملين وبذلك رفعوا الى مقامات القرب وذلك انه لا يكون عندهم عبدا حتى يكون مما سوى الله عز وجل حرا فكيف يكون عبد رب وهو عبد عبد لان ماقاده اليه فهو الهه وما ترتب عليه فهو ربه وهذا شرك فى الالهية عند المتالهين وسرج بالربوبية عند الربانيين فهو متعوس منكوس بدعاء الرسول صلى الله عليه وسلم اذ يقول تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس عبد الزوجة تعس عبد الخلة فهؤلاء عبيد العبد الذين قال مولاهم ان كل من فى السموات والارض الا آتى الرحمن عبدا لقد أحصاهم وعدهم عدا أصحاب النفوس الامارة بالسوء المسولة الموافقة للهوى المخالفة للمولى وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا الى آخر وصفهم أولو النفس المرحومة المطمئنة المرضية هم عباد الرحمن أهل العلم والحكمة علمهم من لدنه واختارهم لنفسه ولا يكون المريد بدلا حتى يبدل بمعانى صفات الربوبية صفات العبودية وباخلاق الشياطين أوصاف المؤمنين وبطبائع البهائم أوصاف الروحانيين من الاذكار والعلوم فعندها كان بدلا مقربا والطريق الى هذا بان يملك نفسه فيملكها ويتحولها فيسلط عليها فان أردت أن تملك نفسك فلا تملكها وضيق عليها ولا توسع لها فان ملكتها ملكتك وان لم تضيق عليها اتسعت عليك فان أردت الظفر بها فلا تعرضها لهواها واحتبسها عن معتاد بلاها فان لم تمسكها انطلقت بك وان أردت ان تقوى عليها فاضعفها بقطع أسباب هواها وحبس مواد شهواتها والا قويت عليك فصرعتك فاول الملكة لها ان تحاسبها فى كل ساعة وتراقب حسبتها فى كل وقت وتقف عند كل همة من خواطرها فان كانت الهمة لله عز وجل سابقت الموت وبادرت الفوت فى امضائها وان كانت الهمة لغير الله تعالى سابقت وبادرت فى محوها الثلاث تثبت وعملت فى الاستبدال بها كيلا تستبدل بك وفى تاويل الخبر المروى البر يزيد فى العمر وهو معنى الدعاء المشهور من قول الناس جعل الله فى عمرك البركة وقد بورك له فى عمره فان البركة فى العمر ان تدرك فى عمرك القصير بيقظتك مافات غيرك من عمره الطويل بغفلته فيرتفع لك فى سنة مالا يرتفع له فى عشرين سنة وللخصوص من المقربين فى مقامات القرب عند التجلى بصفات الرب الخالق برفيع الدرجات وتدارك مافات عند اذكارهم واعمال قلوبهم اليسيرة فى هذه الاوقات فكل ذرة من ذكر بتسبيح أو تهليل أو وجد أو تدبر وتبصرة وتفكر وتذكرة بمشاهدة قرب ووجد رب ونظرة الى حبيب ودنو الى قريب أفضل من امثال الجبال من أعمال الغافلين الذين هم بنفوسهم واجدون وللخلق مشاهدون مثل العارفين فيما ذكرته من قيامهم بمشاهدتهم ورعايتهم لاماناتهم وعهدهم فى وقت قربهم وحضورهم مثل العامل فى ليلة القدر العمل فيها لمن وافقها خير من ألف شهر وقد قال بعض العلماء كل ليلة للعارف بمنزلة ليلة القدر وروينا عن على رضى الله عنه انه قال كل يوم لا يعصى الله عز وجل فيه فهو لنا عيد وكان الحسن اذا تلا قوله تعالى كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم فى الايام الخالية قال يا اخوانى هى والله ايامكم هذه فاقطعوها بالجد والاجتهاد ولا تضيعوها فتسألوها فراغا من حسن المعاملة وبطالتك فيها عن الشغل بما عادلك المحصول عليك منها كما قال البطالون يا حسرتنا على مافرطنا فيها يعنى فى الايام الخالية التى هى محصولهم ومرجعهم ومثواهم وكما قالت النفس الامارة بالسوء يا حسرتا على مافرطت فى جنب الله يعنى أيام الدنيا التى ضيعت العمر فيها فاتت من الثواب والجزاء غدا وهذا أحد الوجهين فى قوله الايام الخالية والوجه الآخر الخالية أى الماضية تخلت أوقاتها وخلدت أحكامها وذهبت شهواتها وبقيت عقوباتها فان قصرت عن هذه المحاسبة للحسيب ولم يكن لك مقام المراقبة

خاتب سيتدرى فى ظلمة اللحد عاقبة العواقب وما أمليت من أعمالك على الكاتب وبعده هول الموقف بين يدى المحاسب ويبدو التكل مسوف أمله الكاذب هنالك والله تضيق المذاهب وتبدو الخيبة والحسرة والمصائب اللهم صل على محمد وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته واغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤف رحيم

(فصل) فى الزكاة قال الله سبحانه وتعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله أى لا يؤدون زكاتها فبشرهم أى أنذرهم بعذاب أليم يوم يحمى عليها فى نار جهنم أى تدخل النار ويوقد عليها أى على الكنوز فتكوى أى تحرق بها جباههم وجنوبهم وظهورهم قال ابن مسعود رضى الله عنه لا يوضع دينار على دينار ولا درهم على درهم ولكن يوسع جلدهم حتى يوضع كل درهم ودينار فى موضع على حدة ويقال لهم هذا ما كنزتم لانفسكم فصار النفع ضررا فذوقوا وبال ما كنتم تكنزون ثم م عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال مامن رجل يكون له ابل أو بقر أو غنم

ان تحسن كما أحسن الله اليك ولا تطلب الفساد فى الدنيا فتكون قد نسيت نصيبك من الآخرة فيتركك الله من جزيل ثوابه الذى أعد لأحبابه كما قال نسوا الله فنسيهم أى تركوه فتركهم وتركهم له تركه نصيبهم منه وتركه عز وجل لهم ترك محابهم من الآخرة فيبتدئ العبد الفطن فيأخذ من عمره ووقته فيجعله لآخرته التى أيقن بها ثم يأخذ من وقته أعلى ما فيه مما يختص به الوقت ولا يوجد الا فيه ويفوت دركه بفوت وقته وهو أفضل ما يقدر عليه مما اداه علمه اليه فيجعله لمولاه ثم ان العبد لا يخلو فى كل وقت وان قل من أحد مقامين مقام نعمة أو مقام بلية فحاله عن مقام النعمة الشكر وحاله عن مقام البلية الصبر ثم ليس يفقد أحد مشاهدتين شهود نعمة أو شهود منعم من حيث لا يخلو من وجود مالك وحضور مملوك فعليه الخدمة للموجود وعليه الحضور فى خدمة المعبود والمراقبة علامة الحضور والمحاسبة دليل المراقبة ويكون له أيضا فى أدنى أوقاته وهو الوقت الثالث الذى هو لباسه وهو أدنى أحوال المؤمن يكون له فيه مشاهدة منعم أو شهود نعمة لئلا يذهب وقته هذا أيضا فارغا من دنياه ولا يعود عليه شئ من ذكر مولاه أو يذكر نعمة تدله على منعم أو تخرجه اليه فينفعه ذلك فى عقباه اذ العاقبة للمتقين فان شهد منعما اقتطعه الحياء بالسكينة والوقار للهيبة وهذا خصوص بخصوص وان شهد نعمة استغرقه بالشكر والاعتبار فكان له به تبصرة وتذكار وهذا العموم الخصوص قال الله عز وجل فى وصف الاولين ومن كل شئ خلقنا زوجين لعلكم تذكرون ففروا الى الله وقال فى المقام الثانى ولا تجعلوا مع الله الها آخر وقال فى مقام الاولين قل من بيده ملكوت كل شئ وهو يجير ولا يجار عليه الى قوله أفلا تتقون وقال فى وصف الآخرين قل لمن الارض ومن فيها الى قوله أفلا تذكرون وقدر وينافى الاثر من صفات العاقل وحال المراقب وحشو الاوقات بما ينبغى ان تملأ به جمل ما ذكرناه من حديث أبى ذر الطويل ولا يكون المؤمن ظاعنا الا فى ثلاث تزود لمعاد أو مرمة لمعاش أو لذة فى غير محرم وبمعناه وعلى العاقل ان يكون له أربع ساعات ساعة يناجى فيها ربه عز وجل وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يفكر فى صنع الله عز وجل وساعة يخلو فيها للمطعم والمشرب فان فى هذه الساعة عونا له على الساعات وفيه أيضا ثلاث مجملات من صفة العاقل ومن علامة العاقل ان يكون مقبلا على شانه حافظا للسانه عارفا بزمانه وفى بعضها مكرما لاخوانه فأول وقت المباح من الاوقات فالنوائب والحاجات تطرقه والفاقات تدخله عليه فلا يتكلفه قبل وقته فيشغله عن وقته ثم ان العباد فى مشاهدة الملك على أربع مقامات كل عبد يشهد الملك من مقامه بعين حاله فمنهم من ينظر الى الملك بعين التبصرة والعبرة فهؤلاء أولو الالباب الذين كشف عن قلوبهم الحجاب وهم اولو الايدى والابصار الذين أقامهم مقام الاعتبار وهذا مقام العلماء الذين هم ورثة الانبياء ومنهم من ينظر الى الملك واهله بعين الرحمة والحكمة وهذا مقام الخائفين ومنهم من ينظر الى الملك وأهله بعين المقت والبغضة وهذا مقام الزاهدين ومنهم من ينظر الى الملك بعين الشهوة والغبطة وهذا مقام الهالكين وهم أبناء الدنيا الذين لها يسعون وعلى فوتها يتحسرون فان أعطى العبد النظر الى الملك بعين العبرة والحكمة أدخله الملك على الملك فاستغنى به عما سواه وان أعطى الخائف النظر الى الملك بعين الرحمة اغتبط بمقامه وعظمت لربه تعالى عليه النعمة وان أعطى الزاهد النظر الى الملك بعين البغضة أخرجه الملك عن الملك بالزهد فيه فعوضه من فوت الملك الصغير درك الملك الكبير ومن ابتلى بالنظر الى الملك بعين الغبطة والحسرة أوقعه الملك فى الهلكة فسلك طريق الهالك ومن شاهد معنى خلق من أخلاق الذوات أو معنى وصف من الصفات كان متقدما ماوجب الخلق أو الوصف من شهود نعيم أو عذاب وهو مقام له فى التعريف رفعه الى مقام التعرف وهذه شهادة العارفين من كل ما شهدوه من الافعال التى تدل على معانى الاخلاق والاوصاف لانه أظهرها عنه ليستدل عليه بها أو ينظر اليه منها فأما من شهد شهوة من شهوات النفس بعين الهوى أخرجته الى الاهواء فتخطفه الشياطين وهوت به الريح فى مكان سحيق وتنكب طريق المسالك الى المولى التى تخرجه الى القريب وتقعده عند الحبيب فى مقعد صدق عند مليك مقتدر ومن فاته القرب وقع فى التيه

وقال الحسن من وسع عليه فلم يرانه يمكر به فلا رأى له ومن قتر عليه فلم يرانه ينظر له فلا رأى له ثم قرأ هذه الآية وقال مكر بالقوم ورب الكعبة اعطوا حاجاتهم ثم أخذوا قاله فى الوسيط وفى الروض الفائق انه كان فى بنى اسرائيل رجل مذنب وكلما ازداد فى ذنوبه وعصيانه أمده الله بوافر رزقه واحسانه فلما سمع موسى عليه السلام وتوبيخه لاهل الذنوب قال ياموسى ما أرى ربى الا كلما زدته معصية زادنى من فضله ونعمته فعجب موسى من كلامه فقال الهى أنت أعلم بما قاله عبدك العاصى فقال ياموسى انى أعذبه ولا يدرى فقال يارب كيف تعذبه وقد بسطت رزقه وأمهلته قال ياموسى عذبته ببعده عنى وأغفلته عن طاعتى فوعزتى وجلالى لاذيقنه وبيل عذابى ولاحرمنه جزيل ثوابى ياهذا اذا رأيت المبارزين بالخطايا قد اتسع لهم مجال الامهال فلا تستعجل لهم انما نملى لهم ليزدادوا اثما فقد فرحوا بما وجب الغم من الزلات أيحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم فى الخيرات بل لا يشعرون بينا أرض اعراضهم قد أخذت زخرفها وازينت

قول الله عز وجل اذ يوحى ربك الى الملائكة انى معكم فثبتوا الذين آمنوا وفى الخبر ان آدم عليه السلام حجب عن سمع كلام الملائكة فاستوحش بذلك فقال يا رب مالى لا أسمع كلام الملائكة فقال بخطيئتك يا آدم فاذا لم يسمع العبد كلام الملائكة لم يفهم كلام الملك واذا لم يسمع الكلام لم يستجب للمتكلم انما يستجيب الذين يسمعون وقال الحسن ان بين العبد وبين الله عز وجل حدا محدودا من الذنوب فاذا بلغه العبد طبع على قلبه فلم يوفقه للخير أبدا فبادر أيها المجاوز للحدود بالتوبة والرجوع قبل ان تبلغ الحد فتلقى عميا وجهدا وفى حديث ابن عمر الطابع معلق بقائم عرش الرحمن فاذا انتهكت المحارم بعث الله عز وجل بالطابع على القلوب فأعماها وهذا هو القفل الذى قال الله عز وجل أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها واعلم ان القسوة التى يهدد الله عز وجل عليها بالويل المتولدة من طول الغفلة فى قوله عز وجل فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله وقد قرنها الله عز وجل بالنفاق وأخبر انه يجعل القاء الشيطان فتنة لاهل النفاق والقسوة فالقاء الشيطان يكثر عند قلة الهام الملك كما ذكرنا آنفا ينتظم ذلك قوله عز وجل ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة للذين فى قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم أى وللقاسية قلوبهم أيضا والقسوة ثمرة البعد والبعد عقوبة الخيانة والله لا يحب الخائنين فذلك من تدبر الخطاب من قوله فبما نقضهم ميثاقهم أى فبنقضهم الميثاق وما صلة فى الكلام فهذا هو الخيانة لعناهم أى أبعدناهم وجعلنا قلوبهم قاسية بترادف الذنوب بعد القسوة من الكذب والنسيان وكثرة الاطلاع على الخيانة منهم والبهتان فأصيبوا بالذنوب فوقع الطابع على القلوب فصمت عن سمع كلام المحبوب كما قال أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فجلاء هذا الطابع التقوى فهو مفتاح السمع كما قال اتقوا الله واسمعوا والله تعالى الموفق

(الفصل السادس والعشرون) فيه كتاب ذكر مشاهدة أهل المراقبة اعلم ان مشاهدة المراقبين هى أول مراقبة المشاهدين وذلك ان من كان مقامه المراقبة كان حاله المحاسبة ومن كان مقام المشاهدة كان وصفه المراقبة فاول شهادة المراقب هو ان يعلم يقينا ان لا يخلو فى كل وقت وان قصر من أحد ثلاثة معان ان يكون لله عز وجل عليه فرض والفرض على ضربين شئ أمر بفعله أو شئ أمر بتركه وهو اجتناب المنهى والمعنى الثانى ندب حث عليه وهو المسابقة بخير يقربه الى الله عز وجل والمسارعة بعمل بر يبتدره قبل فوته والمعنى الثالث شئ مباح فيه صلاح جسمه وقلبه وليس للمؤمن وقت رابع فان أحدث وقتا رابعا فقد تعدى حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه وقد أحدث فى دين الله سبحانه وتعالى ومن أحدث فى دين الله فقد سلك غير طريق المتقين ألم تسمع الى قوله عز وجل وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا فهل ترى بين هذين وقتا يجهل أو هوى كما لا ترى بين الليل والنهار وقتا ثالثا فالذكر الايمان والعلم فهذان ينتظمان جمل أعمال القلوب والشكر والعمل بأخلاق الايمان وأحكام العلوم وهذان يشتملان على جميع أعمال الجوارح قال الله عز وجل اعملوا آل داود شكرا وقال واتقوا الله لعلكم تشكرون وقال كما أرسلنا فيكم رسولا منكم الى قوله فاذكرونى أذكركم واشكروا لى ولا تكفرون وقال الله تعالى ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد عوتب فى طول قيامه حتى تورمت قدماه فقال أفلا أكون عبدا شكورا ففسر الشكر بالعمل كما فسر الله عز وجل العمل بالشكر والوقت الثالث هو المباح داخل فيهما لانه معين عليهما وبه استقامة العبد فيهما وقد كان بعض العلماء يقول النافلة معاصى الطاعات هم وشغل عن معاصى المخالفات فيبتدئ العبد المراقب فينظر بهمته فى أدنى وقت هل لله عز وجل عليه فرض من أمر أو نهى فيبدأ بذلك حتى يفرغ منه فان لم يجد فانه لا يخلو من نوادب وفضائل فيبتدئ بالافضل فان لم يمكن عمل فى أدنى الفضيلتين فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ومن يومه لامسه ومن ساعته ليومه ومن دنياه لآخرته كما أمره مولاه فى قوله سبحانه وتعالى ولا تنس نصيبك من الدنيا أى لا تترك ان تأخذ نصيبك من الدنيا ولا تترك ان تأخذ نصيبك للآخرة من دنياك وهو

ان

عائشة رضى الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما خالطت الصدقة مالا قط الا أهلكته رواه الشافعى والبخارى فى تاريخه والحميدى وزاد الحميدى وقال يكون قد وجبت عليك صدقة فلا تخرجها فيهلك الحرام الحلال انتهى اه أدواز كاة مالكم التى قرنها الله بالصلاة فى أكثر المواضع من القرآن اذ الصلاة أم العبادات البدنية والزكاة أم العبادات المالية لتنجوا من الشجاع الاقرع والكى بنار جهنم وأنواع الفضائح والعقوبات وهلاك الاموال فان لم يهلك أموالكم وأنتم عاصون فلا تظنوه نعمة بل هى بلية عظيمة وفتنة جسيمة فقد روى أحمد ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا رأيت الله تعالى يعطى العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب فانما هو استدراج ثم تلا قوله تعالى فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شئ حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون أى آيسون قال ابن عطية وروى عن بعض العلماء انه قال رحم الله امرأ تدبر هذه الآية حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة

عنه بعسلم يديره في جميع ذلك و ورع يحجزه عن الهوى في ذلك ولا يشتغل بطلب الفضل حتى يفرغ من فرض لان الفضل لا يصح الا بعد حوز السلامة كالا يخلص الربح للتاجر الا بعد حصول رأس المال فمن تعذرت عليه السلامة كان من الفضل أبعد والى الاغترار اقرب وقد تلتبس الفضائل بالفرائض لدقة معانيها وخفي علومها فيقدم العبد النفل وهو يحسب انه الواجب فمن ذلك ان أبا سعيد رافع بن المعلى كان قائما يصلي فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجبه فظن ان وقوفه بين يدي الله عز وجل بالغيب أفضل له فلما سلم جاءه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منعك ان تجيبني حين دعوتك فقال كنت أصلي فقال ألم تسمع الله عز وجل يقول استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاه وهو في الصلاة ليفيده باطن العلم أو لينظر مبلغ علمه كيف يعمل وكانت اجابته لرسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل له من صلاته لان صلاته نافلة له فهو مطيع لله عز وجل في الغيب باختياره واجابته لرسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من صلاته لانه افترضت عليه فهو مطيع لله تعالى في الشهادة باجابته ففضل استجابته لرسول الله صلى الله عليه وسلم على صلاته لنفسه كفضل الفرض على النفل وقد قال سبحانه من يطع الرسول فقد أطاع الله وقال تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله والله تعالى معه في المكانين معا وهو عند الرسول عليه السلام على يقين فعبادة الله عز وجل ههنا أبلغ في مرضاته وأثوب له في آخرته وفي هذا الحديث دليل ان الخبر اذا ورد في أمر كان على جملة عمومه وكلية ما تعلق به حتى تخص السنة أو الاجماع بعض شأنه ومن ذلك ان قول الله عز وجل استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم ان ظاهره مقصور على الاستجابة للرسول صلى الله عليه وسلم بالايمان و بالطاعة في أوامر القرآن لا الاجابة له في التصويت خاصة في الصلاة وهذا هو الذي حمله أبو سعيد بن المعلى عليه وتأوله من الآية فأشكل عليه ومثل هذا فعل عمار في التيمم لما نزلت آية الاباحة للتيمم في صلاة الفجر وهم في سفر فقال عز وجل فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم ولم يكن يسمع من النبي صلى الله عليه وسلم في تخصيص بعض اليد شيأ قال فتيممنا الى المناكب واستوعب جملة اليد لعموم الخطاب حتى أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فأمرهم بالتيمم الى المرفقين وفي خبر الى الزندين باختلاف الروايتين فخص بعض اليد فلذلك اختلف العلماء في تبعيض اليد في المسح وكذلك العمل فيما ورد مجملا ان يستعمل في الجملة حتى تخصه السنة فمن ذلك ما روي ان رجلين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم تآخيا في العبادة فاعتزلا الناس فقال أحدهما لصاحبه هلم اليوم فلننفرد عن الناس ونلزم الصمت فلا نتكلم من يكلمنا فانه أبلغ في عبادتنا قال فاعتزلا في خلوة وصمتا فمر بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم عليهما فلم يردا عليه السلام قال فسمعناه يقول حين جاوزنا هلك المتعمقون المتنطعون فاعتذرا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتابا من ذلك الى الله عز وجل ومثل ذلك ما روي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يعس ذات ليلة فنظر الى مصباح أبيض في خلل باب فاطلع فاذا قوم على شراب لهم فلم يدر كيف يصنع فدخل المسجد فأخرج عبد الرحمن بن عوف فجاء به الى الباب فنظر وقال له كيف ترى أن نعمل فقال أرى والله أنا قد أتينا ما نهانا الله عنه لانا تجسسنا على عورة فاطلعنا عليها وقد سترها الله دوننا وما كان لنا ان نكشف ستر الله عز وجل فقال ما أراك الا قد صدقت فانصرف عنك فانصرفا وفي لفظ آخر انه قال له أرى انا قد عصينا الله ورسوله ونهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التجسس فقال صدقت فأخذ بيده وانصرف وروينا نحو هذا ان عمر رضي الله عنه كان يعس ليلة مع ابن مسعود فاطلع من خلل الباب فاذا شيخ بين زق خمر وقينة تغنيه فتسور عليه وقال ما أقبح بشيخ مثلك ان يكون على مثل هذه الحال فقام اليه الرجل فقال يا أمير المؤمنين انشدك الله الا انصفتني حتى أتكلم فقال له قل فقال ان كنت قد عصيت الله عز وجل في واحدة فقد عصيته أنت في ثلاث قال وما هي قال قد تجسست وقد نهاك الله عز وجل عن ذلك وتسورت وقد قال الله عز وجل وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ودخلت

ثلاثا خم قال صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى انفق يا ابن آدم أنفق عليك ت قال صلى الله عليه وسلم السخي قريب من الله قريب من الجنة قريب من الناس بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الجنة بعيد من الناس قريب من النار ولجاهل سخي أحب الى الله من عابد بخيل ت قال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة خب ولا بخيل ولا منان دت عن أم بجيد قالت قلت يا رسول الله ان المسكين ليقف على بابي حتى أستحي فلا أجد في بيتي ما أدفع في يده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ادفعي في يده ولو ظلفا محرقا م قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبدا بعفو الا عزا وما تواضع أحد لله الا رفعه الله ت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيما مسلم كسا مسلما ثوبا على عري كساه الله من خضر الجنة وايما مسلم أطعم مسلما على جوع أطعمه الله من ثمار الجنة وايما مسلم سقى مسلما على ظمأ سقاه الله من الرحيق المختوم وروى أحمد أنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ظل المؤمن يوم القيامة صدقته تس قال

والبعد فهو البائس المغبون الخائن المفتون الذي يكون ابدا يومه شرا من أمسه وغده شرا من يومه فالموت خير له من حياته لان حياته عن الحبيب تبعده و بقاءه عن السبيل يصده و وجده لهواه بفقده وظهور نفسه عليه من السوابق يقعده لانه اذا كان في ادبار وكان ادباره في اقبال فقد فاته عمره عن آخره كفوت وقت واحد و فوت شيء واحد لان العمر ليس مما يتأتى فوته دفعة واحدة كشيء واحد لانه ينشأ وقتا بعد وقت وانما يفوت جزأ جزأ على حكمة من الله عز وجل وتمهل واستدراج منه وقتا بعد وقت ويوما بعد يوم يستدرجه في ذلك كما يصعد الدراج في الدرج مرقاة مرقاة كذلك يشغله في وقت عنه و يفرغه وقتا آخر لغيره و يذكره في وقت سواه و ينسيه وقتا آخر اياه فمثله حينئذ كفراغه وذكره يومئذ كنسيانه وعلى هذا سائر أوقاته تارة يقطعه عنه وتارة يصله بغيره حتى تفنى الايام بالفوت وتنقضي الاوقات الى الموت وفي ذلك يسبل عليه الستر ليغتر و يسبغ عليه النعم كيلا يعلم و يديم له العوافي لئلا يفطن و يبسط له الامل ليزداد من سوء العمل و يقبض عنه الاجل ليقبض منه الوجل و ينشر له الرجاء ويطوي عنه الخوف حتى يبغتهم بفأة من حيث أمنهم و يأخذهم بغتة في حال غرتهم كما قال ومكروا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون ومن معنى ما ذكرناه قوله تعالى فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء أي لما تركوا ما وعظوا به وخوفوا أسبغنا عليهم النعم وأنسيناهم الشكر فترادفت منهم الذنوب وأنسيناهم الاستغفار ثم قال حتى اذا فرحوا بما أوتوا أي سكنوا الى ذلك واطمأنوا ولم يريدوا التحويل عنه ولا الاستعتاب منه أخذناهم بغتة أي فجأة في حين أمنهم وقيل بغتة بعد أربعين سنة فاذا هم مبلسون متحيرون باهتون آيسون من كل خير واعلم ان العبد اذا كان بعد ساعة شرا منه قبلها و بعد يوم شرا منه قبله ثم لم يستعتب ولم يتدارك كانت أوقاته كلها وأيامه كيوم واحد في الشر و وقت سرمد في السوء فكان كمن فات عمره كله كفوت وقت واحد منه لانه على هذا الوصف يكون فوت العمر لتراخيه وقتا بعد وقت و ينساه شيأ بعد شيء ولتربية العبد بأوقاته وقتا بعد وقت الانها في آخر الحساب ومجمله كيوم واحد اضاعه فكان مثله كما قال تعالى ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا وكمن كان حاله الغفلة عن الوعد والوعيد فلما كشف عنه الغطاء حار بصره و بهت واحتد و برق لما ينتهي ما كان عنه غفل وحسرة على ما فيه فرط لقوله تعالى لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد قيل محدد الى أعمالك السيئة أو ثقلك وقيل حديد الى لسان الميزان يتوقع النقص والرجحان وكان كمن قال تعالى في قوله وأنذرهم يوم الحسرة اذ قضي الامر وهم في غفلة قبل جاءهم الموت وهم مشغولون بأمور الدنيا وقيل كانوا متشاغلين في شأن النساء و بوصف من قيل له وغرتكم الاماني يعني أماني الهوى حتى جاء أمر الله أي قدم الموت ولم تقدموا له شيأ يقدموا به عليه فمثلهم كمن وصفه بالافلاس وأخبر عنه بالاياس في قوله عز وجل حتى اذا جاءه لم يجده شيأ ووجد الله عنده فوفاه حسابه وقد كان أبو محمد يقول لا يبلغ العبد منازل الصديقين حقيقة من هذا الامر حتى يكون فيه هذه الاربع أداء الفرائض بالسنة وأكل الحلال بالورع واجتناب النهي في الظاهر والباطن والصبر على ذلك الى الممات وكان الحسن يقول والله ما العمل المؤمن انه اعدون الموت والله ما المؤمن الذي يعمل الشهر والشهرين والسنة والسنتين انما المؤمن المداوم على أمر الله الخائف من مكر الله انما الايمان شدة في لين وعزم في يقين واجتهاد في صبر وعلم في زهد وكان عمر رضي الله عنه اذا تلا قوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا يقول قد قالها الناس ثم رجعوا فمن استقام على أمر الله في السر والعلانية والعسر واليسر ولم يخف في الله لومة لائم وقال مرة استقاموا والله لربهم ولم يروغوا روغان الثعالب وقال بعض العلماء من كان طلب الفضائل أهم اليه من اداء الفرائض فهو مخدوع ومن شغل بغيره عن نفسه فقد مكر به وقال سفيان الثوري وغيره انما حرموا الوصول بتضييع الاصول فأفضل شيء للعبد معرفته بنفسه و وقوفه على حده واحكامه لحاله التي أقيم فيها فابتداؤه بالعمل بما افترض عليه بعد اجتنابه ما نهي

بجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالامس يا معشر الغافلين في لذاتهم انا أنذرناكم عذابا قريبا واتخذاهم يوم ينبئهم الله بما عملوا والله بكل شيء عليم

شعر

ما حال من غلقت أبواب رحمته وخلدت نفسه في سجن غفلته
أعمته شهوته عن كل صالحة كأنما اختطفت أجفان مقلته
فدعه ان لم يفق من قبل صرعته فسوف يعثر في أذيال جهلته
يا من ينادي ولا يصغي لصالحة كأنما قلبه في غير جثته
ان كان جسمك لا يقوى على ألم فالنار أعظم من آلام علته

اللهم أجرنا من نار عفو بتك ولا تفضحنا على رؤس الخلائق يوم القيامة وارزقنا حسن النظر لانفسنا ولا تجعلنا من الذين يستمعون المواعظ ولا يعملون بها وصل على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين

(فصل في الصدقة والسخاء)

قال الله تعالى ان المصدقين والمصدقات وأقرضوا الله قرضا حسنا يضاعف لهم ولهم أجر كريم وفي الصحيحين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من يوم يصبح العباد فيه الا ملكان ينزلان فيقول أحدهما اللهم اعط منفقا خلفا و يقول الآخر اللهم اعط ممسكا

دين مائة حجة بعد حجة الاسلام ثم فاخرجها كما أمرناك والا فقل لنا ما في قلبك فقال يا أبا نصر سفري أقوى في قلبي فتبسم بشر وأقبل عليه وقال له المال اذا جمع من وسخ التجارات والشبهات اقتضت النفس الى أن تقضي به وطرا تسرع اليه فتظاهرت أعمال الصالحات وقد آلى الله على نفسه أن لا يقبل الا عمل المتقين وفي نحوه قيل لبشر أيضا ان فلانا الغني كثير الصوم والصلاة فقال المسكين ترك حاله ودخل في حال غيره انما حال هذا اطعام الطعام للجياع والانفاق على المساكين فهذا أفضل له من تجويعه نفسه ومن صلاته لنفسه مع جمعه للدنيا ومنعه للفقراء وقد يكون اشتغاله الاوجب من الفرائض والتباسه بالفضائل محنة من الله عز وجل لعباده وحكمة له فيهم فيرتكبون التأويل للسعة ويتركون الضيق لخفائه عليهم لينفذ فيهم العلم ويجري عليهم الحكم ويكون ذلك تأديبا لهم وتعريفا ومزيدا في التسليم وتوفيقا وقد قال الله تعالى فيما عتب على نبيه صلى الله عليه وسلم وعظه وزجره في قوله تعالى عبس وتولى أن جاءه الاعمى وما يدريك لعله يزكى يقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينتهر في عمره كافرا بعد أن أنزل عليه سورة عبس لان فيها عتبا شديدا على مثله لانه الحبيب الرشيد ومع ذلك لم يقصده في الخطاب فيكون أيسر للعتاب بل كشف ذلك للمؤمنين ونبه على فعله عباده المتقين لان معنى قوله عبس وتولى أي انظروا أيها المؤمنون أو اعجبوا الى الذي عبس وتولى أن جاءه الاعمى ولذلك روي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه بلغه ان بعض المنافقين يؤم قومه فكان لا يقرأ بهم الا بسورة عبس فارسل فضرب عنقه يستدل بذلك على كفره ليضع من الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك عنده وعند قومه ومثله قوله عز وجل عاتبا على رسوله صلى الله عليه وسلم عفا الله عنك لم أذنت لهم ونحوه لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك ومعناه قوله عز وجل وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق ان تخشاه حتى قالت عائشة رضي الله عنها لو كتم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ من القرآن كتم هذه الآية ومن أعجب ما سمعت في هذا المعنى ما حدثونا في الاسرائيليات عن وهب بن منبه اليماني ان سليمان بن داود عليهما السلام لما قبضه الله عز وجل خلف رجالا من ولده يعمرون بيت المقدس ويعظمونه برهة من الدهر حتى خلف بعدهم رجل من ولد سليمان فخالف طريقة آبائه وترك شريعتهم وتكبر في الارض وطغى وقال بنى جدي داود وأبي سليمان مسجدا فمالي لا أبني مسجدا مثل ما بنوا وأدعو الناس الى شريعتي كما دعوا فبنى مسجدا يضاهي به بيت المقدس وادعى على الله عز وجل انه أمره بذلك وصرف الناس اليه وبذل لهم الاموال وأخرب مسجد بيت المقدس وهجره فدخل الناس في دينه رغبة ورهبة قال فابتعث الله اليه نبيا من بعض أهل القرى فقال اركب أتانك هذه وأت هؤلاء القوم أحفل ما يكونون فناد في مسجدهم وجمعهم بأعلى صوتك يا مسجد الضرار ان الله عز وجل حلف باسمه ليوحشنك من عمارك وليقتلن أهلك فيك وليشدخنهم بخشبك وجندلك ولتلغن الكلاب بدمائهم ولتأكل لحومهم فيك وناد في المدينة بأعلى صوتك بمثل ذلك ولا تأكل ولا تشرب ولا تستظل ولا تنزل عن أتانك هذه حتى ترجع الى قريتك التي خرجت منها قال ففعل ذلك فثار الناس اليه يضربونه بالخشب ويشجونه بالحجارة وهو على أتانه لا ينزل عنها فناله على ذلك أذى كثير وضرب عظيم ثم كر راجعا في آخر النهار يؤم قريته التي خرج منها وقد أدى الرسالة وصبر على الضرب والبلاء لله عز وجل فلما كان ببعض الطريق سمع به نبي آخر كان في بعض القرى استقبله وسلم عليه فقال انك قد أديت رسالة ربك وانك أمضيت أمره وانك قد تعبت ولقيت عناء من هؤلاء القوم وأنت جائع عطشان تسيل دماؤك على جسدك وثيابك فاغتسل الى منزلي فكل واشرب واسترح واغسل جسدك وثيابك فقال ان الله عز وجل لما أرسلني قد كان عهد الي أن لا آكل ولا أشرب ولا أستظل حتى أرجع الى أهلي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم فانى من أهلك لاني نبي مثلك وأخوك في الدين فلا أرى الله عز وجل عنى بذلك الا القوم الذين بعثك اليهم لانهم أعداؤه فنهاك أن تأكل من طعامهم وتستظل عندهم ولا أحسب حرم عليك دخول منزلي ولا الاكل من طعامي لاني نبي مثلك

اليوم قال خرجت ومعي قرصان فتصدقت بأحدهما وأكلت الآخر فقال صالح حل حطابك فحل حطبه فاذا فيه أسود مثل الجذع عاض على جذل من الحطب فقال بها دفع عنك يعني بالصدقة يا راقدا في نوم الغرة لا مشغولا باحلام الامل أنت تجود بالعمر جود حاتم وتبخل بالصدقة بخل الحباحب وتعد بالتوبة وعد عرقوب والزمان يأكل عمرك أكل السوس وكانك بالموت أسرع من طرف يحملك الى قبر أوحش من يومه فتندم على التفريط ندامة الكسعي وتقوم يوم حشرك بخفي حنين (شعر)

كم رأينا من أناس هلكوا
فبكى أحبابهم ثم بكوا
تركوا الدنيا لمن بعدهم
ليتهم لو قدموا ما تركوا
كم رأينا من ملوك سوقة
ورأينا سوقة قد ملكوا
قلب الدهر عليهم فلكا
فاستداروا حيث دار الفلك

اللهم انصرنا ولا تخذلنا وعافنا ولا تعرضنا وأكرمنا ولا تهنا وآثرنا ولا تؤثر علينا انك على كل شيء قدير

(فصل في الصوم) قال الله تعالى شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ثم

بغير اذن وقد قال الله عز وجل لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها فقال عمر صدقت
فهل أنت غافر لي ذلك فقال غفر الله لك فخرج عمر وهو يبكي حتى علا نشيجه وهو يقول ويل لعمر ان لم يغفر
الله له تجد الرجل كان يختفي بهذا عن ولده وجاره فالآن يقول رآني أمير المؤمنين ونحو ذلك وجاء في
الخبر اذا دعي أحدكم الى طعام فان كان مفطرا فليجب وان كان صائما فليقل اني صائم فأمره باظهار عمله
وهو يعلم ان الاخفاء أفضل ولكن اظهار عمله من حيث لا يؤثر في قلب أخيه وجد أفضل من اخفائه لنفسه
مع تأثير ذلك في قلب أخيه لتفضيل المؤمن وحرمته على الاعمال اذ الاعمال موقوفة على العامل وانما يعطى
الثواب على قدر العامل لا على قدر العمل لتضعيف الجزاء لمن يشاء على غيره في العمل الواحد فدل ذلك ان
المؤمن أفضل من العمل فقيل له ارفع التأثير والكراهة عن قلب أخيك باظهار عملك فهو خير لك من اخفاء
العمل مع وجد أخيك عليك لان أخاك اذا دعاك الى طعام صنعه لك فلم تجبه ولم تعتذر اليه عذرا بينا يقبله
منك ويعرفه شق عليه ان كان صادقا في دعائك ومعنى هذا من خفي الاعمال ما يحكى عن بعض السلف انه
كان يكون في الجماعة فيقرأ في نفسه سرا لئلا يطلع على أعماله أحد فاذا مر بآية فيها سجدة سجد بين الملا
فكنا نعرف بسجوده انه يقرأ فلعل فارغا قليل الفقه يقول ان هذا قد أظهر عمله اذ فعل ما يدل عليه فلو ترك
السجود ليخفي عمله كان أفضل لانه قد أظهر ما أخفاه فهذا يدل على جهله بالمعاملة وقد سمعت بعض العلماء
يطعن على هذا بفعله بمعنى ما ذكرناه من القول وهكذا يكون علم المريدين القصيرين العلم وليس الامر
كما قدره هذا المنكر بسجوده بل القائل المنكر لفعله قليل الفقه بدقائق الاخلاص جاهل بطريقة
العاملين من العارفين والعامل الذي نقل عنه هذا الفعل فقيه مخلص وذلك لانه قد حاز الفضلين معا لانه كان
فاضلا فيما أخفى اذا ابتدأ عمله بالخفية فلما جاء السجود الذي لا يكون الا ظاهرا لم يصلح أن يترك قربة الى
الله عز وجل من أجل الناس فكان يسجد كما أمر به ويقرأ كما ندب اليه فصار فاضلا في الحال الثاني لانه
أظهر لاجل الله عز وجل كما أخفى لاجله ولانه ترك مراقبة الناس ولم يترك عمله لاجلهم ولو كان الفضل في
ترك السجود لاخفاء العمل كان الافضل لمن دخل عليه في منزله وهو يصلي أن يقعد لاجلهم وقد وردت
السنة في ذلك ان له أجرين أجر السر وأجر العلانية كيف وقد كانوا يعدون ان الرياء ترك العمل لاجل
الناس فأما العمل لاجلهم فشرك وقد قيل لا تعمل للرياء ولا تترك العمل للحياء فالحياء من الخلق شرك كما
ان الحياء من الخالق ايمان وأيضا فانه أطاع العدو في ترك العمل لاجل الناس أطاعه مرة أخرى في
العمل لاجلهم ومثل هذا كمثل من كان يصوم ويصلي يوما أجمع في منزله لا يعلم به مخلوق فلو نوى
الاعتكاف ليضمه الى صومه خرج الى المسجد فكان يصلي مقيما فيه فظهر الناس على عمله فلم يكن ليدع
ما نواه من العكوف في المسجد لاجل نظرهم اليه ولم يضره ظهور عمله لثباته على نيته ولمزيد
الاعتكاف اذا كان عالما متمكنا وأيضا فان الامام المتمكن المقتدى به لا يضره ظهور الناس على أعماله اذا
لم يقصد ذلك ولم يحب مدحهم وربما كان له أجران في ذلك لتنبيه الغافلين عن الذكر وتشويق العاملين
الى البر كيف وعند بعض العلماء ان سجود القرآن فرض وان على من سمع آية سجدة أو تلاها وكان على
غير وضوء أن يسجد لها اذا توضأ ونحو هذه المعاني ما هو حال للعبد وأولى به من حال غيره مما رواه أبو نصر
التمار ان رجلا جاء يودع بشر بن الحرث وقال قد عزمت على الحج افتأمرني بشيء فقال له بشر كم أعددت
للنفقة قال ألفي درهم قال فأي شيء تبتغي بحجك نزهة أو اشتياقا الى البيت أو ابتغاء مرضاة الله عز وجل قال
ابتغاء مرضاة الله عز وجل قال فان أصبت رضا الله وأنت في منزلك وتنفق ألفي درهم وتكون على
يقين من مرضاة الله عز وجل أتفعل ذلك قال نعم قال اذهب فأعطها عشرة أنفس مدين يقضي بها
دينه وفقير يرم شعثه ومعيل يغني عياله ومربي يتيم يفرحه وان قوي قلبك أن تعطيها الواحد فافعل فان
ادخالك السرور على قلب امرئ مسلم وتغيث لهفان وتكشف ضر محتاج وتعين رجلا ضعيف اليقين أفضل

رسول الله صلى الله عليه وسلم الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذي الرحم ثنتان صدقة وصلة * خ م قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مر رجل بغصن شجرة على ظهر طريق فقال لانحين هذا عن طريق المسلمين لا يؤذيهم فادخل الجنة د ت قال صلى الله عليه وسلم من أصابته فاقة فانزلها بالناس لم تسد فاقته ومن أنزلها بالله أوشك الله بالغنى اما بموت عاجل أو غنى آجل ب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الصدقة لتطفئ غضب الرب وتدفع ميتة السوء وقال سالم بن أبي الجعد رحمه الله ان الصدقة لتدفع سبعين بابا من السوء وفضل سرها على علانيتها سبعون ضعفا وفي حياة الحيوان روى أحمد في كتاب الزهد عن سالم بن أبي الجعد قال كان رجل من قوم صالح عليه السلام قد آذاهم فقالوا يا نبي الله ادع الله عليه قال اذهبوا فقد كفيتموه قال وكان يخرج كل يوم يحتطب قال فخرج يومئذ ومعه رغيفان فأكل أحدهما وتصدق بالآخر قال فاحتطب ثم جاء بحطبه سالما لم يصبه شيء فجاؤا الى صالح عليه السلام وقالوا لم يصبه شيء قال فدعاه صالح وقال أي شيء صنعت

تجار به بالجوع والعطش وقد عبر العلماء الكوفة عن الدم بالنفس فقالوا اذا مات في الماء من الهوام ما ليس له نفس سائلة لم ينجس يعنون الخنافس والصراصر والعناكب ففي الجوع نقصان الدم ونقصانه ضيق مسالك العدو وضعفه وسكون النفس لسقوط مكانها وفي خبر عن عيسى عليه السلام يا معشر الحواريين جوعوا بطونكم وعطشوا أكبادكم وأعروا أجسادكم لعل قلوبكم ترى الله عز وجل يعني بحقيقة الزهد وصفاء القلب فالجوع مفتاح الزهد وباب الآخرة وفيه ذل النفس واستكانتها وضعفها وانكسارها وفي ذلك حياة القلب وصلاحه وأقل ما في الجوع ايثار الصمت وفي الصمت السلامة وهي غاية العقلاء وقال سهل رحمه الله اجتمع الخير كله في هذه الاربع خصال وبها صار الابدال ابدالا اخماص البطون والصمت والسهر والاعتزال عن الناس وقال من لم يصبر على الجوع والضر لم يتحقق بهذا الامر وكان عبد الواحد بن زيد يحلف بالله ما تحول الصديقون صديقين الا بالجوع والسهر فانه ينير القلب ويجلوه وفي استنارته معاينة الغيب وفي جلائه صفاء اليقين فتدخل الاستنارة والجلاء على البياض والرقة فيصير القلب كأنه كوكب دري في مرآة مجلوة ويشهد الغيب بالغيب فيزهد في الفاني العاجل من الباقي وتقل رغبته في عاجل حظوظ هواه لما أبصر من وبال العذاب ويرغب في الطاعات لمشاهدة الآخرة ورفيع الدرجات فيصير الآجل عاجلا ويكون العاجل غائبا ويصير الغائب حاضرا والحاضر آفلا فلا يطلبه ولا يرغب فيه فلا يحب الآفل ولا يبتغيه ويطلب الآجل ويرغب فيه وينكشف له عوار الدار ويظهر له بواطن الاسرار ويزول عنه كامن الاغترار فهنالك صار العبد مؤمنا حقا بوصف حارثة الانصاري اذ يقول عزفت نفسي عن الدنيا وكأني أنظر الى عرش ربي تعالى بارزا وكأني أنظر الى أهل الجنة يتزاورون والى أهل النار يتعادون وكذلك وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم قلب المؤمن في قوله القلوب أربعة قلب أجرد فيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن وانجراد القلب بالزهد في الدنيا وتجرده من الهوى وسراجه الذي يزهر فيه هو نور اليقين به يبصر الغيب وقال بعض علمائنا من سهر أربعين ليلة خالصا كوشف بملكوت السماء وكان يقول اجتمع الخير كله في أربع ذكر منها سهر الليل واعلم أن نوم العلماء عن غلبة المنام بعد طول السهر بالقيام مكاشفة لهم وشهود وتقريب لهم منه وورود ومن صفة الابدال أن يكون أكلهم فاقة ونومهم غلبة وكلامهم ضرورة ومن سهر بالليل لاجل الحبيب لم يخالفه بالنهار فانه أسهره بالليل في خدمته ودخل الحسن ذات يوم الى السوق فسمع لغطهم وكثرة كلامهم فقال أظن ليل هؤلاء ليل سوء ما يقيلون وفي الخبر قيلوا فان الشياطين لا تقيل واستعينوا على قيام الليل بقائلة النهار وقد قيل في قوله عز وجل واستعينوا بالصبر والصلاة قيل بالصوم على قيام الليل وقيل استعينوا بالجوع وصلاة الليل على مجاهدة النفس وقيل استعينوا بالصبر والصلاة على اجتناب النهي وأما الصمت فانه يلقح العقل ويعلم الورع ويجلب التقوى ويجعل الله عز وجل به للعبد بالتأويل الصحيح والعلم الرجيح مخرجا ويوفقه بايثار الصمت للقول السديد والعمل الرشيد وقد قال بعض السلف تعلمت الصمت بحصاة جعلتها في فمي ثلاثين سنة كنت اذا هممت بالكلمة تلجلج بها لساني فيسكت وقال بعضهم جعلت على نفسي بكل كلمة أتكلم بها فيما لا يعنيني صلاة ركعتين فسهل ذلك علي فجعلت على نفسي بكل كلمة صوم يوم فسهل علي فلم أنته حتى جعلت على نفسي بكل كلمة أن أتصدق بدرهم فصعب ذلك فانتهيت وقال عقبة بن عامر يا رسول الله مم النجاة قال أملك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك وقال صلى الله عليه وسلم في الخبر الجامع المختصر من سره أن يسلم فليلزم الصمت وأوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذا بالصلاة والصيام وغير ذلك ثم قال في آخر وصيته ألا أدلك على ما هو أملك لك من ذلك كله هذا وأومأ بيده الى لسانه فقلت يا رسول الله وانا لمؤاخذون بما نتكلم به ألسنتنا فقال ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس على مناخرهم في جهنم الا حصائد ألسنتهم انك ما سكت فانك سالم فاذا تكلمت فانما هو لك أو عليك وقال عبد الله بن

من ألف شهر من حرم خيرها فقد حرم خ قال صلى الله عليه وسلم من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في ان يدع طعامه وشرابه اتفق قال صلى الله عليه وسلم من أفطر يوما من رمضان من غير رخصة ولا مرض لم يقض عنه صوم الدهر وان صامه وروى الدارمي قال صلى الله عليه وسلم كم من صائم ليس له من صيامه الا الظمأ وكم من قائم ليس له من قيامه الا السهر ه قال صلى الله عليه وسلم من أفطر صائما أو جهز غازيا فله مثل أجره خ م قال صلى الله عليه وسلم تسحروا فان في السحور بركة خ م قال صلى الله عليه وسلم لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر ت قال صلى الله عليه وسلم اذا أفطر أحدكم فليفطر على تمر فانه بركة فان لم يجد فليفطر على ماء فانه طهور وأيها الناس اقتحموا حلبة السباق الى الفوز الاكبر واغتنموا نفحة الرفاق في الشهر الازهر وتأهبوا والادخار الزاد في العمر الاقصر وتأهبوا للمعاد الى يوم الحشر وقد مر تكرمكم الله من شهر رمضان الثلث ... السابع ولزمكم من الله الحجة البالغة الا وانه شهر ... بمراحله ... العام

فى الاخوة والنبوة قال فصدقه وانصرف معه الى منزله فلما وضع الطعام بين يديه وأهوى ليأكل عن جوع شديد قد أضرّ به أوحى الله عز وجل الى ذلك النبى الذى دعاه الى منزله قل له آثرت شهوتك وبطنك على أمرى ألم أعهد اليك أن لا تنزل ولا تستظل ولا تأكل حتى ترجع الى قريتك التى خرجت منها ولولا انك اجتهدت برأيك وقلت بما علمك لعجلت لك العقاب وهو أقل عندى عذرا منك لانى عهدت اليه فآثر هواه وشهوته وترك عهدى فأخبره النبى صلى الله عليه وسلم بما أمر فوثب منذعورا يجر ازاره وجعل يرحل اتانه ويعجل ولا يعقل ماهو فيه فركبها طاردا الهاعلى وجهه بجوعه وعطشه ودماؤه على ثيابه وجسده لا ينثنى فلما هبط عن عقبة تغشاه غشية عارضه سبع فافترسه وانتصب السبع مقعيا على قارعة الطريق يزأر يحرس أتانه ورحله كلما أقبل انسان زأر عليه الاسد حتى يبارده فسمع بخبره ذلك النبى فأقبل نحوه فلما نظر اليه الاسد انصرف عنه وخلى بينه وبينه قال فكفنه وواراه وانصرف برحله وأتانه الى أهله فقال يارب عبدك هذا الذى بلغ رسالتك وأمضى أمرك وقد كان أجهده البلاء فخالف ما أردت فلم يعلم فعاقبته بهذه العقوبة فأوحى الله عز وجل اليه ليست هذه عقوبة ولم أفعل ذلك لهوانه على ولكن هذه مغفرة ورحمة انه خالف أمرى وكان قد اقترب أجله فكرهت له أن يلقانى على المخالفة فألقاه بما يكره فقيضت له كلبا من كلابى فطهره للقائى فكان ذلك له عندى شهادة ودرجة فوق نبوته فقال سبحانك وبحمدك أحكم الحاكمين وأرحم الراحمين فالعالم عند العلماء من علم خير الخيرين فسبق اليه قبل فوته وعلم شر الخيرين فأعرض عنه لئلا يشغله عن الاخير منهما وعلم أيضا خير الشرين ففعله اذا اضطر اليه وابتلى به وعلم شر الشرين فأمعن فى الهرب منه واحتجب بحجابين عنه وفى هذه المعانى دقائق العلوم وغرائب الفهوم وأدلة للسائلين وعبرة وآيات للعالمين فأما شر الشرين ومعرفة الخير من الشر فهو معروف بأدلة العقول وظاهر العلوم

(الفصل السابع والعشرون) كتاب أساس المريدين قال بعض العلماء الخلق محجوبون بثلاث حب الدرهم وطلب الرياسة وطاعة النساء وقال بعض العارفين الذى قطع العباد عن الله عز وجل ثلاثة أشياء قلة الصدق فى الارادة والجهل بالطريق ونطق علماء السوء بالهوى وقال بعض علمائنا اذا كان المطلوب محجوبا والدليل مفقودا والاختلاف موجودا لم ينكشف الحق واذا لم ينكشف الحق تحير المريد واعلم أن المريد لابد له من خصال سبع الصدق فى الارادة وعلامته اعداد العدة ولابد له من التسبب الى الطاعة وعلامة ذلك هجر قرناء السوء ولابد له من المعرفة بحال نفسه وعلامة ذلك استكشاف آفات النفس ولابد له من مجالسة عالم بالله وعلامة ذلك ايثاره على ما سواه ولابد له من توبة نصوح فبذلك يجد حلاوة الطاعة ويثبت على المداومة وعلامة التوبة قطع أسباب الهوى والزهد فيما كانت النفس راغبة فيه ولابد له من طعمة حلال لا يذمها العلم وعلامة ذلك الحلال المطالبة عنه وحلول العلم فيه يكون بسبب مباح وافق فيه حكم الشرع ولابد له من قرين صالح يوازره على ذلك وعلامة القرين الصالح معاونته على البر والتقوى ونهيه اياه عن الاثم والعدوان فهذه الخصال السبع قوت الارادة لا قوام لها الا بها ويستعين على هذه السبع بأربع هن أساس بنيانه وبها قوة أركانه أولها الجوع ثم السهر ثم الصمت ثم الخلوة فهذه الاربع سجن النفس وضيقها وضرب النفس وتقييدها بهن يضعف صفاتها وعليهن تحسن معاملاتها ولكل واحدة من الاربع صنعة حسنة فى القلب فأما الجوع فانه ينقص من دم القلب فيبيض وفى بياضه نوره ويذيب شحم الفؤاد وفى ذوبه رقته ورقته مفتاح كل خير لان فى القسوة مفتاح كل شر واذا انقص دم القلب ضاق مسلك العدو منه لان دم القلب مكانه فاذا رق القلب ضعف سلطان العدو منه لان فى غلظ القلب سلطانه والفلاسفة يقولون ان النفس كاية الدم وحجتهم فى ذلك ان الانسان اذا مات لم يفقد من جسمه الا دمه مع روحه والعلماء منهم قالوا الدم هو مكان النفس وهذا هو الصحيح لانه مواطئ لما فى التوراة سمعت ان فى التوراة مكتوبا ياموسى لا تأكل العروق فانها مأوى كل نفس وهذا مصدق للحديث الذى روى ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ومن قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف قال الله تعالى الا الصوم فانه لى وأنا أجزى به يدع شهوته وطعامه من أجلى للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك والصيام جنة واذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فان سابه أحد أو قاتله فليقل انى امرؤ صائم . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الجنة تزخرف لرمضان من رأس الحول الى حول قابل فاذا كان أول يوم من رمضان هبت ريح تحت العرش من ورق الجنة على الحور العين فيقلن يارب اجعل لنا من عبادك أزواجا تقر بهم أعيننا وتقر أعينهم بنا . قال صلى الله عليه وسلم أتاكم رمضان شهر مبارك فرض الله عليكم صيامه تفتح فيه أبواب السماء وتغلق فيه أبواب الجحيم وتغل فيه مردة الشياطين لله فيه ليلة خير

مجاريه

فان شيأ من الثلاث والاطال وقوفه للحساب وقال الحسن لسان المؤمن وراء قلبه اذا أراد ان يتكلم تفكر فان كان له تكلم وان كان عليه أمسك وقلب المنافق على طرف لسانه أى كل شئ خطر بقلبه تكلم به ولا يتوقف ولا يتثنى وفى الخبر من آفة العالم ان يكون الكلام أحب اليه من الصمت وفى الكلام تنميق وزيادة وفى الصمت سلامة وغنم وفى موعظة النبي صلى الله عليه وسلم طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وأنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوله والاخبار فى الصمت وفى جميع ماذكرناه من المعانى تكثر ولم نقصد جمعها وأما الخلوة فانها تفرغ القلب من الخلق وتجمع الهم باسم الخالق وتقوى العزم على الثبات اذ فى مخالطة الناس وهن العزم وشتات الهم وضعف النية والخلوة تقل الافكار فى عاجل حظوظ النفس لفقد مشاهدتها بالابصار لان العين باب القلب ومنها يدخل آفاته وعندها يوجد شهواته ولذاته وقد قال بعض العلماء من كثرت لحظاته دامت حسراته والخلوة تجلب أفكار الآخرة وتجدد الاهتمام بما شهد به الايقان وتنسى اذكار العباد وتواصل ذكر المعبود والخلوة من أكبر العوافى وذلك انه قد جاء فى الحديث سلوا الله العافية فما أعطى عبد بعد اليقين أفضل من العافية ثم قد روى فى الخبر العزلة عن الناس عافية فدخل ذلك فى معنى ماندب اليه من السؤال وفيما فضل بعد اليقين على جميع الاحوال ولا يكون المريد صادقا حتى يجد فى الخلوة من اللذة والحلاوة والمزيد مالا يجده فى الجماعة ويجد فى السر من النشاط والقوة مالا يجده فى العلانية ويكون انسه فى الوحدة وروحه فى الخلوة وأحسن أعماله فى السر ومثل الخلوة فى الاحوال من المخالطة للناس مثل الخوف فى المقامات من المحبة الخوف يصلح لجميع العابدين والمحبة مزيد لاهلها المخصوصين كذلك الخلوة والانفراد يصلح لجميع المريدين والانس بالناس مزيد لاهله خاصة من الائمة العالمين الا ان الخلوة تحتاج الى عقل آخر والوحدة والانفراد يحتاج الى ايمان ثان وقد روينا عن سفيان الثورى وعن بشر بن الحرث اذا استوحشت من الوحدة واستأنست بالخلق لم آمن عليك الرياء وكان أبو محمد يقول اجتمع الخير كله فى هذه الخصال الاربع وبها صار الابدال ابدالا اخماص البطون والصمت واعتزال الخلق وسهر الليل وحدثت عن عبد العزيز عن سهل رحمه الله قال مخالطة الولى للناس ذل وتفرده عز وقل ما رأيت وليا لله عز وجل الا منفردا وقال بعض العارفين الانس بالوحدة علامة وجود الطريق وان علامة صدق الارادة بعد صحة التوبة وقوة العزم على الاستقامة ايثار هذه الاربع التى ذكرناها على اضدادها ووجود القلب عندها وانشراح الصدر بها وحسن الخلق معها لان ضدها هو أبواب الدنيا ومفاتيح الغفلة وطرقات الهوى من ذلك فان فى الشبع قسوة القلب وظلمته وفى ذلك قوة صفات النفس وانتشار حظوظها وفى قوتها وبسطها ضعف الايمان وخمود أنواره وفى ضعف النفس وخمود طبعها قوة الايمان واتساع شعاع أنوار اليقين وفى ذلك قرب العبد من القريب ومجالسته للحبيب والشبع مفتاح الرغبة فى الدنيا وقال بعض الصحابة أول بدعة حدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الشبع ان القوم لما شبعت بطونهم جمحت بهم شهواتهم وروى عن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه يجوعون من غير اعواز أى مختارين لذلك وقال ابن عمر ما شبعت منذ قتل عثمان رضى الله عنه وقال هذا فى زمن الحجاج وفى حديث أبى جحيفة لما تجشأ عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له أكفف عنا جشاءك فان أطولكم شبعا فى الدنيا أكثركم جوعا فى الآخرة فقال والله ما ملأت طعاما من يومئذ الى يومى هذا وارجو ان يعصمنى الله عز وجل فيما بقى ويستحب على هذا ان يكون جوع العبد فى الدنيا أكثر من شبعه وهى علامة الاولياء فمن كان له أكلتان بين جوعتين المنتهاه ما يحوزه حينئذ أكثر من شبعه ومن كان له بعد جوعة بالغداة شبعة متوسطة فقد اعتدل شبعه وأكله وجوعه ومن أكل فى يوم مرتين أو أكل من غير جوع ثم شبع فشبعه أكثر من جوعه وهذا مكروه وكل من أكل بعد الجوع ورفع يده قبل الشبع فجوعه أكثر من شبعه وهذا أوسط الاحوال وقال هشام عن الحسن

آمالكم ولو كشفت لكم حقيقتها لكم لكان بالاستعداد له جل اشغالكم فالله الله عباد الله ان تمقتوا اوقات شهوركم بالتسويف أو تركنوا من أعمالكم الى البخس والتطفيف فتردوا المعاد بغير زاد وتندموا على قلة الزرع عند معاينة الحصاد وتؤلوا الى شر مآل من الاعتذار يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار أنهضنا الله واياكم باداء النوافل والفرائض وسلم قلوبنا وقلوبكم من الشك العارض ووفقنا واياكم للعمل بما يرضاه ويختاره وايا كم فيما قدره وقضاه

(فصل) فى صوم التطوع قال النبي صلى الله عليه وسلم من صام رمضان ثم أتبعه ستا من شوال كان كصيام الدهر كله وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث من كل شهر ورمضان الى رمضان صيام الدهر كله صيام يوم عرفة أحتسب على الله ان يكفر السنة التى قبله والسنة التى بعده وصيام يوم عاشوراء أحتسب على الله ان يكفر السنة التى قبله وقال صلى الله عليه وسلم ما من أيام العمل الصالح فيهن أحب الى الله من هذه الايام العشر قالوا يا رسول الله ولا الجهاد فى

سفيان عن أبيه قال قلت يا رسول الله أوصني بشيء في الاسلام لا أسأل عنه أحدا بعدك فقال قل ربي الله ثم استقم قال قلت فما أتقي بعد ذلك وفي لفظ آخر فاخبرني باضر شيء علي فقال هذا وأومأ الى لسانه وفي الخبر لا يتقي العبد ربه تعالى حق تقاته حتى يخزن من لسانه وفي الحديث لا يصلح العبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه وقال ابن مسعود ليس شيء أحق بطول سجن من لسان وقال بعض السلف فتشت الورع فما وجدته في شيء أقل منه في اللسان وقال بعض العلماء ما استقام لسان عبد الا عرفت الصلاح في سائر عمله وما اختلف لسانه الا عرفت الفساد في سائر عمله وقال بعض الحكماء اذا كثر العقل قل الكلام واذا قل العقل كثر الكلام وقال أحمد بن حنبل علماء أهل الكلام زنادقة وقال بعض هذه الطائفة من تكلم فاحسن كثير ولكن الشأن فيمن يحسن ان يسكت وقال ذو النون المصري الخوف ينطق والحياء يسكت وقال بعض العارفين قد جزئ هذا العلم على قسمين نصفه سكوت ونصفه أن تدري أين تضعه وقال الضحاك بن مزاحم أدركتهم وما يتعلمون الا الصمت والورع وهم اليوم يتعلمون الكلام وقال الحسن عن أنس بن مالك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع لا يصبن الا بعجب الصمت وهو أول العبادة والتواضع وذكر الله عز وجل وقلة الشيء وقال حماد بن زيد قلت لايوب العلم اليوم اكثر أو فيما مضى فقال يا بني الكلام اليوم أكثر والعلم فيما مضى كان أكثر وقيل كانوا ينتفعون بصمت العالم مثل ما ينتفعون بكلامه وقد قيل من لم ينتفع بسكوت المتكلم لم ينتفع بكلامه وقيل لبعض العلماء فلان أعلم أم فلان فقال فلان اعلم وفلان أكثر كلاما ففرق بين العلم والكلام وقيل لبعض علماء خراسان عند وفاته دلنا على رجل نجلس اليه بعدك فقال لهم فلان فذكر لهم رجلا صموتا متعبدا لا يعرف بكثير علم فقيل له ان فلانا ليس عنده من العلم ما يجيب عن كل ما نسأله عنه من العلم فقال قد علمت ولكن عنده من الورع ما لا يتكلم بما لا يعلم وكان الاعمش يقول من الكلام كلام جوابه السكوت وقال بعض السلف الصمت زين العالم وستر الجاهل وقال غيره الصمت جوابه وفي الخبر الصمت زين للعالم وشين للجاهل وقال بعضهم ليس شيء أشد على الشيطان من عالم حليم ان تكلم تكلم بعلم وان سكت سكت بحلم يقول الشيطان انظروا اليه سكوته أشد علي من كلامه وقال بعض السلف تعلم الصمت كما تتعلم الكلام فان يكن الكلام يهديك فان الصمت يقيك ولك في الصمت خصلتان تدفع به جهل من هو أجهل منك وتعلم به علم من هو أعلم منك وقال بعض العلماء تعلم لا أدري ولا تتعلم أدري فان قلت لا أدري علموك حتى تدري وان قلت أدري سألوك حتى لا تدري وقد قال العلماء اذا أخطأ العالم قول لا أدري أصيبت مقاتله وقال عيسى عليه السلام الخير كله في ثلاثة في الصمت والكلام والنظر فمن لم يكن صمته تفكرا فهو في سهو ومن لم يكن كلامه ذكرا فهو لغو ومن لم يكن نظره عبرا فهو لهو وقال بعضهم يأتي على الناس زمان يكون أفضل أعمالهم النوم وأفضل علومهم الصمت يعني لفساد الاعمال ولاشتباه العلم ويقول أيضا مع ذلك وأفضل أحوالهم الجوع لانتشار الحرام وغموض الحلال وقال بعض العلماء الصمت نوم العقل والنطق يقظته وكل يقظة تحتاج الى نوم وما صمت عاقل قط الا اجتمع عقله وحضر لبه وفي وصية ابن عباس مجاهد الا تتكلمن فيما لا يعنيك فانه أسلم ولا آمن عليك الخطا ولا تتكلم فيما يعنيك حتى ترى له موضعا فرب متكلم فيما يعنيه قد وضعه في غير موضعه فعنت وقال بعض العلماء يستبين ورع الرجل في منطقه وفي الخبر من كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه مات قلبه ويقال اذا قل الكلام كثر الصواب وعن جماعة من السلف ان تسعة أعشار السلامة في الصمت ويقال كل كلمة من هزل أو مزح أو لغو يوقف العبد عليها خمس مواقف بتوبيخ وتقرير أولها ان يقال له لم قلت كلمة كذا أكانت فيما يعنيك والثانية هل نفعتك اذ قلتها والثالثة هل ضرتك لو لم تقلها والرابع ألا سكت فربحت السلامة من عاقبتها والخامسة هلا جعلت مكانها قول سبحان الله والحمد لله فغنمت ثوابها ويقال ما من كلمة الا وينشر لها ثلاثة دواوين الديوان الاول لم والثاني كيف والثالث لمن

وان

وواسطة النظام وأشرف قواعد الاسلام المشرقة بنور الصيام والقيام أنزل الله فيه كتابه وفتح فيه للتائبين أبوابه وأوجب فيه للعاملين ثوابه فلا دعاء فيه الا مسموع ولا عمل فيه الا مرفوع ولا خير فيه الا مجموع ولا ضير فيه الا مدفوع فالظافر الميمون من اغتنم أوقاته والخاسر المغبون من أهمله ففاته فيا أيها العامل هذا أوان ازديادك واستعدادك ويا أيها الغافل هذا شهر يتقاك وافلاعك شهر فيه ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر ما سأل الله فيها سائل الا اعطاه ولا استجاره مستجير الا أجاره وكفاه ولا أناب اليه منيب الا قبله واجتباه ولا تعرض لعروفه طالب الاسعاد عليه وحباه ولا استقاله مستقيل الا أقاله ولا لجأ اليه لاجئ الا أجاره وأصلح باله فالغنيمة الغنيمة أيها المشمرون والعزيمة العزيمة أيها المقصرون في شهر لياليه أنور من الايام وأيامه مطهرة من دنس الآثام ومرد جنه مغلولة والرحمة فيه من الله تعالى التمسها مبذولة فبل ان تستوعبوا أوقات شهركم فتنفقوه وتطالبوه فلا تلحقوه فاو عاينتم سرعة مروره بجالكم ابايتم خسد عتف ر و ر

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد من ذلك انه قال الغيبة ان قلت فى أخيك لم تركه به فهذا نهاية القول
من الشدة وغاية التشديد فى الغيبة والغيبة اسم لغوى معناه شرعى مشتق من غيب الانسان وفسرها رسول
الله صلى الله عليه وسلم انها ان يقول العبد فى أخيه ما فيه وعظمها بقوله هى أشد من الزنا فمتى قال العبد لاخيه
فى غيبته ما يعلمه يقينا فيه مما لا يقوله بحضره أو مما ينقصه به أو لا يزكيه فيه فقد اغتابه فلو لم يكن فى الصمت الا
السلامة من الغيبة لكان ذلك غنيمة موفورة كيف وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كل
كلام ابن آدم عليه لا له الا ثلاثة أمر بمعروف أو نهى عن منكر أو ذكر الله عز وجل وأما مخالطة الناس
فانها تضعف العزم الذى كان قويا فى أعمال البر وتحل العقد المبرم الذى استوطنه العبد فى الخلوة لقلة
المتعاونين على البر والتقوى وكثرة المتعاونين على الاثم والعدوان وفى مخالطة الناس قوة الطلب والحرص
على عاجل الدنيا لما يعاين من اقبال أهلها عليه وفيه الفتور عن الخدمة بالنظر الى أهل الغفلة والملل
للطاعة بمجالسة أهل البطالة ونقصان حلاوة المعاملة وذهاب نور العلم وسرعة خروج الوجد بالفهم لاستماع
كلام أهل الجهالة والنظر الى الموتى من أبناء الدنيا كما روى عن عيسى عليه السلام لا تجالسوا الموتى
فتموت قلوبكم قيل ومن الموتى قال المحبون للدنيا الراغبون فيها وقد كان الحسن يقول فى قوله عز وجل
وما يستوى الاحياء ولا الاموات قال الفقراء والاغنياء كان الفقراء احيوا بذكر الله عز وجل والاغنياء
ماتوا على الدنيا وأعظم ما فى مخالطة الناس ومجالسة أهل البطالة وذوى غفلتهم ضعف اليقين برؤيتهم وأضر
ما ابتلى به العبد وأعمله فى هلاكه وأشده حجبه وابعاده ضعف يقينه بما وعد به بالغيب وتوعد عليه فى
الشهادة وهذا أخوف ما خافه رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمته فيما رويناه عنه انه قال اخوف ما أخاف
على أمتى ضعف اليقين وذلك ان ضعف اليقين هو أصل الرغبة فى الدنيا والحرص على التكاثر منها والتضرع
الى أبنائها والطمع فيهم كما قال ابن مسعود ان الرجل ليخرج من بيته ومعه دينه فيرجع الى بيته وما معه من
دينه شئ يلقى هذا فيقول انك لذيت وذيت ويلقى هذا فيقول أنت كيت وكيت ولعله لا يحلى منهم بشئ
ويرجع الى بيته وقد أسخط الله عز وجل وقد قال بعض التابعين ان العبد ليعقد فى الخلوة على خصال
من الخير فيخرج الى الناس فيحلون ما عقده عقدة عقدة حتى يرجع وقد انحلت العقد كلها وقوة اليقين أصل
كل عمل صالح لان فى قوة يقينه سرعة منقلبه وطول مثواه فى دار اقامته ايثار التقلل من الفانى وتقديمه للباقى
وضعف حرصه وقلة طلبه وفقد طمعه وفراغه من الاشتغال بعاجله واقباله وشغله بما ندب اليه من مستقره
وفى جميع ذلك اخلاصه فى أعماله وحقيقة زهده فى تصرف أحواله وفى قصر أمله وتحسين عمله ألم تسمع الى
وصف من أخبر الله عز وجل عنه بالتكاثر الذى ألهاه حتى زار برزخه ومثواه كيف تهدده حتى يعلم يقينا
وتوعده اذا رأى آخرته عيانا فقال سبحانه ألهاكم التكاثر أى شغلكم الجمع للمكاثرة حتى حللتم القبور
ثم قال كلا لو تعلمون علم اليقين أى لشغلكم العمل الصالح للآخرة عن اللعب واللهو الذى هو مقتضى الشك
اذ هو ضد اليقين فاشتغلتم بالآخرة عن التكاثر من الدنيا كما شغلكم التكاثر باللهو واللعب لعدم علم اليقين
كما قال أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون بعد ان قال بل هم فى شك يلعبون ثم توعدهم على ذلك
مرتين وتهددهم بالسؤال عن النعيم الذى شغلهم وهو التكاثر فى نزول العاجل وقيل هو الجمع والمنع
فاعلم ان الذى قطع العباد عن التوبة وعرج بالتائبين عن الاستقامة ثلاثة أشياء الكسب والانفاق والجمع
وهذه الاسباب متعلقة بالخلق وموجودة بوجودهم ومفقودة بالانفراد عنهم فمن زهد فى هذه الثلاثة فقد
زهد فى الخلق ومن رغب فى الخلق فقد رغب فى هذه الثلاث وقال الثورى من خالط الناس داراهم ومن
داراهم راياهم ومن راياهم وقع فيما وقعوا فهلك كما هلكوا وقد قال بعض هذه الطائفة من الصالحين قلت
لبعض الابدال المنقطعين عن الخلق كيف الطريق الى التحقيق وقال مرة قلت له دلنى على عمل أجد
فيه قلبى مع الله تعالى فى كل وقت مع الدوام فقال لا تنظر الى الخلق فان النظر اليهم ظلمة قلت لا بد لى من ذلك

فرجع باكيا ولم يشتر شيأ فبقى مدة تطالبه نفسه بها فخرج الى السوق ثانيا ليشتريها واذا بالهراس ينادى بقى القليل فبكى ورجع وعاهد الله ان لا يذوقها ويقول الله تعالى فى بعض كتبه المنزلة ياعبدى تأهب للقائى فعن قريب ألقاك واقبل على خدمتى فانى أنا مولاك باى عين تراني من بارزنى وعصانى وباى وجه يلقانى من نسى عظمة شانى لقد خاب من تجنب عنى اذا قربت الصادقين شقى من طردته عن جنابى اذا كشفت حجابى وتجليت للمتقين عبدى قف على بابى فانا الكريم والزم جنابى فصراطى مستقيم وبادر بالاعمال مادمت بهذه الدار مقيم شعر

يامن تحدث نفسه
بدخول جنات النعيم
ان كنت متقيا
فانت على صراط مستقيم
لا ترجون سلامة
من غير ما قلب سليم
فاسلك طريق المتقين
وظن خيرا بالكريم
واذكر وقوفك نادما
والناس فى أمر عظيم
اما الى دار الشقا
وقوا الى العز المقيم
فاغنم حياتك واجتهد
وانب الى الرب الرحيم
اللهم أعنا على ذكرك

والله لقد أدركت أقواما كانوا الا يشبعون يا كل أحدهم حتى اذا ارد نفسه أمسك ذا ثيابا لا هلا مقبلا على نية يعيش عمره كله ما طوى له ثوب قط ولا أمر أهله بصنعة طعام قط ولا جعل بينه وبين الارض شيأ قط وقال جعفر بن حيان عن الحسن المؤمن لا يا كل في كل بطنه ولا تزال وصيته تحت جنبه ورويناعن الثوري خصلتان تقسيان القلب طول الشبع وكثرة الكلام وروينا عن مكحول خصال ثلاث يحبها الله عز وجل وثلاث يبغضها الله عز وجل فاما اللاتي يحبها فقلة الا كل وقلة النوم وقلة الكلام وأما اللاتي يبغض فكثرة الا كل وكثرة الكلام وكثرة النوم فاما النوم فان في مداومته طول الغفلة وقلة العقل ونقصان الفطنة وسهوة القلب وفي هذه الاشياء الفوت وفي الفوت الحسرة بعد الموت ورويناعن النبي صلى الله عليه وسلم قال قالت أم سليمان بن داود لابنها يا بني لا تكثر النوم بالليل فان كثرة النوم تترك العبد فقيرا يوم القيامة وقيل كان شبان يتعبدون في بني اسرائيل فكانوا اذا حضر عشاؤهم قام فيهم عالمهم فقال يا معشر المريدين لا تا كلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا فتخسروا كثيرا وكان بعض السلف يقول أدنى أحوال المؤمن الا كل والنوم وأفضل أحوال المنافق الا كل والنوم وقال بعض الناس لفيلسوف من الحكماء صف لي شيأ استعمله حتى أكون أنام النهار فقال يا هذا ما أضعفك قلت ان نصف عمرك نوم والنوم من الموت تريد أن تجعل ثلاثة ارباعه نوما وربعه حياة قال وكيف قال أنت اذا عشت اربعين سنة فانما هي عشرون سنة افتريد أن تجعلها عشر سنين واما كثرة الكلام فان فيه قلة الورع وعدم التقوى وطول الحساب وكثرة المطالبين وتعلق المظلومين وكثرة الاشهاد من الاملاك المكاتبين ودوام الاعراض من الملك الكريم لان الكلام مفتاح كبائر اللسان فيه الكذب والغيبة والنميمة والبهتان وفيه شهادة الزور وفيه قذف المحصن والافتراء على الله تعالى والايمان وفيه القول فيما لا يعني والخوض فيما لا ينفع وقد جاء في الخبر أكثر خطايا ابن آدم في لسانه وأكثر الناس ذنوبا يوم القيامة أكثرهم خوضا فيما لا يعنيه وفي اللسان التزين والتصنع للخلق والتحريف والاحالة لمعاني الصدق وفيه المداهنة والمراراة والتملق لاهل الاهواء وفي اجتماع هذا على العبد شتات قلبه وفي شتاته تفريق همه وفي تفريق همه سقوطه من مقام المقربين وفي وصية ابن عباس لمجاهد لا تمار بن حليما ولا سفيها فان الحليم يقلاك وان السفيه يؤذيك وفي الخبر ان العبد ليتكلم بالكلمة ما يلقي لها بالا يهوي بها أبعد ما بين السماء والارض وفي لفظ آخر ليتكلم بها فيهوي في جهنم سبعين خريفا وقال لقمان لابنه لان تعيش اخرس سبيل لعابك على صدرك خير لك من ان تنطق في نادي القوم بما لا يعنيك وفي خبر من افتتح بكلمة سوء ثم خاض الناس في مثلها كان عليه مثل أوزارهم وفي الخبر لا يأتي بخبر السوء الا رجل السوء وحدثونا عن ابراهيم بن ادهم انه كان اذا صحبه رجل فجاء بخبر سوء فارقه ورويناه في الحديث من حدث بما سمعت أذناه ورأت عيناه كتبه الله تعالى من الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا ورويناعن علي رضي الله عنه مذيع الفاحشة في الناس كفاعلها وفي الخبر ان بعض فقراء أهل الصفة استشهد في سبيل الله عز وجل فقالت أمه هنيأ لك في الجنة جاهدت في سبيل الله وهاجرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتلت شهيدا طوبى لك الجنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدريك انه في الجنة فلعله كان يتكلم فيما لا ينفعه أو يبخل بما لا يضره وفي لفظ آخر لعله كان يتكلم فيما لا يعنيه ويبخل بما لا يغنيه وفي الخبر ان بعض الصحابة قال لرجل انه لنؤم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اغتبتم أخاكم سلوه ان يستغفر لكم وفي خبر آخر انهم قالوا ما أعجزه فلانا فقال أكلتموه وفي حديث عائشة رضي الله عنها انها قالت لامرأة ما أطول ذيلها وفي لفظ آخر قالت انها القصيرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اغتبتيها وفي خبر آخر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها لقد تكلمت بكلمة لو مزج بها ماء البحر لامتزج فهذا من وصف المبالغة في الشدة وفي الخبر الجامع لهذه المعاني في وصف الغيبة ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال في أخيه ما فيه فقد اغتابه وفي حديث ابان عن أنس

سبيل الله قال ولا الجهاد في سبيل الله الا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء وروى احمد وابن ماجه عن زيد بن أرقم قال قال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله ما هذه الاضاحي قال سنة أبيكم ابراهيم صلوات الله عليه وسلامه قالوا فما لنا فيها يا رسول الله قال بكل شعرة حسنة قالوا فالصوف يا رسول الله قال بكل شعرة من الصوف حسنة وروى أحمد وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصوم يوم الاثنين والخميس فقال ان يوم الاثنين والخميس يغفر الله فيهما لكل مسلم الا المهاجرين يقول دعهما حتى يصطلحا وروى أحمد والبيهقي انه قال صلى الله عليه وسلم من صام يوما ابتغاء وجه الله تعالى بعده الله من جهنم كبعد غراب طار وهو فرخ حتى مات هرما وروى ابن ماجه انه صلى الله عليه وسلم قال لكل شيء زكاة وزكاة الجسد الصوم وفي الروض الفائق قيل مكث بشر الحافي رحمه الله يتشهى الهريسة خمسين سنة ففتح عليه في بعض الايام بدرهم فمضى به الى السوق ليشتري بها فسمع الهراس ينادي ماذا انحسيء للصوام

يومئذ الحق قبل العلم والعمل كما قال تعالى ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم ثم قال فلنقصن عليهم بعلم ثم قال تعالى وبدا لهم سيآت ما كسبوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن قيل كانوا يقدمون الذنب ويؤخرون التوبة ويسوفون بالمغفرة وكانت هذه الآية محزنة للخائفين ومخافة للعارفين وقد أخبر الله سبحانه وتعالى انه أعد النار للكافرين ثم أمر المؤمنين باتقائها ثم وصف الكافرين فيها وخوف عباده بها فقال تعالى واتقوا النار التي أعدت للكافرين وقال سبحانه لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباده يا عباد فاتقون ويقال ان العبد يستحق النار بأول معصية عصى مولاه بها بعد المعرفة ثم هو بعد ذلك في المشيئة وان في كل عبد خصلة كريمة يخاف عليه منها وكان عبد الواحد بن زيد يقول ما من خوف خائف قط ظن انه لا يدخل النار وما صدق خوف من ظن انه يدخل النار فظن انه يخرج منها أي ان حقيقة الخوف خشية دخول النار ثم الخلود فيها وقد روينا مثل ذلك عن الحسن وقد ذكر له الرجل الذي يخرج من النار بعد ألف عام فبكى ثم قال يا ليتني مثل ذلك الرجل وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال اني في الجنة فهو في النار ومن قال اني عالم فهو جاهل وروي عنه صلى الله عليه وسلم من أراد ان يعلم كيف منزلته من الله تعالى فلينظر كيف منزلة الله في قلبه فان الله ينزل العبد منه بحسب ما أنزله من نفسه والمقام الثاني من المراقبة ثم يعلم العبد يقينا ان لكل عمل صالح نعيما في الجنة وروحا في البرزخ ولكل عمل حسن ومعرفة خالصة مقاما في الجنة وقد قسم جزءه هنالك لعطائه معاملة ههنا وان لكل عمل سيء وجهل قبيح عذابا في الآخرة وكربا في البرزخ ومقاما من النار قد قسم جزءه هنالك لعمل ههنا ثم قد أخفى الله ذلك الجزء من الخير والشر وأظهر أعمالهما للعاملين وأبان لهما طريقين يجريان الى دارين حكمة منه ثم قدم المعاملات من الجنسين وأخر المثوبات من النوعين احكاما منه للأفعال واستدعاء للعبد بالاعمال ابتلاء منه لتجزى كل نفس بما تسعى منة منه ورحمة وقدرة منه وحجة لا يسئل عما يفعل لانه ملك قهار عزيز جبار وهم يسئلون لانهم عبيد مقهورون وذليل مجبورون ولا تضرب لهم الامثال لانه قد جاوز الاحتجاج والاعتدال ولا يسوى بالعبيد لانه قد فات التقدير والتحديد فله الحجة البالغة والقدرة النافذة في كل شيء ليس كمثله شيء في جميع ذلك كله وقد أحكم الله تعالى ما ذكرناه في توحيد نفسه بالمشيئة والافعال ونهى عن الشرك به وضرب الامثال وتعجب ممن يسوي بينه وبين خلقه في الاحكام وجعل ذلك جحودا للنعمة وشركا في ملكه وأخبر به عن المشركين واضلالهم اتباعهم بعد ضلالهم المبين واضلالهم بتسويتهم بينه وبين عباده في الاحكام في قوله تعالى قالوا وهم فيها يختصمون تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين وما أضلنا الا المجرمون قيل أنزلت في القدرية لانهم أضافوا الحول والقوة في الشر الى الخلق فسووا بينهم وبين الخالق وقد قال الله تعالى والله خلقكم وما تعملون فأضاف الاعمال الى انه خلقها كخلقه اياهم فهم المجرمون الذين أنزلت فيهم هذه الآية التي ذكر فيها القدرية فوصفوا بانكارهم في قوله تعالى ان المجرمين في ضلال وسعر يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر انا كل شيء خلقناه بقدر هم المجرمون الذين أضلوا أتباعهم وهم الغاوون الذين كبكبوا في النار مع أشياعهم وقد أحكم الله تعالى تفضيل ما ذكرناه آنفا في خمس آيات محكمات تنتظم جل معاني ما ذكرناه نذكرها شرح ذلك وبسطه خشية الاطالة لانا لم نقصد الاحتجاج في الاستدلال من ذلك قوله تعالى والله فضل بعضكم على بعض في الرزق يعني فضل الموالي على العبيد فما الذين فضلوا يعني الموالي برادي رزقهم على ما ملكت ايمانهم فهم فيه سواء أفبنعمة الله يجحدون والآية الثانية قوله تعالى ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم مما ملكت ايمانكم من شركاء فيما رزقناكم فانتم فيه سواء أي فكذلك انا لا شريك لي من عبيدي فلا تجعلوا لي ما لم أجعل أحد الاخلاق ولا عبيدي عليكم اذ لم اسو بينكم وبين عبيدكم فلا تشركوا عبيدي في حكمي والثالثة قوله تعالى ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء يعني الانفاق ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه فعلهما على وصفين أحدهما بخيل لم يقدره على الانفاق ثم ذم

فلان كان يرهق وفلان وفلانة قال يقول الله عز وجل قد غفرت لهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فما من يوم أكثر عتيقا من النار من يوم عرفة وروى ابن ماجه والبيهقي عن عباس بن مرداس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا لامته عشية عرفة بالمغفرة فاجيب اني قد غفرت لهم ما خلا الظالم فاني آخذ للمظلوم منه قال أي رب ان شئت أعطيت المظلوم من الجنة وغفرت للظالم فلم يجب عشيته فلما أصبح بالمزدلفة اعاد الدعاء فاجيب الى ما سأل قال فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم او قال تبسم فقال له أبو بكر وعمر بابي أنت وأمي ان هذه لساعة ما كنت تضحك فيها فالذي أضحكك أضحك الله سنك قال ان عدو الله ابليس لما لما علم ان الله قد استجاب دعائي وغفر لامتي أخذ التراب فجعل يحثوه على رأسه ويدعو بالويل والثبور فاضحكني ما رأيت من جزعه قال الغزالي فاعلم بعبادة يعلم الذين نقدها الكمال ويساوي تاركها اليهود والنصارى في الضلال وعن سعيد بن جبير وابراهيم النخعي ومجاهد وطاوس لو علمت رجلا غنيا وجب عليه الحج

قال فلا تسمع كلامهم فان كلامهم قسوة قلت لا بد لى من ذلك قال فلا تعاملهم فان معاملتهم وحشة قلت أنا بين أظهرهم لا بد من معاملتهم قال فلا تسكن اليهم فان السكون اليهم هلكة قلت هذه العلة فقال يا هذا أتنظر الى الغافلين وتسمع كلام الجاهلين وتعامل البطالين وتريد ان تجد قلبك مع الله عز وجل على الدوام هذا مالا يكون وقد جاء فى فضل العزلة والانفراد وفى فضل الصمت وفى جميع ماذكرناه من الجوع والسهر ومن مكابدة الليل ما يكثر جمعه وفيما بهنا عليه وأشرنا اليه بلاغ وغنية لمن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن ولمن أريد بالمعاملة والمتاجرة ولا حول ولا قوة الا بالله

(الفصل الثامن والعشرون) فيه كتاب مراقبة المقربين ومقامات الموقنين العبد اذا قوى يقينه علم علم يقين ان أوقاته هذه التى وكل تربيته اليها وجعل سبب غنائه وحياته منها وهى مكررة عليه فى البرزخ ومردودة اليه يوم القيامة ومعادة عليه فى الجنة ان دخلها ليس يجازى هنالك الا بقدر ما أعطى من المعاملة ههنا ولا يعلى ثم الا بقدر ما وفق ههنا لا يسئل الا عن أوقاته ولا يحاسب الا بساعاته ولا يجازى الا عليها ولا ترد عليه أوقات غيره كما لا يعاد هو فى صورة غيره ولا يعطى جزاء سواه كما لم يعامل ههنا معاملة سواه ولكن الله يبدئ ويعيد فمن ذلك قوله تعالى كما بدأكم تعودون وقال تعالى أفنجعل المسلمين كالمجرمين كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته من تدبره أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الارض أم نجعل المتقين كالفجار أى تدبروا آياته هل ترون جزاء هؤلاء لوصف هؤلاء أم هل تجدون وصف هؤلاء له جزاء أولا ومثله قوله تعالى ليس بأمانيكم ولا أمانى اهل الكتاب فنفى أمانيهم بليس وأثبت حكمه بلكن وهى مضمرة فى الكلام المعنى لكن من يعمل سوأ يجز به وفسره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال المؤمن يجزى بسيئته فى الدنيا من المصائب والجوع والعرى والمنافق تبقى ذنوبه عليه حتى يوفى يوم القيامة كانه سمار يجازى بها فى الآخرة وكان الحسن يقول عباد الله اتقوا هذه الامانى فانها أودية النوكى يحلون فيها والله ما أتى عبد الله بامنيته خيرا من دنياه ولا آخرته وقال بعض العلماء كلما قل العقل كثرت الامانى وكتب بعض السلف الى بعض اخوانه من أبناء الدنيا يعظه أخبرنى عن هذا الذى تكدح فيه وتحرص عليه من أمر الدنيا هل بلغت فيه ما تريد وأدركت ما تمنى فقال لا والله فقال أرأيتك هذا الذى أنت حريص عليه لم تنل منه ما تريد فكيف تنال من الآخرة وقد أعرضت عنها وصرفت عنها فانما أراك تضرب الا فى حديد بارد وقال بعض العلماء من ظن انه يدخل الجنة بغير عمل فهو متمن ومن قال أدخلها بعمل فهو متعن وقال بعضهم الامانى تنقص العقل وفى الخبر ليس الايمان بالتحلى ولا بالتمنى ولكن ما وقر فى القلب وصدقه العمل ومن هذا قول الله عز وجل هل جزاء الاحسان الا الاحسان وقال فى ضده من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها وقال فى معناه أم حسبتم ان تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم وكذلك قوله تعالى أم حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم وقال فى مثله أم حسب الذين اجترحوا السيآت ان نجعلهم كالذين امنوا وعملوا الصالحات ثم قال ساء ما يحكمون فابطل حسبانهم وادحض حكمهم ثم أحكم ما عنده بقوله سواء محياهم ومماتهم أى هم كما كانوا فى المحيا محسنين يعملون الصالحات كانت لهم الحسنى فى الممات وكما كانوا فى المحيا مفسدين يعملون السيآت كانت لهم السوأى والمكر وهات وقيل كانت هذه الآية مبكاة للعابدين لانها محكمة غير متشابهة وكذلك جميع ماذكرناه من نظائرها هو من المحكم الذى هو أم الكتاب غير منسوخ ولا متشابه وهذه الآى من عزائم القرآن وهو من أحسن ما أنزل علينا من ربنا الذى أمر الله سبحانه وتعالى باتباعه ووصف أهل الهدى وأولى الالباب باستماعه فى قوله تعالى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه قيل عزائمه ووعيده وقد قيل فى قوله تعالى وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون قيل الرجاء الخائب بالاغترار والظن الكاذب وقيل عملوا أعمالا ظنوا انها حسنات فوجدوها عند المحاسبة سيآت والصحيح ما صح بعد الحساب والحق ما ثقل عند الميزان كما قال تعالى والوزن

يومئذ

وشكرك وسموم شهوراك واذامة طاعتك واجتناب مناهيك يا أرحم الراحمين

(فصل فى الحج والعمرة) قال الله تعالى ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غنى عن العالمين خ م قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه خ م قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة ت عن على رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ملك زادا وراحلة يبلغه الى بيت الله ولم يحج فلا عليه ان يموت يهوديا أو نصرانيا وروى الدارمى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لم يمنعه من الحج حاجة ظاهرة أو سلطان جائر او مرض حابس فمات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا روى فى شرح السنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم عرفة ان الله ينزل الى السماء الدنيا فيباهى بهم الملائكة فيقول انظروا الى عبادى أتونى شعثا غبرا ضاحين من كل فج عميق اشهدكم انى قد غفرت لهم فيقول الملائكة يارب

هاتين الركعتين فلما سجدت جعلت أطوف حوله فرأيت شرافة من ركنه قد وقعت فشانه ذلك فاغتممت وقلت
لو كانت هذه الشرافة في أعلاه في هذا الموضع لتم حسن هذا القصر فان ثلمها قد شانه فقال لي غلام هنا لقد
كانت هذه الشرافة في مكانها من القصر الا انك التفت في صلاتك فسقطت وحدثونا عن بعض الزهاد انه
كوشف مقامه من الجنة فرأى الحور العين وقلن نحن أزواجك فلما خرجت تعلقت بي الحور وقلن نشدك
الله الا ما حسنت أعمالك فانك كلما حسنتها ازددنا لك حسنا وازددت بنا نعيما وحدثونا عن رابعة العدوية
رحمها الله تعالى قالت سجدت ذات ليلة تسبيحات من السحر ثم نمت فرأيت شجرة خضرة نضرة لا توصف عظما
وحسنا واذا عليها ثلاثة أنواع من الثمر لا أعرفه من ثمار الدنيا كثدي الابكار ثمرة بيضاء وثمرة حمراء وثمرة
صفراء فهن يلمعن كالاقمار والشموس في خلال خضرة الشجر قالت فاستحسنتها فقلت لمن هذه فقال لي
قائل هذه لك بتسبيحاتك آنفا قالت فجعلت أطوف حولها فاذا تحتها ثمر منتشر على الارض في لون الذهب
فقلت لو كانت هذه الثمرة مع هذه الثمار على هذه الشجرة لكان أحسن فقال لي الشخص قد كانت هنالك
الا انك حين سجدت تفكرت هل اختمر العجين أم لا فانتثرت هذه الثمرة فهذه عبرة لاولي الابصار ومواعظ
لاهل التقوى والاذكار * ذكر المقام الثالث من المراقبة روي ان كعب الاحبار قال لعمر بن الخطاب
رضي الله عنه لو لقيت الله تعالى بعمل سبعين نبيا لخشيت انك لا تنجو من هول ذلك اليوم وقال بعض
السلف لو ان العبد كان يجر على وجهه من أول الدنيا الى قيام الساعة في طاعة الله وعبادته لاحتقره يوم
القيامة لما يرى من الزلازل والاهوال وفي الحديث معالجة ملك الموت أشد من ألف ضربة بالسيف وان
ألم شعرة من الموت لو وضع على جميع الخلائق لماتوا وان بين الموت وبين دخول الجنة مائة ألف
هول كل هول منها يزيد على ألم الموت مائة ألف ضعف لا ينجو العبد من كل هول منها الا برحمة فيحتاج
العبد الى مائة ألف رحمة تنجيه من تلك الاهوال يكون ذلك العدد من الرحمة مقسوما على مائة ألف حسنة
أعطاها من حسناته في الدنيا التي أحسن بها اليه يكون مكانا لظهور الرحمة وطريقا للعطاء غدا لحكمة من
الحكيم وقسمة مدبر من الرحيم لان الصالحات طرق الجزاء والحسنات كلها من الرحمة الواحدة التي سبقت
لهم بالنجاة ثم سقطت في طرقات الاعمال أماكن الثواب فيعطي ذلك ههنا اليوم وهو العطاء الاول بحسن
توفيقه ولطف عنايته ويعطي الجزاء هنالك غدا بفضل رحمته وتمام نعمته ذلك تقدير العزيز العليم كما قال
تعالى هل جزاء الاحسان الا الاحسان قيل في الخبر ما جزاء من أنعمنا عليه بالتوحيد الا الجنة وقال بعض
العلماء وليس لقول لا اله الا الله جزاء الا النظر لوجه الله تعالى والجنة جزاء الاعمال ألم تراه لو حرم التوحيد
اليوم لحرم الجنة ولو منع الاسلام اليوم لم يغفر الله له أبدا كما قال عز وجل انه من يشرك بالله فقد حرم الله
عليه الجنة وقال ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم فهذا مما لا حيلة فيه
ولا سبيل اليه وقد قال هو أهل التقوى واهل المغفرة قيل هو أهل ان يعطى التقوى ومن اعطاه التقوى فهو
أهل ان يعطيه المغفرة كقوله تعالى وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها وقال واتقوا الله لعلكم
ترحمون وقال ان رحمة الله قريب من المحسنين وقال سبحانه تماما على الذي أحسن وقال تعالى سنزيد
المحسنين الى قوله ما على المحسنين من سبيل وقال تعالى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا فمن كانت أعماله
الحسنات فهو من المحسنين ومن كانت أعماله سيئة فهو من المسيئين فاشتقاق الحسنى من الحسن وجزاؤها
الحسنى وهي الجنة واشتقاق السيئة من السوء وجزاؤها السوأى وهي النار وقد سبق خلقهما قبل خلق
الخلائق وفرغ من نصيب العباد من الجنة والنار وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الاحسان فقال ان
تعبد الله كانك تراه فهذا أول المراقبة لانها عين المشاهدة ترى الرقيب ثم تراقبه وقد خص الله تعالى
بالطيبات من الاعمال الطيبين من العمال وابتلى بالخبيثات من الاعمال الخبيثين من العمال وفرغ من ذلك
بعلمه وقدره وحكمه واخفاه بلطفه وقال تعالى الخبيثات للخبيثين قيل الخبيثات من الافعال والاقوال للخبيثين

ويقرب البعيد من مزارها
وأجتليها بعد طول حسرة
في حال البهاء من استارها
وبعدها اسعى الى خير الورى
مستنقذ الامة من أوزارها
المجتبي الهادي الرسول
المرتضى
محمد المختار من مزارها
صلى عليه الله ما هبت صبا
وضوعت شذاها في أقطارها
اللهم ارزقنا حج بيتك الحرام
قبل نزول القدر اللازم
وارزقنا زيارة قبر نبيك
الهادي الى الصراط المستقيم
وصل على آله وصحبه بلا
انفصام ولا انصرام برحمتك
وكرمك يا أرحم الراحمين
(فصل) في الجهاد قال الله
سبحانه وتعالى يا أيها الذين
آمنوا هل أدلكم على تجارة
تنجيكم من عذاب أليم
تؤمنون بالله ورسوله
وتجاهدون في سبيل الله
بأموالكم وأنفسكم ذلكم
خير لكم ان كنتم تعلمون
يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم
جنات تجري من تحتها
الانهار ومساكن طيبة
في جنات عدن ذلك الفوز
العظيم وأخرى تحبونها
نصر من الله وفتح قريب
وبشر المؤمنين وقال
رسول الله صلى الله عليه
وسلم من مات ولم يغز ولم
يحدث به نفسه مات على
شعبة من النفاق وقال
رسول الله صلى الله عليه
وسلم من لم يغز ولم يجهز

بالبخل والعجز وهو الذى أعجزه ومنعه وجعل الآخر جوادا اذ اقدره وأعطاه الانفاق ثم مدحه بالجود وقال
فى الآية الرابعة وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شئ هو الحكمة والعلم ثم قال هل يستوى
هو ومن يأمر بالعدل فجعل له عبدين أحدهما سفيه جاهل ابكم عن الحكمة ولم يقدره على علم ولم يعطه
استقامة ثم ذمه بوصفه ومقته له وجعل الآخر آمرا بالعدل عن أمره مستقيما على صراطه المستقيم الذى
هو عليه وهو اقامه كما قال هذا صراط على مستقيم فهل يسالك أحد طريقة الابه وهل يجوز عبد على سبيله
الا بحوله ثم مدحه باعطائه اياه ووصفه بوصفه ثم علم سبحانه ان العقل فى هذا التشبيه وتمثيلا لخالقه وتجويزا
وتظلما من خالقه على قياس العقول ان من فعل بعبدين له مثل هذا ثم مدح أحدهما وهو أعطاه وأقدره
وذم الآخر وهو الذى منعه وأعجزه انه قد ظلمه فسمى ذلك عز وجل بنهيه وأحكم النهى عن التمثيل به فى
الآية الخامسة الفاصلة القاضية التى بها أقسم ان نضرب له بها الامثال مثل ما أجرى علينا من الافعال فقال
سبحانه وتعالى فلا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم وأنتم لا تعلمون فوكد ذلك بتحقيق علمه وغاية جهلنا ثم أيد
هذا بقوله سبحانه لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون فسلم الراسخون فى العلم الاحكام كلها للعالم الحاكم فسلموا من
عذابه وآمن المؤمنون بجميع الاقدار انها عدل وحكمة من حاكم عادل حكيم فأمنوا من عقابه لانهم آمنوا
بالمتشابه وأعطاهم بفضله من فضله جزيل ثوابه فهلك الزائغون بالاقاويل تتبعا للشبهات وابتغاء للتأويل
فوقعوا فى الضلال وهلكوا غدا فى المآل وقد روى الضحاك عن ابن عباس تصديق ما ذكرناه قبل قوله
عز وجل لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم قال ابن عباس طبق أسفل من طبق سبع دركات على
قدر أعمالهم كذلك يقتسمون الدركات بقدر ما اجترموا كما اقتسم أهل الجنة الدرجات بالفضائل لكل باب
منهم جزء مقسوم يعنى نصيبا معلوما مفروضا لكل طبقة سكان وقال بعض العلماء تالله ما فى الجنة قصر ولا نهر
ولا نعيم الا عليه اسم صاحبه مكتوب واسم ذلك العمل الذى هو جزاؤه مكتوب وكذلك جهنم ما فيها غل ولا
قيد ولا شعب ولا عذاب الا وعليه وصف ذلك العمل الذى هو جزاؤه واسم صاحبه مكتوب وقال قد أدخلهم
الجنة قبل ان يطيعوه وأدخلهم النار قبل أن يعصوه وقال بعض العارفين أيضا الخلق أهون من ان يعصوه عز
وجل بما لم يرد والله أعز من ان يرضيه الا من أحب لكنه غضب على قوم فى العدم فلما أظهرهم استعملهم
بأعمال أهل الغضب ليحلهم دار الغضب ورضى عن قوم فى القدم فلما أظهرهم استعملهم بأعمال أهل
الرضا ليحلهم دار الرضا وقال بعض أهل المعرفة أظهر الخلق فى العدم وأوجدهم ٧ اياهم اقتدارا ثم أظهر
لهم أعمالهم وخيرهم الاعمال منه اختيارا فاختار كل عبد منهم عملا بعينه ثم طوى الاعمال فيهم وطواهم فى
الغيب فلما أظهرهم الآن فى الوجود جعلهم بالعقول وأجرى كل عبد منهم اختياره لنفسه فبذلك وقعت
الحجة عليهم اذا كشف لهم غدا ما حجبه عنهم اليوم وحدثت عن بعض هذه الطائفة قال كان قد بقى فى
نفسى شئ من القدر وكنت استكشفه من العلماء فلا ينكشف حتى قيض الله تعالى لى بعض الابدال
فاستكشفته اياه فقال ويحك ما تصنع بالاحتجاج نحن يكشف لنا عن سر الملكوت فننظر الى الطاعات تنزل
صورا من السماء حتى تقع على جوارح قوم فتتحرك الجوارح بها وننظر الى المعاصى صورا مصورة تنزل
من السماء فتقع على جوارح قوم فتتحرك بها قال فكشف عن قلبى القدر وأوقع لى العلم بمشاهدة القدرة
وكنت انا مرة خاطبت بعض اخواننا فى شئ من الاستطاعة مع الفعل لا أنه قبله ولا بعده فتكلمت فى ذلك
بمذهب المثبتة من أهل الكلام قبل ان يكشف لى بمشاهدة علم اليقين فرأيت فى النوم كان قائلا يقول القدر
من القدرة والقدرة صفة القادر فيقع القدر على الحركة ولا يتبين فتظهر الافعال من الجوارح أو قال فتتحرك
الجوارح بالافعال ولا تتبين فكيف يتكلم فى شئ لا يتبين فجعلت على نفسى انى لا أناظر أحدا منهم بعد ذلك
فى شئ من هذا الباب وقد حدثونا عن بعض العابدين قال صليت من السحر ركعتين ثم غفوت بعدهما
فرأيت قصرا عاليا اذا شرف بيض كأنها الكواكب فاستحسنته فقلت لمن هذا القصر فقيل لى هذا ثواب

هاتبي

ثم مات قبل ان يحج ما صليت
عليه اخوانى ما كل بيت
مكة ولا كل جبل عرفات ولا
كل زاد يوصل فيا من فاته
الحج ولم يجد اليه سبيلا
ومضى عمره فى اللهو وقد
حمل من الذنوب حملا ثقيلا
وجرى فى ميدان الغفلة
منه ذنوبا وطلب النجاة فلم
يجد اليها وصولا بادر بالحج
الى البيت الحرام واجعل
لك نور الاسلام دليلا فقد
قال من لا تدركه الابصار
ولا تحده العقول والافكار
له عديلا ولله على الناس
حج البيت من استطاع اليه
سبيلا ومن كفر فان الله
غنى عن العالمين وعن الضحاك
اذا قدر ان يؤخر نفسه فهو
مستطيع وقيل له فى ذلك
فقال ان كان لبعضهم
ميراث بمكة أكان يتركه
بل كان ينطلق اليه ولو
حبوا فكذلك يجب عليه
الحج اخوانى سار الاحباب
فى ليل العزم وغناء وجدوا
فى معاملتهم وما غنمنا لو
تفكرتم فيما فاتكم لمدمنا
بانقطاعين عن القوم ان لم
تنهضوا للحوق بالاخوان
فابكوا معى على البعد
والحرمان شعر
واحسرتا ضاع زمانى باطلا
ولم تصل روحى الى أوطارها
وقد تذكرت زمان وصلها
فهاجت الاشجان من
تذكارها
متى أرى الكعبة تجلى جهرة

أي وبما يدفعون أيضا فلما حذفت بما أشكل الكلام فأشبهت الواو واو النسق ومؤخرها السيئة والمعنى يدفعون السيئة التي تقدمت منهم بالحسنة التي يعملونها بعدها فتكون الحسنة المستقبلة رافعة لعقاب السيئة الفارطة منهم ومن أحسن الصبر الصبر على المصيبة ومن أحسن الحسنات التوبة النصوح بعد ما سلف من الذنوب والفضوح فكأنهم قدموا عملين صبروا عن الشهوة ودفعوا بالتوبة ما سلف من السيئة فأعطاهم أجرين لما استعملهم بعملين اذ لا صبر الا به ولا توبة لهم الا منه كما قال تعالى وما صبرك الا بالله وقال توبة من الله وليس من العبد أو اليه فيما من الله والا كان مشركا في اسم أول ومن أحسن الحسنات مراقبة الرقيب عند خطرات القلوب ومن أفضل القربات محاسبة النفس للحسيب واستجابتها بطاعة الحبيب وكذلك حكمته في مزيد أهل النار ودركات بعضهم على بعض في العتو والفساد فقال تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب أي زدناهم عذابا فوق عذاب الذين كفروا ولم يصدوا عن سبيل الله وبمعناه قوله تعالى ان الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا فلم يغفر لهم بكفرهم ولم ينوّر لهم طريق الهداية بظلمهم وكذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الظلم ظلمات يوم القيامة ومثل ذلك قوله تعالى ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق فصار عليهم عذابان عذاب جهنم بما لم يتوبوا وعذاب الحريق بما فتنوا المؤمنين ومثله قوله تعالى فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون أي يريد أن يعذبهم بها في الدنيا ويريد أيضا ان تزهق أنفسهم على الكفر ليعذبهم بها في الآخرة وهذا نص صريح ان الله تعالى يريد الكفر من الكافر لان تزهق انتصب بالعطف على يريد الاول والواو فيه للجمع وقد قيل ان في هذه الآية تقديما وتأخيرا فيكون المعنى ولا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في الدنيا انما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة فأراد أن يجمع العذابين عليهم في جهنم أحدهما الاموال والاولاد والثاني لارادته تعالى أن تخرج نفوسهم على الكفر فمن لا مال له ولا ولد له منهم كان عليه عذاب واحد في جهنم لاجل قوله تعالى بها أي بسببها وهذا موافق للخبر الذي جاء ان فقراء الكفار يدخلون النار بعد أغنيائهم بخمسمائة عام لاجل الفقر الذي كانوا فيه في الدنيا كما ان الفقراء من المؤمنين يدخلون الجنة قبل الاغنياء بخمسمائة عام لاجل غنى أولئك وفي الخبر أيضا وتدخل المرضى الى الجنة قبل الاصحاء بأربعين خريفا ويدخل المقتول في سبيل الله مقبلا قبل المقتول في سبيل الله مدبرا بأربعين خريفا وتدخل المماليك قبل الموالي بأربعين خريفا ويدخل سليمان بن داود الجنة بعد الانبياء بأربعين خريفا لمكان ملكه فالحسرة العظمى والفوت الاكبر الذي لا دَرَك له وهو تأبيد حرمان ما أعطي غيرك من المزيد هنالك لفوت أوقاتك في الدنيا ههنا ثم دركك ذلك بأوقاته العامرة ههنا تأبيد مزيد جزائه ثم وهذا هو التغابن غبن العاملون البطالين وغبن السابقون المخلفين وغبن المسارعون المثبطين ثم خلود العبد البطال المغبون في الدنيا في تأبيد حرمان مزيد الغابن العامل ومن هذا قوله صلى الله عليه وسلم ما من ساعة تأتي على ابن آدم لا يذكر الله تعالى فيها الا كانت عليه حسرة وان دخل الجنة وفي لفظ آخر وهو أشد الا كانت عليه ترة يوم القيامة أي مطالبة ومؤاخذة فالحسرة في الجنة بعد دخولها والفاقر بنعيمها هو ما ذكرناه من حرمان مزيد العاملين فيها ثم دوام الحرمان مؤبدا وهو كون العبد في نقصان درجة غيره ثم هو مخلد في النقصان سرمدا ومع ذلك فلا يؤبه له ولا يشعر به كيلا ينتقص عليه نعيمه والطرفة والنفس اذا خلتا من اليقظة والذكر فهما بمنزلة الساعة الخالية الا أن النبي صلى الله عليه وسلم نص على الساعة ولم يذكر ما دونها لان اسم الساعة أقل الزمان المسمى عند العرب ليواطئ بقوله قول الله سبحانه وتعالى فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ومعلوم انه اذا جاء الاجل لا يستأخرون نفسا ولا طرفة عين وكذلك لا يستقدمون طرفة ولا نفسا فذكرت الساعة دون ما نقص منها لئلا يخرج الكلام عن حد استعمالهم وعرفهم وليستدل بها على ما دونها في القلة من النفس

لمن يشاء ت ق قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للشهيد عند الله ست خصال يغفر له في أول دفعة ويرى مقعده من الجنة ويجار من عذاب القبر ويأمن من الفزع الاكبر ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منها خير من الدنيا وما فيها ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ويشفع في سبعين من أقربائه د عن ابن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه انه لما أصيب اخوانكم يوم أحد جعل الله أرواحهم في جوف طير خضر ترد أنهار الجنة تأكل من ثمارها وتأوي الى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا من يبلغ اخواننا عنا اننا أحياء في الجنة ولا ينكلوا عند الحرب فقال الله تعالى أنا أبلغهم عنكم فأنزل الله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ان لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وفي كتاب المؤمنات الصالحات للصديقي قال أبو قدامة الشامي كنت أميرا على الجيش في بعض الغزوات فدخلت

من الرجال وقال الطيبات للطيبين وقيل الطيبات من الاعمال والمقال للطيبين من الرجال ثم أخبر بحسن خاتمة أوليائه وسوء خاتمة أعدائه فقال تعالى الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون قيل طابت حياتهم فطابت وفاتهم وطابت أعمالهم فطاب الموت لهم وقال في وصف الظالمين الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فاولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا أظلمت حياتهم وأعمالهم فاظلمت قبورهم ومثواهم فمن شهد ماذكرناه يقينا دامت مراقبته وحسنت معاملته فاتصلت أوراده وكثر من الخير ازدياده وحصدت مشاهدته لصفاء يقينه ودوام مزيده فكان ممن ندب الله عز وجل في قوله تعالى لمثل هذا فليعمل العاملون وفي ذلك فليتنافس المتنافسون وكان ممن وصف اذ يقول يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون أي يسارعون الموت ويسابقون الفوت ويسارعون الغافلين ويسابقون البطالين ولعل بعالا من الشاطحين جاهلا بحكمة الحكيم يتوهم علينا بظنه انا نقول انه لا يعطي الاشياء بشيء ولسنا نقول ذلك انما نقول انه يعطي شيئين بلا شيء فهو المعطي الاول للشيء الذي هو الظرف والمكان من العبادة والايمان وهو الذي يعطي الشيء الذي هو النعيم والجنان الا انه أجرى ذلك بتقديره في مجاري حكمته كما سبق ذلك في علمه ثم أنشأه في معلومه لانه حكيم عليم * ذكر المقام الرابع من مراقبة الموقنين ثم يعلم العبد يقينا انه تنشر له سنوه في الآخرة شهورا وتبسط شهوره اياما وتفترش ايامه ساعات وتكشف ساعاته انفاسا ثم يسئل عن كل نفس وينشر له بكل فعلة فعلها وان صغرت ثلاثة دواوين الاول لم فعلت وهذا مكان الابتلاء بالاحكام فان سلم له نشر له الديوان الثاني وهو كيف فعلت وهو موضع المطالبة بصحة العلم فان صح له هذا نشر عليه الديوان الثالث وهو لمن فعلت وهذا مكان المطالبة في الاخلاص فان اعتل بكيف أو بلم أو بلمن خيف عليه الهلكة الا ان يتعطف عليه الكريم المنان بحيث لا يحتسب فيستنقذه ويسمح له وقد قال تعالى وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها أي جئنا بها أي احضرناها وقرئت بالمد آتينا بها بمعنى جازينا بها وقال عز وجل فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وقيل هذه احكم آية في كتاب الله عز وجل وهي جملة مبهمة عامة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سئل عن شيء لم يوح اليه فيه بشيء يقول ما عندي فيه الا هذه الآية الجامعة الفاذة فمن يعمل مثقال ذرة الآية ولما تعلم صعصعة جد الفرزدق من أسفل القرآن الى هذه السورة قال حسبي حسبي قد عرفت الخير والشر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف الرجل فقيها وقيل الذرة قشرة الهباء الذي يظهر في شعاع الشمس مثل رؤس الابر وروي عن ابن عباس انه قال اذا وضعت كفك على التراب ثم رفعتها فكل شيء تعلق بها من التراب فهو ذرة وقد قيل أربع ذرات خردلة وذكر بعض العلماء ان الذرة جزء من ألف جزء من شعيرة ففي الاعمال ما يزن هذا الشيء وما يثقل به هذا الخفاء ولذلك أخبر به الخبير وحذر منه الرؤف وفي معنى ما ذكرناه آنفا من حسب انه يدخل الجنة بعمل فهو متعن ومن حسب انه يدخلها بغير عمل فهو متمن يعني انه ينبغي ان يعمل ما عليه ولا ينظر اليه ثم يتوكل في ذلك على الله عز وجل ويرجو قبوله بكرمه ويخاف رده بعدله ولذلك مدح الله سبحانه وتعالى عباده الصابرين له المتوكلين في أعمالهم عليه فانعم أجرهم فقال نعم أجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون فالمزيد في الجنة بفضل الله ورحمته هو تأبيد جزاء المعاملة الموهوبة اليوم ودوام خلود العامل في تأبيد جزائه ألم تسمع قوله تعالى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا مع قوله للذين أحسنوا الحسنى وزيادة الى قوله فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا ومثله ولكل درجات مما عملوا ونحوه أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤن بالحسنة السيئة أي وبما يدرؤن بالحسنة الحديثة السيئة القديمة فلما تعاملهم في الدنيا بعملين بالصبر وبدرء السيئة الماضية بالحسنة المستأنفة أعطاهم في الآخرة أجرين وهذا من الكلام المحذوف الموجز معذوفه وبما يدرؤن

غازيا أو يخلف غازيا في أهله بخير اصابه الله بقارعة قبل يوم القيامة خ م عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها ت قال صلى الله عليه وسلم عينان لا تمسهما النار عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله (١) قال صلى الله عليه وسلم حرس ليلة في سبيل الله أفضل من ألف ليلة يقام ليلها ويصام نهارها ت عن أبي هريرة مر رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بشعب فيه عيينة من ماء عذبة فاعجبته وقال لو اعتزلت الناس فاقمت في هذا الشعب فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا تفعل فان مقام أحدكم في سبيل الله أفضل من صلاته في بيته سبعين عاما ألا تحبون ان يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة أغزوا في سبيل الله من قاتل في سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة ت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من أرسل نفقة في سبيل الله وأقام في بيته فله بكل درهم سبعمائة درهم ومن غزا بنفسه في سبيل الله وأنفق في وجهه ذلك فله بكل درهم سبعمائة ألف درهم ثم تلا هذه الآية والله يضاعف

المحسنين وقوله أن تقول نفس من الكلام المضمر المعطوف ومضمره من قبل أن تقول أو خشية أن تقول ومعطوفه هو قوله وأنيبوا الى ربكم وأسلموا له أى اقبلوا اليه وتوبوا واستسلموا واسلموا قلوبكم ونفوسكم وأموالكم فى طاعته وعبادته واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم أى اتبعوا العزائم من الامور والفواضل من الاعمال فهو أحسن من الرخص والمباحات مثل الزهد والورع والخوف والايقان فهذا من أحسن ما أنزل الينا من ربنا ثم قال تعالى أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت فى جنب الله فلما طال الكلام وأضمر معطوفه وبعد عاطفه للاختصار أشكل فهمه وفى القرآن ما هو أشد اختصارا وأبعد من هذا اضمارا كقوله تعالى فما يكذبك بعد بالدين المعنى فالذى يحملك على التكذيب أيها الانسان الذى خلقناه فى أحسن تقويم بعد هذا البيان والبرهان بالدين بالغائبات والكائنات من أمور الدين والحسنات والجزاء ثم أحكم ذلك برده اليه فقال أليس الله بأحكم الحاكمين وكذلك قوله ولا تنس نصيبك من الدنيا المعنى لا تترك أن تعمل فى الدنيا بأيامك هذه فتدرك نصيبك غدا من الآخرة فى الدنيا فانك لا تدركه الا فيها ثم احكمه بقوله وأحسن كما أحسن الله اليك أى أحسن الى نفسك والى اخوانك الفقراء كالذى أحسن اليك به من المال والغنى فبذلك تدرك نصيبك من الدنيا فى الآخرة ثم أخبر الله سبحانه الكل وحذرهم فقال حتى اذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها أى يا ندامتنا على ما ضيعنا فى الدنيا وفاتنا فى الآخرة وفى الخبر لا يموت أحد الا بحسرة وندامة ان كان مسيئا كيف لم يحسن وان كان محسنا كيف لم يزدد وذلك ان الله تعالى جعل أهل السلامة والنجاة طبقتين بعضهم أعلى من بعض وجعل أهل الهلكة طبقة واحدة بعضهم أسفل من بعض فكان صاحب الشمال يتحسر كيف لم يكن من أصحاب اليمين لقوله تعالى كل نفس بما كسبت رهينة الا أصحاب اليمين وصاحب اليمين يتحسر كيف لم يكن من المقربين والصالح من المقربين يتمنى أن يكون من الشهداء والشهيد يود انه من الصديقين فهو يوم الحسرة الذى أنذر به أهل الغفلة فكيف بهم فى ذلك اليوم اذا كانوا اليوم أمواتا ولم يكن له حسنة فانى لهم النذارة والتذكرة كما قال وأنذرهم يوم الحسرة اذ قضى الامر وهم فى غفلة وقد قال لينذر من كان حيا كما قال انما أنت منذر من يخشاها انما تنذر من اتبع الذكر وخشى الرحمن بالغيب وقال تعالى فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد يعنى الى ما قدمت وقيل حديد الى لسان الميزان تخاف النقصان وقال تعالى وجاءت سكرة الموت بالحق قيل بالسابقة لهم وعليهم فهو الحق سبقت لهم منا الحسنى حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون وسط ما دونها وقد قيل انما يوزن من الاعمال خواتيمها والخواتم من السوابق وما بينهما مزاهق والوزن يومئذ الحق ما سبق من العدل والصدق وتمت كلمة ربك صدقا لاوليائه وعدلا على أعدائه ألا له الخلق والامر ﴿ذكر المقام السادس من مشاهدة المقربين الخيرات هى من ثمرات الايمان والصالحات هى مقتضى اليقين والعمى مقتضى الشك والسمع والبصر وصفان للمتقين والعمى والصمم وصفان للشك تتفهم هذه المعانى فى قول الله تعالى قل بئسما يأمركم به ايمانكم ان كنتم مؤمنين فدل ان الايمان يأمر المؤمنين بالبر والتقوى وقوله تعالى مخبرا عن أهل سمع وأبصر فينال العمل الصالح ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون وقوله تعالى فى وصف الاعمين بل هم فى شك يلعبون ثم ذكر حالهم لعدم اليقين فقال تعالى ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون لانهم لم يكونوا موقنين فلما جاءهم اليقين وهو المعاينة أبصروا وسمعوا فقالوا وكنا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين ووصفهم بشدة السمع والبصر حين شهدوا ما أيقنوا فقال عز وجل أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا أى ما أسمعهم وأبصرهم اليوم لما جاؤنا فرأوا ما عندنا وهذا المبالغة فى الوصف كما تقول أكرم وأعظم به أى ما أكرمه وأعظمه فكذلك اذا أتيته اليوم وأنت موقن سمعت ما لم تسمع وأبصرت ما لم تر قبل ذلك ولكن شغلتك الازواج والشغل والاشكال والاشباه التى أظهرت لك الهوى ووقفت معها ولو فررت منها الى الله تعالى لفررت الى خير مفر ولا والى عنده فى أحسن مقر وقد

ان من الله عز وجل عليك بالشهادة ان أكون فى شفاعتك فقال نعم فاعطيته ثلاثة أسهم فوضع سهما فى قوسه وقال السلام عليك يا أبا قدامة فرمى به ورمى ثم رمى بالآخر وقال السلام عليك يا أبا قدامة فقتل به روميا ثم بالآخر وقال السلام عليك يا أبا قدامة سلام مودع فجاءه سهم فوقع بين عينيه فوضع رأسه على قربوس سرجه فتقدمت اليه وقلت لا تنسها قال نعم ولكن لى اليك حاجة اذا دخلت المدينة فأت والدتى وسلم خرجى اليها وأخبرها فهى التى أعطتك شعرها لتقيد به فرسك وسلم عليها فان العام الاول أصيبت بوالدى وفى هذا العام أصيبت بى ثم مات فحفرت له ودفنته فلما هممنا بالانصراف عن قبره قذفته الارض فالقته على ظهرها فقال أصحابى انه غلام غر ولعله خرج بغير اذن أمه فقلت ان الارض لتقبل من هو شر من هذا فقمت وصليت ركعتين ودعوت الله عز وجل فسمعت صوتا يقول يا أبا قدامة اترك ولى الله عز وجل فما برحت حتى نزلت عليه طيور فأكلته فلما أتيت المدينة ذهبت الى الدار والدته فلما قرعت الباب خرجت أخته فلما رأتنى عادت وقالت يا أماه هذا أبو قدامة ليس معه أخى وقد أصبنا

والطرفة وكذلك دل رسول الله صلى الله عليه وسلم بنصه على الساعة على مادونها لان حكمته من حكمة
مولاه وكلامه على معانى كلامه وقد دخلت الساعة فمادونها فى الايام التى قال الله تعالى كلوا واشربوا هنيأ
بما أسلفتم فى الايام الخالية قيل هى والله أيامكم هذه وستخلو فاشغلوها بالاعمال الصالحة قبل خلوها منكم
وانقضائها عنكم وكان الحسن يقول يا ابن آدم انما أنت مراحل كلما مضى منك يوم أو ليلة قطعت مرحلة
فاذا فنيت المراحل بلغت المنزل الى الجنة أو النار فالساعات تنقلنا والايام تطوينا كما قال بعض الحكماء مثل
العبد فى عمره مثل رجل فى سفينة تسير وهو قاعد كذلك العبد يدنو من الآخرة وهو غافل ويقال ان العبد
تعرض عليه ساعاته فى اليوم والليلة فيراها خزائن مصفوفة أربعة وعشرين خزانة فيرى فى كل خزانة نعيما
ولذة وعطاء وجزاء لما كان أودع خزانته من ساعاته فى الدنيا من الحسنات فيسره ذلك ويغتبط به فاذا مرت
به فى الدنيا ساعة لم يذكر الله تعالى فيها رآها فى الآخرة خزائن فرغا لا عطاء فيها ولا جزاء عليها فيسوءه ذلك
ويتحسر كيف فاته ان لم يدخر فيها شيأ فيرى جزاء مدخرها يلقى فى نفسه الرضا والسكون فلو لم يتحسر العبد
الاعلى فوت الفضائل والمندوب اليه من الخيرات لكان فى فوت المسابقة والمسارعة حسرات فكيف بمن فاته
أوقاته فى السيآت وفرطت منه فى الخسارات ولو لم يشتغل العبد فى عمره الا بالحلال والمباحات لكان
ذلك نقصانا من الدرجات له فكيف بمن شغل بالمحظورات فسبحان الله ما أعظم الخطر وأصعب الامر وأغفل
الشاهدين لذلك وأغفل البطالين وقد قال بعض العلماء هب ان المسيء قد غفر له أليس قد فاته ثواب
المحسنين وقد جاء فى الآثار بعض أهل الجنة بيناهم فى نعيم اذ سطع لهم نور من فوقهم أضاءت منه منازلهم
كما تضيء الشمس لاهل الدنيا فنظروا الى رجال من فوقهم أهل عليين يرونهم كما يرى الكوكب الدرى فى
أفق السماء قد فضلوا عليهم فى الانوار والنعيم والجمال كما فضل القمر على سائر الكواكب فينظرون اليهم
يطيرون على نجب تسرح بهم فى الهواء حيث شاؤا ويتزاورون بعضهم بعضا يزورون ذا الجلال والاكرام
وينادون هؤلاء يا اخواننا ما أنصفتمونا كنا نصلى كما تصلون ونصوم كما تصومون فما هذا الذى فضلتم به علينا
قال فاذا النداء من الله عز وجل انهم كانوا يجوعون حين تشبعون ويعطشون حين تروون ويعرون حين
تكتسون ويبكون حين تضحكون ويقومون حين تنامون ويخافون حين تأمنون فلذلك فضلوا عليكم اليوم
فذلك قوله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون وقد جاء فى الخبر أكثر أهل
الجنة البله وعليون لذوى الالباب * ذكر المقام الخامس من مراقبة الموقنين من المقربين قال الله تعالى تخوفا
للكافة حتى اذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلى أعمل صالحا فيما تركت ثم أجابه فقال كلا وحقق
قوله تعالى فقال انها كلمة هو قائلها ثم نهى المؤمنين بامر يحاعن مثل هذا الحال وأخبر بنقصان من فعل
ذلك فقال يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله أى لا تشغلكم عن الطاعة لله تعالى
ثم قال ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون أى المغبونون المنقوصون فى الآخرة لانهم آثروا المال والولد
على الخالق الرازق ثم أمر بالانفاق مما رزق وقرنه بالايمان وأخبر انه استخلفنا فى ملكه اختبارا لنا فقال آمنوا
بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فسمع الغافلون نصف الكلام فآمنوا ولم ينفقوا وعقل
العاملون كل الكلام فآمنوا وأنفقوا وما يعقلها الا العالمون وقال سبحانه وأنفقوا مما رزقناكم من
قبل أن يأتى أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتنى الى أجل قريب فأصدق أى بالمال وأكن من الصالحين
أى بالاعمال وكان ابن عباس يقول هذه الآية من أشد شئ على أهل التوحيد لانه لا يتمنى التأخير
والرجوع الى الدنيا أحد له عند الله خير فى الآخرة ومثل هذا قوله سبحانه أن تقول نفس يا حسرتا على
ما فرطت فى جنب الله الحسرة هى أعظم الندامة وهى اسم لفوت شئ لا تدارك فيه فرطت أى ضيعت وونيت
وفرط منى أى ذهب وفات وجنب الله قيل على ما فاتنى من الجزاء منه فى الآخرة وقيل ما فات من النصيب
فى أيام الدنيا الى قوله أو تقول حين ترى العذاب لو أن لى كرة يعنى الى الدنيا يعنى عودة أخرى فأكون من

فى بعض البلدان فدعوت
الناس الى الغزو ورغبتهم
فى الثواب وذكرت فضل
الشهادة ثم الاهلها ثم تفرق
الناس فركبت فرسى
وسرت الى منزلى فاذا بامرأة
من أحسن الناس تنادى
يا أبا قدامة فقلت هذه
مكيدة من الشيطان فمضيت
ولم أجب فقالت ما هكذا
كان الصالحون فوقفت
فجاءت فدفعت الى رقعة
وخرقة مشدودة فانصرفت
باكية فنظرت فى الرقعة
فاذا فيها مكتوب انك دعوتنا
الى الجهاد ورغبتنا فى
الثواب ولا قدرة لى على ذلك
فقطعت أحسن ما فى وهما
ضفيرتاى وأنفذتهما اليك
لتجعلهما قيد فرسك فى
سبيله فيغفر لى فلما كانت
صبيحة القتال فاذا بغلام
بين يدى الصفوف يقاتل
فتقدمت اليه وقلت يا فتى
أنت غلام ولا آمن ان
تجول الخيل فتطؤك بارجلها
فارجع عن موضعك هذا
فقال أتأمرنى بالرجوع
وقد قال الله عز وجل يا أيها
الذين آمنوا اذا لقيتم الذين
كفروا زحفا فلا تولوهم
الادبار ومن يولهم يومئذ
دبره الا متحرفا لقتال أو
متحيزا الى فئة فقد باء بغضب
من الله ومأواه جهنم
وبئس المصير فحملته على
هجين كان معى فقال يا أبا
قدامة أقرضنى ثلاثة أسهم
فقلت أهذا وقت قرض فما
زال يلح على حتى قلت بشرط

للاوقات فى وقتك الذى أنت فيه خشية فوت الوقت فيحصل على التسويف والتمنى أولى الانتظار والتراخى فهذه من جنود ابليس يتقطع بهم المريدين وهو مقام المغترين وأحوال البطالين الذين وكلوا الى أنفسهم وتركوا مع هواهم ولم يتداركوا فى أحوالهم ولم يقدموا لغدهم نسوا الله فنسيهم والوقت اذا انقضى فقد ولم يوجد الى يوم القضاء والساعة اذا مرت طويت فلم تنشر الى يوم النشور وانما ينشر مثالها ويخلق شبهها فاذا أيقن العبد علم ان عمره كله يوم وان يومه كله ساعة وان ساعته كلها وقته الآن وان وقته حاله وان حاله قلبه فأخذ من حاله لقلبه ما يقربه الى قلبه بنهاية عمله فعمل أفضل ما دل علمه عليه وما ندبه مولاه اليه ومما يحب ان يفجأه الموت عليه فيكون ذلك خاتمة عمله الذى يلقى مولاه به ثم أخذ من وقته لحاله ما يصلح حال قلبه و يقوى قلبه و يخلص لربه وأخذ من ساعته لوقته ما يزين به حاله عند ربه وأخذ من يومه لساعته صلاحه فيها وحاجته اليها وأخذ من شهره ليومه فكان شهره يومه وكان يومه ساعته فشغله وقته عن ساعته وشغله حاله عن وقته فكان على هذا مراعيا لوقته محافظا على حاله قائما على نفسه جامعا لهمه محصيا الانفاس مراقبا لرقيبه مجالسا لحبيبه لا يخرج عنه نفس فى أدنى وقت الا فى ذكر لمذكور أو شكر على نعمة انعم أو صبر فى محبة عتيدة أو رضا عند شدة شديدة و يكون فى ذلك كله ناظرا الى الرقيب مصغيا الى القريب سامعا الى الحبيب لا ينظر الا اليه ولا يعكف الا عليه وقد جعل العمر يوما واليوم ساعة والساعة وقتا والوقت حالا والحال نفسا والنفس مراقبة والمراقبة مواجهة فتوجه فى وجهته فلم ينثن وسابح فى قربه فلم يزن فكان من الاعيان على مزيد ومن اليقين فى تجديد واعطى من الحياة الطيبة بغير حساب وكشف له عن قلبه الحجاب فكانت المعرفة مقامه وقصرت عليه أيامه فكان وقته وقتا واحدا الواحد وكان قلبه واحدا الواحد وهمه منفردا المنفرد وهذا حال الابدال الذين هم من الرسل أمثال وعددهم فى الموقنين قليل ونصيبهم من اليقين وافر جليل وهم المقربون والصديقون ومن علم ماذكرناه على يقين فهو من الصالحين ومن آمن به ولم يشك فيه لاهله ايمان تصديق فهو من الموقنين ومن شهد منه شهادة يكون له منها مطالعات وزيادة فهو من الشاهدين وجميع ماذكرناه من مراقبة المؤمنين وشهادة المقربين يدرك باحد مقامين من أقيم فى أحدهما جمع له ذلك استقامة فى توبة وعمل بعلم فمن كان مقامه التوبة وحاله الاستقامة رفع الى شهادة المحبين ومن كان مقامه العلم وحاله العمل بعلمه تحقق بنعت الخائفين وهما حالا العارف الدائم الوجد بقرب القريب القائم بالشهادة بحضور الشهيد فانفاسه وطرفاته صالحات وتصرفاته وآثاره حسنات وأفكاره وأذكاره مشاهدات فهو حاضر فى تصريفه متيقظ فى تقلبه وبهذا وصف العارف والدائم الوجد وحدثت عن بعض هذه الطائفة انه دخل على بعض المنقطعين الى الله تعالى من أهل المراقبة فقال له أحصيت من نعم الله تعالى على فى نوع واحد أربعة وعشرين ألف نعمة قلت وكيف ذلك قال حسبت أنفاسى فى اليوم والليلة فوجدتها أربعة وعشرين ألف نفس و يقال ان الطرفات ضعف ذلك لان كل نفس طرفتان وسمعت ان الله عز وجل أوحى الى بعض الانبياء كيف تؤدى شكر نعمتى عليك ولى فى كل شعرة نعمتان ان لينت أصلها وان طمنت رأسها وقال بعض العلماء روى ذلك أيضا عن على عليه السلام ليس شئ أعز من الكبريت الاحمر الا ما بقى من عمر العبد قال ولا يعرف مقدار ما بقى من عمره الا نبى أو صديق وقال بعضهم لا يعرف قدر ما بقى من عمره فى العزة الا من عرف ينبوع الكبريت الاحمر فانه يقال انه عيون تنبع فى الظلمات لا يعرفها الا الابدال والكبريت الاحمر هو كيمياء الذهب الذى يعمل منه الذهب الخالص واذا ألقى منه اليسير على كيمياء الذهب المستعمل ثبت على حاله والاستحال وتغير بعد سنين ولا أعلم ذكر عن النبى صلى الله عليه وسلم الكبريت الاحمر الا فى حديث على عليه السلام الذى وصف فيه الابدال فذكر عدتهم ونعتهم وقال فى آخره وصفهم هم فى أمتى أعز من الكبريت الاحمر ولا ذكر الذهب الابريز الا فى حديث الابتلاء ان الله تعالى يجرب عبده بالبلاء كما يجرب أحدكم ذهبه بالنار فمنهم من يخرج كالذهب الابريز ومنهم من يخرج اسود محترقا ومنهم من يخرج بين ذلك

آله وصحبه وشد عزائمنا على دينه وطلب رضاه وارزقنا الشهادة فى سبيلك فانك أكرم الاكرمين وارحم الراحمين

(فصل) فى الربا والتطفيف قال الله تعالى الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس أى الجنون قال قتادة ان آكل الربا يبعث يوم القيامة مجنونا وذلك علم لاكلة الربا يعرفهم به أهل الموقف م عن جابر قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه وقال هم سواء م قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح مثلا بمثل يدا بيد فمن زاد أو استزاد فقد أربى الآخذ والمعطى فيه سواء وروى الشافعى وغيره انه صلى الله عليه وسلم قال ولكن بيعوا الذهب بالورق والورق بالذهب والبر بالشعير والشعير بالبر والتمر بالملح والملح بالتمر يدا بيد كيف شئتم خ م عن أبى سعيد الخدرى قال جاء بلال الى النبى صلى الله عليه وسلم بتمر برنى فقال له النبى صلى الله عليه وسلم من أين هذا قال عندنا تمر ردى فبعت منه صاعين بصاع فقال

أمرك بالفرار منها اليه لو قبلت ونهاك عن التأله اليها لو سمعت وبين لك النذارة لو فهمت وجعل ما خلق
من الازواج تذكرة به لو عرفت ووادة اليه لو أنك للذكر اتبعت ومشوقة اليه لو كنت لقربه أحببت أما
سمعته يقول ومن كل شئ خلقنا زوجين لعلكم تذكرون أى مثلين وشكلين لكى تذكرون الله بهما
وتشتاقون اليه منهما ثم قال ففروا الى الله أى عنها بالزهد ثم قال ولا تجعلوا مع الله الها آخر أى لا تألهوا معه
الها ولا تشركوا بتألهكم اليه اياها هذا فهم المقربين عن سمعهم بشهادة أبصار قلوبهم فعندها كان
استجابتهم له كما قال انما يستجيب الذين يسمعون وقال ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم
من فضله ولكن كيف يسمع من ينادى من مكان بعيد وكيف يبصر من القفل على قلبه عتيد وكيف
يستجيب من لا يسمع وكيف يشهد من لا يبصر وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم حبك الشئ يعمى
ويصم فالهوى يعمى عن الحق والشهوة تصم عن النصح والصدق وكذلك لو أحببته لنظرت اليه
ولو نظرت اليه لعميت عن سواه ولو أقبلت عليه لاستمعت اليه ولو سمعت لصممت عن غيره ولو أحبك لكان
سمعك وبصرك وقلبك ويدك وناصرك ومؤيدك تدعوه فيجيبك وتسأله فيعطيك وتنصح له فينصح لك
كذلك جاء الخبر بذلك فشغلك به عنك وفرغك له منك فكيف تسمع عنه وتنظر اليه وتتقلب عنده وتحركك به
لا بنفسك وهواك ولا بشهوتك ودنياك فهذا وصف حبيب عن تقلب حبيب وخبر محبوب عن تثبيت محبوب
فاذا تيقن العبد يقين عين لا يقين ظن وسمع بما ذكرناه من سرعة فوت الوقت وفوت دركه شغله الغم والحزن
على ما فات عن مثل ما سلف مما ندم عليه فى مستقبل الاوقات فلم يضم الى الفوت الاول فوتا ثانيا لحزنه وندمه
عليه فكيف يردفه فى الحال بما يشبه ما ندم عليه من سوء الاعمال وما لا يحمد عاقبته ولا يغتبط به فى المآل
فمثل العبد المتيقظ فى آخر غفلته مثل عبد كان عليه عمل لا بد أن يعمله فى يومه ذلك الا أنه لهى عنه لغفلة
لاهية أو نومة منسية فلم يفق لعمله ذلك الذى لا بد منه الا بعد العصر فلا يسأل عن حرصه وانكماشه وتشميره
وبداره فى بقية نهاره ليدرك به ما فاته من أول النهار فهو يود ان وقته ذلك الى الليل مثله أضعافه أو رد الى أول
النهار ليدرك ما فاته فهذا حال التائب المتيقظ من رقدته وهذا لا يستبين له الا بعد الموت لمعاينة تقضى الاوقات
واليقين بعدم درك ما فات فهنالك وقعت الندامة الكبرى وحينئذ حلت الحسرة العظمى فالحزم عند العقلاء
الموقنين هو الانكماش والتشمير فيما بقى من العمر القصير لان الاشتغال بما فات فى وقت درك مثله فى المستقبل
هو اضاعة ثانية لما هو آت فرض هذا المتيقظ واجتهاده أن يكون له فى كل وقت وقت ومن كل ساعة
نصيب فأودع فى كل خزانة من ساعاته التى هى خزائن أعماله شيأ فشيأ لئلا يرى خزائنه فارغة غدا فيتحسر
على فراغه منها وهذا طريق أهل الرجاء الذين تمنوا زيادة الاعمال ورغبوا فى طول البقاء بحسن خدمة المولى
وهو مقام التائب المستقيم ليتدارك بحديث الاوقات ما فرط منه من الغفلة فى القديم فهذا هو الحزم
والاحتياط عند العلماء فان يكن الامر صعبا شديدا كما تحدث عنه كان قد سلم بحسن توفيق الله تعالى من
صعوبته وان كان الامر سهلا قريبا كما يرجوه كانت الاعمال درجات والفضائل مقامات * ذكر المقام السابع
من مشاهدة الموقنين اعلم أن ما ذكرناه من تدارك الاوقات خوف فوتها ليس هو بمعنى مكان دون مكان ولا هو
بانتظار وقت ثان الذى هو فى الاصل فكر الوقت الذى هو فيه ولا توقع حال سوى الحال الذى هو بل انما
هو صوم يوم أو قيام ليلة أو ذكر فى ساعة أو جمع هم عن شتات قلب أو قطع لا ثر فى خطر ويكون ذلك أيضا
غض طرفه وصون سمعه وكف يده وحبس قدمه وصمتا عن كلمة دنية وترك لقمة شهية ونقصانا من قوت
وزيادة جوع للمقيت وأمر بكلمة رشيدة ونهيا عن فعلة دنية وعقد نية جيدة وحل نية ذميمة وتجديد توبة
واعمال قلب فى فكرة واخراج سوء ظن واعتقاد حسن ظن واستقامة وصحة عزم فى قصد وتسببا الى ما يقوى
العزم ومعاونة على بر وتقوى وهذا كله يكون فى الوقت ويحدثه فى الحال لا يسوف به ولا ينتظر منه ولا
يتوقعه فى وقت ثان ولا يؤخر الى زمان دون وقته ولا يتربص به فى مكان دون مكان وهذا هو التدارك

فى العام الاول بابى وفى هذا
العام باخى فخرجت أمه
فقالت أمعزينا فقلت ما معنى
هذا فقالت ان كان مات
فعزنى وان كان استشهد
فهنئنى فقالت له علامة فهل
رأيتها قلت نعم لم تقبله
الارض ونزلت الطيور
فأكلت لحمه وبقيت عظامه
قد فنيتها فقالت الحمد لله
فسلمت اليها الخرج ففتحته
فأخرجت مسحا وغلا من
حديد وقالت انه كان اذا جنه
الليل لبس هذا المسح وغل
نفسه بهذا الغل وناجى
مولاه وقال فى مناجاته
احشرنى فى حواصل
الطيور فقد استجاب الله
عز وجل دعاءه والله أعلم
اخوانى هذا اصبر اولى
التقوى الذين لا يطيعون
الهوى

شعر

فلا تجزع لريب الدهر واصبر
فان الصبر فى العقبى سليم
فما جزع بمغن عنك شيأ
ولا ما فات ترجعه الهموم
اذا ضاق الخناق فكن صبورا
كريما فالشدائد لا تدوم
وبالصبر الجميل تنال أجرا
ويقضى بعد ذلك ما تروم
فكم من محنة عظمت
ودامت
وحان مواصل وبلا جسيم
أتى فرج الاله لها صباحا
فأمست وأقلعت الهموم
فسلم فالذى أبلى يعافى
وثق بالله فهو بنا عليم
اللهم صل على سيدنا
وهادينا وشفيعنا محمد وعلى

كل شئ ومتى عظم فى قلبه العرض الفانى وهو ضنين لم يسأله شئ فاذا لم يبق للعبد فى نفسه نفسا ولا من ماله ملكا كان الجواد عوضاه من ماله وكان الجبار عوضاه من نفسه الا ان الله سبحانه لم يذكر اياه فى العوض من النفس وذكر الجنة فى البدل عن المال لئلا يدخل تحت حكم وهو الحاكم وكيلا ينضم الى عوض فيكون شفعا وهو الفرد فاختفى فى نفسه وهو الدليل وذكر خلقه وهو اليه السبيل فهذا فهم أوليائه عنه وهذه علامة المحبة الخالصة التى لا شرك فيها السواه ولا دخل عليها من غيره ايآه ولا يصلح أيضا ان يكشف عن وصف هؤلاء المحبين لان حالهم يجل عن الوصف ومقامهم يجاوز علوم العقل والوقت الا ان الله تعالى قد أحكم ذلك بقوله عز وجل وفيها ما تشتهى الانفس وتلذ الاعين وبقوله تحيتهم يوم يلقونه سلام مع قوله ولكم فيها ما تدعون نزلا من غفور رحيم وقوله فاما ان كان من المقربين فروح وريحان واحكم ذلك بقوله تعالى وهو وليهم بما كانوا يعملون وبقوله تعالى هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون ففيه وصف لاهل الولايات واطيب ومدح لاهل الدرجات والقرب بقوله بصير بما يعملون أى لذلك جعلهم درجات عنده ولقوله وليهم بما كانوا يعملون بما تولاهم به قربهم منه وفيه أيضا ذم المنافقين على القراءة الاخرى والله بصير بما تعملون فقد أبصر أعمالكم أنتم فلم يجعلكم مثلهم اذ لم تكن أعمالكم كاعمالهم فهذا كما قال فعلم ما فى قلوبهم فانزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا ثم قال فى وصف قلوبنا والله يعلم ما فى قلوبكم وكان الله عليما حكيما ثم قال فى فصل من القول ليس بهزل سوّى بين هؤلاء وهؤلاء ان يعلم الله فى قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا ثم قال فى ضد أولئك كلاما فاصلا لفصل مفسر للمجمل ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو أسمعهم بعد ان لا يجعل فيهم خيرا لتولوا وهم معرضون أى ليس لهم فيه شئ ولا لهم منه نصيب لانه لم يجعل عندهم مكانا للخير فيوجد فيه خير فكان هذا فصل الخطاب وبلاغا لاولى الالباب شهد لهم بذلك اذ قال أفلم ييأس الذين آمنوا ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا فأيس المؤمنون من هداية هؤلاء فلم يرجوا منهم مجاهدة فيها أبدا الا ان الله تعالى لا يهدى من يضل وقيل ييأس لغة بمعنى يعلم أى فقد علموا انما أعلمهم الله تعالى ويشهد لهذا المعنى الحرف الآخر لانه بمعناه أفلم يتبين الذين آمنوا فبين لهم بما بين المبين فسلموا له وأقبلوا عليه وأعرضوا عنهم فسلموا منهم فكذلك قال الولى الحميد وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا وقال تشابهت قلوبهم فيتبعون ما تشابه منه فكم بين من ثبت قلبه فرسخ العلم فيه وبين من أزاغه فمال الى فتنة التأويل يبتغيه وشتان بين من تولاه بنفسه اذ صلح له وبين من ولاه نفسه اذا أعرض عنه فهذه مقامات المبعدين كما ان تلك مقامات المقربين فقد دخلوا تحت حكمين لم يخرجوا منهما أعلاهم دخل تحت فضله وأدناهم لم يخرج من عدله وقد أجمل سبحانه وصفهم بقوله ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله وقال فى ذكر العموم ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط فخص أولياءه بالفضل وعم خلقه بالعدل فكم من قلب لا يشهد الا الله ولا يسمع الا منه ولا يتأله الا اليه والله هو الاغلب على همه والاقرب الى قلبه وبين قلب حشوه الخلق وهمه الرزق لا ينظر الا اليهم ولا يطمع الا فيهم ولا ينظر الا هم الخلق أغلب شئ عليه والخلق أقرب شئ اليه فهذا من المبعدين بهم لان البعد صفتهم وظهور النفس عليه وتحكم سلطانها فيه مكان البعد الذى يوجد البعد معه والاول من المقربين به لان القرب صفته وخروج من نفسه عنه وتحضيرها له مكان القرب الذى يوجد القرب عنده فذلك من السابقين الى ربه والبعد متبط بنفسه عن ربه وقد قال تعالى فلا تدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين فالبعد عذاب والبعد فى عذاب والقرب نعيم والقرب على مزيد ألم تسمع قوله تعالى فى تعذيب المحجوب كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم انهم لصالوا الجحيم وقال فى تروح المقربين فاما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم روح بقريب وريحان من حبيب وجنة نعيم بقرب نعيم وقال المروح بالقرب الحيا بالحضور

فروحى وريحانى اذا كنت حاضرا * وان غبت فالدنيا على محابس

ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين قال جماعة من المفسرين يقومون فى رشحهم الى انصاف آذانهم ح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله رجلا سمحا اذا باع واذا اشترى واذا اقتضى ت عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاهل الكيل والميزان انكم قد وليتم أمرا هلكت فيه الامم السالفة قبلكم وفى الكواكب الدرارى للكرمانى قال الحافظ الطبرانى ان جريرا أمر مولاه ان يشترى له فرسا فاشترى له بثلثمائة وجاء به وبصاحبه لينقد الثمن فقال جرير لصاحب الفرس فرسك خير من ثلثمائة أتبيعه بأربعمائة قال ذلك اليك يا أبا عبد الله قال فرسك خير من ذلك ثم لم يزل يزيده مائة فمائة وصاحبه يرضى وجرير يقول فرسك خير الى ان بلغ ثمانمائة فاشتراه بها فقيل له فى ذلك فقال انى بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصح لكل مسلم وكان اذا قوم السلعة بصر المشترى عيوبها ثم خيره فقيل له اذا فعلت كذلك لم ينفذ لك الثمن فقال انا بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصح لكل مسلم وانى مثل هذا هم السعداء وهم سادة أولئك الفقراء تواضع لهم السمع الاذن والاحراء

(الفصل التاسع والعشرون) فيه ذكر أهل المقامات من المقربين وتمييز أهل الغفلة المبعدين فاذا كان العبد بوصف ماذكرنا كان كما قال الله تعالى والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم بشهاداتهم قائمون وقال بعض العارفين عمر العبد أمانة الله تعالى عنده يسأله عنه عند موته فان كان فرط فيه ضيع أمانة الله تعالى وترك عهده وان راعى أوقاته فلم تخرج ساعة الا في طاعة الله حفظ أمانته ووفى بعهده فله الوفاء من الله على الوفاء كما قال سبحانه وتعالى وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم واياي فارهبون أي في تضييع العهد وفي ترك الوفاء وكما قال تعالى أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه أي شهد مقام الله تعالى منه بالبيان فقام بشهادة الايقان فليس هذا كمن زين له سوء عمله واتبع هواه فآثره على طاعة مولاه بل هذا قائم بشهادته متبع لشهيده مستقيم على محبة معبوده وكان كمن وصف في قوله تعالى أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه وكمن مدحه بحقيقة الايمان في قوله تعالى واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا أي علامته ودلائله وعلى ربهم يتوكلون أي به يثقون واليه ينظرون وعليه في كل حال يعتمدون ولديه من كل شئ يطمئنون وعنده دون كل شئ يوجدون ثم قال سبحانه أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم الآية وليس أهل الحقائق من المتوكلين الذين مدحهم الحق بالحق وأعد لهم الدرجات العلى والكريم من الرزق كمن ذكره بعدهم فقال وان فريقا من المؤمنين لكارهون يجادلونك في الحق بعد ماتبين لهم مع قوله مايجادل في آيات الله الا الذين كفروا فجعل حال هؤلاء وصفا مشبها لمقام أعدائه لما بقي عليهم من أهوائهم وجعل مقام الصالحين يعني من وصفهم في الآية بحقيقة زهدهم فقال تعالى ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فاولئك لهم الدرجات العلى فهو العلى وأحباؤه الاعلون وانما كانوا أعلين لان الاعلى معهم وكانحن الادنين لان الدنيا عندنا قال الله سبحانه في وصف من أعرض عن ذكره ولم يرد الا الحياة الدنيا اذ أمر الحبيب بالاعراض عنه لانه طلب الادنى عاجلا أوسوّف بالمغفرة آجلا لقوة جهله وضعف يقينه فقال تعالى يأخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا وقال فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا وقال في وصف الصادقين المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه وقال في نعت غيرهم يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتا عند الله فشتان بين من وصف بصدق العهد وبين من ذكر بالخلف وعرض للمقت وقال في وصف طائفة ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين فخص أولياءه بترك اتباعه وادخل بعض المؤمنين في تصديق ظنه واتباعه الا فريقا فهم الصديقون والشهداء والصالحون وحسن أولئك رفيقا وهم المتوكلون المؤمنون حقا الذين قال انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون وليس من باع ماله ونفسه محبة لمولاه كمن لم يسأله مولاه دون نفسه لئلا يحفيه فيخرج ضغنه عليه كما قال لطائفة من المؤمنين يؤتكم أجوركم ولا يسألكم أموالكم ان يسألكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج أضغانكم الاحفاء الاستقصاء أي ان سألكم سأل الجملة كلها وأحب منكم الزهد في نفوسكم بعدها والاضغان جمع ضغن وهو الحقد تقول فلستم في مكان سؤال اذ لا يكون البخيل زاهدا لان أول الزهد الجود فمن لم يجد لم يزهد ومن لم يزهد في الدنيا لم يحبه المولى لانه محب لما يبغض ومريد لما لا يحب فلم يعامل مولاه باخلاقه ولم يوافقه في مرضاته فباعده وحجبه عن مشاهدة أوصافه كما قال تعالى تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة وكما قال الرسول صلى الله عليه وسلم المبلغ عن المآل اذا أردت ان يحبك الله فازهد في الدنيا ولا تقدر ان تصف حشو قلوب هذه الطائفة من المؤمنين الذين وصفهم المؤمن ان لو سألهم أموالهم ظهرت عليهم أضغانهم لانهم من الله في اغترار بما ألبسهم من الاظهار فاذا جاء أجلهم فان الله كان بعباده بصيرا الا ان الله تعالى لايسأل الا من يحبه اكراما له ممن يعلم انه يسارع اليه بجملة ماسأله لانه كريم جواد لايكبر عنده شئ ان سأل سأل الكلية وهو المال والنفس الا انه لايسأل الا من خلقه بخلق من أخلاقه فمتى لم يكن على العبد سواء شئ سأله محبوبه

أوه عين الربا لاتفعل ولكن اذا أردت ان تشترى فبع التمر ببيع آخر ثم اشتر به قال فضالة بن عبيد كل قرض جر نفعا فهو ربا وروى أحمد والدارقطني عن عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم درهم ربا يأكله الرجل وهو يعلم أشد من ستة وثلاثين زنية رواه البيهقي في شعب الايمان عن ابن عباس وزاد وقال من نبت لحمه من السحت فالنار أولى به ق عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الربا سبعون جزأ أيسرها ان ينكح الرجل أمه وعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الربا وان كثر فان عاقبته تصير الى قل ات عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتيت ليلة أسري بي على قوم بطونهم كالبيوت فيها الحيات ترى من خارج بطونهم فقلت من هؤلاء ياجبريل قال هؤلاء أكلة الربا وقال الكلبي قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يسيؤن كيلهم ووزنهم لغيرهم ويستوفون لانفسهم فنزل قوله تعالى ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون الا يظن أولئك انهم مبعوثون

بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب فهذا وصف يزيد على كل وصف ويستغرق نعت الواصفين ويجمع هذه المقامات السبعة من المراقبة والمشاهدة حالات عن مقامين مدار المقامات كلها عليهما ويستخرج المزيد من الكرامات منهما فأحدهما الخوف عن مقام العلم والحال الثاني الرجاء عن مقام العمل فمن كان مقامه العلم بالله كان حاله الخوف منه ومن كان مقامه الرجاء لله تعالى كانت حاله المعاملة له ألم تسمع إلى قوله تعالى إنما يخشى الله من عباده العلماء وقوله فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً

(الفصل الثلاثون) فيه كتاب ذكر تفصيل الخواطر لأهل القلوب وصفة القلب وتمثيله بالأنوار والجواهر قال الله سبحانه وتعالى ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها أي ألقى فيها وقذف فيها وقال عز وجل ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه وقال فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله وقال تعالى من شر الوسواس الخناس الآية وقال إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً إنما يدعو حزبه وقال تعالى استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله وقال عز وجل الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء وقال سبحانه مخبراً عن العدو لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم إلى آخر الآية وروينا عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقة فقعد له بطريق الإسلام فقال أتسلم وتذر دينك ودين آبائك فعصاه فأسلم ثم قعد له بطريق الهجرة فقال أتهاجر فتذر أرضك وسماءك فعصاه فهاجر ثم قعد له بطريق الجهاد فقال أتجاهد وهو جهد النفس والمال فتقاتل فتقتل فتنكح نساؤك ويقسم مالك فعصاه فجاهد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من فعل ذلك فمات كان حقاً على الله تعالى أن يدخله الجنة وقد أخبر الله تعالى عنه أنه قال ولأضلنهم ولأمنينهم ولآمرنهم إلى آخر الآية وروينا أن عثمان بن أبي العاص قال يا رسول الله حال الشيطان بيني وبين صلاتي وقراءتي فقال ذلك الشيطان يقال له خنزب إذا أحسسته فتعوذ بالله منه واتفل عن يسارك ثلاثاً قال ففعلت ذلك فأذهبه الله تعالى عني وفي الخبر إن للوضوء شيطاناً يقال له الولهان فاستعيذوا بالله منه وقد روينا أن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم والحديث المشهور ما منكم من أحد إلا وله شيطان قالوا وأنت يا رسول الله قال وأنا إلا أن الله تعالى أعانني عليه فأسلم وقال ابن مسعود رضي الله عنه وقد روينا من طريق مسند في القلب لمتان لمة من الملك إيعاد بالخير وتصديق بالحق ولمة من العدو إيعاد بالشر وتكذيب بالحق ونهي عن الخير وروينا عن الحسن رحمه الله أنه قال إنما هما همان يجولان في القلب هم من الله تعالى وهم من عدوه فرحم الله عبداً وقف عند همه فما كان لله أمضاه وما كان من عدوه جاهده وقال مجاهد في قوله تعالى من شر الوسواس الخناس قال هو منبسط على قلب الإنسان فإذا ذكر الله تعالى خنس وانقبض وإذا غفل انبسط على قلبه وقال عكرمة الوسواس محله في الرجل في فؤاده وعينيه ومحله في المرأة في عينيها إذا أقبلت وفي عجيزتها إذا أدبرت وقال جرير بن عبيدة العدوي شكوت إلى العلاء بن زياد ما أجد في صدري من الوسوسة فقال إنما مثل ذلك مثل البيت الذي تمر به اللصوص فإن كان فيه شيء عالجوه وإلا مضوا وتركوه وقد روى أبو صالح عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتة فإن هو نزع واستغفر وتاب صقل وإن عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه فهو الران الذي ذكره الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وروينا عن جعفر بن برقان قال سمعت ميمون بن مهران يقول إن العبد إذا أذنب ذنباً نكت في قلبه بذلك نكتة سوداء فإن تاب محيت من قلبه فترى قلب المؤمن مجلواً مثل المرآة فما يأتيه الشيطان من ناحية إلا أبصره وأما الذي يتتابع في الذنوب كلما أذنب نكتت في قلبه نكتة سوداء فلا يزال ينكت في قلبه حتى يسود قلبه فلا يبصر الشيطان من حيث يأتيه وقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قلب المؤمن أجرد فيه سراج يزهر في تقسيمه القلوب وروينا عن أبي سعيد

عليه وسلم أنه قال أيما رجل ظلم شبراً من الأرض كلفه الله عز وجل أن يحفره حتى يبلغ آخر سبع أرضين ثم يطوقه إلى يوم القيامة حتى يقضى بين الناس م عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتدرون من المفلس قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع فقال إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار م قال صلى الله عليه وسلم من استعملناه منكم على عمل فكتمنا مخيطاً فما فوقه كان غلولاً يأتي به يوم القيامة م عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لما كان يوم خيبر أقبل نفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا فلان شهيد وفلان شهيد حتى مروا على رجل فقالوا فلان شهيد فقال النبي صلى الله عليه وسلم كلا إني رأيته في النار في بردة غلها أو عباءة وفي مسند أحمد والحاكم عن عبد الله ابن جعفر أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل حائطاً لبعض الأنصار فإذا فيه جمل فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم ذرفت عيناه

اذالم أنافس في هواك ولم أغر * عليك ففيمن ليت شعرى أنافس

وقال المكروب بالبعد المغصص بالفقد

فكيف يصنع من أقصاه مالكه * فليس ينفعه طب الاطباء

من غص داوى بشرب الماء غصته * فكيف يصنع من قد غص بالماء

وشتان بين عبد منقطع الى ربه بخدمه وآخر منقطع لخدمة الخلق يعبدهم وكم بين عبد منقطع عن الناس و بين عبد موصول به الوسواس وشتان بين عبد منقطع بالشوق الى المولى و بين عبد منقطع بالهوى معانق للدنيا فهذه مقامات المقربين بالحسنى واضدادها مقامات المبعدين بالسوء فاذا كان العبد على وصف من الحقيقة وفى مقام من التقوى استحق الثناء من مولاه لتحققه بالوصف ونال القرب من القريب لتبعده عن حظوظ النفس وفى حسن الثناء من العظيم الاعظم غاية الطالبين ونهاية رغبة الراغبين ولا يكون ذلك الا لاوليائه المتقين وحزبه المفلحين وعباده الصالحين وهم أهل القلوب السليمة الطاهرة وذوو الجوارح الخاشعة الذاكرة وأولو الالباب الراجحة الفاخرة وهم ثلاث طبقات من مقربى أصحاب اليمين أهل العلم بالله تعالى وأهل الحب لله تعالى وأهل الخوف من الله تعالى فهؤلاء خصوص أوليائه المقربين استحضرهم فحضروا واستحفظهم العلم فحفظوا واستشهدهم عليه فشهدوا وافهم الادلة منه عليه وهو دليلهم اليه وهم جامعو العباد به وهو جامعهم عنده لديه ابدال الانبياء والربانيون من العلماء أئمة المتقين وأركان الدين أولو القوة والتمكين الذين كشف لهم الكتاب المستبين وهداهم اليه الطريق المستقيم عليه وهم المنظور الى قلوبهم كفاحا والمقصودون بالمزيد والتحف مساء وصباحا ومن سواهم من عموم المؤمنين من القراء والعباد وأهل المجاهدة والزهد والاوراد قد أعطاهم الولايات وفرقهم فى الاعمال والسياحات وأظهر لهم الايات تسكينا لقلوبهم بها وطمأنينة منهم اليها لئلا تدخل عليهم الشبهات فيهلكوا ولا تجذبهم الشهوات فيرجعوا فشغلوا بالاظهار عن الظاهر وحجبوا بالظواهر عن الباطن واغتبطوا بالحجاب وسكنوا الى الاسباب وعكفوا على المقامات واستتروا بالملكوت والآيات فهم مغبوطو الاموات من أهل الدنيا وهم مرحومو الاحياء من أهل العلى الاعلى لان قربهم بعد عند المقربين وكشفهم حجب عند المشاهدين وعطاءهم رد عند المواجهين الا ان الله تعالى نظر اليهم لما نظروا لنفوسهم حكمة ورحمة منه لهم فسكنهم فى حالهم ورضاهم بقسامهم كيلا تشتت قلوبهم ولا تتحير عقولهم والسابقون الاولون هم الوجهة العليا والمتمسكون بالعروة الوثقى نظروا اليه سبحانه وتعالى به فنظر اليهم منه فهم كما وصفهم ومن الناس من يشترى نفسه ابتغاء مرضاة الله لا يرجعون الى مال ولا ينظرون الى حال يحبهم ويحبونه رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه فهم كما وصفوا فى الكتب السالفة قال الحواريون يا روح الله صف لنا أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فقال هم الذين نطق بهم الكتاب وبه نطقوا وبهم علم الكتاب وبه علموا وبهم قام الكتاب وبه قاموا نظروا الى باطن الدنيا حين نظر الناس الى ظاهرها وعاينوا آجل الدنيا حين عاين الناس عاجلها فاماتوا منها ما خشوا أن يميتهم وتركوا منها ما علموا ان سيتركهم فصار دركهم منها فوتا وفرحهم بها حزنا ما عارضهم منها رفضوه وما أشرف لهم بغير الحق وضعوه خلقت الدنيا عندهم فلم يجددوها وخربت فيما بينهم فلم يعمروها وماتت فى صدورهم فلم يحيوها اقدموها فبنوا بها آخرتهم أحيوا ذكر الموت وأماتوا ذكر الحياة يحبون الله ويحبون ذكره ويستضيؤن بنوره ويضيؤن به لهم خبر عجيب وعندهم أعجب الخبر العجيب وقال عز وجل فى وصفهم ومن أحسن من الله حديثا والربانيون والاحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء وقال تعالى شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط وفيها مقرأ غريب بمعنى الجمع للشهداء وكأنه جعل وصفا لما تقدم من ذكرهم فى قوله تعالى الصابرين والصادقين الى قوله والمستغفرين بالاسحار شهد الله انه لا اله الا هو وقال كفى

بالله

وأنتم لا تنزجرون بالوعظ عن المعاصى والاباطل ولا تقتدون بالسادة الافاضل يا غافلا والموت يقفو اثره كيف بك اذا شاهدت السماء منفطرة وحافظك قد أحصى ما عملت من خير وشر وأحضره وقد تركبت عليك الحجة وتعذرت المعذرة فهنالك يجد الانسان من الاحسان والعصيان ما أحضره فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وينشد شعر

ولو انا اذا متنا تركنا * لكان الموت راحة كل حى
ولكنا اذا متنا بعثنا * ونسئل بعده عن كل شى

وفو قاطر بن بعشرخمس من الف العسام نونوشمس كى وأصلى حزنا ران عصينا والانعفا بالعيش الرخى

اللهم أصلح منا وأصلح فساد قلوبنا وأصلح فساد أعمالنا وأصلح فساد أقوالنا وأصلح فساد ولاة أمورنا وأصلحنا بما أصلحت به عبادك الصالحين

(فصل) فى الظلم قال الله سبحانه وتعالى ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع م عن أبى امامة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة قال رجل وان كان شيأ يسيرا يا رسول الله قال وان كان قضيبا من أراك (١) عن النبى صلى الله

الاسباب كما قال تعالى فى احكام ماذكرناه تكملة لما اخبرنا بما سبق فى علمه أعطى كل شئ خلقه ثم
هدى وقال تعالى أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب وقال تعالى كتب عليه انه من تولاه فانه يضله
ويهديه الى عذاب السعير والخاطر السادس هو خاطر اليقين وهو روح الايمان ومزيد العلم يردان
اليه ويصدران عنه وهذا الخاطر مخصوص بخصوص لا يعده الا الموقنون وهم الشهداء والصديقون
لا يرد الا بحق وان خفى ورده ودق ولا يقدح الا بعلم اختيار لمراد مختار وان اطفئت أدلته وبطن وجه
الاستدلال به ولكن ليس يخفى هذا الخاطر على مقصوديه ومراده وهم الذين وصفهم الله تعالى بالذكرى
ورد الرسول صلى الله عليه وسلم اليهم الفتيا فقال سبحانه ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أى من تولى الله
حفظ قلبه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حاك فى صدرك فدعه والاثم حواز القلوب يعنى ما يؤثر
فيها فيحزها لرقتها وصفائها ولينها ولطفها وقال للرجل الذى سأله عن البر والاثم وهما أصلا اعمال الخير
والشر استفت قلبك وان أفتاك المفتون أى ان المتقين يعلمون معانى التأويل والرخصة عن علوم العلانية
وأنت على علم فوقهم مطالب بالتحقيق والعزيمة عن علم السر وأهل الظاهر أيضا يعلمون حكم الله تعالى
الظاهر عن علم اللسان الظاهر الذى هو حجة على أهل العلم الظاهر وقلبك فقيه منور بالايمان تنظر به أو
ينطق به حكم الله تعالى الباطن عن علم القلب الباطن الذى هو حقيقة الايمان ومنفعة لاهل العلم الباطن
ولا يصلح ان يرد رسول الله صلى الله عليه وسلم سائلا الا الى فقيه فلولا ان علم القلب هو حقيقة الفقه ما رد صاحبه
من فتيا أهل الظاهر اليه ولا حكم على المفتين به فقد صار علم القلب هو علم العلم اذ جعله الرسول صلى الله عليه
وسلم قاضيا على المفتين بالحكم وصار عالم الباطن هو عالم العلماء اذلم يسعه تقليد العلماء وفى الحديث
الآخر البر ما اطمأن اليه القلب وسكنت اليه النفس وان أفتوك وأفتوك فهذا وصف قلب مكاشف بالذكر
ونعت نفس ساكنة بمزيد السكينة والبركة وصف من قلوب المؤمنين فى صريح الكلام وفى دليل الخطاب
فاما صريحه فقوله تعالى الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب وقوله تعالى
هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم وأما دليل الكلام الذى يشهد بالتدبر
فقوله تعالى فى وصف قلوب أعدائه الذين كانت أعينهم فى غطاء عن ذكرى وكانوا لا يستطيعون سمعا
ومثله أعندهم علم الغيب فهو يرى فمن تدبر معناه ان أولياءه المستجيبين له سامعون منه مكاشفون بذكره
ناظرون الى غيب وقال تعالى فى مثله مثل الفريقين كالاعمى والاصم هذا فريق المتبعين للسبل المتفرقة عن
سواء السبيل بهم الضالين عن سواء الصراط والبصير والسميع هو فريق المهتدين المتبعين الصراط المستقيم
وقال تعالى ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون أو ألقى السمع وهو شهيد ان كان الله يريد ان
يغويكم هو ربكم وقال صلى الله عليه وسلم فى جمل صفة القلب التقوى ههنا وأشار الى القلب وقال الله سبحانه
وتعالى فى ذكر القلوب المقفلة بالذنوب لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون وقال
تعالى فى فض طابعها بالتقوى واتقوا الله واسمعوا واتقوا الله ويعلمكم الله وفى الخبر اذا أراد الله بعبد خيرا
جعل الله له زاجرا من نفسه وواعظا من قلبه وفى الخبر الآخر من كان له من قلبه واعظ كان عليه من الله
حافظ ورد ينافى تفسير قوله تعالى ربنا اننا سمعنا مناديا ينادى للايمان قال سمعناه من وراء وقال فى ضده
لاعدائه أولئك ينادون من مكان بعيد أى بعيد عن قلوبهم وقال الله تعالى فى التوبة من ميل القلوب وهو مها
ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما ومعناه وهو اعلم بالوافات تتوبوا لتنذيرا لهم وقال فى حقيقة العمى
للقلب فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور فأهل القلوب يعلمون لا واعظا من خلق
ويزدجرون بلا زاجر فى ظاهر وسائر ماذكرناه من الخواطر لا تعدمها المؤمنون والقلب خزانة الله تعالى من
خزائن الغيب وهذه المعانى جنود الله تعالى مفوضة حول القلب يخفى منها ما يشاء ويظهر ويبدى منها ما يريد
ويعيد ويبسط القلب بما يشاء منها ويقبضه فيما شاء منها وكل قلب اجتمع فيه ثلاثة معان لم تفارقه خواطر

الله عليه وسلم قال ان أعظم
الذنوب عند الله ان يلقاه
بها عبد بعد الكبائر التى
نهى الله عنها ان يموت
رجل وعليه دين لا يدع له
قضاء وفى شعب الايمان
للبيهقى والترغيب والترهيب
للاصبهانى عن خولة بنت
قيس امرأة حمزة عن ابن
عباس رضى الله عنهما ان
النبى صلى الله عليه وسلم
قال من مشى الى غريمه بحقه
صلت عليه دواب الارض
ونون الماء وغرس الله له
بكل خطوة شجرة فى الجنة
ولا غريم يلوى غريمه
وهو قادر الا كتب الله
عليه فى كل يوم اثما خ قال
رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثلاثة انا خصمهم يوم
القيامة رجل أعطى بى ثم
غدر ورجل باع حرا فأكل
ثمنه ورجل استأجر أجيرا
فاستوفى منه ولم يعط أجره
خ عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه ذكر رجلا
من بنى اسرائيل سأل بعض
بنى اسرائيل ان يسلفه ألف
دينار فقال ائتنى بالشهداء
أشهدهم فقال كفى بالله
شهيدا قال فأتنى بالكفيل
قال كفى بالله كفيلا قال
صدقت فدفعها اليه الى
أجل مسمى فخرج فى البحر
فقضى حاجته ثم التمس
مركبا يركبها يقدم عليه
للاجل الذى أجله فلم يجد
مركبا فأخذ خشبة فنقرها
فأدخل فيها ألف دينار
وصحيفة منه الى صاحبه ثم

الخدري وأبي كبشة الانماري وبعضه أيضا من حذيفة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال القلوب أربعة قلب فيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن وقلب اسود منكوس فذلك قلب الكافر وقلب أغلف مربوط على غلافه فذلك قلب المنافق وقلب مصفح فيه ايمان ونفاق فمثل الايمان فيه مثل البقلة يمدها الماء الطيب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والصديد فاى المدتين غلبت عليه حكم له بها وفي لفظ بعضهم غلبت عليه ذهبت به وقال الله تعالى ومن أحسن من الله قيلا ان الذين اتقوا اذا مسهم طيف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون فأخبر ان جلاء القلوب الذكر به يبصر القلب وان باب الذكر التقوى به يذكر العبد فالتقوى باب الآخرة كما ان الهوى باب الدنيا وأمر الله تعالى بالذكر وأخبر انه مفتاح التقوى لانه سبب الاتقاء وهو الاجتناب والورع فقال تعالى واذكروا ما فيه لعلكم تتقون وأخبر انه أظهر البيان للتقوى في قوله كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون وقال تعالى يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك وقال تعالى لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم وقال ومن كل شئ خلقنا زوجين لعلكم تذكرون ففي التسوية والتعديل والازدواج والتقويم أدوات الظاهر واعراض الباطن وهي حواس الجسم والقلب فادوات الجسم هي الصفات الظاهرة واعراض القلب هي المعاني الباطنة قد عدلها الله تعالى بحكمته وسواها على مشيئته وقومها اتقانا بصنعته واحكاما بصنعة أولها النفس والروح وهما مكانان للقاء العدو والملك وهما شخصان ملقيان للفجور والتقوى ومنها غرضان متمكنان في مكانين وهما العقل والهوى عن حكمين في مشيئتها كرهما التوفيق والاغواء ومنها نوران ساطعان في القلب عن تخصيص من رحمة راحم وهما العلم والايمان فهذه أدوات القلب وحواسه ومعانيه الغائبة وآلاته والقلب في وسط هذه الادوات كالملك وهذه جنوده تؤدي اليه أو كالمرآة المجلوة وهذه الآلة حوله تظهر فيراها او يقدح فيه فيجدها فتفصيل ذلك على الايجاز ان جمل الخواطر ستة هي حدود القلب وقوادحه من وراء خزائن الغيب وملكوت القدرة وهي جنود الله تعالى عندية وسلطان منه مبين والقلب خزانة من خزائن الملكوت قد اودعه مقلبه من لطائف الرغبوت والرهبوت وشعشع فيه من أنوار العظمة والجبروت ما شاء لاهل الرفيق الاعلى وذوي الملكوت الادنى فأول التفصيل خاطر النفس وخاطر العدو وهذان لا يعدمهما عموم المؤمنين وهما مذمومان محكوم لهما بالسوء لا يردان الا بالهوى وضد العلم وخاطر الروح وخاطر الملك وهذان لا يعدمهما خصوص المؤمنين وهما محمودان لا يردان الا بحق ويدل عليه العلم وخاطر العقل وهو متوسط بين هذه الاربعة يصلح للمذمومين فيكون حجة على العبد لمكان تمييز العقل وتقسيم المعقول لان العبد يدخل في هواه بشهوة جعلت له واختيار لا يعسر عليه من حيث لا بعقل ولا اجبار ويصلح أيضا للمحمودين فيكون شاهدا للملك ومؤيدا لخاطر الروح ويثاب العبد في حسن النية وصدق القصد وانما كان خاطر العقل تارة مع النفس والعدو وتارة مع الروح والملك حكمة من الله تعالى لصنعته واتقانا لصنعه ليدخل العبد في الخير والشر بوجود معقول وصحة شهود وتمييز فيكون عاقبة ذلك من الجزاء والعقاب عائدا له وعليه اذ قد جعل سبحانه هذا الجسم مكانا لجريان أحكامه ومحلا لنفاذ مشيئته في مباني حكمته كذلك جعل العقل مطية للخير والشر يجري معهما في خزانة الجسم اذ كان مكانا للتكليف وموضعا للتصريف وسببا للتعريف العائد من معاني ذلك على صورة العبد من لذة النعيم أو عذاب أليم فلم يكن العقل غائبا فيكون العبد عن العقل ذاهبا ولم تكن الشهوة عازبة فتكون النفس مفقودة اذ في ذلك تضعيف لحجة الله تعالى عليه ووهن لبرهانه لان العقل شاهد الحجة والشهوة في النفس مكان البلوى والنية في القلب طريق الجنة وذلك أصل سبب عود جزاء الامر والنهي فالعقل مطبوع على التمييز مجبول على التحسين والتقبيح والنفس مجبولة على الشهوة مطبوعة على الامر بالهوى وهذا نصيبهما من عطائه وهداه لهما الى رشاده واغوائه وحظهما من الكتاب وقسمهما من ولي

فسمع النبي صلى الله عليه وسلم حنانه فسكن وفي رواية فمسح ترقوته فسكن ثم قال من رب هذا الجمل فجاء فتى من الانصار فقال هو لي يا رسول الله فقال الا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله اياها فانه يشكو الي انك تجيعه وتدئبه وروى البيهقي عن أبي سلمة عن أبي هريرة انه سمع رجلا يقول ان الظالم لا يضر الا نفسه فقال أبو هريرة كذب والذي نفسي بيده ان الحبارى لتموت هزلا من خطايا بني آدم يعني اذا كثرت الخطايا منع الله تعالى القطر عن أهل الارض وانما يصيب الطير من الحب والثمر على قدر القطر

(فصل) في الدين قال الله تعالى ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ان الله نعما يعظكم به ان الله كان سميعا بصيرا تق عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نفس المؤمن معلقة بدينه حتى يقضى عنه وروى أحمد قال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده لو ان رجلا قتل في سبيل الله ثم عاش ثم قتل في سبيل الله ثم عاش ثم قتل في سبيل الله ثم عاش وعليه دين ما دخل الجنة حتى يقضى دينه اد عن أبي موسى عن النبي صلى

رجل فادرك تكبيرة الاحرام ثم جاء آخر فادرك الركوع ثم جاء آخر فادرك الركعة الثانية ثم جاء ثالث فادرك الركعة الثالثة ثم جاء رجل رابع فادرك الركعة الآخرة فكلهم قد صلوا وأدركوا الصلاة في جماعة ونال فضلها لقوله صلى الله عليه وسلم من أدرك من الصلاة ركعة فقد أدرك الصلاة ولكن ليس من أدرك الركعة الاولى في كمال الصلاة وادراك حقيقتها كمن أدرك الثالثة والرابعة ولا يكون أيضا من أدرك التكبيرة للاحرام في الفضل كمن لم يدرك شيأ من القيام وهما مدركان معا فكذلك المؤمنون في كمال الايمان وحقائقه لا يستوون وان استووا في الاسم والمعنى وكذلك في تفاوتهم في الآخرة فقد جاء في الخبر انه يقال أخرجوا من في قلبه مثقال ذرة من ايمان ونصف مثقال وربع مثقال وشعيرة وذرة من ايمان فقد حصلوا متفاوتين في الايمان ما بين الذرة الى المثقال وكلهم قد دخل النار الا انهم على مقامات فيها وفيه دليل ان من كان في قلبه وزن دينار من ايمان لم يمنعه ذلك من دخول النار لعظم ما اقترف من الاوزار وان من كان في قلبه وزن ذرة من ايمان لم يحق عليه الخلود في دار الهوان لتعلقه بيسير الايقان وان من زاد ايمانه على وزن دينار لم يكن للنار عليه سلطان فكان من الابرار وان من نقص ايمانه عن ذرة لم يخرج من النار وان كانت سيماه واسمه في الظاهر في المؤمنين لانه في علم الله من المنافقين الفجار وقد قال الله تعالى في وصفهم وان الفجار لفي جحيم ثم قال وما هم عنها بغائبين ثم صار صاحب المثقال والذرة في الجنة على تفاوت درجات وكان الزائد ايمانه على مثقال في أعلى عليين على هؤلاء وترفع أهل الدرجات العلى على أهل عليين ارتفاع الكوكب الذي في أفق السماء وكلهم قد اجتمع في الجنة على تفاوت مقامات وتعالى درجات وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس شئ خيرا من ألف مثله الا الانسان فلعمري ان قلب المؤمن خير من ألف قلب مسلم لان ايمانه فوق مائة ايمان مؤمن وعلمه بالله تعالى أضعاف علم مائة مسلم ويقال ان واحدا من الابدال الثلاثمائة قيمته قيمة ثلاثمائة مؤمن وكان أبو محمد يقول يعطي الله تعالى بعض المؤمنين من الايمان بوزن جبل أحد ويعطي بعضهم مثل ذرة وقد قال الله تعالى وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين بالعلو ولا نهاية لعلو الايمان فصار علو كل قلب على قدر ايمانه ولذلك رفع العلماء على المؤمنين درجات في قوله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ففسرها ابن عباس رضي الله عنه فقال الذين أوتوا العلم فوق المؤمنين بسبعمائة درجة بين كل درجتين كما بين السماء والارض وفي الخبر أكثر أهل الجنة البله وعليون لاولي الالباب وعن النبي صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب وروينا في لفظ أبلغ من هذا كفضلي على أمتي فالموقنون من المؤمنين أعلى ايمانا والعالمون من الموقنين أرفع مقاما ثم على قدر بياض الماء يستبين من القنديل حسنه وصفاؤه ومثل هذا العقل في صحته من الاعتلال وصفائه من كدر الاحوال والاهوال ويجمع ذلك كله القنديل وهو القلب فعلى قدر رقة القلب ولطف جوهره وصفائه من كدره وحسن طهارته من الآثار تكون هذه العلوم فيه والانوار وجوهر الزجاجة في الصفاء يحتاج الى صفاء الماء كما ان صفاء الماء يحتاج الى صفاء الجوهر وبعيارهما يكون القلب والعقل ووقود النور يحتاج الى قوة الفتيلة ومدد الزيت فيه وضعفها في القوة والمدد يكون العلم بالله تعالى واليقين ذلك تقدير العزيز العليم وكل قلب اجتمع فيه ثلاثة معان لم يفارقه خواطر الهوى الجهل والطمع وحب الدنيا ثم يضعف خاطر الهوى ويقوى على قدر تمكن هذه الثلاثة من النفس وحقائقها على مثل ما ذكرناه من تمكن خواطر اليقين ومنعها الوجود مكانها وهو العلم والايمان والعقل وفي القلب يظهر سلطان ذلك أجمع فاى جند كانت المشيئة معه غلب وروينا عن علي عليه السلام ان لله في أرضه آنية وهي القلوب فاحبها اليه أرقها وأصفاها وأصلبها ثم فسره فقال أصلبها في الدين وأصفاها في اليقين وأرقها على الاخوان فمثل القلوب مثل الاواني في تفاوت جوهرها فارقها وأصفاها وأعلاها يصلح للملك والوجد والطيب وأكثفها وأرداها يصلح للادناس وما بين ذلك يصلح لما بينهما ومثلهما أيضا مثل الموازين الطيار اللطيف والمعيار

الله فقال له عيسى ما كنت تعمل في دار الدنيا فقال كنت حمالا أحمل على رأسي واتقوت فحملت ذات يوم لانسان حطبا فكسرت منه خلالا تخللت به فلما مت أوقفني بين يديه وقال ياعبدي أما علمت ان موقفك بين يدي فلان اشترى الحطب بماله وأعطاك الكراء لتؤديه الى منزله فاخذت منه شظية لا تملكها استهونت بامري فسألتك بالله ياروح الله الا ما شفعت لي عند الله فاني في الحساب منذ أربعين سنة اخواني تفكروا في عواقب الذنوب كيف يفنى اللذات ويبقى العيوب بالله عليكم احذروا طلب المعاصي فبئس المساوي يا ابن آدم أخرج أبوك من الجنة بلقمة وانت تطمع في دخولها بذنوب جمة أتظن ان الامر يسير أم تحسب ان الناقد غير بصير وكأني بك وقد نقلت من القصور الى القبور ومن القبور الى النشور

شعر

مثل وقوفك يوم الحشر عريانا
مستوحشا قلق الاحشاء حيرانا
النار تزفر من غيظ ومن حنق
على العصاة وتلقى الرب غضبانا
اقرأ كتابك ياعبدي على مهل
فانظر اليه ترى هل كان ما كانا
لما قرأت كتابا لا يغادر لي
حرفا وما كان في سر واعلانا
قال الجليل خذوه يا ملائكتي

اليقين ولكن يضعف الخاطر و يخفى لضعف المعانى ودقتها او يقوى اليقين و يظهر بقوتها الان هذه الثلاثة مكان اليقين أحدها الايمان وموضعه من اليقين مكان الناروالثانى العلم ومكانه موضع الزناد والثالث العقل وهو مكان الحراق فاذا اجتمعت هذه الاسباب قدح خاطر اليقين فى القلب ومثل القلب فى قوته بقوة مدده وفى صفائه بجودة عدده مثل المصباح فى القنديل الى مكان العقل منه والزيت موضع العلم به وهو روح المصباح و بمدده يكون ظهور اليقين والفتيلة مكان الايمان منه وهى أصله وقوامه الذى يظهر بها فعلى قدر قوة الفتيلة وجودة جوهرها يقوى اليقين وهو مثل الايمان فى قوته بالورع وكماله بالخوف وعلى مقدار صفاء الزيت ورقته واتساعه تضىء النار التى هو اليقين وهو مثل العلم فى مدد الزهد وفقد الهوى فصار العلم مكانا للتوحيد فتمكن الموحد فى التوحيد على قدر المكان وقد قال الله تعالى فاعلم انه لا اله الا الله وقال تعالى فاعلموا أن ما انزل بعلم الله وان لا اله الا هو فقدم العلم على التوحيد فصار أوّله فكلما اتسع القلب بالعلم بالله وزهد فى الدنيا ازداد ايمانا وعلا لانه يرى فى علوه ما لا يراه غيره و يعلم فى اتساعه ما لا يعلمه سواه فيكبر المؤمن به فيكون ذلك مزيدا ايمانه وقوته ثم يشهد كل ما آمن به فيكون بذلك قوة نفسه وسعة مشاهدته وكلما قصر علم القلب بالله تعالى وبمعانى صفاته وأحكامه لكونه قل ايمان هذا العبد ثم أشهد ما آمن به من وراء حجاب لما غلب عليه من حب الاسباب وسمع الكلام من خلف ستر لعجزه عن المسارعة الى البر فيضعف بذلك ايمانه و يتخيل مشاهدته ولا يتحقق فليس من علم من صفات الله سبحانه وتعالى وقدرة آياته مائة ألف معنى ثم شهدها كلها من قريب عن كشف مثل من علم منها عشرة معان ثم شهدها من بعد عن حجاب وهما مؤمنان معا لكن بين ايمانهما فى القرب والعلو والزيادة والنقصان كما بين العشرة الى مائة ألف فيكون ايمان قلب المسلم معشار معشار عشر ايمان قلب الموقن والمعشار هو عشر العشر جزء من مائة جزء و يكون ايمان قلب المؤمن فيما بين ذلك من الزيادة على العشر والنقصان من مائة ألف على قدر قسمه ومثل ذلك فيما نعقله مثل رجل قال لك ان عندى فلانا فقد حصل لك علم انه عنده غير ان هذا العلم غير يقين لانه يجوز ان يكون قد اشتبه عليه و يكون قد كان عنده ثم خرج وليس هو الآن عنده وهذا مثل ايمان المسلم هو على علم خبر لا خبر ثم انك تأتى الى وتسمع كلامه من وراء حجاب فقد علمت الآن انه عندى لانك سمعت كلامه واستدللت به على كونه الا ان هذا العلم أيضا غير تحقيق لان الاصوات تشتبه والاجرام تتقارب ولو قلت لك بعد ذلك لم يكن عندى وانما كان ذلك غيره أشبه صوته تشككت فيه لاحتمال ذلك ولم يكن عندك يقين عين تدفع به قولى ولا شهادة نظر تنكر بها على وهذا مثل لايمان عموم المؤمنين فهو ايمان خبر لعمرى وفيه يقين استدلال ممتزج بظن الا انه غير مشاهدة العارفين لانه قد يدخل عليهم التخييل والتشبيه فلا يدفعونه بشهادة يقين ثم انك تدخل الى الآن بعد ان قيل لك هو عندى أو بعد ان سمعت كلامه فتشهده جالسا لا حجاب بينك و بينه فهذا هو يقين المعرفة وهذه شهادة الموقن وعندها انتفى كل شك وتحقق خبر العلم وهذا مثل لعلم ايمان الموقنين الذى قد اندرج فيه ايمان عموم المؤمنين من علم الخبر المحتمل ومن سماع الكلام المشتبه من وراء حجاب واسم الايمان واقع على جميعهم ولكن الاول علم انه عندى بما قيل له فصدق والثانى علم بما سمع فاستدل ولم يشهد فقطع والثالث هو الذى عاين فقطع وقد شهد له الرسول صلى الله عليه وسلم بالمزيد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الخبر كالمعاينة وقال وليس المخبر كالمعاين ومثل هذا أيضا ان ترى الشئ بالنهار فتعرفه معرفة عين وتعرف مكانه بنظر لا تخطئه ثم انك تحتاج اليه ليلا فلست تعرف مكانه رأى عين وانما تقصده بمعرفة استدلال عليه و بحسن ظن انه موجود على حاله أو بعرف بشئ معهود انه لا يتحول وكذلك الادلة هى العلامات ومواقع المشاهدات وبمعناها رؤية الشئ بنور القمر فانه يشبح و يلوح المشكلات ورؤيته فى ضياء الشمس فانها تكشف الامر على ما هو به فهذا مثل نور اليقين الى نور الايمان ومثل رابع فى تفاوت المؤمنين فى حقيقة الكمال ودخولهم فى الاسم والمعنى مثل صلاة رباعية أقيمت فجاء

رجل

زججه و شهها ثم اتى بها الى البحر فقال اللهم انك تعلم انى كنت تسلفت فلانا ألف دينار فسألنى كفيلا فقلت كفى بالله كفيلا فرضى بك وسألنى شهيدا فقلت كفى بالله شهيدا فرضى بك وانى جهدت ان أجد مركبا أبعث اليه الذى له فلم أقدر وانى استودعكها فرمى فى البحر حتى ولجت فيه ثم انصرف وهو فى ذلك يلتمس مركبا يخرج الى بلده فخرج الرجل الذى كان أسلفه ينظر لعل مركبا قد جاء بماله فاذا بالخشبة التى فيها المال فأخذها لاهله حطبا فلما نشرها وجد المال والصحيفة ثم قدم الذى كان أسلفه فاتى بالف دينار فقال والله ما زلت جاهدا فى طلب مركب لآتيك بمالك فما وجدت مركبا قبل الذى أتيت فيه قال هل كنت بعثت الى بشئ قال أخبرتك انى لم أجد مركبا قبل الذى جئت فيه قال فان الله قد أدى عنك الذى بعثت فى الخشبة فانصرف بالالف الدينار راشدا خ م عن أبى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال كان رجل يداين الناس فكان يقول لفتاه اذا أتيت معسرا تجاوز عنه لعل الله ان يتجاوز عنا قال فلقى الله فتجاوز عنه وفى الزهر الفائح وغيره قيل مر عيسى صلوات الله عليه بمقبرة فنادى رجلا فاحياه

بالشاهد الصحيح والحق الصريح ومثله قوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا قيل الذين يعملون بما
يعلمون قال نوفقهم فيهديهم الى ما لا يعلمون حتى يكونوا علماء حكماء وقال بعض السلف نزلت هذه الآية في
المتعبدين المنقطعين الى الله سبحانه وتعالى المستوحشين من الناس فيسوق الله تعالى اليهم من يعلمهم أو
يلهمهم التوفيق والعصمة وفي الخبر من علم بما يعلم أورثه الله تعالى علم ما لم يعلم ووفقه فيما يعمل حتى
يستوجب الجنة ومن لم يعمل بما يعلم تاه فيما يعلم ولم يوفق فيما يعمل حتى يستوجب النار يعني أورثه علم ما لم
يعلم أي من علوم المعارف التي هي مواريث أعمال التقوى بمثل الفرق بين الاختبار والاختيار والابتلاء
والاجتباء والمثوبة والعقوبة ومعرفة النقص من المزيد والقبض والبسط والحل والعقد والجمع والتفرقة
الى غير ذلك من علوم العارفين بعد حسن التقوى والادب عن مشاهدة الرقيب والقرب لعمة المواجيد
والقلوب وقال بعض التابعين من عمل بعشر ما يعلم علمه الله تعالى ما يجهل وقد قال حذيفة أنتم اليوم في زمان
من ترك عشر ما يعلم هلك وسيأتي بعده زمان من عمل بعشر ما يعلم نجا وقال بعضهم كلما ازداد العبد عبادة
واجتهادا ازداد القلب قوة ونشاطا وكلما كل العبد وفتر ازداد القلب ضعفا ووهنا وليس يكاد علم اليقين
يقدح في معدن العقل لان علوم العقل مخلوقات ولا يكاد ينتجه الفكر ولا يخرجه التدبر فيما أنتجته الافكار
واستخرجته الفطرة من الخواطر والعلوم فتلك علوم العقل وهي كشوف المؤمنين ومحمودات لاهل الدين فأما
خاطر اليقين فانه يظهر من عين اليقين ينادى به العبد مناداة ويعنته مفاجأة لانه مخصوص به مراد مقصود
به محبوب متولى به مطلوب لا يجده الا عارف أو خائف أو محب ومن سوى هؤلاء فحاله محجوب بعاداته
مطلوب والى مقامه ناظر وفي طريقه يحقق له سائر فأما العارفون المواجهون بعين اليقين المكاشفون بعلم
الصديقين فانهم مسيرون محمولون سابقون مستهترون قد وضعت الاذكار عنهم الاوزار كما جاء في الخبر سيروا
سبق المفردون بالفتح والمفردون أيضا بالكسر فهم مفردون لله تعالى بما أفردهم الله تعالى كما قال جل
ذكره حافظات للغيب بما حفظ الله قيل ومن المفردون قال المستهترون بذكر الله وضع الذكر أوزارهم
فوردوا القيامة خفافا فلما أفردهم الله تعالى عمن سواهم له أفردوه عما سواه به فذكرهم فاستولى عليهم
ذكره فاصطلم قلوبهم نوره تعالى فاندرج ذكرهم في ذكره فكان هو الذاكر لهم وكانوا هم المكان
لجاري قدرته عز وجل فلا يوزن مقدار هذا الذكر ولا يكتب كيفية هذا البر فلو وضعت السموات
والارض في كفة لرجح ذكره تعالى لهم بهم وهم الذين قال لهم فتى من واجهته بوجهي لعلم احد أي شيء
اريد أن أعطيه لو كانت السموات والارض في موازينهم لاستقللتها لهم أول ما أعطيهم ان أقذف من
نوري في قلوبهم فيخبرون عني كما أخبر عنهم وهذا هو ظاهر أوصافهم وأول عطاياهم فطالب هؤلاء
لا يعرف ونصيبهم لا يكيف ومطلوبهم كنه قدره لا يوصف عطاؤهم غير مخلوق ومشاهدتهم وصف
التحقيق بعين اليقين الى حق اليقين فأول نصيبهم من مطلوبهم علم اليقين وهو صفاء المعرفة بالله تعالى
وآخر علم الايمان أول عين اليقين وهو مشاهدة وصف معروف وهذه وجهة التوحيد ولا آخر
لاول علم اليقين ولا انقطاع لآخر نصيبهم من مشاهدتهم فظاهر التوحيد توحيد الله تعالى في كل
شيء وتوحيده بكل شيء ومشاهدة افراده قبل كل شيء ولا نهاية لعلم التوحيد ولا غاية لمزيد عطاء
الموحدين ولكن لهم نهايات يوقفون عندها وغايات يصدرون عنها فتجعل أماكن لمزيدهم ويزدادون في
وسعها ويمدون بعلوم يطالبون بها مما يكاشفون به لما وراءها أبد الابد بلا آخر ولا أمد ولا يصل العبد الى
مشاهدة علم التوحيد الا بعلم المعرفة وهو نور اليقين ولا يعطى نور اليقين حتى يمخض الجوارح بالاعمال
الصالحات كما يمخض الزبد باللبن حتى تظهر الزبدة وهي علم اليقين وليست هذه الزبدة غاية الطالبين ولا بغية
الصديقين لان وراءها صفوها وخالصها ثم تذاب هذه الزبدة حتى يخلص سمنها وهو صفوها وخالصها وهذا
مثل لعين اليقين بعد علمه وبعد مشاهدة الوجد بمرآة القرب وهي نوره فحينئذ لا يفارقه وجده وحضوره

وسلم يا معشر النساء تصدقن
فاني أريتكن أكثر أهل
النار فقلن بم يا رسول الله
قال تكثرن اللعن
وتكفرن العشير وعن
أنس ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لا يصلح لبشر
ان يسجد لبشر ولو صلح لبشر
ان يسجد لبشر لأمرت
المرأة ان تسجد لزوجها من
عظم حقه عليها والذي
نفسي بيده لو كان من
قدمه الى مفرق رأسه
قرحة تنبجس بالقيح
والصديد ثم استقبلته تلحسه
ما أدت حقه وروى
البيهقي عن جابر قال قال
رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثلاثة لا تقبل لهم صلاة
ولا تصعد لهم حسنة العبد
الآبق حتى يرجع الى
مواليه فيضع يده في
أيديهم والمرأة الساخط
عليها زوجها والسكران
حتى يصحو وعن
ثوبان قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ايما
امرأة سألت زوجها طلاقا
في غير ما بأس فحرام عليها
رائحة الجنة وروى أبو نعيم
والطبراني انه جاء رجل
فقال يا رسول الله انه كان
لي حائط فيه معيشتي وعيش
عيالي ولي فيه ما شئت
[illegible]
وما لي وما فيه فلا يقدر
أحد أن يدنو منه فمشى
نبي الله صلى الله عليه وسلم
حتى أتى الحائط فقال
[illegible] وقال [illegible]

يصلح لوزن الذهب بالتعرير والمعيار والكثيف الجافي يصلح للقت والانعام ومابينهما يصلح لما بين ذلك فيوزن بكل ميزان ما اصلح له من كل شئ موزون كما يجعل في كل اناء ما يليق به من كل شئ مرذول أو مصون كذلك الحكم والحكمة في الملكوت الباطن كالحكمة والحكم في الملكوت الظاهر بتعديل الظاهر الباطن وفي تفسير قوله عز وجل مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة فسره أبي بن كعب قال مثل نور المؤمن وكذلك كان يقرأه قال فقلب المؤمن هو المشكاة فيها مصباح فكلامه نور وعمله نور و يتقلب في نور ثم قال في قوله تعالى أو كظلمات في بحر لجي قال قلب المنافق فكلامه ظلمة وعمله ظلمة و يتقلب في ظلمة وكان زيد بن أسلم يقول في قوله تعالى في لوح محفوظ قال قلب المؤمن وقال أبو محمد سهل مثل القلب والصدر مثل العرش والكرسي ورويناه في حديث ابن عمر قال قيل يارسول الله أين الله في الارض قال في قلوب عباده المؤمنين وفي الخبر المأثور عن الله تعالى لم يسعني سمائي ولا أرضي و وسعني قلب عبدي المؤمن وفي بعضها اللين الوادع فاللين يعني السهل الرقيق القريب والوادع يعني الساكن المطمئن وفي الخبر ما ألبس العبد لبسة أحسن من خشوع في سكينة فهذه لبسة المتقين وصبغة الله تعالى للعارفين وفي الحديث قيل يارسول الله من خير الناس قال كل مؤمن مخموم القلب ثم فسره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هو التقي النقي الذي لا غش فيه ولا بغي ولا غل ولا حسد وقال بعض العارفين في معنى قوله تعالى الا من أتى الله بقلب سليم أي مما سوى الله ليس فيه غير الله وفي قول أهل التفسير سليم من الشرك والنفاق وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشرك في أمتي أخفى من دبيب النمل وهذا لا يعدمه المؤمنون الا الصديقين وقال أكثر منافقي أمتي قراؤها وهذا لا يعدمه العابدون الا العارفين ومن خواطر اليقين ما يرد بشئ لا تظاهر دلائله في الظاهر لخفائه وغموض شواهده فليس يعلم الا بباطن العلم وغامض الفهم والغوص على لطائف معاني التبيين وباطن الاستنباط من فهم التنزيل وتعليم التأويل كما قال الحبيب الخليل رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن عباس اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل وكما قال علي بن أبي طالب ماعندنا شئ أسره الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم سوى كتاب الله تعالى الا ان يؤتي الله تعالى عبدا فهما في كتابه وكما جاء في تفسير قوله تعالى يؤتي الحكمة من يشاء قال الفهم في كتاب الله وقال أصدق القائلين ففهمناها سليمان نفصه بفهم منه زاده به فوق الحكم والعلم الذي شركه فيه أباه فزاده على فتيا أبيه و روينا عن علي عليه السلام في الحديث الطويل الذي يقول فيه واليقين على أربع شعب على تبصرة الفطنة وتأويل الحكمة وموعظة العبرة وسنة الاولين فمن تبصر الفطنة تأول الحكمة ومن تأول الحكمة عرف العبرة ومن عرف العبرة كان في الاولين الا ان أهل اليقين المرادين به العارفين بأحكام الله تعالى الباطنة يعلمون تفصيل خواطر اليقين ومقتضاها من حيث أشهدوا مطالعها من الغيب و بحيث عرفوا موجبها من الوصف بنور الله الثاقب وقربه الحاضر وسلطانه النافذ كما جاء في الخبر اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله تعالى أي باليقين وفي لفظ آخر اتقوا فراسة العالم فكأنه مفسر له ومنه قوله تعالى وان في ذلك لآيات للمتوسمين وقوله قد بينا الآيات لقوم يوقنون أي بنور اليقين وكان أبو الدرداء يقول المؤمن ينظر الى الغيب من وراء ستر رقيق والله انه للحق يقذفه الله تعالى في قلوبهم و يجريه على ألسنتهم وقال بعض العلماء ظن المؤمن كهانة أي كأنه سحر من نفاذه وصحته وقوعه وقال بعض العلماء يد الله تعالى على أفواه الحكماء لا ينطقون الا بما هيأ الله عز وجل لهم من الحق وقال آخر لو شئت لقلت ان الله يطلع الخاشعين على بعض سره وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى أمراء الاجناد احفظوا ما تسمعون من المطيعين فانهم يتجلى لهم أمور صادقة وقال الله تعالى ومن أصدق من الله قيلا يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا قيل نورا تفرقون به بين الشبهات و يقينا تفرقون به المشكلات ومن هذا قوله سبحانه وتعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا قيل مخرجا من كل أمر ضاق على الناس و يرزقه من حيث لا يحتسب يعلمه علما بغير تعليم و يفطنه بغير تجربة أي

عمر وابعدى الى النيران عطاشانا
يارب لا تخزنا يوم الحساب ولا تجعل لنارك فينا اليوم سلطانا

(فصل في النشوز والعشرة) قال الله تعالى الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله ت عن عمرو بن الاحوص انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول بعد ان حمد الله تعالى وأثنى عليه وذكر ووعظ ثم قال الا فاستوصوا بالنساء خيرا فانما هن عوان عندكم ليس تملكون منهن شيأ غير ذلك الا ان يأتين بفاحشة مبينة فان فعلن فاهجروهن في المضاجع واضربوهن ضربا غير مبرح فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا الا وان لكم على نسائكم حقا ولنسائكم عليكم حقا فحقكم عليهن ان لا يوطئن فرشكم من تكرهون ولا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون الا وحقهن عليكم ان تحسنوا اليهن في كسوتهن وطعامهن خ م قال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده مامن رجل يدعو امرأته الى فراشه فتأبى عليه الا كان الذي في السماء ساخطا عليها حتى يرضى عنها خ م عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه

فالتفت الى صاحب الشمال فسألته عنها وظننت ان عنده منها علما فقال لا أدرى فسألت صاحب اليمين وهو أعلم منه فقال لا أدرى فنظرت الى قلبى فسألته فحدثنى بما أجبتك واذا هو أعلم منهما وقد كان أبو يزيد وغيره يقولون ليس العالم الذى يحفظ من كتاب الله فاذا نسى ما حفظ صار جاهلا انما العالم الذى يأخذ علمه من ربه عز وجل أى وقت شاء بلا تحفظ ولا درس فهذا العمرى لا ينسى علمه وهو ذاكر أبدا لا يحتاج الى كتاب وهو العالم الربانى وهذا هو وصف قلوب الابدال من الموقنين ليسوا واقفين مع حفظ انما هم قائمون بحافظ وقد روينا فى الخبر ان من أمتى محدثين ومكلمين وان عمر منهم وقرأ ابن عباس وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى ولا محدث يعنى الصديقين وهذا كان طريق السلف من الصحابة وخيار التابعين اذا سئلوا وفقوا وألهموا الصواب لقربهم من حسن التوفيق وسلوكهم حقيقة محجة الطريق فخاطر اليقين اذا ورد على قلب مؤمن اضطرته مشاهدته الى القيام به وان خفى على غيره وحكم عليه بيانه وبرهانه بعقد دليله وان التبس على من سواه وقد قال الله تعالى فى تخصيص الموقنين قد بينا الآيات لقوم يوقنون هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون وقال فى نعت المتقين وما خلق الله فى السموات والارض لآيات لقوم يتقون وقال تعالى هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين وقال فى فضل العلماء بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم وقال قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون فحقيقة العلم انما هو من التقوى واليقين وهذا هو علم المعرفة المخصوص به المقربون وهب لهم الآيات وخصهم بالبيان والدلالات بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فهذه الخواطر تبدو فى القلوب عن هذه الاواسط التى هى خزائن الله تعالى من خزائن الارض ولله خزائن السموات والارض ولكن المنافقين لا يفقهون والفقه صفة القلب لا لسان العرب تقول فقهت بمعنى فهمت وابن عباس يفسر قول الله عز وجل لهم قلوب لا يفقهون بها يقول لا يفهمون بها او يجعل الفقه الفهم فخاطر اليقين والروح والملك من خزائن الله وخاطر العقل والنفس والعدو من خزائن الارض كما قيل النفس ترابية خلقت من الارض فهى تميل الى التراب والروح روحانى خلق من الملكوت فهى ترتاح الى العلو والقلب خزانة من خزائن الملكوت مثله كالمرآة تقدح هذه الخواطر عن أوساطها من خزائن الغيب فتوقد فى القلب فيتلألأ فيه للتأثير فمنها ما يقع فى سمع القلب فيكون فهما ومنها ما يقع فى بصر القلب فيكون نظرا وهو المشاهدة ومنها ما يقع فى لسان القلب فيكون كلاما وهو الذوق ومنها ما يقع فى شم القلب فيكون علما وهو الفكر وهو العقل المكتسب بتلقيح العقل الغريزى وهذا أقلها لبثا وأيسرها عناء وما وقع فى ناظر القلب وحسه فرق شغافه ووصل الى سويدائه وهو المباشرة كان وجدا وهذا هو الحال عن مقام مشاهدة ومن هذا قوله صلى الله عليه وسلم اسألك ايمانا يباشر قلبى وقال بعض العارفين اذا كان الايمان فى ظاهر القلب كان العبد محبا للآخرة والدنيا وكان مرة مع الله تعالى ومرة مع نفسه فاذا دخل الايمان الى باطن القلب أبغض العبد الدنيا وهجر هواه وقد قال عالمنا أبو محمد سهل رحمه الله للقلب تجويفان أحدهما باطن وفيه السمع والبصر وكان يسمى هذا قلب القلب والتجويف الآخر ظاهر القلب وفيه العقل ومثل العقل فى القلب مثل النظر فى العين هو مثال لموضع مخصوص فيه بمنزلة المثقال الذى فى سواد العين فاذا كانت هذه الخواطر عن أواسط الهداية وهى الملك والروح كانت تقوى وهدى ورشدا وكانت من خزائن الخير ومفتاح الرحمة قد حدث فى قلب العبد نورا وطيبا أدركه الحفظة وهم املاك اليمين فاثبتوها حسنات وان كانت الخواطر عن اواسط الغواة وهم العدو والنفس كانت فجورا وضلالا وهى من خزائن الشر ومغالق الاعراض قد حدث فى القلب ظلمة ونتنا أدرك ذلك الحفظة من املاك الشمال فكتبوها سيئات وكل هذا الهام والقاء من خالق النفس ومسويها ومقلب القلوب ومقلبها احكاما منه وعدلا لمن شاء ومنة وفضلا لمن أحب كما قال وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا أى بالهداية صدقا لاوليائه ما وعدهم من ثوابه وبالاضلال عدلا على أعدائه ما أعد لهم من عقابه ثم قال تعالى لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون فهذه جنود منقادة لامره وهو مالك جبار عزيز قهار

لابنة عمه انه يمضى أحد قالت سألنى أن أكون الليلة عنده وكان يمضى كل يوم بعد الظهر اليها فبقى على هذا ثمانية أشهر فأنكرت ابنة عمه أحواله فقالت لجاريتها اذا خرج فانظرى أين يمضى فتبعته الجارية فجاء الى الدكان فلما جاء الظهر قام فتبعته الجارية وهو لا يدرى الى ان دخل بيت تلك المرأة فجاءت الى الجيران فسألتهم لمن هذه فقالوا قد تزوجت برجل بزاز فعادت الى سيدتها فأخبرتها الخبر ثم قالت للجارية اياك ان تعلمى بهذا أحدا ولم تظهر لزوجها شيأ وأقام الرجل تمام السنة على ذلك ثم مرض ومات فى بيت ابنة عمه وخلف ثمانية آلاف دينار فقامت ابنة عمه فأفردت ما يستحقه الولد وهو سبعة آلاف وقسمت الالف الباقية نصفين وجعلت النصف فى كيس وقالت للجارية خذى هذا الكيس واذهبى الى المرأة واعلميها ان الرجل قد مات وخلف ثمانية آلاف دينار وقد أخذ الابن سبعة آلاف وبقيت ألف فقسمتها بينك وبينها وهذا حقك فمضت الجارية فطرقت الباب ودخلت فأخبرتها خبر الرجل وحدثتها بموته واعلمتها الحال فبكت ثم فتحت صندوقا وأخرجت منه رقعة بين يديها وقالت

فيرفع العبد من خواطر اليقين الى مشاهدة الصفات بعد ذوب علم الخواطر بتجوهر نور شعاع وجه الذات وهذا مقام الاحسان وان الله لمع المحسنين بعد مجاهدتهم النفوس فيه وبيعها مع الاموال منه فاحسن اليهم باشترائها منهم وكان معهم كما قال سبحانه وصفهم فانهما كانوا محسنين لان المحسن معهم كما كانوا أعلين اذ الاعلى معهم فقد قال وأنتم الاعلون والله معكم وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الاحسان فقال ان تعبد الله كأنك تراه وينتقل العبد من أعمال الجوارح وهي المجاهدة التي طرح عليه ثقلها فحملها تحمل فيها جل وتحفظ له ما استحفظ الى علم اليقين وهو الروح والرضا وهذا هو هداية السبيل وأول هذا كله ان يدخل العبد بعد التوبة النصوحة في أحوال المريدين وأعمال المجاهدين للنفس والعدو ثم ينتقل الى خواطر اليقين فهذا ميراث المجاهدين كما قال والذين جاهدوا فينا يعني نفوسهم وأموالهم وجاهدوا عدوهم اذ يعدهم الفقر ويأمرهم بالفحشاء فصابرهم فغلبوه فباعوا النفوس والاموال فاعتقوا من رق الهوى ونجوا من أهوال الحساب لنهدينهم سبلنا أي لنطرقنهم الى مكاشفات العلوم ولنسمعنهم غرائب الفهوم ولنوصلنهم الى أقرب الطرق الينا بحسن مجاهدتهم فينا ثم ختم الامر بقوله تعالى وان الله لمع المحسنين هذا مقام مشاهدة الصفات فكان المجاهد فيه معهم أولا بالتوفيق فيه صبروا له بالتأييد وكان المحسن معهم آخر اليوم فيه أحسنوا الى نفوسهم غدا ورويناعن الحسن البصري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم العلم علمان فعلم باطن في القلب فذاك هو النافع وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى قوله تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ما هذا الشرح قال هو التوسعة يعني ان النور اذا قذف في القلب اتسع له الصدر وانشرح وقال بعض العارفين لي قلب اذا عصيته عصيت الله تعالى يعني انه لا يقذف فيه الا الطاعة ولا يقر فيه الا الحق فقد صار رسوله اليه فاذا عصاه فقد عصا المرسل بمعنى الخبر الايمان ما وقر في القلب وصدقه العمل وبقوله صلى الله عليه وسلم المؤمن ينظر بنور الله فمن نظر بنور الله كان على بصيرة من الله تعالى وكان عمله بنوره طاعة لله تعالى وقال بعض العارفين منذ عشرين سنة ما سكن قلبي الى نفسي ساعة وما سا كنته طرفة عين وسئل بعض العلماء عن علم الباطن أي شيء هو فقال سر من سر الله تعالى يقذفه في قلوب أحبابه لم يطلع عليه ملكا ولا بشرا وقد روينا فيه خبرا مسندا أحببنا أن نسنده وقد جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال علمني من غرائب العلم فقال هل عرفت الرب فأخبر ان غرائب العلوم في المعرفة وقد أمر صلى الله عليه وسلم بأصل العلوم الذي فيه غرائب الفهوم فقال اقرؤا القرآن والتمسوا غرائبه يعني تدبر معانيه واستنباط بواطنه اذ بكلامه عرفه أولياؤه وقد قيل تكلموا تعرفوا فمن عرف معاني الكلام ووجوه الخطاب عرف به معاني الصفات وغرائب علوم أسماء الذات وقال ابن مسعود من أراد علم الاولين والآخرين فليثور القرآن وقال بعض أهل المعرفة في فهم هذه الآية ان الله يأمر بالعدل والاحسان قال العدل تدبر القرآن وفهمه والاحسان مشاهدة الفهم وفي تأويل قوله عليه الصلاة والسلام في صفة العدل شاهد لقوله هذا في حديثه الذي وصف فيه شعب الايمان فقال الايمان على أربع دعائم على الصبر واليقين والعدل والجهاد ثم قال والعدل على أربع شعب غائص الفهم وزهرة العلم وروضة الحلم وشرائع الحكم فمن فهم فسر جمل العلم ومن علم عرف شرائع الحكم ومن حلم لم يفرط في أمره وعاش في الناس حميدا وقال بعض المكاشفين ظهر لي الملك فسألني أن أملي عليه شيأ من ذكري الخفي من مشاهدتي من التوحيد وقال ما نكتب لك عملا ونحن نحب أن نصعد لك بعمل نتقرب به الى الله تعالى فقلت أليس يكتبان الفرائض قال بلى قلت فيكفيهما ذلك وقال بعض العارفين قال سألت بعض الابدال عن مسئلة من مشاهدة اليقين فالتفت الى شماله وقال ما تقول رحمك الله ثم التفت الى يمينه فقال ما تقول رحمك الله ثم أطرق الى صدره وقال ما تقول رحمك الله ثم أجابني بأغرب جواب ما سمعته قط وأعلاه فقلت رأيتك التفت عن شمالك ويمينك ثم أقبلت على صدرك فماذا فقال سألتني عن مسئلة لم يكن عندي فيها علم عتيد

عظيم فقال افتح فلما حرك الباب اقبلا يهشان جلبة فلما انفرج الباب ونظرا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم سجدا فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم برؤسهما ثم دفعهما لصاحبهما فقال استعملهما وأحسن علفهما فقال القوم يسجد لك البهائم أفلا تأذن لنا في السجود لك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان السجود ليس الا للحي الذي لا يموت ولو أمرت أحدا أن يسجد لاحد لامرت المرأة ان تسجد لزوجها وروى أبو نعيم عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال المرأة اذا صلت خمسها وصامت شهرها وأحصنت فرجها وأطاعت بعلها فلتدخل من أي أبواب الجنة شاءت وروى انه كان ببغداد رجل له ثروة فبيناهو في حانوته اذ أقبلت صبية فطلبت منه شيأ تشتريه ثم كشفت عن وجهها فنظر اليها فتحير من حسنها ثم قالت والله ما لي ريبة وانما أردت ان أتزوج بك وقد وقعت من قلبي فهل لك في ذلك فقال ان لي ابنة عم وهي زوجتي وقد عاهدتها ان لا أغيرها ولي منها ولد فقالت رضيت ان تجيء الى في الاسبوع نوبتين فرضي وقام معها وعقد العقد ومضى الى منزلها فدخل بها ثم جاء الى منزله ثم قال

الى أمر يفرض أو ندب لفضل يكون من عمل حال العبد أو علم يكون فطنة له اظهر عليه من مكاشفة غيب من ملك أو ملكوت والمعنى الثالث بحمل مباح من تصرف فيما يعني مما يعود صلاحه عليه واستراحة النفس بما أبيح له يكون نفعه لغيره أو ترويحات من الافكار لقلبه الغائص في البحار يكون جلاء لكربه وتخفيفا لثقله فهذه مرافق للعبد باختيار من المعبود وحكمة من الحكيم وفي كلها رضاه سبحانه وتعالى فامضاؤها أفضل للعبد وبعضها أفضل من بعض وهذه الاصول الستة من الخير والشر هي الفرق بين لمة الملك وبين لمة العدو وبين الهام التقوى والهام الفجور التي هي النية والوسوسة وهما الاختيار أو الاختبار وقد تكون هذه المعاني مكاشفات مزيد للعبد ينظر الى الله تعالى منها وعيد الله تعالى بما أوجده منه عندها ويكون تعريفا من الله يتعرف اليه بها ويفتح له باب الانس والشوق منها ثم تتفاوت العباد في مشاهدتها على حسب علوهم في اليقين وعلى قدر قوتهم ومكانهم من التمكين الا أن أصول معاني الخير وأواسطها الهام الملك والالقاء في الروع وقوادح الانوار في كتب الايمان وفروعها الآخرة والعلم مما أمر به أو ندب اليه والمباح وأصول معاني الشر أضدادها وأواسطها النفس والعدو وأسبابها الشهوة والهوى يصادرن عن الجهل و يوقعن الحجاب و يصدرن الى عقاب فاذا أراد الله تعالى اظهار خير من خزانة الروح حركها فسطعت نورا في القلب فأثرت فينظر الملك الى القلب فيرى ما أحدث الله تعالى فيه فيظهر مكانه فيتمكن على مثال فعل العدو في خزانة الشر وهي النفس والملك مجبول على الهداية مطبوع على حب الطاعة كما ان العدو مجبول على الغواية مطبوع على حب المعصية فيلقي الملك الالهام وهو خطوره على القلب بقدح خواطره بأمر بتقييد ذلك و يحسنه له و يحثه عليه وهذا هو الهام التقوى والرشد و ينظر الملك الى اليقين كما ينظر العدو الى النفس فيشهد اليقين للملك بذلك فيطلع من العقل و يسكن الى شهادة اليقين و يصير العقل الآن باذن الله تعالى مع الملك بتأييد الله تعالى كما كان مع النفس أول مرة مطمئنا اليها فينشرح الصدر لطمأنينة العقل فتظهر أدلة العلم لانشراح الصدر فيقوى سلطان اليقين لصفاء الايمان وتندرج ظلمة الهوى في نور اليقين وتنطفي شعلة الشهوة لظهور نور الايمان و يزين الايمان بزينة الحياء فتضعف صفات النفس لسقوط الشهوة و يقوى القلب لضعف النفس و يزيد الايمان بقوة اليقين وظهور أدلة العلم فتغلب الهداية لمزيد الايمان ولبسة الحياء فتظهر الطاعة لغلبة الحق والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون *(ذكر نوع آخر من البيان)* وقد تختلف اللمتان من الملك والعدو بتفاوت الالهام والوسوسة في المعاني من الخير والشر فربما تقدمت لمة العدو بالامر بالشر وتقدح بعدها لمة الملك نصرة للعبد وتثبيتا على الخير وعناية من الرب تعالى فينهى عن ذلك فعلى العبد أن يعصي الخاطر الاول و يطيع الخاطر الثاني وقد يتقدم الهام الملك بالامر بالخير ثم تقدح بعده خاطر العدو بالنهي عنه والتثبيط والاملاء فيه بالتأخير محنة من الله تعالى للعبد لينظر كيف يعمل وحسدا من العدو فعليه أن يطيع الخاطر الاول و يعصي الخاطر الثاني ثم تدق الخواطر من الهام الملك بالخير ومن وسوسة العدو بالشر وقد يتفاوت ذلك من ضعف خاطر الخير لقوة الرغبة في الدنيا ومن قوة خاطر الشر لقوة الشهوة والهوى وفي المزيد والنقص منهما والتقديم والتأخير بهما التفاوت الاحكام والارادة من الحاكم ومن قبل تقليب القدرة وغرائب الاحكام بالمشيئة لان له في خزانة الخير خزانة الشر اذا شاء وله في خزانة الشر خزائن الخير اذا أحب لان يحبه لئلا يسكن الى سواه ولا يبدل العبد عما منه ابدا فاذا شهد العارف ذلك لم يقطع بخير ولم يدل به ابدا لانه لا يأمن مكر الله تعالى بتقليب خزائن الشر من خزائن الخير اذا علي ابدا ولم ييأس من شر عليه ابدا لانه يرجو تقليب خزائن الخير من خزائن الشر فيكون بين الخوف والرجاء ولا يدرك ذلك الا بدقائق العلوم ولطائف الفهوم وغوامض الايمان وصفاء الانوار من تعليم الرحيم الجبار فما كان لابد بعد خطرة الشر خطرة خير منها انما هو نظر اليه متدارك به وهذا هو الواعظ القائم في القلب والزاجر المؤيد للعقل وقد تترادف خواطر الشر من النفس

اليقظة اللهم أيقظنا من نومة الغافلين وجنبنا موارد الهالكين واغفر لنا ولاحبابنا وللمحسنين الينا وللمسلمين والمسلمات

(فصل) في الندب والنوح والدعاء بالويل والثبور ولطم الخدود ونحوها وكل ذلك حرام ومن أمور الجاهلية خ م عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية م قال رسول الله صلى الله عليه وسلم النائحة اذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب ت عن أبي موسى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من ميت يموت فيقوم باكيهم فيقول واجبلاه واسنداه ونحو ذلك الا وكل الله به ملكين يلزمانه و يقولان أهكذا كنت خ م عن أبي موسى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بريء من الصالقة والحالقة والشاقة قال الحسيني في كتاب المؤمنات الصالحات وسبب عقوبة هذه المسكينة بما تقدم وتبرؤ رسول الله صلى الله عليه وسلم منها ان هذه الامور تتضمن التظلم فكأنما تقول بلسان الحال ظالمي يوم ولدي أو دجى

تعالى عن مباشرة الاشياء اذا كانت تنقاد لمشيئته وتطوع لقدرته فتنفذ قدرته ارادته وتظهر حكمته أفعاله اذا أراد شيأ قال له كن بخفى قدرته فكان بظاهر حكمته والرب سبحانه قادر على كل شئ بيده ملكوت كل شئ حكيم فى كل شئ والعبد ضعيف عاجز جاهل لا يقدر على شئ قد ابتلى بالاسباب ووقع عليه الحجاب وجعل مكانا للاحكام بالعقاب والثواب فالاسباب أواسط البلاء والعبد موضع الابتلاء والاول سبحانه وتعالى هو المبلى المريد المبدئ المعيد ويشكم فيما لا تعلمون وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا وليس يشهد العبد الا ما أشهد فكذلك تفاوت العباد فى المشاهدة ولا يستبين له الا ما أبين له وأريد به فعن ذلك اختلفوا فى الادلة فاذا أراد الله عز وجل اظهار شئ من خزائن الغيب حرك النفس بلطيف القدرة فتحركت باذنه فقدح من جوهرها بحركتها ظلمة تكتب فى القلب همة سوء فينظر العدو الى القلب وهو مراصد ينتظر والقلوب له مبسوطة والنفوس لديه منشورة يرى ما فيها ما كان من عمله المبتلى به المصرف فيه فاذا رأى همة قد قدحت فى النفس فأثرت ظلمة فى القلب ظهر مكانه فقوى بذلك سلطانه والهمة ترد على أحد ثلاث معان لا تحصى فروعها لان همة كل عبد على قدر بغيته احدها هوى وهو عاجل حظ النفس أو أمنيته وهذا عن الجهل الغريزى أو دعوى حركة أو سكون وهو آفة العقل ومحبة القلب فأى هذه الثلاث قدح فى القلب فهو وسوسة نفس وحضور عدو منسوب اليه محكوم عليه بالذم ليست تصدر الا باحد ثلاثة أصول بجهل أو غفلة أو طلب فضول دنيا وهن مما لا يعنى ومضافات الى الدنيا واعمالها والافضل مجاهدة النفس والعدو عن امضائها وحبس الجوارح عن السعى فيها ان كن من فضول الدنيا المباحات فان كن هذه الثلاث وردن بمحرمات ففرض عليه كف الجوارح عن السعى بها فان أمرح قلبه فى ذكرها أو نشر خطواته فى طلبها كن حجابا بين قلبه وبين اليقين وان كن وردن بمباحات ففضل له بنفيها عن قلبه كيلا يكون قلبه موطنا للغفلات وأصلهن الابتلاء من الله تعالى بالتقليب والامتحان منه فى التصريف ولذلك خلق النفس والروح والموت والحياة وجعل ما على الارض زينة لها ليظهر أحسن العمل بالزهد فيها وينظر كيف تعملون فاذا أراد الله تعالى سلامة هذا العبد بعد ان اشرف على الهلاك والبعد بتسليط العدو عليه وتسويل النفس له نظر القلب عند الابتلاء فهدى النفس بنور ايمانه الى الله تعالى فاسر الالتجاء اليه وأخفى التوكل عليه عائذا لائذا به واضطر بخلاصه فهنالك توكل عليه فكان حسبه وعندها فوض اليه أمره فوقاه مكر عدوه وحينئذ اضطر اليه واتقاه فجعل له مخرجا ونجاه فينظر الله تعالى الى القلب نظرة تخمد النفس وتمحق الهمة وتخنس العدو لسقوط مكانه وتذهب لخنوسه شدة سلطانه فيصفو القلب من التأثير بنور السراج المنير ويخلص من التحرير بقوة القهار العزيز فيخاف العبد مقام الرب لصفاء القلب عن نظر الرب تعالى فيفزع من الخطيئة ويهرب أو يستغفر منها ويتوب ويظهر عليه شعار تقواه وان أراد الله تعالى بعبد هلكه وكان قد حكم بوقوع الشر نظر القلب بعد الهمة بهوى النفس الى العقل فرجع العقل الى النفس فسولت وطوعت فسكن العقل واطمأن الى تسويل النفس وطوعها فانشرح الصدر بالهوى لسكون العقل وانتشر الهوى فى القلب لشرح الصدر وتوسعته فقوى سلطان العدو لاتساع مكانه فأقبل بتزيينه وغروره وأمانيه ووعده يوحى بذلك زخرفا من القول وغرورا فيضعف سلطان الايمان لقوة سلطان العدو وخفاء نور اليقين فغلب الهوى لقوة الشهوة فأحرقت الشهوة العلم والبيان فارتفع الحياء واستتر الايمان بالشهوة فظهرت المعصية لغلبة الهوى وارتفاع الحياء وهذان المعنيان من ظهور الخير والشر والطاعة والمعصية بهذه الاسباب يوجدان فى طرفة عين فتصير اجزاء العبد جزأ واحدا ومفصلاته تعود بالمراد منه فصلا واحدا كالبرق فى السرعة بتغليب القدرة على المشيئة اذا قال جل وعلا له كن فيكون وان أراد الله تعالى اظهار خير والهام تقوى من خزائن الملكوت حرك الروح بخفى اللطف فتحركت بامره جلت قدرته فقدح من جوهرها نور سطع فى القلب همة عالية وهمة الخير ترى باحد ثلاثة معان لا تحصى فروعها الان كل عبد همته فى الخير مبلغ علمه ومنتهى مقامه فاحد الاصول مسارعة

عودى الى سيدتك وسلى عليها منى واعلميها ان الرجل طلقنى وكتب لى براءة فردى عليها هذا المال فانى ما استحق منه شيأ فرجعت الجارية وأخبرتها بذلك رضى الله عنهما ونفعنا ببركاتهما فانظرن يا نساء هذا الزمان الى قوة دينهما واقتدين بمثلهما من المؤمنات الصالحات فى ترك الخصومة مع الزوج بتزوجه أخرى وفى اداء الحق والاحتراز عن غير الحق ولا تقتدين بنسوة زماننا فانهن جنود ابليس يسخطن على الازواج بفعلهم ما أمر الله به ورسوله ويتكلمن بسبب ذلك بكلام يهدم الدين ويخرج من الايمان ويخلد فى النيران وعن على رضى الله عنه قال غيرة المرأة كفر وغيرة الرجل ايمان فاحذرن يا نساء المؤمنات من ذلك فما أقرب الموت وما أشد أهوال الآخرة وأنا والله لكن ناصح أمين ويحكن يا نساء زماننا تأخذن المال الحرام وتتزين به فكأنى بكن وقد صار ذلك نارا على أجسامكن وفى بطونكن واعلمى أيتها المؤمنة الطالبة للخيرات ان لم تتعظى بما ذكرت لك فاعلمى انك مطرودة عن الخير ملقية نفسك فى نار حامية فان لم تقدرى على حبس نفسك عن هذا الذنب فتسعى بديلك فى النار يحصل لك

ابن عباس فقال يحول بين المؤمن و بين الكفر و يحول بين الكافر و بين الايمان وقيل يحول بين العبد وبين الاستجابة لله تعالى والرسول وقيل يحول بين المؤمن و بين سوء الخاتمة و بين الكافر و بين حسن الخاتمة وقيل يحول بين المؤمن و بين ان يلقيه في كبيرة يهلك فيها و بين المنافق و بين ان يوفقه لطاعة فيحيو بها و يحول بين الموحد و بين الخاتمة بالتوحيد وهذه مخاوف للمؤمنين بتحقيق الوعيد وكذلك الكون باسره عند الموحدين في القدرة بالتقليب كمثل ريشة في ريح عاصف تقلبه القدرة على مشيئة القادر وليس في القدرة ترتيب ولا مسافة ولا بعد ولا يحتاج الى زمان ولا مكان فاظهر من الملك وثبت للعيون بمكان و زمان فلاجل الحكمة والصنعة والاتقان وما خفي من الملكوت وتقليب بصائر القلوب فبلطف القدرة وقهر السلطان ونصيب كل عبد من مشاهدة القدرة بقدر نصيبه من التوحيد ونصيبه من التوحيد حسب قسمه من اليقين وقسمه من اليقين على قربه من القريب وقربه على حسب قرب الله تعالى من قلبه وقرب الله تعالى منه بقدر علمه بالله تعالى واتساعه في العلم بالله عز و جل على نحو مكانه من مزيد الايمان ومزيد ايمانه على قدر احسان الله تعالى اليه واحسانه اليه على قدر عنايته به وايثاره له وعلم الله من وراء ذلك وذلك سر القدرة المحجوب المخزون ونصيب كل عبد من الجهل على قدر نصيبه من الغفلة ونصيبه من الغفلة على حسب حب الدنيا وحبه للدنيا على قدر قوة الهوى وقوة الهوى على قدر غلبة سلطان النفس ونشر ظلمتها عليه وقوة صفات النفس على قدر ضعف اليقين وضعف يقينه على كثافة الحجاب والبعد بينه و بين الله عز وجل والحجاب والبعد ميراثه الكبر وقسوة القلب والقسوة تورث الانهماك في المعاصي وادمان المعاصي عن الاعراض والمقت والاعراض والمقت من قلة عناية المولى بعبده وسوء نظره له ومن وراء ذلك سر القدر الذي به عن الخلق قد استأثره فهذه الاوصاف المذمومة العبد مبتلى بها على تضاد تلك الصفات المحمودة التي هي من المنعم بها ولكل وجهة هو موليها ومكان الهوى من القلب على قدر تزيين العدو له وتسليطه عليه فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله فاذا كان الهادي هو المضل فمن يهدي وقد قال تعالى فان الله لا يهدي من يضل أي فان الله من شأنه ان أحدا لا يهدي من أضله ومن كان أضله الله في سابق علمه فكيف يهديه الآن كذلك قال على الحرف الآخر فان الله لا يهدي من يضل فاذا كان المعطي هو المانع فمن يعطي ولو كان الخير كله في قلب عبد ما قدر ان يوصل الى قلبه من وليه ذرة ولا استطاع ان ينفع نفسه بنفسه خردلة لان قلبه وان كان جارحته فهو خزانته وله فيه مالا يعلم هو فهو لا يطلع على ما فيه كما قال مجيبا لمن جهله وأضله اطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا فكيف به ان علك ما فيه فيصرفه بما يحب وقد قال صلى الله عليه وسلم سبحان مصرف القلوب وقد خاطب الله تعالى سيد البشر وأمره ان يخبر فقال قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ثم قال بعد ذلك قل اني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا قل اني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا واذا كان المالك عز جبارا وكان كل شيء بيده لم يوصل الى ما عنده بقوة ولا حيلة فليس الطريق اليه الا الصدق والاخلاص والذل والافتقار وقد حجب العقل المكيد عن النظر الى المبدئ المعدم بما أظهر له من صورته وحركته .. عن الاول المحرك عن القادر المحرك فادعى عن نظره الى حركته وسكونه التي هي حجبة له عن المحرك لغيب ادعاء الحركة والسكون بنفسه لوقوف نظره على نفسه اذ كان مشهودا وعمي عن النظر الى الشاهد المحرك المسكن لبعد مقامه لانه غيب من وراء الحركة والغيب لا يشهد الا بغيب وهو اليقين لا لا تدرك الشهادة الا بشهادة وهي العين فمن عمي بصره لم ير من الملك شيئا كذلك من حجب قلبه لم ير من الملك شيئا فاعدم اليقين عمي عن المشاهدة ولا يقاوم الحجاب أدرك بالمعقول الشهادة ولو كان من أولي البصائر لاعتبر الحركة الغيبية بالمحرك المشاهد فكما ان الحركة غيب في الجسم ظهر عنها المحرك فاظهر سبحانه المتحرك وأخفى الحركة فيه وأظهر الصنعة وأخفى

عذاب الالم لا يرضى وأما دمع العين وحزن القلب فمعفو عنه وعلاج هذه المسكينة ان تذكر ما أمامها من سكرات الموت وهول المطلع وظلمة القبر ودوده وهول منكر ونكير ونفخ طاقة من جهنم وتصور اعمالها في صورة قبيحة النار اليها عذاب وتذكرة الصراط ودقته والعرض على الله تعالى وخفة الميزان والفرار من الاخ والام والصاحبة والابن ومهبطها بعد ذلك الى النار فان لم تتعظ بذلك فتضع يدها على النار فانها والله تنسى كل ما يصدع قلبها لفراقه والله أعلم انتهى وتذكرا أيضا ما ورد في الصبر من الثواب ورد .. لعباد الله الصالحين والمؤمنات الصالحات فقد روى البخاري عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله ما لعبدي المؤمن عندي جزاء اذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه الا الجنة م عن أبي حسان قال قلت لابي هريرة رضي الله عنه انه قد مات لي اثنان من الولد فما أنت محدثي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بحديث تطيب به أنفسنا عن موتانا قال نعم صغارهم دعاميص الجنة أي لا يفترقون من بيتها يلقى أحدهم أباه أو قال أبويه فيأخذ بثوبه أو بيده كما آخذ أنا بصنفة

والهوى فلا يتعاقبها خاطر خير من الملك وهذا علامة البعد ونهاية قسوة القلب وقد تتابع خواطر الخير والبر من الروح والملك ويعافى العبد من خاطر الهوى والنفس وهذا علامة القرب وهو حال المقربين وقد ترد خواطر العدو ووساوسه بالخير والبر ابتلاء من الله تعالى لعبده وحيلة من العدو ومكرا من النفس يريد العدو بذلك الشر أو يخرجه آخرا الى اثم أو خير ليقطعه بذلك عن واجب أو يشغله به عن الافضل في الحال فيكون ظاهره برا وباطنه اثما ويكون أوله خيرا وآخره اثما وبغية العدو من ذلك باطنه وآخره وشهوة النفس في ذلك هواها ومناها قد لبسا ظاهره بالخير تزيينا وموها أوله بالبر تحسينا وهذا من أدق ما يبتلي به العاملون ولا يعرف بواطنه ومرائره الا العالمون فأما خاطر الملك فلا يرد الا بخير صريح وبر محض على كل حال اذا ورد لان الخداع والحيلة ليس من وصف الملائكة ولكن قد تنقطع خواطر الملك من القلب اذا اشتدت قسوته ودامت معصيته من المتعبدين فيخلي بين القلب وبين نوازع العدو اللعين ويخلي العدو وهوى النفس فيستحوذ ويقترن بالعبد نعوذ بالله من ابعاده وعدم خيره وارشاده ولا يزال العبد مع الهام الملك في مقام الايمان فاذا رقع الى مقام اليقين تولاه الله تعالى بواسطة أنوار الروح فكان الروح مكان القاء الحق حتى يرد عليه من الله تعالى بواسطة أنوار الروح من السرائر ما لا يطلع عليه الملك ولا يكون ذلك حتى تفنى خواطر النفس بالهوى ولا تبقى منها باقية وتطوى النفس فتندرج في الروح فلا يظهر منها داعية ثم يتولاه الله تعالى بنور اليقين فيسطع له نور اليقين من خزانة الغيب المحجوب بمكاشفات الجبروت فيشهد العبد شهادة الحق بالحق معاينة الغيب بفقد كونه ووجد كينونته وما لا يصلح بعد ذلك كشفه الا لاهله أو لمن سأل عنه وهذا يكون في مقام التوحيد وهذا أنصبة المقربين *(ذكر بيان آخر من تفصيل المعاني) وكل عمل وان قل لابد فيه من ثلاثة معان قد استأثر الله تعالى بتوليها أولها التوفيق وهو الاتفاق أن يجمع بينك وبين الشيء ثم القوة وهو اسم لثبات الحركة التي هي أول العقل ثم الصبر وهو تمام الفعل الذي به يتم فقد رد الله عز وجل هذه الاصول التي تظهر عنها كل عمل اليه فقال سبحانه وما توفيقي الا بالله وقال ما شاء الله لا قوة الا بالله وقال عز وجل واصبر وما صبرك الا بالله وقد أجمل الله عز وجل ذكر تقليب الكون بمشيئته في قوله تعالى يقلب الله الليل والنهار والمعنى بما فيهما لانهما ظرفان للاشياء فعبر عنهما بهما كقوله تعالى بل مكر الليل والنهار والمعنى مكركم في الليل والنهار فعبر بهما عن مكرهم لانهما مكان لمكرهم وكذلك قوله تعالى وله ما سكن في الليل والنهار فيها وجهان أحدهما أي ما أقام من السكن والثاني ما سكن من السكون وانما ذكر السكون دون الحركة لانه هو الاصل حتى تحرك وهو الاقرب الى العجز والعدم والتحريك حادث جار باحداث الله تعالى واجرائه ويجوز أيضا ذكر السكون ليستدل به على الحركة لانه ضدها كما قال الله تعالى سرابيل تقيكم الحر وهي أيضا تقي البرد فذكر أحد الوصفين ليستدل به على الآخر وقال سبحانه ونقلب أفئدتهم وأبصارهم وكان قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ومقلب القلوب لما شهد من عظيم القدرة ولطيف الصنع في التقليب ولما رأى من سرعة نفاذ القدرة بالمراد في المقلبات مما لم يشهد سواه فجعله قسم الله تعظيما للقدرة الملاطف به وخوفا من سابق العلم بالتقليب فكان يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك قالوا وتخاف يا رسول الله قال وما يؤمنني والقلوب بين اصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء وفي لفظ حديث آخر ان شاء أن يقيمه أقامه وان شاء أن يزيغه أزاغه وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم مثل القلب مثل العصفور في تقلبه يتقلب في كل ساعة وفي خبر آخر مثل القلب في تقلبه كالقدر اذا استجمعت غليا والخبر المشهور مثل القلب كمثل ريشة بارض فلاة تقلبها الرياح ظهرا لبطن فالقلب مكان للتقليب بما فيه من خزائن الغيب كالليل والنهار مكان للاحكام بالتصريف من اختلاف الازمان في الاوقات والايمان بتقليب القلوب وبان المقلب يحول بين القلب وبين صاحبه واجب وقد قرن الله عز وجل الايمان بالبعث الاخير بهما في قوله تعالى واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه وانه اليه تحشرون وفسره

أو أحسن والرب سبحانه وتعالى ليس بظلام للعبيد فمن نسبه الى الظلم فهو كافر وهو أسوأ حالا من اليهود والنصارى فالجاهلة تفعل بنفسها أعظم المصائب ومع ذلك لا يحصل لها عود ميتها فهذه تضاعف مصيبتها ويتضاعف عذابها ومن شاركها في ذلك كان عليه وزر مشاركتها وكذا من صنع طعاما فأكل منه النائحات يأثم لانه اعانة على معصية قال وأي مصيبة أعظم على المرأة من ان يتبرأ منها رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه أعظم من موت أولادها والمصيبة بفقد الاجر أيضا عظيمة وربما تمادى بها ذلك فوقعت في كلمة هبطت بها في النار سبعين خريفا وربما كانت الكلمة تتضمن كفرا وهي لا تعلمها لقلة علمها أو تعلمها فتكفر فتخسر دينها مع معصيتها وتقع بذلك في العذاب الذي لا آخر له عافانا الله عز وجل من ذلك ولا خلاف انه يحرم نشر الشعر وضرب الخد والصدر وخمش الوجه ونحوه ومن فعل ذلك فهو ملعون وكذا من حضره وأعان عليه أو سمع النياحة ففي سنن أبي داود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن النائحة والمستمعة وكما يحرم النياحة يحرم رفع الصوت في البكاء ويلحق الميت من ذلك

بها فاول ذلك الهمة وهو ما يبدو من وسوسة النفس بالشئ يجده العبد بالحس كالبرقة فان صرفها بالذكر
امتحقت وان تركها بالغفلة كانت خطرة وهو خطور العدو بالتزيين وان نفى الخاطر ذهب وان ولى عنه
قوى فصار وسوسة وهذا محادثة النفس للعدو واصغاؤها اليه وان نفى العبد هذه الوسوسة بذكر الله
خنس العدو وضعفت النفس وهذه الثلاث معفو برحمة الله تعالى غير مؤاخذ بها العبد وان أمرج العبد
النفس فى محادثة العدو وطاولت النفس العود بالاصغاء والمحادثة قويت الوسوسة فصارت نية فان أبدل
العبد هذه النية بنية خير فاستغفر منها وتاب والاقويت فصارت عقدا فان حل هذا العقد بالتوبة وهو
الاصرار والاقوى فصار عزما وهو القصد وهذه الثلاثة من أعمال القلب مأخوذ بها العبد ومسؤل عنها فان
تداركه الله تعالى بعد العزم والاتمكن العزم فصار طلبا وسعيا وأظهر العمل على الجوارح من خزائن الغيب
والملكوت فصار من أعمال الجسم فى خزانة الملك والشهادة فهذه الاعمال توجد من أعمال البر والاثم فما
كان منها من البر همة ونية وعزما كان محسوبا للعبد فى باب النيات مكتوبا له فى ديوان الارادة به
حسنات وما كان منها من الشر نية وعقدا وعزما فعلى العبد فيه مؤاخذة من باب اعمال القلوب ونيات
السوء وعقود المعاصى وليس شئ يجانس العدو ويؤاخيه الا النفس جمع الله تعالى بينهما فى الوسوسة بقوله
الوسواس الخناس وقوله ونعلم ما توسوس به نفسه وكل شئ خلقه الله تعالى فله مثل وضد فمثل النفس
الشيطان وضدهما الروح ثم ان أعمال الجوارح من النوعين الطاعة والمعصية أعظم فى الاجر والوزر معا
الا ما لا يتأتى ان يعمله بظاهر الجسم من شهادة التوحيد أو وجود شك أو كفر او اعتقاد بدعة

(باب آخر من البيان والتفصيل) فاما ما كان من لائح يلوح فى القلب من معصية ثم ينقلب فلا يلبث فهذا نزغ من قبيل العدو وما كان فى القلب من هوى ثابت أو حال مزعج دائم لابث فهو من قبل النفس الامارة بطبعها أو مطالبة منها بسوء عادتها وما ورد على العبد من همة بخطيئة ووجد العبد فيها كراهتها فالورود من قبل العدو والكراهة من قبل الايمان وما وجده العبد وجدا بهوى أو معصية ثم ورد عليه المنع من ذلك فالوجد من النفس والوارد بالمنع من الملك وما وجده العبد من فكر فى عاقبة الدنيا أو تدبير الحال ونظر الى معهود فهذا من قبل العقل وما وجد من خوف أو حياء أو ورع أو زهد أو من شأن الآخرة فهذا عن الايمان وما شهده القلب من تعظيم أو هيبة أو اجلال أو قرب فهذا من اليقين وهو من مزيد الايمان واليه يرجع الامر كله فاعبده وتوكل عليه كما قال صاحب الامر رسول الله صلى الله عليه وسلم أعوذ بك منك وانما هذا تفصيل الحدود واظهار الاحكام واحكام العلم كما قال تعالى وكل شئ فصلناه تفصيلا وقال قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون وليس فى التوحيد ولا فى المشاهدة تفكر ولا فى الاشارة عيان ولا فى القدرة ترتيب ولكن لابد من علم التفصيل لا عن التوحيد وهو التفرقة بلسان الشرع عن عين الجمع لاظهار الطرق واستنارة السبل وتطريق السالكين وترتيب العاملين ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حى عن بينة والله غالب على أمره وقد فصل بعض العلماء أعمال العباد وفرق بين الامر والارادة فقال ان أعمال العباد لا تخلو من ثلاثة أنواع فرض وفضل ومعصية قال فنقول ان الفرض بأمر الله تعالى ومحبة الله ومشيئة الله تجتمع هذه المعانى الثلاثة فى الفرائض قال ونقول ان الفضل لا بأمر الله لانه لم يوجبه ولم يعاقب على تركه ولكن بمحبة الله ومشيئته جل وعلا أى لانه شرعه وندب اليه قال ونقول ان المعصية لا بأمر الله لانه لم يشرعها على السنة المرسلين ولا بمحبة الله لانه قد كرهها اذلم يأمر بها ولم يندب اليها ولكن بمشيئة الله جلت عظمته ان لا يخرج شئ من ارادته كما لم يخرج شئ من علمه والارادة والمشيئة اسمان بمعنى واحد فقد دخل كل شئ فيها كما دخل كل شئ فى العلم فالله سبحانه عالم بما أراده وقد سبق به علمه كذلك هو مريد لما علمه أظهرت ارادته سابق علمه وكشف علم الغيب بظهور ارادته الشهادة فهو عالم الغيب والشهادة فالغيب علمه والشهادة معلومه فكيف يخالف المعلوم العلم وهو اجراؤه والارادة تنفذ العلم فى معلومات الخلق وهذا فرض

وسروراوانسى بانساه
زماننا اثر من ذلك مصائب
فعجز عن لذاتك عجزا شديدا
حتى ترتكبن العظائم من
أمر الجاهلية

شعر

الا أيها القلب الكثير العلائق
الم تران الدهر تجرى بوائقه
الا أيها الباكى على الميت بعده
رويدك لا تعجل فانك لاحقه
رويدك لا تنس المقابر والبلا
وطعم ورود الموت لابد ذائقه
اذا اعتصم المخلوق من فتن الهوى
بخالقه أنجاه منهن خالقه
أرى صاحب الدنيا مقيما بجهله
على ثقة من صاحب لا يفارقه
فلا تتمن الموت يا صاح انه
سيأتيك منه عن قريب طوارقه

اللهم أجرنا من دنيانا واختم لنا بخير امين

(فصل) فى العقوق وقطيعة الرحم قال الله سبحانه وتعالى وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا وقال تعالى واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام أى اتقوا الارحام ان تقطعوها وعن عبد الرحمن بن عوف قال النبى صلى الله عليه وسلم قال الله تبارك وتعالى انا

الصنع فيها التفصيل حكمته كذلك الصانع ذو الصنعة الأول والحاكم الأعلى ذو الحكمة الأغلب غيب عن
الحركة التي أخفاها هو من وراء باطنات القدرة فشهد المعقول ما شهدهما أظهر له ووجهه به لأنه معقول
عليه بحدوده وعمي عما غيب عنه لفقد اليقين منه فعندهما ادعى الحركة والسكون للشاهد فحجبه ذلك عن
الشهيد وشهد الموحد بشهادة التوحيد فوجدانا كشف له الملكوت بنور اليقين فافرد وقد قال بعض
العارفين من أنار في توحيده إلى عقله لم ينجه توحيده من النار ومن كان توحيده في الدنيا معلقا بمعقوله لم يحمل
توحيده معه إلى اليقين أحسب أن هذا إيمان الذي يقال أخرجوا من النار من كان في قلبه وزن مثقال من
إيمان فما زاد على هذا المقدار فهو متصل باليقين وهو مؤيد بالروح بمدد روح التأييد فلا ينطفي فهو المزحزح
عن النار وقد قال بعض علمائنا من ظن أنه يصل إلى الله بغير الله تعالى قطع به ومن استعان على عبادة الله تعالى
بنفسه وكل إلى نفسه ثم إن الخلق محجوبون بعد هذا الحجاب بثلاثة حجب بعضها أكثف من بعض أحدها أواسط
وأسباب معترضة وشهوات جاذبة وعادات راجعة صادرة فالأسباب توقفهم عليها والشهوات تجذبهم إليها
والعادات تردهم فيها فأي هذه الحجب ظهر في القلب وبعضها أشد عليه من بعض فهو مكان للعدو أوسع
من مكان فتمكن سلطانه على قدر سعة مكانه فقويت النفس بتزيين العدو وسولت بتأميلها فملكت العبد
ملكا أشد من ملك فإذا ملكت النفس العبد كان مملوكها وأسيرها وكانت بالهوى أميرة فاستهواه الشيطان
حينئذ بالغواية والإضلال واستحوذ عليه بمعاني المشاركة في الأولاد والأموال فشغله بذلك عن الله سبحانه
وتعالى وأنساه ذكر الله عز وجل وهذا هو الاقتران الذي ذمه الله تعالى في قوله ومن يكن الشيطان له قرينا
فساء قرينا وهو فوق النزغ والهمز والخاطر بعد الهمة وهو خطور العدو على القلب بالوسوسة تزين الهمة
ويملي للعبد ويرجيه ويفسح له في أمله ويمنيه التوبة حتى تهون عليه المعصية ويعده بعدها بالمغفرة حتى
يجرئه على الخطيئة وهذا هو الوعد بالغرور وبعده الهلاك والثبور كما قال يعدهم أي التوبة ويمنيهم
المغفرة وما يعدهم الشيطان إلا غرورا وهذا كله تصديق ظن العدو بالعبد واتباع العبد له بالهوى عن
مقام البعد وكشف لعلم الله تعالى بإظهار الحكم وإنفاذ المشيئة وهو الابتلاء بالأسباب فصار العدو سببا
لقوله تعالى ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين ثم أحكم ذلك بسابق علمه فقال وما
كان له عليهم من سلطان يعني بحوله وقوته وبقهره ومشيئته إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك
أي لنرى وقيل لنعلم العلم الذي يجازي عليه بالثواب والعقاب وقيل لنختبر ونكشف وقيل لنعلم المؤمنين
ذلك فيستبين لهم ويعلم من عمل تلك الأعمال التي ظهرت منه فتوقع عليه بذلك الحجة ويتبين له كذبه كما قال
فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين فعلى هذه المعاني يجاز كل ما في كتاب الله عز وجل من قوله لنعلم
وحتى نعلم إذ كان علمه تعالى قد سبق المعلومات وإذا كانت الأشياء عن علمه بعلمه جاريات فجعل تسليط العدو
وسلطانه كشفا وإظهارا لما أخفاه من سابق علمه كما جعل أفعال العباد الظاهرة كشفا وإظهارا لإرادته
الباطنة وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سبق العلم وجف القلم وقضي القضاء وتم القدر
بالسعادة من الله تعالى لأهل طاعته وبالشقاء من الله تعالى لأهل معصيته * ذكر تقسيم الخواطر
وتفصيل أسمائها * فأما تسمية جملة الخواطر فما وقع في القلب من عمل الخير فهو إلهام وما وقع من عمل الشر فهو
وسواس وما وقع في القلب من المخاوف فهو إحساس وما كان من تقدير الخير وتأميله فهو نية وما كان من
تدبير الأمور والمباحات وترجيها والطمع فيها فهو أمنية وأمل وما كان من تذكرة الآخرة والوعد والوعيد
فهو تذكر وتفكر وما كان من معاينة الغيب بعين اليقين فهو مشاهدة وما كان من تحدث النفس بمعاشها
وتصريف أحوالها فهو هم وما كان من خواطر العادات ونوازع الشهوات فهو لمم ويسمى جميع ذلك
خواطر لأنه خطور همة نفس أو خطور عدو بحسد أو خطرة ملك بمس ثم إن ترتيب الخواطر المنشأة من
خزائن الغيب القادحة في القلب على ستة معان وهذه حدود الشيء الظاهر ثلاثة منها معفوة وثلاثة منها مطالب

أبوك هذا فلا يتناهى حتى
يدخل هو وأبوه الجنة قال
صلى الله عليه وسلم ما من
مسلمين يتوفى لهما ثلاثة إلا
أدخلهما الله الجنة بفضله
ورحمته إياهما فقالوا
يا رسول الله أو اثنان قال أو
اثنان قالوا أو واحد قال أو
واحد ثم قال والذي نفسي
بيده إن السقط ليجر أمه
بسرره إلى الجنة إذا احتسبته
ق قال صلى الله عليه وسلم
إن السقط ليراغم ربه
إذا أدخل أبويه النار
فيقال أيها السقط المراغم
ربه أدخل أبويك الجنة
فيجرهما بسرره حتى
يدخلهما الجنة وفي كتاب
المؤمنات الصالحات للعدني
حكي أن معاذة بنت عبد الله
العدوية من عابدات
البصرة كانت تصلي كل
يوم وليلة ستمائة ركعة
وكانت تقول عجبت لعين
تنام وقد عرفت طول
الرقاد في القبور وكانت
معاذة لها ابن وزوج
نفرا إلى الغزو فقال له
أبوه أي بني تقدم فقاتل
حتى أحتسبك فحمل على
الكفار وقاتل حتى قتل
ثم تقدم أبوه ففعل كذلك
فاجتمعت النساء عند معاذة
فقالت مرحبا إن كنتن
جئتن لتهنئني وإن كنتن
جئتن لغير ذلك فارجعن
رضي الله عنها ونفعنا
ببركاتها هكذا كن رضي
الله عنهن يفرحن بما يحبه
الله ورسوله ويجعلنه فرحا

ان كان الله يريد ان يغويكم هو ربكم ان تعذبهم فانهم عبادك وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين لله الامر من قبل ومن بعد

(الفصل الحادى والثلاثون) فيه كتاب العلم وتفصيله وأوصاف العلماء وذكر فضل علم المعرفة على سائر العلوم وكشف طرق العلماء من السلف الصالح وذكر بيان تفضيل علوم الصمت وطريق الورعين في العلم والفرق بين العلم الظاهر والباطن و بين علماء الدنيا وعلماء الآخرة وفضل أهل المعرفة على علماء الظاهر وذكر علماء السوء الآكلين بعلومهم الدنيا ووصف العلم وطريق التعليم وذم ما احدثه المتأخرون من القصص والكلام وبابذكر ما احدث الناس من القول والفعل فيما بينهم مما لم يكن عليه السلف و بيان فضل الايمان واليقين على سائر العلوم والتحذير من الرأى وذكر معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم وفي الحديث الآخر اطلبوا العلم ولو بالصين فان طلب العلم فريضة على كل مسلم قال عالمنا أبو محمد سهل رحمه الله أراد بذلك علم حال يعنى علم حال العبد من مقامه الذى أقيم فيه بان يعلم أحدكم حاله الذى بينه وبين الله عز و جل في دنياه وآخرته خاصة فيقوم باحكام الله تعالى عليه في ذلك وقال بعض العارفين معناه طلب علم المعرفة وقيام العبد بحكم ساعته وما يقتضى منه في كل ساعة من مراده وقال بعض علماء الشام انما عنى به طلب علم الاخلاص ومعرفة آفات النفس و وساوسها ومعرفة مكايد العدو وخدعه وغروره وما يصلح الاعمال و يفسدها فريضة كان من حيث كان الاخلاص في الاعمال فريضة ومن حيث أعلم بعداوة ابليس ثم أمر بعداوته وذهب الى هذا القول عبد الرحيم بن يحيى الارموى ومن تابعه وقال بعض البصريين في معناه طلب علم القلوب ومعرفة الخواطر وتفصيلها فريضة لانها رسل الله تعالى الى العبد و وسواس العدو والنفس فيستجيب لله تعالى بتنفيذ ما منه اليه ومنها ابتلاء الله تعالى العبد واختبار تقتضيه مجاهدة نفسه في نفيها ولانها أول النية التى هى أول كل عمل وعنها تظهر الافعال وعلى قدرها تضاعف الاعمال فيحتاج ان يفرق بين لمة الملك ولمة العدو و بين خاطر الروح و وسوسة النفس و بين علم اليقين وقوادح العقل ليميز بذلك الاحكام وهذا عند هؤلاء فريضة وهو مذهب مالك بن دينار وفرقد السبخى وعبد الواحد بن زيد وأتباعهم من النساك وقد كان أستاذهم الحسن البصرى يتكلم في ذلك وعنه حملوا علوم القلوب وقال عباد أهل الشام معناه طلب علم الحلال فريضة اذ قد أمر الله تعالى به وأجمع المسلمون على تفسيق آكل الحرام وقد جاء في خبر مفسر طلب الحلال فريضة بعد الفريضة ومال الى هذا القول ابراهيم بن أدهم و يوسف بن أسباط و وهيب بن الورد وحبيب بن حرب وقال بعض هذه الطائفة من أهل المعرفة معناه طلب علم الباطن فريضة على أهله قالوا وهذا مخصوص لاهل القلوب ممن استعمل به واقتضى منه دون غيره من عوام المسلمين ولانه جاء في لفظ الحديث تعلموا اليقين فمعناه اطلبوا علم اليقين وعلم اليقين لا يوجد الا عند الموقنين وهو من أعمال الموقنين المخصوص في قلوب العارفين وهو العلم النافع الذى هو حال العبد عند الله تعالى ومقامه من الله تعالى كما شهد له الخبر الآخر في قوله صلى الله عليه وسلم وعلم باطن في القلب وهو العلم النافع فهذا تفسير ما أجمل في غيره وقال جندب كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلمنا الايمان ثم تعلمنا القرآن فازددنا ايمانا وسيأتى زمان قوم يتعلمون القرآن قبل الايمان يعنى تعلمنا علم الايمان وهذا مذهب نساك أهل البصرة وقال بعض السلف انما معناه طلب علم ما لم يسع جهله من علم التوحيد وأصول الامر والنهى والفرق بين الحلال والحرام اذ لا غاية لسائر العلوم بعد ذلك وكلها يقع عليها اسم علم من حيث هى معلومات ثم قد أجمعوا ان ليس تعليم ما زاد على ما ذكرناه فرضا وانما فيه فضل أو ندب وقال بعض فقهاء الكوفة معناه طلب علم البيع والشراء والنكاح والطلاق واذا أراد الدخول فيما افترض عليه مع دخوله في ذلك طلب علمه لقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا يتجر في سوقنا هذا الا من تفقه والا أكل الربا شاء أم أبى وكما قيل

يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه خ عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الواصل بالمكافئ ولكن الواصل الذى اذا قطعت رحمه وصلها ه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن ولد بار ينظر الى والديه نظرة رحمة الا كتب الله له بكل نظرة حجة مبرورة قالوا وان نظر كل يوم مائة مرة قال نعم الله أكبر وأطيب ت عن ابن عمر قال أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انى أصبت ذنبا عظيما فهل لى من توبة قال هل لك من أم قال لا قال فهل لك من خالة قال نعم قال فبرها ه قال صلى الله عليه وسلم حق كبير الاخوة على صغيرهم حق الوالد على ولده ق عن أبى أمامة أن رجلا قال يارسول الله ما حق الوالدين على ولدهما قال هما جنتك ونارك ويحكى أن على بن الحسين رضي الله عنه كان كثير البر بوالدته وكان لا يأكل معها في صحفة واحدة فقال أخاف أن تسبق يدى الى ما سبق اليه نظرها فأكون عققتها اخوانى فروا من العقوق والقطيعة الى البر والصلة تظفروا في الجنة بالنعيم الجزيلة وحكي نواعلى حذر من مفاجأة الموت على الغفلة يا أخى خلص نفسك من أسر الذنوب وتأدب

التوحيد فرجت النوافل عن الامر وخرجت المعاصي عن المحبة في تفصيل الاحكام وتبين الحلال والحرام ولم تخرج معصية عن مشيئة وقد قال الله جل ثناؤه وكل صغير وكبير مستطر وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شئ بقضاء وقدر حتى العجز والكيس فذكر عرضين لطيفين هما سببا المنع والعطاء وقد فرق عالمنا بين الامر والارادة فرقا لطيفا حدثني بعض أصحابنا انه سئل عن قول الله عز وجل لما أمر ابليس بالسجود لآدم أراد منه ذلك أم لا فقال أراده ولم يرده منه يعني أراده شرعا واظهارا وعليه ايجابا ولم يرده منه وقوعا ولا كونا اذ لا يكون الا ما أراد الله تعالى اذ لو أراد كونه لكان ولو أراده فعلا لوقع لقوله تعالى انما أمره اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون فلما لم يكن علمت انه لم يرده فقد كان الامران معا ارادته بالتكليف والتعبد وارادته بان لا يسجد فلم يقدر أن يمتنع من ان لا يسجد كما لم يقدر من ان يمتنع من ان يؤمن فكذلك القول في نهيه لآدم صلى الله عليه وسلم عن أكل الشجرة انه أراد الاكل منه ولم يرده له أي أراده وقوعا وكونا لانه قد وجد وكان كقوله اذا أردناه ان نقول له كن فيكون فلما كان علمت انه أراده ولم يرده شرعا ولا امرا الا انه لم يأمر به ولا شرعه له فقد كان الامران جميعا ارادته ان يكون العبد مكلفا مأمورا وارادته الاكل منه لانه قد كان وكذلك القول في كل ما أمر به وأراده انه أراد الامر والنهي لهم ليكونوا مكلفين متعبدين ولم يرده ممن لم يكن منه الائتمار والانتهاء لانه قال تعالى انما أمرنا الشئ اذا أردناه ان نقول له كن فيكون فاخبر انه اذا أراد شيأ كونه كانه اذا كون شيأ فقد أراده بدلالة كونه فلما لم يكن الامر من العاصين علمنا انه لم يرده اذ لو أراده كان ولما كان النهي من المأمورين علمنا انه أراد كونه اذ لو لم يرده لم يكن فصار كون الشئ دليلا على ارادته وقد وقعت الارادة بالامر والنهي فكان الكل مأمورين منتهين ولم يقع الفعل من الكل لانه لم يرد وقوعه اذ لو أراده كان وهذا أصل الابتلاء وارادة ظهور البلاء يأمر الله تعالى بالشئ ويريد كون ضده وقد أراد الامر به حسب وينهى عن الشئ ويريد كونه وقد أراد النهي عنه فقط وقد كان عالمنا أبو الحسن رحمة الله عليه يتكلم في علم الامر والخبر وفي الابتلاء والقهر بمعان لا يهتدي اليها اليوم ولا يسأل عنها أحد أي يظهر الامر بالترك ويظهر النهي بالفعل ويظهر الاحكام لوقوع البلاء ويقهر الجوارح بالجبر على ارادته للابتلاء وقد فرق الحسن البصري رحمه الله قبله وهو امامنا في هذا العلم بين التعذيب على جريان العلم ومخالفة الامر لما بلغه ان عمرو ابن عبيد وهو امام المعتزلة اليوم واليه نسبوا لما اعتزل عن الحسن البصري بعد ان صحبه ولم يختم له بصحبته بلغه انه يقول ان الله لا يقضي بالشئ ثم يعذب عليه فقال له ويلك ان الله عز وجل لا يعذب على جريان حكمه وانما يعذب على مخالفة أمره تفسير ذلك ان ما حكمه الله تعالى منفردا به لم يجعل فيه أمرا ولا نهيا لا يعذب عليه لانه لم يجعل للعبد مدخلا فيه بشهوة ولا فعل وان ما قضاه على العبد مما أدخله فيه بقصده وشهوته عذبه عليه وهذا من شؤم النفس وتنكد الخلق انها اذا أدخلت في شئ انقلب عليها شره والامة مجمعة على قول ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن واجتمعت على قول لا حول ولا قوة الا بالله فهذا عام في كل شئ ليس في بعض الاشياء دون بعض والحول في اللغة هو الحركة والعرب تقول للشخص يبدو من بعيد يظن انه انسان أو شجرة أو صخرة انظروا اليه فان كان يحول فهو انسان أي يتحرك والقوة هو الثبات بعد الحركة وهو أول الصبر حتى يظهر الفعل بقوة الله تعالى وقد روينا في تفسير ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حول عن معصية الله الا بعصمة الله ولا قوة على طاعة الله الا بعون الله وهذا التفصيل في هذه المعاني من الاحكام هو ظاهر العلم وفرض القدر وفحوى التنزيل والشرع والجبر للملك الجبار يجبر خلقه على ما شاء كما خلقهم لما شاء ويردهم الى ما شاء كما ينشئهم فيما يشاء فالحكم لله العلي الكبير الواحد القهار يقهر عباده كيف شاء ويجري عليهم ما يشاء وله الحجة البالغة والعزة القاهرة والقدرة النافذة والمشيئة السابقة بوصف الربوبية وبحكم الجبرية وعليهم الاستسلام والانقياد والطاعة والاجتهاد طوعا وكرها بوصف العبودية وبحق الملكة

ان

الله وانا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها بتته من قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة منان ولا عاق ولا مدمن خمر وفي حياة الحيوان عن المستدرك عن أبي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يبيت قوم من هذه الامة على طعام وشراب ولهو فيصبحون قد مسخوا خنازير وليخسفن بقبائل منها أو بدور منها حتى يصبحوا فيقولوا خسف الليلة ببني فلان خسف الليلة بدار فلان وليرسلن الله عليهم حجارة كما أرسلت على قوم لوط وليرسلن عليهم الريح العقيم لشربهم الخمر وأكلهم الربا ولبسهم الحرير واتخاذهم القينات وقطعهم الرحم ه عن عبد الله بن أبي أوفى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تنزل الرحمة على قوم فيهم قاطع رحم انحوا في احذروا العقوق وقطيعة الرحم فانهما يعجلان العقوبة في الدنيا مع عقوبة الآخرة ولا يغرنكم الشيطان فيوقعكم فيهما فتذوقون عذابا شديدا واذهبوا عن قلوبكم هاتين العلتين بذكر آفاتهما وذكر ثواب البر والصلة ففي الصحيحين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحب أن

عليه فاشير بالالف واللام اليه فاذا بطلت هذه الوجوه صح ان قوله صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على
كل مسلم أى طلب علم ما بنى الاسلام عليه فافترض على المسلمين عمله فريضة بدليل قوله صلى الله عليه وسلم
للاعرابي حين سأله أخبرنى ماذا افترض الله تعالى على وفى لفظ آخر أخبرنا بالذى أرسلك الله تعالى الينا
به فاخبره بالشهادتين والصلوات الخمس والزكاة وصوم شهر رمضان وحج البيت فقال هل على غيرها فقال لا
الا ان تطوع فقال والله لا أزيد عليه شيأ ولا أنقص منه شيأ فقال أفلح ودخل الجنة ان صدق فكان علم
هذه الخمس فريضة من حيث كان معلومه فريضة اذ لا عمل الا بعلم وقد قال عز وجل الا من شهد بالحق وهم
يعلمون وقال فى مثله حتى تعلموا ما تقولون وقال هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وقال بل
اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم فمن يهدى من أضل الله وقال تعالى ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون
انهم لن يغنوا عنك من الله شيأ وقال سبحانه وتعالى فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا اله الا هو وقال
فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون فهذه الآى افترض الله فيها طلب العلم وذلك الخبر الذى جاء فى أبنية
الاسلام الخمسة افترض رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه هذه الاعمال ثم قال مجملا طلب العلم فريضة ثم وكده
بقوله صلى الله عليه وسلم على كل مسلم فكان تفسيره لك وتفصيله ان علم هذه الخمس التى هى بنية الاسلام
فرض لاجل فرضها وقد روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من طريق مرسل انه مر برجل والناس
مجتمعون عليه فقال ما هذا فقالوا رجل علامة فقال بماذا قالوا بالشعر والانساب وأيام العرب فقال هذا علم
لا يضر جهله وفى لفظ آخر علم لا ينفع وجهل لا يضر وروينا فى الخبر ان من العلم جهلا وان من القول
عيا وفى الخبر الآخر قليل من التوفيق خير من كثير من العلم وفى خبر غريب كل شئ يحتاج الى العقل والعقل
يحتاج الى التوفيق والخبر المشهور وقوله صلى الله عليه وسلم أعوذ بك من علم لا ينفع فسماه علما اذ له معلوم
وان أصحابه علماء عند أصحابهم ثم رفع المنفعة عنهم واستعاذ بالله منه وقد روينا فى خبران الشيطان ربما
سبقكم بالعلم قلنا يا رسول الله كيف يسبقنا بالعلم قال يقول اطلب العلم ولا تعمل حتى تعلم فلا يزال فى العلم قائلا
وللعمل مسوفا حتى يموت وما عمل ففى هذا الخبر دليلان أحدهما انه أريد به طلب فضول العلم الذى لا نفع
له فى الآخرة ولا قربة فى طلبه من الله والثانى ان العلم المفضل المندوب اليه انما هو الذى يقتضى العمل
لان النبى صلى الله عليه وسلم لا يأمر بعمل بغير علم ولا يكره طلب علم للعمل به ألا تسمع الى قوله صلى الله عليه
وسلم فى الخبر الآخر فضل من علم أحب الى من فضل من عمل وخير دينكم الورع *ذكر فضل علم المعرفة
واليقين على سائر العلوم وكشف طريق علماء السلف الصالح من علماء الدنيا والآخرة* قبض رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن ألوف من صحابته كلهم علماء بالله فقهاء عن الله تعالى أهل رضوان من الله تعالى ولم
ينصب نفسه الى الفتيا ولا حملت عنه الاحكام والقضايا الا بضعة عشر رجلا وكان ابن عمر اذا سئل عن الفتيا قال
اذهب الى الامير الذى تقلد أمور الناس فضعها فى عنقه وروى ذلك عن أنس ثم جماعة من الصحابة والتابعين
باحسان وكان ابن مسعود يقول ان الذى يفتى الناس فى كل ما يستفتونه لمجنون وكان ابن عمر رضى الله
عنهما يسأل عن عشر مسائل فيجيب عن مسئلة ويسكت عن تسعة وكان ابن عباس على ضد ذلك كان
يسئل عن عشرة فيجيب فى تسعة ويسكت عن واحدة وكان من الفقهاء من يقول لا أدرى أكثر من أن
يقول أدرى منهم سفيان الثورى ومالك بن أنس وأحمد بن حنبل وفضيل بن عياض وبشر بن الحرث
رضى الله عنهم وكانوا فى مجالسهم يجيبون عن بعض ويسكتون عن بعض ولم يكونوا يجيبون فى كل ما يسئلون
عنه وروينا عن عبد الرحمن بن أبى ليلى قال أدركت فى هذا المسجد مائة وعشرين من أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما منهم من أحد يسئل عن حديث أو فتيا الا ود أن أخاه كفاه ذلك وفى لفظ آخر كانت
المسئلة تعرض على أحدهم فيردها الى الآخر ويردها الآخر الى الآخر حتى ترجع الى الذى سئل عنها اول
مرة وروى عن ابن مسعود وابن عمر وغيرهما من التابعين وقد روينا مسندا لا يفتى الناس الا ثلاثة أمير

ثم استدرك موقظا معبرا
لشدته
يغشى الورى المتلفات
الخوف والوجل
ويختم الفم والاعضاء ناطقة
فتظهر المفضحات الخط
والخطل
ويحكم الله بين الناس معدلة
فتدرك الحالتان البر والزلل
اللهم اعصمنا من الزلل
والخطايا وارزقنا توبة نصوحا
قبل فجأة المنايا وانفعنا
ببركة الصالحين واحشرنا
تحت أقدام المتقين
(فصل) فى الاحسان
الى المماليك والجار قال
الله تعالى واعبدوا الله ولا
تشركوا به شيأ وبالوالدين
احسانا وبذى القربى
واليتامى والمساكين
والجار ذى القربى والجار
الجنب والصاحب بالجنب
وابن السبيل وما ملكت
أيمانكم خ م عن أبى ذر
رضى الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه
وسلم اخوانكم جعلهم الله
تحت أيديكم فمن جعل الله
أخاه تحت يديه فليطعمه
مما يأكل وليلبسه مما
يلبس ولا يكلفه من العمل
ما يغلبه فان كلفه ما يغلب
فليعنه عليه م عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال
كفى بالرجل اثما أن يحبس
عمن يملك قوته وفى رواية
كفى بالمرء اثما أن يضيع
من يقوت م عن أبى
مسعود الانصارى قال
كنت أضرب غلاما لى

تفقه ثم أتجر ومال الى هـذا سفيان الثورى وأبو حنيفـة وأصحابهما وقال بعض المتقـدمين من علماء خراسان هو أن يكون الرجل فى منزله فيريد أن يعمل شيأ من أمر الدين أو يخطر على قلبه مسئلة لله سبحانه وتعالى فيها حكم وتعبد وعلى العبد فى ذلك اعتقاد أو عمل فلا يسعه أن يسكت على ذلك ولا يجوز له أن يعمل فيه برأيه ولا يحكم بهواه فعليه أن يلبس نعليه و يخرج فيسأل عن أعلم أهل بلده فيسأله عن ذلك عند النازلة فهذا فريضة وحكى هـذا القول عن ابن المبارك و بعض أصحاب الحـديث وقال آخرون يعنى طلب علم التوحيد فرض وانما اختلفوا فى كيفية الطلب وماهيـة الاصابة فمنهم من قال من طريق الاستدلال والاعتبار ومنهم من قال من طريق البحث والنظر ومنهم من قال من طريق التوفيق والاثر وقالت طائفة من هؤلاء انما أراد طلب علم الشـبهات والمشكلات اذا سمعها العبد وابتلى بها وقد كان يسعه ترك الطلب اذا كان غافلا عنها على أصل التسليم ومعتقد جملة المسلمين لا يقع فى وهمه ولا يحيك فى صـدره شئ من الشبهات فيسعه ترك البحث فاذا وقع فى سمعه شئ من ذلك ووقر فى قلبـه ولم يكن عنده تفصيل ذلك وقطعه ومعرفة تمييز حقه من باطله لم يحل له أن يسكت عليه لئلا يعتقد باطلا أو ينفى حقا فافترض عليـه طلب ذلك من العلماء به فيستكشفه حتى يكون على اليقين من أمره فيعتقد من ذلك الحق و ينفى الباطل ولا يقعد عن الطلب فيكون مقيما على شبهة فيتبع الهوى أو يكون شاكا فى الدين فيعدل عن طريق المؤمنين أو يعتقد بدعة فيخرج بذلك عن السنة ومذهب الجماعة وهو لا يعلم ولهـذا المعنى كان أبو بكر الصـديق رضى الله عنـه يقول فى دعائه اللهم أرنا الحق حقا فنتبعـه وأرنا الباطل باطلا فنجتنبه ولا تجعـل ذلك متشابها علينا فنتبـع الهوى وهذا مذهب أبى ثور ابراهيم بن خالد الكلبى وداود بن على والحسين الكرابيسى والحرث بن أسد المحاسبى ومن تابعهم من المتكلمين فهذه أقوال العلماء فى معنى هذا الخبر حكيناذلك عن علما مذاهبهم على معنى مذهب كل طائفة واحتجبه الكل قول فالالفاظ لنا والمعنى لهم وهـذا كله حسن ومحتمـل وهؤلاء كلهم وان اختلفوا فى تفسير الحديث بألفاظ فانهـم متقاربون فى المعنى الا أهـل الظاهر منهم فانهم حملوه على مايعلمونه وأهل الباطن تأولوه على علمهم ولعمرى ان الظاهر والباطن علمان لا يسـتغنى أحدهما عن صاحبه بمنزلة الاسلام والايمان مرتبط كل واحد بالآخر كالجسم والقلب لا ينفك أحـدهما عن صاحبه وهؤلاء المختلفون فى الاقوال مجمعون انه صـلى الله عليه وسلم لم يرد بذلك طلب علم الاقضيـة والفتاوى ولا علم الاختـلاف والمذاهب ولا كتب الاحاديث مما لا يتعين فرضه وان كان الله تعالى لا يخلى من ذلك من يقيمـه بحفظه والذى عندنا فى حقيقة معنى هـذا الخبر والله أعلم ان قوله صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة يعنى علم هذه الفرائض الخمس التى بنى الاسلام عليها من حيث لم يفترض على المسلمين غيرها ثم ان العمل لا يصح الا بعلمه فاول العمل العلم به فصار علم العمل فرضا من حيث افترض العمل فلما لم يكن على المسلمين فرض من الاعمال الا هذه الخمس فصار طلب علم هذه الخمس فرضا لانه فرض الفرض وعلم التوحيد داخل فيها لانه فى أوله شهادة أن لا اله الا الله باثبات صفاته المتصـلة بذاته ونفى صفات سواه المنفصلة عن اياه كله داخل فى علم شهادة أن لا اله الا الله وعلم الاخلاص داخل فى صحة الاسلام اذ لا يكون مسلما الا باخلاص العمل لقوله صلى الله عليه وسلم ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم اخلاص العـمل لله فبدأ به واشترطه للاسلام والاصل فى هذا انه لم يرد صلى الله عليه وسلم علم كل ما جاز أن يكون معلوما باجماع الامة انه لم يعن بذلك علم الطب أو علم النجوم ولا علم النحو أو الشعر أو المغازى وهذه تسمى علوما لانها تكون معلومة وأربابها علماء بها الا أن الشرع لم يرد بالامر بمقتضاها والامة مجمعة أيضا انه لم يرد بذلك علم الفتيا والقضاء ولا علم افتراق المذاهب واختـلاف الآراء وهذه تسمى علوما عند أهلها و بعضها فرض على الكفاية وكلها ساقطة عن الاعيان والخبر جاء بلفظ العموم بذكر الكلية وبمعنى الاسم فقال طلب العـلم فريضة ثم قال على كل مسـلم بعد قوله اطلبوا العلم فكان هذا على الاعيان فكأنه على ما وقع عليه اسم العـلم ومعناه المعهود المعروف بادخال التعريف

فانك مطلوب وتذكر بقلبك
يوم تقلب القلوب قبل أن
يمسك اللسان ويتحير
الانسان وزول العرفان
وتنشر الاكفان وتنزل
الحفرة وتطول السطرة
ويأتى منكر ونكير ويقوى
الشهيق والزفير ويأتى
العبد مسائله وينسى من
خلفه ويبقى هنالك أسيرا
الى أن يعود فيقوم عريانا
حسيرا فحينئذ تبين الكرائم
وتنشر الجرائم وتعظم
المصائب وتفسد المذاهب
وتثقل على الظهور الاوزار
ويؤخذ الكتاب باليمين أو
باليسار ليس لاحد هنالك
قرار الا الجنة أو النار
فبادروا رحمكم الله بالمتاب
قبل أن تعاينوا هذه
الاهوال والعذاب شعر
يا نفس قد طاب فى امهالك
العمل
فاستدركى قبل أن يدنو لك
الاجل
الى متى أنت فى لهو وفى عمه
يغرك الخادعان الحرص
والامل
وأنت فى سكر سهو ليس
يدفعه
عن قلبك الناصحان العتب
والعذل
تزودى الطريق أنت سالكة
فيها فعما قليل يأتيك المثل
ولا يغرك أيام الشباب ففى
أعقابها الموبقات الشيب
والاجل
يا نفس توبى من العصيان
واجتهدى
ولا يغرنك الابعاد والملل

كل خلق في القرآن محمود تفعله وكل خلق في القرآن مذموم تنتهي عنه وحسبك هذا وقد حدثونا عن
سري السقطي قال كان شاب يطلب علم الظاهر ويواظب عليه ثم ترك ذلك وانفرد واشتغل بالعبادة
فسألت عنه فاذا هو قد اعتزل الناس وقعد في بيته يتعبد فقلت له قد كنت حريصا على الطلب لعلم الظاهر فما
بالك انقطعت قال رأيت في النوم قائلا يقول لي كم تضيع العلم ضيعك الله فقلت اني لاحفظه فقال ان حفظ
العلم العمل به فتركت الطلب وأقبلت على النظر فيه للعمل وقد كان ابن مسعود رضي الله عنه يقول ليس
العلم بكثرة الرواية وانما العلم الخشية وقال غيره من الفقهاء انما العلم نور يقذفه الله تعالى في القلب وكان
الحسن البصري رضي الله عنه يقول اعلموا ما شئتم أن تعلموا فوالله لا يؤجركم الله تعالى عليه حتى تعملوا فان
السفهاء همتهم الرواية وان العلماء همتهم الرعاية وروينا عنه أيضا انه قال ان الله لا يعبأ بذي قول ورواية
انما يعبأ بذي فهم ودراية وقال أبو حصين ان أحدهم ليفتي في مسألة لو وردت على عمر بن الخطاب رضي الله
عنه لجمع لها أهل بدر وقال غيره يسئل أحدهم عن الشيء فيسرع للفتيا ولو سئل أهل بدر عنها لاعضلتهم
وقال عبد الرحمن بن يحيى الاسود وغيره من العلماء ان علم الاحكام والفتاوى كان الولاة والامراء يقومون به
وترجع العامة اليهم فيه ثم ضعف الامر وعجزت الولاة عن ذلك لميلهم الى الدنيا وشغلهم بالحروب عنها فصاروا
يستعينون على ذلك بعلماء الظاهر وبالمفتين في الجوامع فكان الامير اذا جلس للمظالم قعد عن يمينه وشماله
مفتيان ويجمع اليهما في القضاء والاحكام ويأمر الشرط بمثل ذلك فكان من الناس من يتعلم علم الفتيا
والقضاء ليستعين بهم الولاة على الاحكام والقضاء حتى كثر المفتون رغبة في الدنيا وطلبا للرياسة ثم اختلف
الامر بعد ذلك حتى تركت الولاة الاستعانة بالعلماء ومما يدلك على ذلك حديث عمر رضي الله عنه حيث
كتب الى ابن مسعود وعقبة بن عامر ألم أخبر انك تفتي الناس ولست بامير ولا مأمور وفي حديث أبي عامر
الهروي قال كنت مع معاوية فلما قدمنا مكة حدث عن رجل يقضي ويفتي الناس مولى لبني مخزوم
فارسل اليه فقال أمرت بهذا قال لا قال فما حملك عليه قال نفتي وننشر علما عندنا فقال معاوية لو تقدمت اليك
قبل يومي هذا لقطعت منك طابقا ثم نهاه ولم يكونوا يقولون ذلك في علم القلوب ولا علم الايمان واليقين بل
قد كتب عمر الى أمراء الاجناد احفظوا ما تسمعون من المطيعين فانه تجلى لهم أمور صادقة وقد كان عمر
رضي الله عنه يجلس الى المريدين فيستمع اليهم وفي الخبر اذا رأيتم الرجل قد أوتي صمتا وزهدا فاقتربوا منه
فانه تلقى الحكمة وقال بعض أصحاب الحديث رأيت سفيان الثوري حزينا فسألته فقال وهو برم ما صرنا
الا متجرا لابناء الدنيا قلت وكيف قال يلزمنا أحدهم حتى اذا عرف بنا وحمل عنا جعل عاملا أو جابيا أو قهرمانا
وكان الحسن يقول يتعلم هذا العلم قوم لا نصيب لهم منه في الآخرة يحفظ الله تعالى بهم العلم على الامة لئلا
يضيع وقال المأمون رحمه الله لولا ثلاث لخربت الدنيا لولا الشهوة لانقطع النسل ولولا حب الجمع لبطلت
المعايش ولولا حب الرياسة لذهب العلم فهذا كله وصف علماء الدنيا وأهل علم الالسنة وأما علماء الآخرة
وأهل المعرفة واليقين فانهم كانوا يهربون من الامراء ومن اتباعهم وأشياعهم من أهل الدنيا وكانوا
ينتقصون علماء الدنيا ويطعنون عليهم ويتركون مجالستهم وقال ابن أبي ليلى أدركت في هذا المسجد مائة
وعشرين من الصحابة ما سئل أحدهم عن حديث ولا استفتي في فتيا الا ود ان صاحبه قد كفاه ذلك وقال
مرة أدركت ثلثمائة يسئل أحدهم عن الفتيا أو الحديث فيرد ذلك الى الآخر ويحيل الآخر على صاحبه
وكانوا يتدافعون الفتيا بينهم ولم يكونوا اذا سئل أحدهم عن مسألة من علم القرآن أو علم اليقين والايمان
يحيل على صاحبه ولا يسكت عن الجواب وقد قال الله سبحانه فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون فهم
أهل الذكر لله تعالى وأهل التوحيد والعقل عن الله تعالى ولم يكونوا يتلقون هذا العلم دراسة من الكتب
ولا يتلقاه بعضهم من بعض بالالسنة انما كانوا أهل عمل وحسن معاملات فكان أحدهم اذا انقطع الى الله
تعالى واشتغل به واستعمله المولى بخدمته باعمال القلوب وكانوا عنده في الخلوة بين يديه لا يذكرون سواه

رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ان جارك يزعم
انك حرشت عليه زمانا حتى
اذا أحرجته واكفهته
وكبرسنه امرت ان تجره
فقال والذي بعثك بالحق
ان ذلك كذلك فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم
ما هكذا جزاء المملوك
الصالح ثم قال بعنيه قال نعم
فابتاعه منه ثم أرسله صلى
الله عليه وسلم في الشجر
حتى نفب سنامه فكان
اذا اعتل على بعض
المهاجرين والانصار من
نواضحهم شيء اعطاه اياه
فمكث كذلك زمانا ثم
قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم والله لا يؤمن
والله لا يؤمن والله لا يؤمن
قيل من يا رسول الله قال
الذي لا يأمن جاره بوائقه
م عن أنس ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال لا يدخل
الجنة من لا يأمن جاره
بوائقه ه قال صلى الله
عليه وسلم ليس المؤمن
بالذي يشبع وجاره جائع
الى جنبه عن أبي هريرة
قال قال رجل يا رسول الله
ان فلانة تذكر من كثرة
صلاتها وصيامها وصدقتها
غير انها تؤذي جيرانها
بلسانها قال هي في النار
قال يا رسول الله فان فلانة
تذكر من قلة صيامها
وصدقتها وصلاتها وانها
تصدق بالاثوار من الاقط ولا
تؤذي بلسانها جيرانها قال
هي في الجنة ت قال

أو مأمورا ومتكلف تفصيل ذلك ان الامير هو الذي يتكلم في علم الفتيا والاحكام كذلك كان الامراء يسئلون ويفتون والمأمور الذي يأمره الامير بذلك فيقيمه مقامه ويستعين به لشغله بالرعية والمتكلف هو القاص الذي يتكلم في القصص السالفة ويقص أخبار من مضى لان ذلك لا يحتاج اليه في الحال ولم يندب اليه من العلوم وقد تدخله الزيادة والنقصان والاختلاف فلذلك كره القصص فصار القاص من المتكلفين وقد جاء في لفظ الحديث الآخر بتأويل معناه لا يتكلم على الناس الا ثلاثة أمير أو مأمور أو مراء فكان قولهم أمير هو المفتي في الاقضية والاحكام كما ذكرنا آنفا ومعنى مأمور هو العالم بالله عز وجل الزاهد في الدنيا يتكلم في علم الايمان واليقين وفي علم القرآن والحث على مصالح أعمال الدين بأمر من الله تعالى اذن الله تعالى له في ذلك بقوله تعالى واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا يكتمونه وقد كان أبو هريرة وغيره يقولون لولا آيتان في كتاب الله تعالى ما حدثتكم بحديث أبدا ثم يتلو هذه والآية التي قبلها ويقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أتى الله تعالى عالما علما الا أخذ عليه من الميثاق ما أخذ على النبيين أن يبينه ولا يكتمه وأما المرائي فهو المتكلم في علوم الدنيا الناطق عن الهوى يستميل بذلك قلوب الناس ويجتلب بكلامه الزيدمن الدنيا والرفعة فيها وقال بعض العلماء كان الصحابة والتابعون باحسان يتدافعون أربعة أشياء الامانة والوديعة والوصية والفتيا وقال بعضهم كان أسرعهم الى الفتيا أقلهم علما وأشدهم دفعا لها وتوقفا عنها أورعهم وقال بعض السلف كان شغل الصحابة والتابعين باحسان في خمسة أشياء قراءة القرآن وعمارة المساجد وذكر الله تعالى والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وفي الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كل كلام ابن آدم عليه لا له الا ثلاثا أمر بمعروف أو نهي عن منكر أو ذكر الله تعالى وقال الله أصدق القائلين لا خير في كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس ورأى بعض أصحاب الحديث بعض فقهاء الكوفة من أهل الرأي بعد موته في المنام قال فقلت له ما فعلت فيما كنت عليه من الفتيا والرأي قال فكره وجهه وأعرض عني وقال ما وجدناه شيأ وما حمدنا عاقبته وحدثونا عن علي بن نصر بن علي الجهضمي عن أبيه قال رأيت الخليل بن أحمد في النوم بعد موته فقلت ما أحد أعقل من الخليل لأسألنه فقال لي أرأيت ما كنا فيه فاني لم أر شيأ ما رأيت أنفع من قول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر وحدثونا عن بعض الاشياخ قال رأيت بعض العلماء في المنام فقلت له ما فعلت تلك العلوم التي كنا نتجادل فيها ونناظر عليها قال فبسط يده ونفخ فيها وقال طاحت كلها هباء منثورا ما انتفعت الا بركعتين خلصتا لي في جوف الليل وحدثت عن أبي داود السجستاني قال كان بعض أصحابنا كثير الطلب للحديث حسن المعرفة به فمات فرأيته في المنام فقلت ما فعل الله بك فسكت فأعدت عليه فسكت فقلت غفر الله لك قال لا قلت لم قال الذنوب كثيرة والمناقشة دقيقة ولكن قد وعدت بخير وأنا أرجو خيرا قلت أي الاعمال وجدتم ثم هنالك أفضل قال قراءة القرآن والصلاة في جوف الليل قلت فأيما أفضل ما كنت تقرأ أو تقرئ فقال ما كنت أقرأ قلت فكيف وجدت قولنا فلان ثقة وفلان ضعيف فقال ان خلصت فيه النية لم يكن لك ولا عليك وحدثت عن بعض الشيوخ قال حدثني أحمد بن عمر الخاقاني قال رأيت في منامي كأني في طريق أمضي اذ صادفني رجل فأقبل علي وهو يقول وان تطع أكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله فقلت له لي تعني فقال لك ولذاك الذي خلفك فالتفت فاذا سري رحمه الله فأعرضت عن الرجل وأقبلت على السري وقلت هذا استاذنا ومؤدبنا الذي كان يؤدبنا في الدنيا ثم قلت له يا أبا الحسن انك قد صرت الى الله تعالى فأخبرنا بأي عمل تقبله الله تعالى فأخذ بيدي ثم قال تعال فجئت أنا وهو الى بنية مثل الكعبة فوقفنا الى جانبها اذا أشرف علينا من البنية شخص فأضاء ذلك الموضع منه فأومأ سري اليه وأشار نحوه وكان سري قصيرا وأنا أيضا قصير فمد ذلك الشخص الذي كان فوق البنية يده فأخذني فشالني اليه فلم أقدر أفتح عيني من أنوار كانت في ذلك المكان ثم قال لي قد سمعت كلامك مع الشيخ

فسمعت من خلفي صوتا اعلم يا أبا مسعود الله أقدر عليك منك عليه فالتفت فاذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله هو حر لوجه الله فقال اما لو لم تفعل للفحتك النار أو لمستك النار ه عن أم سلمة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول في مرضه الصلاة وما ملكت أيمانكم ق ت قال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة سيئ الملكة ت عن النبي صلى الله عليه وسلم من فرق بين والدة وولدها فرق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة وروى الطبراني عن جابر قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة ذات الرقاع حتى اذا كنا بحرة واقم أقبل جمل يرقل حتى دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يرغو على هامته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذا الجمل يستعديني على صاحبه يزعم انه كان يحرث عليه منذ سنين حتى اذا أجربه وأعجفه وكبر سنه أراد نحره اذهب يا جابر الى صاحبه فأت به قلت ما أعرفه قال انه سيدلك عليه قال فخرج بين يدي معنقا حتى وقف بي في مجلس بني خطمة فقلت أين رب هذا الجمل قالوا هذا لفلان بن فلان فجئته فقلت أجب رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج معي حتى اذا جاء

وكان أبو حازم زر بيعة المدنيات يذمان علماء بنى مروان وقد كان الثورى وابن المبارك وأيوب وابن عون يتكلمون فى بعض علماء الدنيا من أهل الكوفة وكان الفضيل وابراهيم بن أدهم ويوسف بن أسباط يتكلمون فى بعض علماء الدنيا من أهل مكة والشام كرهنا تسمية المتكلم فيهم لان السكوت أقرب الى السلامة وكان بشر يقول حدثنا باب من أبواب الدنيا فاذا سمعت الرجل يقول حدثنا فانما يقول أوسعوا لى وقد كان سفيان الثورى امامه من قبله يقول لاهل علم الظاهر طلب هذا ليس من زاد الآخرة وقال ابن وهب ذكر طلب العلم عند مالك فقال ان طلب العلم لحسن وان نشره لحسن اذا صحت فيه النية ولكن انظر ماذا يلزمك من حين تصبح الى حين تمسى ومن حين تمسى الى حين تصبح فلا تؤثرن عليه شيأ وقال أبو سليمان الدارانى اذا طلب الرجل الحديث أو تزوج أو سافر فى طلب المعاش فقد ركن الى الدنيا وأما علم الايمان والتوحيد وعلم المعرفة واليقين فهو مع كل مؤمن موقن حسن الاسلام وهو مقامه من الله وحاله بين يدى الله ونصيبه منه فى درجات الجنة به يكون من المقربين عنده والعلم بالله تعالى والايمان به قرينان لا يفترقان فالعلم بالله تعالى هو ميزان الايمان به يستبين المزيد من النقصان لان العلم ظاهر الايمان يكشفه ويظهره والايمان باطن العلم يحجبه ويشمله فالايمان مدد العلم وبصره والعلم قوة الايمان ولسانه وضعف الايمان وقوته ومزيده ونقصه بمزيد العلم بالله عز وجل ونقصه وقوته وضعفه وفى وصية لقمان الحكيم لابنه يا بنى كما لا يصلح الزرع الا بالماء والتراب كذلك لا يصلح الايمان الا بالعلم والعمل ومثل المشاهدة من المعرفة من اليقين من الايمان كمثل النشا من الدقيق من السويق من الحنطة والحنطة تجمع ذلك كله كذلك الايمان أصل ذلك والمشاهدة أعلى فروعه كالحنطة أصل هذه المعانى والنشا أعلى فروعها فهذه المقامات موجودة فى أنوار الايمان عندها علم اليقين ثم ان المعرفة على مقامين معرفة سمع ومعرفة عيان فمعرفة السمع فى الاسلام وهو انهم سمعوا به فعرفوه وهذا هو التصديق من الايمان ومعرفة العيان فى المشاهدة وهو عين اليقين والمشاهدة أيضا على مقامين مشاهدة الاستدلال ومشاهدة الدليل عنها فمشاهدة الاستدلال قبل المعرفة وهذه معرفة الخبر وهو فى السمع لسانه القول والواجد بها واجد بعلم علم اليقين من قوله تعالى بنبأ بنبأ يقين انى وجدت بهذا العلم قبل الوجد وهو علم السمع وقد يكون سببه التعليم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم تعلموا اليقين أى جالسوا الموقنين واسمعوا منهم علم اليقين لانهم علماؤه وأما مشاهدة الدليل فهى بعد المعرفة التى هى العيان وهو اليقين لسانه الوجد والواجد بها واجد قرب وبعد هذا الوجد علم من عين اليقين وهذا يتولاه الله تعالى بنوره على يده بقدرته ومنه قوله صلى الله عليه وسلم فوجدت بردها فعلمت فهذا التعليم بعد الوجد من عين اليقين باليقين وهذا من أعمال القلوب وهؤلاء علماء الآخرة وأهل الملكوت وأرباب القلوب وهم المقربون من أصحاب اليمين وعلم الظاهر من علم الملك وهو من أعمال اللسان والعلماء به موصوفون بالدنيا وصالحوهم أصحاب اليمين وجاء رجل الى معاذ بن جبل فقال اخبرنى عن رجلين أحدهما مجتهد فى العبادة كثير العمل قليل الذنوب الا انه ضعيف اليقين يعتريه الشك فى أموره فقال معاذ ليحبطن شكه أعماله قال فأخبرنى عن رجل قليل العمل الا انه قوى اليقين وهو فى ذلك كثير الذنوب فسكت معاذ فقال الرجل والله لئن أحبط شك الاول أعمال بره ليحبطن يقين هذا ذنوبه كلها قال فأخذ معاذ بيده وقام قائما ثم قال ما رأيت الذى هو أفقه من هذا وقد روينا معناه مسندا قيل يا رسول الله رجل حسن اليقين كثير الذنوب ورجل مجتهد فى العبادة قليل اليقين فقال ما من آدمى الا وله ذنوب ولكن من كانت غريزته العقل وسجيته اليقين لم تضره الذنوب لانه كلما أذنب تاب واستغفر وندم فتكفر ذنوبه ويبقى له فضل يدخل به الجنة وروينا فى حديث ابى أمامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن (٣) أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن أعطى حظه منهما لم يبال ما فاته من قيام الليل وصيام النهار وفى وصية لقمان لابنه يا بنى لا يستطاع العمل الا باليقين ولا يعمل المرء الا بقدر يقينه ولا يقصر عامل حتى يقصر يقينه وقد يعمل العمل الضعيف اذا كان متيقنا أفضل من العمل

قريب المكان مقيما بين قوم كانوا فسزالوا وجرت عليهم الحادثات فقالوا لا تخسرون عما اليه آلوا ولو قدروا على المقال لقالوا قد شربوا من الموت كأسا مرة ولم يفقدوا من أعمالهم ذرة وآلى عليهم الدهر ألية برة ان لا يجعل لهم الى دار الدنيا كرة كأنهم لم يكونوا للعيون قرة ولم يعدوا فى الاحياء مرة أسكنهم الله الذى أنطقهم وأبادهم الذى خلقهم وسيجددهم كما أخلقهم ويجمعهم كما فرقهم يوما يعيد الله العالمين خلقا جديدا ويجعل الظالمين لنار جهنم وقودا

(فصل فى الشفقة) على الخلق والامر بالمعروف والنهى عن المنكر [illegible] قال النبى صلى الله عليه وسلم من عال ثلاث جوار [illegible] حتى [illegible] جاء يوم القيامة انا وهو هكذا وضم أصابعه [illegible] قال النبى صلى الله عليه وسلم [illegible] والولدان [illegible] أفضل من أحد [illegible] ثم قال صلى الله عليه وسلم من ابتلى من هذه البنات بشىء [illegible] من النار [illegible] قال صلى الله عليه وسلم لا يرحم الله من لا يرحم الناس [illegible] ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا ويأمر بالمعروف وينه عن المنكر

ولا يشتغلون بغيره فاذا ظهروا للناس فسألوهم الهمهم الله تعالى رشدهم ووفقهم لسديد قولهم وآتاهم
الحكمة ميراثا لاعمالهم الباطنة عن قلوبهم الصافية وعقولهم الزاكية وهممهم العالية فآثرهم بحسن
توفيقه ان الهمهم حقيقة العلم وأطلعهم على مكنون السر حين آثروه بالخدمة وانقطعوا اليه بحسن المعاملة
فكانوا يجيبون عما عنه يسألون بحسن اثرة الله تعالى لهم وبجميل اثره عندهم فتكلموا بعلم القدرة وأظهروا
وصف الحكمة وتعلقوا بعلوم الايمان وكشفوا بواطن القرآن وهذا هو العلم النافع الذي بين العبد وبين الله
تعالى وهو الذي يلقاه به ويسأله عنه ويثيبه عليه وهو ميزان جميع الاعمال وعلى قدر علم العبد بربه تعالى ترجح
أعماله وتضاعف حسناته وبه يكون عند الله تعالى من المقربين لانه لديه من الموقنين فهم أهل الحقائق الذين
وصفهم علي عليه السلام وفضلهم على الخلائق فقال في وصفهم القلوب أوعية وخيرها أوعاها والناس ثلاثة
عالم رباني ومتعلم على سبيل نجاة وهمج رعاع اتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجؤا
الى ركن وثيق العلم خير من المال العلم يحرسك وأنت تحرس المال والعلم يزكيه العمل والمال تنقصه النفقة
محبة العلم دين يدان به يكسبه الطاعة في حياته وجميل الاحدوثة بعد موته العلم حاكم والمال محكوم عليه
ومنفعة المال تزول بزواله مات خزان الاموال وهم أحياء والعلماء باقون ما بقي الدهر ثم تنفس الصعداء فقال
ها ان ههنا علما جما لو أجد له حملة بلى أجد لقنا غير مأمون يستعمل الدين في طلب الدنيا ويستطيل بنعم الله
تعالى على أوليائه ويستظهر بحججه على خلقه أو منقادا لاهل الحق ينزرع الشك في قلبه بأول عارض من
شبهة لا بصيرة له وليس من رعاة الدين في شيء لاذا ولا ذاك فمنهوم باللذة سلس القياد في طلب الشهوات أو
مغرى بجمع الاموال والادخار منقاد لهواه أقرب شبها بهما الانعام السائمة اللهم هكذا يموت العلم اذا مات
حاملوه بل لا تخلو الارض من قائم لله تعالى بحجة اما ظاهر مكشوف واما خائف مقهور لئلا تبطل حجج الله
تعالى وبيناته وأين أولئك الاقلون عددا الاعظمون قدرا أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة
يحفظ الله تعالى بهم حججه حتى يودعها نظراءهم ويزرعوها في قلوب اشباههم هجم بهم العلم على حقيقة
الامر فباشروا روح اليقين فاستلانوا ما استوعر منه المترفون وانسوا بما استوحش منه الغافلون صحبوا
الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحل الاعلى أولئك أولياء الله من خلقه وعماله في أرضه والدعاة الى دينه ثم
بكى وقال واشوقاه الى رؤيتهم فهذه كلها أوصاف علماء الآخرة وهذه نعوت علم الباطن وعلم القلوب لا علم
الالسنة وكذلك وصفهم معاذ بن جبل رضي الله عنه في وصف العلم بالله تعالى فيما رويناه من حديث رجاء بن
حيوة بن عبد الرحمن بن غنم عن معاذ قال تعلموا العلم فان تعلمه لله خشية وطلبه عبادة ومدارسته تسبيح
والبحث عنه جهاد وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة وبذله لاهله قربة وهو الانيس في الوحدة والصاحب في الخلوة
والدليل على السراء والضراء والزين عند الاخلاء والقريب عند الغرباء ومنار سبيل الجنة يرفع الله تعالى
به أقواما فيجعلهم الله في الخير قادة وهداة يقتدى بهم أدلة في الخير تقتص آثارهم وترمق أعمالهم ويقتدى
بفعالهم وينتهى الى رأيهم وترغب الملائكة في خلتهم وبأجنحتها تمسحهم حتى كل رطب ويابس لهم مستغفر
حتى حيتان البحر وهوامه وسباع البر وانعامه والسماء ونجومها لان العلم حياة القلوب من العمى ونور
الابصار من الظلم وقوة الابدان من الضعف يبلغ به العبد منازل الابرار والدرجات العلى والتفكر فيه يعدل
بالصيام ومدارسته بالقيام به يطاع الله تعالى وبه يعبد وبه يوحد وبه يتورع وبه توصل الارحام العلم امام
والعمل تابعه يلهمه السعداء ويحرمه الاشقياء فهذه أوصاف علماء الآخرة ونعت العلم الباطن وقد كان
من أفضل الامراء بعد الخلفاء الاربعة عمر بن عبد العزيز فحدثونا عن زكريا بن يحيى الطائي قال حدثني
عمي زحر بن حصين ان عمر بن عبد العزيز كتب الى الحسن رحمهما الله أما بعد فاشر علي بقوم أستعين
بهم على أمر الله تعالى فكتب اليه أما أهل الدين فلن يريدوك وأما أهل الدنيا فلن تريدهم ولكن عليك
بالاشراف فانهم يصونون شرفهم أن يدنسوه بالخيانة وكان الحسن يتكلم في بعض علماء البصرة ويذمهم

صلى الله عليه وسلم خير
الاصحاب عند الله خيرهم
لصاحبه وخير الجيران
عند الله خيرهم لجاره
فاتقوا الله عباد الله حق
تقواه وراقبوه مراقبة من
يعلم انه يراه وتأهبوا
لوثبات المنون فانها كامنة
في الحركات والسكون بينما
المرء مسرور بشبابه
مغمور باعجابه مغرورا
بصحة اكتسابه مسرورا
بما تلقى له بما يسري به
اذ سعرت فيه الاسقام
شهابها وكدرت له الايام
شرابها وحومت عليه
المنية عقابها وأعلقت فيه
ظفرها ونابها افسرت فيه
أوجاعه وتنكرت عليه
طباعه وأطل رحيله
وداعه وقل عنه منعه
ودفاعه فاصبح ذا بصر حائر
وقلب طائر ونفس غائر في
قطب هلاك دائر قد أيقن
بمفارقة أهله ووطنه
وأذعن بانتزاع روحه من
بدنه فاوما الى حاضري
عواده موصيا لهم بأصغر
أولاده والنفس بالسياق
تجذب والموت بالفراق
يقرب والعيون لهول
مصرعه تسكب والخامسة
عليه تعدد وتندب حتى
تجلى له ملك الموت من حجبه
فقضى فيه قضاء أمر به
فعافه الجليس وأوحش
منه الانيس وزودمن ماله
كفنا وحصل في القبر
بعمله مرتهنا وحيدا على
كثرة الجيران بعيدا على

النصب قوله والمقيمين الصلاة لانه مدح والعرب تنصب وترفع بالمدح و بمعناه قوله تعالى والراسخون فى العلم يقولون آمنا به فوصف العلماء بالايمان كما وصف المؤمنين بالعلم وكذلك قوله تعالى وقال الذين أوتوا العلم والايمان ومن هذا حديث أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أمتي خمس طبقات كل طبقة أربعون عاما فطبقتي وطبقة أصحابي أهل العلم والايمان والذين يلونهم الى الثمانين البر والتقوى والذين يلونهم الى مائة وعشرين أهل التواصل والتراحم فقرن العلم بالايمان وقدمهما على سائر الطبقات وقد قرن الله سبحانه الايمان بالقرآن وهو علم كما قرن القرآن بالايمان كما قال تعالى كتب فى قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه قيل القرآن وتكون الهاء عائدة الى الله تعالى فى أكثر الوجوه كما قال ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا فأهل الايمان هم أهل القرآن وأهل القرآن أهل الله وخاصته وقال المهدى لسفيان بن الحسين لما دخل عليه وكان أحد العلماء أمن العلماء أنت فسكت فأعاد عليه فسكت فقيل ألا تجيب أمير المؤمنين فقال يسألنى عن مسئلة لا جواب لها ان قلت لست بعالم وقد قرأت كتاب الله تعالى كنت كاذبا وان قلت انى عالم كنت جاهلا وقال أبو جعفر الرازى عن الربيع عن أنس فى قوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء قال من لم يخش الله تعالى فليس بعالم ألا ترى ان داود صلى الله عليه وسلم قال ذلك بانك جعلت العلم خشيتك والحكمة والايمان بك فما علم من لم يخشك وما حكم من لم يؤمن بك وقد سمى عبد الله بن رواحة العلم ايمانا فكان يقول لاصحابه اقعدوا بنا نؤمن ساعة فيتذاكرون علم الايمان وقد جعل الله للمؤمنين سمعا وبصرا وقلبا وهذه طرائق العلم التى يؤخذ العلم منها و يوجد بها وهى أصول العلم والنعم التى أنعم الله على الخلق بها وطالبهم بالشكر عليها اذ قال سبحانه والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيأ وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون فأثبت العلم بها بعد النفى بها وقال تعالى فى وصف من لم يكن مؤمنا ونفى الغنية بالعلم بها وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شئ اذ كانوا يجحدون بآيات الله فمن آمن بآيات الله تعالى أغنى عنه سمعه و بصره وقلبه فكانت طرق العلم اليه * وقال عز و جل فى معنى ذلك أيضا ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا فلولا ان العلم يقع بالسمع والبصر والقلب ما نهى عما لا يعلم هذه الاشياء ففى النهى عن قفو ما لا يعلم هذه الاواسط و يتبعه اثبات العلم بها فكل مؤمن هو ذو سمع و بصر وقلب فهو عالم بفضل الله ورحمته * ومما فضل الله تعالى به هذه الامة على سائر الامم وخصها به ثلاثة أشياء تبقية الاسناد فيهم بأثره خلف عن سلف متصلا الى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم والى من خلا من علمائنا وانما كانوا فيهم يستنسخون الصحف كلما اختلقت صحيفة جددت فكان ذلك اثرة العلم فيهم والثانى حفظنا كتاب الله تعالى المنزل عن ظهر غيب وانما كانوا يقرؤن كتبهم نظرا ولم يحفظ جميع كتاب أنزله الله تعالى قط غير كتابنا هذا الا ما ألهمه الله تعالى عزيرا من التوراة بعد أن كان بختنصر احرق جميعها عند احراق بيت المقدس فلذلك قال سبط من اليهود انه ابن الله تعالى عز عن ذلك علوا كبيرا لما خصه به وأفرده من حفظ جميع التوراة والثالث ان كل مؤمن من هذه الامة يسئل عن علم الايمان و يسمع قوله و يؤخذ من رأيه ومسمع حداثة سنه ولم يكونوا فيما مضى يسمعون العلم الا من الاحبار والقسيسين والرهبان لا غير من الناس وزادها رابعة على أمة موسى صلى الله عليه وسلم ثبات الايمان فى قلوبهم لا يعتريه الشك ولا يختلج الشرك مع تقليب القلوب فى المعاصى وكانت أمة موسى عليه السلام تتقلب قلوبهم فى الشك والشرك كما تتقلب جوارحهم فى المعاصى فلذلك قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة بعد ان رأوا الآيات العظيمة من انفلاق البحر وسلوكهم فيه طرائق وانجاهم من الغرق وأهلاك فرعون ورينا فى بعض الاخبار ان فى بعض الكتب المنزلة يا بنى اسرائيل لا تقولوا العلم فى السماء من ينزل به ولا فى تخوم الارضين من يصعد به ولا من وراء البحار من يعبره يأتى به العلم مجعول فى قلوبكم تأدبوا بين يدى بآداب الروحانيين وتخلقوا الى

قلى انك بها تعفو عنى فقال كل هذه لم أغفر لك بها فقلت الهى فبماذا قال أتذكر حين كنت تمشى فى دروب بغداد فوجدت هرة صغيرة قد أضعفها البرد وهى تنزوى الى جدار من الثلج والبرد فأخذتها رحمة لها فأدخلتها فى فرو كان عليك وقاية لها من ألم البرد فقلت نعم فقال برحمتك لتلك الهرة رحمتك

خ م عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انصر أخاك ظالما أو مظلوما فقال رجل يا رسول الله انصره مظلوما فكيف أنصره ظالما قال تمنعه من الظلم فذلك نصرك اياه

خ م قال صلى الله عليه وسلم مثل المدهن فى حدود الله والواقع فيها مثل قوم استهموا سفينة فصار بعضهم فى أسفلها وصار بعضهم فى أعلاها فكان الذى فى أسفلها يمر بالماء على الذين فى أعلاها فتأذوا به فأخذ فاسا فجعل ينقر أسفل السفينة فأتوه فقالوا مالك قال تأذيتم بى ولا بد لى من الماء فان أخذوا على يديه أنجوه ونجوا أنفسهم وان تركوه أهلكوه وأهلكوا أنفسهم

ت عن حذيفة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عذابا ...

القوي الضعيف في يقينه ومن يضعف يقينه تغلبه المحقرات من الاثم وقد كان يحيى بن معاذ يقول ان للتوحيد نورا وللشرك نارا وان نور التوحيد أحرق لسيئات الموحدين من نار الشرك لحسنات المشركين واليقين على ثلاث مقامات يقين معاينة وهذا لا يختلف خبره فالعالم به خبير وهو للصديقين والشهداء ويقين تصديق واستسلام وهذا في الخبر والعالم به مخبر مسلم وهذا يقين المؤمنين وهم الابرار ومنهم الصالحون ومنهم دون ذلك كقوله تعالى جده وما زادهم الا ايمانا وتسليما وقد يضعف هؤلاء بعدم الاسباب ونقصان المعتاد ويقوون بوجودها وجريان العادة ويحجبون بنظرهم الى الاواسط ويكاشفون بها ويجعلون مزيدهم وانسهم بالخلق ويكون نقصهم ووحشتهم بفقدهم ويكون من هؤلاء الاختلاف ويتلونون بالخلاف لتلون الاشياء وتغيرها عليهم * المقام الثالث من اليقين وهو يقين ظن يقوى بدلائل العلم والخبر وأقوال العلماء ويجد هؤلاء المزيد من الله تعالى والنصيب منه لهم ويضعف بفقد الادلة وصمت القائلين وهذا يقين الاستدلال وعلوم هذا في المعقول وهو يقين المتكلمين من عموم المسلمين من أهل الرأي وعلوم العقل والقياس والنظر وكل موقن بالله تعالى فهو على علم من التوحيد والمعرفة ولكن علمه ومعرفته على قدر يقينه ويقينه من نحو عطاء ايمانه وقوته وايمانه على مقتضى معاملته ورعايته فاعلى العلوم علم المشاهدة عن عين اليقين وهذا مخصوص للمقربين في مقامات قربهم ومحادثات مجالستهم ومأوى انسهم ولطيف تملقهم وأدنى العلوم علم التسليم والقبول بعدم الانكار وفقد الشكوك وهذا لعموم المؤمنين وهو من علم الايمان ومزيد التصديق وهذا لاصحاب اليمين وبين هذين مقامات لطبقات من أعلى طبقات المقربين الى أوسط المقامات ومن أدنى طبقات أصحاب اليمين الى أعلى أواسط الاعلين * (ذكر بيان تفضيل علوم الصمت وطريق الورعين في العلوم) وروينا في الخبر العلم ثلاثة كتاب ناطق وسنة قائمة ولا أدري وعن الشعبي انه قال لا أدري نصف العلم يعني انه من الورع وكان الثوري رضي الله عنه يقول انما العلم الرخصة من ثقة فأما التشديد فكل أحد يحسنه يعني ان التورع والتوقف في الامور هو سيرة المؤمنين وان لم يكونوا علماء لان الورع هو الجبن عن الاقدام والهجوم على الشبهات والوقوف عند المشكلات بسكون أو سكوت واليقين هو الاقدام على الاشياء ببصيرة وتمكين والقطع بالامر على علم وخبرة وهذا صفة العلماء الموثوق بعلمهم لا يحسنه سواهم كما قال علي عليه السلام لابنه محمد بن الحنفية وقدمه امامه يوم الجمل وجعل يقول له أقدم أقدم ومحمد يتأخر وهو يركز بقائم رمحه فالتفت اليه محمد ابنه فقال هذه والله الفتنة المظلمة العمياء فوكزه علي برمحه ثم قال تقدم لا أم لك أتكون فتنة أبوك قائدها وسائقها والمرء اذا قال لا أدري فقد عمل بعلمه وقام بحاله فله من الثواب بمنزلة من درى فقام بحاله وعمل بعلمه فأظهره فلذلك كان قول لا أدري نصف العلم ولان حسن من سكت لاجل الله تعالى تورعا كحسن من نطق لاجله بالعلم تبرعا وقال علي بن الحسين ومحمد بن عجلان اذا أخطأ العالم قول لا أدري أصيبت مقاتله وقاله مالك والشافعي بعدهما واعلم ان مثل العلم والجهل في تفاوت الناس فيهما مثل الجنون والعقل والمجانين طبقات كالعقلاء طبقات وكذلك الجهال طبقات كالعلماء فخصوص الجهال يشبهون عموم العلماء فهم يشتبهون على العامة حتى يحسبوهم علماء وهم مكشوفون عند العلماء بالله تعالى وكذلك العارفون يشتبهون على عموم العلماء وهم ظاهرون للموقنين وقال بعض العلماء العلم علمان علم الامراء وعلم المتقين فاما علم الامراء فهو علم القضايا وأما علم المتقين فهو علم اليقين والمعرفة وقد قال الله سبحانه في وصف علم المؤمنين وذكر علم الايمان يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات فجعل المؤمنين علماء فدل على ان العلم والايمان لا يفترقان والواو هنا عند أهل اللغة للمدح لا للجمع العرب اذا مدحت بالاوصاف أدخلت الواو للمبالغة فقالوا فلان العاقل والعالم والاديب ومثل هذا قوله تعالى لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة كله نعت فالمؤمنون هم الراسخون في العلم وهم المقيمون والمؤتون أيضا وكلهم وصف الراسخون في العلم ولذلك

ق قال صلى الله عليه وسلم خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن اليه وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساء اليه ثم قال صلى الله عليه وسلم من مسح رأس يتيم لم يمسحه الا لله كان له بكل شعرة تمر عليها يده حسنات ومن أحسن الى يتيمة أو يتيم عنده كنت أنا وهو في الجنة كهاتين وقرن بين أصبعيه م قال صلى الله عليه وسلم المؤمنون كرجل واحد ان اشتكى عينه اشتكى كله وان اشتكى رأسه اشتكى كله م قال صلى الله عليه وسلم المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره التقوى ههنا ويشير الى صدره ثلاث مرات بحسب امرئ من الشر ان يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه وروى ابن عساكر في تاريخه عن بعض أصحاب الشبلي قال رأيت الشبلي في النوم بعد موته فقلت له ما فعل الله بك فقال أوقفني بين يديه فقال يا أبا بكر أتدري بماذا غفرت لك فقلت بصالح عملي قال لا فقلت باخلاصي في عبوديتي قال لا فقلت بحجي وصومي وصلاتي قال لم أغفر لك بذلك فقلت بهجرتي الى الصالحين وبادامة أسفاري في طلب العلوم فقال لا فقلت يا رب هذه المنجيات التي كنت أعقد خنصري

قبله أبو يوسف من طلب العلم بالكلام تزندق * بيان آخر في فضل علم الباطن على الظاهر عابدك على ان العلم
الذي فضل له العلماء وأعظموا ذكره وخطره ووصفوا به العالم ومدحوه به وجاءت بفضله الا ثار وندب اليه
وفضل في الاخبار أهله انما هو العلم بالله تعالى الدال على الله تعالى الراد اليه الشاهد بالتوحيد في علم الايمان
واليقين وعلم المعرفة والمعاملة دون سائر علوم الفتيا والاحكام انهم يقولون من عمل بعلمه ويذ كرون
العمل بالعلم ويصفون جملته بالخشية والخشوع فهذا انما هو علم القلوب لا علم اللسان الذي يكون به العلم
ولا تتأتى عنه المعاملات من أعمال الايمان مثل أعمال القلوب التي هي مقامات اليقين وصفات المتقين
ومثل أعمال الجوارح من الصالحات التي هي مزيد الايمان والذين أربابها أهل الفقر والزهد وذو التوكل
والخوف وأصحاب الشوق والمحبة وليس يعنون ان يكون الانسان اذا علم علم الاحكام والقضايا عمل بها
والتزم الدخول في أحكامها العامل منها مثل ان يطلب القضاء فيقضي بين الناس اذا كان عالما به أو يفتي
المال ويدخل في البيع والشراء اذا كان عالما بالزكوات والبياعات أو يتزوج النساء ويطلق لانه عالم
بالنكاح والطلاق ليكون بهذه الاشياء عاملا بعلمه هذا ما قاله أحد بل قد روي في كراهة ذلك وذمه ما يكثر
ذ كره وأهل هذه العلوم موصوفون بالرغبة في الدنيا والحرص على جمعها ويلابسون الامراء فيعاملون
لهم فبطل انهم هم المعنيون بالعلم الموصوفون بالخشوع والزهد ومثل ذلك أيضا تفضيل الجمهور من السلف
العلم على العمل وقولهم ذرة من علم أفضل من كذا من العمل وركعتان من عالم أفضل من ألف ركعة من
عابد وحديث أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلي على أمتي
والخبر المشهور كفضل القمر على سائر الكواكب وقول ابن عباس وسعد وقد رويناه مسندا عالم واحد
أشد على الشيطان من ألف عابد وكذلك قيل في موته أحب اليه من موت ألف عابد انما يعنون بذلك العلم
بالله تعالى أفضل من العمل لان العلم بالله تعالى وصف من الايمان ومعنى من اليقين الذي لم ينزل من السماء
أعز منه فهو لا يعادله شئ ولا يصح عمل ولا يقبل الا به ولانه معيار الاعمال كلها على وزنه تتقبل الاعمال
قبولا حسنا بعضه أحسن من بعض ويثقل في الميزان ثقلا فوق ثقل ويرفع به العاملون في درجات عليين
بعضها من بعض وقد قال تعالى ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم ثم قال فلنقصن عليهم بعلم وقال تعالى
والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فما كان العلم منه الى الربوبية أقرب كان أفضل والعمل وصف
العامل وحكم العبودية لانهم يعنون العلم بالفتيا والاحكام والقضاء التي هي أماكن الخلاف عائدة عليهم
أفضل من معاملات الله سبحانه وتعالى بالقلوب من مقامات التوكل والرضا والمحبة التي هي معاينة اليقين الذي
هو مقام المقربين هذا لا يقوله عالم وقد روينا عن عبد الرحمن بن غنم عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم وأهل الجهاد أما أهل العلم فدلوا الناس على
ما جاءت به الرسل وأما أهل الجهاد فجاهدوا باسيافهم على ما جاءت به الرسل الا تراه كيف جعل العلم دالا على
الله تعالى كالجهاد وكذلك جاء في الخبر أول من يشفع الانبياء ثم الشهداء وفي الخبر للانبياء على العلماء فضل
درجة وللعلماء على الشهداء فضل درجتين وقال ابن عباس في معنى قوله عز وجل يرفع الله الذين آمنوا منكم
والذين أوتوا العلم درجات قال للعلماء درجات فوق الذين آمنوا بسبعمائة درجة ما بين الدرجتين خمسمائة
عام وقال ابن مسعود لما مات عمر رضي الله عنهما اني لاحسب انه ذهب بتسعة أعشار العلم فقيل تقول هذا
وفينا جلة الصحابة فقال ليس أعني العلم الذي تريدون انما أعني العلم بالله تعالى فجعل العلم بالمعلومات غير
حقيقة العلم وفضل العلم بالله تعالى بتسعة أعشارها وليس يزيد علم الظاهر على الاعمال كثير زيادة اذ هو من
الاعمال الظاهرة ولانه صفة اللسان ولانه لعموم من المسلمين فاعلى مقاماته الاخلاص فان فاتهم فهو دنيا
كسائر الشهوات والاخلاص هو أول حال العالم بالله تعالى بالعلم الباطن ولانم ابة المقام ثم الى أعلى
مقامات العارفين ودرجات الصديقين

(فصل) في شرب الخمر
وسائر المسكرات قال الله
سبحانه وتعالى يا أيها الذين
آمنوا انما الخمر والميسر
والانصاب والازلام رجس
من عمل الشيطان فاجتنبوه
لعلكم تفلحون م لعن
رسول الله صلى الله عليه
وسلم الخمر وشاربها وساقيها
وبائعها ومبتاعها وعاصرها
ومعتصرها وحاملها والمحمولة
اليه م عن ابن عمر قال
قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم كل مسكر حرام
من شرب الخمر في الدنيا
فمات وهو يدمنها لم يتب
لم يشربها في الآخرة م
عن أبي أمامة قال قال
رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان الله تعالى بعثني
رحمة للعالمين وهدى للعالمين
وأمرني ربي عز وجل بمحق
المعازف والمزامير والاوثان
والصلب وأمر الجاهلية
وحلف ربي عز وجل
بعزتي لا يشرب عبد من
عبيدي جرعة من خمر الا
سقيته من الصديد مثلها
ولا يتركها من مخافتي الا
سقيته من حياض القدس
اق عن ابن عمر ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال
ثلاثة قد حرم الله عليهم
الجنة مدمن الخمر والعاق
والديوث الذي يقر في أهله
الخبث اق قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم
مدمن الخمر ان مات لقي الله
تعالى كعابد وثن س عن
أبي موسى انه كان يقول

باخلاق الصديقين أظهر العلم في قلوبكم حتى يغطيكم ويغمركم وفي الانجيل مكتوب لا تطلبوا علم مالم تعلموا حتى تعملوا بما قد علمتم وفي أخبارنا من عمل بما يعلم ورثه الله علم مالم يعلم حتى قيل من عمل بعشر ما يعلم ورثه الله علم ما يجهل وقد روينا عن حذيفة بن اليمان انكم اليوم في زمان من ترك فيه عشر ما يعلم هلك ويأتي بعدكم زمان من عمل منهم بعشر ما يعلم نجا هذا لقلة العاملين وكثرة البطالين وفي كتابنا المجمل المختصر واتقوا الله ويعلمكم الله واتقوا الله واعلموا واتقوا الله واسمعوا واعلم أن من عمل بعلم أو نطق به فأصاب الحقيقة عند الله تعالى فله أجران أجر التوفيق وأجر العمل وهذا مقام العارفين ومن نطق بجهل أو عمل به وأخطأ الحقيقة فعليه وزران وهذا مقام الجهال ومن قال أو عمل بعلمه وأخطأ الحقيقة فله أجر لاجل العلم وهذا مقام علماء الظاهر ومن قال بجهل أو عمل جهلا وأصاب الحقيقة فعليه وزر لتركه طلب العلم وهذا مقام جهلة العابدين ومثل العالم مثل الحاكم وقد قسم النبي صلى الله عليه وسلم الحكام ثلاثة أقسام فقال صلى الله عليه وسلم القضاة ثلاثة قاض قضى بالحق وهو يعلم فذاك في الجنة وقاض قضى بالجور وهو يعلم أو قضى بالجور وهو لا يعلم فهما في النار ومن أحسن ما سمعت في قوله تعالى يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوآتكم قيل العلم وريشا قيل اليقين ولباس التقوى أي الحياء وروينا عن وهب بن منبه اليماني في معناه الايمان عريان ولباسه التقوى وزينته الحياء وثمرته العلم وقد أسنده حمزة الخراساني عن الثوري فرفعه الى عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد رويناه أيضا مسندا قال مسعر عن سعد بن ابراهيم وسأله سائل أي أهل المدينة أفقه فقال أتقاهم لله عز وجل وقال بعض العلماء لو قال لي قائل أي الناس أعلم لقلت أورعهم ولو قال لي قائل أي أهل هذه المدينة خير لقلت تعرفون أنصحهم لهم فاذا قالوا نعم قلت هو خيرهم وقال آخر لو قيل لي من أحمق الناس لاخذت بيد القاضي فقلت هذا وقال الله تعالى واتقوا الله واسمعوا واتقوا الله وقولوا قولا سديدا فجعل تعالى مفتاح القول السديد والعلم الرشيد والسمع المكين التقوى وهي وصية الله تعالى من قبلنا وايانا اذ يقول الله سبحانه وتعالى ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم واياكم أن اتقوا الله وهذه الآية قطب القرآن ومداره عليها كمدار الرحى على الخشبات وروينا عن عيسى عليه السلام كيف يكون من أهل العلم من مسيره الى آخرته وهو مقبل على دنياه وكيف يكون من أهل العلم من يطلب الكلام ليخبر به وهو لا يطلبه ليعمل به وقال الضحاك بن مزاحم أدركتهم وما يتعلم بعضهم من بعض الا الورع وهم اليوم يتعلمون الكلام وفي الحديث ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا أعطوا الجدل ثم قرأ ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون وفي الحديث فأما الذين في قلوبهم زيغ الآية هم أهل الجدل الذين عنى الله تعالى فاحذروهم وعن بعض السلف يكون في آخر الزمان علماء يغلق عنهم باب العمل ويفتح عليهم باب الجدل وفي بعض الاخبار انكم في زمان ألهمتم فيه العمل وسيأتي قوم يلهمون الجدل وعن ابن مسعود أنتم اليوم في زمان خيركم فيه المسارع ويأتي بعدكم زمان خيركم فيه المتبين يعني الآن لبيان الحق واليقين في القرن الاول وبعد ذلك في زماننا هذا لكثرة الشبهات والالتباس ودخول المحدثات مداخل الليل في السير فاشكل الامر الاعلى الفرد الذي يعرف طرائق السلف فيجتنب الحدث كله وروينا عن بعض العلماء اذا أراد الله بعبد خيرا فتح له باب العمل وأغلق عنه باب الجدل واذا أراد الله بعبد سوأ أغلق عنه باب العمل وفتح عليه باب الجدل وفي الخبر المشهور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أبغض الخلق الى الله عز وجل الالد الخصم وقد روينا في خبر الحياء والعي شعبتان من الايمان والبذاء والبيان شعبتان من النفاق وفي بعضها فسر والعي عي اللسان لا عي القلب والخبر الآخر ما روى الحكم بن عيينة عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أوتي قوم المنطق الا منعوا العمل وفي الحديث ان الله تعالى ليبغض البليغ من الرجال الذي يتخلل الكلام بلسانه كما تتخلل الباقرة الخلاء بلسانها والخلاء هو الحشيش الرطب وكان أحمد ابن حنبل يقول العلم انما هو ما جاء من فوق يعني الهاما من غير تعلم وقال أيضا علماء أهل الكلام زنادقة وقال

قبله

عنده ثم لندعنه فلا استجاب لكم ٭ عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوحى الله عز وجل الى جبريل عليه السلام أن اقلب مدينة كذا وكذا بأهلها فقال يا رب ان فيهم عبدك فلانا لم يعصك طرفة عين قال فقال اقلبها عليه وعليهم فان وجهه لم يتمعر في ساعة قط ٭ عن معاوية انه كتب الى عائشة أن اكتبي الى كتابا توصيني فيه ولا تكثري فكتبت سلام عليك أما بعد فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس ومن التمس رضا الناس بسخط الله وكله الله الى الناس والسلام عليك شعر

أيها العاصي المسيء الى متى ٭ تعصي الاله وتتدي سواله
قم في الدياجي طالبا لامانه ٭ واخضع وذل لعزه وجلاله
واضرع اليه وناده بتذلل ٭ يا من تعود على الكئيب نواله
يا من اذا سأل المقصر عفوه ٭ فهو المجيب بفضله لسؤاله
مالي اليك وسيلة الا الرجا ٭ وتشفعي بمحمد وبآله
المصطفى المختار أكرم شافع ٭ فمن يرتجيه ليوم ما آله
صلى عليك الله ما جن الدجى ٭ وبدا الصباح بنور حسن جماله

اللهم انقلنا من ذل معصيتك الى عز طاعتك

علماء يرون من فجوره والمبتدع الناسك يرغب الناس في بدعته يرون من نسكه وقال صالح بن حسان البصري أدركت المشيخة وهم يتعوذون بالله تعالى من الفاجر العالم بالسنة وقال الفضيل بن عياض انما هما عالمان عالم دنيا وعالم آخرة فعالم الدنيا علمه منشور وعالم الآخرة علمه مستور فاطلب عالم الآخرة واحذر عالم الدنيا لا يصدك بسكره ثم قرأ ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله قال فالاحبار العلماء والرهبان الزهاد وقال سهل بن عبد الله طلاب العلم ثلاثة فواحد يطلب علم الورع مخافة دخول الشبهة عليه فيدع الحلال خوف الحرام فهذا زاهد تقي وآخر يطلب علم الاختلاف والاقاويل فيدع ما عليه ويدخل فيما أباح الله تعالى بالسعة ويأخذ الرخصة وآخر يسأل عن شيء فيقال هذا لا يجوز فيقول كيف أصنع حتى يجوز لي فيسأل العلماء فيخبرونه بالاختلاف والشبهة فهذا يكون هلاك الخلق على يديه وقد أهلك نفسه وهم علماء السوء واعلم ان كل محب للدنيا ناطق بعلم فانه آكل للمال بالباطل وكل من أكل أموال الناس بالباطل فانه يصد عن سبيل الله لا محالة وان لم يظهر ذلك في مقاله ولكنك تعرفه في لحن معناه بدقائق الصد عن مجالسة غيره وبلطائف المنع من طرقات الآخرة لان حب الدنيا وغلبة الهوى يحكمان عليه بذلك شاء أم أبى وقال بعض العلماء ان الله عز وجل يحب العالم المتواضع ويبغض الجبار من العلماء ومن تواضع لله تعالى ورثه الله تعالى الحكمة وفي الخبر عن ابن مسعود ان الله تعالى يمقت الحبر السمين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمالك بن الصيف حبر من أحبار اليهود فقال صلى الله عليه وسلم نشدتك الله تعالى ألم تجد فيما أنزل تعالى على موسى عليه السلام ان الله تعالى يبغض الحبر السمين وكان ابن الصيف سمينا فغضب عندها فقال ما أنزل الله على بشر من شيء ففيه نزلت هذه الآية تعريفا به قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا فقال له أصحابه ويحك ماذا قلت جحدت كتاب موسى فقال انه محكني فقلت ذلك ويقال ما آتى الله تعالى عبدا علما الا آتاه معه حلما وتواضعا وحسن خلق ورفقا فذلك علامة العلم النافع وقد روينا معناه في الاثر من آتاه عز وجل زهدا وتواضعا وحسن خلق فهو امام المتقين وكان الحسن يقول الحلم وزير العلم والرفق أبوه والتواضع سرباله وفي أخبار داود عليه السلام ان الله تعالى أوحى اليه يا داود لا تسألني عن عالم قد أسكرته الدنيا فيصدك عن طريق محبتي أولئك قطاع طريق عبادي المريدين يا داود ان أدنى ما أصنع بالعالم اذا آثر شهوته على محبتي ان أحرمه لذيذ مناجاتي يا داود اذا رأيت لي طالبا فكن له خادما يا داود من رد الي هاربا كتبته عندي جهبذا ومن كتبته جهبذا لم أعذبه أبدا وروينا عن عيسى عليه السلام مثل علماء السوء مثل صخرة وقعت على فم النهر لا هي تشرب الماء ولا تترك الماء يخلص الى الزرع وكذلك علماء الدنيا قعدوا على طريق الآخرة فلا هم نفذوا ولا تركوا العباد يسلكون الى الله عز وجل قال ومثل علماء السوء كمثل قناة الحش ظاهرها حسن وباطنها نتن ومثل القبور المشيدة ظاهرها عامر وباطنها عظام الموتى وقال بشر بن الحارث من طلب الرياسة من العلماء فتقرب الى الله تعالى ببغضه فانه ممقت الله في السماء والارض وكان الاوزاعي يروي عن بلال بن سعد انه كان يقول ينظر أحدكم الى الشرطي والعون فيستعيذ بالله تعالى من حاله وينظر الى عالم الدنيا قد تصنع للخلق وتشوف للطمع والرياسة فلا يمقته هذا العالم أحق بالمقت من ذلك الشرطي وقد كان أبو محمد يقول لا تقطعوا أمرا من الدين والدنيا الا بمشورة العلماء تحمدوا العاقبة عند الله قيل يا أبا محمد من العلماء قال الذين يؤثرون الآخرة على الدنيا ويؤثرون الله تعالى على نفوسهم وقد قال عمر رضي الله عنه في وصيته وشاور في أمورك الذين يخشون الله تعالى وروينا في الاسرائيليات ان حكيما من الحكماء صنف ثلثمائة وستين مصحفا في الحكمة حتى وصف بالحكيم فأوحى الله تعالى الى نبيهم قل لفلان قد ملأت الارض نفاقا ولم تردني بشيء من ذلك واني لا أقبل شيئا من نفاقك قال فاسقط في يديه وحزن وترك ذلك وخالط العامة ومشى في الاسواق وواكل بني اسرائيل وتواضع في نفسه فأوحى الله تعالى الى النبي عليه السلام قل له

مما يصيبه العذاب الأليم الذي لا يطيقه الجبال الرواسي فتب يا أخي عن القبيح ولا يردعك عن التوبة تخوف العود في الذنب وفي الروض الفائق قال منصور بن عمار رحمه الله كان لي أخ في الله كثير العبادة والتهجد والبكاء ففقدته أياما فقيل لي هو ضعيف فدخلت داره فوجدته قد اسود وجهه وازرقت عيناه وغلظت شفتاه فقلت له وأنا خائف منه أكثر من قول لا اله الا الله فنظر الي شزرا ثم غشي عليه فقلت له أكثر من قول لا اله الا الله فنظر الي شزرا فلما قلت له في المرة الثالثة قال يا أخي هذه كلمة حيل بيني وبينها فقلت له وأين تلك الصلاة والصيام والتهجد فقال لي كل ذلك كان لغير وجه الله تعالى بل لاذكر به فاذا خلوت شربت الخمور وبارزت ربي بالمعاصي ودمت على ذلك مدة فاصابني مرض أشرفت به على الهلاك فرفعت المصحف وقلت اللهم بحق هذا القرآن اشفني واني لا أعود الى ذنب أبدا فشفاني الله تعالى ثم عدت الى ما كنت عليه من اللهو واللذات والزنا ثم وقعت بعد مدة في مرضة أخرى ففعلت كذلك فشفاني الله تعالى ثم عدت الى اللهو واللعب فوقعت في هذه المرضة فرفعت المصحف وقلت

*(باب ذكر الفرق بين علماء الدنيا وعلماء الآخرة وذم علماء السوء) الآكلين بعلومهم الدنيا وقد فرقت العلماء بين العلم بالله تعالى وبين العلم بأمر الله تعالى وفرقوا بين علماء الدنيا وعلماء الآخرة فقال سفيان العلماء ثلاثة عالم بالله وبأمر الله فذلك العالم الكامل وعالم بالله تعالى فذلك التقي الخائف وعالم بأمر الله تعالى غير عالم بالله تعالى فذلك العالم الفاجر وقيل أيضا عالم لله تعالى وهو العامل بعلمه وعالم بأيام الله تعالى وهو الخائف الراجي وسئل سفيان عن العلم ماهو فقال هو الورع قيل وأي شئ هو الورع فقال طلب العلم الذي يعرف به الورع وهو عند قوم طول الصمت وقلة الكلام وماهو كذلك انما هو المتكلم العالم عندنا أفضل من الصامت وروينا عن لقمان في وصيته لابنه للعلم ثلاث علامات العلم بالله وبما يحبه الله تعالى وبما يكرهه فعل حقيقة العلم ودليل وجوده هذه الثلاث ومما يدلك على الفرق بين علماء الدنيا وعلماء الآخرة أن كل عالم بعلم اذا رآه من لا يعرفه لم يتبين عليه أثر علمه ولا عرف انه عالم الا العلماء بالله عز وجل فانما يعرفون بسيماهم للخشوع والسكينة والتواضع والذلة فهذه صبغة الله تعالى لأوليائه ولبسة للعلماء به ومن أحسن من الله صبغة فتأملهم في ذلك تمثل الصناع اذ كل صانع لو ظهر لمن لا يعرفه لم يعرف صنعه دون سائر الصنائع ولم يفرق بينه وبين الصناع الا الصناع فانه يعرف بصنعته لأنها ظاهرة عليه اذ صارت له لبسة وصفة لالتباسها بمعاملته فكانت سيماه كما قيل ما ألبس الله تعالى عبدا لبسة أحسن من خشوع في سكينة هي لبسة الانبياء وسيما الصديقين والعلماء فأعلم الناس بلطف ما يحب الله تعالى وخفي ما يكره أهل القلوب الفاقهة عن الله تعالى وهم العارفون به وقد كان سهل رحمه الله يقول العلماء ثلاثة عالم بالله تعالى وعالم لله تعالى وعالم بحكم الله تعالى يعني العالم بالله تعالى العارف الموقن والعالم لله عز وجل هو العالم بعلم الاخلاص والاحوال والمعاملات والعالم بحكم الله تعالى هو العالم بتفصيل الحلال والحرام فسرنا ذلك على معاني قوله ومعرفة مذهبه وقد قال مرة في كلام أبسط من هذا عالم بالله لا بأمر الله ولا بأيام الله وهم المؤمنون وعالم بأمر الله لا بأيام الله وهم المفتون في الحلال والحرام وعالم بالله تعالى عالم بأيام الله وهم الصديقون يعني قوله بأيام الله أي بنعمته الباطنة وبعقوباته الغامضة ثم قال الناس كلهم موتى الا العلماء والعلماء نيام الا الخائفين والخائفون منقطعون الا المحبين والمحبون أحياء شهداء وهم المؤثرون لله تعالى على كل حال وقد كان يقول طلاب العلم ثلاثة واحد يطلبه للعمل به وآخر يطلبه ليعرف الاختلاف فيتورع ويأخذ بالاحتياط وآخر يطلبه ليعرف التأويل فيتناول الحرام فيجعله حلالا فهذا يكون هلاك الحق على يديه وقد حدثت عن أبي يوسف انه كان اذا صار رأس الحول وهب ماله لامرأته واستوهبها مالها فتسقط عنهما الزكاة فذكر ذلك لأبي حنيفة فقال ذلك من فقهه فانما يطلب العلم لمعرفة الورع والاحتياط للدين فهذا هو العلم النافع فاذا طلب لمثل هذا والتأويل الهوى كان الجهل خيرا منه وصار هذا العلم هو الضار الذي استعاذ الرسول صلى الله عليه وسلم منه وروينا عن عمر وغيره كم من عالم فاجر وعابد جاهل فاتقوا الفاجر من العلماء والجاهل من المتعبدين وعن عمر أيضا وقد رويناه مسندا اتقوا كل منافق عليم اللسان يقول ما تعرفون ويعمل ما تنكرون وروينا عنه أيضا تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والحلم وتواضعوا لمن تعلمون وليتواضع لكم من يتعلم منكم ولا تكونوا جبابرة العلماء فلا يقوم علمكم بجهلكم وروينا عن علي وابن عباس رضي الله عنهما وعن كعب الاحبار يكون في آخر الزمان علماء يزهدون الناس في الدنيا ولا يزهدون ويخوفون ولا يخافون وينهون عن غشيان الولاة ولا ينتهون ويؤثرون الدنيا على الآخرة ويأكلون الدنيا بألسنتهم أكلا يقربون الاغنياء ويباعدون الفقراء يتغايرون على العلم كما تتغاير النساء على الرجال يغضب أحدهم على جليسه اذا جالس غيره ذلك حظهم من العلم وفي حديث علي رضي الله عنه علماؤهم شر الخليقة منهم بدت الفتنة وفيهم تعود وفي حديث ابن عباس أولئك الجبارون أعداء الرحمن وروينا عن علي عليه السلام ما قطع ظهري في الاسلام الا رجلان عالم فاجر ومبتدع ناسك فالعالم الفاجر يزهد الناس في

ما أبالي شربت الخمر أو عبدت هذه السارية دون الله قال في التمشية لارشاد الغاوي وما يغير العقل من غير سكر كالبنج والافيون والحشيشة يعزر عليها وقال الدميري في شرح المنهاج والصواب تحريم بيع الافيون والتجارة فيه لأنه مسكر مخدر ومفسد العقول والابدان والاديان اه فاتقوا الله عباد الله في ازالة العقل فان الله تعالى أعطاكم العقل لتميزوا به الحسن عن القبيح في أمر الدنيا والآخرة وميزكم بالعقل عن الحيوان فقد روى البيهقي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال أول ما خلق الله عز وجل العقل فقال له أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر فقال عز من قائل وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا أعز علي منك بك آخذ وبك أعطي وبك أحاسب وبك أعاقب فالعقل نعمة عظيمة ومنة جسيمة من الله تعالى بها على الانسان فمن أزال عقله بأكل المنهي عنه فقد أزال عنه نعمته التي بها صلاح الدنيا والدين فصار أخس من كلب لا يميز بين الطعام الحسن والجيفة القذرة كيف لا وان الكلب لا يعقوبه له ويطيع مطعمه وهذا ترك اطاعة خالقه الذي يطعمه ويكسوه ويعطيه جميع النعم ومال الى ما نهى عنه

بطمع ربحه بيوت وجمع رابح بالبيوت وكذلك جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يشفع يوم القيامة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء فقدم العلماء على الشهداء لان العالم امام أمته فله مثل أجور أمته والشهيد عامل لنفسه وفي خبر آخر حبر العلماء يوزن بدم الشهداء فاعلى حال الشهيد دمه وأدنى وصف العالم حبره فسوى بينهما وزاد العالم على الشهيد بأعلى مقامه وكان على عليه السلام يقول العالم أفضل من الصائم القائم والمجاهد في سبيل الله واذا مات العالم ثلم في الاسلام ثلمة لا يسدها الا خلف منه وقد روينا معناه مسندا اذا مات العالم ثلم في الاسلام ثلمة لا يسدها شيء ما طرد الليل والنهار ألا موت العالم نجم طمس وموت قبيلة أيسر من موت عالم ثم قال على عليه السلام في حديث كميل ومتعلم على سبيل النجاة يعني مريدا طالبا للعلم متعلما من العلماء بالله تعالى على طريق معاملة واخلاص لطلب السلامة وان ينجو من الجهل في الدنيا ومن العذاب في الآخرة ثم قال وهمج رعاع الهمج الفراش الذي يتهافت في النار لجهله واحدته همجة ورعاع خفيف طياش لا عقل له يستفزه الطمع ويستخفه الغضب ويزدهيه العجب ويستطيله الكبر ثم بكى على عليه السلام وقال هكذا يموت العلم بموت حامليه ثم تنفس عند وصف الربانيين فقال واشوقاه الى رؤيتهم يعني الربانيين من العلماء وقد ذكرنا هذا الحديث بطوله في الباب الذي قبل هذا فهؤلاء الذين بكى عليهم شوقا اليهم الذين اشتاق رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم قبله فقال واشوقاه الى لقاء اخواني ووددت اني قد رأيت اخواني ثم قال هم قوم يجيئون بعدكم ثم وصفهم فانما كانوا اخوانه لان قلوبهم على قلوب الانبياء عليهم السلام وأخلاقهم بمعاني صفات الايمان وهم ابدال هذه الامة جاء في وصفهم ما يجل عن الوصف هم على ثلاث طبقات صديقون وشهداء وصالحون وان منهم من قلبه على قلب ابراهيم الخليل ومنهم من قلبه على قلب موسى الكليم وعيسى الروح ومحمد الحبيب صلوات الله عليهم وسلم أجمعين ومنهم من قلبه على قلب جبريل وميكائيل واسرافيل والاخوة تقع بين الاثنين في المجانسة وقرب الشبه في الافعال والاخلاق كما قال الله عز وجل ألم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا لما كانوا على أوصافهم في القلوب من اسرار الكفر واعتقاد الشك جعلهم اخوانا وكذلك قال ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وهؤلاء ليسوا أمثالهم في الخلقة ولا بينهم أبوة ولا أمومة لان الشياطين من ولد ابليس والمبذرين أولاد آدم عليه السلام ولكن تشابهت قلوبهم في المواجيد والاخلاق والافعال فآخى بينهم للتشابه فمن كان من علماء الآخرة فعمله يستضيء من أنوار قلبه وفهمه ينبئ عن استنباط علمه ومشاهدته وأخلاقه على معاني يقينه وقوته وطريقه وسلوكه في منهاج سنته وسبيله فهو من اخوانه واخوان النبيين الذين اشتاق الى رؤيتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم الغرباء بين الملأ الذين قال بدأ الاسلام غريبا وسيعود غريبا فطوبى للغرباء قيل ومن الغرباء قال الذين يصلحون اذا فسد الناس وفي لفظ آخر الذين يصلحون ما أفسده الناس من سنتي والذين يحيون ما أمات الناس من سنتي يعني انهم يظهرون طريقته التي تركها الناس وجهلوها وفي خبر آخرهم المتمسكون بسنتي وما أنتم عليه اليوم وفي حديث آخر الغرباء ناس قليلون صالحون بين ناس سوء كثيرين من يبغضهم أكثر من يحبهم فهؤلاء الغرباء الذين قد أنعم الله عليهم بمرافقة النبيين في أعلى عليين فقال مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين الى قوله رفيقا وقد كان الثوري يقول اذا رأيت العالم كثير الاصدقاء فاعلم انه مخلط وقال أيضا اذا رأيت الرجل محببا الى اخوانه محمودا في جيرانه فاعلم انه مراء وقد وصف الله تعالى علماء السوء بأكل الدنيا بالعلم ووصف علماء الآخرة بالخشوع والزهد فقال تعالى في علماء الدنيا واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه الى قوله ثمنا قليلا وقال في نعت علماء الآخرة وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم الى قوله لهم أجرهم عند ربهم وقد روينا عن الضحاك عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم علماء هذه الامة رجلان فرجل آتاه الله علما فبذله للناس ولم يأخذ عليه طمعا ولم يشتر به ثمنا فذلك يصلي عليه طير السماء وحيتان الماء ودواب

يعلم معلما قلت ثم أي قال ان تزاني حليلة جارك فأنزل الله تصديقها والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما أي واديا في النار من دم وقيح ويقال جبالا يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا أي ذليلا لانضمام الكبيرة الى الكفر الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيآتهم حسنات أي بنفس التوبة النصوح ففي صحيح مسلم عن أبي ذر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بالرجل يوم القيامة فيقال اعرضوا عليه صغار ذنوبه ويخبأ عنه كبارها فيقال عملت يوم كذا وكذا وهو مقر لا ينكر وهو مشفق من الكبائر فيقال اعطوه مكان كل سيئة عملها حسنة فيقول ان لي كبائر ذنوبا ما أراها ههنا قال فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك حتى بدت نواجذه وعن أبي هريرة انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول لما نزلت آية اللعان أيما امرأة أدخلت على قوم من ليس منهم فليست من الله في شيء ولن يدخلها الله الجنة وايما رجل جحد ولده وهو ينظر اليه احتجب الله منه وفضحه على رؤس

الآن وافقت رضاى وقال بعض العلماء كان أهل العلم على ضربين عالم عامة وعالم خاصة فاما عالم العامة فهو المفتى فى الحلال والحرام وهؤلاء اصحاب الاساطين وأما عالم الخاصة فهو العالم بعلم التوحيد والمعرفة وهؤلاء اهل الزوايا وهم المنفردون وقد كانوا يقولون مثل الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه مثل دجلة كل أحد يعرفها ومثل بشر بن الحارث مثل بئر عذبة مغطاة لا يقصدها الا واحد بعد واحد وقال حماد بن زيد قيل لايوب العلم اليوم أكثر أو فيما مضى فقال العلم فيما مضى كان أكثر والكلام اليوم أكثر ففرق بين العلم والكلام وقد كانوا يقولون فلان عالم وفلان متكلم وفلان أكثر كلاما وفلان أكثر علما وكان أبو سليمان يقول المعرفة الى السكوت أقرب منها الى الكلام وقال بعض العارفين هذا العلم على قسمين نصفه صمت ونصفه تدرى أين تضعه وزاد آخر ونصفه وجد ونصفه نثار يعنى تفكرا واعتبارا وسئل سفيان عن العالم من هو فقال من يضع العلم فى مواضعه ويؤتى كل شئ حقه وقال بعض الحكماء اذا كثر العلم قل الكلام وقد كان ابراهيم الخواص رحمه الله يقول الصوفى كلما ازداد علما نقصت طينته وقال بعض شيوخنا قلت للجنيد يا أبا القاسم يكون لسان بلا قلب قال كثير قلت فيكون قلب بلا لسان فقال نعم قد يكون ولكن لسان بلا قلب بلاء وقلب بلا لسان نعمة قلت فاذا كان لسان وقلب قال فذاك الزبد بالنرسيان يعنى العسل وقد روينا حديثا مقطوعا عن سفيان عن مالك بن مغول قال قيل يارسول الله أى العمل أفضل قال اجتناب المحارم ولا يزال فوك رطبا من ذكر الله تعالى قيل يارسول الله فاى الاصحاب خير قال صاحب ان ذكرت أعانك وان نسيت ذكرك قيل فاى الاصحاب شر قال صاحب ان سكت لم يذكرك وان ذكرت لم يعنك قال فاى الناس أعلم قال أشدهم لله تعالى خشية قال فاخبرنا بخيارنا نجالسهم قال الذين اذا رؤا ذكر الله تعالى قالوا فاى الناس شر يارسول الله قال اللهم اغفر قالوا أخبرنا يارسول الله قال العلماء اذا فسدوا وقد وصف على عليه السلام علماء الدنيا الناطقين عن الرأى والهوى بوصف غريب رويناه عن خالد بن طليق عن أبيه عن جده وجده عمران بن حصين قال خطبنا على بن أبى طالب عليه السلام ورضى عنه فقال ذمتى رهينة وانا زعيم لا يهيج على التقوى زرع قوم ولا يظمأ على الهدى سنخ أصل وان أجهل الناس من لا يعرف قدره وكفى بالمرء جهلا ان لا يعرف قدره وان أبغض الخلق الى الله تعالى رجل قمش علما أغارفى أغباش الفتنة عمى بما فى غيب الهدنة سماه أشباه الناس وارذالهم عالما ولم يغن فى العلم يوما سالما بكر فاستكثر مما قل منه خير مما كثر حتى اذا ارتوى من آجن وأكثر من غير طائل جلس للناس مفتيا لتخليص ما التبس على غيره فان نزلت به احدى المهمات هيأ لها حشو الرأى من رأيه فهو من قطع الشبهات فى مثل غزل العنكبوت لا يدرى أخطأ أم أصاب ركاب الجهالات خباط عشوات ظلمة لا يعتذر مما لا يعلم فيسلم ولا يعض على العلم بضرس قاطع فيغنم تبكى منه الدماء وتصرخ منه المواريث وتستحل بقضائه الفروج الحرام لا ملى والله باصدار ما ورد عليه ولا هو أهل لما فرط به أولئك الذين حلت عليهم النياحة والبكاء أيام حياة الدنيا ووصف على عليه السلام علماء الآخرة فى حديث كميل بن زياد الذى يقول فيه الناس ثلاثة عالم ربانى يعنى عالما بالربوبية فنسبه الى الرب كما سماهم الله فى قوله كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب الآية فسمى العالم بكتابه ربانيا والدارس له ربانيا فهذا قد جمع العلم والعمل وكذلك يقال العالم الربانى هو الذى يعلم ويعمل ويعلم الناس الخير قال فذاك الذى يدعى عظيما فى ملكوت السماء وقال تعالى فى تقدمتهم لولا ينهاهم الربانيون والاحبار فقدم الربانيين على الاحبار وهم علماء الكتب وكذلك روينا عن مجاهد قال الربانيون فوق الاحبار درجة وقال غيره والاحبار فوق الرهبان يعنى علماء القلوب أرفع من علماء الالسنة والعلماء بالكتب أفضل من العباد بدرجة وقد ضمهم الله تعالى الى أنبيائه فى النصرة له والصبر معه فى قوله تعالى وكأين من نبى قتل معه ربيون كثير ثم وصفهم بالثبات لامره والقوة فى دينه والصبر لحكمه فى تمام الآية وربيون جمع ربى يقال ربى وربانى

بجمع

الهى بحرمة هذا فرج عنى فسمعت هاتفا يقول ولم ار شخصه

شعر

نتوب من الذنوب اذا مرضنا
ونرجع للذنوب اذا برئنا
اذا ما الضر مسك انت باك
بأخبث ما تكون اذا قوينا
فكم من كربة نجاك منها
وكم كشف البلايا اذ بلينا
وكم غطاك فى ذنب وعنه
مدى الايام جهرا قد نهينا
أما تخشى بان تأتى المنايا
وأنت على الخطايا قد دهينا
وتنسى فضل رب جاد لطفا
عليك ولا ارعويت ولا انتهينا
وكم عاهدت ثم نقضت عهدا
وأنت لكل معروف نسينا
فدارك قبل نقلك عن
ديارك * الى قبر اليه قد نعينا

قال منصور فوالله ما خرجت من عنده الا وعينى تسكب العبرات فما وصلت الى الباب حتى قيل انه قد مات رزقنا الله واياكم حسن الخاتمة واعاذنا واياكم من ميتة السوء وغفر لنا ولوالدينا ولاستاذينا ولاحبابنا وللمسلمين والمسلمات

(فصل) فى الزنا قال الله سبحانه وتعالى ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة أى أقبح المعاصى وساء سبيلا أى بئس مسلكا خ م عن ابن مسعود رضى الله عنه قلت يانبى الله أى الذنب أعظم قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ثم أى قال ان تقتل ولدك مخافة ان

الايمان وثمرة الهدى فاذا افتقد المتقون وقل الخائفون وعدم الزاهدون ذهبت هذه العلوم لانها قائمة بهم وموجودة عندهم هم أربابها والناطقون بها وهي أحوالهم وطرائقهم هم السالكون لها والقائمون بها فلاجل معرفة الصحابة والتابعين عزة ذلك كانوا يبكون على فقده وقد وصف الله العلماء بالزهد في الدنيا والاستصغار لها وبعمل الصالحات والايمان بها كما وصف أبناء الدنيا بالرغبة فيها والاستعظام لها قال تعالى في معنى ذلك فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا ياليت لنا مثل ما أوتي قارون انه لذو حظ عظيم وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ثم قال عز وجل ولا يلقاها الا الصابرون أي لا يلقى هذه الحكمة الا الصابرون عن زينة الدنيا التي خرج فيها قارون وروينا عن جندب بن عبد الله البجلي قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم غلمانا حزاورة فيعلمنا الايمان قبل القرآن ثم تعلمنا القرآن فازددنا ايمانا وعن ابن مسعود قال أنزل القرآن ليعمل به فاتخذتم دراسته عملا وسيأتي قوم يثقفونه تثقيف القناة ليسوا بخياركم وفي لفظ آخر يقيمونه اقامة القدح يتعجلونه ولا يتأجلونه وروينا عن ابن عمر وغيره لقد عشنا برهة من دهرنا وان أحدنا يؤتى الايمان قبل القرآن وتنزل السورة فيتعلم حلالها وحرامها وآمرها وزاجرها وما ينبغي أن يتوقف عنده منها كما تتعلمون أنتم اليوم القرآن ولقد رأيت رجالا يؤتى أحدهم القرآن قبل الايمان فيقرأ ما بين فاتحته الى خاتمته لا يدري ما آمره ولا زاجره وما ينبغي أن يقف عنده وينثره نثر الدقل وفي الخبر الآخر بمعناه كنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أوتينا الايمان قبل القرآن وسيأتي بعدكم قوم يؤتون القرآن قبل الايمان يقيمون حروفه ويضيعون حدوده ويقولون قرأنا فمن أقرأ منا وعلمنا فمن أعلم منا فذلك حظهم منه وفي لفظ آخر أولئك شرار هذه الامة فاما العلم المأثور الذي نقله خلف عن سلف والخبر المرسوم في الكتب المستودع في الصحف الذي يسمعه من غير عن قدم فهذا علم الاحكام والفتيا وعلم الاسلام والقضايا طريقه السمع ومفتاحه الاستدلال وخزانته العقل وهو مدون في الكتب ومحبر في الورق يتلقاه الصغير عن الكبير بالالسنة وهو باق ببقاء الاسلام وموجود بوجود المسلمين لانه حجة الله تعالى على عباده وحجة العموم من خلقه فضمن اظهاره فلم يكن ليظهر الا بحمله فظهوره ونقله بحمله فقال تعالى ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون وكما قال الرسول صلى الله عليه وسلم علم عمل وعلم ظاهر على اللسان فذلك حجة الله تعالى على خلقه وقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه تسمعون ويسمع منكم ويسمع ممن سمع منكم فأخبر صلى الله عليه وسلم بالعلم العتيد المستودع ظهور الكتب الذي هو ظاهر الدين وفي جهله وعدمه وجود الشرك كما ضمن الله تعالى تبقية الاسلام على كره المشركين وقال صلى الله عليه وسلم رحم الله من سمع منا حديثا فبلغه كما سمعه فرب حامل فقه غير فقيه ورب حامل فقه الى من هو أفقه منه وقد أخبر أن حامل الفقه قد يكون غير فقيه القلب اذا لم يعمل بعلمه وانه قد يحمله الى من هو أفقه منه اذا عمل به اذا وعاه كما قال في الخبر الآخر رب مبلغ أوعى من سامع فقد حسه بالعمل به اذا وعاه فتذكر به وتفكر فيه وان لم يكن سمعه منه صلى الله عليه وسلم وقال الله سبحانه وتعالى وتعيها أذن واعية يعني أذن القلب الحافظة لما سمعت الذاكرة لما وعت كما قال تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد يعني أصغى بسمعه الى سامعه وشهد بقلبه ما سمعه من شاهده وقد جاء في تفسير قوله تعالى وتعيها أذن واعية قال أذن عقلت عن الله تعالى أمره ونهيه فوعته وعملت به كما وصف سبحانه وتعالى المؤمنين الذين نعتهم بقوله في تمام وصفهم والحافظون لحدود الله تعالى وقد روينا عن علي رضي الله عنه اطلبوا العلم تعرفوا به واعملوا به تكونوا من أهله وقال أيضا رضي الله عنه اذا سمعتم العلم فاكظموا عليه ولا تخلطوه بهزل فتمجه القلوب وقال بعض السلف من ضحك ضحكة مج مجة من العلم وقال الخليل بن أحمد رحمه الله ليس العلم ما حوته القمطر انما العلم ما وعاه الصدر واذا جمع العالم ثلاثا تمت النعمة به على المتعلم الصبر والتواضع وحسن الخلق واذا جمع المتعلم ثلاثا تمت النعمة به على العالم العقل والادب وحسن الفهم والله أعلم

فتعجبوا من ذلك وقالوا لقد أخبرتنا بعجب ونحن نخبرك بأمر تعجبين منه وذلك انا كنا سائرين في البحر اذ اعترضتنا دابة وقعت امامنا واذا الطفل على ظهرها ومناد ينادي خذوا عني من على ظهري والا هلكتم فنزل واحد منا على ظهرها وأخذه وغاصت الدابة في البحر وعاهدنا الله تعالى أن لا يرانا على معصية أبدا واعطوني الطفل أيها الغافل عن طاعة المولى أيها الحريص على اتباع الهوى كيف بك اذا انشقت السماء بالغمام ونزل الملائكة الكرام وأحاطت بك النيران وجمعت الانس والجان واشتد غضب الرحمن على أهل العصيان وكيف بك اذا زلزلت الارض زلزالها وأخرجت الارض أثقالها وقال الانسان مالها وذهلت كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد وكيف بك اذا غلت الرؤس من حر الشموس وطاشت العقول والنفوس وزفرت جهنم بالقضب وجثت الخلائق على الركب يوم يعض الظالم على يديه ويقول الكافر ياليتني كنت ترابا يوم يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والاقدام فقد جعل الله

الارض والكرام الكاتبون يقدم على الله تعالى يوم القيامة سيدا اشر بطا حتى يرافق المرسلين ورجل آتاه
الله تعالى علما في الدنيا فضن به عن عباد الله عز وجل وأخذ عليه طمعا واشترى به ثمنا يأتي يوم القيامة ملجما
بلجام من نار ينادي مناد على رؤس الخلائق هذا فلان بن فلان آتاه الله تعالى علما في الدنيا فضن به على عباد
الله تعالى وأخذ عليه طمعا واشترى به ثمنا يعذب حتى يفرغ من حساب الناس ومن أغلظ ما سمعت فيمن
أكل الدنيا بالعلم ما حدثونا عن عتبة بن واقد عن عثمان بن أبي سليمان قال كان رجل يخدم موسى صلى الله
عليه وسلم فجعل يقول حدثني موسى صلى الله عليه وسلم وحدثني موسى نجي الله حدثني موسى كليم الله حتى
أثرى وكثر ماله ففقده موسى صفي الله فجعل يسأل عنه فلا يحس له أثرا حتى جاءه رجل ذات يوم وفي يده خنزير
وفي عنقه حبل أسود فقال له موسى عليه السلام أتعرف فلانا قال الرجل نعم هو ذا الخنزير فقال موسى يا رب
أسألك أن ترده الى حاله حتى أسأله فيما أصابه هذا فأوحى الله تعالى اليه يا موسى لو دعوتني بما دعاني به آدم
فمن دونه ما أجبتك فيه ولكني أخبرك لم صنعت به هذا لانه كان يطلب الدنيا بالدين وروينا عن الحسن انه
انصرف يوما من مجلسه فاستأذن عليه رجل من أهل خراسان فوضع بين يديه كيسا فيه خمسة آلاف درهم
وأخرج من حقيبته رزمة فيها عشرة أثواب من دقيق بزخراسان فقال الحسن ماهذا فقال يا أبا سعيد هذه نفقة
وهذه كسوة فقال له عافاك الله ضم اليك نفقتك وكسوتك فلا حاجة لنا بذلك انه من جلس مثل مجلسي هذا
وقبل من الناس مثل هذا لقي الله تعالى يوم القيامة لاخلاق له وفي خسران العبد لينشر له من الثناء ما بين
المشرق والمغرب وما يزن عند الله جناح بعوضة وعلماء الدنيا الطالبون لها بالعلم الآكلون لها بالدين المتخذون
الاصدقاء والاخلاء من أبنائها المكرمون المحبون لهم المقبلون بالبشر والبشاشة عليهم هم معروفون في كل
زمان بأوصافهم ولحن قولهم وسيماهم وقد روينا في مقامات علماء السوء حديثا شديدا نعوذ بالله من أهله
ونسأله أن لا يبلونا بمقام منه فرويناه مرة مسندا من طريق ورويناه موقوفا على معاذ بن جبل رضي الله عنه
وأنا أذكره موقوفا أحب الى حدثونا عن منذر بن علي عن أبي نعيم الشامي عن محمد بن زياد عن معاذ بن جبل
يقول فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ووافقته أنا على معاذ قال من فتنة العالم أن يكون الكلام أحب
اليه من الاستماع وفي الكلام تنميق وزيادة ولا يؤمن على صاحبه الخطأ وفي الصمت سلامة وعلم ومن العلماء
من يخزن علمه فلا يحب أن يوجد عند غيره فذلك في الدرك الاول من النار ومن العلماء من يكون في علمه
بمنزلة السلطان فان رد عليه شيء من علمه أو تهاون بشيء من حقه غضب فذلك في الدرك الثاني من النار ومن
العلماء من يجعل حديثه وغرائب علمه لاهل الشرف واليسار ولا يرى أهل الحاجة له أهلا فذلك في الدرك
الثالث من النار ومن العلماء من ينصب نفسه للفتيا فيفتي بالخطا والله عز وجل يبغض المتكلفين فذلك
في الدرك الرابع من النار ومن العلماء من يتكلم بكلام اليهود والنصارى ليغزر به علمه فذلك في الدرك
الخامس من النار ومن العلماء من يتخذ علمه مروأة ونبلا وذكرا في الناس فذلك في الدرك السادس من النار
ومن العلماء من يستفزه الزهو والعجب فان وعظ عنف وان وعظ أنف فذلك في الدرك السابع من النار
عليك بالصمت فبه تغلب الشيطان واياك أن تضحك من غير عجب أو تمشي في غير أرب وقد روينا حديثا يدل
على أوصاف علماء الآخرة وفيه أصول ما يدعون الخلق اليه من مقامات الايمان وأسباب الدين والايقان
رويناه عن شقيق بن ابراهيم البلخي عن عباد بن كثير عن أبي الزبير عن جابر ذكره عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم ووافقته أنا على جابر بن عبد الله قال لا تجلسوا عند كل عالم الا عالم يدعوكم من خمس الى خمس من
الشك الى اليقين ومن الرياء الى الاخلاص ومن الرغبة الى الزهد ومن الكبر الى التواضع ومن العداوة الى
النصيحة ومما يدلك أن علم اليقين والتقوى وعلم المعرفة والهدى هو العلم المذكور المقصود عند السلف
أن الصحابة والتابعين كانوا يشفقون من فقد ذلك ويخافون عدمه ويخبرون عن رفعه وقلته في آخر الزمان
وانما يعنون بذلك علم القلوب والمشاهدات الذي هو نتيجة التقوى وعلم المعرفة واليقين الذي هو من مزيد

الايمان

الخلائق في الاولين
والآخرين م عن عائشة
رضي الله عنها ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال
ما أحد اغير من الله ان يزني
عبده أو أمته تزني يا أمة محمد
لو تعلمون ما أعلم لضحكتم
قليلا ولبكيتم كثيرا قال
بعض الصالحين بينما انا
أطوف بالكعبة اذا بجارية
تقول يا كريم عهدك
القديم فاني على عهدك
مقيم فقلت الجارية وما
العهد الذي بينك وبينه
قالت يا أخي أمري عجيب
وذلك اني ركبت في البحر
فعصفت بنا ريح فغرقت كل
من في السفينة وغرق كل
من فيها فلم ينج منها غيري
وهذا الطفل وبقيت على
لوح ورجل اسود على لوح
آخر فلما أصبح الصبح جعل
يدافع الماء بذراعيه حتى
وصل الي واستوى معنا على
اللوح وجعل يراودني
عن نفسي فقلت له يا عبد الله
نحن في بلية لا نرجو السلامة
منها بالطاعة فكيف بالمعصية
فقال دعيني فوالله لابد من
ذلك ومد يده وأخذ الطفل
ورمى به في البحر فقلت
يا من يحول بين المرء وقلبه
حل بيني وبين هذا الاسود
بحولك وقوتك انك على كل
شيء قدير واذا بدابة من
دواب البحر قد فتحت فاها
والتقمت الاسود وغابت
به في البحر ورمت الامواج
بي الى جزيرة من جزائر
العرب وقصصت لهم قصتي

الاجزل وقدم التفرغ لهم على فراغ قلبه لما قدم لغده من تقواه بالشغل بخدمة مولاه وطلب رضاه واشتغل بصلاح ألسنتهم عن صلاح قلبه وظواهر أحوالهم عن باطن حاله وكان سبب ما ابلى به حب الرياسة وطلب الجاه عند الناس والمنزلة بموجب السياسة والرغبة في عاجل الدنيا وزهادة لقلة الهمة وضعف النية في عاجل الآخرة وذخره فافنى أيامه لايامهم واذهب عمره في شهواتهم ليسميه الجاهلون بالعلم عالما وليكون في قلوب البطالين عندهم فاضلا فورد القيامة مفلسا وعندما راه من أنصبة المقربين مبلسا اذ فاز بالقرب العاملون وربح الرضا العالمون ولكن انى له وكيف بنصيب غيره وقد جعل الله تعالى لكل عمل عاملا ولكل علم عالما أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب كل ميسر لما خلق له هذا فصل الخطاب بينهما فان الامة تختلف ان علم التوحيد فريضة سيما اذا وقعت الشبهات وأدخلت فيه المشكلات وانما اختلفوا في مسئلتين أي شيء هو التوحيد وفي كيفية طلبه والتوصل اليه فمنهم من قال بالبحث والطلب ومنهم من يقول بالاستدلال والنظر ومنهم من قال بالسمع والاثر وقال بعضهم بالتوقيف والتسليم وقال بعض الناس يدرك دركه بالعجز والتقصير عن بلوغ دركه والرجل الخامس من العلماء هو صاحب حديث وآثار وناقل رواية الاخبار يقول لك اذا سألته اعتقد التسليم وأمر الحديث كما جاء ولا تفتش وهذا يتلو المفتي في السلامة وهو أحسنهم طريقة وأشبههم بسلف العامة خليقة ليس عنده شهادة يقين ولا معرفة حقيقة ما رآه ولا هو مشاهد واصف لمعنى ما نقله انما هو للعلم رواية وللاثر والخبر ناقلة عن غير خبر بخبره ولا فقه في نقله فهو على بينة من ربه وليس يتلوه شاهد منه وقد كان الزهري يقول حدثني فلان وكان من أوعية العلم ولا يقول وكان عالما وكان مالك بن أنس رحمه الله يقول ادركت سبعين شيخا من التابعين منهم عباد ومنهم مستجاب الدعاء ومنهم من يستسقى به ما حملت عنهم علما قط قيل ولم ذاك قال لم يكونوا من أهل هذا الشأن وفي رواية لم يكونوا يدرون ما يحدثون به ولم يكن لهم فقه فيما يسألون عنه قال مالك وتقدم علينا ابن شهاب الزهري وهو حديث السن فتزدحم عليه حتى لا نصل اليه لانه كان عالما بما يحدث به فهذا يعني ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم رب حامل فقه غير فقيه ورب حامل فقه الى من هو أفقه منه وقال بعض السلف ما كانوا يعدون علم من لا يعرف اختلاف العلماء علما وقال آخر من لم يعرف اختلاف العلماء لم يحل له أن يفتي ولم يسم عالما وقال قتادة وسعيد ابن جبير أعلم الناس أعلمهم باختلاف الناس وقيل للامام أحمد رضي الله عنه اذا كتب الرجل مائة ألف حديث له أن يفتي قال لا قيل فمائتي ألف حديث قال لا قيل فثلاثمائة ألف حديث قال ارجو وفي التوراة مكتوب الطبيب الحاذق للعلة الباطنة يصلح وكتب سلمان الفارسي من المدائن الى أبي الدرداء وكان قد آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما فمن آخى يا أخي بلغني انك أقعدت طبيبا تداوي المرضى فانظر فان كنت طبيبا فتكلم فان كلامك شفاء وان كنت متطببا فالله الله لا تقتل مسلما قال فكان أبو الدرداء يتوقف بعد ذلك اذا سئل عن شيء وسأله انسان عن شيء فأجابه ثم قال ردوه وقال له أعد علي فأعاد فقال متطبب والله فرجع في جوابه ولعمري انه قد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من تطبب ولم يعلم منه طب فقتل فهو ضامن وقد كان ابن عباس رضي الله عنه يقول سلوا جابر بن زيد فلو نزل أهل البصرة على فتياه لوسعهم وكان من صالحي التابعين وكان ابن عمر رضي الله عنه اذا سئل عن شيء يقول سلوا سعيد بن المسيب وكان أنس بن مالك رضي الله عنه يقول سلوا مولانا الحسن فانه قد حفظ ونسينا وقال بعض البصريين قدم علينا رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتينا الحسن فقلنا ألا تذهب الى هذا الصحابي فنسأله عن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وتجيء معنا قال نعم فاذهبوا قال فجعلنا نسأله عن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل يحدثنا حتى حدثنا عشرين حديثا قال والحسن ينصت يستمع اليه ثم جثا الحسن على ركبتيه فقال يا صاحب رسول الله أخبرنا بتفسير ما رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نفقه فيه فسكت الصحابي وقال ما عندي الا ما سمعت قال فابتدأ الحسن رحمه الله بتفسير ما رواه فقال أما الحديث الاول

الله صلى الله عليه وسلم ما من قوم يظهر فيهم الزنا الا أخذوا بالسنة وما من قوم يظهر فيهم الرشا الا أخذوا بالرعب وفي الوسيط للواحدي باسناده عن علي رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في الزنا ست خصال ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة فاما التي في الدنيا فيذهب بنور الوجه ويقطع الرزق ويسرع الفناء وأما اللواتي في الآخرة فغضب الرب وسوء الحساب والدخول في النار ونحوه في الكشاف ت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله عز وجل الى رجل أتى رجلا او امرأة في دبرها وفي بيان العمراني روى معاوية ابن قرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبريل ما أحسن ما أثنى عليك ربك ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين فما قوتك وما أمانتك فقال جبريل عليه السلام أما أمانتي فما أمرت بشيء قط عدوته الى غيره وأما قوتي فهو اني قلعت مدائن قوم لوط من الارض السفلى وكانت أربع مدائن في كل مدينة أربعمائة ألف مقاتل سوى الذراري فهو يت بها في الهواء حتى سمع أهل سماء الدنيا صياح الدجاج ونباح الكلاب حتى ألقيتها وبحرم اتيان المرأة المرأة

(ذكر وصف العلم وطريقة السلف وذم ما أحدث المتأخرون من القصص والكلام)

لابد للعالم بالله تعالى من خمس هي علامة علماء الآخرة الخشية والخشوع والتواضع وحسن الخلق والزهد قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وقال تعالى خاشعين لله الآية فلابد له من التواضع وحسن الخلق قال الله عز وجل واخفض جناحك للمؤمنين وقل انى أنا النذير المبين وقال تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم الآية والزهد فى الدنيا قال الله تعالى وقال الذين أوتوا الكتاب ويلكم ثواب الله خير فمن وجد فيه هذه الخلال فهو من العلماء بالله عز وجل واعلم انه انما يستبين العالم عند المشكلات فى الدين ويحتاج الى العارف عند شبهات حاكت الصدور كما قال عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه لاتزالون بخير ما اذا حاك فى صدر أحد كم شئ وجد من يخبره به و يشفيه منه وأيم الله أوشك أن لاتجدوا ذلك وكما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الناس أعلم فقال الله ورسوله أعلم فقال أعلمهم بالحق اذا اشتبهت الامور ووقعت المشكلات وان كان يزحف على أسته فكذلك اذا اختلف الناس وان كان فى عمله تقصير وكما قال فى حديث عمران بن حصين ان الله تعالى يحب البصر الناقد عند ورود الشبهات والعقل الكامل عند هجوم الشهوات ويحب السخاء ولو على تمرات ويحب الشجاعة ولو على قتل الحيات وقد حصلنا فى زماننا هذا فى مثل ما خافه ابن مسعود لان مشكلة لو وردت فى معانى التوحيد وشبهة لو اختلجت فى صدر مؤمن من معانى صفات الموحد وأردت كشف ذلك على حقيقة الامر بما يشهده القلب الموفق ويثلج له الصدر المشروح بالهدى كان ذلك عزيزا فى وقتك هذا ولكنت فى استكشاف ذلك بين خمسة نفر مبتدع ضال يخبرك برأيه عن هواه فيزيدك حيرة أو متكلم يفتيك بقصور علمه عن شهادة الموقنين وبقياس معقوله على ظاهر الدين وهذا شبهة فكيف تنكشف به شبهة أو صوفى شاطح تائه غالط يجاوز بك الكتاب والسنة لا يبالى بهما ويتقال فيه وله الائمة لا يتحاشاها فيحيلك بالظن والوسواس والحدس والتمويه ويمحو الكون والمكان ويسقط العلم والاحكام ويذهب الاسماء والرسوم وهؤلاء تائهون فى مفازة التيه يعطوا على الجنة قد غرقوا فى بحر التوحيد لم يجعلوا أئمة المتقين ولا حجة للمتقين وهذا ساقط القول اذ ليس معه حجة ولا هو على سنن الحجة أو مفت عالم عند نفسه موسوم بالفقه عند أصحابه يقول لك هذا من أحكام الآخرة ومن علم الغيب لانتكلم فيه لانا لم نكلفه وهو فى أكثر مناظرته يتكلم فيما لم نكلف ويجادل فيما لم ينطق به السلف ويتعلم ويعلم ما علمه به كاف ولا يعلم المسكين انه كاف علم يقين الايمان وحقيقة التوحيد ومعرفة اخلاص المعاملة وعلم ما يقدح فى الاخلاص ويخرج من جملة قبل ما هو فيه لانه متكلف لبعض ما هو بيتغيه لان علم الايمان وصحة التوحيد واخلاص العبودية للربوبية واخلاص الاعمال من الهوى الدنيوية وما يتعلق بها من أعمال القلوب هو من الفقه فى الدين ونعت أوصاف المؤمنين اذ مقتضاه الانذار والتحذير لقوله تعالى ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم الآية ولقول الرسول صلى الله عليه وسلم تعلموا اليقين فانى متعلم معكم ولقول الصحابة رضى الله عنهم تعلمنا الايمان ثم تعلمنا القرآن فازددنا ايمانا فهذا مزيد الهداية بالايقان وهو زيادة المؤمنين فى الايمان كما قال تعالى فزادهم ايمانا وقال عز وجل ويزيد الله الذين اهتدوا هدى ولا يشعر ان حسن الادب فى المعاملة بمعرفته ويقينه هو من صفات الموقنين وذلك هو حال العبد فى مقامه بينه وبين ربه عز وجل ونصيبه من ربه تعالى وحظه من مزيد آخرته وذلك معقود بشهادة التوحيد الخالصة المقترنة بالايمان من خطايا الشرك وشعب النفاق وهو مقترن بالفرائض وفرض فرضها الاخلاص بالمعاملة وان علم ما سوى هذا مما قد اشرب بقلبه وحبب اليه من فضول العلوم وغرائب الفهوم انما هو حوائج الناس ونوازلهم فهو حجاب عن هذا واشتغال عنه فآثر هذا العادل لقلة معرفته بحقيقة العلم النافع ما زين له طلبه وحبب اليه وحسده آثر حوائج الناس وأحوالهم على حاجته وحاله وعمل فى انصبائهم منه فى عاجل دنياهم من نوازل طوارقهم وفتياهم ولم يعمل فى نصيبه الاوفر من ربه الاعلى لاجل آخرته التى هى خير وأبقى اذ مرجعه اليها ومثواه المؤبد فيها فآثر التقرب منهم على القربة من ربه عز وجل وترك الشغل بهم حظه من الله تعالى

تغيظهم سعيرا اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا واذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا فهم فى جهنم يعذبون وعلى وجوههم يسحبون سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار وتقمعهم الزبانية بمقامع من حديد لو ضربت بها الجبال لطارت كالغبار ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال انكم ماكثون لقد جئناكم بالحق ولكن أكثركم للحق كارهون قل أذلك خير أم جنة الخلد التى وعد المتقون كانت لهم جزاء ومصيرا لهم فيها ما يشاؤن خالدين كان على ربك وعدا مسؤلا اللهم اجعلنا من المتقين الذين كانت لهم الجنة دارا متكئين فيها على الارائك لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا

(فصل) خ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت رجلين أتيانى فأخذا بيدى فأخرجانى الى أرض مقدسة حتى أتينا الى ثقب مثل التنور أعلاه ضيق وأسفله واسع يتوقد تحته نار فاذا اوقدت ارتفعوا حتى كادوا يخرجون منها واذا خمدت رجعوا فيها وفيها رجال ونساء عراة فقلت ما هذا قالا هم الزناة (ا) عن عمرو بن العاص قال رسول

ابن عمر الى مجلسه من المسجد فوجد قاصا يقص فوجه اليه صاحب الشرطة ان أخرجه من المسجد فأخرجه
فلو كان القصص من مجالس الذكر والقصاص علماء لما أخرجهم ابن عمر من المسجد هذا مع ورعه وزهده
وقد روينا عن ابن شوذب عن أبي التياح قال قلت للحسن امامنا يقص فيجتمع الرجال والنساء فيرفعون
أصواتهم بالدعاء ويمدون أيديهم فقال الحسن رفع الصوت بالدعاء بدعة ومد الايدي بالدعاء بدعة وروى
أبو الاشهب عن الحسن القصص بدعة وقيل لابن سيرين لو قصصت على اخوانك فقال قد قيل لا يتكلم على
الناس الا أحد ثلاثة امير أو مأمور أو أحمق فلست بأمير ولا مأمور وأكره ان أكون الثالث وروينا عن
عون بن موسى عن معاوية بن قرة قال سألت الحسن البصري قلت أعود مريضا أحب اليك أو أجلس الى
قاص فقال عد مريضك فقلت أشيع جنازة أحب اليك أو أجلس الى قاص قال شيع جنازتك قلت وان
استعان بي رجل في حاجة أعينه أو أجلس الى قاص قال اذهب في حاجتك حتى جعله خيرا من مجالس الفراغ
فلو كانت مجالس الذكر عندهم هي مجالس القصاص ولو كان القصص هو الذكر لما وسع الحسن أن يتبطأ
عنه ولا يؤثر عليه كثيرا من الاعمال لانه قد كان يدعو الى الله تعالى بالتوحيد ويتكلم في علم المعرفة واليقين
والذاكرين الله تعالى وحضور مجلس الذكر من مزيد الايمان وقد رفع الله تعالى مقام الذاكرين فوق
مقام المؤمنين في قوله تعالى ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات فجعل الذاكرين والذاكرات أعلى
المقامات وقد رويناه في خبر أبي ذر حضور مجلس ذكر أفضل من صلاة ألف ركعة وحضور مجلس علم أفضل
من عيادة ألف مريض وحضور مجلس علم أفضل من شهود ألف جنازة قيل يا رسول الله ومن قراءة القرآن
فقال وهل تنفع قراءة القرآن الا بعلم وقال بعض السلف حضور مجلس ذكر يكفر عشرة من مجالس الباطل
وأما عطاء فانه قال مجلس ذكر يكفر سبعين مجلسا من مجالس اللهو وحدثونا عن معاذ الاعلم قال رآني يونس
ابن عبيد وأنا في حلقة المعتزلة فقال تعال ثم قال ان كنت لابد فاعلا فعليك بحلقة القصاص وقد كان
الحسن البصري أحد المذكرين وكانت مجالسه مجالس الذكر يخلو فيها مع اخوانه وأتباعه من النساك
والعباد في بيته مثل مالك بن دينار وثابت البناني وأيوب السختياني ومحمد بن واسع وفرقد السبخي وعبد
الواحد بن زيد فيقول هاتوا انشروا النور فيتكلم عليهم في هذا العلم من علم اليقين والقدرة وفي خواطر القلوب
وفساد الاعمال ووسواس النفوس وربما قنع بعض أصحاب الحديث رأسه فاسترق من ورائهم ليسمع ذلك
فاذا رآه الحسن قال له يا لكع وأنت ما تصنع ههنا انما خلونا مع اخواننا نتذاكر والحسن رحمه الله هو امامنا في
هذا العلم الذي نتكلم به أثره نقفو وسبيله نتبع ومن مشكاته نستضيء أخذنا ذلك باذن الله تعالى اماما عن
امام الى ان ينتهي ذلك اليه وكان من خيار التابعين باحسان قيل ما زال يبغي الحكمة أربعين سنة حتى نطق بها
وقد لقي سبعين بدريا ورأى ثلثمائة صحابي وولد لليلتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة
عشرين من التاريخ ولد بالمدينة وكانت أمه مولاة لام سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ويقال انها ألقمته
ثديها فتعالى حين بكى فدر ثديها عليه وكان كلامه يشبه بكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأى عثمان بن
عفان وعلي بن أبي طالب ومن بقي في وقته من العشرة ثم رأى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من
عهد عثمان ومن سنة نيف وعشرين من الهجرة الى سنة نيف وتسعين ومن آخر من مات من أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالبصرة أنس بن مالك وبالمدينة سهل بن سعد الساعدي وبمكة أبو الطفيل وباليمن أبيض
ابن جمال المازني وبالكوفة عبد الله بن أبي أوفى وبالشام أبو قرصافة وبخراسان بريدة الاسلمي ودخلت سنة
مائة من التاريخ ولم يبق على وجه الارض عين تطرف رأت رسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع أطراف
الارض ثم توفي الحسن في سنة عشر ومائة وكان أبو قتادة العدوي يقول عليكم بهذا الشيخ فوالله ما رأينا
أحدا لم يصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أشبه بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منه وكانوا يقولون كنا
نشبهه بهدي ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم في حلمه وخشوعه ووقاره وسكينته فكان على شمائله ونعت

فيامن بات يخلو بالمعاصي
وعين الله شاهدة تراه
أما تخشى من الديان طردا
وتحرم دائما أبدا نداه
تبارز بالمعاصي مالكك ولي
على جهل بذلك ولا تراه
أتعصي الله وهو يراك دان
اليك وليس تخشى من سطاه
وتنكر فعلها وله شهود
بمكتوب عليك وقد حواه
فويل العبد من صحف وفيها
مساويه اذا وافى سماه
ويا حزن المسيء لشؤم ذنب
وبعد الحزن يكفيه جزاه
ويندم حسرة من بعد فوت
ويبكي حين لا يجدي بكاه
يعض يديه من ندم وحزن
ويندب حسرة ما قد عراه
فكن بالله ذا ثقة وبادر
هجوم الموت من قبل أن تراه
وبادر بالمتاب وأنت حي
لعلك ان تنال به رضاه
ولذ بالمصطفى خير البرايا
رسول قد حباه واجتباه
عليه من المهيمن كل وقت
سلام عاطر الدنيا شذاه

اللهم أفض علينا من بحر احسانك واجبرنا بغفرانك وارو عطاش قلوبنا برضوانك واكتب لنا توقيع امانك يا رب العالمين

(فصل في حد الزنا) قال الله تعالى الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين اعلم ان الزنا أقبح المعاصي وأشنعها

الذي حدثنا به فان تفسيره كيت وكيت والحديث الثاني تفسيره كذا وكذا حتى سرد عليه الاحاديث كلها التي حدثنا بها وأخبرنا بتفسيرها قال فلا ندري لعجب من حسن حفظه اياه واداته الحديث أو من علمه وتفسيره قال فأخذ الصحابي كفا من حصى وحصبنا به ثم قال تسألوني عن العلم وهذا الحبر بين أظهركم فهؤلاء أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يردون الامور في الفتيا وعلم اللسان الى من هو دونهم في القدر والمنزلة وهو في علم التوحيد والمعرفة والايمان فوقهم درجات ولا يرجعون اليهم في الشبهات ولا يردون اليهم في علم المعرفة واليقين فهذا كما قيل انما العلم نور يقذفه الله تبارك وتعالى في قلوب أوليائه فقد يكون ذلك تفضيلا للنظراء بعضهم على بعض وقد يكون تخصيصا للشباب على الشيوخ ولمن جاء بعد السلف من التابعين وربما كان تكرمة للخاملين المتواضعين لينبه عليهم ويعرفون شأنهم ليعظموا ويرفعوا كما قال الله تعالى ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة والنور اذا جعل في الصدر انشرح القلب بالعلم ونظر باليقين فنطق اللسان بحقيقة البيان وهو الحكمة التي يودعها الله تعالى في قلوب أوليائه كما جاء في تفسير قوله عز وجل وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب قيل الاصابة في القول فكأنه يوفقه للحقيقة وقوله تعالى يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا قيل الفهم والفطنة وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في وصف الهداية حين تلا قوله عز وجل فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام فقيل يارسول الله ماهذا الشرح فقال ان النور اذا قذف في القلب انشرح له الصدر وانفسح قيل فهل لذلك من علامة قال نعم التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله فذكر سببه الزهد في الدنيا والاقبال على خدمة المولى وحسن التوفيق والاصابة في العلم مواهب من الله عز وجل وأثرة يختص بها من يشاء كما سئل أبو موسى الاشعري وهو أمير الكوفة عن رجل قتل في سبيل الله مقبلا غير مدبر أين هو فقال أبو موسى في الجنة فقال ابن مسعود للسائل أعد على الامير فتياك فلعله لم يفهم قال السائل قلت أيها الامير ماقولك في رجل قاتل في سبيل الله فقتل مقبلا غير مدبر أين هو فقال أبو موسى في الجنة فقال ابن مسعود رضي الله عنه أعد على الامير فلعله لم يفهم فأعاد عليه ثلاثا كل ذلك يقول أبو موسى في الجنة ثم قال ما عندي غير هذا فما تقول أنت فقال ابن مسعود لكني لا أقول هكذا قال فما قولك فقال أقول ان قتل في سبيل الله فأصاب الحق فهو في الجنة فقال أبو موسى صدق لا تسألوني عن شئ مادام هذا الحبر بين أظهركم والقول في تسليم اخبار الصفات والسكوت عن تفسيرها كما قال أصحاب الحديث الان بمعرفة معاني الاسماء والصفات وشهودها بنفي الظن والوسواس فيها وترك التشبيه والتمثيل بها والطمأنينة الى اليقين بالمعرفة بمشاهدتها هو مقام الموقنين واعتقادها صفات لله تعالى يتجلى بها أو بما شاء من غيرها بلا حد ولا عدد يظهر بصفة صفة كيف شاء غير موقوف على صفة ولا محكوم عليه بصورة بلا اظهار غيريته بل هو كيف ظهر وبأي وصف تجلى مع نفي الكيفية والمثلية لفقد الجنس والجوهرية هو مقام المقربين من الشهداء وهؤلاء هم الصديقون وخصوص الموقنين فمن عدل به عن وجهة هؤلاء ولم يواجه بشهادتهم عدل الى التسليم والتصديق فوقف عنده فكان معقله واستراحته وليس بعد هؤلاء مقام يمدح ولا وصف يذكر فمن فتش ذلك بعقله وفسره برأيه دخل عليه التشبيه أو خرج الى النفي والابطال ومن الدليل على فضل هذا العلم على سائر العلوم ماجاء في الاخبار المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة والتابعين في فضل مجالس الذكر وفضل الذاكرين انما يريدون به علم الايمان والمعرفة وعلوم المعاملات والتفقه في بصائر القلوب والنظر بعين اليقين الى سرائر الغيوب وليس يريدون به مجالس القصص ولا يعنون بذلك القصاص لانهم كانوا يرون القصص بدعة ويقولون لم يقص في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبي بكر ولا عمر حتى ظهرت الفتنة فلما وقعت الفتنة ظهر القصاص ولما دخل علي رضي الله عنه البصرة جعل يخرج القصاص من المسجد ويقول لا يقص في مسجدنا حتى انتهى الى الحسن وهو يتكلم في هذا العلم فاستمع اليه ثم انصرف ولم يخرجه وجاء

ابن

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أتت المرأة المرأة فهما زانيتان قال العلماء ويجب تعزيرهما وقال مالك يجب مائة جلدة ابن آدم تب من قبيح فعالك واهرب من ذميم خصالك قبل ان يعلق بقلبك سم ذنبك فيزول ايمانك من قلبك وفي الوسيط للواحدي قال ابن عباس كان في بني اسرائيل عابد عبد الله زمانا من الدهر حتى كان يؤتى بالمجانين يداويهم ويعوذهم فيبرؤن على يده وانه أتى بامرأة في شرف قد جنت وكان لها اخوة فأتوه بها وكانت عنده فلم يزل به الشيطان يزين له حتى وقع عليها فحملت فلما استبان حملها قتلها ودفنها فلما فعل ذلك ذهب الشيطان حتى لقي أحد اخوتها رجلا رجلا فذكر ذلك له فجعل الرجل يلقى أخاه فيقول والله لقد أتاني آت فذكر لي شيأ يكبر على ذكره فذكر بعضهم لبعض حتى بلغ ذلك ملكهم فسار الملك والناس فاستنزلوه فأقر لهم بالذي فعل فأمر به فصلب فلما رفع على خشبته تمثل له الشيطان فقال انا زينت لك هذه والقيتك فيها فهل أنت مطيعي فيما أقول لك أخلصك مما أنت فيه قال نعم قال اسجد لي سجدة فقال فسجد له وقتل الرجل

شعر

فلبثت اليهم فحملتني عيناي فنمت فهتف بي هاتف أو قال لي شخص جلست الى هؤلاء وتركت مجالس العلم
أمالو جلست اليهم لوجدت جبريل صلى الله عليه وسلم عندهم فحقيقة الذكر هو العلم بالله تعالى الا تسمع
الى ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أفضل الذكر قول لا اله الا الله وقال سبحانه وتعالى في تصديقه
فاعلم انه لا اله الا الله وقال في مثله فاعلموا انما أنزل بعلم الله وأن لا اله الا هو ثم ان العلم من الذكر علم المشاهدة
والمشاهدة صفة عين اليقين فاذا كشف غطاء العين شهدت معاني الصفات بأنوارها وهو مزيد نور اليقين الذي
هو كمال الايمان وحقيقته فهذا المذكر الموصوف بمشاهدة المذكور بنور وصفه ألم تر الى قوله تعالى وكانت
أعينهم في غطاء عن ذكري فمن كانت عينه في كشف من ذكره شهد المذكور فعندها ذكر ثم توجد حقيقة
العلم بعد نسيان الخلق كقوله تعالى واذكر ربك اذا نسيت فحقيقة الذكر نسيان ما سواه كما ان حقيقة
الايمان الكفر بكل اله كقوله تعالى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله وقال بعض أهل الحديث جاءني رجل
من اخواني من أهل المعرفة فقال قد وجدت من قلبي غفلة فأريد أن تحملني الى مجلس من مجالس الذكر
فقلت نعم فمضي له مذكرا يتكلم في علوم العامة قال فحضرنا عنده واجتمع الخلق فأخذ في شيء من القصص
وذكر الجنة والنار فنظر الى صاحبي فقال أليس زعمت ان هذا يذكر الله ويذكر ربه عز وجل ويذكر
أيامه فقلت نعم هكذا هو عندنا فقال ما أسمع الا ذكر الخلق فأين ذكر الله تعالى ثم توقف ساعة ينتظر منه ما يريد
من علم المعرفة وما سمعه من شيوخه الصوفية قال فليس الا القصص والحكايات فالتفت الي وقال قم بنا
فانه لا يسعني الجلوس لانه لا نية لي في ذلك فقلت اما أنا فاستحي أن أتخطى الناس فاصنع أنت ما ترى فقام
يتخطى الناس حتى خرج وقد روى الزهري عن سالم عن ابن عمر انه خرج من المسجد وقال ما أخرجني الا
القصاص ولولاه ما خرجت وقال ضمرة قلت للثوري رحمه الله نستقبل القاص بوجوهنا فقال ولوا البدع
ظهوركم وقال ابن عون دخلت على ابن سيرين فقال ما كان اليوم من خبر فقلت نهى الامير القصاص أن
يقصوا وحدثنا عن أبي معمر عن خلف بن خليفة قال رأيت سيارا أبا الحكم جالسا على باب المسجد وقاص
يقص في المسجد فجاء رجل فقال يا أبا الحكم ان الناس ينظرونك فقال اني في خير مما هم فيه أنا في سنة وهم
في بدعة وقد فعل الاعمش أبلغ من ذلك دخل البصرة وكان فيها غريبا فنظر الى قاص في الجامع وهو يقول
حدثنا الاعمش عن أبي اسحق وحدثنا الاعمش عن أبي وائل قال فتوسط الاعمش الحلقة ورفع يديه وجعل
ينتف شعر ابطه فبصر به القاص فقال يا شيخ ألا تستحي نحن في علم وأنت تفعل هذا فقال له الاعمش الذي أنا
فيه أفضل من الذي أنت فيه قال كيف قال لاني في سنة وأنت في كذب أنا الاعمش وما حدثتك مما تقول شيأ
فلما سمع الناس ذكر الاعمش انفضوا عن القاص واجتمعوا حوله وقالوا حدثنا يا أبا محمد وأخبرونا عن
محمد بن أبي هرون ان اسحق حدثه قال صليت مع الامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه صلاة العيد فاذا قاص
يقص يلعن المبتدعة ويذكر السنة فلما قضينا الصلاة ومررنا ببعض الطريق ذكر أبو عبد الله القاص
فقال ما أنفعهم للعامة وان كان عامة ما يحدثون به كذبا وأخبرت عن محمد بن جعفر ان أبا الحرث حدثه انه
سمع الامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه يقول أكذب الناس القصاص والسؤال وحدثونا عنه أيضا انه
قال ما أحوج الناس الى قاص صدوق لانهم يذكرون الميزان وعذاب القبر قلت له أنت تحضر مجالسهم
قال لا ورويناعن حبيب بن أبي ثابت عن زياد النميري قال أتيت أنس بن مالك وهو بالزاوية فقال لي
قص فقلت كيف والناس يزعمون انه بدعة فقال ليس شيء من ذكر الله تعالى بدعة قال فقصصت وجعلت
أكثر قصصي ودعائي رجاء أن يؤمن قال فجعلت أقص وهو يؤمن وقد كانوا يجعلون الدعاء قصصا وحدث
يوسف بن عطية عن محمد بن عبد الرحمن الخراز قال فقد الحسن عامر بن عبد الله العنبري فقال اذهبوا بنا
الى أبي عبد الله فأتاه الحسن فاذا عامر في بيت قد لف رأسه وليس في البيت الا رحل فقال له الحسن يا أبا
عبد الله لم نرك منذ أيام فقال اني كنت أجلس هذه المجالس فاسمع تخليطا وتغليطا واني كنت أسمع

رضي الله عنهما قال كنت
ذات يوم في المسجد وعمر
جالس والناس حوله اذ
أقبلت جارية فقالت ان
ولدك أبا شحمة جرني الى
حائط بني النجار ونال مني
ما ينال الرجل من المرأة
فوضعت منه هذا الغلام
فاحكم بحكم الله بيني وبينه
فأمر عمر مناديا فنادى
فأقبل الناس يهرعون
اليه فقام عمر وقال لا تفرقوا
حتى آتيكم ثم خرج ثم قال
لي أسرع معي فلم يزل حتى
أتى منزله فدخل على أبي
شحمة وهو على الطعام
فقال كل فيوشك أن
يكون آخر زادك من الدنيا
فلقد رأيت الغلام وقد
تغير لونه وارتعد وسقطت
اللقمة من يده فقال له عمر
هل دخلت حائط بني النجار
فرأيت امرأة فواقعتها
قال قد كان ذلك وأنا تائب
فجره عمر الى المسجد فقال
يا أبت لا تفضحني وخذ
السيف وقطعني اربا اربا
قال أوما سمعت قوله تعالى
وليشهد عذابهما طائفة
من المؤمنين ثم جره الى بين
يدي أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم في المسجد
وقال صدقت المرأة وأقر
أبو شحمة بما قالت وكان له
مملوك يقال له أفلح فقال
يا أفلح خذ ابني هذا اليك
واضربه مائة سوط ولا
تقصر في ضربه فتقع بابه
وضج الناس بالبكاء
والنحيب وجعل الغلام

امرأة بالبصرة نذرا ان فعل الله تعالى ذلك بها أن تنسج ثوبا من غزلها وصفته وتكسوه خير أهل البصرة فرأت تمام نذرها فوفت بما نذرت ثم سألت من خير أهل البصرة فقالوا الحسن وكان الحسن رضي الله عنه أول من انهج سبيل هذا العلم وفتق الالسنة به ونطق بمعانيه وأظهر أنواره وكشف به قناعه وكان يتكلم فيه بكلام لم يسمعوه من أحد من اخوانه فقيل له يا أبا سعيد انك تتكلم في هذا العلم بكلام لم نسمعه من أحد غيرك فمن أخذت هذا فقال من حذيفة بن اليمان قيل وقالوا لحذيفة بن اليمان نراك تتكلم في هذا العلم بكلام لا نسمعه من أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن أين أخذته فقال خصني به رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الناس يسألونه عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن أقع فيه وعلمت ان الخير لا يسبقني وقال مرة فعلمت ان من لا يعرف الشر لا يعرف الخير وفي لفظ آخر كان الناس يقولون يا رسول الله ما لمن عمل كذا وكذا يسألونه عن فضائل الاعمال وكنت أقول يا رسول الله ما يفسد كذا وكذا فلما رآني أسأل عن آفات الاعمال خصني بهذا العلم وكان حذيفة قد خص بعلم المنافقين وأفرد بمعرفة علم النفاق وبسرائر العلم ودقائق الفهم وخفايا اليقين من بين الصحابة فكان عمر وعثمان وأكابر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه عن الفتن العامة والفتن الخاصة ويرجعون اليه في العلم الذي خص به ويسألونه عن المنافقين وهل بقي منهم من ذكر الله تعالى وأخبر عنهم أحد فكان يخبر باعدادهم ولا يذكر أسماءهم وكان عمر يستكشفه عن نفسه هل يعلم فيه شيأ من النفاق فبرأه منه ثم يسأله عن علامات النفاق وآية المنافق فيخبره من ذلك بما يصلح مما أذن له فيه ويستعفي مما لا يجوز له ان يخبر به فيعذر في ذلك وكان عمر رضي الله عنه اذا دعي الى جنازة ليصلي عليها نظر فان حضر حذيفة صلى عليها وان لم ير حذيفة لم يصل عليها وكان حذيفة يسمى صاحب السر وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سئلوا عن علم يقول أحدهم تسألوني عن هذا وصاحب السر فيكم يعني حذيفة وروينا عن أنس بن مالك رضي الله عنه انه لما حدث عن النبي صلى الله عليه وسلم في فضل مجالس الذكر لان أقعد مع قوم يذكرون الله تعالى من غدوة الى طلوع الشمس أحب الي من أن أعتق أربع رقاب قال فالتفت الى يزيد الرقاشي وزياد النميري فقال لم تكن مجالس الذكر مثل مجالسكم هذه يقص أحدكم ويخطب على أصحابه ويسرد الحديث سردا انما كنا نقعد فنذكر الايمان ونتدبر القرآن ونتفقه في الدين ونعد نعم الله تعالى علينا وقد كان عبد الله بن رواحة يقول لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تعالوا حتى نؤمن ساعة فيجلسون اليه فيذكرهم العلم بالله تعالى والتوحيد والآخرة وكان يخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد قيامه فيجتمع اليه الناس يذكرهم الله تعالى وأيامه ويفقههم فيما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فربما خرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم مجتمعون عنده فيسكتون فيجلس اليهم ويأمرهم أن يأخذوا فيما كانوا فيه ويقول صلى الله عليه وسلم بهذا أمرت والى هذا دعوت وروي نحو هذا عن معاذ بن جبل رضي الله عنه وقد كان يتكلم بهذا العلم وقد روينا هذا مفسرا في حديث جندب كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيعلمنا الايمان قبل أن نتعلم القرآن فسمى علم الايمان ايمانا كما سماه ابن رواحة لان علم الايمان وصف الايمان والعرب تسمي الشئ بوصفه وتسميه بأصله كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في مثله تعلموا اليقين أي علم اليقين وكما قال تعالى وابيضت عيناه من الحزن أي من البكاء فسماه بأصله لان الحزن أصل البكاء وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه خرج ذات يوم فرأى مجلسين أحدهما يدعون الله تعالى ويرغبون اليه والآخر يفقهون في الدين ويعلمون الناس فوقف بينهما ثم قال أما هؤلاء فيسألون الله تعالى فان شاء أعطاهم وان شاء منعهم وأما هؤلاء فيعلمون الناس ويفقهون في الدين وانما بعثت معلما ثم عدل الى الذين يفقهون الناس في الدين ويذكرون الله تعالى فجلس معهم ويحكى عن بعض السلف قال دخلت المسجد ذات يوم فاذا بحلقتين احداهما يقصون ويدعون والاخرى يتكلمون في العلم وفقه الاعمال قال فملت الى حلقة الدعاء

فجلست

ومن ثم أوجب الحد وهو جلد مائة وتغريب عام الى مسافة القصر ان لم يكن محصنا وان كان محصنا يرجم لما اشتهر عن النبي صلى الله عليه وسلم من رجمه اليهوديين وماعزا والغامدية وعلى ذلك جرى الخلفاء بعدهم وعن عمرو ابن ميمون الاودي قال رايت في الجاهلية قردة قد زنت فرجموها ورجمتها معهم ولا قصاص على قاتل الزاني المحصن وقاتل تارك الصلاة ولا دية عليه والمضطر قتلهما وأكلهما بخلاف الذمي ولا يجوز أعطاء الماء لهما ان كان لا يكفي الوضوء والغسل فعلى العاقل أن يحرس نفسه من هذه الخصلة الذميمة المحرمة في ملل جميع الانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم ولو استحل أحد الزنا أو تمنى انه لا يحرم الزنا فقد كفر وان لم يقم عليه الحد في الدنيا وقع في العذاب الشديد والفضيحة العظيمة من الوقوع في نقب مثل التنور اعلاه ضيق وأسفله واسع يتوقد تحته النار كما في البخاري وغيره ثم الوقوع في النار الكبرى يوم القيامة وغير ذلك من الشدائد والخزي العظيم ولذلك أقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه الحد على ولده أبي شحمة في المنتقى للديلمي عن ابن عباس

قلوب لا يفقهون بها فمن كان له قلب سميع بسميع شهيد بشهيد فقه به الخطاب فاستجاب بالسمع وأناب وذكر في قوله تعالى ليتفقهوا في الدين وصفين ظهرا من الفقه أحدهما النذارة وهو مقام في الدعوة الى الله عز وجل ولا يكون النذير الا مخوفا ولا يكون المخوف الا خائفا والخائف عالم والثاني الحذر وهو حال من المعرفة بالله عز وجل وهو الخشية لله والفقه والفهم اسمان لمعنى واحد والعرب تقول فقهت بمعنى فهمت وقد فضل الله تعالى الفهم عنه على العلم والحكمة ورفع الافهام على القضاء والاحكام فقال تعالى ففهمناها سليمان فأفرده بالفهم عنه وهو الذي فضله به على حكم أبيه في القضية بعد أن أشركهما في الحكم والعلم وقد فضل الحسن بن علي رضي الله عنهما علماء الهداية الى الله سبحانه وتعالى الدالين عليه عز وجل وسماهم العلماء وحققهم بالعلم في كلام روى لنا عنه منظوما وقد روينا أيضا عن علي كرم الله وجهه ورضي عنه

ما الفخر الا لاهل العلم انهم * على الهدى لمن استهدى أدلاء
ووزن كل امرئ ما كان يحسنه * والجاهلون لاهل العلم أعداء

فمن كان عالما بعلم معلومه الله سبحانه وتعالى فمن أفضل منه وأي قيمة تعرف له اذ كل علم قيمته معلومه ووزن كل عالم علمه وقد قال عبد الواحد بن زيد امام الزاهدين كلاما في هذا المعنى ويفرد به العلماء بالله تعالى ويرفع طريقهم فوق كل طريق أنشدونا عنه رحمه الله تعالى

الطرق شتى وطرق الحق منفردة * والسالكون طريق الحق أفراد
لا يعرفون ولا تسلك مقاصدهم * فهم على مهل يمشون قصاد
والناس في غفلة عما يراد بهم * فجلهم عن سبيل الحق رقاد

وروينا عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال لما مات عمر رضي الله عنه اني لاحسب هذا الرجل قد ذهب بتسعة أعشار العلم فقيل له تقول هذا وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم متوافرون فقال اني لست أعني العلم الذي تذهبون اليه انما أعني العلم بالله عز وجل وكان ابن مسعود يقول المتقون متوارون وكذلك كان يقول المتقون سادة والعلماء قادة ومجالستهم زيادة يعني ان المتقين سادة الناس كما قال الله عز وجل ان أكرمكم عند الله أتقاكم والعلماء قادة المتقين أي أنهم يقتفون آثارهم لانه قال تعالى واجعلنا للمتقين اماما ففضل العلماء على المتقين وجعلهم أئمتهم صار المتقون أصحابهم وأخبر بالمزيد في مجالستهم أي مجالستهم زيادة على مجالسة المتقين غير العلماء لان كل عالم تقي وليس كل تقي عالما كما روي بمعناه العلماء كثير والحكماء من العلماء قليل والصالحون كثير والصادقون من الصالحين قليل وسئل ابن المبارك من الناس قال العلماء قيل فمن الملوك قال الزهاد قيل فمن السفلة قال من يأكل بدينه وقال مرة في رواية الذين يتلبسون ويطلبون ويتعرضون للشهادات وقال فرقد السنجي للحسن رحمهما الله تعالى في شئ سأله عنه وأجابه يا أبا سعيد ان الفقهاء يخالفونك فقال ثكلتك أمك فريقد وهل رأيت بعينيك فقيها انما الفقيه الزاهد في الدنيا الراغب في الآخرة البصير بدينه المداوم على عبادة ربه الورع الكاف عن أعراض المسلمين العفيف عن أموالهم الناصح لجماعتهم جمعنا قوله هذا في ثلاث روايات عنه مختلفة فهذه صفات العالم بالله تعالى وهم العارفون وحدثنا عن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال قلت لابي بلغنا انك كنت تختلف الى معروف أكان عنده حديث فقال يا بني كان عنده رأس الامر تقوى الله عز وجل وقيل للامام أحمد رضي الله عنه بأي شئ ذكر هؤلاء الائمة ووصفوا فقال ما هو الا الصدق الذي كان فيهم قيل له وما الصدق قال هو الاخلاص قيل له فالاخلاص ما هو قال الزهد قيل وما الزهد فأطرق ثم قال سلوا الزهاد سلوا بشر بن الحرث وقد حدثت عن بشر في منصور بن عمار رحمهما الله حكايات ظريفة كان منصور بن عمار من الواعظين المذكرين ولم يكن العلماء في وقته مثل بشر وأحمد وأبي ثور يعدونه عالما كان عندهم من القصاص وكانت العامة تسميه عالما

فتثار الناس اليه فاذا هو قد فارق الدنيا فلم ير يوم أعظم منه وضج الناس اليه بالبكاء والنحيب فلما كان بعد أربعين يوما أقبل علينا حذيفة بن اليمان صبح يوم الجمعة فقال اني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام واذا الفتى معه وعليه حلتان خضراوان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرأ عمر مني السلام وقل له هكذا أمرك الله أن تقرأ القرآن وتقيم الحدود وقال الغلام يا حذيفة اقرأ أبي مني السلام وقل له طهرك الله كما طهرتني والسلام اه ملخصا فانتبه من رقدتك أيها السامع وارحم نفسك بترك العصيان وسكب المدامع شعر

متى تهجر الدنيا وتزوي لها بغضا
متى تترك العصيان قل لي متى ترضى
متى يا شقي الحظ تأتي بتوبة
وعمرك في الدنيا يساق به ركضا
ولا بد بعد الموت أن تسكن البلى
وحيدا غريبا في الارض تحت الثرى رضا
وتعطى كتابا فيه كل فضيحة
وتشهد أهوال القيامة والعرضا
فقم في الدجى بالذل يا طائعا
لمولى الذي يعطيك عفوا ويرضى

اللهم صل على شافع الامة

مشيختنا فيما يروون عن نبينا صلى الله عليه وسلم انه كان يقول ان أصفى الناس ايمانا يوم القيامة أكثرهم فكرة فى الدنيا وأكثر الناس ضحكا فى الجنة أكثرهم بكاء فى الدنيا وأشد الناس فرحا فى الآخرة أطولهم حزنا فى الدنيا فوجدت البيت أخلى لقلبي وأقدر لى من نفسي على ما أريده منها قال الحسن اما انه لم يعن مجالسنا هذه انما يعني مجالس القصاص فى الطرق الذين يخلطون و يغلطون و يقدمون و يؤخرون وقد قسم بعض العلماء المتكلمين ثلاثة أقسام فوصفهم بما كنهم فقال المتكلمون ثلاثة أصحاب الكراسي وهم القصاص وأصحاب الاساطين وهم المفتون وأصحاب الزوايا وهم أهل المعرفة فمجالس أهل العلم بالله تعالى وأهل التوحيد والمعرفة هي مجالس الذكر وهي التي جاءت فيها الآثار وفى الخبر اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا فيها قيل وما رياض الجنة قال مجالس الذكر وفى الحديث ان لله تعالى ملائكة سياحين فى الهواء فضلا عن كتاب الخلق اذا رأوا مجالس الذكر ينادى بعضهم بعضا ألا هلموا الى بغيتكم فيأتونهم حتى يجلسوا اليهم فيحفون بهم و يستمعون منهم ألا فاذكروا الله واذكروا أيامه وقال وهب بن منبه اليماني مجلس يتنازع فيه العلم أحب الى من قدره صلاة لعل أحدهم يسمع الكلمة فينتفع بها السنة أوما بقى من عمره وسئل أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى عن مجالس الذكر وفضلها فرغب فيها وقال رحمه الله وأى شئ أحسن من أن يجتمع الناس فيذكرون الله عز وجل و يعددون نعمه عليهم كما قالت الانصار وروينا عن على كرم الله وجهه ما يسرني ان الله تعالى أماتني طفلا وأدخلني الدرجات العلى من الجنة قيل ولم قال لانه أحياني حتى عرفته وقال مالك بن دينار خرج الناس من الدنيا ولم يذوقوا طيب شئ فيها قيل وما هو قال المعرفة ثم أنشأ يقول

ان عرفان ذى الجلال لعز * وضياء و بهجة وسرور * وعلى العارفين أيضا بهاء

وعليهم من المحبة نور * فهنيئا لمن عرفك الهى * هو والله دهره مسرور

وقال يحيى بن معاذ الرازى فى الدنيا جنة من دخلها لم يشتق الى شئ ولم يستوحش قيل وما هى قال معرفة الله تعالى وقال آخر لم يخطئك من العارف احدى ثلاث خلال تدل عليه هيبة أو حلاوة أو أنس وقال عالمنا أبو محمد سهل رحمه الله خرج العلماء والزهاد والعباد وقلوبهم مقفلة ولم يفتح الا قلوب الصديقين والشهداء ثم تلا وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو يعني مقفلة عن مفاتح المعرفة وشهادة عين التوحيد فمجالس الذكر هذه قديما كانت لاهل المعرفة وأصحاب معاملات القلوب وعلم الباطن وهم علماء الآخرة وأهل الفقه فى الدين وقد قال الله تعالى وهو أصدق القائلين فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين الآية فذكر الفقه الذى هو من صفة القلب والخوف الذى هو سبب الفقه وعلم العقل داخل فى علم الظاهر والعلم بالله داخل فى اليقين كما روى فى الخبر اليقين الايمان كله وقال الله تعالى وما يعقلها الا العالمون فجعل العقل وصفا من العلم وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتعليم اليقين كما أمر بطلب العلم فكان هذا الحديث خصوصا من ذلك فيكون قوله صلى الله عليه وسلم تعلموا اليقين للخصوص لان اليقين مقام فوق العلم و يكون قوله طلب العلم فريضة للعموم وفى قوله تعلموا اليقين أمر بمجالسة الموقنين لان اليقين لا يظهر بذاته وانما يوجد عند الموقنين فقد أمرهم ولم يقل تعلموا علم المعقول ولا علم الفتاوى وكان علماء الظاهر قديما يسمون المفتين ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم استفت قلبك وان أفتاك المفتون فرده الى فقه القلب وصرفه عن فتيا المفتين فلولا أن القلب فقيه لم يجز أن يدله صلى الله عليه وسلم على غير فقيه ولولا أن علم الباطن حاكم على علم الظاهر ما دفعه من علوم أهل الظاهر وهم علماء الالسنة الى علم الباطن وهو علم أهل القلوب ما رده اليه ولا يجوز أن يرده من فقيه الى فقيه دونه كيف وقد جاء هذا الحديث بلفظة مؤكدة بالتكرير والمبالغة فقال استفت قلبك وان أفتوك وأفتوك وهذا الخصوص لمن كان له قلب وألقى سمعه وشهد قيام شاهده وعرى عن شهواته ومعهوده لان الفقه ليس من وصف اللسان ألم تسمع قوله تعالى لهم

قلوب

اشير الى أبيه يا أبت ارحمنى فقال عمر وهو يبكى وانما أفعل هذا كى يرحمك ربك و يرحمني ثم قال يا أفلح اضرب فضربه وهو يستغيث وعمر يقول اضربه حتى بلغ سبعين فقال يا أبت اسقني شربة من ماء فقال يا بنى ان كان ربك راضيا عنك اسقاك محمد صلى الله عليه وسلم شربة لا تظمأ بعدها أبدا يا غلام اضربه فضربه حتى بلغ ثمانين فقال له يا أبت السلام عليك فقال وعليك السلام ان رأيت محمدا صلى الله عليه وسلم فاقرئه منى السلام وقل له خلفت عمر يقرأ القرآن و يقيم الحدود يا غلام اضربه فلما بلغ تسعين انقطع كلامه وضعف فرأيت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا عمر انظر ما بقى أخره الى يوم آخر وقال كما لم يؤخر المعصية لم يؤخر العقوبة وجاء الصريخ الى أمه فجاءت باكية صارخة وقالت يا عمر أحج بكل ضربة حجة تامة وأتصدق بكذا وكذا درهما فقال ان الحج والصدقة لا ينوب عن الحد فضربه فلما كان آخر ضرب وقع الغلام ميتا فصاح وقال يا بنى محص الله عنك الخطايا ثم جعل رأسه فى حجره وجعل يبكى و يقول بأبى من قتله الحق بأبى من مات عند انقضاء الحد بأبى من لم يرحمه أبوه وأقاربه

انى لارى رد الجواب واجبا كرد السلام وقد قال أبو موسى وابن مسعود رضى الله عنهما من سئل عن علم فليقل به ومن لا فليسكت والا كتب من المتكلفين ومرق من الدين ورويناه عن ابن عباس أيضا وقد كانوا يخافون من دخول التكلف عليهم فى كل شئ ويعد بعضهم بالابتداء بالكلام من غير حاجة تدعو اليه أو قبل سؤال عنه من غير أن يرى له موضعا أو يجد له أهلا يعدونه من التكلف وفى وصية ابن عباس لمجاهد لا تتكلم فيما لا يعنيك فانه أفضل ولا آمن عليك الوزر ولا تكلم فيما يعنيك حتى ترى له موضعا فرب متكلم فيما يعنيه قد وضعه فى غير موضعه فعنت وروى فى حديث الانصارى الذى قالت له أمه عند موته هنيأ لك الجنة جاهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتلت فى سبيل الله تعالى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدريك انه فى الجنة ولعله كان يتكلم فيما لا يعنيه ويبخل بما لا يغنيه ومن أظهر علما من غير أن يسأل عنه ونشره فى غير أهله فأنكر عليه سئل عنه وكان عليه فيه مطالبة لانه قد تكلف اظهاره فان كان سئل عنه ثم تكلم فيه لم يكن عليه فيه مطالبة فمن أنكر لانه خرج جوابا على سؤال ومن هذا كان السلف المتكلمون فى هذا العلم يسكتون حتى يسألوا عنه وكان أبو محمد يقول العالم يقعد فيسكت ويرفع قلبه الى مولاه فيفتقر اليه فى حسن توفيقه ويسأله ان يلهمه الصواب فاى شئ سئل عنه تكلم بما فتح له مولاه فعل العالم فى حال سكوته ونظره الى سيده محتاجا الى التوكل ومنتظرا الوكيل فى أى شئ يجريه وقال بعضهم انما العالم الذى اذا سئل عن المسئلة كأنما تقلع ضرسه وقال رقبة بن مصقلة وغيره ليس العالم الذى يجمع الناس فيقص عليهم انما العالم الذى اذا سئل عن العلم كأنما يسعط الخردل وقد روينا انه قاله الاعمش وقد كان محمد بن سوقة يسأله عن الحديث فيعرض عنه ولا يجيبه فالتفت الاعمش الى رقبة فقال له هو اذا أحمق مثلك ان كان يدع فائدته لسوء خلق فقال محمد بن سوقة وعلمك انما أجعله بمنزلة الدواء أصبر على مرارته لما أرجو من منفعته وقد روينا عن على وابن مسعود رضى الله عنهما انه مر برجل يتكلم على الناس فقال هذا يقول اعرفونى وحدثنى بعض علماء خراسان عن شيخ له عن أبى حفص النيسابورى الكبير وكان هذا هنالك نظير الجنيد ههنا انه قال انما العالم الذى يسأل عن مسئلة فى الدين فيغتم حتى لو حرج لم يخرج منه دم من الفزع يخاف ان يسئل فى الآخرة عما سئل عنه فى الدنيا ويفزع ان لا يتخلص من السؤال الآن يرى انه قد افترض عليه الجواب لفقد العلماء ومن ههنا كان ابن عمر رضى الله عنه ما يسكت عن تسع مسائل ويجيب عن واحدة ويقول تريدون ان تجعلونا جسرا تعبرون علينا فى جهنم تقولون افتانا ابن عمر بهذا وكان ابراهيم التيمى اذا سئل عن مسئلة يبكى ويقول لم تجد من تسأله غيرى أو احتجتم الى قال وجهدنا بابراهيم النخعى ان نسنده الى سارية فأبى وكان اذا سئل عن شئ بكى وقال قد احتاج الناس الى وقد كان سفيان بن عيينة تفرد فى زمانه بعلوم انفرد بها فى وقته وكان مع ذلك يضرب المثل لنفسه ويقول

خلت الديار فسدت غير مسود * ومن الشقاء تفردى بالسودد

وأما أبو العالية الرياحى فكان يتكلم على الاثنين والثلاثة فاذا صاروا أربعة قام وكذلك كان ابراهيم والثورى وابن أدهم رحمهم الله تعالى يتكلمون على النفر فاذا كثر الناس انصرفوا وكان أبو محمد سهل رحمه الله يجلس اليه خمسة أو ستة الى العشرة وقال لى بعض الشيوخ كان الجنيد رحمه الله يتكلم على بضع عشرة قال وما تم أهل المجلس عشرون وقد حدثت عن أبى الحسن بن سالم شيخنا رحمه الله ان قوما اجتمعوا فى مسجده فارسلوا اليه بعضهم ان اخوانك قد حضروا ويحبون ان يسمعوا منك فان رأيت ان تخرج اليهم فذلك وكان المسجد على باب بيته ولم يكن يدخل عليه فى منزله فقال للرسول بعد ان خرج اليهم من هم فقال فلان وفلان وسماهم فقال ليس هؤلاء من أصحابى هؤلاء أصحاب المجالس ولم يخرج كأنه رآهم عموما لا يصلحون لتخصيص علمه فلم يذهب وقته لوقتهم وكذلك العالم خلوته تعز عليه فان وافق خصوص أصحاب آثرهم على خلوته فكان ذلك مزيدا لهم وان هو لم يوافق لم يؤثر على

فقالت أدخلها فلما دخل نظرت اليه فأعجبها فقالت له اطرح تلك القفاف وخذ هذه الجفنة وقالت لجاريتها هات الدهن والطيب وقالت له تغنيك عن هذا البيع فقال لها ما أريد ذلك مرارا فقالت فانك غير خارج حتى تقضى حاجتى منك فأمرت بالابواب فغلقت فلما رأى ذلك قال هل فوق قصرك متوضأ قالت نعم قالت يا جارية آتيه بوضوئه فلما رقى جاء الى ناحية السطح فرأى قصرا من تحته ولا شئ يتعلق به لم يرسل نفسه فأخذ يعاتب نفسه ويقول أنت منذ سبعين سنة تطلبين رضا الله تعالى جاءتك خشية واحدة تفسد عملك وجعل يعاتب نفسه ثم عزم على القاء نفسه فرارا من سخط الله فلما تهيأ ليلقى نفسه قال الله تعالى لجبريل عليه السلام عبدى يريد قتل نفسه فرارا من سخطى فتلقه بجناحك كيلا يصيبه مكروه فبسط جبريل عليه السلام جناحه وأخذ بيده فوضعه على الارض وضم الوالد الرحيم لولده فاتى امرأته وترك القفاف وقد غابت الشمس فقالت أين ثمن قفافك فقال لها ما أصبنا اليوم لها ثمنا قالت فعلى أى شئ نفطر الليلة قال لها نصبر الليلة ثم قال قومى فاسجرى التنور فانا نكره أن يرى جيراننا

فقد ثبت عن نصر بن علي الجهضمي انه مزح ذات يوم مزاحاً أفرط فيه فقيل له تقول هذا وأنت من العلماء فقال ما رأيت أحداً من العلماء الا وهو يمزح فقيل له قد رأيت بشر بن الحرث فهل سمعته يمزح قال نعم كنت جالساً معه ذات يوم في بعض الدروب فجاء منصور بن عمار يعدو فقال يا أبا نصر الامير قد أمر بجمع العلماء والصالحين فترى لي أن أختفي فدفعه بشر وقال تنح عنا الا برجل شوك فيلقيك علينا فيحترق فهذا كان مجلس القصاص عند العلماء فيما سلف حتى ذهب أهل هذا العلم وجهلت مجالس الذكر وعلوم اليقين والمعاملات الا من عرف سيرة المتقدمين وطريقة السالفين الذين كانوا يفرقون بين مجالس الذكر وبين القصاص ويميزون بين العلماء وبين المتكلمين وبين علم اللسان وفقها القلب وبين علم اليقين وعلم العقل لان الفرق بين العالم والقاص ان العالم يسكت حتى يسئل فاذا سئل أجاب فيما يعلم بما هيأ الله تعالى له وكشف وينطق فيما أجراه الله عز وجل عليه وعرف فان كان الصمت أفضل آثر السكوت لعلمه بالافضل فان لم ير أهله تربص حتى يضعه في أهله وأهله من عرفه وكان له نصيب من مشاهدته ووجده وقال الله سبحانه وتعالى فاسئلوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون ففي ذلك معنيان أحدهما ان أهل الذكر هم العلماء بالله تعالى لقوله ان كنتم لا تعلمون فلا يجوز أن يقول سلوا من لا يعلم وهم جاهلون فيزدادوا جهلا والمعنى الثاني يدل على أن العلماء سكوت حتى يسألوا فاذا سئلوا وجب عليهم أن يجيبوا لقوله تعالى لمن لا يعلم فاسئلوا فدل ان مجالس الذكر هي مجالس العلماء التي وردت الاخبار بفضائلها وفي تدبره ان أهل الذكر هؤلاء المسؤلون هم الذين وصل لهم القول لعلهم يتذكرون فلما وصل لهم المفصل تذكروا عما وعدوا بالي فلما تذكروا علموا فعندها أمر أن يسألوا ولذلك روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينبغي للجاهل أن يستقر على جهله ولا ينبغي للعالم أن يسكت على علمه وقد قال الله تعالى فاسئلوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وهكذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخبر الذي رويناه من طريق أهل البيت العلم خزائن مفتاحها السؤال فاسألوا فانه يؤجر فيه أربعة السائل والعالم والمستمع والمحب لهم وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول ان من يفتي الناس في كل ما يستفتونه لمجنون وقال الاعمش من الكلام كلام جوابه السكوت وقال ذو النون المصري رحمه الله تعالى حسن سؤال الصادقين مفتاح قلوب العارفين فاما القاص فهو الذي يبتدئ فيقص الاخبار ويذكر القصص والآثار ولذلك سمي قاصاً أي يتبع قصصاً من سلف ومنه قوله تعالى وقالت لاخته قصيه أي تتبعي أثر موسى تعرفي قصته وأخبريني بخبره وقال مالك بن أنس رحمه الله تعالى من اذالة العلم أن ينطق به قبل أن يسأل عنه وقال مرة من اذالة العلم أن يجيب عن كل ما يسأل عنه أي من اهانته ووضعه يقال أذل هذا أو أذل هذا أي ارفع وضع يقال اذا تكلم بالعلم قبل أن يسأل عنه ذهب ثلثا نوره وقد قال ابراهيم بن أدهم وغيره سكوت العالم أشد على الشيطان من كلامه لانه يسكت بعلم وينطق بعلم فيقول الشيطان انظروا الى هذا سكوته أشد علي من كلامه ولذلك يقال الصمت زين العالم وستر الجاهل وعن القاسم بن محمد انه قال من اكرام المرء نفسه أن يسكت على ما عنده حتى يسأل عنه وكذلك هو لعمري لانه اذا تكلم بعد السؤال فهو صاحبها وربما كان فرضا وليس الحاجة الا القيام بالفرض من الشهوات ولقوله تعالى فاسئلوا أهل الذكر فأوجب أن يجيبوا من حيث أمر أن يسألوا وقال صلى الله عليه وسلم من سئل عن علم فكتمه ألجم بلجام من نار فتوعد عليه بالعقاب وقد يكون الابتداء بالشيء من خفايا الشهوات والشهوات من الدنيا ووصف رجل لمالك بن أنس فقال لا بأس به لولا انه يتكلم بالشيء قبل أن يسأل عنه وقال مرة لا بأس به الا انه يتكلم بكلام شهر في يوم وقد قيل في معنى ما ذكر ان الكلام من الشهوات قال هو الذي يبتدئ به قبل أن يسأل عنه ووصف بعضهم الابدال فقال في وصفهم أكلهم فاقة وكلامهم ضرورة وكانوا لا يتكلمون حتى يسألوا عن شيء فيجيبوا ومن لم يتكلم حتى يسأل فليس بعد لاغيا ولا متكلما فيما لا يعنيه لان الجواب بعد السؤال كالفرض بمنزلة رد السلام وكما قال ابن عباس رضي الله عنهما

وكاشف الغمة وادفع عنا كل نقمة واجلب الينا كل نعمة

(فصل) اعلم ان ترك الزنا من خوف الله تعالى من موجبات الجنة والثواب الجزيل والنعمة العظيمة وظل الله تعالى يوم لا ظل الا ظله قال الله تعالى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى قال مقاتل هو الرجل يهم بالمعصية فيذكر مقامه للحساب فيتركها ثم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال سبعة يظلهم الله تعالى في ظله يوم لا ظل الا ظله امام عادل وشاب نشأ في عبادة الله ورجل قلبه متعلق بالمسجد اذا خرج منه حتى يعود اليه ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه ورجل ذكر الله تعالى خاليا ففاضت عيناه ورجل دعته امرأة ذات حسب وجمال فقال انى أخاف الله ورجل تصدق بصدقة حتى لا يعلم شماله ما ينفق يمينه وفي تنبيه الغافلين وغيره انه كان في بني اسرائيل عابد قد أوتي جمالا وحسنا وكان يعمل القفاف بيده ويبيعها فمر ذات يوم بباب الملك فنظرت اليه جارية لامرأة الملك فدخلت على سيدتها وقالت لها ههنا رجل ما رأيت أحسن وجها منه يطوف بالقفاف ويبيعها

تنتة المال ولين وقالت مرة لولا انه يحب الدنيا يعنى اجتماع الناس حوله للحديث وكان أبو سليمان
الدارانى رحمه الله تعالى يقول من تزوج أو كتب الحديث أو طلب معاشا فقد ركن الى الدنيا وقال بعض هذه
الطائفة كل من أدرك العلوم غير العلم بالله عز وجل فقد استدرك والذى أدرك العلم بالله فقد تدورك ثم
تلا قوله تعالى لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء أى تدورك بعلم المعرفة لبارح فى بعد الهوى والعرا
البعد وعلم المعقول بعد الى جنب علم اليقين وقال أيضا فى فهم قوله تعالى ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن
اليهم أى ثبتناك بالمعرفة لقد كدت تسكن الى علوم العقل وقال سهل بن عبد الله رحمه الله تعالى فى قوله
عز وجل ويجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا قال لسانا ينطق عنك لا عن سواك وفضل العلم بالله عز وجل والعلم
بالايمان وعلم اليقين على العلم بالاحكام والقضايا كفضل المشاهدة على الخبر وقد قال الرسول صلى الله عليه
وسلم ليس الخبر كالمعاينة وفى لفظ آخر ليس المخبر كالمعاين وقد روى عياض بن غنم عن النبى صلى الله عليه
وسلم فى تفسير قوله عز وجل ألهاكم التكاثر علم اليقين لترى العين وفى هذا الخبر ان من خيار أمتى قوما
يضحكون جهرا من سعة رحمة ربهم ويبكون سرا من خوف عذابه أقدامهم فى الارض وقلوبهم فى السماء
أرواحهم فى الدنيا وعقولهم فى الآخرة يمشون بالسكينة ويتقربون بالوسيلة فالفتيا هى الاخبار والاستفتاء
هو الاستخبار ومنه قوله تعالى فاستفتهم وقوله تعالى ويستفتونك أى يستخبرونك فعلم الخبر قد يدخله الظن
والشك والمشاهدة ترفع الظن وتزيل الشك كما قال تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى فاثبت الرؤية للقلب
بالعين فرؤية القلب هو اليقين وذو القلب هو الموقن وقال النبى صلى الله عليه وسلم كفى باليقين غنى ففى علم
اليقين غنية عن جميع العلوم لانه حقيقة العلم وخالصه وليس فى جميع العلوم غنى عن علم اليقين ولان الفقر
بالشك والحاجة الى اليقين فى علم التوحيد وعلم الايمان أشد من الفقر بالحاجة الى علوم الفتيا ونحوها
فلذلك صار الغنى باليقين أعظم من الاستغناء بسائر العلوم ففى هذا العلم مثل من فاتحة الكتاب الى سائر
القرآن كما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم فاتحة الكتاب تجزى من كل القرآن وليس القرآن كله
يجزى من فاتحة الكتاب فكذلك مثل العلم بالله عز وجل الى العلم بما سواه ففى العلم بالله تعالى عوض من
كل العلوم وليس فى سائر العلوم عوض من العلم بالله عز وجل من حيث كان فى الله تعالى عوض به عن
كل ما سواه وكل علم موقوف على معلومه فعلم اليقين معلومه الله تعالى ففضله كفضل الله تعالى على
ما سواه وقد قال بعض الحكماء فى معنى ما ذكرناه من عرف الله تعالى فماذا جهل ومن جهل الله تعالى فماذا
عرف فالعلماء بالله تعالى هم ورثة الانبياء لانهم ورثوا عنهم الدلالة على الله تعالى والدعوة اليه والاقتداء
بهم فى أعمال القلوب وقد قال الله تعالى ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وكما قال تعالى ادع
الى سبيل ربك بالحكمة وكما أمره بالدعاء وأشرك معه أتباعه فى الدعاء الى الله تعالى لا فى البصيرة فقال تعالى
قل هذه سبيلى ادعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى ويحشرون يوم القيامة مع الانبياء كما قال تعالى أولئك
مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين وكما قال تعالى وجىء بالنبيين والشهداء ثم فسره فقال بما استحفظوا من
كتاب الله وكانوا عليه شهداء وقد روينا معناه عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أقرب
الناس من درجة النبوة أهل العلم وأهل الجهاد أما أهل العلم فدلوا الناس على ما جاءت به الانبياء وأما أهل
الجهاد فجاهدوا بأسيافهم على ما جاءت به الرسل وعلماء الدنيا يحشرون مع الولاة والسلاطين وقد قال بعض
السلف العلماء يحشرون فى زمرة الانبياء والقضاة يحشرون فى زمرة السلاطين وكان اسمعيل بن اسحق
القاضى من علماء أهل الدنيا ومن سادة القضاة وعقلائهم وكان مؤاخيا لابى الحسن بن أبى الورد وكان هذا
من أهل المعرفة فلما ولى اسمعيل القضاء هجره ابن أبى الورد ثم انه اضطر الى ان دخل عليه فى شهادة فضرب
ابن أبى الورد يده على كتف اسمعيل القاضى وقال يا اسمعيل علم أجلسك هذا المجلس لقد كان الجهل خيرا منه
فوضع اسمعيل رداءه على وجهه وجعل يبكى حتى بله وعلماء الظاهر هم زينة الارض والملك وعلماء الباطن

الفرج الا بحفظ العين عن
النظر وحفظ القلب
عن التفكر وحفظ البطن
عن الشبهة وعن الشبع
وان هذه محركات الشهوة
ومغارسها وكذا ينبغى ان
تجتنب صحبة أهل الفجور
ومجالستهم ومقاربتهم
ومن نهى النفس عن
الهوى وفاز بجنة المأوى

شعر

نالوا بذلك فرحة وسرورا
وسعوا فاضحى سعيهم مشكورا
قوم أقاموا للاله نفوسهم
فكساوجوههم الوسيمة
نورا
تركوا النعيم وطاقة واللذائم
زهدا فعوضهم بذاك سرورا
قاموا يناجون الحبيب
بادمع
تجرى فتحكى لؤلؤا منثورا
ستروا وجوههم باستار
الدجى
ليلا فاضحت فى النهار بدورا
عملوا بما علموا وجادوا بالذى
وجدوا فاصبح سعيهم موفورا
واذا بدى ليل سمعت أنينهم
وشهدت وجدانهم وزفيرا
تعبوا قليلا فى رضا محبوبهم
فأراحهم يوم المعاد كثيرا
صبروا على مر البلا فجزاهم
يوم القيامة جنة وحريرا
اللهم ارزقنا اتباع
الصالحين واحشرنا فى
زمرتهم يا رب العالمين
(تذييل) فى آفات اللسان
والتبسم والمزاح وهى
التشاؤم بالشىء عن عائشة
قالت قال النبى صلى الله

خلوته غيره فيكون مناحا للبطالين وقد كان ابن سالم أبو الحسن يخرج إلى اخوانه ممن يراه موضعا للعلم فيجلس اليهم ويذاكرهم وربما أدخلهم اليه نهارا أو ليلا ولعمرى ان المذاكرة تكون بين النظراء والمحادثة تكون مع الاخوان والجلوس للعلم يكون للاصحاب والجواب عن السؤال نصيب العموم وكان عند أهل هذا العلم ان علمهم مخصوص لا يصلح الا للخصوص والخصوص قليل ولم يكونوا ينطقون به الا عند أهله ويرون ان ذلك من حقه وانه واجب عليهم كما وصفهم على كرم الله وجهه في قوله حتى يودعوه أمثالهم ويزرعوه في قلوب أشكالهم وكذلك جاءت الآثار بذلك عن نبينا صلى الله عليه وسلم وعن عيسى عليه السلام لا تضعوا الحكمة عند غير أهلها فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم كونوا كالطبيب الرفيق الذى يضع الدواء في موضع الداء وفي لفظ آخر من وضع الحكمة في غير أهلها جهل ومن منعها أهلها ظلم ان للحكمة حقا وان لها أهلا وان لاهلها حقا فاعط كل ذى حق حقه وفي حديث عيسى صلاة الله وسلامه عليه لا تعلقوا الجوهر في أعناق الخنازير فان الحكمة خير من الجوهر ومن كرهها فهو شر من الخنزير وكان بعض هذه الطائفة يقول نصف هذا العلم سكوت ونصفه تدرى أين تضعه وقد قال بعض العارفين من كلم الناس بمبلغ علمه وبمقدار عقله ولم يخاطبهم بقدر حدودهم فقد بخسهم حقهم ولم يقم بحق الله عز وجل فيهم وكان يحيى بن معاذ يقول اغرف لكل واحد من نهره واسقه بكاسه ونحن نقول بمعناه كل لكل عبد بمعيار عقله وزن له بميزان علمه حتى تسلم منه وينتفع بك والا وقع الانكار لتفاوت المعيار وحدثنى بعض أشياخنا من هذه الطائفة عن أبي عمران وهو المزين الكبير المكى قال سمعته يقول لابي بكر الكتانى وكان سمحا بهذا العلم بذولا له لجميع الفقراء فجعل أبو عمران يعاتبه وينهاه عن بذله له وكثرة كلامه فيه الى ان قال انا منذ عشرين سنة أسأل الله تعالى ان ينسيني هذا العلم قال ولم قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فسمعته يقول ان لكل شئ عند الله تعالى حرمة ومن أعظم الاشياء حرمة الحكمة فمن وضعها في غير أهلها طالبه الله تعالى بحقها ومن طالبه خصمه وقد كان بعض السلف يقول اذا استند الرجل الى سارية أو أحب ان يسأل فلا تجلس اليه ولا ينبغي ان يسأل ولم ير في مجالس أهل هذا العلم فيما سلف ثلاثون رجلا ولا عشرون الا نادرا غير لازم ولا دائم انما كانوا من الاربعة الى العشرة وبضعة عشر وقد كان يجتمع في مجالس القصاص والمذكرين والواعظين مئون من عهد الحسن الى وقتنا هذا فهذا أيضا من الفرق بينهما ان العلم خصوص لقليل وان القصص عام لكثير وقال بعض علمائنا كان في البصرة مائة وعشرون متكلما في الذكر والوعظ ولم يكن من يتكلم في علم المعرفة واليقين والمقامات والاحوال الا ستة منهم أبو محمد سهل والصبحى وعبد الرحيم وقد قيل من لم ينتفع بسكوت العالم لم ينتفع بكلامه أى ينبغى ان يتأدب بصمته وخشوعه وورعه ويقتدى بيقينه في ذلك كما يتأدب بنطقه ويقتدى بكلامه على انهم كانوا يقولون علم الظاهر من علم الملك وعلم الباطن من علم الملكوت يعنون ان ذلك من علم الدنيا لانه يحتاج اليه في أمور الدنيا وهذا من علم الآخرة لانه من زادها وهذا كما قالوه لان اللسان ظاهر فهو من الملك وهو خزانة العلم الظاهر والقلب خزانة الملكوت وهو باب العلم الباطن فقد صار فضل العلم الباطن على الظاهر كفضل الملكوت على الملك وهو الملك الباطن الخفى وكفضل القلب على اللسان وهو الظاهر الجلى وقد كان بشر بن الحرث رحمه الله يقول حدثنا وأخبرنا باب من أبواب الدنيا وقال مرة الحديث ليس من زاد الآخرة وحدثنا بعض أشياخنا عن بعض أصحابه قال دفن له بضعة عشر ما بين قمطر وقوصرة كتبا لم يحدث منها بشئ الا ما سمع منه نادرا في الفرد وكان رحمه الله تعالى يقول انى أشتهى ان أحدث ولو ذهب عنى شهوة الحديث لحدثت ثم قال انا أجاهد نفسى منذ أربعين سنة وقال اذا سمعت الرجل يقول حدثنا وأخبرنا فانما يقول أوسعوا لى وكان زاهدا عالما وقال هو وغيره اذا اشتهيت ان تحدث فلا تحدث واذا لم تشته ان تحدث فحدث وقد كانت رابعة العدوية رحمها الله تعالى قبله تقول للثورى رضى الله عنه نعم الرجل سفيان لولا انه يحب الحديث وكانت تقول فتنة الحديث أشد من

مثل ما يخالف علينا من أمرنا فيشتغل قلوبهم بنا فقامت فسجرته ثم جاءت فقعدت وجاءت امرأة من جيرانها فقالت يا فلانة أعندك وقود قالت نعم ادخلى فخذى من التنور فدخلت لتأخذ فقالت يا فلانة مالى أراك جالسة تتحدثين مع فلانة تعنى زوجها وقد نضج خبزك في التنور فقامت فاذا التنور محشو خبزا نقيا فحملته في جفنة ثم جاءت الى زوجها فقالت له اسر بك لم يصنع بنا هذا الا وأنت عليه كريم فادع الله ان يبسط علينا بقية عمرنا في معيشتنا فلم تزل به حتى قام في جوف الليل وصلى ودعا وقال اللهم ان زوجتى قد سألتنى فاعطها ما تتوسع به في بقية عمرها فانفرج السقف فنزل عليهم كف عليه ياقوتة أضاء بها البيت كما يضئ الشمع فغمزها وكانت نائمة فقال لها اجلسى وخذى ما سألت فقالت لا تعجل الهذا أيقظتنى رأيت في المنام كانى أنظر الى كراسى مصفوفة من الذهب مكللة بالدر والزبرجد آخرها فيه ثلمة فقلت لمن هذه قال لزوجك ومقدار الثلمة مقدار هذا الكف ثم قالت ما لنا حاجة الى شئ تثلم علينا مجالسنا فادع ربك ان يردها الى موضعها الثلم فدعا به فرجع الكف اعلم انك لا تصل الى حفظ

كان أبو حازم الزاهد يقول ذهب العلماء وبقيت علوم في أوعية سود وقد كان الزهري يقول كان فلان وعاء للعلم وحدثني فلان وكان من أوعية العلم ولا يقول كان عالما وكذلك جاء الخبر رب حامل فقه غير فقيه ورب حامل فقه الى من هو أفقه منه وكانوا يقولون حماد الراوية يعنون انه كان راويا ودخول الهاء في الاسم للمبالغة في الوصف كما يقال علامة ونسابة وانما كان العالم عندهم الغني بعلمه لا بعلم غيره وكان الفقيه فيهم هو الفقيه بفقه علمه وقلبه لا بحديث سواه كما جاء في الاثر أي الناس أغنى قال العالم الغني بعلمه ان احتيج اليه نفع والا استغنى عن الناس بعلمه لان كل عالم بعلم غيره فانما صار عالما بمجموعه فجمعوه هم العلماء وكل فاضل بوصف سواه فموصوفه هم الفضلاء فاذا تركهم وانفرد سكت فلم يرجع الى علم لنفسه يختص به فصار في الحقيقة موصوفا بالجهل واصفا لطرائق أهل الفضل موسوما بعلم السمع والنقل فمثل العالم بعلم غيره مثل الواصف لاحوال الصالحين العارف بمقامات الصديقين ولا حال له ولا مقام فليس يعود عليه من وصفه الا الحجة بالعلم والكلام وسبق العارفون بالله في الجنة بالاعمال والمقام فمثله كما قال الله تعالى ولكم الويل مما تصفون وكقوله عز وجل كلما أضاء لهم مشوا فيه واذا أظلم عليهم قاموا لا يرجع الى بصيرة فيه مما اشتبه من ظلمات الشبه عليه مما اختلف العلماء فيه ولا يتحقق بوجد منه فيه يبعده عن حال السهو بوجده وانما هو متواجد بوجد غيره فغيره هو الواجد وشاهد على شهادة سواه فالسوى هو الشاهد وقد كان الحسن يقول ان الله تبارك وتعالى لا يعبأ بصاحب رواية انما يعبأ بذي فهم ودراية وقال أيضا من لم يكن له عقل يسوسه لم تنفعه كثرة روايته للحديث وقد أنشدنا بعض الحكماء في معنى ذلك

العلم علمان فمسموع ومطبوع * ولا ينفع مسموع اذا لم يك مطبوع
* كما لا تنفع الشمس وضوء العين ممنوع * وكان الجنيد رحمه الله كثيرا ينشد
علم التصوف علم ليس يعرفه * الا أخو فطنة بالحق معروف
وليس يعرفه من ليس يشهده * وكيف يشهد ضوء الشمس مكفوف

لان الكتب والمجموعات محدثة والقول بمقالات الناس والفتيا بمذهب الواحد من الناس واتخاذ قوله والحكاية له في كل شيء والتفقه على مذهبه محدث لم يكن الناس قديما على ذلك في القرن الاول والثاني وهذه المصنفات من الكتب حادثة بعد سنة عشرين ومائة من التاريخ وبعد وفاة كل الصحابة وعلية التابعين يقال ان أول كتاب صنف في الاسلام كتاب ابن جريج في الآثار وحروف من التفاسير عن مجاهد وعطاء وأصحاب ابن عباس بمكة ثم كتاب معمر بن راشد الصنعاني باليمن جمع فيه سننا منثورة مبوبة ثم كتاب الموطأ بالمدينة لمالك بن أنس رضي الله عنه في الفقه ثم جمع ابن عيينة كتاب الجوامع في السنن والابواب وكتاب التفسير في أحرف من علم القرآن وجامع سفيان الثوري الكبير رضي الله عنه في الفقه والاحاديث فهذه من أول ما صنف ووضع من الكتب بعد وفاة سعيد بن المسيب وخيار التابعين وبعد سنة عشرين أو أكثر ومائة من التاريخ فكان العلماء الذين هم أئمة هؤلاء العلماء من طبقات الصحابة الاربعة ومن بعد موت الطبقة الاولى من خيار التابعين هم الذين انقرضوا قبل تصنيف الكتب وكانوا يكرهون كتب الحديث ووضع الناس الكتب لئلا يشتغل بها عن القرآن وعن الذكر والفكر وقالوا احفظوا كما حفظنا ولئلا يشتغل الناس عن الله تعالى برسم ولا وسم كما كره أبو بكر الصديق رضي الله عنه وعلية الصحابة تصحيف القرآن في مصحف وقالوا كيف نفعل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم وخشوا اشتغال الناس بالصحف واتكالهم على المصاحف فقالوا نترك القرآن يتلقاه الناس بعضهم من بعض تلقنا بالتلقين والاقراء ليكون هو شغلهم وهمهم وذكرهم حتى أشار عليه عمر رضي الله عنه وبقية الصحابة أن يجمع القرآن في المصاحف لانه أحفظ له وليرجع الناس الى المصحف لما لا يؤمن من الاشتغال بأسباب الدنيا عنه فشرح الله تعالى صدر أبي بكر رضي الله عنه لذلك فجمع القرآن في الصحف المتفرقة في المصحف

أوجب الاحتجاب عن الكافرة وكذا يحرم الخلوة مع الاجنبي ومع الكافر أشد ثم قال النبي صلى صلى الله عليه وسلم اياكم والدخول على النساء فقال رجل من الانصار أفرأيت الحمو قال الحمو الموت والحمو قريب الزوج كأخيه وابن أخيه وعمه وخاله وسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الموت لما كشف الله تعالى عما يتم منه ولو خرجت المرأة لذلك بغير اذن زوجها فهو بلاء على بلاء ولو اذن الزوج لذلك أو لغيره مما فيه اظهار الزينة لغير البعل ونحوه عصى لانه اعانة على معصية فهو من الديوثين قد صار عبدا للشيطان في ارضاء زوجته الخبيثة المظهرة زينتها لغير البعل والاب ونحوه لـ صار عبدا لها ولنفسه في الحقيقة قال الحسن رضي الله عنه والله ما أصبح رجل يطيع امرأته فيما تهوى الا كبه الله في النار [illegible] ماشية الى [illegible] و بالنار حتى من بيتها لاظهار الزينة طاعة للشيطان كيف بك اذا وقع بك الموت في وقت لا تشتهيه ونقلك من بيتك الى البيت القبور وكيف بك اذا ثم منكر ونكير وسألك [illegible] تعالى مخدم أو عرس فيه الملاهي من النظر المحرم واظهار الزينة لغير من يباح اظهار الزينة

زينة السماء والملكوت وعلماء الظاهر أهل الخبر واللسان وعلماء الباطن أرباب القلوب والعيان وقال بعض العلماء لما خلق الله تعالى اللسان قال هذا معقل خبرى ان صدقنى نجيته ولما خلق الله تعالى القلب قال هذا موضع نظرى ان صفا الى صافيته وقال بعض الخلف الجاهل ينجو بالعمل والعالم ينجو بالجنة والعارف ينجو بالجاه وقال بعض العارفين علم الظاهر حكم وعلم الباطن حاكم والحكم موقوف حتى يجىء الحاكم فيحكم فيه وقد كان علماء الظاهر اذا أشكل عليهم العلم فى مسئلة لاختلاف الادلة سألوا أهل العلم بالله لانهم أقرب الى التوفيق عندهم وأبعد من الهوى والمعصية منهم الشافعى رحمه الله تعالى كان اذا اشتبهت عليه المسئلة لاختلاف أقوال العلماء فيها وتكافؤ الاستدلال عليها رجع الى علماء أهل المعرفة فسألهم قال وكان يجلس بين يدى شيبان الراعى كما يجلس الصبى بين يدى المكتب ويسأله كيف يفعل فى كذا وكيف يصنع فى كذا فيقال له مثلك يا أبا عبد الله فى علمك وفقهك تسأل هذا البدوى فيقول ان هذا وفق لما علمناه وكان الشافعى رحمه الله قد اعتل علة شديدة وكان يقول اللهم ان كان فى هذا رضاك فزدنى منه فكتب اليه المعافرى من سواد مصر يا أبا عبد الله لست واياك من رجال البلاء فنسأل الرضا الاولى بنا ان نسأل الرفق والعافية فرجع الشافعى رحمه الله عن قوله هذا وقال استغفر الله تعالى وأتوب اليه فكان بعد ذلك رحمه الله يقول اللهم اجعل خيرتى فيما أحب وقد كان أحمد بن حنبل ويحيى بن معين رضى الله عنهما يختلفان الى معروف بن فيروز الكرخى رحمهم الله ولم يكن يحسن من العلم والسنن ما يحسنانه فكانا يسألانه وقد روى فى الخبر قيل يا رسول الله كيف نصنع اذا جاءنا أمر لم نجده فى كتاب الله تعالى ولا فى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سلوا الصالحين واجعلوه شورى بينهم ولا تقضوا فيه أمرا دونهم وفى حديث معاذ رضى الله عنه فان جاءك ماليس فى كتاب الله تعالى ولا سنة رسول الله قال أقضى فيه بما قضى الصالحون فقال الحمد لله الذى وفق رسول رسوله وفى بعضها اجتهد رأيى وحدثونا عن الجنيد قال كنت اذا قمت من عند سرى السقطى قال لى اذا فارقتنى من تجالس فقلت الحارث المحاسبى فقال نعم خذ من علمه وأدبه ودع عنك تشقيقه الكلام ورده على المتكلمين قال فلما وليت سمعته يقول جعلك الله صاحب حديث صوفيا ولا جعلك صوفيا صاحب حديث يعنى انك اذا ابتدأت بعلم الحديث والاثر ومعرفة الاصول والسنن ثم تزهدت وتعبدت تقدمت فى علم الصوفية وكنت صوفيا عارفا واذا ابتدأت بالتعبد والتقوى والحال شغلت به عن العلم والسنن فخرجت اما شاطحا أو غالطا لجهلك بالاصول والسنن فاحسن أحوالك ان ترجع الى العلم الظاهر وكتب الحديث لانه هو الاصل الذى تفرع عليه العبادة والعلم وانت قد بدأت بالفرع قبل الاصل وقد قيل انما حرموا الوصول بتضييع الاصول وهو كتب الحديث ومعرفة الآثار والسنن فاذا أنت رددت الى الاصل فقد انحططت عن مرتبة الناقدين ونزلت من درجة العارفين وفاتك مزيد اليقين والايمان وقال سفيان الثورى رضى الله عنه كان الناس اذا طلبوا العلم عملوا فاذا عملوا أخلصوا فاذا أخلصوا هربوا وقال آخر العالم اذا هرب من الناس فاطلبه واذا طلب الناس فاهرب منه وقال أبو محمد سهل العلم يهتف بالعمل فان أجابه والا ارتحل وقال ذو النون يقول اجلس الى من تكلمك صفته ولا تجلس الى من يكلمك لسانه وقد كان الحسن قبله يقول جالس من تكلمك أعماله ولا تجالس من تخاطبك مقاله وقد كانت طائفة يصحبون كثيرا من أهل المعرفة للتأدب بهم والنظر الى هديهم واخلاقهم ان لم يكونوا علماء لان التأديب يكون بالافعال والتعلم يكون بالاقوال ومن أبلغ ما سمعت منهم فى هذا المعنى ما قال بعض الحكماء وعظ واحد لالف بفعل أنجع فيهم وأوقع من وعظ ألف لواحد بقول وكان سهل يقول العلم كله دنيا والآخرة منه العمل به والعمل هباء الا الاخلاص وقال مرة الناس موتى الا العلماء والعلماء سكارى الا العاملين والعاملون مغرورون الا المخلصين والمخلص على وجل حتى يختم له به ولم يكن العالم عند العلماء من كان عالما بعلم غيره ولا حافظا الفقه سواه هذا كان اسمه راوية وأعيا وحاملا وناقلا وقد

عليه وسلم من أتى عرافا فسأله عن شىء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة د عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أتى كاهنا فصدقه بما يقول أو أتى امرأة حائضا أو أتى امرأة فى دبرها فقد برئ مما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم قال فى المفاتيح من جامع امرأة فى حال الحيض أو فى دبرها معتقدا تحليله أو سأل كاهنا عن حال معتقدا انه حق أو صدق فقد كفر وان علم تحريمه كان فاسقا د عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال العيافة والطرق والطيرة من الجبت وفى حياة الحيوان قال ابن عبد الحكيم لما خرج عمر بن عبد العزيز من المدينة قال رجل من لخم تطيرت فاذا القمر فى الدبران فكرهت ان أقول له فقلت له الا تنظر الى القمر ما أحسن استواءه فى هذه الليلة قال فنظر عمر فاذا هو فى الدبران فقال كأنك كرهت ان تعلمنى انه فى الدبران انا لا نخرج بشمس ولا بقمر ولكنا نخرج بالله الواحد القهار اعلم ان المرأة اذا أتت الكاهن والعراف فهو معصية على معصية فيتضاعف العقوبة لانه يحرم نظرها الى الاجنبى ونظره اليها لا سيما اذا كان كافرا فانه يزداد معصيته وقبحا كيف وقد

كان

حتى يطلبوه اذ لا يصح طلب ما لا يعرف ثم وجب عليهم من هذا أن يعرفوا العالم من هو ليطلبوا عنده العلم اذ العلم عرض ولا يقوم الا بجسم فلا يوجد الا عند أهله كما قيل لعلي كرم الله وجهه وقيل له ان فلانا فلانا في كذا فقال خيرنا أتبعنا لهذا الدين وكما قيل لسعد ان ابن المسيب يقرأ ما ننسخ من آية أو ننسأها فقال ان القرآن لم ينزل على ابن المسيب ولا على أبيه ثم قرأ أو ننسها فأعلم الناس في هذا الوقت وأقربهم من التوفيق والرشد أتبعهم لمن سلف وأشبههم بشمائل صالحي الخلف كيف وقد روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل من أعلم الناس فقال أعرفهم بالحق اذا اشتبهت الامور وقال بعض السلف أعلم الناس أعرفهم باختلاف الناس وكان الحسن البصري رضي الله عنه يقول محدثان أحدثا في الاسلام رجل ذو رأي سوء زعم ان الجنة لمن رأى مثل رأيه ومترف يعبد الدنيا لها يغضب ولها يرضى واياها يطلب فارفضوهما الى النار اعرفوا انكارهم لربهم بأعمالهم ان رجلا أصبح في هذه الدنيا بين مترف يدعو الى دنياه وصاحب هوى يدعو الى هواه وقد عصمه الله تعالى منهما يحن الى السلف الصالح يسأل عن فعالهم ويقتص آثارهم لتعرض لاجر عظيم فكذلك فكونوا وكما روينا عن ابن مسعود رضي الله عنه وقد جاء مسندا انما هما اثنتان الكلام والهدى فأحسن الكلام كلام الله تعالى وأحسن الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم ألا واياكم ومحدثات الامور فان شر الامور محدثاتها ان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة ألا لا يطولن عليكم الامد فتقسو قلوبكم ألا كل ما هو آت قريب ألا ان البعيد ما ليس بآت وفي خطبة النبي صلى الله عليه وسلم التي رويناها عن أبان عن انس طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وأنفق من مال اكتسبه من غير معصية وخالط أهل الفقه والحكمة وجانب أهل الذل والمعصية طوبى لمن ذل في نفسه وحسنت خليقته وصلحت سريرته وعزل عن الناس شره طوبى لمن عمل بعلمه وأنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوله ووسعته السنة ولم يعدها الى بدعة وقال بعض الادباء كلاما منظوما في وصف زماننا هذا كأنه شاهده

ذهب الرجال المقتدى بفعالهم * والمنكرون لكل أمر منكر

وبقيت في خلف يزكي بعضهم * بعضا ليدفع معور عن معور

أبني ان من الرجال بهيمة * في صورة الرجل السميع المبصر

فطن بكل مصيبة في ماله * فاذا أصيب بدينه لم يشعر

فسل الفقيه تكن فقيها مثله * من يسع في أمر بفقه يظفر

وقد كان ابن مسعود رضي الله عنه يقول حسن الهدى في آخر الزمان خير من كثير من العمل وقال في وصف زمانه باليقين وفي وصف زماننا بالشك فقال انكم في زمان خيركم فيه المسارع في الامور وسيأتي بعدكم زمان يكون خيرهم فيه المتثبت المتوقف يعني لكثرة الشبهات وقال حذيفة رضي الله عنه أعجب من هذا قال ان معروفكم هذا منكر زمان قد مضى وان منكركم معروف زمان قد يأتي وانكم لن تزالوا بخير ما عرفتم الحق وكان العالم فيكم غير مستخف وكان يقول أيضا يأتي في آخر الزمان قوم يكون العالم فيهم بمنزلة الحمار الميت لا يلتفتون اليه يستخفي المؤمن فيهم كما يستخفي المنافق فينا اليوم المؤمن فيهم أذل من الامة وفي حديث علي كرم الله وجهه يأتي على الناس زمان ينكر الحق تسعة أعشارهم لا ينجو منهم يومئذ الا كل مؤمن نومة أولئك هم أئمة الهدى ومصابيح العلم وليسوا بالمذاييع البذر يعني المتكلمين كثيرا المتظاهرين بالكلام اشتهارا وفي خبر يأتي على الناس زمان من عرف فيه الحق نجا قيل فأين العمل قال لا عمل يومئذ لا يجوز فيه الا من هرب بدينه من شاهق الى شاهق وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه يأتي على الناس زمان من عمل منهم بعشر ما أمر به نجا وفي بعضها بعشر ما يعلم وعن بعض الصحابة أنتم اليوم في زمان من ترك منكم عشر ما يعلم هلك ويأتي عليكم زمان من عمل فيه بعشر ما يعلم نجا وقال بعض الخلفاء يأتي عليكم زمان يكون أفضل العلم الصمت وأفضل العمل النوم يعني لكثرة المنافقين بالشبهات فصار الصمت

أو سرا أو علانية ونسأل الله التوفيق

(فصل في آفات اللسان) وهي كثيرة منها النميمة وهي كشف ما يكره كشفه سواء كرهه المنقول عنه أو اليه أو ثالث وهي من الكبائر خ م عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا يدخل الجنة نمام خ م قال صلى الله عليه وسلم تجدون شر الناس ذا الوجهين يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه عافانا الله من ذلك وروى الدارمي عنه صلى الله عليه وسلم من كان ذا وجهين في الدنيا كان له يوم القيامة لسانان من نار قال الغزالي وغيره ويجب على من قيل له قال فلان فيك كذا أن لا يصدقه وينهاه عن ذلك ويبغضه في الله ولا يظن بالمنقول عنه السوء ولا يبحث عن الحقيقة ولا يحكي نميمة ومنها الغيبة وهي ذكرك أخاك بما يكرهه لو سمعه سواء كان في بدنه أو دينه أو دنياه أو خادمه أو عمامته أو غير ذلك وروى أبو يعلى الموصلي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من أكل لحم أخيه في الدنيا قرب اليه لحمه في الآخرة وقيل له كله ميتا كما أكلته حيا فيأكل ويضج ويكلح د عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار

الواحد وكذلك كانوا يتلقون العلم بعضهم عن بعض ويحفظونه حفظا لهذا الطهارة القلوب من الريب وفراغها من أسباب الدنيا وصفائها من الهوى وعلو الهمة وقوة العزيمة وحسن النية ثم ظهرت بعد سنة مائتين وبعد تقضي ثلاثة قرون في القرن الرابع المرفوض مصنفات الكلام وكتب المتكلمين بالرأي والمعقول والقياس وذهب علم المتقين وغابت معرفة الموقنين من علم التقوى والهام الرشد واليقين فقلق من بقي منهم خلف فلم تزل في الخلوف الى هذا الوقت ثم اختلط الامر بعد هذا التفصيل في زماننا هذا فصار المتكلمون يدعون علماء والقصاص يسمون عارفين والرواة والنقلة يقال علماء من غير فقه في دين ولا بصيرة في يقين وروينا عن ابن أبي عبلة قال كنا نجلس الى عطاء الخراساني بعد الصبح فيتكلم علينا فاحتبس ذات غداة فتكلم رجل من المؤذنين لا بأس به بمثل ما كان يتكلم به عطاء فأنكر صوته رجاء بن أبي حيوة فقال من هذا المتكلم فقال أنا فلان فقال اسكت فانه يكره أن يسمع العلم الا من أهله وكذلك كانوا يقولون أبى أهل العلم بالله تعالى أن يسمعوا هذا العلم الا من أهله الزاهدين في الدنيا وكرهوا أن يسمعوه من أبناء الدنيا وزعموا انه لا يليق بهم واعلم أن العبد اذا كان يذكر الله تعالى بالمعرفة وعلم اليقين لم يسعه تقليد أحد من العلماء وكذلك كان المتقدمون اذا افتتحوا هذا المقام خالفوا من حملوا عنه العلم لمزيد اليقين والافهام وقال ابن عباس رضي الله عنهما ليس أحد الا يؤخذ من قوله ويترك الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان تعلم من زيد بن ثابت الفقه وقرأ على أبي بن كعب ثم خالف زيدا في الفقه وأبيا في القراءة وقال بعض الفقهاء من السلف ما جاءنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلناه على الرأس والعين وما جاءنا عن الصحابة فنأخذ به ونترك وما جاءنا عن التابعين فهم رجال ونحن رجال قالوا ونقول ولاجل ذلك كان الفقهاء يكرهون التقليد ويقولون لا ينبغي للرجل ان يفتي حتى يعرف اختلاف الفقهاء أي فيختار منها على علمه الاحوط للدين والاقوى باليقين فلو كانوا يستحبون أن يفتي العالم بمذهب غيره لم يحتج أن يعرف الاختلاف ولكان اذا عرف مذهب صاحبه كفاه ومن ثم قيل ان العبد يسأل غدا فيقال ماذا عملت فيما علمت ولا يقال له فيما علم غيرك وقد قال الله تعالى وقال الذين أوتوا العلم والايمان ففرق بينهما يدل به ان من أوتي ايمانا ويقينا أوتي علما كما ان من أوتي علما نافعا أوتي ايمانا وهذا أحد الوجوه في معنى قوله سبحانه كتب في قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه أي قواهم بعلم الايمان فعلم الايمان هو روحه وتسكون الهاء عائدة الى الايمان وكذا العالم الذي هو من أهل الاستنباط والاستدلال من الكتاب والسنة فانه اداة الصنعة وآلة الصنع لانه ذو تمييز وبصيرة ومن أهل التدبر والعبرة وأما الجاهل والعامي الغافل فله أن يقلد العلماء ولعالم عموم أيضا ان يقلد عالم خصوص وللعالم بالعلم الظاهر ان يقلد من فوقه ممن جعل على علم باطن من أهل القلوب لان النبي صلى الله عليه وسلم رد من علم الالسنة والفتيا الى علم القلوب ولم يرد أهل القلوب في علمهم الذين يختصون به الى المفتين لانهم يأخذون من المفتين فتياهم ثم يجدون في قلوبهم حكاو حزازة فيلزمهم فتيا القلب لقوله استفت قلبك بعد قوله وان أفتاك المفتون مع قوله الاثم حزاز القلوب الى قوله ما حاك في صدرك فدعه وان أفتوك وأفتوك ثم درس معرفة هذا الجهل فصار كل من نطق بكلام وصنعه غرب على السامعين لا يعرف حقه من باطله سمي عالما وكل كلام مستحسن زخرف رونقه لا أصل له يسمى علما لجهل العامة بالعلم أي شئ هو ولقلة معرفة السامع بوصف من سلف من العلماء كيف كانوا فصار كثير من متكلمي الزمان فتنة المفتون وصار كثير من الكلام والرأي والمعقول الذي حقيقته جهل كأنه علم عند الجاهلين فلا يفرقون بين المتكلمين والعلماء ولا يميزون بين العلم والكلام وقد قلنا ان خصوص الجهال يتشبهون بالعلماء فيشتبهون على مجالسيهم في الحال فأعلم الناس في زمانك هذا أعرفهم بسيرة المتقدمين وأعلمهم بطرائق السالكين ثم أعلمهم بالعلم أي شئ هو وبالعالم من هو من المتعلم والمتعالم وهذا كالفرض على طالبي العلم أن يعرفوه لانه لما قال صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة وجب عليهم ان يعرفوا أي شئ هو العلم

لو فتحت فيه النفخة فالتهبا مع جسمك نارا وكيف بك اذا شهد سمعك الذي أصغيت به الى كلام الكاهن أو الغناء المحرم فوجد فيه نتن الاصغاء فنفخ فيه فالتهب مع جسمك نارا وكيف بك اذا التهبت عينك الناظرة الى الكافر والاجنبي نارا وكيف بك اذا جاءت العطية للكاهن وصارت مرصعة في أجنابك نارا فيا ذل وخيبة من أطاع الشيطان وترك طاعة رسول الرحمن فالحذر الحذر من ذلك فانها من أسباب الهلاك فتوبي قبل خروج الامر من يدك ووقوع الحسرة والندامة على سوء صنعك

شعر

ويحك يا نفس البدار البدار
فما هذه الدار لحي بدار
منزلة والناس سفر وكم
خانهم صرفها الليالي وجار
قد نفد العمر وقل البقا
الى متى يا نفس ذا الاغترار
من كان في الدنيا يرى راحلا
كيف له فيها يقر القرار
أم كيف يهنا العيش فيها لمن
عليه كاسات المنايا تدار
يا أيها النائم قم وانتبه
قد فاتك المطلوب والركب سار
ان كنت أذنبت فقم واعتذر
الى كريم يقبل الاعتذار
وانهض الى مولى عظيم الرجا
يغفر في الليل ذنوب النهار

اللهم انا نستغفرك من كل ذنب أذنبنا عمدا أو خطأ

الزمان وأوّل ما يرفع عنهم الخشوع ثم الاجابة ثم الورع ويقال أوّل ما يرفع من الناس الالفة

(ذكر ما أحدث الناس من القول والفعل فيما بينهم مما لم يكن عليه السلف)

كان الناس قديما اذا التقوا يقول أحدهم لصاحبه ما خبرك وما حالك يعنون بذلك ما خبر نفسك في مجاهدتها وصبرها الى ما حال قلبك من مزيد الايمان وعلم اليقين ويريدون أيضا ما خبرك في المعاملة لمولاك وما حالك في أمور الدنيا والآخرة هل ازددت أم انتقصت فيتذاكرون أحوال قلوبهم ويصفون أعمال علومهم ويذكرون ما وهب الله تعالى لهم من حسن المعاملة وما فتح لهم من غرائب الفهوم فكان هذا من تعديد نعم الله تعالى عليهم ومن جميل شكرهم ويكون مزيدا لهم في المعرفة والمعاملة وقد كان بعضهم يقول أكثر علومنا ومواجيدنا مما يعرفه بعضنا من بعض وما يخبر به أحدنا أخاه اذا التقينا فقد جهل هذا اليوم ذلك فهم اذا تساءلوا عن الخبر والحال انما يريدون به أمور الدنيا وأسباب الهوى ثم يشكو كل واحد مولاه الجليل سبحانه وتعالى الى عبده الذليل ويتسخط أحكامه ويتبرم بقضائه وينسى نفسه وما قدمت يداه فمثله كما قال تعالى ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسي ما قدمت يداه وكما قال تعالى ان الانسان لربه لكنود قيل كفور بنعمته يعدد المصائب وينسى النعم كل ذلك جهالة بالله تعالى وغفلة عنه ومنه قولهم الآن كيف أصبحت وكيف أمسيت هذا محدث انما كانوا اذا التقوا قالوا السلام عليكم ورحمة الله وفي الخبر من بدأكم بالكلام قبل السلام فلا تجيبوه وانما حدث هذا في زمان الطاعون الذي كان يدعى طاعون عمواس بالشام من الموت الذريع كان الرجل يلقى أخاه غدوة فيقول كيف أصبحت من الطاعون ويلقاه عشية فيقول كيف أمسيت منه لان أحدهم كان اذا أصبح لم يمس واذا أمسى لم يصبح فبقي هذا الى اليوم ونسي سببه وكان من عرف حدوثه من المتقدمين يكرهه حدثونا عن أحمد بن أبي الحواري قال قال رجل لابي بكر بن عياش كيف أصبحت أو كيف أمسيت فلم يكلمه وقال دعونا من هذه البدعة قال وقلت لبعض السلف كيف أصبحت فاعرض عني وقال ما كيف أصبحت قل بالسلام وروى أبو معشر عن الحسن رضي الله عنه انما كانوا يقولون السلام عليكم سلمت والله القلوب فأما اليوم كيف أصبحت أصلحك الله كيف أمسيت عافاك الله فان أخذنا بقولهم كانت بدعة ألا ولا كرامة فان شاؤا غضبوا علينا ومن ذلك ابتداء الرجل في عنوان الكتاب باسم المكتوب اليه وانما السنة أن يبتدئ بنفسه فيكتب من فلان الى فلان قال ابن سيرين رحمه الله تعالى غبت غيبة فكتبت الى أبي فابتدأت باسمي فكتب الي يابني اذا كتبت الي فابدأ باسمك في الكتاب فان ابتدأت باسمي قبل اسمك لا اقرأ لك كتابا ولا رددت اليك جوابا وكتب العلاء بن الحضرمي رضي الله عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبدأ بنفسه وكتب من العلاء بن الحضرمي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقال أوّل من أحدثه زياد فعابه العلماء عليه وعدوه من احداث بني أمية وقد بقي سنة هذا في كتب الخلفاء والامراء الى اليوم على نحو ما مضى فهم يقدمون اسماءهم في كتبهم ومن الاحداث قول الرجل اذا جاء منزل اخيه يا غلام يا جارية فيه مخالفة لامر الله عز وجل وأمر رسوله عليه السلام قال الله عز وجل لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها قال أهل التفسير الاستئناس الدق أو التنحنح أو الحركة حتى يؤذن بذلك ورأيها انسانا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جاء أحدكم منزل أخيه فليسلم ثلاثا فان أذن له فليدخل والا فليرجع وكان السلف يقرع احدهم باب أخيه ثم يسلم ثلاثا يقف بعد كل تسليمة هنيهة فان أذن له دخل وقد لا يحب صاحب المنزل أن تدخل عليه في ذلك الوقت لسبب عذر له فيقول وعليكم السلام ورحمة الله ارجع عافاك الله فاني على شغل فيرجع عنه غير كاره لرجوعه ولا يؤثر ذلك عليه في نفسه وقد يكون قوله ارجع أحب اليه لانه أفضل له رجاء الاجابة والتزكية لقوله تعالى وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم فربما رجع في اليوم مرتين أو ثلاثا بعد رد صاحبه له وهو يعود لان ذلك لم يؤثر في قلبه شيأ وهذا الوفعل ببعض الناس من أهل عصرنا هذا لكرهه ولعل أن لا يعود يومه ذلك فاتا

الزنا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات خ م عن أبي بكرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أنبئكم بأكبر الكبائر قلنا بلى يا رسول الله قال الاشراك بالله وعقوق الوالدين وكان متكئا فجلس فقال الا وقول الزور وشهادة الزور فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت خ م قال صلى الله عليه وسلم سباب المسلم فسوق وقتاله كفر خ م قال صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين بملة غير الاسلام كاذبا متعمدا فهو كما قال ومن قتل نفسه بشيء عذب به يوم القيامة وليس على رجل نذر فيما لا يملكه ولعن المسلم كقتله خ م قال صلى الله عليه وسلم أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها اذا ائتمن خان واذا حدث كذب واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر يا مسكين لا تضيع عمرك سدى بكلام لا يعنيك ت عن أنس قال توفي رجل من الصحابة فقال رجل أبشر بالجنة فقال صلى الله عليه وسلم أولا تدري فلعله تكلم فيما لا يعنيه أو بخل بما لا ينقصه واياك أن تنطق بكلام فيه العقوبة ت عن أبي هريرة قال رسول الله صلى

للجاهل علما ولكثرة العاملين بالشهوات فصار النوم عبادة البطال ولعمري ان الصمت والنوم أدنى أحوال العالم وهما أعلى أحوال الجاهل وكان يونس بن عبيد يقول أصبح اليوم من يعرف السنة غريبا وأغرب منه من يعرفه يعني طريقة السلف يقول فمن يعرفه عرف طريق من مضى وهو غريب أيضا لانه قد عرف غريبا وقال حذيفة المرعشي كتب الى يوسف بن اسباط ذهبت الطاعة ومن يعرفها وكان أيضا يقول ما بقي من يؤنس به وقال ما ظنك بزمان مذاكرة العلم فيه معصية قيل ولم ذلك قال لانه لا يجد أهله وقد كان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول انكم لن تزالوا بخير ما أحببتم خياركم وقيل فيكم الحق فعرفتموه يل اسكم اذا كان العالم فيكم كالشاة النطيح وقد كان للمتقدمين علوم يجتمعون عليها ويتفاوضونها بينهم قد درست في زماننا وكان للصالحين معان وطرائق يسلكونها ويسألون عنها قد ذهبت في وقتنا وكان لليقين والمعرفة مقامات وأحوال يتذاكرها أهلها ويطلبون أربابها قد عفت آثارها عندنا لقلة الطالبين لها ولعدم الراغبين فيها وفقد العلماء بها وذهاب السالكين في طرقها منها طلب الحلال وعلم الورع في المكاسب والمعاملات وعلم الاخلاص وعلم آفات النفوس وفساد الاعمال وعلم نفاق العلم والعمل والفرق بين نفاق العلم والعمل والفرق بين نفاق القلب ونفاق النفس وبين اظهار النفس شهوتها واخفائها اذ ذلك والفرق بين سكون القلب بالله وسكون النفس بالاسباب والفرق بين خواطر الروح والنفس وبين خاطر الايمان واليقين والعقل وعلم خلائق الاحوال وأحوال طرائق العمال وتفاوت مشاهدات العارفين وتلوينات الشواهد على المريدين وعلم القبض والبسط والتحقيق بصفات العبودية والتخلق بأخلاق الربوبية وتباين مقامات العلماء الى غير ذلك مما لا نذكره من علم التوحيد ومعرفة معاني الصفات وعلوم المكاشفة بتجلي الذات واظهار الافعال الدالة على معاني الصفات الباطنة وظهور المعاني الدالة على النظر والاعراض والتقريب والابعاد والنقص والمزيد والمثوبة والعقوبة والاجتباء والاختيار وقد ذكرنا من جميع هذه المعاني فصولا ورسمنا جملا وأصولا تنبه على فروعها وندل على اشكالها لمن وفق لتدبرها وأريد بتذكرها وجعل له نصيب منها وقال بعض علمائنا أعرف للمتقدمين سبعين علما كانوا يتحاورونها ويتعارفونها في هذا العلم لم يبق منها اليوم علم واحد يعرف قال وأعرف في زماننا هذا علوما كثيرة من الاباطيل والدعاوي والغرور وقد ظهرت وسميت علوما لم تكن فيما مضى تعرف فهذا كالشراب الذي وصفه الله تعالى فقال يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيأ وكان الجنيد رحمه الله تعالى من قبله يقول علمنا هذا الذي نتكلم فيه قد طوى بساطه منذ عشرين سنة وانما نتكلم في حواشيه وكان يقول أيضا قد كنت أجالس قوما سنين يتحاورون في علوم لا أفهمها ولا أدري ما هي وما بليت بالانكار قط كنت أتقبلها وأحبها من غير أن أعرفها وكان أيضا يقول كنا نتجارى مع اخواننا فيما في علوم كثيرة ما تعرف في وقتنا هذا ولا سألني عنها أحد وهذا باب قد أغلق وردم ولما صنف شيخنا أبو سعيد بن الاعرابي كتاب طبقات النساك ووصف أول من تكلم في هذا العلم وأظهره ثم من بعده من البصريين والشاميين وأهل خراسان الى ان كان آخرهم البغداديين وقال آخر من تكلم في هذا العلم صاحبنا جنيد القواريري وكانت له بصيرة فيه وحقيقة وحسن عبارة وما بقي بعده الا من يجالسه غيظا وقال مرة أخرى ما بقي بعد جنيد الا من يستحيي من ذكره وقد كان اماما أبو محمد سهل رحمه الله يقول بعد سنة ثلثمائة لا يحل ان يتكلم بعلمنا هذا لانه يحدث قوم يتصنعون للخلق ويتزينون بالكلام اتكون مواجيدهم لباسهم وحليتهم كلامهم ومعبودهم بطونهم وقد كان حذيفة رضي الله عنه اذا سئل أي الفتن أشد فقال ان يعرض عليك الخير والشر فلا تدرى أيهما تأخذ لكثرة الشبهات كما كان سهل يقول بعد سنة ثلثمائة لا يصح لاحد توبة لانه يفسد خبزهم وهم لا يصبرون عن الخبز يعني ان أول التوبة أكل الحلال وقد روينا في خبر يأتي على الناس زمان يضلون فيه دينهم فلا يعرفونه يصبح الرجل على دين ويمسي على دين يضل أمره على غير يقين وتسلب عقول أكثر أهل ذلك

نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم فقلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم ٭ قال صلى الله عليه وسلم الغيبة أشد من الزنا قالوا يا رسول الله وكيف الغيبة أشد من الزنا قال ان الرجل يزني فيتوب فيغفر الله له وان صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفرها له صاحبه واعلم أنه يجب على سامعها الانكار بلسانه فان لم ينزجر به فبيده وان لم يستطع بهما فبقلبه وفارق المجلس ان قدر عليه وروى الطبراني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من أذل عنده مؤمن وهو يقدر على أن ينصره فلم ينصره أذله الله عز وجل يوم القيامة على رؤس الخلائق ت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة ومنها القذف وشهادة الزور وسب المسلم واللعن والكذب قال الله تعالى والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون خ م قال صلى الله عليه وسلم اجتنبوا السبع الموبقات قالوا يا رسول الله وما هي قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق وأكل

من الاعتداء في الشريعة والواضحة بين الكتاب والسنة وقد قال بعض العارفين نظرت الى هؤلاء الشاطحين فما وجدت الا جاهلا مغرورا أو خاسئا محبورا أو مستظهرا بلا شيء ومنه الكلام في الدين بالوساوس والخطرات عن غير رد مواجيدها الى الكتاب والسنة والواجب معرفة تفصيلها ونفي ما لم يشهد له الكتاب والسنة منها اذ في المواجيد ضلال وغرور وفي المشاهدات باطل وزور مع دعواهم المحبة وانكارهم الصفة التي جاءت بها السنة وعن غير شهادة موصوف وادعائهم المعرفة من غير تعرف معروف ومما أحدثوا السجع في الدعاء والتغريب فيه ولم يرد الكتاب به ولا نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا الصحابة بل كانوا ينهون عن الاعتداء في الدعاء ويجتنبون مجاوزة ما أخبر الله تعالى عن أوليائه من الادعية الجامعة المختصرة المعروفة وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والسجع في الدعاء حسب أحدكم ان يقول اللهم اني أسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل وفي الخبر سيأتي قوم يعتدون في الدعاء والطهور وسمع عبد الله بن مغفل ابنه يدعو بدعاء يتعمق فيه فقال يا بني اياك والحدث والاعتداء في الدعاء وفي قوله عز وجل ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين قيل في الدعاء فالاعتداء في الدعاء هو ترك ما أخبر الله عز وجل عن أوليائه الصالحين من الدعاء بالمغفرة والرحمة والتوبة ومعنى ذلك من الدعاء المعروف والقول المشهور الى التنطع والتعميق والتغريب والتدقيق ويقال ان العلماء والابدال لا يزيد أحدهم على سبع كلمات في الدعاء ووجدت تصديق ذلك في الكتاب ان الله تعالى ما أخبر عن عباده في الدعاء في مكان واحد أكثر من سبع دعوات وهي التي في آخر سورة البقرة والانما يخبر عنهم بالدعوتين والثلاث والاربع الى الخمس في مواضع من الكتاب متفرقة ومر بعض السلف بقاص يدعو ويسجع في دعائه ويتعمق فقال له ويلك على الله تبالغ أشهد لقد رأيت حبيبا العجمي يدعو وما يزيد على قوله اللهم اجعلنا جيدين اللهم لا تفضحنا يوم القيامة اللهم وفقنا للخير قال والناس يدعون من كل ناحية وكان تعرف اجابة دعائه وبركته وكان أبو يزيد البسطامي يقول سله بلسان الحاجة لا بلسان الحكمة وقال الحسن ادع بلسان الاستكانة والافتقار لا بالفصاحة والانطلاق ومما أحدثوه أخذ القرآن بالادارة وتنازع الاثنين الآية أو تلقي الرجلين للآيتين في مكان واحد بمنزلة الاختلاس والنهبة من غير خشوع للقرآن ولا هيبة وقراءة القرآن تحتاج الى حزن وسكون وخشوع ومن ذلك أخذ المقرئ على الاثنين وليته قام بقراءة الواحد لسهو القلب كما قيل لابراهيم الحربي ان فلانا يأخذ على الاثنين فقال هاه يحتاج اثنان أن يأخذا على واحد ومن البدع التلحين في القراءة حتى لا تفهم التلاوة وحتى يجاوز اعراب الكلمة بمد المقصور وقصر الممدود وادغام المظهر واظهار المدغم ليستوي بذلك التلاحين ولا يبالي باعوجاج الكلام واحالته عن حقيقته هو بدعة ومكروه استماعه قال بشر بن الحرث سألت ابن داود الحربي أمر بالرجل يقرأ فأجلس اليه قال يقول يطرب قلت نعم قال لا هذا قد أظهر بدعته ومن ذلك التلحين في الاذان وهو من البغي والاعتداء فيه قال رجل من المؤذنين لابن عمر رضي الله عنهما اني لاحبك في الله تعالى فقال له لكني أبغضك في الله تعالى قال يا أبا عبد الرحمن لم قال لانك تبغي في أذانك وتأخذ عليه أجرا وكان أبو بكر الآجري رحمه الله يقول خرجت من بغداد وما تحل لي المقام بها قد ابتدعوا في كل شيء حتى في قراءة القرآن وفي الاذان وكان يعني بذلك قراءة الادارة والتلحين وقدم علينا مكة في سنة ثلاثين ومن جمل ما أحدث الخلف فخالفوا به سنن السلف انهم شددوا في أشياء كان السلف يتساهلون فيها وسهلوا أشياء كان السلف يشددون فيها انهم في ذلك كالخوارج شددوا في المعاصي من الذنوب وسهلوا في الآثار والسنة وفي ترك مذهب الجماعة حتى فارقوهم فمما شدد فيه الخلف مما كان السلف يسهلونه كتب الاحاديث من أنواع طرقها وتتبع الغرائب من طرقاتها وتحري الالفاظ فيها وقد قال ابن عون أدركت ثلاثة يرخصون في المعاني ابراهيم والشعبي والحسن رحمهم الله تعالى وثلاثة

نفسه عند الغضب م عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم وفي رواية ولا ينظر اليهم ولهم عذاب أليم شيخ زان وملك كذاب وعائل مستكبر عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تجرع عبد أفضل عند الله من جرعة غيظ يكظمها ابتغاء وجه الله تعالى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الغضب ليفسد الايمان كما يفسد الصبر العسل خ عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى ادفع بالتي هي أحسن الصبر عند الغضب والعفو عند الاساءة فاذا فعلوا عصمهم الله وخضع لهم عدوهم كأنه ولي حميم قريب وروى أحمد في الزهد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تحشر الجبارون والمتكبرون يوم القيامة هم رجال في صورة الذر يطؤهم الناس من هوانهم على الله تعالى حتى يقضي بين الناس ثم قال اذهبوا بهم الى نار الانيار قيل يا رسول الله وما نار الانيار قال عصارة أهل النار م عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر فقال رجل ان الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة قال ان الله جميل

العلماء فقد كان بعض الناس لا يستأذن عليهم الا أنهم لا بد منه بل كانوا يقعدون على أبوابهم وفي مساجدهم ينتظرون خروجهم لاوقات الصلاة اجلالا للعلم وهيبة للعلماء وحدثونا عن أبي عبيد قال ماقرعت على عالم قط بابه كنت أجيء الى منزله فاقعد على بابه انتظر خروجه من قبل نفسه أتأول قول الله عز وجل ولو أنهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم وقد روينا مثل هذا عن ابن عباس رضي الله عنهما في موضعه من العلم والشرف ان المبارك كان يمر به وهو قائم على باب منزل الرجل من الانصار تسفي عليه الرياح فيقول مايجلسك ههنا يا ابن عم رسول الله فيقول أنتظر خروج صاحب المنزل فيخرج الرجل فيقول يا ابن عم رسول الله لو أرسلت الي لجئتك فيقول لا أنا كنت أحق أن آتيك فيسأله عما يريد من حديث بلغه انه يرويه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن هو سمعه منه ومن ذلك استقصاء الرجل في المسئلة عن حال أخيه وخبره وقد كره ذلك تزوج سلمان الفارسي رضي الله عنه فلما دخل على أهله خرج الى الناس من الغد فقال له رجل كيف أنت يا أبا عبد الله قال بخير أحمد الله تعالى قال كيف حالك وكيف بت البارحة وفي لفظ آخر كيف وجدت أهلك فغضب سلمان وقال لم يسأل أحدكم فيحفي المسئلة وليسأل عما وراء البيوت بكفي أحدكم أن يسأل عن ظاهر الامر وأما سليمان بن مهران الاعمش فان رجلا قال له في منزله كيف أنت يا أبا محمد قال بخير قال كيف حالك قال في عافية قال كيف بت البارحة فصاح ياجارية انزلي بالفراش والمخاد فأنزلت بذلك فقال افرشي واضطجعي حتى اضطجع الى جنبك لترى أخانا كيف بت البارحة وكان يقول يلقى أحدهم أخاه فيسأله عن كل شئ حتى عن الدجاج في البيت ولو سأله درهما ما أعطاه وكان من مضى من السلف اذا لقي أخاه لا يزيد على قوله كيف أنتم أوحيا كم الله بالسلام ولو سأله شطر ماله قاسمه ومن ذلك قول الرجل لاخيه اذا لقيه ذاهبا في الطريق الى أين تريد أو من أين جئت فقد كره هذا وليس من السنة ولا الادب وهو داخل في التجسس والتحسس لان التجسس في الآثار والتحسس في الاخبار وهذا السؤال عن ذلك يجمعهما وقد لا يحب الرجل أن يعلم صاحبه أين يذهب ولا من أين جاء وقد كره ذلك مجاهد وعطاء قالا اذا لقيت أخاك في طريق فلا تسأله من أين جئت ولا أين يذهب فلعله ان يصدقك فتكره ذلك ولعله ان يكذبك فتكون قد حملته عليه وقد كانوا يكرهون بيع المصاحف وشراءها وكان بعضهم لبيعها أكره منه لشرائها وقد ابتدع المتأخرون علوما لم تكن تعرف فيما سلف منها علم الكلام والجدل وعلوم المقاييس والنظر والاستدلال على سنن الرسول صلى الله عليه وسلم بأدلة الرأي والمعقول ومنها آثار علم العقل والرأي والقياس على ظواهر القرآن وعلى الاخبار ومنها اظهار الاشارات بالمواجيد من غير علومها ولا بيان تفصيلها وفي ذلك تحيير للسامعين واضلال للعاملين وانما كان العلماء بهذا العلم يظهرون علوم المواجيد ويخفون الاشارة بالوجد فيظهرون للناس ما ينفع ويخفون ما يضر ولان المواجيد أحوال قلوبهم فكتمها أفضل وعلومها أنصبة المريدين والعاملين فاظهارها هو البغية لهم فاظهروه واخفوا وجدهم لانه سرلهم فسلموا من التصنع والدعوى وأعطوا السامعين نصيبهم ومنعوهم ماليس لهم فعدلوا في الوصفين معا فقصلوا في الحالين جميعا فجهل هذا الآن فأظهر ضده وكان الى الضرر أقرب ومن السلامة أبعد فمن لم يحسن التفصيل ولم يرزق العبارة فانه يحسن الصمت فهو واسع ان من لم يتكلم بعلم على سنة فسكوته أقرب له الى الله تعالى وسعة له في ذلك كما قال الله عز وجل ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها ومما ظهر اظهار علوم المعرفة بمعاني الرغبة ليتميزوا عن الفقراء تكبرا منهم فلا يجعلون جاههم فليصرف اليهم من الاسباب على قدر اسمهم وأحوالهم وهذا من أكبر أبواب الدنيا وأضره على مريدي الآخرة وألطفه تمويها في الدين ومنها الكلام في التوحيد بمخالفة علم الشرع وأن الحقيقة تخالف العلم والحقيقة هي علم وهي أحد طرقات الشريعة وعلم الشرع عنها فكيف تنافيها وهي التي أوجبته واعاهي عزيمة وضيقة وعلم الظاهر هو الرخصة والسعة فمن تكلم في علم الباطن على غير قواعد العلم الظاهر وأصوله فذلك

الله عليه وسلم عن أكثر ما يدخل الناس النار قال الفم والفرج واقطع صحبة صديق يدعوك اليه فانه عدوك وأي عدو يحملك على دخول نار لا تطيقها الجبال واياك ثم اياك أن لا تنكر الغيبة حتى لا تكون لك حبة خردل من ايمان كما في صحيح مسلم فتنبه لذلك فان كثيرا لا يهتدون لذلك وربما يسمع شخصا يغتاب آخر يصغي اليه وربما ساعده عليه ولا تغتر بكثرة من لا يبالي بذلك من فقهاء السوء والمتصوفة الجهلة فانهم لصوص الدين وبهم فساد أمة محمد صلى الله عليه وسلم كما قال صلى الله عليه وسلم هلاك أمتي على يد اثنين عالم فاسق وعابد جاهل

(شعر)

يا أيها الغافل جد الرحيل
وأنت في لهو وزاد قليل
لو كنت تدري ما تلاقي غدا
لذبت من فرط البكا والعويل
فاخلص التوبة تحظى بها
فما بقي في العمر الا قليل
ولا تنم ان كنت ذا غبطة
فان قدامك نوما طويل

اللهم صل على محمد هادينا وآله واغفر لنا ولوالدينا ولاحبابنا وللمسلمين

(فصل في الغضب والكبر والحسد) خ م عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذي يملك

عندنا سبعة أقسام العلم منه قسم واحد وسائر الستة لغو مطرح يلتقطه من لا يعرفه ولا يفرق بين العلم والجهل والعرب تقول لكل ساقطة لاقطة ولكل قائلة ناقلة فالستة افك وسفه وخطأ وظن وزخرف ووسوسة فهذه أسماؤها عند العلماء يتفاوتون ذلك بما فضل الله تعالى اهم من بيانه واستحفظهم من كتابه وجعلهم شهداء على دينه وعباده فالقسم السابع من الكلام هو ما عدا هذه الستة ولم يقع عليه اسم منها مذموم فهو علم وهو نص القرآن والسنة أو ما دلا عليه واستنبط منهما أو وجد فيهما اسمه ومعناه من قول وفعل والتأويل اذا لم يخرج عن الاجماع داخل في العلم والاستنباط اذا كان مستودعا في الكتاب يشهد له المجمل ولا ينافيه النص فهو علم وقد كان ابن مسعود رضي الله عنه يقول أنتم اليوم في زمان الهوى فيه تابع للعلم وسيأتي عليكم زمان يكون العلم فيه تابعا للهوى وقد جمع الله تعالى بين رونق العقل ومتعة الدنيا بتسمية الزخرف فقال تعالى وليبوتهم أبوابا وسررا عليها يتكئون وزخرفا وكما قال زخرف القول غرورا فذهاب الجاهل بالاستحسان لزخرف القول من المموه من علم الدنيا كمتعة الجاهل من أبناء الدنيا بزخرف الذهب ذاهبا عن حقيقة الاس والزخرف ما موه على الذهب فيشبه به بحسبه الجاهل والصبي عين الذهب كذلك الزخرف من القول ما موه و يشبه على العلم يحسبه المستمع من الجهال علما فكذلك جمع بينهما في التسمية الزخرف وقد قيل ان الزخرف هو الذهب فعلى هذا شبه قول الغرور بالذهب الذي يذهب بقاؤه وتقل حقيقته عند الربانيين وأهل الحقيقة الزاهدين اذ شبهه الانبياء والصديقون كالحجر والمدر وكان الامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه يقول تركوا العلم وأقبلوا على الغرائب ما أقل العلم فيهم والله المستعان وقال الامام مالك بن أنس رضي الله عنه لم يكن الناس فيما مضى يسألون عن هذه الامور كما يسأل الناس اليوم ولم يكن العلماء يقولون حرام ولا حلال في أكثر الامور أدركتهم يقولون مستحب ومكروه وكان مالك كثير التوقف في الاجوبة اذا سئل ويكثر أن يقول لا أدري سل غيري وقال رجل لعبد الرحمن بن مهدي ألا ترى الى قول فلان في العلم حلال وحرام وقطعه في الامور بعلمه يعني رجلا من أهل الرأي والى قول مالك اذا سئل أحسب أحسب فقال عبد الرحمن ويلك قول مالك أحسب أحسب أحب الي من قول فلان اشهد اشهد وكان هشام بن عروة يقول لا تسألوهم اليوم عما أحدثوا فانهم قد أعدوا له جوابا ولكن اسألوهم عن السنن فانهم لا يعرفونها وكان الشعبي رحمه الله تعالى اذا نظر الى ما أحدث الناس من الرأي والهوى يقول لقد كان القعود في هذا المسجد أحب الي مما يعدل به فقد صار فيه هؤلاء المراؤن فقد بغضوا الي الجلوس فيه ولان أقعد على مزبلة أحب الي من أن أجلس فيه وكان يقول ما حدثوك عن السنن والآثار فخذ به وما حدثوك عما أحدثوا من رأيهم فاشخط عليه وقد قال مرة فبل عليه وقد كان السلف يستحبون العي والبله عن علوم المعقول وقد جعله رسول الله صلى الله عليه وسلم من الايمان اذ قرنه بالحياء فقال الحياء والعي شعبتان من الايمان والبذاء والبيان شعبتان من النفاق وقال عليه السلام أبغض الخلق الى الله عز وجل البليغ الذي يتخلل الكلام بلسانه كما يتخلل الباقر الخلا بلسانها يعني الحشيش الرطب وقال في حديث آخر العي عي اللسان لا عي القلب وقال ان الله عز وجل كره لكم البيان كل البيان فصار الفقه انما هو فقه القلب عن الرب سبحانه وتعالى وصار فقه اللسان بالبيان انما هو عي القلب عن الشهادة والايقان وعي اللسان وطول الصمت الذي كان يستحبه السلف هو اليوم عيب ومن المتكلمين من لا يعرفه من كلام البدع وعلم المنافقين الذي ذمه القدماء هو اليوم سنة وأهل النفاق به هم العلماء اليوم ولقد صار المعروف منكرا والمنكر معروفا وصارت السنة بدعة والبدعة سنة وكذلك جاءت به الاخبار في وصف علماء آخر الزمان وفي الخبر المشهور ان الله تعالى يبغض الثرثارين المتشدقين فمن غلب عليه هذا الوصف فكان متشدقا بلغاته في علم الرأي والمعقول عيي القلب عن مشاهدة اليقين وعلم الايمان كان الى النفاق أقرب ومن حقيقة الايمان أبعد وقد كان أبو سليمان الداراني يقول لا ينبغي لمن ألهم شيئا من الخيرات أن يعمل به حتى يسمع به في الاثر فيحمد الله تعالى اذ وافق ما في نفسه

النعمة دينا أو دنيا فاحذره يا أخي فانه يؤدي الى محذور عظيم لانه منازعة في الربوبية وعدم رضا بما قسمه الله لعبده من خزائنه بعلمه وحكمته وفي منهاج العابدين حكي ان تلميذا للفضيل بن عياض رحمه الله حضرته الوفاة فدخل عليه الفضيل وجلس عند رأسه وقرأ سورة يس فقال يا أستاذ لا تقرأها فسكت ثم لقنه الشهادة فقال لا أقولها فاني بريء منها ومات على ذلك فدخل الفضيل منزله وجعل يبكي أربعين يوما لم يخرج من البيت ثم رآه في النوم وهو يسحب به الى النار فقال بأي شيء نزع الله المعرفة عنك وكنت أعلم تلامذتي فقال بثلاثة أشياء أولها النميمة فاني قلت لاصحابي بخلاف ما قلت لك والثاني الحسد حسدت لاصحابي والثالث كان بي علة فجئت الى طبيب فسألته عنها فقال اشرب في كل سنة قدحا من خمر فان لم تشرب تبق بك العلة فكنت أشربه نعوذ بالله من السخط الذي لا طاقة لنا به * اخواني انظروا الى ما فعلت به الآثام ووقع به عند الختام أبعد ما كان أمان من زوال الايمان اخواني الى متى تؤخرون المتاب هذا الشباب قد دنا وقد تولى الشباب أخي متى تصالح ولا متى تقف بالباب أما تستحيون

جماعة من علماء السلف والصحابة التوسعة في معاني الاحاديث وان لم يؤد ألفاظها ومن ذلك تجريد الحروف
وتحري المقرى الواحد في جميع اختياره حتى كأنه فرض عليه ومن ذلك التدقيق في القياس والنظر
والتبحر في علوم النحو والعربية كما قال ابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى أعربنا في الكلام فلم نلحن ولحنا في
الاعمال فيا ليتنا لحنا في الكلام وأعربنا في الاعمال وذكرت العربية عند القاسم بن المخيمرة فقال
أوّلها كبر وآخرها بغي وقد قال بعض السلف النحو يذهب الخشوع من القلب وقال آخر من أحب أن
يزدري الناس كلهم فليتعلم العربية وشددوا في الطهارة بالماء وتنظيف الثياب وكثرة غسلها من عرق الجنب
ولبس الحائض ومن أرواث ما يؤكل لحمه وأبواله وغسل اليسير من الدم ونحو ذلك وكان السلف
يرخصون في هذا كله ومما سهلوه ومما كان السلف يشددون فيه أمر المكاسب وترك التحري فيها
والكلام فيما لا يعني والخوض في الباطل والغيبة والنميمة والاستماع اليهما والعقد على البلاغات وسوء
الظن لا جاهاوهو اشتراك في الغيبة والنميمة وكل بلا اغترار يدو تنقص ان كان شرا ازددت فيه وان كان
خيرا نقصت منه وسهلوا في النظر الى الزور واللهو ومجالسة البطالين والمشي في أسباب الهوى والتعصب
وشدة الحرص على الدنيا وهذا كله كان السلف يشددون فيه ومما أحدثوا دخول النساء الحمام من غير
ضرورة ودخول الرجل بغير مئزر وهو فسق وسئل ابراهيم الحربي رحمه الله تعالى عمن يشرب النبيذ ولا يسكر
أيصلي خلفه قال نعم قيل فمن دخل الحمام بغير مئزر فقال لا يصلي خلفه هذا الان شرب النبيذ يختلف فيه اذا لم
يسكر ودخول الحمام بغير مئزر محرم باجماع وكان بعض العلماء يقول يحتاج داخل الحمام الى مئزرين مئزر
لوجهه ومئزر لعورته والا لم يسلم في دخوله وكان ابن عمر يقول الحمام من النعيم الذي أحدثوه ومن المنكر
في الحمام تولي القيم لعورة الرجل المسلم في الاطلاء بالنورة وقد كان من هدى العلماء في قعودهم أن يجتمع
أحدهم في جلسته فينصب ركبتيه ومنهم من يقعد على قدميه ويضع مرفقيه على ركبتيه كذلك كان شمائل
كل من تكلم في هذا العلم خاصة من عهد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن زمن الحسن البصري
وهو أوّل من أظهر هذا العلم وفتق الالسن به الى وقت أبي القاسم الجنيد قبل أن تظهر الكراسي وكذلك
روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يقعد القرفصاء ويحتبي بيديه وفي رواية أخرى انه كان يقعد
على قدميه ويجعل مرفقيه على ركبتيه وأوّل من قعد على كرسي من أهل هذا العلم يحيى بن معاذ رحمه الله
تعالى بمصر وتبعه أبو حمزة ببغداد فعاب الاشياخ عليهما ذلك ولم يكن ذلك من سيرة العارفين الذين يتكلمون
في علم المعرفة واليقين انما كان يجلس متربعا النحويون واللغويون وأبناء الدنيا من العلماء المتقسين وهي
جلسة المتكبرين ومن التواضع الاجتماع في الجلسة

(ذكر تفصيل العلوم معروفها وقديمها ومحدثها ومنكرها)

اعلم أن العلوم تسعة أربعة منها سنة معروفة من الصحابة والتابعين وخمسة محدثة لم تكن تعرف فيما سلف
فاما الاربعة المعروفة فعلم الايمان وعلم القرآن وعلم السنن والآثار وعلم الفتاوى والاحكام وأما الخمسة
المحدثة فالنحو والعروض وعلم المقاييس والجدل في الفقه وعلم المعقول بالنظر وعلم علل الحديث وتطريق
الطرقات فيه وتعليل الضعفاء وتضعيف النقلة للآثار فهذا العلم من المحدث الا انه علم لاهله فيسمعه أصحابه
منهم وقد كانوا يرون القصص بدعة وينهون عنه ويكرهون مجالسة القصاص وقال بعض العلماء نعم الرجل
فلان لولا انه يقص وقال بعض هذه الطائفة مثل أصحاب الحكايات في أهل المعرفة مثل القصاص في
الفقهاء وقال آخر مثل القصاص في العلماء مثل أهل السواد في أهل المدن فأما أكل الدنيا بالدين وأخذها
على الصلاح وبيع العلم بالدنيا والتصنع والتزين للعموم فمن قبيح ما أحدث وهو أظهر من أن يدل على
فساده عند من عرف ظاهر العلم وقد سمي هؤلاء في زماننا هذا الجاهلون بالعلم علماء وجعلهم الناقصون عن
الفضل فضلاء لقلة معرفتهم بطريق المتقدمين وعدم بصيرتهم بحقيقة علم الدين واعلم أن الكلام ينقسم

تحب الجمال الكبر بطر الحق
وغمط الناس أي دفع الحق
واحتقار الناس * عن أبي
هريرة رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثلاثة منجيات وثلاثة
مهلكات فأما المنجيات
فتقوى الله في السر والعلانية
والقول بالحق في الرضا
والسخط والقصد في الغنى
والفقر وأما المهلكات فهوى
متبع وشح مطاع واعجاب
المرء بنفسه وهو أشدهن
اعلم ان الكبر أول معصية
عصي الله تعالى بها قال
الله تعالى واذ قلنا للملائكة
اسجدوا لآدم فسجدوا
الا ابليس أبى واستكبر
فمن تكبر شارك ابليس في
ذنب أورثه الطرد والبعد
والعذاب الذي لا آخر له
فلا يأمن على نفسه سوء
الخاتمة * قال النبي صلى
الله عليه وسلم اياكم والحسد
فان الحسد يأكل الحسنات
كما تأكل النار الحطب ت
عن الزبير عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال دب اليكم داء
الامم قبلكم الحسد والبغضاء
هي الحالقة لا أقول تحلق
الشعر ولكن تحلق الدين
وروى الطبراني عن ابن
عباس رضي الله عنهما عن
النبي صلى الله عليه وسلم
قال ان لنعم الله تعالى أعداء
قيل من أولئك قال الذين
يحسدون الناس على
ما آتاهم الله من فضله اعلم
أن الحسد تمني زوال النعمة
عن صاحبها سواء كانت

الشيطان شيأ أخذته وقال مالك بن أنس رضي الله عنه ليس من السنة أن تجادل عن السنة ولكن تخبر بها فان قبل منك والا فاسكت وقيل لعبد الرحمن بن مهدي رضي الله عنه ان فلانا يرد على المبتدعة فقال بكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم قالوا لا بل بالمعقول قال بئسما صنع رد بدعة ببدعة وحدث زيد بن أخزم عن وهب بن جرير قال سمعت شعبة رحمه الله تعالى يقول أتيت الحرث العكلي فقلت ما معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم اذا تبع أحدكم جنازة فلا يجلس حتى توضع قال أرأيت ان جئنا ولم يحفر له ينبغي لنا أن نقوم قياما فخفت قال لي أرأيت تركته وروى محمود بن غيلان أيضا عن وهب أيضا عن شعبة قال أتيت المنهال بن عمرو أسأله عن حديث فسمعت من منزله صوت طنبور فرجعت ولم أسأله ثم ندمت بعد ذلك فقلت هلا سألته فعسى كان لا يعلم به ومما أحدثوا البيع والشراء على الطريق وكان الورعون لا يشترون شيأ ممن قعد يبيعه على طريق وكذلك اخراج الرواشن من البيوت وتقديم العضايد بين يدي الحوانيت الى الطريق مكروه ومما كرهه أهل الورع البيع والشراء من الـ بيان لانهم لا يملكون وكلامهم غير مقبول وحدثت عن أبي بكر المروزي ان شيخا كان يجالس الامام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى ذاهبة فكان أحمد يقبل عليه ويكرمه فبلغه عنه انه طين حائط داره من خارج قال فاعرض عنه في المجلس فاستنكر الشيخ ذلك فقال يا أبا عبد الله هل بلغك عني حدث أحدثته قال نعم طينت حائطك من خارج قال ولا يجوز قال لا لانك قد أخذت من طريق المسلمين أنملة قال فكيف أصنع قال اما أن تكشط ما طينته واما أن تهدم الحائط وتؤخره الى وراء مقدار أصبع ثم تطينه من خارج قال فهدم الرجل الحائط وأخره أصبعا ثم طينه من خارج قال فاقبل عليه أبو عبد الله كما كان ومما كرهه السلف طرح السنور والدابة على المزابل في الطرقات فيتأذى المسلمون بروائح ذلك وكان شريح وغيره اذا مات لهم سنور دفنوها في دورهم ومثله اخراج الميازيب وصبها الى الطرقات وكان الامام أحمد بن حنبل رحمه الله وأهل الورع يجعلون ميازيبهم الى داخل دورهم وقال ابراهيم النخعي رحمه الله كان أحدهم يكذب مرتين ولا يشعر يقول لا شئ الا شئ ليس بشئ يعني قول الناس للشئ اليسير الذي لا يوصف بكثير لا شئ فاستعظم هذا ورآه كذبا مرتين وروينا عن عمر رضي الله عنه انه قال لعوانة كنت أرثي لك من العمى فصرت الآن أغبطك به قال وكيف قال صرت لا ترى أبا الصغرى يعني لك مبتدع كان بالمدينة وقيل لقتادة تود لو انك بصير فقال لا على من كنت أفتح عيني بل لو كان في وقت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت أنظر اليهم وحدثونا عن الفضل بن مهران قال قلت ليحيى بن معين أخ لي قعد الى القصاص فقال انهه فقلت لا يقبل قال عظه فقلت لا يقبل أأهجره قال نعم قال فأتيت الامام أحمد بن حنبل فذكرت له نحو ذلك فقال قل له يقرأ في المصحف ويذكر الله تعالى في نفسه ويطلب حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت فان لم يفعل قال بلى ان شاء الله تعالى فان هذا الاجتماع محدث قلت فان لم يقبل أأهجره فتبسم وسكت وسأل رجل بشر بن الحرث رحمه الله تعالى عن مسئلة من علم القلوب فتوقف ثم أجابه ثم سأله مسئلة أخرى من علم المعاملات فسكت ونظر اليه ثم قال من تجالس من الناس فقال منصور بن عمار وابن السماك فقال ألا تستحي تسألنا عن علم القلوب ثم تجالس القصاص قال واعرض عنه حتى قلنا له يا أبا نصر انه لا بأس به انه من أهل السنة وقد كانوا يكرهون الصلاة في المقصورة ويرونها انها أول بدعة أحدثت في المساجد ويكرهون تزويق المساجد وكذا القبلة بالزخرف وتحلية المصاحف وهذا من البدع وفي الخبر اذا زخرفتم مساجدكم وحليتم مصاحفكم فالدبار عليكم وقد كانوا يكرهون كثرة المساجد في المحلة الواحدة وروي ان أنس بن مالك رضي الله عنه لما دخل البصرة جعل كلما خطا خطوتين رأى مسجدا فقال ما هذه البدعة لما كثرت المساجد قل المصلون أشهد لقد كانت القبيلة بأسرها ليس فيها الا مسجد واحد وكان أهل القبائل يتباينون المسجد الواحد في الحي من الاحياء واختلفوا في أيهما يصلي اذا اتفق مسجدان في محلة فمنهم من قال في أقدمهما واليه ذهب أنس بن مالك وغيره من

الله تعالى الذين يؤثرون الاسراء قال الحسن يعني البسورة دفنا عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه الا ليصيب به غرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة يعني ريحها اه عن شداد بن أوس انه بكى فقيل له ما يبكيك قال شئ سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فذكرته فابكاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أتخوف على أمتي الشرك والشهوة الخفية قال قلت يا رسول الله أتشرك أمتك من بعدك قال نعم اما انهم لا يعبدون شمسا ولا قمرا ولا حجرا ولا وثنا ولكن يراؤن بأعمالهم والشهوة الخفية أن يصبح أحدهم صائما فتعرض له شهوة من شهواته فيترك صومه وروى ابن أبي الدنيا ان المرائي ينادى يوم القيامة يا فاجر يا غادر يا مرائي ضل عملك وحبط أجرك اعلم ان الرياء ضربان رياء محض وهو أن يريد بعمل الآخرة نفع الدنيا ورياء تخليط وهو أن يريد نفع الدنيا ونفع الآخرة وكلاهما محبطة للاجر ويقع شئون الرياء بخمسة بالبدن والهيئة والثياب والقول وصفات الاعمال قال بعضهم الاخلاص أن يريد بالطاعة

وقال بعض العارفين ما تبات خاطر من قلبي حتى يقيم لي شاهدي عدل من كتاب وسنة وكان امامنا أبو محمد سهل رحمه الله تعالى يقول لا يبلغ العبد حقيقة الايمان حتى يكون فيه هذه الاربع أداء الفرائض بالسنة وأكل الحلال بالورع واجتناب النهي من الظاهر والباطن والصبر على ذلك حتى الممات وقد كانوا يعيبون على من تكلم بعد طلوع الفجر الى طلوع الشمس بغير ذكر الله تعالى وكانوا يخرجون المتحدثين من المساجد فلا يبقى فيه الا مصل أو ذاكر لله تعالى وقد كان السلف يستعظمون يسير الحديث في الدين ودقائق البدع في الاسلام لعظم الايمان والسنة في قلوبهم ومعرفتهم بحقيقة المعروف قال عبد الله بن معقل لابنه وقد سمعه يقرأ خلف الامام يا بني اياك والحدث اياك والحدث وقال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه لابنه عمر وقد سمعه يسجع في كلامه هذا الذي يبغضك الي لا قضيت حاجتك أبدا وكان قد جاءه يسأله حاجة له وقال بن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أوتي امرؤ شرا من طلاقة في لسانه وقال صلى الله عليه وسلم لابن رواحة حين سمعه يوالي بين ثلاث وقال اياك والسجع يا ابن رواحة فكان السجع ما زاد على كلمتين وكذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للرجل الذي أمره بدية الجنين لما قال كيف ندي من لا شرب ولا أكل ولا صاح ولا استهل فمثل هذا بطل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أسجع كسجع الاعراب وروينا أن مروان لما أحدث المنبر في صلاة العيد عند المصلى قام اليه أبو سعيد الخدري فقال يا مروان ما هذه البدعة فقال انها ليست بدعة هي خير مما تعلم ان الناس قد كثروا فأردت أن يبلغهم الصوت قال أبو سعيد رضي الله عنه ولا تأتون بخير مما أعلم أبدا والله لا صليت وراءك اليوم فانصرف ولم يصل معه صلاة العيد فالخطبة على منبر في صلاة العيد وخطبة الاستسقاء بدعة وكان عليه السلام يخطب فيهما على الارض متوكئا على قوس أو عصا وروى ان عمر رضي الله عنه أخر صلاة المغرب ليلة حتى طلع نجم فأعتق رقبة وفعله عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أيضا فأعتق رقبة استنانا بعمر وهو جده لامه وروينا عن ابن عمر رضي الله عنهما انه أخر صلاة المغرب حتى طلع كوكبان فأعتق رقبتين وفي الخبر لا تزال أمتي على مسكة من دينها ما لم يؤخروا صلاة المغرب الى اشتباك النجوم تشبها باليهودية ولم يؤخروا صلاة الصبح الى افتراق النجوم تشبها بالنصرانية وقال سفيان الثوري رحمه الله ويوسف بن أسباط لا تقلد دينك من لا دين له وقال وكيع لان أزني أحب الي من أن أسال مبتدعا عن ديني وكان الامام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى قد أكثر عن عبيد الله بن موسى العبسي ثم بلغه عنه أدنى بدعة قيل انه كان يقدم عليا على عثمان وقيل بل ذكر معاوية بسوء فانصرف احمد ومزق جميع ما حمل عنه ولم يحدث عنه شيأ وقيل له مرة يا أبا عبد الله أوكيع أشبه بالسلف أم عبيد الله فقال وكيع وان زنى وحدثونا عن ابراهيم الحربي قال كتبت عن علي بن المديني رضي الله عنه رحمه الله تعالى على أن لا احدث عنه بحرف قيل ولم يا أبا اسحق فذكر صلاته خلف مبتدع وكان رحمه الله تعالى يقول صحبت الفقهاء وأصحاب الحديث وأهل العربية واللغة سبعين سنة ما سمعت هذه المسائل التي أحدثت في هذا الوقت من أحد منهم قط يعني الاسم والمسمى ونحو ذلك وقال واخرج على من كان من أهل الكلام والجدل أن يحضر مجلسي أو يسألني عن شئ فانه لا علم لي بالكلام ولا أنا أحسنه ولا أقول بأهله ولو عرفت أحدا منهم ما كلمته ولا أجبته عن شئ وهجر الامام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى أبا ثور صاحب الشافعي لما سئل عن معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى خلق آدم على صورته قال ان الهاء عائدة على آدم فغضب وقال ويله وأي صورة كانت لآدم يخلقه عليها ويله يقول ان الله تعالى خلق على مثال فأي شئ يعمل في الحديث المفسر ان الله تعالى خلق آدم على صورة الرحمن فبلغ ذلك أبا ثور فجاءه واعتذر وحلف انه ما قالت عن اعتقاد وانما هو رأي رأيته والقول ما قلت وهو مذهبي وهجر أيضا حارثا المحاسبي رحمه الله تعالى في رده على المبتدعة وكان من أهل السنة فقال أين ترد عليهم وقد حكيت قولهم وأيضا فانك تحملهم على التفكر والرأي فيما قلت فيكون سببا لرد الحق بالباطل وهجر أيضا يحيي بن معين في كلمة تكلم بها وهو قوله لو أعطاني

الشيطان

بالراحلين من الاحباب والاتراب شعر

الهي من كرمك يا سيدي
كل البرايا اذا ثم يحذرون
فكم عيوب وذنوب مضت
ونحن منها سيدي غافلون
أضيع العمر بكسب الخطا
فنحن في أوقاتنا لاعبون
نشاهد الموتى ولا نعتبر
ولا انتهينا لريب المنون
بل غفلة تعمي أبصارنا
وشقوة تابت لسبها الظنون
فنحن يا رب الورى كلنا
اليك من زلاتنا هاربون
لكننا نسألك رب الورى
عفوا وصفحا كي تقر العيون

(فصل) في الرياء وهو طلب المنزلة في قلوب الناس بأن يريهم الخصال المحمودة قال الله عز وجل فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا وفي الحديث ان رجلا قال يا رسول الله اني أقف الموقف أبتغي به وجه الله عز وجل وأحب أن يرى موطني فلم يرد عليه حتى نزلت هذه الآية الكريمة ت عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعوذوا بالله من جب الحزن قالوا يا رسول الله وما جب الحزن قال واد في جهنم تتعوذ منه جهنم كل يوم أربعمائة مرة قيل يا رسول الله ومن يدخله قال القراء المراؤن بأعمالهم ورواه ابن ماجه وزاد فيه وان من أبغض القراء الى

الى جنب ما أظهر بعده فمما أحدث هذه المحامل والقباب التى خالف بها هدى السلف بالتنعم والرفاهية وانما كان الناس يخرجون على الرواحل والزوامل فيضحون للشمس ويتصبون فى سبيل الله تعالى ويشعثون ويغبرون ويقل أكلهم ونومهم وتكثر رفاهة الابل وتقل المشقة والحمل عليها فيكون ذلك أثوب لهم وأزكى لحجهم وأدنى الى السلامة لابلهم ويوافقون به سنة نبيهم صلى الله عليه وسلم فاخرجهم من جميع ذلك بما أدخلهم فيه من بدعته فصار وايخرجون فى بيوت ظليلة مع الحمل على الابل ما لا تطيق فيكون سبب تلفها فيشركونه فيه ويشركهم بسنته وابتدع أيضا هذه الاخماس والعواشر ورؤس الآى وحمر السواد وخضره وصفره فادخل فى المصحف ما ليس فيه من الزخرف وكان السلف يقولون جردوا القرآن كما أنزله الله تعالى ولا تخالطوا به غيره فانكر العلماء ذلك عليه حتى قال أبو رزين يأتى على الناس زمان ينشأ فيه نشء يحسبون ان ما أحدث الحجاج فى المصاحف هكذا أنزله الله تعالى يذمه بذلك وحتى نقل الاختلاف وان بعضهم كان لا يقرأ فى مصحف منقوط بحمرة لان بعضهم كان لا يرى القراءة فى مصحف منقوط كما نقل ان بعضهم كان يرى شراء المصحف ويكره بيعه اى وكذلك اذا لم تنقطه انت فلا بأس ان تقرأ فيما نقطه غيرك وقد كانوا يكرهون أخذ الاجر على تنقيط القرآن لاجل انه مبتدع وقال أبو بكر الهذلى سألت الحسن رحمه الله عن تنقيط المصاحف بالاجر قال وما تنقيطها قلت يعربون الكلم بالعربية فقال أما اعراب القرآن فلا بأس به وقال خالد الحذاء دخلت على ابن سيرين فرأيته يقرأ فى مصحف منقوط وقد كان يكره النقط وقال فراس بن يحيى وجدت ورقا منقوطا بالنحو فى سجن الحجاج فعجبت منه وكان أول نقط رأيته فاتيت به الشعبى فاخبرته فقال لى اقرأ عليه ولا تنقطه أنت بيدك ومنها انه جمع من القراء ثلاثين رجلا فكانوا يعدون حروف المصحف ويعدون كلمه شهرا ولو رآهم عمر أو عثمان أو على يصنعون هذا بالقرآن أى يعدون حروفه وكلمه ولا ويجعل قسمهم ضربا وهذا الذى كرهته الصحابة ووصفوا به قراء آخر الزمان انهم يحفظون حروفه ويضيعون حدوده وكان الحجاج اقرأ القراء واحفظهم لحروف القرآن كان يختم القرآن فى كل ثلاث وكان أضيع الناس لحدوده ومنها انه ابتدع اخراج الحصى والرمل من المساجد وفرشها بالبوارى كما روى ان قتادة سجد فدخلت فى عينه قصبة وكان ضريرا فقال لعن الله الحجاج ابتدع هذه البوارى يؤذى بها المصلين وقد كانوا يستحبون السجود على الارض والتراب تواضعا لله تعالى وتخشعا وذلا الى غير ذلك من بدعه التى لم نقصد تعديدها عليه ولا جمعها فهى اليوم سنن معروفة وشرائع مألوفة مع ما أحدث غيره مما يكثر عدده منكر كله عند من عرف المعروف من سيرة المتقدمين وشمائل الصالحين وقد قال ابن مسعود رضى الله عنه يظهر المنكر والبدع حتى اذا غير منها شئ قيل غيرت السنة وقال فى آخر حديثه أكيسهم فى ذلك الزمان الذى يروغ بدينه روغان الثعالب وقد كان أنس بن مالك رضى الله عنه فى سنة ثمانين وأيام الحجاج يقول ما أعرف اليوم شيأ كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الا قد غير الا الشهادة ان لا اله الا الله قيل فالصلاة يا أبا حمزة قال أو ليس قد أحدثوا فى الصلاة ما علمتم يعنى تأخيرها والتثويب قبلها وتعين السلام حتى انهم يضاهون به الاقامة فعلوه كالسنة وكان يقول للقراء اذا دخلوا عليه مثل يزيد الرقاشى وزياد النميرى وفرقد السنجى ما أشبهكم باصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فيفرحون فيقول لهم رؤسكم ولحاكم فهذا كما قال المجنون

أما الخيام فانها كخيامهم * وأرى نساء الحى غير نسائها

وعن جماعة من الصحابة لو نشر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأوكم لما عرفوا شيأ مما انتم عليه الآن الا الصلاة فى جماعة وفى لفظ آخر الا انكم تصلون جميعا وكان الحسن يقول ذهبت طوائف لو رأيتموهم لقلتم مجانين ولو رأوا خياركم لقالوا ما لهؤلاء من خلاق وقال أبو حازم أدركت القراء وهم القراء حقا ولو كان حامل القرآن فيما مر يعرف بشدة تواضعه وحسن سمته وخشوعه وقد وقره

أين رواياتك فى سردها عن ابن عوف وابن سيرين أين رواياتك والقول فى * لزوم أبواب السلاطين ان قلت أكرهت فذا باطل * زل حمار العلم فى الطين فلما وقف اسمعيل بن علية على الابيات ذهب الى الرشيد ولم يزل به الى ان استعفاه من القضاء فعفاه انتهى* اخوانى استغفروا الله من الذنوب وطهروا منها ضمائر القلوب واعجبا لمن يطهر منظر الخلق ولا يطهر منظر الخالق ويستحيى من الناس ولا يستحيى من الله الله اصغر عندك من الناس أم نار جهنم أهون عليك من حر الناهرة كلا ولكن شملت الغفلة فاستحكمت على القلوب أقفالها

شعر

يا غاديا فى غفلة ورائحا الى متى تستحسن القبائحا وكم الى كم لا تخاف موقفا يستنطق الله به الجوارحا واعجبا منك وأنت مبصر كيف تجنبت الطريق الواضحا كيف تكون حين تقرأ فى غد صحيفة قد حوت الفضائحا وكيف ترضى ان تكون خاسرا يوم يفوز من يكون رابحا فاعمل لميزانك خيرا فعسى يكون فى يوم الحساب راجحا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا فى أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين واجعلنا من المخلصين وصل على محمد سيد

الصحابة قال وكانوا يجاوزون المساجد المحدثة الى المساجد العتق وكان الحسن يقول يصلي في أقربها منه ويقال أول ما أحدث من البدع أربع الموائد والمناخل والاشنان والشبع وكانوا يكرهون ان تكون أواني البيت غير الخزف ولا يتوضأ أهل الورع في آنية الصفر والنحاس قال الجنيد قال لي سري السقطي اجتهد ان لا تستعمل من آنية بيتك الا جنسك يعني من الطين ويقال لا حساب عليه ومما كرهه السلف تشييد البناء بالجص والآجر يقال أول من طبخ الطين هامان أمره به فرعون ويقال هو بناء الجبابرة وكرهوا النقوش والتزويق في السقوف والابواب وكانوا يغضون من النظر الى ذلك وغاب الاحنف بن قيس غيبة فرجع وقد خضروا سقف بيته وصفروه فلما نظر اليه خرج من منزله وحلف ان لا يدخله حتى يقلعوا ذلك منه ويعيدوه كما كان وقال يحيى بن معاذ من أصحاب الثوري رحمه الله كنت أمشي مع الثوري في طريق فمررنا بباب منقوش مزوق فنظرت اليه فجذبني سفيان حتى جزت فقلت ما تكره من النظر الى هذا فقال انما بنوه لينظر اليه ولو كان كل من مر به لا ينظر اليه ما بنوه فكانه نخشى ان يكون بنظره اليه معاونا له على بنائه ومما أحدث الناس مما كانوا يكرهونه الثياب الرقاق مثل القصب ورقيق بز مصر للنساء والرجال وهو للنساء أكره وأغلظ وكانوا يقولون الثياب الرقاق لباس الفساق ومن رق ثوبه رق دينه ويقولون أول النسك الزي وقال ابن مسعود رضي الله عنه لا يشبه الزي الزي حتى يشبه القلب القلب وخطب بشر بن مروان وعليه ثوب رقيق فجعل رافع بن خديج رضي الله عنه يهزأ به ويقول انظروا الى أميركم يعظ الناس وعليه ثياب الفساق ولما جاء عبد الله بن عامر بن ربيعة في بزته الى أبي ذر رضي الله عنه وسأله عن الزهد وأخذ يتكلم فيه فجعل أبو ذر يضرط به في كفه ثم أعرض عنه ولم يكلمه فغضب ابن عامر وكان قرشيا شريفا فشكاه الى ابن عمر رضي الله عنهما فقال له أنت فعلت بنفسك تأتي أبا ذر في هذه الثياب وتسأله عن الزهد وفي الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد وصف نساء يكن في آخر الزمان فقال كاسيات عاريات مائلات مميلات على رؤسهن أمثال اسنمة البقر يعني المعاجر والاكوار لا يجدن رائحة الجنة كان ابن عباس يفسر التبرج انه منه لبس مارق من الثياب وقال في قوله تعالى ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى قال كانت المرأة تلبس ثيابا فيها كذا وكذا الا توارى لها عورة ومما لا يجوز فيه الصلاة لانه يصف أو يشف فيكره ولبسه وانما كانت ثياب السلف السنبلاني والقطواني وعصب اليمن ومعافري مصر والقباطي مثل كسوة الكعبة والثياب السحولية اليمانية والكرابيس الحضرمية وهذه كلها غلاظ كثيفة وكانت الاثمان من خمسة دراهم الى ثلاثين درهما وما بين ذلك ثم أحدث الناس الثياب الرقاق من كتان مصر وقطن خراسان وكان طول مئزر رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة أذرع ونصفا وعرضه الى الاربعة والخمسة وكانت أثمان ثيابهم القمص من الخمسة الى العشرة فيما بينهما من الثمن ولكن قد جاء في الخبر لا تقوم الساعة حتى يصير المعروف منكرا والمنكر معروفا وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول لا يأتي على الناس عام الا أماتوا فيه سنة وأحيوا فيه بدعة حتى تموت السنن وتحيا البدع وانما قيل منكر لانه لا يعرف فاذا اختفى الحق فلم يعرف وقع عليه اسم منكر وكذلك قيل معروف لانه مشهور مألوف فاذا فشا الباطل وكثر الجهل حتى ألف وعرف وقع عليه اسم المعروف وكذلك قيل يكثر الجور حتى يولد فيه من لا يعرف العدل وكان الشعبي رحمه الله يقول يأتي على الناس زمان يصلون فيه على الحجاج وهذا قد أتى منذ زمان لان الحجاج قد ابتدع أشياء أنكرها الناس عليه في زمانه هي اليوم سنن معروفة وأعمال مستحسنة يترحم الناس ويغبطون من أحدثها ويحسبون انه مأجور عليها مشكور له سعيه فيها الا انهم لا يعرفون انه أحدثها فهم وان لم يفوهوا بالصلاة عليه قولا فان استحسانهم لما أحدث واستحسانهم لما ابتدع ترحم منهم عليه والترحم هو الصلاة وأيضا فانه ابتدع أشياء من الخير وادخلها في أبواب الآخرة ثم ظهرت ولاة بعده أحدثوا احداثا من الجور وابتدعوا ابداعا من الفسوق فصارت سننا بعدهم فوجب بذلك الصلاة على الحجاج

التقرب الى الله عز وجل دون التصنع للخلق أو تحصيل أن يحمد عند الناس أو قصد معنى من المعاني غير التقرب الى الله عز وجل قالوا وللاخلاص علامات منها استواء المدح والذم ومنها أن ينسى أن يرى عمله في حال طاعته ومنها طلب ثواب الآخرة اعلم أن الرياء والحسد والكبر وغيرها من المعاصي كالظلم وترك الزكاة والربا ونحوها تنشعب من حب الدنيا ولذلك قال صلى الله عليه وسلم حب الدنيا رأس كل خطيئة ت قال صلى الله عليه وسلم ان لكل أمة فتنة وفتنة أمتي المال اه قال صلى الله عليه وسلم من أحب دنياه أضر بآخرته ومن أحب آخرته أضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى وفي حياة الحيوان وغيرها عن عبد الله بن المبارك انه كان يتجر ويقول لولا خمسة ما تجرت السفيانان وفضيل وابن السماك وابن علية ليصلهم فقدم سنة فقيل له ولي ابن علية القضاء فلم يأته ولم يصله بشيء فأتى اليه ابن علية فلم يرفع رأسه اليه ثم كتب اليه ابن المبارك شعر

يا جاعل العلم له بازا
يصطاد أموال المساكين
احتلت للدنيا ولذاتها
بحيلة تذهب بالدين
فصرت مجنونا بها بعدما
كنت دواء للمجانين

القرظي قيل له قل الانصاري قال أكره ان آمن على الله عز وجل بما لم أفعل وقال الثوري رضي الله عنه اذا قيل لك بئس الرجل انت تغضب فانت بئس الرجل وقال آخر لا يزال فيك خير ما لم تران فيك خيرا وسئل بعض العلماء ما علامة النفاق قال الذي اذا مدح بما ليس فيه ارتاح لذلك قلبه وكان سفيان رضي الله عنه يقول اذا رأيت الرجل يحب ان يحبه الناس كلهم ويكره ان يذكره أحد بسوء فاعلم انه منافق فهذا داخل في وصف الله تعالى المنافقين بقوله تعالى ستجدون آخرين يريدون ان يأمنوكم ويأمنوا قومهم فينبغي لمن امن في أهل السنة ان يخاف في أهل البدع وهذا مما دخل على القراء الذين ذمهم العلماء مداخل الليل في النهار والعلم بغير والجاهلا يتأول الحديث الذي جاء اذا مدح المؤمن ربا الايمان في قلبه على غير تأويله ويحمله على غير محمله فانما قال ربا الايمان ولم يقل ربا المؤمن فربو الايمان زيادته وزيادته بالخوف والاشفاق من المكر به والاستدراج وفيه طريق للعارفين بان يعلو الايمان العلي الى المؤمن الاعلى فيفرح بذلك اولا ويضيفه الى سيده الذي به تولاه فيرد الصنعة الى صانعها ويشهد في الفطرة فاطرها فيكون ذلك مسدحا للصانع ووصفا للفاطر لا ينظر الى نفسه ولا يعجب بوصفه وهذه طرقات قد درست وانقطع سلاكها الامن رحم ربك

(باب تفضيل علم الايمان واليقين على سائر العلوم والتحذير من الزلل فيه وبيان ما ذكرناه)

اعلم أن كل علم من العلوم قد يتأتى حفظه ونشره لمنافق أو مبتدع أو مشرك اذا رغب فيه وحرص عليه لانه نتيجة الذهن وثمرة العقل الا علم الايمان واليقين فانه لا يتأتى ظهور مشاهدته والكلام في حقائقه الا لمؤمن موقن من قبل ان ذلك تقرير مزيد الايمان وحقيقة العلم والايقان فهو آيات الله تعالى وعهده عن مكاشفة قدرته وعظمته وآيات الله تعالى لا تكون للفاسقين وعهده لا ينال الظالمين وعظمته وقدرته لا تكون شهادة للزائغين ولا وجد للمبطلين اذ في ذلك توهين لآيات الله وحججه وانتقاص لبراهينه وقدرته ودخول الشك في اليقين الذي هو حجة المخلصين والذين هم بقية الله تعالى من عباده واشتباه الباطل بالحق الذي هو وصف أهل الصدق الذين هم أدلته عليه من أهل وداده وهذا من أدل دليل على فضل علم المعرفة على غيره قال الله عز وجل أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني اسرائيل وقال تعالى بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم وقال سبحانه وتعالى ان في ذلك لآيات للمتوسمين وقال قد بينا الآيات لقوم يوقنون وقال عز وجل ولنبينه لقوم يعلمون فهؤلاء العلماء بالله تعالى الناطقون عن الله عز وجل جعل لهم انصبة منه ومكانا عنده ولا يكون ذلك لمن ليس اهلا له ولا حقيقا به لانهم آيات الله تعالى وبيناته وشهوده وبصائره كاشفو طرق يقينه ومظهرو بيانه اذ يقول تعالى ثم ان علينا بيانه ثم قال تعالى خلق الانسان علمه البيان بعد قوله وكان حقا علينا نصر المؤمنين مع قوله تعالى وكانوا أحق بها وأهلها فنصروه بما نصرهم به وتحققوا بما حققهم منه وشهدوا له ما شهدهم عنه فكانوا للمتقين اماما والى الهداية أعلاما وقال بعض أهل المعرفة من لم تكن له مشاهدة من هذا العلم لم يعر من شرك أو نفاق لانه عار من علم اليقين ومن عرا من اليقين وجد فيه دقائق الشك وقال بعض العارفين من لم يكن له نصيب من هذا العلم أخاف عليه سوء الخاتمة وأدنى النصيب منه التصديق به وتسليمه لاهله وقال آخر من كان فيه خصلتان لم يفتح له من هذا العلم شئ بدعة أو كبر وقال طائفة من أهله من كان محبا للدنيا أو مصرا على هوى لم يتحقق به وقال أبو محمد سهل أقل عقوبة من أنكر هذا العلم ان لا يرزق منه شيئا أبدا واتفقوا على انه علم الصديقين وان من كان له منه نصيب فهو من المقربين وينال درجة أصحاب اليمين واعلم ان علم التوحيد ومعرفة الصفات مباين لسائر العلوم فالاختلاف في سائر العلوم الظاهرة رحمة والاختلاف في علم التوحيد ضلال وبدعة والخطا في علم الظاهر مغفور وربما كانت حسنة اذا اجتهدوا والخطا في علم التوحيد وشهادة اليقين كفر من قبل ان العباد لم يكلفوا حقيقة العلم عند الله تعالى في طلب العلم الظاهر وعليهم

الامل واتباع الهوى الا وان طول الامل ينسي الآخرة واتباع الهوى يصد عن الحق [illegible] عن ابن عمر انه قال كنت جالسا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء رجل من الانصار فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أي المؤمنين أفضل قال أحسنهم خلقا قال فاي المؤمنين أكيس قال أكثرهم للموت ذكرا وأحسنهم لما بعده استعدادا أولئك الاكياس [illegible] قال صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله أي المقصر من اتبع الشهوات وتمنى على الله ان يغفر له وهذا هو الاغترار فان الله تعالى أمر بمخالفة [illegible] وعن معروف الكرخي رحمة الله عليه انه قال طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب وارتجاء الرحمة ممن لا يطاع جهالة وخذلان قال الغزالي رحمة الله عليه اعلم انه اذا طال الامل هاج منه أشياء ترك الطاعة والكسل فيها وترك التوبة وتسويفها والحرص على الجمع والاشتغال بالدنيا وقسوة القلب ونسيان الآخرة [illegible]

القرآن في سمته وقد خضعه القرآن وأخشعه فاما هؤلاء فوالله ماهم بالقراء ولكنهم الجراء وقد قال بعضهم كنا نشهد الجنازة فلا نعرف صاحب المصيبة ولا ندري من نعزي من شدة حزن القوم قال وكان أحدهم يبقى بعد شهود الجنازة ثلاثا لا ينتفع به وكان الفضيل رحمه الله يحذر من قراء زمانه فقال اياك وصحبة هؤلاء القراء فانك ان خالفتهم في شيء كفروك وقال سفيان الثوري رحمه الله ماشيء أحب الي من صحبة فتى ولاشيء أبغض الي من صحبة قارئ وكان كثيرا يقول من لم يحسن يتغنى لم يحسن يتقرى وكان بشر بن الحارث يقول لان أصحب فتى أحب الي من ان أصحب قارئا فاياك وصحبة القراء فانهم يذمون غير مذموم وان تركت الصلاة معهم في جماعة تشاهدوا عليك كل ذلك لانهم يجاوزون الحسد في الشيء ويسرعون الانكار الى كل شيء لغلبة الجهول عليهم وقلة مجالستهم للعلماء ومعاناتهم العلم وانهم موصوفون بدقائق الرياء والتصنع للعامة فينكرون غير منكر ويتعصبون بالبغضة والهجر في الشيء اليسير الذي قد يغتفر مثله وهم غير موصوفين بمحاسن الاخلاق ولا موسومين بالبشاشة والاطلاق اذ فيهم كزازة وتغليظ على الناس ولزازة وحنق على الاغنياء حتى كأنهم يأكلون أرزاقهم وكأنهم يعاملون العبادة لهم وفيهم كثرة مقت لاهل البشر والطلاقة فلذلك قال بعضهم الشريف اذا تقرى تواضع والوضيع ان تقرى تكبر وقال آخر السفلة اذا تقرى أكثر الامر بالمعروف واعترض على جيرانه في كل شيء يعني أكثر الامر بالمعروف ليعرف به فمن أجل ذلك رفضهم العلماء وذمهم الحكماء لان العلم يبسط ويوسع وتكون معه الاخلاق الحسنة والآداب والمروآت الواسعة والعالم يضع الاشياء في مواضعها من الناس ولا يجاوز بها ولا بهم المقادير ويستخرج لهم المعاذير ومن صفة العلماء الانقباض في بسط خلق وقد قال الامام الشافعي رحمه الله الانقباض على الناس مكسبة لعداوتهم فكن بين المنقبض والمنبسط وفي الخبر انكم لا تسعون الناس باموالكم فليسعهم منكم وجه طلق وخلق حسن وفي لفظ آخر وبشر وبشاشة وهذا كله معدوم من القراء ولا يعرفونه وقد جعل الله تعالى لكل شيء قدرا ومن تعدى حد الشيء فقد أفسده وقال بعض السلف قليل التواضع يكفي من كثير العمل وقليل الورع يكفي من كثير العلم ومن اخلاق السلف مما تهاونت به الخلف انهم كانوا يعدون من النفاق ان يتكلم الرجل فيمن يكلمه أو يكلم من تكلم فيه لانهم كانوا اذا كلموا أحدا أو سلموا عليه سلمت له قلوبهم ولم يتكلموا فيه واذا تكلموا في أحد لبدعته أو ظهور فسقه لم يكلموه وكانوا اذا مدحوا أحدا بقول لم يذموه بفعل واذا ذموا واحدا بفعل لم يمدحوه بقول لان في ذلك لسانين واختلاف وجهين واختلاف سر وعلانية وكانوا يقولون معنى سلام عليك اذا لقيته أي سلمت مني ان اغتابك وأذمك فكان اختلاف هذا عندهم من أبواب النفاق وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شر الناس ذو الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه وفي حديث آخر من كان ذا لسانين في الدنيا جعل الله له يوم القيامة لسانين من نار وكان بعضهم يقول ما ذكر عندي انسان قط الا مثلته فما قلت في غيبته بما يحب ان يسمع وقال آخر ما ذكر عندي رجل الا تصورت في نفسي مثاله فكل ما أحب ان يقال لي قلته له وقال بعض السلف قليل التواضع يكفي عن كثير العمل وقليل الورع يكفي عن كثير العلم فهذه كانت صفات المسلمين الذين يسلم الناس على أيديهم وقلوبهم كان أحدهم اذا ذكر عنده غيره بسوء وقف وتفكر في شأن نفسه فان كان فيه مثل ذلك السوء قطعه الحياء عن الكلام في أخيه فسكت وان لم يكن ذلك فيه حمد الله عز وجل ورحم أخاه فشغله الشكر لمولاه اذ عافاه فهذه كانت سيرة السلف ويقال في بعض كتب الله تعالى عجبا لمن قيل فيه الخير وليس فيه كيف يفرح ولمن قيل فيه الشر وهو فيه كيف يغضب وأعجب من ذلك من أحب نفسه على اليقين وأبغض الناس على الشك ومن طريقة السلف مما كانوا يشددون فيه حب المدح وطلب الحمد حتى قال بعضهم من أحب المدح وكره الذم فهو منافق وقال عمر رضي الله عنه لرجل من سيد قومك قال انا قال لو كنت كذلك لم تقل وكتب محمد بن كعب فانتسب فقال

الرسلين وآله وصحبه أجمعين

(فصل) في طول الامل

قال الله سبحانه وتعالى الم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون خ م عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ليلتين الا ووصيته مكتوبة عنده قال ابن عمر ما مرت علي ليلة منذ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك الا وعندي وصيتي ت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال بادروا بالاعمال سبعا هل تنتظرون الا فقرا منسيا أو غنى مطغيا ومرضا مفسدا أو هرما مفندا أو موتا مجهزا او الدجال فشر غائب ينتظر والساعة والساعة أدهى وأمر وفي شرح السنة عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرب الماء فتيمم بالتراب فاقول يارسول الله ان الماء منك قريب يقول ما يدريني لعلي لا أبلغه وفيه عن سفيان الثوري قال ليس الزهد في الدنيا بلبس الغليظ والخشن وأكل الجشب انما الزهد في الدنيا قصر الامل وروي عن علي رضي الله عنه أخوف ما أخاف عليكم اثنان طول

ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين فالغالون هم الشانعون لانهم قد جاوزوا العلم ومحوا الرسم فاسقطوا الحكم والمبطلون هم المدعون المبتدعون لانهم جادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق وافتروا بالدعوى وابتدعوا بالرأي والهوى والجاهلون هم المنكرون لغرائب العلم المفترون لما عرفوا من ظاهر العقل كما روينا عن النبي صلى الله عليه وسلم ان من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه الا اهل المعرفة بالله عز وجل فاذا نطقوا به لم يجهله الا أهل الاغترار بالله تعالى ولا تحقروا عالما آتاه الله تعالى علما فان الله عز وجل لم يحقره اذ آتاه وكل من تأول السنن بالرأي أو المعقول أو نطق بما لم يسبق اليه السلف من القول أو بمعناه فهو متكلف مبطل فأهل العلم بالله تعالى يردون علوم المعقول بعلم اليقين وعلم الرأي بعلم السنة ويثبتون أهل الآثار ويؤيدون نقلة الاخبار بما يفصلون من أخبارهم ويفسرون من حديثهم بما لم يجعل للنقلة طريق اليه ولم يهتد الرواة الى كشف منه بما أشهدهم الله عز وجل واستودعهم ونور به قلوبهم ونطقهم فهم ينطقون عن الله سبحانه وتعالى فيما يخبرون عنه ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وجعلنا منهم أئمة يهدون بامرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون وقد قال بعض العلماء ما تكلم فيه السلف فالسكوت عنه جفاء وما سكت عنه السلف فالكلام فيه تكلف وقال آخر الحق ثقيل من جاوزه ظلم ومن قصر عنه عجز ومن وقف معه اكتفى وقال علي رضي الله عنه عليكم بالنمط الاوسط الذي يرجع اليه العالي ويرتفع عنه التالي وهكذا سيرة السلف انه لا يسمع الى مبتدع لانه منكر ولا يرد عليه بالجدال والنظر لانه بدعة ولكن يخبر بالسنن ويحتج بالاثر فان قبل فهو أخوك في الله عز وجل ووجبت علينا موالاته وان لم يرجع وأنكر نقض بانكاره وعرف ببدعته وحقت عداوته وهجر في الله تعالى وهذا طريق لا يسلكه في وقتنا هذا الا من عرف فضله وطريقة السلف فيه وحدثت عن ابليس لعنه الله انه بث جنوده في وقت الصحابة فرجعوا اليه محسورين فقال ما شأنكم قالوا ما رأينا مثل هؤلاء القوم ما نصيب منهم شيأ قد أتعبونا فيقول انكم لا تقدرون عليهم قد صحبوا نبيهم وشهدوا تنزيل ربهم ولكن سيأتي بعدهم قوم تنالون منهم حاجتكم فلما جاء التابعون بث جنوده فيهم فرجعوا اليه منكسرين منكوسين فقال ما شأنكم قالوا ما رأينا أعجب من هؤلاء القوم نصيب منهم الشيء بعد الشيء من الخطايا فاذا كان من آخر النهار أخذوا في الاستغفار فتبدل سيآتهم حسنات فقال انكم لن تنالوا من هؤلاء شيأ لصحة توحيدهم واتباعهم سنة نبيهم ولكن سيأتي بعد هؤلاء قوم تقر أعينكم بهم تلعبون بهم لعبا وتقودونهم بازمة أهوائهم كيف شئتم ان استغفروا لم يغفر لهم ولا يتوبون فتبدل حسناتهم سيئات قال فجاء قوم بعد القرن الاول فبعث فيهم الاهواء وزين لهم البدع فاستحلوها واتخذوها دينا لا يستغفرون منها ولا يتوبون الى الله قال فتسلطت عليهم الاعداء وقادتهم أين شاؤا وقد قال ابن عباس رضي الله عنه ان للضلالة حلاوة في قلوب أهلها وقد قال الله تعالى اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وقال تعالى أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا كما قال تعالى أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه فالعلم رحمك الله هو الذي كان عليه السلف الصالح المقتفي آثارهم والخلف التابع المقتدي بهديهم وهم الصحابة أهل السكينة والرضا ثم التابعون لهم باحسان من أهل الزهد والنهى والعالم هو الذي يدعو الناس الى مثل حاله حتى يكونوا مثله فاذا نظروا اليه زهدوا في الدنيا الزهده فيها كما كان ذو النون رحمه الله يقول جالس من يكلمك علمه لا من يكلمك لسانه وقد قال الحسن رضي الله عنه قبله عظ الناس بفعلك ولا تعظهم بقولك وقال سهل رحمه الله العلم يهتف بالعمل فان أجابه والا ارتحل وقد روينا معنى ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قيل له أي جلسائنا خير فقال من ذكركم بالله تعالى رؤيته وزاد في علمكم منطقه وذكركم بالآخرة عمله فأما الذي يطلب دنياهم حتى يكون مثلهم فاذا رأوه اغتبطوا بحالهم فهذا شر منهم لانه يدعو الى نفسه لا الى مولاه ولانه طامع فيهم وهم زاهدون فيه فالعلماء الذين هم ورثة الانبياء هم الورعون في دين الله عز وجل الزاهدون في فضول الدنيا الناطقون بعلم اليقين والقدرة

اختبار وامتحان اختبركم انكم تشتغلون بها عن الله سبحانه وتعالى فتنسونه وتعسونه أي تذكرونه وتطيعونه فيها وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حب الدنيا رأس كل خطيئة اعلم أن طول الامل له سببان أحدهما حب الدنيا لانه اذا أنس بها وبشهواتها وعلائقها ثقل على قلبه مفارقتها فامتنع قلبه عن التفكر في الموت الذي هو سبب مفارقتها والانسان مشغوف بالاماني الباطلة فيمني نفسه أبدا بما يوافق مراده وهو البقاء في الدنيا فلا يزال يتوهمه ويقدره في نفسه ويقدر توابع البقاء وما يحتاج اليه من مال وأهل ودار وأصدقاء ودواب وسائر أسباب الدنيا فيصير قلبه عاكفا على هذا الفكر موقوفا عليه فيلهو عن ذكر الموت ولا يقدر قربه وان خطر به في بعض الاحوال أمر الموت والحاجة الى الاستعداد له سوف ووعد نفسه وقال الايام بين يديك فالى أن تكبر ثم تتوب واذا كبر قال الى أن تصير شيخا فاذا صار شيخا قال الى أن تفرغ من بناء هذه الدار وعمارة هذه الضيعة أو ترجع من هذه السفرة أو تفرغ من تدبير هذا الولد وجهازه وتدبير مسكن له أو تفرغ من قهر هذا العدو الذي يشمت

واجب طلب موافقة الحقيقة عند الله في التوحيد ومن ابتدع شيأ وردت عليه بدعته وكان مسؤلا عنه ولم يكن حجة لله تعالى على عباده ولا غيثا نافعا في بلاده بل كان موصوفا بالدنيا وفيها من الراغبين ولم يكن دليلا على الله عز وجل ولا من دعاة الدين ولا اماما للمتقين وقد جاء في الخبر العلماء أمناء الرسل مالم يدخلوا في الدنيا فاذا دخلوا في الدنيا فاحذروهم على دينكم والخبر المشهور من أحدث في ديننا ماليس فيه فهو رد وقد روينا عن عيسى عليه السلام وقيل له من أشد الناس فتنة فقال زلة عالم اذا زل يزل به عالم وقد روينا معناه عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مما أخاف على أمتي زلة عالم وجدال منافق في القرآن وكان بعض السلف يقول مثل العالم اذا زل مثل سفينة اذا غرقت غرق معها الخلق كثير ومثل كسوف الشمس يصيح الناس يا غافلون الصلاة وانها عند العامة آية يفزع منها وروى في خبر غريب من غش أمتي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين قيل يا رسول الله وما غش أمتك قال ان يبتدع بدعة في الاسلام يحمل الناس عليها وكان ابن عباس رضي الله عنه يقول ويل للعالم من الاتباع وويل للاتباع من العالم يزل العالم زلة فيتبعه عالم افئام من الناس وتبلغ الآفاق وما أعلم أحدا أعظم جرما ممن ابتدع في دين الله عز وجل فنطق في كتاب الله تعالى وفي علم المعرفة بما لم يأذن به الله ثم لم يعبأ بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي هو حجة الله تعالى على جميع خلقه وطريق مقربيه من عباده فاضل بذلك عباد الله عز وجل فان مثل من ابتدع في الدين واتخذ وليجة دون الكتاب والسنة وبين طريق المؤمنين الى جنب من يكاثر في أمور الدنيا وارتكب فيها شهوات الاهواء كمثل من اجترح المظالم بين الناس في الاموال والدماء الى جنب من ظلم نفسه بكسب الذنوب بينه وبين ربه ان مظالم العباد أعظم وهو الديوان الذي لا يترك كذلك التمويه في الدين أعظم لانه مظالم الآخرة وقطع طرقات المؤمنين ومحو شريعة المرسلين ومثله أيضا مثل من أذنب وجحد ذنبه واحتج لنفسه الى من أذنب واعترف بذنبه واعتذر من نفسه فهو أقرب بالعفو وأرجى للرحمة من الآخر كذلك من اعتل بالتقصير والتفريط في العمل ولم ينصح لنفسه الا انه أظهر حقيقة العلم ونصح لله تعالى ولرسوله ببيان كتابه وذكر سنته أقرب الى حسن الاخلاص وأولى بالتدارك في العافية ممن شرع في دين الله تعالى وابتدع في الامة ما يخالف به الكتاب والسنة هكذا كأنه قد قلب ملة وبدل شريعة فهذا أولد النفاق في قلبه حتى يختم له به ومثل من ابتدع في الملة مخالفا للسنة الى من أساء الى نفسه بالذنوب مثل من عصى الملك في قلب دولته وتظاهر عليه في ملكه بالازالة الى جنب من عصى أمره وقصر في حقه من الرعية وقد قال بعض الحكماء ثلاث لا يحسن من الملك ان يغفرها من قلب دولة من رعيته أو عمل فيما يوهن الملك او أفسد حرمة من حرمه وروينا عن النبي صلى الله عليه وسلم ان لله تعالى ملكا ينادي كل يوم من خالف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تنله شفاعته وقال علي كرم الله وجهه الهوى شريك العمى وقال الله تعالى ومن أصدق من الله قيلا ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم ثم قال تعالى أو قال أوحي الي ولم يوح اليه شئ ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله فسوى بين الكذاب في الفرية على الله تعالى وبين المتشبه المضاهي للربوبية وكذلك من أعظم المنكر بعد هذا انكار الحق من أهله ورده عليهم بالتكذيب وقد سوى الله تعالى أيضا بين التكذيب بالحق وبين ابتداء الكذب على الخالق في قوله عز وجل ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بالحق لما جاءه وقال تعالى في مثله فمن أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق اذ جاءه كذلك أيضا في ضده سوى كما سوى عز وجل بين الصادق بالصدق والمصدق به فقال تعالى والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم العالم والمتعلم شريكان في العلم وقال عيسى عليه السلام بمعناه المستمع شريك القائل ولكن الله تعالى قد جعل هذه الطائفة من أهل العلم بالله تعالى ترد على جميع الطوائف من الشاطحين والمبتدعين أهل الجهالة بالدين والحيدة عن سبيل المؤمنين بما أراهم الله تعالى من علم اليقين وبما شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعلم والتعديل في قوله يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله

ينفون

تستحيي من واحد من الخلق ولم تشمر لاستعداد الآخرة كتشميرها في الصيف لاجل الشتاء وفي الشتاء لاجل الصيف ففتشت عن سبب تمادتها فوجدت سببه اعتقاد تراخي الموت واستبعاد هجومه على القرب فانه لو أخبره صادق في بياض نهاره انه يموت من ليلة أو يموت الى أسبوع أو شهر لاستقام واستوى على الصراط المستقيم وترك جميع ما هو فيه مما يظن انه يتعاطاه لله تعالى وهو فيه مغرور فضلا عما ليس لله تعالى فانكشف لي تحقيقا ان من أصبح وهو يأمل انه يمسي أو أمسى وهو يأمل انه يصبح لم يخل من الفتور والتسويف ولم يقدر الا على سير ضعيف انتهى فاتقوا الله عباد الله وبادروا الموت الذي ان هربتم أدرككم وان أقمتم أخذكم وان نسيتموه ذكركم عجبا لمن نسي الموت وهو يرى من يموت عجبا للبخيل يستعجل الفقر الذي منه هرب ويفوته الغنى الذي اياه طلب فيعيش في الدنيا عيش الفقراء ويحاسب في الآخرة حساب الأغنياء اللهم عافنا من كل بلاء الدنيا وعذاب الآخرة وتوفنا مسلمين وألحقنا بالصالحين

(فصل) في سبب طول الامل قال الله تعالى انما أموالكم وأولادكم فتنة

وأفصح به لسانا منا اذا حدثتنا به فقال اذا أصبت المعنى فلا بأس بذلك وقد قال النضر بن شميل كان هشام
لحانا فكسوت لكم حديثه كسوة حسنة يعني بالاعراب وكان النضر نحويا ونحن قائلون في جميع ما رويناه
أو كما قال ونحوه وشبهه وبمعناه كذلك قال ابن مسعود في حديثه وكان سليمان التيمي يقوله في كل ما يحدث
به وقد كان سفيان رحمه الله يقول اذا رأيت الرجل يتشدد في ألفاظ الحديث في المجلس فاعلم انه يقول
اعرفوني قال وجعل رجل يسأل يحيى بن سعيد القطان عن حرف في الحديث على لفظه فقال له يحيى يا هذا
ليس في أيدينا أجل من كتاب الله تعالى وقد رخص بالقراءة فيه بالكلمة على سبعة أحرف فلا تشدد وفي
بعض ما رويناه مراسيل ومقاطيع ومنها ما في سنده مقال وربما كان المقطوع والمرسل أصح من بعض
المسند اذ رواه الائمة وجاز لنا ذلك لمعان أحدها انا لسنا على يقين من باطلها والثاني ان معناها حق وبذلك
وهو روايتناه وانا قد سمعناه فان أخطأنا الحقيقة عند الله تعالى فذلك ساقط عنا كما قال الاسباط وما شهدنا
الا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين في قولهم ان ابنك سرق فاخطؤا الحقيقة عند الله تعالى الا انهم كانوا
معذورين لوجود الدليل وهو شهادتهم للصاع مستخرج من رحل أخيهم والثالث ان الاخبار الضعاف غير
المنافية للكتاب والسنة لا يلزمنا ردها بل فيهما ما يدل عليها والرابع انا متعبدون بحسن الظن منهيون عن
كثير من الظن مذمومون بظن السوء والخامس انه لا يتوصل الى حقيقة ذلك الا من طريق المعاينة ولا
سبيل اليها فاضطررنا الى التقليد والتصديق بحسن الظن بالنقلة مع ما تسكن اليه قلوبنا وتلين له أبشارنا
ونرى انه حق كما جاء في الخبر وأيضا فانه ينبغي أن نعتقد في سلفنا المؤمنين انهم خير منا ثم نحن لا نكذب على
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا على التابعين فكيف نظن بهم أن يكذبوا وهم فوقنا على انه قد جاءت
أحاديث ضعاف بأسانيد صحاح فكذلك يصلح ان نورد أحاديث صحاحا بسند ضعيف لاحتمال ان يكون قد
روي من وجه صحيح اذ لم نحط بجملة العلم أو لان بعض من يضعفه أهل الحديث يقويه بعضهم وبعض من
يجرحه ويذمه أحد يعدله ويمدحه آخر فصار مختلفا فيه فلم يرد حديثه بقول واحد دون من فوقه أو مثله
أو لان بعض ما يضعف به رواة الحديث وتعلل به أحاديثهم لا يكون تعليلا ولا جرحا عند الفقهاء ولا عند
العلماء بالله تعالى مثل أن يكون الراوي مجهولا لايثاره الخمول وقد ندب اليه أو لقلة الاتباع له اذ لم يقم لهم
الاثرة عنه أو ينفرد بلفظ أو حديث حفظه أو خص به دون غيره من الثقات أو يكون غير سائق للحديث
على لفظه أو لا يكون متقنا بحفظ ودرسه وقد يتكلم بعض الحفاظ بالاقدام والجراءة فيجاوز الحد في
الجرح ويتعدى في اللفظ ويكون المتكلم فيه أفضل منه وعند العلماء بالله تعالى أعلى درجة فيعود
الجرح على الجارح أو يكون رأى عليه لباسا أو سمع منه كلاما يجرحه عند الفقهاء علله به بعض القراء
من الرواة وأن بعض من يضعفه أصحاب الحديث هو من علماء الآخرة ومن أهل المعرفة بالله تعالى وله في
الرواية والحديث مذاهب غير طريقة بعض أصحاب الحديث فيعمل في روايته بمذهبه فلا يكون أصحاب
الحديث حجة عليه الا كان هو حجة عليهم اذ ليس هو عند أصحابه من العلماء دون أصحاب الحديث من ضعفه
اذ رأى غير رأي مذهبه وقال بعض العلماء الحديث وان كان شهادة فقد وسع فيه بحسن الظن كما جوز فيه
قبول شهادة واحد أي للضرورة كشهادة القابلة ونحوها ورويناه معناه عن الامام أحمد بن حنبل رضي
الله عنه والحديث اذا لم ينافه كتاب أو سنة وان لم يشهدا له ان لم يخرج تأويله عن اجماع الامة فانه يوجب
القبول والعمل بقوله صلى الله عليه وسلم كيف وقد قيل والحديث الضعيف عندي آثر من الرأي والقياس
وهذا مذهب الامام أبي عبد الله أحمد بن حنبل رضي الله عنه والحديث اذا تداوله عصران أو رواه القرون
الثلاثة أو دار في العصر الواحد فلم ينكره علماؤه وكان مشهورا لا ينكره الطبقة من المسلمين احتمل ووقع
به حجة وان كان في سنده قول الا انما الكتاب والسنن الصحيحة أو اجماع الامة أو ظهر كذب ناقليه
بشهادة الصادقين من الائمة وقال وكيع بن الجراح ما ينبغي لاحد أن يقول هذا الحديث باطل لان

نفسه بغيره ويعلم انه لابد أن
تحمل جنازته ويدفن في
قبر واعل اللبن الذي يغطى
به قبره وقد ضرب
وفرغ منه وهو لا يدري
فذلك ويله جهل محض واذا
عرف أن سببه الجهل
وحب الدنيا فعلاجه دفع
سببه أما الجهل فيدفع
بالفكر الصافي من القلب
الحاضر وسماع الحكمة
البالغة من القلوب
الطاهرة وأما حب الدنيا
فالعلاج في اخراجه عن
القلب شديد وهو الداء
العضال الذي أعيا الاولين
والآخرين علاجه فلا
علاج له الا الايمان بالله
وباليوم الآخر وبما
فيه من عظيم العقاب
وجزيل الثواب ومهما
حصل له اليقين بذلك
ارتحل عن قلبه حب الدنيا
فان حب الخطير هو الذي
يمحق عن القلب حب
الحقير فاذا رأى حقارة الدنيا
ونفاسة الآخرة استنكف
أن يلتفت الى الدنيا كلها
وان أعطي ملك الارض
من المشرق الى المغرب
فكيف وليس له كل عبد
من الدنيا الا قدر يسير
مكدر منغص فكيف
يفرح بها أو يترسخ في القلب
حبها مع الايمان بالآخرة
فنسأل الله تعالى أن يرينا
الدنيا كما أراها الصالحين
من عباده ولا علاج في
تقرير الموت في القلب مثل
النظر الى من مات من

لا لعلم الرأى والهوى الصامتون عن الشبهات والآراء لا يختلف هذا الى يوم القيامة عند العلماء الشهداء على الله تعالى برأى قائل ولا بقول مبطل جاهل كما روى عن عبد الله بن عمرو عن النبى صلى الله عليه وسلم صلح أول هذه الامة بالزهد واليقين ويهلك آخرها بالبخل والامل وقال يوسف بن اسباط كتب الى حذيفة المرعشى ما ظنك بمن قد بقى لا يجد أحدا يذكر الله تعالى معه الا كان آثما وكانت مذاكرته معصية وذلك انه لا يجد أهله قلت ليوسف يا أبا محمد وتعرفهم قال لا يخفون علينا ويقال ان الابدال انما انقطعوا فى أطراف الارض واستتروا عن أعين الجمهور لانهم لا يطيقون النظر الى علماء هذا الوقت ولا يصبرون على الاستماع لكلامهم لانهم عندهم جهال بالله تعالى وهم عند أنفسهم وعند الجاهلين علماء فقد صاروا من أهل الجهل وأهل الجهل بالجهل على الوصف الذى قال سهل رحمه الله ان من أعظم المعاصى الجهل بالجهل والنظر الى العامة واستماع كلام أهل الغفلة أيسر عندهم لانهم لا يعدمون ذلك حيث كانوا من أطراف الامصار لان العامة لا يموّهون فى الدين ولا يغرون المؤمنين ولا يدعون انهم علماء لانهم يتعلمون وبالجهل معترفون فهم الى الرحمة أقرب ومن المقت أبعد وكان أبو محمد أيضا يقول قسوة القلب بالجهل بالعلم أشد من القسوة بالمعاصى لان الجاهل بالعلم تارك ومدع والعاصى بالفعل مقر بالعلم ويقول أيضا لان العلم دواء به تصلح الادواء فهو يزيل فساد الاعمال بالتدارك والجهل داء يفسد الاعمال بعد صلاحها فهو يزيل الحسنات فيجعلها سيئات فكم بين ما يصلح الفاسد وبين ما يفسد الصالحات وقد قال الله تعالى ان الله لا يصلح عمل المفسدين وقال تعالى انا لا نضيع أجر المصلحين فهذا من أدل دليل على فضل العالم المقصر على العابد المجتهد واعلم ان العبد اذا باين الناس فى كل شئ من أحوالهم انفرد عن جمعهم ولم يألف أحدا منهم وان باينهم فى أكثر أحوالهم اعتزل عن الاكثر منهم فان فارقهم فى بعض الاحوال ووافقهم فى بعض حاله خالط أهل الخير وفارق أهل الشر

(باب تفضيل الاخبار وبيان طريق الارشاد وذكر الرخصة والسعة فى النقل والرواية)

جميع ما ذكرناه فى هذا الكتاب من الاخبار عن النبى صلى الله عليه وسلم ثم عن الصحابة وعن التابعين وتابعيهم رسمناه حفظا وسقناه على المعنى الا يسيرا اتفق وجوده فى أيدينا وقرب تناوله منا من أخبار فيها طول فانا نقلناها من مواضعها وما بعد علينا فلم نفقه ولم نشغل همتنا به فما كان فيه من صواب وبيان وتثبت فمن الله تعالى بحسن توفيقه وقوة تأييده وما كان فيه من خطا وعجلة وهوى فمنا بالسهو والغفلة ومن عمل الشيطان بالعجلة والنسيان كذلك روينا عن ابن مسعود رضى الله عنه فى قضيته التى قضاها برأيه وقولنا لرأيه تبع وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم البيان والتبين من الله عز وجل والعجلة والنسيان من الشيطان يعنى بواسطته وبالله التوفيق ولم أعتبر ألفاظ الاخبار فى أكثره ولم آل عن سياق المعنى فى كله اذ ليس تحرير الالفاظ عندى واجبا اذا أتيت بالمعنى بعد أن تكون عالما بتصريف الكلام وبتفاوت وجوه المعانى مجتنبا لما يكون به تحريف أو احالة بين اللفظين وقد رخص فى سوق الحديث على المعنى دون سياقه على اللفظ جماعة من الصحابة منهم على وابن عباس وأنس بن مالك وواثلة بن الاسقع وأبو هريرة ثم جماعة من التابعين يكثر عددهم منهم امام الائمة الحسن البصرى ثم الشعبى وعمرو بن دينار وابراهيم النخعى ومجاهد وعكرمة رضى الله عنهم نقلنا ذلك عنهم فى كتب سيرهم بأخبار مختلفة الالفاظ وقال ابن سيرين كنت أسمع الحديث من عشرة المعنى واحد والالفاظ مختلفة ولذلك اختلف الصحابة فى رواية الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنهم من يرويه تاما ومنهم من يجئ به مختصرا ومنهم من يرويه على المعنى وبعضهم يغاير بين اللفظتين ويراه واسعا اذا لم يخالف المعنى ولم يحل البغية وكلهم لا يتعمد الكذب وجميعهم يقصد الصدق ومعنى ما سمع ولا يحيل البغية فلذلك وسعهم وكانوا يقولون انما الكذب على من تعمده وقد روينا عن عمران بن مسلم قال قال رجل للحسن يا أبا سعيد انك تحدث بالحديث أنت أحسن له سياقا وأجود تحبيرا

لك فلا يزال يسوّف ويؤخر ولا يخوض فى شغل الا ويتعلق باتمام ذلك الشغل عشرة أشغال أخر الى أن تختطفه المنية فى وقت لا يحتسبه فتطول عند ذلك حسرته وأكثر أهل النار صياحهم من سوف يقولون واحزناه من سوف وثانيهما الجهل لان الانسان قد يعوّل على شبابه فيستبعد قرب الموت مع الشباب وليس يتفكر المسكين ان مشايخ بلده لو عدوا لكانوا أقل من عشر رجال البلد وانما قلوا لان الموت فى الشباب أكثر فالى أن يموت شيخ يموت ألف صبى وشاب وقد يستبعد الموت لصحته ويستبعد الموت فجأة ولا يدرى أن ذلك غير بعيد وان كان ذلك بعيدا فالمرض فجأة غير بعيد وكل مرض انما يقع فجأة واذا مرض لم يكن الموت بعيدا ولو تفكر هذا الغافل وعلم ان الموت ليس له وقت مخصوص من شباب ومشيب وكهولة وصيف وشتاء وخريف وربيع ومن ليل ونهار لعظم استشعاره واشتغل بالاستعداد له ولكن الجهل بهذه الامور وحب الدنيا دعواه الى طول الأمل والى الغفلة عن تقريب الموت القريب فهو أبدا يظن ان الموت يكون بين يديه ولا يقدر نزوله به ووقوعه فيه وهو أبدا يظن انه يشيع الجنائز ولا يقدر أن تشيع جنازته وسيبه انه يقيس

قال الله تعالى في البيان الاول من خطاب العموم وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون معناه ارجعوا اليه من هوى نفوسكم ومن وقوفكم مع شهواتكم عسى أن تظفروا ببغيتكم في المعاد وكي تبقوا ببقاء الله عز وجل في نعيم لا زوال له ولا نفاد ولكي تفوزوا وتسعدوا بدخول الجنة وتنجوا من النار فهذا هو الفلاح وقال في البيان الثاني من مخاطبته الخصوص يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم أن يكفر عنكم سيآتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار فنصوحا من النصح جاء على وزن فعول للمبالغة في النصح وقد قرئت نصوحا بضم النون فيكون حينئذ مصدر نصحت له نصحا ونصوحا فمعناه خالصة لله تعالى وقيل اشتقاقه من النصاح وهو الخيط أي مجردة لا تتعلق بشيء ولا يتعلق بها شيء وهو الاستقامة على الطاعة من غير روغان الى معصية كما تروغ الثعالب وأن لا يحدث نفسه بعود الى ذنب متى قدر عليه وان يترك الذنب لاجل الله تعالى خالصا لوجهه كما ارتكبه لاجل هواه مجمعا عليه بقلبه وشهوته فيأتي الله عز وجل بقلب سليم من الهوى وعمل خالص مستقيم على السنة فقد ختم له بحسن الخاتمة فحينئذ أدركته الحسنى السابقة وهذا هو التوبة النصوح وهذا العبد هو التواب المتطهر الحبيب وهذا اخبار عمن سبقت له من الله الحسنى ومن تداركه نعمة من ربه رحمه بها من تلوث السوأى وهو وصف لمن قصده بخطابه اذ يقول في كتابه ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين وكما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم التائب حبيب الله والتائب من الذنب كمن لا ذنب له وسئل الحسن عن التوبة النصوح فقال هي ندم بالقلب واستغفار باللسان وترك بالجوارح واضمار أن لا يعود اليه وقال أبو محمد سهل رحمه الله ليس من الاشياء أوجب على هذا الخلق من التوبة ولا عقوبة أشد عليهم من فقد علم التوبة وقد جهل الناس علم التوبة وقال من يقول ان التوبة ليست بفرض فهو كافر ومن رضي بقوله فهو كافر وقال التائب الذي يتوب من غفلته في الطاعات في كل طرفة ونفس وقد جعل علي كرم الله وجهه ترك التوبة مقاما في العمى وقرنه باتباع الظن ونسيان الذكر فقال في الحديث الطويل ومن عمي نسي الذكر واتبع الظن وطلب المغفرة بلا توبة ولا استكانة ففرض التوبة الذي لا بد للتائب منه ولا يكون صادقا الا به الاقرار بالذنب والاعتراف بالظلم ومقت النفس على الهوى وحل الاصرار الذي كان عقده على أعمال السيآت واطابة الغذاء بغاية ما يقدر عليه لان الطعمة أساس الصالحين ثم الندم على ما فات من الجنايات وحقيقة الندم ان كان حقا فلكل حق حقيقة أن لا يعاود الى مثل ما وقع الندم عليه ثم اعتقاد الاستقامة على الامر ومجانبة النهي وحقيقة الاستقامة أن لا يقابل ما استقبل من عمره بمثل ما وقع الاعوجاج به وان يتبع سبيل من أناب الى الله وأن لا يصحب جاهلا فيرديه ثم الاشتغال باصلاح ما أفسد في أيام بطالته ليكون من المصلحين الذين تابوا وأصلحوا ما أفسدوا فان الله عز وجل لا يصلح عمل المفسدين كما لا يضيع أجر المحسنين ثم الاستبدال بالصالحات من السيآت والصالحات من الحسنات ليكون ممن تبدل سيآته حسنات لتحققه بالتوبة وحسن الانابة لان التبديل يكون في الدنيا يبدل بالاعمال السوأى أعمالا حسنى بدليل قوله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم فاذا غيرما بهم من سوء حسنا بدل سيآتهم حسنات ثم الندم ودوام الحزن وحقيقة الندم والحزن على الفوت أن لا يفرط ولا يني في وقت دركه ولا يرجع ولا ينثني في حد استبداله فيفوت نفسه وقتا ثانيا اذ كان يعمل في درك ما فات ولا يفوت ما أدرك في حال تيقظه فتكون يقظته شبيها بما مضى من غفلته اذ كان في درك ما فات شبيها بما مضى من غفلته اذ لا يدرك الفوت بالفوت ولا ينال النعيم بالنعيم ليكون كما وصف الله تعالى وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا أقل الاعتراف والندم وقال أبو سليمان الداراني لو لم يبك العاقل فيما بقي من عمره الا على فوت ما مضى منه في غير الطاعة لكان خليقا أن يحزنه ذلك الى الممات فكيف بمن يستقبل ما بقي من عمره بمثل ما مضى من جهله وقال سهل بن عبد الله التائب لا يقله شيء يكون قلبه متعلقا بالعرش حتى يفارق النفس ولا عيش له الا الضرورة للقوام ويغتم على ما مضى والجد في الامر ومباينة النهي

أبناه وفي رواية ابن خزيمة واكرباه لكربك يا أبتاه وهو يقول لا كرب على أبيك بعد اليوم وروى ابن أبي الدنيا من رواية الحسن مرسلا ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الموت وغصته وألمه فقال هو قدر ثلثمائة ضربة بالسيف وقال شداد بن أوس الموت أشد من نشر بالمناشير وقرض بالمقاريض وغلي في القدور ولو أن الميت نشر فأخبر أهل الدنيا بالموت لما انتفعوا بعيش ولا التذوا بنوم وقال عمر لكعب الاحبار حدثنا عن الموت فقال نعم هو كغصن كثير الشوك أدخل في جوف رجل فأخذت كل شوكة بعرق ثم جذبه رجل شديد الجذب فأخذ ما أخذ وأبقى ما أبقى وفي دلائل البيهقي عن أبي سعيد قال مر النبي صلى الله عليه وسلم بظبية مربوطة الى خباء فقالت يا رسول الله حلني حتى أذهب فأرضع خشفي ثم أرجع فتربطني فقال صلى الله عليه وسلم صيد قوم وربيطة قوم فقالت يا رسول الله ارجع قال فأخذ عليها العهد فحلها فلما غابت قليلا الا حتى جاءت وقد نفضت ما في ضرعها فربطها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أتى الى خباء أصحابها فاستوهبها منهم فوهبوها له فحلها ثم قال صلى الله عليه وسلم

الحديث أكثر من ذلك وقال أبو داود قال أبو زرعة الرازي قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عشرين ألف عين تطرف كل واحد قد روى عنه ولو حديثا ولو كلمة أو رواية فحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من أن يحصى وذكر رجل عند الزهري حديثا فقال ما سمعنا بهذا فقال أكل حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعت قال لا قال فثلثاه قال لا قال فنصفه فسكت وقال عد هذا من النصف الذي لم تسمعه وقال الامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه كان يزيد بن هرون يكتب عن الرجل وهو يعلم انه ضعيف وكان له ذكاء وعلم بالحديث وقال اسحق بن راهويه قيل للامام أحمد بن حنبل هذه الفوائد التي فيها المناكير ترى أن نكتب الجيد منها فقال المنكر أبدا منكر قيل له فالضعفاء قال قد يحتاج اليهم في وقت كأنه لم ير بالكتابة عنهم باسا وقال أبو بكر المروزي عنه ان الحديث عن الضعفاء قد يحتاج اليه ومما يدلك على مذهبه في التوسعة انه أخرج حديثه كله في المسند المأثور عنه الذي رويناه عن أشياخنا عن ابنه عبد الله عنه ولم يعتبر الصحيح منه وفيه أحاديث كثيرة يعلم الثقات انها ضعيفة وهو أعلم بضعفها منهم ثم أدخلها في مسنده لانه أراد تخريج المسند ولم يقصد تصحيح السند فاستجاز رواياتها كما سمعها وقد كان قطع أن يحدث الناس في سنة ثمان وعشرين وتوفي في سنة احدى وأربعين فلم يسمع أحد منه في هذه المدة الا ابنه عبد الله وابن منيع جزأ واحدا بشفاعة جده أحمد بن منيع وحدثونا عنه أعني الامام أحمد قال كان عبد الرحمن ينكر الحديث ثم يخرج الينا بعد وقت فيقول هو صحيح قد وجدته قال وأما وكيع فلم ينكر ولكن يقول اذا سئل عنه لا أحفظه وحدثونا عن ابن أخت عبد الرحمن بن مهدي قال كان خالي قد خط على أحاديث ثم صحح عليها بعد ذلك وقرأتها عليه فقلت قد كنت خططت عليها قال نعم ثم تفكرت فاذا اني ان ضعفتها أسقطت عدالة ناقليها فان حاجني بين يدي الله تعالى وقال لم أسقطت عدالتي رأيتني سمعت كلامي لم يكن لي حجة هذا كان مذهب الورعين من السلف وقد كان بعضهم يقول كانترك مجالسة شعبة لانه كان يدخلنا في الغيبة وانما كان كلامه في التضعيف وقال بعضهم في تضعيف الرواة ان خلصت نيتك يعني ان أردت الله عز وجل والدين بذلك لم يكن لك ولا عليك فهذه الفصول التي ذكرناها هي أصول في معرفة الحديث وهو علم لاهله وطريق هم سالكوه ثم حدث قوم لم يكن لهم علم يختصون به ولا حال من علم يوصفون به ولا شغل من عبادة تقطعهم فجعلوا النفوسهم علما تشاغلوا به وشغلوا من استمع اليهم فصنفوا كتبا وأخذوا يتكلمون في نقلة الاخبار بالتعليل وتتبع العثار فطرقوا لاهل البدع الى رد السنن وايثار الرأي والمعقول عليها المبارزين من طعنهم فيها واغتبطوا بالقياس والنظر لما وجدوا من زهدهم في السنة والخبر سيما في زمانك هذا والاحاديث في الترغيب في الآخرة والتزهيد في الدنيا والترهيب لوعيد الله تعالى وفي فضائل الاعمال وتفضيل الاصحاب متقبلة محتملة على كل حال مقاطيعها ومراسيلها لا تعارض ولا ترد وكذلك في أهوال القيامة ووصف زلازلها وعظائمها لا تنكر بعقل بل تقبل بالتصديق والتسليم كذلك كان السلف يفعلون لان العلم قد دل على ذلك والاصول قد وردت به وقد روينا من بلغه عن الله فضيلة أو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمل به أعطاه الله ثواب ذلك وان لم يكن ما قيل والخبر الآخر من روى عني حقا فأنا أقوله وان لم أكن قلته ومن روى باطلا فاني لا أقول بالباطل وفي كل ما رسمناه من هذا الكتاب نقول الله أعلم وأحكم وعلمه المتقدم وعنده حقائق العلوم واليه ترجع الامور وما شاء كان والله المستعان ولا حول ولا قوة الا بالله وهذا آخر كتاب العلم وتفصيل العلوم ووصف طريق السلف ونشر ما أحدث بعدهم الخلف

(الفصل الثاني والثلاثون فيه شرح مقامات اليقين وأحوال الموقنين) أصول مقامات اليقين التي ترد اليها فروع أحوال المتقين تسعة أولها التوبة والصبر والشكر والرجاء والخوف والزهد والتوكل والرضا والمحبة وهذه محبة الخصوص وهي محبة المحبوب

(ذكر فروض التوبة وشرح فضائلها ووصف التوابين)

الاقران والاشكال وانهم كيف جاءهم الموت في وقت لم يحتسبوه أما من كان مستعدا فقد فاز فوزا عظيما ومن كان مغرورا بطول الامل فقد خسر خسرانا مبينا ولينظر الانسان كل ساعة في أطرافه وأعضائه وليتدبر كيف انها لا بد أن تأكلها الديدان ولا محالة وكيف تتفتت عظامها وليتفكر في أن الدود يبدأ بحدقته اليمنى أولا واليسرى فما على بدنه شيء الا وهو طعمة الدود وما له من نفسه الا العلم والعمل الخالص لوجه الله تعالى وكذلك يتفكر فيما سنورده من عذاب القبر وسؤال منكر ونكير ومن الحشر والنشر وأهوال يوم القيامة وفزع النداء يوم العرض الاكبر فأمثال هذه الافكار التي تجدد ذكر الموت على قلبه وتدعوه الى الاستعداد له ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب

(فصل) اعلم أن للموت ثلاث دواه الاولى الالم بسكراته قال الله تعالى وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم عنده قدح عند الموت يجعل يده فيه ثم يمسح وجهه ويقول اللهم هون على محمد سكرات الموت [illegible]

له فى الآخرة مثقال ذرة من خير لو أن له الدنيا بما فيها من أولها الى آخرها لم يحب أن يعود الى الدنيا وقال بعض العارفين ان لله تعالى الى عبده سرين يسرهما اليه يوجد ذلك بالهام يلهمه أحدهما اذا ولد وخرج من بطن أمه يقول له عبدى قد أخرجتك الى الدنيا طاهرا نظيفا واستودعتك عمرك ائتمنتك عليه فانظر كيف تحفظ الامانة وانظر كيف تلقانى كما أخرجتك وسر عند خروج روحه يقول عبدى ماذا صنعت فى أمانتى عندك هل حفظتها حتى تلقانى على العهد والرعاية فألقاك بالوفاء والجزاء أو أضعتها فألقاك بالمطالبة والعقاب فهذا داخل فى قوله عز وجل والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون وفى قوله تعالى أوفوا بعهدى أوف بعهدكم عمر العبد أمانة عنده ان حفظه فقد أدى الامانة وان ضيعه فقد خان ان الله لا يحب الخائنين وفى خبر ابن عباس رضى الله عنه من ضيع فرائض الله عز وجل خرج من أمانة الله وعند التوبة النصوح تكفير السيآت ودخول الجنات وكان بعضهم يقول قد علمت متى يغفر الله لى قيل ومتى قال اذا تاب على وقال آخر أنا من أن أحرم التوبة أخوف منى من أن أحرم المغفرة وقال الله تعالى ومن أصدق من الله حديثا فتاب عليكم وعفا عنكم وقال تعالى فى مثله وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيآت وقال بعض العلماء لا تصح التوبة لعبد حتى ينسى شهواته ويكون ذاكرا الحزن لا يفارق قلبه ذاهبا عن الذنب لا يخالج سره وقال بعض علماء الشام لا يكون المريد تائبا حتى لا يكتب عليه صاحب الشمال معصية عشرين سنة وقال بعض السلف من علامة صدق التائب فى توبته أن يستبدل بحلاوة الهوى حلاوة الطاعة وبفرح ركوب الذنب الحزن عليه والسرور بحسن الانابة وقال بعض العلماء فى معناه لا يكون العبد تائبا حتى يدخل مرارة مخالفة النفس مكان حلاوة موافقتها وحدثنا فى الاسرائيليات ان الله عز وجل قال لبعض أنبيائه وقد سأله قبول توبة عبد بعد ان اجتهد سنين فى العبادة ولم ير قبول توبته فقال له وعزتى وجلالى لو شفع فيه أهل السموات والارض ما قبلت توبته وحلاوة ذلك الذنب الذى تاب منه فى قلبه ومن ثبتت حلاوة المعصية فى قلبه أو نظر اليها اذا ذكرها بفكره خيف عليه العود فيها الا بشدة مجاهدة وكراهتها ونفى خاطرها عن سره اذا ذكرها بالخوف والاشفاق منها وقال أبو محمد سهل أول ما يؤمر به المبتدئ المريد التوبة وهو تحويل الحركات المذمومة الى حركات محمودة ويلزم نفسه الخلوة والصمت ولا تصح له توبة الا بأكل الحلال ولا يقدر على الحلال حتى يؤدى حق الله تعالى فى الخلق وحق الله تعالى فى نفسه ولا يصح له هذا حتى يتبرأ من حركته وسكونه الا بالله تعالى وحتى لا يأمن الاستدراج بأعمال الصالحات وحقيقة التوبة أن يدع ماله حتى لا يدخل فيما عليه ولا يكون يسوف أبدا انما يلزم نفسه الحال فى الوقت* وحدثونا عن سرى السقطى انه قال من شرط التوبة انه ينبغى للتائب المنيب انه يبدأ بمجانبة أهل المعاصى ثم بنفسه التى كان يعصى الله تعالى لها ولا ينالها الامالا بد منه ثم الاعتزام على أن لا يعود فى معصية أبدا ويلقى عن الناس مؤنته ويدع كل ما يضطره الى حيرة ولا يتبع هوى ويتبع من مضى من السلف وينبغى لاهل التوبة أن تحاسبوا نفوسهم فى كل طرفة ويدعوا كل شهوة ويتركوا الفضول وهى ستة أشياء ترك فضول الكلام وترك فضول النظر وترك فضول المشى وترك فضول الطعام والشراب واللباس قال ولا يقوى على ترك الشبهات الا من ترك الشهوات وسئل يحيى بن معاذ رحمه الله كيف يصنع التائب فقال هو من عمره بين يومين يوم مضى ويوم بقى فيصلحهما بثلاث اما ما مضى فبالندم والاستغفار وأما ما بقى فبترك التخليط وأهله ولزوم المريدين ومجالسة الذاكرين والثالثة لزوم نظافة الغذاء والدؤب على العمل ومن علامة صدق التوبة رقة القلب وغزارة الدمع وفى الخبر جالسوا التوابين فانهم أرق شئ أفئدة ومن التحقق بالتوبة أن يستعظم ذنوبه فانه يقال ان الذنب كلما استعظمه العبد صغر عند الله تعالى ويقال ان استصغار الذنب كبيرة كما جاء فى الخبر المؤمن الذى يرى ذنبه كالجبل فوقه يخاف أن يقع عليه والمنافق الذى يرى ذنبه كذباب مر على أنفه فأطاره وقد روينا فى خبر مرسل ليتق أحدكم أن يؤخذ عند أدنى ذنوبه فى نفسه وقال بعضهم الذنب الذى لا يغفر

صلى الله عليه وسلم قال آخر من يخرج من النار من يخرج بعد ألف عام انه ينادى يا حنان يا منان كان الحسن يقول ياليتنى ذلك الرجل خوفا من سوء الخاتمة التى تقتضى عذاب الابد فى نار جهنم عافانا الله من ذلك بمنه وكرمه* وفى التذكرة للقرطبى روى فى الخبر الشهير المروى فى أربعين عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من بيت الا وملك الموت يقف على بابه كل يوم خمس مرات فاذا وجد الانسان قد نفد أكله وانقطع أجله ألقى عليه غمرات الموت فغشيته كرباته وغمرته غمراته فمن أهل بيته الناشرة شعرها والضاربة وجهها والباكية لشجوها والصارخة بويلها يقول ملك الموت عليه السلام ولم الفزع وفيم الجزع ما أذهبت لواحد منكم رزقا ولا قربت له أجلا ولا أتيته حتى أمرت ولا قبضت روحه حتى أمرت وان لى فيكم عودة ثم عودة حتى لا أبقى منكم أحدا قال النبى صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لو يرون مكانه ويسمعون كلامه لذهلوا عن ميتهم ولبكوا على نفوسهم حتى اذا حمل الميت على نعشه رفرفت روحه فوق النعش وهو ينادى يا أهلى ويا ولدى

فيما بقي ولا يتم له ذلك الا باستعمال علم اليقين في كل شيء ثم المتابعة بأعمال الصالحات ليكون ممن قال الله تعالى ويدرؤن بالحسنة السيئة الآية أي يدفعون ما سلف من السيآت بما يعملون من الحسنات وكذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث أبي ذر فاذا عملت سيئة فاعمل بعدها حسنة السر بالسر والعلانية بالعلانية وفي وصية معاذ أتبع السيئة الحسنة تمحها وليدخل في الصالحين كما قال الله تعالى والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين ثم المسارعة الى الخيرات اذا قدر عليها ليستدرك بها ما ضيع وفات ليكون من الصالحين وفي هذا المقام يصلح لولاه فيحفظه ويتولاه كما قال الله وهو يتولى الصالحين وجمل ما على العبد في التوبة وما تعلق بها عشر خصال أولها فرض عليه أن لا يعصي الله تعالى والثانية ان ابتلي بمعصية لا يصر عليها والخصلة الثالثة التوبة الى الله تعالى منها والرابعة الندم على ما فرط منه والخامسة عقد الاستقامة على الطاعة الى الموت والسادسة خوف العقوبة والسابعة رجاء المغفرة والثامنة الاعتراف بالذنب والتاسعة اعتقاد ان الله تعالى قدر ذلك عليه وانه عدل منه والعاشرة المتابعة بالعمل الصالح ليعمل في الكفارات لقوله صلى الله عليه وسلم واتبع السيئة الحسنة تمحها وفي جميع هذه الخصال جمل آثار رويناها عن الصحابة والتابعين يكثر ذكرها ويقال ان ملك الموت اذا ظهر للعبد أعلمه انه قد بقي من عمرك ساعة وانك لا تستأخر عنها طرفة عين قال فيبدو للعبد من الاسف والحسرة ما لو كانت له الدنيا من أولها الى آخرها لخرج منها على أن يضم الى تلك الساعة ساعة أخرى ليستعتب فيها أو يستبدل بها فلا يجد الى ذلك سبيلا وهذا تأويل قوله عز وجل وحيل بينهم وبين ما يشتهون قيل التوبة وقيل الزيادة في العمر وقيل حسن الخاتمة حيل بينهم وبين ذلك كما فعل بأشياعهم من قبل أي بنظرائهم وأهل فرقتهم قال فاذا كل ساعة تمضي على العبد فهي بمنزلة هذه الساعة قيمتها الدنيا كلها اذا عرف قيمة ذلك فلذلك قيل ليس لما بقي من عمر العبد قيمة اذا عرف وجه التقدير من الله تعالى بالتصريف والحكمة وقيل في معنى قوله تعالى من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني الى أجل قريب قال الوقت القريب أن يقول العبد عند كشف الغطاء يا ملك الموت أخرني يوما أعتذر فيه الى ربي وأعتب فيقول فنيت الايام فلا يوم فيقول أخرني ساعة فيقول فنيت الساعات فلا ساعة قال فتبلغ الروح الحلقوم فيؤخذ بكظمه عند الغرغرة فيغلق باب التوبة ويحجب عنه وتنقطع الاعمال وتذهب الاوقات وتتصاعد الانفاس يشهد فيها المعاينة عند كشف الغطاء فيحتد بصره فاذا كان في آخر نفس زهقت نفسه فيدركه ما سبق له من السعادة فتخرج روحه على التوحيد فذلك حسن الخاتمة أو يدركه ما سبق له من الشقوة فتخرج روحه على الشك فهذا الذي قال الله عز وجل وليست التوبة للذين يعملون السيآت حتى اذا حضر أحدهم الموت قال اني تبت الآن فهذا سوء الخاتمة نعوذ بالله منه وقيل هذا هو المنافق ويقال المدمن على المعاصي المصر عليها وقد قال الله تعالى انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب قبل الموت وقبل ظهور آيات الآخرة وقبل الغرغرة أي تغرغر النفس في الحلقوم لانه تعالى قد حكم ان التوبة بعد ظهور اعلام الآخرة لا تقبل ومنه قوله عز وجل يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل يعني من قبل معاينة الآيات أو كسبت في ايمانها خيرا قيل التوبة هي كسب الايمان وأصول الخيرات وقيل الاعمال الصالحة هي مزيد الايمان وعلامة الايقان وقد قيل ثم يتوبون من قريب أي عن قريب عهد بالخطيئة لا يتمادى فيها ولا يتباعد عن التوبة وتوبته من قريب أن يعقب الذنب عملا صالحا ولا يردفه ذنبا آخر وان يخرج من السيئة الى الحسنة ولا يدخل في سيئة أخرى وقيل أول من يسأل الرجعة من هذه الامة من لم يكن أدى زكاة ماله أو لم يكن حج بيت ربه فذلك تأويل قول الله تعالى فاصدق وأكن من الصالحين وكان ابن عباس رضي الله عنه يقول هذه الآية من أشد شيء على أهل التوحيد هذا القوله تعالى في أولها يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله وقد قيل لا يسأل عبد الرجعة عند الموت وله عند الله عز وجل مثقال ذرة من خير وروينا معناه من كان

لو علمت البهائم من الموت ما تعلمون لما أكلتم منها سمينا أبدا الثانية مشاهدة ملك الموت وهي مزعجة لاهل الشقاوة دون أهل السعادة والثالثة مشاهدة العصاة مواضعهم في النار وخوف التكل قبل المشاهدة الى أن يسمعوا نغمة الملك باحدى البشارتين اما ابشر يا عدو الله بالنار واما ابشر يا ولي الله بالجنة وفي كتاب المؤمنات الصالحات للعصني وفي هذه الحالة يحضر الشيطان بجنده عليه ويقول ان فاتكم في هذه الحالة لا تدركوه أبدا فيأتون اليه في صورة أب وأم وشيخ وصديق وغير ذلك ويقولون قد متنا على دين كذا غير دين الاسلام ووجدناه حقا وخفنا عليك الموت على الاسلام فتهلك فلا يزالون به كذلك حتى يفتنوه عن دين الاسلام فيهلك هلاك الابد الا أن يكون قد سبقت له السعادة فيموت على التوحيد فحينئذ يحثو الشيطان على رأسه التراب ويقول ويلكم كيف تفلت هذا منكم وفي مختصر الاحياء للبسلالي وسببه عقيدة فاسدة تظهر عند الموت الجحود أو الشك ومن أسبابه الاصرار على فعل منهي أو صفة مذمومة كعجب ونحوه ومنها الغفلة قد خطف خلق كثير بنزغة الشيطان لتمكنه منه اه وروى أحمد ان رسول الله

وقال علماء البصرة الذي سكنت نفسه عن المنازعة بشاهد من شواهد اليقين والطمأنينة فلم يبق فيه فضل لعود ولا طلب اعتاد أفضل ومال الى هذا رباح بن عمرو القيسي وهو من كبار علماء البصريين وقال لو فتر هذا لكان هذا أقرب الى السلامة ولم يؤمن على الآخر الرجوع وهذا كما قال وقد اختلف العلماء أيضا في عبدين سئل أحدهما شيأ من بذل ماله في سبيل الله فأبت نفسه عليه وثقل عليها ذلك فجاهدها وأخرج ماله وسئل آخر بذل ماله فبذله مع السؤال طوعا من غير منازعة نفس ولا ثقل عليها ولا مجاهدة منه لها أيهما أفضل فقال قوم المجاهد لنفسه أفضل لانه اجتمع له الاكراه والمجاهدة فحصل له عملان وذهب الى هذا القول ابن عطاء وأصحابه وقال آخرون الذي سمحت نفسه بالبذل طوعا من غير اكراه ولا اعتراض أفضل قال لان مقام هذا في سخاوة النفس والتحقق بالزهد أفضل من جميع أعمال الاول من الاكراه والمجاهدة ومن بذل ماله على ذلك ولان الاول وان غلب نفسه في هذه الكرة لا يأمن غلبتها له في كرة ثانية أو ثالثة اذ ليس السخاء من مقامها لانها كانت محمولة عليه والى هذا ذهب الجنيد رحمه الله وهو عندي كما قال اللفظ لنا وسئل أبو محمد سهل عن الرجل يتوب من الشيء ويتركه ثم يخطر ذلك الشيء بقلبه أو يراه أو يسمع به فيجد حلاوة فقال الحلاوة طبع البشرية ولا بد من الطبع وليس له حيلة الا ان يرفع قلبه الى مولاه بالشكوى وينكره بقلبه ويلزم نفسه الانكار ولا يفارقه ويدعو الله تعالى ان ينسيه ذكر ذلك ويشغله بغيره من ذكره وطاعته وقال فان هو غفل عن الانكار طرفة عين أخاف عليه ان لا يسلم وتعمل الحلاوة في قلبه ولكن مع وجدان الحلاوة يلزم قلبه الانكار والحزن فانه لا يضره وهذا عندي هكذا لان التوبة لا تصح مع بقاء الشهوة ويكون العبد مرادا بالمجاهدة وهذا حال المريدين ومحو الشهوات من القلب بدوام التولي وصف العارفين وربما تعلق بالذنب ذنوب كثيرة هي أعظم منه مثل الاصرار عليه والاغتباط به وتسويف التوبة بعده ووجد حلاوة الظفر بمثاله أو وجد الحزن والكراهة على فوته والسرور بعمله أو حمل غيره عليه ان كان ذنبا بين اثنين أو انفاق مال الله سبحانه وتعالى فيه فهو كفر النعمة به وقد قيل من أنفق درهما في حرام فهو مسرف ومن ذلك ان يستصغر الذنب ويحتقره فيكون أعظم من اجترائه أو يتهاون بستر الله تعالى عليه ويستخف بحلم الله تعالى عنه فيكون ذلك من الاغترار والامن أو يجهل نعمة الله تعالى عليه في ستره واظهار ضده كما قال في الدعاء المأثور الذي يمدح الله سبحانه وتعالى به يا من أظهر الجميل وستر على القبيح ولم يؤاخذ بالجريرة ولم يهتك الستر ويقال كل عاص تحت كنف الرحمن فاذا رفع يديه عنه انهتك ستره ومن ذلك المجاهرة بالذنب والقول به والتظاهر وهذا من الطغيان وفي الخبر كل الناس معافى الا المجاهرين يبيت أحدهم على الذنب قد ستره الله تعالى عليه فيصبح فيكشف ستر الله تعالى ويتحدث بذنبه وربما سن العاصي بالذنب سنة اتبع عليها فتبقى سيأتها تدخل عليه ما دام يعمل به وقد قيل طوبى لمن اذا مات ماتت ذنوبه معه ولم يؤاخذهم بها بعده وطوبى لمن لم يعد ذنبه غيره وقال بعضهم لا تذنب فان كان لا بد فلا تحمل غيرك على الذنب فتكتسب ذنبين وقد جعل الله تعالى هذا المعنى وصفا من أوصاف المنافقين في قوله تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف فمن حمل أخاه على ذنب معه فقد أمر بالمنكر ونهى عن المعروف وقال بعض السلف ما انتهك المرء من أخيه حرمة أعظم من ان يساعده على معصيته ثم يهونها عليه وقد يعيش العبد أربعين سنة ثم يموت فتبقى ذنوبه بعده مائة سنة يعاقب عليها في قبره اذا كان قد سنها سننا واتبع عليها الى ان تندرس أو يموت من كان يعمل بها ثم تسقط عنه ويستريح منها ويقال أعظم الذنوب من ظلم من لا يعرفه ولم يره من المتقدمين مثل ان يتكلم فيمن سلف من أهل الدين وأئمة المتقين فهذه المعاني كلها تدخل على الذنب الواحد وهي أعظم منه ومن ذلك قوله تعالى ونكتب ما قدموا وآثارهم قيل سننهم التي عمل بها بعدهم وفي الخبر من سن سنة سيئة فعمل بها من بعده كان عليه مثل وزر من عمل بها لا ينقص من أوزارهم شيأ وكان ابن عباس رضي الله عنهما

السبيل سبيله ثم أماته فأقبره ثم اذا شاء أنشره وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما مصلاه فرأى ناسا كأنهم يكتشرون فقال أما انكم لو أكثرتم ذكر هادم اللذات لشغلكم عما أرى الموت فأكثروا ذكر هادم اللذات الموت فانه لم يأت على القبر يوم الا تكلم فيه يقول أنا بيت الغربة أنا بيت الوحدة أنا بيت التراب أنا بيت الدود والهوام فاذا دفن العبد المؤمن قال له القبر مرحبا وأهلا اما ان كنت لأحب من يمشي على ظهري الي فاذ وليتك اليوم وصرت الي فسترى صنيعي بك قال فيتسع له القبر مد بصره ويفتح له باب من الجنة واذا دفن العبد الفاجر أو الكافر يقول له القبر لا مرحبا ولا أهلا اما ان كنت لأبغض من يمشي على ظهري فاذ وليتك اليوم وصرت الي فسترى صنيعي بك قال ثم يلتئم عليه القبر حتى يلتقي وتختلف اضلاعه قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم باصابع يديه فشبكها ثم يقيض له تسعون تنينا أو قال تسعة وتسعون لو ان واحدا منها نفخ في الارض ما أنبتت شيأ ما بقيت الدنيا فتنهشه وتخدشه حتى يفضي به الى الحساب قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما القبر

قول العبد ليت كل شئ عملته مثل هذا فهذا كما قال بلال بن سعد لا تنظر الى صغر الخطيئة ولكن انظر الى من عصيت وقد حدثنا عن الله تعالى انه أوحى الى بعض أوليائه لا تنظر الى قلة الهدية وانظر الى عظمة مهديها ولا تنظر الى صغر الخطيئة وانظر الى كبرياء من واجهتهم بها فانما عظمت الذنوب عن تعظيم المواجه بها وكبرت فى القلوب لمشاهدة ذى الكبرياء ومخالفة أمره اليها فلم يصغر ذنب عند ذلك وكانت الصغائر عند الخائفين كبائر وهذا أحد الوجهين فى قوله تعالى ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب قيل الحرمات تعظم فى قلبه فلا ينتهكها ومن هذا قول الصحابة للتابعين انكم لتعملون أعمالا هى أدق فى أعينكم من الشعر كنا نعدها فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم من الموبقات ايسوا يعنون أن الكبائر التى كانت على عهد النبى صلى الله عليه وسلم صارت بعده صغائر ولكن كانوا يستعظمون الصغائر لعظمة الله تعالى فى قلوبهم لعظيم نور الايمان ولم يكن ذلك فى قلوب من بعدهم وأوحى الله تعالى الى بعض أوليائه كم من ذنب رأيته منك قد أهلكت بدونه أمة من الامم وقد روينا عن أبان بن اسمعيل عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم انه أهلك الله تعالى أمة من الامم كانوا يبعثون بذكورهم فاما نسيانه الذنوب وذكرها فقد اختلف قول العارفين فى ذلك فقال بعضهم حقيقة التوبة أن تنصب ذنبك بين عينيك وقال آخر حقيقة التوبة أن تنسى ذنبك وهذان طريقان لطائفتين وحالان لاهل مقامين فاما ذكر الذنوب فطريق المريدين وحال الخائفين يستخرج منهم تذكرها الحزن الدائم والخوف اللازم وأما نسيان الذنوب شغلا عنها بالاذكار وما يستقبل من مزيد الاعمال فطريق العارفين وحال المحبين ووجهة هؤلاء شهادة التوحيد وهى مقام فى التعرف ووجهة الاولين مشاهدة التوقيف والتحديد وهى مقام فى التعريف ففى أى المقامين أقيم عبد قام بشهادة وجهته وعمل بحكم حالته ومقام شهادة التوحيد أفضل عند العارفين من مقام مشاهدة التعريف وان كانت هذه أوسع وأكثر الانام فى أصحاب اليمين وفى عموم المقربين وشهادة التوحيد أضيق وأقل وأهلها أعلى وأفضل وهى فى المقربين وخصوص العارفين وقد يعترض المريد بقصة داود عليه السلام فى تذكره ونوحه على خطيئته فان الانبياء لا يقاس عليهم لمجاوزتهم حدود من دونهم وقد يقلبون فى أحوال المريدين ويسلك بهم سبيل المتعلمين وذلك لاجل الامة ليكون طريقا للعالمين واعلم انه لا يؤمن على ضعيف اليقين قوى النفس عند تذكر الذنوب نظر القلب اليها بشهوة أوميل نفس معها بحلاوة فيكون ذلك سبب فتنته فيفسد من حيث صلح كما لا يؤمن على معتاد خطيئة بالنظر الى سببها حركة النفس اليها وان كان الافضل الاتفاق معها مالم يكن الاتفاق معصية لمجاهدة النفس بالصبر عنها الا ان ذلك غرور وفيه خطر فترك الاجتماع وقطع الاسباب حينئذ أسلم وما كان أسلم للمريد فهو أفضل وفى نسيان الذنوب الذكر لما يستقبل والانكماش على ما يفوت من الوقت خوف فوت الثانى وقد كان بعض أهل المعرفة يكره للمريد أن يكون وسواسه الجنة أو ذكر ما فيها من النعيم واللباس والازواج وقال واستحب للمريد أن يكون وسواسه ذكر الله تعالى وخواطره وهممه متعلقة بالله تعالى لا سواه قال لان المريد حديث عهد بتوبة غير معتاد لطول الاستقامة والعصمة فاذا تذكر نعيم الجنة لم آمن عليه لضعف قلبه أن يشتهى مثله مما يشاهد فى الدنيا من اللباس والطيبات والنكاح لان هذا عاجل وذاك آجل فتطلب نفسه مثل ما تذكرت من نعيم الآخرة معجلا فى الدنيا إقال فاذا كان همه الله تعالى كان أبعد له من زينة الدنيا وشهواتها ولم يعتبر العد ويمثل ذلك له من العاجل الى أن يقوى يقينه وتنتقل عادته وتدوم عصمته وقد اختلف أهل العلم أيضا فى عبد ترك ذنبا وعمل فى الاستقامة ونفسه تنازعه اليه وهو يجاهدها وفى آخر ترك الذنب وانكمش فى الاصلاح فلم تكن نفسه تطالبه ولا تنازعه الى الذنب ولم يكن على قلبه منه ثقل ولا مجاهدة أى هذين أفضل فقال بعض علماء أهل الشام الذى تنازعه نفسه الى الذنب وهو يجاهدها أفضل لان عليه منازعة وله فضل مجاهدة ومال الى هذا القول أحمد بن أبى الحوارى وأصحاب أبى سليمان الدارانى

وقال

لا تلعبن بكم الدنيا كما لعبت بى جمعت المال من حله ومن غير حله ثم خلفته لغيرى فالمهناة له والتبعة على فاحذروا مثل ما حل بى فاجتهد أيها العبد فى صالح أعمالك ليسلم عمالك الذى هو رأس مالك فانه ان فاتك خلدت فى نار جهنم مع مالا يحصى من الحسرات والندم واشفق من كأس لابد أنت ذائقه وارحل عن عيش لابد أنت مفارقه يا ناسيا رحيله اعتبر بمن سبقك ولا تغتر بشبابك فان موت الاطفال والشبان أكثر من الشيوخ

وروى أن بعض المتعبدين أتى قبر صاحب له فانشد يقول شعر

مالى مررت على القبور مسلما
قبر الحبيب فلم يرد جوابى
أحبيب مالك لا تجيب مناديا
أمللت بعدى خلة الاحباب

فهتف هاتف من جانب القبر يقول شعر

قال الحبيب وكيف لى بجوابكم
وأنا رهين جنادل وتراب
أكل التراب محاسنى فنسيتكم
وحجبت عن أهلى وعن أحبابى

اللهم انا نعوذ بك من زوال نعمتك ومن تحول عافيتك ومن فجأة نقمتك وجميع سخطك

(فصل) فى القبر قال الله تعالى قتل الانسان ما أكفره من أى شئ خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم

النقص لمخالطتهم الآن المعصية معهم أشد وهي بهم أعظم لتعلق الظالم في أمر الدنيا وشأن الدين وكل من
قلت معارفه قلت معهم خطاياه وقال بعض السلف ليست اللعنة سوادا في الوجه ونقصا في المال انما اللعنة
ان لا تخرج من ذنب الا وقعت في مثله أو شر منه وذلك ان اللعنة هي الطرد والبعد فاذا طرد من الطاعة فلم تيسر
له بعد عن القربات فلم يوفق لها فقد لعن وقد قيل في معنى الخبر الذي رويناه آنفا ان العبد ليحرم الرزق
بالذنب يصيبه قيل ان يحرم الحلال ولا يوفق له بوقوعه في المعصية وقيل يحرم مجالسة العلماء ولا ينشرح قلبه
لصحبة أهل الخير وقيل يمقته الصالحون وأهل العلم بالله تعالى فيعرضون عنه وقيل يحرم العلم الذي لا صلاح للعمل
الا به لاجل اقامته على الجهل ولا تنكشف له الشبهات باقامته على الشهوات بل تلتبس عليه الامور فيتحير فيها
بغير عصمة من الله تعالى ولا يوفق للأصوب والأفضل وقد كان الفضيل يقول ما أنكرت من تغير الزمان وجفاء
الاخوان فذنوبك أورثتك ذلك ويقال نسيان القرآن بعد حفظه من أشد العقوبات والمنع من تلاوته وضيق
الصدر بقراءته والاشتغال عنه بضده عقوبة الاصرار وقال بعض صوفية أهل الشام نظرت الى غلام نصراني
حسن الوجه فوقفت انظر اليه فمر بي ابن الجلاء الدمشقي فأخذ بيدي فاستحييت منه فقلت يا أبا عبد الله
سبحان الله تعجبت من هذه الصورة الحسنة وهذه الصنعة المحكمة كيف خلقت للنار فغمز يدي وقال لتجدن
عقوبته بعد حين قال فعوقبت بعد ثلاثين سنة وقال بعضهم اني لأعرف عقوبة ذنبي في سوء خلق حماري
وقال آخر أعرف العقوبة حتى في فار بيتي وحدثونا عن منصور الفقيه قال رأيت أبا عبد الله السكري في
النوم فقلت ما فعل الله بك قال أوقفني بين يديه في العرق حتى سقط لحم خدي قلت ولم ذاك قال نظرت الى غلام
مقبلا ومدبرا والعقوبة بموضوعها الشدة والمشقة فعقوبة كل عبد من حيث يشتد عليه فأهل الدنيا يعاقبون
بحرمان رزق الدنيا من تعذر الاكتساب واتلاف الاموال وأهل الآخرة يعاقبون بحرمان رزق الآخرة
من قلة التوفيق للاعمال الصالحات وتعذر فتوح العلوم الصادقة ذلك تقدير العزيز العليم وكان أبو سليمان
الداراني يقول الاحتلام عقوبة وقال لا يفوت أحدا صلاة في جماعة الا بذنب يحدثه فدقائق العقوبات
على قدر ترافع الدرجات وقد جاء في الاخبار ما أنكرتم من زمانكم فبما غيرتم من أعمالكم وفي الخبر يقول
الله عز وجل ان أدنى ما أصنع بالعبد اذا آثر شهوته على طاعتي ان أحرمه لذيذ مناجاتي فهذه عقوبة أهل
المعاملات ولو ظهر تغير القلب عند المعصية على وجه العاصي لاسود وجهه ولكن الله تعالى ستر بحلمه وستره
فغطى ذلك في القلب مع تأثيره فيه وحجابه لصاحبه وقسوته عن الذكر وعن طلب الخير والبر والمسارعة
الى الخير وهو من أكبر العقوبات ويقال ان العبد اذا عصى أظلم قلبه ظلمة تثور على القلب منها دخان
يشهده الايمان فهو مكان حزن العبد الذي تسوءه سيئته ويكون ذلك الدخان حجابا له عن العلم والبيان كما
تحجب السحابة الشمس فلا ترى ويكون غلافا يجده في نفسه للخلق فاذا تاب العبد وأصلح انكشف الحجاب
فظهر الايمان فيأمر بالعلم كما تبرز الشمس من تحت الحجاب ومن هذا قوله تعالى كلا بل ران على قلوبهم
ما كانوا يكسبون قيل هو الذنب على الذنب حتى يسود القلب ويصير الايمان تحت الحجاب فلا يعرف
معروفا ولا ينكر منكرا وعندها ينكس أعلاه أسفله اذا استكمل سواده فيومئذ يرد على النفاق فأملس
فيه واطمأن به وثبت الى ان ينظر الله تعالى اليه فيعطف بفضله عليه وقد كان الحسن رضي الله عنه يقول
ان بين العبد وبين ربه عز وجل حدا من المعاصي معلوما اذا بلغه العبد طبع على قلبه فلم يوفقه بعدها للخير
وفي حديث ابن عمر الطابع معلق بقائمة العرش فاذا انتهكت الحرمات واستحلت المحارم أرسل الله تعالى
الطابع فطبع على القلوب بما فيها وفي حديث مجاهد القلب مثل الكف المفتوح فكلما أذنب ذنبا
انقبضت أصبع حتى تقبض الاصابع كلها فتشد على القلب فذلك هو القفل ويقال لكل ذنب نبات ينبت
على القلب فاذا كثرت الذنوب قام النبات حول القلب مثل الكم للثمرة فانضم على القلب فذلك هو الغلاف
ويقال انه الكنان احد الاكنة التي ذكر الله تعالى ان القلب لا يسمع معها ولا يفقه وقد حدثني بعض هذه

يشككني يقول آذنتني
منذ الساعة ثم قال انكم
لا تعلمون ونحن نعلم وتعملون
ولا نقدر على العمل ثم قال
الركعتان اللتان ركعتهما
خير من الدنيا وما فيها ثم
قال جزى الله أهل الدنيا
عنا خيرا أقرئهم السلام
فانه قد يدخل علينا من
دعائهم نور أمثال الجبال
وقال وجدت من الشعر
مكتوبا على قبر شعر

ان الحبيب من الاحباب مختلس
لا يمنع الموت بواب ولا حرس
وكيف تفرح بالدنيا ولذتها
يا من يعد عليه اللفظ والنفس
أصبحت يا غافلا في النقص منغمسا
وانت دهرك في اللذات منغمس
لا يرحم الموت ذا جهل لعزته *
ولا الذي كان منه العلم يقتبس
كم أخرس الموت في قبر وقفت به
عن الجواب لسانا ما به خرس
قد كان قصرك معمورا له شرف
وقبرك اليوم في الاجداث مندرس

اللهم ارزقنا حسن النظر
فيما يعنينا وجنبنا الغفلة
عن ما آتينا

(فصل) عن البراء بن
عازب رضي الله عنه قال
خرجنا مع النبي صلى الله
عليه وسلم في جنازة رجل
من الانصار فانتهينا الى القبر
ولما يلحد فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم وجلسنا

يقول ويل للعالم من الاتباع يزل زلة فيرجع عنها ويحملها الناس فيذهبون بها فى الآفاق وقال بعض أهل الادب مثل زلة العالم مثل انكسار السفينة تغرق ويغرق الخلق معها وفى الخبر الاسرائيلى ان عالما كان يضل الناس بالبدع ثم أدركته توبة فرجع الى الله تعالى وعمل فى الاصلاح دهرا فاوحى الله تعالى الى نبيهم قل له ان ذنبك لو كان فيما بينى وبينك لغفرته لك بالغا ما بلغ ولكن كيف بمن أضللت من عبادى فادخلتهم النار فاما استحلال المعصية أو احلالها للغير فليس من هذه الابواب فى شئ انما ذلك خروج عن الملة وتبديل للشريعة وهو الكفر بالله تعالى كما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم ما آمن بالقرآن من استحل محارمه وقد سمى الله تعالى عملة السوء جهالة فقال تعالى انه من عمل منكم سوأ بجهالة وقال تعالى بل أنتم قوم تجهلون وقال بل أنتم قوم مسرفون ويقال ان العرش يهتز ويغضب الرب تعالى لثلاثة أعمال لقتل النفس بغير نفس واتيان الذكر الذكر وركوب الانثى الانثى وفى خبر لو اغتسل اللوطى بالبحار لم يطهره الا التوبة ولو لم يكن فى يسير المعصية من الشؤم الا حرمان الطاعة وفقد حلاوة الخدمة ومقت المولى لكان هذا من أعظم العقوبات كما قال وهيب بن الورد وقد سئل هل يجد العاصى حلاوة الطاعة قال لا ولا من هم بمعصية ولذلك سمى الله تعالى يحيى سيدا لانه لم يهم بمعصية فصار علامة السيد بقدر سودد من لا يهم بالمعاصى فصار من لا يهم بالمعاصى سيدا وفى خبر من لبس ثوب شهرة وفى بعضها من نظر الى عطفيه فاختال أعرض الله تعالى عنه وان كان عنده حبيبا كيف وفى المخالفة وجود البعد والوحشة والانقطاع من المعاملة وروينا فى خبر ان آدم عليه السلام لما أكل من الشجرة تطايرت الحلل عن جسده وبدت عورته قال فاستحيا التاج والاكليل من وجهه ان يرتفعا عنه فجاءه جبريل عليه السلام فاخذ التاج عن رأسه وحل ميكائيل الاكليل عن جبينه ونوديا من فوق العرش اهبطا من جوارى فانه لا يجاورنى من عصانى فالتفت آدم الى حواء باكيا وقال هذا أول شؤم المعصية أخرجنا من جوار الحبيب وروينا ان سليمان نبى الله صلى الله عليه وسلم لما عوقب على خطيئته من أجل التمثال الذى عبد فى داره أربعين يوما وقيل ان المرأة سألته ان يحكم لابيها على خصمه فقال نعم ولم يفعل وقيل بل أحب بقلبه ان يكون الحكم لابيها على خصمه لمكانها فسلب ملكه أربعين يوما فهرب تائها على وجهه وكان يسأل بكفه فلا يطعم فاذا قال اطعمونى فانى سليمان بن داود شج وضرب ولقد بلغنى انه استطعم من بيت فطرد وبزقت امرأة فى وجهه وفى رواية قال فاخرجت اليه عجوز جرة فيها بول فصبته على رأسه الى ان خرج له الخاتم من بطن الحوت فلبسه بعد انقضاء الاربعين وهى أيام العقوبة قال فجاءت الطير فعكفت عليه وجاءت الجن والشياطين والوحوش فاجتمعت حوله فلما عرفه الصادون عثروا بين يديه واعتذروا اليه مما كانوا طردوه وشجوه فقال لا ألومكم فيما صنعتم قبل ولا أحمدكم فيما تصنعون الآن هذا أمر من السماء فلا بد منه ولقد بلغنى انه كان فى مسيره والريح تحمله فى جنوده اذ نظر الى قميصه نظرة وكان عليه قميص جديد فكأنه أعجبه فوضعته الريح بالارض فقال لها لم فعلت ولم آمرك قالت انما اطيعك اذا اطعت الله تعالى وقد قال بعض العلماء فى معنى هذا من خاف الله تعالى خافه كل شئ ومن خاف غير الله تعالى أخافه الله تعالى من كل شئ فكذلك أيضا من أطاع الله تعالى سخر له كل شئ ومن عصاه سخره لكل شئ أو سلط عليه كل شئ ولو لم يكن فى الاصرار على المعصية من الشؤم الا ان كل ما يصيب العبد يكون له عقوبة ان كان سعة فبذلك ولم يأمن بها الاستدراج وان كان ضيقا كان عقوبة له وفى الخبر ان العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه وقد قيل الرزق من الحرام من قلة التوفيق للاعمال الصالحة وكان ابن مسعود رضى الله عنه يقول انى لاحسب ان العبد ينسى العلم بالذنب يصيبه ولو لم يكن من بركة التوبة والعلم والاستقامة على الطاعة الا ان كل ما يصيب العبد فهو خير له ان كان سعة فهو رفق من الله تعالى به عليه ولطف له منه وان كان ضيقا فهو اختبار من الله تعالى وخيرة للعبد ويجد حلاوة ذلك ولذته لانه فى سبيله وقد أصابه وهو مقيم على طاعته ولو لم يكن من شؤم الناس وجد

روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار
عن هانئ مولى عثمان بن عفان كان عثمان اذا وقف على القبر بكى حتى يبل لحيته فقيل له تذكر الجنة والنار فلا تبكى وتذكر القبر فتبكى فقال انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول القبر أول منزل من منازل الآخرة فان نجا منه فما بعده أيسر منه وان لم ينج منه فما بعده أشد منه وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما رأيت منظرا قط الا والقبر أفظع منه وكان ينشد

شعر

فان تنج منها تنج من ذى عظيمة
والا فانى لا أخالك ناجيا

عن عبد الله بن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الميت فى القبر الا كالغريق المتغوث ينتظر دعوة تلحقه من أب أو أم أو أخ أو صديق فاذا لحقته كانت أحب اليه من الدنيا وما فيها وان الله تعالى ليدخل على أهل القبور من دعاء أهل الارض أمثال الجبال وان هدية الاحياء الى الاموات الاستغفار لهم وفى الاحياء قال أبو قلابة أقبلت من الشام الى البصرة فنزلت الخندق فتطهرت وصليت ركعتين بليل ثم وضعت رأسى على قبر فنمت ثم انتبهت فاذا صاحب القبر

السلام لما دخل على يوسف عليه السلام فى السجن قال له كيف تركت الشيخ الكئيب قال قد حزن عليك حزن مائة ثكلى قال فما ذا له عند الله تعالى قال أجر مائة شهيد وفى خبر روينا عن السلف ما من عبد يعصى الا استأذن مكانه من الارض ان يخسف به واستأذن سقفه من السماء أن يسقط عليه كسفا فيقول الله عز وجل للارض والسماء كفا عن عبدى وامهلاه فانكما لم تخلقاه ولو خلقتماه لرحمتماه لعله يتوب الى فاغفر له لعله يستبدل صالحا فأبدله حسنات فذلك معنى قوله تعالى ان الله يمسك السموات والارض أن تزولا أى من معاصى العباد ولئن زالتا ان أمسكهما من أحد من بعده انه كان حليما أى عن معاصيهم غفورا لمساويهم وقيل فى تفسير ذلك ان الله عز وجل اذا نظر الى معاصى العباد غضب فترجف الارض وتضطرب السماء فتنزل ملائكة السماء فتمسك أطراف الارضين وتصعد ملائكة الارضين فتمسك على أطراف السموات ولا يزالون يقرؤن قل هو الله أحد حتى يسكن غضبه سبحانه وتعالى فذلك قوله تعالى ان الله يمسك السموات الآية وقال بعض العلماء اذا ضرب الناقوس فى الارض ودعى بدعوة الجاهلية اشتد غضب الرب سبحانه وتعالى فاذا نظر الى صبيان المكاتب ورأى عمار المساجد وقيل اذا نظر الى المتحابين فى الله أو المتزاورين له وسمع أصوات المؤذنين حلم وغفر فذلك قوله تعالى انه كان حليما غفورا فاذا اتبع العبد الذنب بالذنب ولم يجعل بين الذنبين توبة خيف عليه الهلكة لان هذا حال المصر ولانه قد شرد عن مولاه بترك رجوعه اليه ودوام مقامه مع النفس على هواه وهذا مقام المقت فى البعد وأفضل ما يعمله العبد قطع شهوات النفس أحلى ما يكون عنده الهوى اذ ليس لشهواتها آخر ينتظر كما ليس لبدايتها أول يرتسم فان لم يقطع ذلك لم يكن له نهاية فان شغل بما يستأنف من مزيد الطاعة وجد حلاوة العبادة والا أخذ نفسه بالصبر والمجاهدة فهذا طريق الصادقين من المريدين وقيل فى قوله تعالى استعينوا بالله واصبروا أى استعينوا به على الطاعة واصبروا على المجاهدة فى المعصية وقال على كرم الله وجهه أعمال البر كلها الى جنب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر كتفلة الى جنب البحر والامر بالمعروف والنهى عن المنكر الى جنب الجهاد فى سبيل الله تعالى كتفلة فى جنب بحر والجهاد فى سبيل الله تعالى الى مجاهدة النفس عن هواها فى اجتناب النهى كتفلة فى جنب بحر لجى وعلى هذا معنى الخبر الوارد رجعتم من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر مجاهدة النفس وكان سهل بن عبد الله يقول الصبر تصديق الصدق وأفضل منازل الطاعة صبر على معصية ثم الصبر على الطاعة وقد روينا فى الاسرائيليات ان رجلا تزوج امرأة فى بلدة وأرسل عبده يحملها اليه فراودته نفسه وطالبته بها فجاهدها واستعصم بالله قال فنبأه الله تعالى وكان نبيا فى بنى اسرائيل وفى بعض قصص موسى عليه السلام انه قال للخضر عليه السلام بأى شىء أطلعك الله تعالى على علم الغيب فقال بترك المعاصى لاجل الله تعالى فالجزاء من الله تعالى يجعله غاية العطاء لا على قدر العمل لكن اذا عمل له عبد شيأ لاجله أعطاه أجره بغير حساب ثم انه لا يقطع التائب عادة من ذنب فيتعذر بها توبته فان العادة جند من جنود الله تعالى لولاها لكان الناس كلهم تائبين ولولا الابتلاء لكان التائبون مستقيمين ثم ان يعمل فى قطع معتادات كان ثم ليصبر على مجاهدة النفس فى هوى ان بلى به فهذا الحال من أفضل أعمال المريدين وأزكاها وعمادها تلهم النفس المطمئنة رشدها وتقواها ثم تخرج من وصف الامارة بالسوء الى وصف المطمئنة الى أخلاق الايمان وهذا أحد المعانى فى الخبر الذى روى أفضل الاعمال ما أكرهتم عليه النفوس لان النفس تكره خلاف الهوى والهوى هو ضد الحق والله تعالى يحب الحق فصار جبار النفس على خلاف الهوى وعلى وفاق الحق لان محبة الحق من أفضل الاعمال كما قال تعالى والوزن يومئذ الحق الآية واستثنى من أهل الخسر الذين تواصوا بالحق وتواصوا بالصبر وهذا أول اليقين وحدثت عن بعض أهل الاعتبار انه كان يمشى فى الوحل فكان يتقى ويشمر ثيابه عن ساقيه ويمشى فى جوانب الطريق الى ان زلقت رجله فى الوحل فادخل رجليه فى وسط الوحل وجعل يمشى فى المحجة قال فبكى فقيل له

عبدى فى عليين وأعيدوه الى الارض فانى منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى قال فتعاد روحه فى جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول ربى الله فيقولان له ما دينك فيقول دينى الاسلام فيقولان له ما هذا الرجل الذى بعث فيكم فيقول هو رسول الله فيقولان له ما علمك فيقول قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت فينادى مناد من السماء ان صدق عبدى فافرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة افتحوا له بابا الى الجنة قال فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له فى قبره مد بصره قال ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول أبشر بالذى يسرك هذا يومك الذى كنت توعد فيقول له من أنت فوجهك الوجه الذى يجىء بالخير فيقول انا عملك الصالح فيقول رب أقم الساعة حتى أرجع الى أهلى ومالى وقال ان العبد الكافر اذا كان فى انقطاع من الدنيا واقبال من الآخرة نزل اليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح فيجلسون منه مد البصر ثم يجىء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول أيتها النفس الخبيثة اخرجى الى سخط من الله قال فتفرق فى جسده

لطائفة عن أبي عمرو بن علوان في قصة تطول قال فيها فكنت قائماً أصلي ذات يوم فخامر قلبي هوى طاولته بفكري حتى تولد منه شهوة الرجل قال فوقعت الى الارض واسود جسدي كله فاستترت في البيت ثلاثة أيام فلم أخرج وقد كنت أعالج غسله في الحمام بالصابون والالوان الغاسلة فلا يزداد الاسوادا قال ثم انكشف عني بعد ثلاث فرجعت الى لوني البياض قال فلقيت أبا القاسم الجنيد رحمه الله وكان وجه الي فأشخصني من الرقة فلما أتيته قال لي أما استحييت من الله تعالى كنت قائماً بين يديه فسامرت نفسك شهوة حتى استولت عليك برقة فأخرجتك من بين يدي الله تعالى لولا اني دعوت الله عز وجل لك وتبت اليه عنك للقيت الله تعالى بذلك اللون قال فعجبت كيف علم بذلك وهو ببغداد وأنا بالرقة ولم يطلع عليه الا الله عز وجل فذكرت هذه الحكايات لبعض العلماء فقال كان هذا رفقاً من الله تعالى به وتبصيرة له اذلم يسود قلبه وظهر السواد على جسده ولو بطن في قلبه لاهلكه ثم قال ما من ذنب يرتكبه العبد يصر عليه الا اسود القلب منه مثل سواد الجسم الذي ذكره لا يجلوه الا التوبة ولكن ليس كل عبد يصنع له صنع ابن علوان ولا يجد من يلطف له به مثل أبي القاسم الجنيد رحمه الله ولكل ذنب عقوبة الا ان يعفو الله والعقوبة ليست على قدر الذنب ولا من حيث يعلم العبد لكنها على تقدير المشيئة وعن سابق علم الربوبية فربما كانت في قلب وهي من أمراض القلوب وربما كانت في الجسد وقد تكون في الاموال والاهل وتكون في سقوط الجاه والمنزلة من عيون علماء الاسلام والمؤمنين وقد تكون مؤجلة في الآخرة وهذه أعظم العقوبات وهي لاهل الكبائر من الموبقات الذين ماتوا عن غير توبة ولاهل الاصرار والعزة والاستكبار لانها اذا كانت في الدنيا كانت يسيرة على قدر الدنيا واذا تأخرت كانت عظيمة على قدر الآخرة وفي الخبر اذا أراد الله تعالى بعبد خيراً عجل له عقوبة ذنبه واذا أراد به شراً أخره حتى يوافي به الآخرة واعلم أن الغم على ما يفوت من الدنيا والهم بالحرص عليها من العقوبات والفرح والسرور بما نال من الدنيا مع ما لا يبالي ما خرج من دينه من العقوبات وقد يكون دوام العوافي واتساع الغنى من عقوبات الذنوب اذا كانا سببين الى المعاصي وقد تكون عقوبة الذنب ذنباً مثله أو أعظم منه كما يكون مثوبة الطاعة طاعة مثلها أو أفضل منها وفي أحد الوجوه من معنى قوله تعالى وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون قال الغنى والعافية كما يكون الفقر والسقم رحمة من الله تعالى اذا كانا سببا للعصمة وهما أمهات المعاصي اذا كانا سببين لها ومطرقين اليها واعلم أن الحلم لا يرفع العقوبة ولكن يؤخرها ومن شأن الحليم أن لا يعجل بالعقوبة وقد يعاقب بعد حين وروينا في معنى قوله تعالى فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء أي الرخص والرغد حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة قيل بعد ستين سنة وفي الخبر من الذنوب ذنوب لا يكفرها الا الهم بطلب المعيشة وفي لفظ آخر لا يكفرها الا الهموم والاحزان والاهتمام بالمباحات من حاجات الدنيا للفقراء كفارات وهو على ما يفوت من قربات الآخرة للمؤمنين درجات وهو على حب الدنيا والجمع منها والحرص عقوبات وقال بعض السلف كفى به ذنباً لا يستغفر منه حب الدنيا وقال آخر لو لم يكن للعبد من الذنوب الا أنه يقيم بمصائب الدنيا بما لا يقيم بما لا يفوته فيها من نصيب الآخرة والتزود لها وفي حديث عائشة رضي الله عنها اذا كثرت ذنوب العبد ولم يكن له من الاعمال ما يكفرها أدخل الله عز وجل عليه الغموم والهموم فتكون كفارة لذنوبه ويقال ان الهم الذي يعرض للقلب في وقت لا يعرف العبد سببه ذلك فهو كفارات الهم بالخطايا ويقال هو حزن العقل عند تذكره الوقوف والمحاسبة لاجل جنايات الجسد فيلزم العقل ذلك الهم فيظهر على العبد منه كأنه لا يعرف سبب غمه ومن أخبار يعقوب عليه السلام ان الله تعالى أوحى اليه لولا ما سبق لك في علمي من عنايتي بك لجعلت نفسي عندك أبخل الباخلين لكثرة ترددك الي بطول سؤالك لي وتأخيري اجابتك ولكن من عنايتي بك ان جعلت نفسي في قلبك اني أرحم الراحمين وأحكم الحاكمين وقد سبق لك عندي منزلة لم تكن تنالها بشيء من عملك الا بحزنك على يوسف فأردت أن أبلغك تلك المنزلة وكذلك ما روينا ان جبريل عليه

السلام

بقوله كان على رؤسنا الطير وفي يده عود ينكت به في الارض فرفع رأسه فقال استعيذوا بالله من عذاب القبر مرتين أو ثلاثا ثم قال العبد المؤمن اذا كان في انقطاع من الدنيا واقبال من الآخرة نزل اليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول أيتها النفس الطيبة اخرجي الى مغفرة من الله ورضوان قال فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من السقاء فيأخذها فاذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الارض قال فيصعدون بها فلا يمرون يعني بها على ملا من الملائكة الا قالوا ما هذا الروح الطيب فيقولون فلان بن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا حتى ينتهوا بها الى السماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح لهم فيشيعه من كل سماء مقربوها الى السماء التي تليها حتى ينتهى به الى السماء السابعة فيقول الله عز وجل اكتبوا كتاب

عليه وسلم التائب حبيب الله وسئل أبو محمد سهل متى يكون العبد التائب حبيب الله تعالى فقال حتى يكون كما قال الله تعالى التائبون العابدون الآية ثم قال الحبيب لا يدخل في شئ لا يحبه الحبيب وقال لا تصح التوبة حتى يتوب من الحسنات وقد قال غيره من العارفين العامة يتوبون من سيئاتهم والصوفية يتوبون من حسناتهم يعني من تقصيرهم في أدائهم العظيم ما يشهدون من حق الملك العزيز سبحانه وتعالى المقابل بها ومن نظرهم اليها أو نظرهم الى نفوسهم بها وهي منة الله تعالى اليهم واصلة وكان سهل يقول التوبة من أفضل الاعمال لان الاعمال لا تصح الا بها ولا تصح التوبة الا بترك كثير من الحلال مخافة أن يخرجهم الى غيره والاستغفار قوت التوابين ومفزع الخطائين قال الله تعالى وهو أصدق القائلين استغفروا ربكم ثم توبوا اليه وقال تعالى افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه فابتدئ التوبة بالاستغفار وعقب الاستغفار بالتوبة فالاستغفار مع الذنب سؤال الستر من الله تعالى ومغفرة الله تعالى لعبده في حال ذنبه ستره عليه وحلمه عنه ويقال ما من ذنب ستره الله تعالى على عبده في الدنيا الا غفره له في الآخرة ان الله تعالى أكرم من أن يكشف ذنبا كان قد ستره وما من ذنب كشفه الله في الدنيا الا جعل ذلك عقوبة عبده في الآخرة فالله أكرم من أن يثني عقوبته على عبده وروى عن علي وابن عباس رضي الله عنهما نحو ذلك وقد أسنداه من طريق الاستغفار بعد التوبة وهو سؤال العبد مولاه العفو عن المؤاخذة ومغفرة الله تعالى لعبده بعد التوبة تكفيره لسيآته وتجاوزه عنها بالعفو الكريم وهو تبديل السيآت حسنات كما جاء في الخبران تفسير قول العبد يا كريم العفو قال هو ان عفا برحمته عن السيآت ثم بدلها بكرمه حسنات وقد أحكم الله تعالى ذلك بقوله فاستقيموا اليه واستغفروه بعد قوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا أي وحدوا الله تعالى ثم استقاموا على التوحيد فلم يشركوا وقيل استقاموا على السنة فلم يحدثوا وقيل استقاموا على التوبة فلم يروغوا معها أن لا تخافوا عقاب الذنوب فقد كفرها عنكم بالتوحيد ولا تحزنوا على ما فاتكم من الاعمال فقد تداركها الله تعالى لكم بالتوبة وبلغكم منازل المحسنين بالاستقامة ثم قال تعالى وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون في السابق نحن أولياؤكم أي نليكم ونقرب منكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة بالتثبيت لكم على الايمان ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم أي اجسامكم من النعيم المقيم ولكم فيها ما تدعون أي ما تمنون بقلوبكم من النظر الى الملك الرحيم وفي الخبر التائب من الذنب كمن لا ذنب له والمستغفر من الذنب وهو مصر عليه كالمستهزئ بآيات الله تعالى وكان بعضهم يقول أستغفر الله من قولي أستغفر الله باللسان عن غير توبة وندم بالقلب وفي خبر الاستغفار باللسان من غير توبة وندم بالقلب توبة الكذابين وكانت رابعة تقول استغفارنا هذا يحتاج الى استغفار فكم من توبة تحتاج الى توبة في تصحيحها والاخلاص من النظر اليها والسكون والادلال بها فمن عقب السيئات بحسنات وخلط الصالحات بالطالحات طمع له في النجاة ورجى له الاستقامة قبل الوفاة قال الله تعالى خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم أي يعطف عليهم وينظر اليهم وقيل خلطوا عملا صالحا هو الاعتراف بالذنوب والتوبة المستأنفة وآخر سيئا ما سلف من الغفلة والجهالة وقد كان ابن عباس يقول غفور لمن تاب رحيم حيث رخص في التوبة وقد قال الله تعالى واني لغفار لمن تاب أي من الشرك وآمن بالتوحيد وعمل صالحا أدى الفرائض واجتنب المحارم ثم اهتدى كان على السنة وقيل استقام على التوبة فهذه صفات المؤمنين فلم يرد الله تعالى المخاصمين الى ما رد اليه المنافقين وهو التوبة وكذلك رد اليها المشركين اذ لا طريق للكل الا منها ولا وصول الى المحبة والرضا الا بها وقال تعالى في وصف المنافقين وآخرون مرجون لامر الله اما يعذبهم أي مع الاصرار واما يتوب عليهم أي بالاستغفار وأحكم ذلك وفصله بما شرطه كما قال في شأن الكافرين فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم وقد قرن الله تعالى الاستغفار للعبادة ببقاء الرسول صلى الله عليه وسلم في الامة ورفع العذاب عنهم بوجوده فضلا منه ونعمة وقال تعالى وما كان

وهم ومهاوي ضيق عليه قبره حتى تختلف فيه اضلاعه ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح فيقول أبشر بالذي يسوءك هذا يومك الذي كنت توعد فيقول من أنت فوجهك الوجه الذي يجيء بالشر فيقول أنا عملك الخبيث فيقول رب لا تقم الساعة وفي رواية أبي داود وغيره ثم يقيض له يعني للكافر أعمى أصم ومعه مرزبة من حديد لو ضرب بها الجبال لصارت ترابا فيضربه بها ضربة يسمعها ما بين المشرق والمغرب الا الثقلين فيصير ترابا ثم يعاد فيه الروح وقال عمر بن عبد العزيز لبعض جلسائه يا فلان لقد أرقت الليلة أتفكر في القبور وساكنيها انك لو رأيت الميت بعد ثلاثة في قبره لاستوحشت من قربه بعد طول الانس منك به ولو رأيت بيتا تجول فيه الهوام ويجري فيه الصديد وتخترقه الديدان مع تغير الريح وبلى الاكفان بعد حسن الهيئة وطيب الريح ونقاء الثوب ثم شهق شهقة خر مغشيا عليه وكما ... وجد على ... ... وباشعر أساي الاهل بعد التربة وانصرفوا عني فيا وحشتا وبادروا بعد ما باتتنا ما يبدو اليوم الا البكا وكل ما كان كأن لم يكن وكل ما حذرته قد أتى

ما يكد يلمذاقة لهذا مثل العبد لا يزال يتوقى الذنوب ويجانبها حتى يقع في ذنب منها وذنبين فعندها يخوض الذنوب خوضا وعلى العبد أن يتوب من الغفلة التي هي كائنة فاذا عرف هذا لم تنقطع أبدا توبته وقد جعل الله تعالى أهل الغفلة في الدنيا هم أهل الخسران في العقبى فقال عز من قائل وأولئك هم الغافلون لا جرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون ولكن غفلة دون غفلة وخسران دون خسران ولا تستحقرن الغفلة فانها أوّل المعاصي وهي عند الموقنين أصل الكبائر وقد جعل علي كرم الله وجهه الغفلة احدى مقامات الكفر وقرنها بالعمى والشك وأمال صاحبها عن الرشد ووصفها بالحسرة فقال في الحديث الذي يروى من طريق أهل البيت فقام عمار بن ياسر فقال يا أمير المؤمنين أخبرنا عن الكفر على ما بني فقال على أربع دعائم على الجفاء والعمى والغفلة والشك فمن جفا احتقر الحق وجهر بالباطل ومقت العلماء ومن عمي نسي الذكر ومن غفل حاد عن الرشد وغرته الاماني فأخذته الحسرة والندامة وبدا له من الله ما لم يكن يحتسب ومن شك تاه في الضلالة وقال بعض العلماء من صدق في ترك شهوة وجاهد نفسه لله تعالى سبع مرات لم يبتل بها وقال آخر من تاب عن ذنب واستقام سبع سنين لم يرجع اليه أبدا وقال بعض العلماء كفارة الذنب المعتاد أن تقدر عليه عندما تأتيه ثم لا تقع فيه فيكون كل ترك كفارة الفعل وهذا حال الاقوياء من التوابين وليس هو طريق الضعفاء من المريدين بل حال الضعفاء الهرب والبعد ومن حدث نفسه بمعصية في عدمها لم يملك نفسه عند وجودها فليعمل المريد في قطع وساوس النفس بالخطايا والا وقع فيها لان الخواطر تقوى فتكون وسوسة فاذا كثرت الوساوس صارت طرقا للعدو بالتزيين والتسويل فاضر شيء على التائب تمكينه خاطر السوء من قلبه بالاصغاء اليه فانه يدب في هلكته وكل سبب يدعو الى معصية أو يذكر بمعصية فهو معصية وكل سبب يؤل الى ذنب ويؤدي اليه فهو ذنب وان كان مباحا وقطعه طاعة وهذا من دقائق الاعمال وكان يقال من أتى عليه أربعون وهو العمر وكان مقيما على الذنب لم يكد يتب منه الا القليل من المتداركين وقد روي في الخبر المؤمن كل مفتن تواب وان للمؤمن ذنبا قد اعتاده الفينة بعد الفينة يعني حينا بعد حين وفي الحديث كل بني آدم خطاء وخير الخطائين المستغفرون وفي الخبر الآخر المؤمن واه راقع فخيرهم من مات على رقعه أي واه بالذنوب راقع بالتوبة والاستغفار وقد وصف الله تعالى المؤمنين بترك متابعة الذنوب وترادف السيئة بالحسنة في قوله تعالى ويدرؤن بالحسنة السيئة وقد جعل هذا من وصف العاملين الذين صبروا فقال تعالى أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤن بالحسنة السيئة فجعل تعالى لهم صبرين عن الذنب وعلى التوبة فآتاهم به أجرين وقد اشترط الله تعالى على التائبين من المؤمنين ثلاث شرائط وشرط على التائبين من المنافقين أربعة لانهم اعتلوا بالخلق في الاعمال فاشركوهم بالخالق في الاخلاص فزاد عليهم الشرط تشديدا لشدة دخولهم في المقت واعتل غيرهم بوصفه فخفف عنهم شرطين فقال عز وجل الا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فقوله تعالى تابوا أي رجعوا الى الحق من أهوائهم وأصلحوا يعني ما أفسدوا بنفوسهم وبينوا فيها وجهان أحدهما بينوا ما كانوا كتموا من الحق وأخفوا من حقيقة العلم وهذا لمن عصى بكتم العلم ولبس الحق بالباطل وقيل بينوا توبتهم حتى تبين ذلك فيهم فظهرت أحكام التوبة عليهم وقال في الشرطين الآخرين المنافقين في الدرك الاسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا الا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله لانهم كانوا يعتصمون بالناس وبالاموال وكانوا يراؤن بالاعمال فلذلك اشترط عليهم الاعتصام بالله والاخلاص لله عز وجل فينبغي أن تكون توبة كل عبد عن ضد معاصيه قليلا بقليل أو كثيرا بكثير ويكون التائب على ضد ما كان أفسد ليكون كما قال الله تعالى انا لا نضيع أجر المصلحين ولا يكون العبد تائبا حتى يكون مصلحا ولا يكون مصلحا حتى يعمل الصالحات ثم يدخل في الصالحين وقد قال الله تعالى وهو يتولى الصالحين وهذا وصف للتواب وهو المتحقق بالتوبة والحبيب لله تعالى كما قال تعالى ان الله يحب التوابين أي يتولى الراجعين اليه من أهوائهم المتطهرين له من المكاره وكما قال رسول الله صلى الله

عليه

فينتزعها كما ينزع السفود من الصوف المبلول فيأخذها فاذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح ويخرج منها كانتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة الا قالوا ما هذا الروح الخبيث فيقولون فلان بن فلان باقبح اسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا حتى ينتهى به الى السماء الدنيا فيستفتح له فلا يفتح له ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط فيقول الله عز وجل اكتبوا كتابه في سجين في الارض السفلى فتطرح روحه طرحا ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول هاه هاه لا أدري فيقولان له ما دينك فيقول هاه هاه لا أدري فيقولان له ما هذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول هاه هاه لا أدري فينادي مناد من السماء ان كذب فأفرشوه من النار وافتحوا لها بابا الى النار فيأتيه من حرها

تسليط الربوبية بوسطها وكبرها فيكون هذا الخوف مثوبة لله لما فزع من ظلم نفسه الى ما لا يمكن ذكره ولا
يعرف نشره من ذنوب المقربين التي هي صالحات أصحاب اليمين لفقد مشاهدتها والجهل بمعرفة مقاماتها
عند العموم فيكون حال هذا المقرب الاشفاق من البعد في كل طرفة ونفس الى وقت اللقاء والخوف من
الاعراض والحجب في كل حركة وهم في هذه الدار الى دار البقاء وقد روينا في خبر غريب ان الله عز وجل
أوحى الى يعقوب عليه السلام أتدري لم فرقت بينك وبين يوسف قال لا قال لقولك لاخوته اني أخاف أن
يأكله الذئب لم خفت عليه الذئب ولم ترجني له ولم نظرت الى غفلة اخوته ولم تنظر الى حفظي له فهذا معنى قول
يوسف للساقي اذكرني عند ربك قال الله تعالى فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين فهذا
مما يعتب على الخصوص من خفي سكونهم ولمح نظرهم الى ما سوى الله تعالى وانما حرم بعض التابعين ذلك المزيد
ولم يجدوا حلاوة التوبة لتهاونهم بحال الرعاية وتسامحهم بترك حسن القيام بشاهد المراقبة وذلك يكون من
قلة احكام أمر التوبة ولو قاموا بحكم التوبة من الذنب الواحد وأحكموا حال تواب من الصادقين في التوبة
لم يعدموا من الله تعالى المزيد لانهم محسنون فهم في تجديد قال الله تعالى سنزيد المحسنين فاذا رأيت مستقيما
على التوبة عاملا بالصالحات ولم تجد له على مزيد من مبرات تجد حلاوة أو حسن خليقة أو عروض زهد أو
خاصية معروفة فارجع الى باب المراقبة أو موقف الرعاية فتفقدهما واحكم حالهما فمن قبلهما أتيت وقال
بعض العلماء من تاب من تسعة وتسعين ذنبا ولم يتب من ذنب واحد لم يكن عندنا من التائبين ولا تغفلن
عن التفقد وتجديد التوبة أدبار الصلوات فانما دخل الخسران على العمال من حيث لا يعلمون من تركهم
التفقد ومحاسبة النفس ومسامحتهم بما يعملون واعلم أن حقيقة كل ذنب عشرة أعمال لا يكون العبد
توابا يحبه الله تعالى ولا تكون توبته نصوحا التي شرطها الله تعالى وفسرتها النبوة الا أن يحكم العبد عشر
توبات من كل ذنب أولها ترك العود الى فعل الذنب ثم يتوب من القول به ثم يتوب من الاستماع مع سبب
الذنب ثم التوبة من السعي في مثله ثم التوبة من النظر اليه ثم التوبة من الاستماع الى القائلين به ثم التوبة
من الهمة ثم التوبة من التقصير في حق التوبة ثم التوبة من ان لا يكون أراد وجه الله تعالى خالصا بجميع
ما تركه لاجله ثم التوبة من النظر الى التوبة والسكون اليها والادلال بها ثم يشهد بعد ذلك تقصيره عن
القيام بحق الربوبية لعظيم ما يشهد بالمزيد من الاشراف على التوحيد من كبير جلال الله تعالى وعظم
كبريائه فتكون توبته بعد ذلك من تقصيره عن القيام بحقيقة مشاهدته ويكون استغفاره لما ضعف قلبه
ونقص همه عن معاينة مشاهدة علوه ومقامه ودوام مزيده واعلامه ولا نهاية لتوبة العارف ولا الغاية وصفه
لما هو عليه كما كشف ولا وصف يحتمل ذكر دقيق بلائه ولا يكبر عن التوبة نبي فمن دونه ولكل مقام توبة
ولكل حال من مقام توبة ولكل مشاهدة ومكاشفة توبة فهذا حال التائب المنيب الذي هو من الله تعالى مقرب
وعنده حبيب وهذا مقام مفتن تواب أي مختبر بالاشياء مبتلى بها تواب الى الله تعالى منها بالنظر مولاه أي ينظر
بقلبه اليه أو اليها أو يعتكف بهمته عليه أو عليها أو يطمئن اليه بوجودها أو اليها أو يطلب اياه بها أو
اياها فعليه لكل مشاهدة لسواه ذنب وعليه في كل سكون الى سواه عتب كاله في كل شهادة علم ومن كل اظهار
في السكون حكم بذنوبه لا تحصى وتوباته الى الله تعالى لا تستقصى فهذه حقيقة التوبة النصوح وصاحبها
مسلم وجهه لله تعالى محسن من نفسه مستريح ودينه عند الله تعالى مستقيم ومقامه وحاله من الله تعالى سليم
وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب كل مفتن تواب واعلم أن الذنوب على سبعة ضروب بعضها
أعظم من بعض كل ضرب منها مراتب في كل مرتبة من المذنبين طبقة منها معاص يعتل بها العبد من معاني
صفات الربوبية مثل الكبر والفخر والجبرية وحب الحمد والمدح ووصف العز والغنى فهذه مهلكات وفيها من
العموم طبقات ومعاص تكون من معاني أخلاق الشياطين مثل الحسد والبغي والحيلة والخداع والامر
بالفساد فهذه موبقة وفيها من أهل الدنيا طبقات ومعاص تكون من ضد السنة وهو ما خالفها الى بدعة

فأتينا على رجل مستلق
لقفاه واذا آخر قائم عليه
بكلوب من حديد واذا هو
يأتي احدى شقي وجهه
فيشرشر شدقه الى قفاه ومنخره
الى قفاه وعينه الى قفاه
ثم يتحول الى الجانب
الآخر فيفعل به مثل ما فعل
بالجانب الاول فما يفرغ
من ذلك الجانب حتى يصح
ذلك الجانب كما كان ثم
يعود عليه فيفعل مثل
ما فعل في المرة الاولى قال
قلت سبحان الله ما هذان
قالا لي انطلق انطلق
فانطلقنا فأتينا على مثل
التنور فأحسب انه قال فاذا
فيه لغط وأصوات فاطلعنا
فيه فاذا فيه رجال ونساء
عراة واذا هم يأتيهم لهب
من أسفل منهم فاذا أتاهم
ذلك اللهب ضوضوا قلت
ما هؤلاء قالا لي انطلق انطلق
فانطلقنا فأتينا على نهر
حسبت انه كان يقول
أحمر مثل الدم واذا
في النهر رجل سابح
يسبح واذا على شط النهر
رجل قد جمع عنده حجارة
كثيرة واذا ذلك السابح
يسبح ما يسبح ثم يأتي ذلك
الرجل الذي قد جمع عنده
الحجارة فيفغر له فاه فيلقمه
حجرا فينطلق يسبح ثم يرجع
اليه كلما رجع اليه فغر له فاه
فألقمه حجرا قلت لهما
ما هذان قالا لي انطلق
انطلق فانطلقنا فأتينا على
رجل كريه المرآة أو
كأكره ما أنت راء رجلا مرآة

الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون وكان بعض السلف يقول كان لنا أمانان ذهب
أحدهما وبقي الآخر فإن ذهب الآخر هلكنا يعني الذي ذهب الرسول صلى الله عليه وسلم والذي بقي الاستغفار
وسئل سهل رحمه الله عن الاستغفار الذي يكفر الذنوب فقال أول الاستغفار الاستجابة ثم الإنابة ثم التوبة
فالاستجابة أعمال الجوارح والإنابة أعمال القلوب والتوبة إقباله على مولاه وترك الخلق ثم يستغفر من
تقصيره الذي هو فيه ومن الجهل بالنعمة وترك الشكر فعند ذلك يغفر له ويكون عنده مأواه ثم ينتقل إلى
الانفراد ثم الثبات ثم البيان ثم القرب ثم المعرفة ثم المصافاة ثم المناجاة ثم الموالاة ثم محادثة السر وهو الخلة ولا
يستقر هذا في قلب عبد حتى يكون العلم غذاءه والذكر قوامه والرضا زاده والتفويض مراده والتوكل
صاحبه ثم ينظر الله تعالى إليه فيرفعه إلى العرش فيكون مقامه مقام حملة العرش وكان يقول العبد لا بد له من
مولاه على كل حال وأحسن حاله أن يرجع إليه في كل شيء إذا عصى يقول يا رب استر علي فإذا فرغ من
المعصية قال يا رب تب علي فإذا تاب قال يا رب ارزقني العصمة فإذا عمل قال يا رب تقبل مني ومن أحسن
ما يتعقب الذنب من الأعمال بعد التوبة وحل الإصرار مما يرجى به كفارة الخطيئة ثمانية أعمال أربعة من
أعمال الجوارح وأربعة من أعمال القلوب فأعمال الجوارح أن يصلي العبد ركعتين ثم يستغفر سبعين مرة
ويقول سبحان الله العظيم وبحمده مائة مرة ثم يتصدق بصدقة ويصوم يوما وأعمال القلوب هي اعتقاد
التوبة منه وحب الإقلاع عنه وخوف العقاب عليه ورجاء المغفرة له ثم يحتسب على الله تعالى بحسن ظنه
وصدق يقينه كفارة ذنبه فهذه الأعمال قد وردت بها الآثار أنها المكفرة للزلل والعثار وقد يشترط في
بعضها فيتوضأ ويسبغ الوضوء ويدخل المسجد فيصلي ركعتين وفي بعض الأخبار فيصلي أربع ركعات قال
ويقال إذا أذنب العبد أمر صاحب اليمين صاحب الشمال وهو أمير عليه أن يرفع القلم عنه ست ساعات فإن
تاب واستغفر لم يكتبها عليه وإن لم يستغفر كتبها ويقال صدقة الليل تكفر ذنوب النهار وصدقة السر تكفر
ذنوب الليل وفي بعض الأخبار إذا عملت سيئة فأتبعها حسنة تكفرها السر بالسر والعلانية بالعلانية وفي
أخبار متفرقة جمعناها ما من يوم طلع فجره ولا ليلة غاب شفقها إلا وملكان يتجاوبان بأربعة أصوات يقول
أحدهما يا ليت هذا الخلق لم يخلقوا ويقول الآخر ويا ليتهم إذ خلقوا علموا لماذا خلقوا فيقول الآخر
يا ليتهم إذ علموا لماذا خلقوا عملوا بما علموا وفي بعضها تجالسوا فتذاكروا ما علموا فيقول الآخر ويا ليتهم
إذ لم يعملوا بما علموا تابوا مما عملوا فأول ما يجب لله عز وجل على عبده أن لا يعصيه بنعمه لئلا تكون
معصيته كفرانا للنعمة وجوارح العبد وماله من نعم الله تعالى عليه لأن قوام الإنسان بجوارحه وثبات
جوارحه بالحركة ومنافع الحركة بالعافية فإذا عصاه بالنعمة فقد بدلها كفرا كما قال تعالى بدلوا نعمة الله
كفرا قيل استعانوا بها على معاصيه ثم توعد على التبديل بالعقاب الشديد فقال ومن يبدل نعمة الله من بعد
ما جاءته فإن الله شديد العقاب فقد يكون العقاب على تبديل النعمة بالمعصية معجلا في الدنيا ويكون مؤجلا
في الآخرة وقد يكون العقاب في أسباب الدنيا وقد يكون في حرمان أسباب الآخرة لأنهما آلة ومثواه وقد
يكون فيهما معا وقد تكون نفس المعصية بالنعمة عقوبة والجهل بالنعمة وتضييع الشكر عليها
واستصغارها والسكون إليها والتطاول والتفاخر والتكاثر بها كل هذه الأسباب عقوبات ثم يفترض
على العبد إذا عصاه الرجوع إلى مولاه وهو التوبة عقيب وقوفه مع نفسه وهو موافقة الهوى بالخطيئة
فتأخيره بالتوبة وإصراره على الذنب ذنبان مضافان إلى الخطيئة فإذا تاب من ذنبه وأحكم التوبة منه اعتقد
الاستقامة على الطاعة ودوام الافتقار إلى الله تعالى في العصمة ثم يتوب أبدا من الصغائر إلى الهم والتمني
ومن الخوف والطمع في المخلوق وهي ذنوب الخصوص إلى الطرفة والنفس والسكون إلى شيء والراحة بشيء
وهذه ذنوب المقربين حتى لا يبقى على العبد فيما يعلم مخالفة وحتى يشهد له العلم بالوفاء فتبقى حينئذ توبته من
مطالعة علم الله تعالى فيما استأثر به عنه من علم غيبه يكاشفه به ومن معنى نفس العبودية وكون الخليقة عن

ونذكر المجموع والمقتنى *
قد صار في كفي كذا الهبا
ولم أجد لي مؤنسا ههنا
غير بقور كان لي أو خنا
فلو تراني أو ترى حالتي
بكيت لي يا صاح مستعلنا
اللهم إنا نعوذ بك من عذاب
القبر وفتنة المحيا والممات
وفتنة المسيح الدجال اللهم
إنا نعوذ بك من المأثم والمغرم
(فصل) فيما يكون
منه عذاب القبر قال الله
تعالى ألهاكم التكاثر حتى
زرتم المقابر كلا سوف
تعلمون يعني ما ينزل بكم من
العذاب في القبر ثم كلا سوف
تعلمون أي في الآخرة إذا
حل بكم العذاب خ عن
سمرة بن جندب رضي الله
عنه قال كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يكثر
أن يقول لأصحابه هل رأى
منكم أحد رؤيا فيقص
عليه ما شاء الله أن يقص
وإنه قال لنا ذات غداة إنه
أتاني الليلة آتيان وإنهما
قالا لي انطلق فانطلقت
معهما وإنا أتينا على رجل
مضطجع فإذا آخر قائم
عليه بصخرة وإذا هو يهوي
بالصخرة لرأسه فيثلغ رأسه
فيتدهده الحجر ههنا
فيتبع الحجر فيأخذه فلا
يرجع إليه حتى يصح
رأسه كما كان ثم يعود عليه
فيفعل به مثل ما فعل المرة
الأولى قال قلت لهما
سبحان الله ما هذا قالا لي
انطلق انطلق فانطلقنا

قوله لما

ان الله غفور رحيم ثم ان الناس فى التوبة على أربعة أقسام فى كل قسم طائفة لكل طائفة مقام منهم تائب من الذنب مستقيم على التوبة والانابة لا يحدث نفسه بالعود الى معصية أيام حياته مستبدل بعمل سيآته صالح حسناته فهذا هو السابق بالخيرات وهذه هى التوبة النصوح ونفس هذا هى المطمئنة المرضية والخبر المروى فى مثل هذا سيروا سبق المفردون المستهترون بذكر الله وضع الذكر أوزارهم فوردوا القيامة خفافا والذى يلى هذا فى القرب عبد عقد التوبة ونيته الاستقامة لا يسعى فى ذنب ولا يقصده ولا ينحوه ولا يهتم به وقد يبتلى بدخول الخطايا عليه عن غير قصد منه ويمتحن بالهم واللمم فهذا من صفات المؤمنين يرجى له الاستقامة لانه فى طريقها وهو ممن قال الله تعالى يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم ان ربك واسع المغفرة وداخل فى وصف المتقين الذين قال الله تعالى فيهم والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم الآية ونفس هذا هى اللوامة التى أقسم الله تعالى بها وهو من المقتصدين وهذه الذنوب تدخل على النفوس من معانى صفاتها وغرائز جبلاتها وأوائل أنسابها من نبات الارض وتركيب الاطوار فى الارحام خلقا من بعد خلق ومن اختلاط الامشاج بعضها ببعض ولذلك دقه تعالى بقوله هو أعلم بكم اذ أنشأكم من الارض واذ أنتم أجنة فى بطون أمهاتكم الآية فلذلك نهى عن تزكية النفس المنشأة من الارض والمركبة فى الارحام بالامشاج للاعوجاج فقال تعالى فلا تزكوا أنفسكم أى فهذا وصفها عند ابتداء انشائها وكذلك وصف مشيج خلقته بالابتلاء فى قوله انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا وشرح هذا يطول ويخرج الى علم تركيبات النفوس ومجبول فطرتها وقد ذكرنا أصوله فى بعض الابواب من هذا الكتاب وفى مثل هذا العبد معنى الخبر الذى جاء المؤمن مفتن تواب والمؤمن كالسنبلة تفىء أحيانا وتميل أحيانا فازراء هذا العبد على نفسه ومقته لها عن معرفته بها وترك نظره اليه وسكونه الى خير ان ظهر عليها يكون من كفارات ذنوبه لانه من تدبر الخطاب فى قوله تعالى فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بكم والعبد الثالث هو الذى يقرب من هذا الثانى فى الحال عبد يذنب ثم يتوب ثم يعود الى الذنب ثم يحزن عليه بقصده له وسعيه فيه وايثاره اياه على الطاعة الا انه يسوف بالتوبة ويحدث نفسه بالاستقامة ويحب منازل التوابين ويرتاح قلبه الى مقامات الصديقين ولم يأت حينه ولا ظهر مقامه لان الهوى يحركه والعادة تجذبه والغفلة تغمره الا انه يتوب خلال الذنوب ويعاود لتقدم المعتاد فتوبته هذا فوت من وقت الى وقت ومثله ترجى له الاستقامة لمحاسن عمله وتكفيرها السالف سيئته وقد يخاف عليه الانقلاب لمداومة خطئه ونفس هذا هى المسولة وهو ممن خلط عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليه فيستقيم فيلحق بالسابقين فهذا بين حالين بين أن يغلب عليه وصف النفس فيحق عليه ما سبق من القول وبين أن ينظر اليه مولاه نظرة تجبر له كل كسر ويغنى له كل فقر فيتداركه بعنته سابقة فيلحقه بمنازل المقربين لانه قد سلك طريقهم بفضله ورحمته ونيته الآخرة والعبد الرابع أسوأ العبيد حالا وأعظمهم على نفسه وبالا وأقلهم من الله نوالا عبد يذنب ثم يتبع الذنب مثله أو أعظم منه ويقيم على الاصرار ويحدث نفسه به متى قدر عليه ولا ينوى توبة ولا يعقد استقامة ولا يرجو وعدا بحسن ظنه ولا يخاف وعيدا لتمكن أمنه فهذا هو حقيقة الاصرار ومقام بين العتو والاستكبار وفى مثل هذا جاء الخبر هلك المصرون قدما الى النار ونفس هذا هى الامارة وروحه أبدا من الخير فرارة ويخاف عليه مثله سوء الخاتمة لانه فى مقدماتها وسالك طريقتها ولا يبعد منه سوء القضاء ودرك الشقاء وأقل هذا قيل من سوف الله تعالى بالتوبة أكذبه وان العنت خروج من ذنب الى أعظم منه وهذه الطائفة فى عموم المسلمين وهم فى مشيئة الله من الفاسقين كما قال تعالى مرجون لامر الله أى مؤخرون لحكمه اما يعذبهم بالاصرار واما يتوب عليهم بما سبق من حسن الاختيار نعوذ بالله تعالى من عذابه ونسأله نعيما من ثوابه وهذا آخر كتاب التوبة

(شرح مقام الصبر ووصف الصابرين وهو الثانى من مقامات اليقين)

قد جعل الله عز وجل الصابرين أئمة المتقين وتمم كلمته الحسنى عليهم فى الدين فقال تعالى وجعلناهم أئمة يهدون

وأوقد تحته النار وأن أكلت الربا تسبح فى نهر من دم وتلقم الحجارة هذا كله الى يوم القيامة فان لم تنته عن هذه المعاصى فاما أن يكون ذلك لعدم تصديقه صلى الله عليه وسلم فأنت كافر مخلد فى نار جهنم واما لغلبتك اطاقتك هذه العقوبات الى يوم القيامة فجرب نفسك بامرك واحدا أن يفعل بك شيأ من هذه العقوبات يوما تاما فان لم تطق ذلك يوما واحدا فأنت عن هذه العقوبات المغلظة الى يوم القيامة أعجز واما أن يكون لطمعك فى التوبة بعد فليس بيدك كتاب أمان من مفاجأة المنية فلا تتوب عنها ولا تنتهى سريعا نعوذ بالله من غفلة الفكر فى أمر الآخرة وفى التذكرة للقرطبى روى الطحاوى عن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم قال أمر بعبد من عباد الله عز وجل أن يضرب فى قبره مائة جلدة فلم يزل يسأل الله ويدعوه حتى صارت جلدة واحدة فامتلأ قبره عليه نارا فلما ارتفع عنه أفاق فقال علام جلدتمونى قالوا انك صليت صلاة بغير طهور ومررت على مظلوم فلم تنصره وفى الزهر الفائح ونقل عنه ان حسان بن أبى سنان كان لا ينام بالليل ولا يأكل سمينا ولا يشرب باردا فلما مات رؤى فى النوم فقيل

والاحداث المبتدعة وهي كبائر منها ما يذهب الايمان و ينبت النفاق وست من كبائر البدع وهي تنقل عن الملة وهي القدرية والمرجئة والرافضية والاباضية والجهمية والشاطحون من المغالطين وهم الذين لا يقولون بخالق ولا رسم ولا حكم في تعدي الحدود ومجاوزات العلم فهم زنادقة هـذه الامة ومعاص متعلقة بالخلق من طريق المظالم في الدين والالحاد بهـم عن طريق المؤمنين وهو ما أضل به عن الهدى وأزاغ به عن السنن وحرفه من الكتاب وتأوّله من السنة ثم أظهر ذلك ودعا اليه فقبل منه واتبع عليه وقد قال بعض العلماء لا توبة لهذه المعاصي كما قال بعضهم في القاتل لا توبة له للاخبار بثبوت الوعيد وحق القول عليه والضرب الخامس من المعاصي ما تعلق بمظالم العباد في أمر الدنيا مثل ضرب الانسان وشتم الاعراض وأخذ الاموال والكذب والبهتان فهذه موبقات ولا بد فيها من القصاص للموافقة بين يدي الحاكم العادل والقطع منه بقضاء فاصل الا أن يقع استحلال أو يستوهبها الله عز وجل من أربابها في المآل لكرمه و يعوض المظلومين عليها من جنانه بجوده وقد جاء في الخبر الدواوين ثلاثة ديوان يغفر وديوان لا يغفر وديوان لا يترك فأما الديوان الذي يغفر فذنوب العباد بينهم و بين الله تعالى وأما الديوان الذي لا يغفر فالشرك بالله تعالى وأما الديوان الذي لا يترك فمظالم العباد أي لا يترك المطالبة به والمؤاخذة عليه والضرب السادس من الذنوب ما كان بين العبد و بين مولاه من نفسه الى نفسه متعلق بالشهوات والجري في العادات وهذه أخفها والى العفو أقربها وهـذه على ضربين كبائر وصغائر فالكبائر ما نص عليه بالوعيد وما وجبت فيه الحدود والصغائر دون ذلك الى نظرة وخطرة والتوبة النصوح تأتي على جميع ذلك بعموم قوله تعالى فتاب عليكم وعفا عنكم و باخباره عز وجل عن حكمه اذ يقول ثم تاب عليهم ليتوبوا و بظاهر قوله تعالى ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا ومثله ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا الى قوله ان ربك من بعدها لغفور رحيم هكذا قراءة أهـل الشام بنصب الفاء والتاء ولان البغية من التوبة اذا كانت غفران الذنب والزحزحة عن النار ونحن لا نرى أبدية الوعيد على أهل الكبائر بل نجعلهم في مشيئة الله ونجوز تجاوز الله تعالى عنهم في أصحاب الجنة كما جاء في الخبر في تفسير قوله تعالى فجزاؤه جهنم خالدا فيها أي ان جازاه وكما روينا عن النبي صلى الله عليه وسلم من وعده الله تعالى على عمل ثوابا فهو منجزه له ومن وعده على عمل عقابا فهو فيه بالخيار ان شاء عذبه وان شاء عفا عنه وكما قال ابن عباس رضي الله عنه يغفر لمن يشاء الذنب العظيم ويعذب من يشاء على الذنب الصغير وقد قال الله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فلم يجد للمغفرة ذنبا غير الشرك وترك المسلمين مع سائر الذنوب في مشيئته فقـد يحتج محتج بالخبر المأثور في ترك قبول توبة المبتدع ان الله تعالى احتجر التوبة على كل صاحب بدعة فهـذا مخصوص لمن لم يتب عمن حكم عليه بدرك الشقاء ألا ترى انه لم يقل ان الله تعالى احتجر قبول التوبة عمن تاب انما أخبر عن حكم الله تعالى فيمن لم يتب بان الله تعالى حجب التوبة عنه فهكذا نقول أيضا ان القاتل اذا كان قد سبق له سوء الخاتمة بانه يموت على غير توحيد وكذلك المبتدع ان جعل اسمه في أصحاب النار ثم كان القتل والبدعـة علامة ذلك وسببا انهما جميعا منزعان من التوبة فانها محتجرة عنهما وكذلك القول فيمن حقت عليه كلمة العذاب بسبق سوء الخاتمة فلو انه تاب سبعين توبة لم تنقذه من النار وليست توبتـه بأكثر من قوله صلى الله عليه وسلم ان العبد ليعمل بعمل أهل الجنة سبعين سنة حتى يقول الناس انه من أهلها ولا يبقى بينه و بينها الا شـبر ثم يدركه الشقاء وفي لفظ آخر ثم يسبق عليه الكتاب بعمل أهل النار فيدخلها فقد دخلت التوبات في صالح أعماله الحسنات ثم أحبطها عنه في جملة عمله بسبق الكتاب بالشقاء له وأما من لم يسبق له سوء الخاتمة ووهب له التوبة النصوح ولم يدركه الشقاء فانها لم تحتجر عنه وان الله تعالى يعفو عنه بما وهب له من التوبة كقوله تعالى في المنافقين اما يعذبهم واما يتوب عليهم وليس النفاق دون البدعة ولا كل المنافقين تاب عليهم ولا جميعهم ختم لهم به ولعموم قوله تعالى فتاب عليكم وعفا عنكم فهذا مجمل فمن تاب والخـبر مخصوص فيمن لم يتب ولقوله تعالى ثم تاب عليهم ليتوبوا وقوله تعالى عسى الله أن يتوب عليهم

واذا هو عنده نار يحشها ويسعى حولها قلت لهما ما هذا قالا لي انطلق انطلق فانطلقنا الى أن قال قلت لهما فاني رأيت منذ الليلة عجبا فما هذا الذي رأيت قالا لي اما انا سنخبرك اما الرجل الاول الذي يثلغ رأسـه بالحجر فانه الرجل يأخـذ القرآن فيرفضه و ينام عن الصلاة المكتوبة وأما الرجل الذي يشرشر شدقه الى قفاه و منخره الى قفاه وعينه الى قفاه فانه الرجل يغدو من بيتـه فيكذب الكذبة تبلغ الآفاق واما الرجال والنساء العـراة الذين هم في مثل بناء التنور فانهـم الزناة والزواني فاما الرجل الذي يسبح في النهر و يلقـم الحجارة فانه آكل الربا وأما الرجل الكريه المـرأى الذي عنـد النار يحشـها و يسـعى حولها فانه مالك خازن جهنم وانا جبريل وهو ميكائيل ابن آدم ان جاءك رسول مالك بالـملك وقال لك ان فعلت كذا لثلغ الله رأسك بالحجر أو شق شدقك الى قفاك أو حبسك في تنور ضيق واوقد تحتـه النار انتهيت عنـه لا محالة وهـذا رسول رب العالمين قد جاءك وقال ان نمت عن الصلاة المكتوبة ثلغ رأسك بالحجر وان كذبت شق شدقك ومنخرك وعينك الى قفاك وان زنيت حبست في بناء مثل التنور الضيق الاعلى الواسع الاسفل

فانتهى الى حلقة شاب يتكلم على جماعة فاستمع اليه فاعجبه كلامه فقال يا فتى أسألك عن شيئين فان خرجت منهما تركتك تتكلم على الناس والا أخرجتك كما أخرجت أصحابك فقال سل يا أمير المؤمنين فقال أخبرني ما صلاح الدين وما فساده قال صلاحه الورع وفساده الطمع قال صدقت تكلم فمثلك يصلح ان يتكلم على الناس يقال ان هذا الشاب هو امامنا في هذا العلم وهو امام الأئمة الحسن بن يسار مولى الانصار البصري وكان ميمون بن مهران يقول الايمان والتصديق والمعرفة والصبر واحد وقال أبو الدرداء رضي الله عنه ذروة الايمان الصبر للحكم والرضا بالقدر واعلم ان الورع أول الزهد وهو أول باب من أبواب الآخرة والطمع أول الرغبة وهو باب كبير من أبواب الدنيا وهو استشعار الطمع من حب الدنيا وحب الدنيا رأس كل خطيئة ويقال أول معصية عصي الله تعالى بها الطمع وهو ان آدم عليه السلام طمع في الخلود فأكل من الشجرة التي نهي عنها وابليس طمع في اخراج آدم عليه السلام من الجنة فوسوس اليه فاتفقا في اسم المعصية لربهما تعالى بالطمع ثم افترقا في الطمع فيه وفي الحكم فتداركت آدم عليه السلام بحسن سابقته من الله تعالى وهلك ابليس بما سبق عليه من الشقوة والطمع هو تصديق الظن ولذلك وصف الله تعالى به عدوه في قوله تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه والظن ضد اليقين ولا يغني من الحق شيأ وقال الله تعالى في وصف المشركين ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين فمن صبر عن الطمع في الخلق أخرجه الصبر الى الورع ومن صبر عن الورع في الدين أدخله الصبر في الزهد ومن طمع في تصديق الظن الكاذب أدخله الطمع في حب الدنيا ومن استشعر حب الدنيا أخرجه من حقيقة الدين وقد قال بعض العلماء كان يعد ايمان من لم يؤذ فيحتمل الاذى ويصبر عليه ايمانا وقد فعل الله تعالى ذلك بالمؤمنين اختبارا وأخبر ان ذلك ليس منه عذابا وانما هو فتنة لمن أراد فتنته وبلاء من الناس فصار ذلك فتنة لهم وابتلاء لهم وصار رحمة للمؤذي وخيرا في قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله يعني فتنة الناس به كعذاب الله تعالى يعني اياه أي ليس ذلك عذابا مني انما هو رحمة باطنة فهو كقوله تعالى وأما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن كلا أي لم أهنه بالفقر كما لم أكرم الآخر بالاكرام والتنعيم وعلى معنى هذا خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم بالصبر الذي أمره به فقال تعالى واصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود فسلاه به وفضله عليه وقدر وينافي خبر يؤتى بأشكر أهل الارض فيجزيه الله تعالى جزاء الشاكرين ويؤتى بأصبر أهل الارض فيقال له أترضى ان نجزيك كما جزينا هذا الشاكر فيقول نعم يا رب فيقول الله تعالى كلا أنعمت عليه فشكر وابتليتك فصبرت لاضعفن لك الاجر عليه فيعطى أضعاف جزاء الشاكرين وكتب ابن أبي نجيح يعزي بعض الخلفاء فقال في كتابه ان أحق من عرف حق الله فيما أخذ منه من عظم حق الله تعالى عنده فيما أبقى واعلم أن الماضي قبلك هو الباقي لك والباقي بعدك هو المأجور فيك واعلم أن أجر الصابرين فيما يصابون فيه أعظم من النعمة عليهم فيما يعافون به وفي الاخبار ما من عبد الا يعطى أجره بحساب وحد الا الصابرين فانهم يجازفون مجازفة بغير ميزان ولا حد وجاء في الخبر ان أبواب الجنة مصراعان يأتي عليها زحام كثير الا باب الصبر فانه مصراع واحد لا يدخل منه الا الصابرون أهل البلاء في الدنيا واحد بعد واحد وقد قال الله تعالى في جزاء الخاشعين أولئك لهم رزق معلوم وقال تعالى في جزاء الصابرين انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب قيل في التفسير يغرف لهم غرفا والمعنى في ذلك ان الصبر أشق شيء على النفس وأكرهه وأمره على الطبع وأصعبه فيه الالم والكظم عند الذل والحلم ومنه التواضع والكتم وفيه الادب وحسن الخلق وبه يكون كف الاذى عن الخلق واحتمال الاذى من الخلق وهذه من عزائم الامور التي يضيق منها أكثر الصدور وفيها اكراه النفوس وحملها على الشدة والبؤس وقد جاء أفضل الاعمال ما أكرهت عليه النفوس ولاجل ذلك اشترط الله تعالى على المتقين والصادقين الصبر في الشدائد والمكاره وحقق بالصبر صدقهم وتقواهم وأكمل به وصفهم وأعمال

الآية سبحان الذي أسرى بعبده ليلا الآية قال أتي بفرس فحمل عليه قال كل خطوة منتهى أقصى بصره فسار وسار معه جبريل فأتى على قوم يزرعون في يوم ويحصدون في يوم كلما حصد عاد كما كان فقال يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء المهاجرون في سبيل الله يضاعف لهم الحسنات بسبعمائة وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين ثم أتى على قوم ترضخ رؤسهم بالصخرة كلما رضخت عادت كما كانت لا يفتر عنهم شيء من ذلك فقال يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء الذين تثاقل رؤسهم عن الصلاة قال ثم أتى على قوم على اقبالهم رقاع وعلى أدبارهم رقاع يسرحون كما تسرح الانعام على الضريع والزقوم ورضف جهنم وحجارتها قال من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين لا يؤدون صدقات أموالهم وما ظلمهم الله وما الله بظلام للعبيد ثم أتى على قوم بين أيديهم لحم في قدر نضيج ولحم آخر نيء خبيث فجعلوا يأكلون من الخبيث ويدعون النضيج فقال يا جبريل من هؤلاء قال هذا الرجل من أمتك تكون عنده المرأة الحلال الطيبة فيأتي المرأة الخبيثة فيبيت معها حتى يصبح ثم أتى على خشبة على الطريق لا يمر بها

بأمرنا لما صبروا وقال تعالى وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فى الصبر على ما تكره خيرا كثيرا وقال المسيح عليه السلام انكم لا تدركون ما تحبون الا بصبركم على ما تكرهون وقال بعض الصحابة ماذا جعل الله تعالى من الشفاء والفضل فى التقى والصبر وقال ابن مسعود الصبر نصف الايمان وقد جعل على كرم الله وجهه الصبر ركنا من أركان الايمان وقرنه بالجهاد والعدل والايقان فقال بنى الاسلام على أربع دعائم على اليقين والصبر والجهاد والعدل وقال على كرم الله وجهه الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد لا جسد لمن لا رأس له ولا ايمان لمن لا صبر له ورفع رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبر فى العلو والفضل الى مقام اليقين وقرنه به وكذلك قال الله تعالى وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون وأخبر النبى صلى الله عليه وسلم ان من أوتى نصيبه منهما لم يسأل مافاته وأخبر عليه السلام ان الصبر كمال العمل والاجر فقال فى حديث يرويه شهر بن حوشب الاشعرى عن أبى أمامة الباهلى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن أعطى حظه منهما لم يبال مافاته من قيام الليل وصيام النهار ولان تصبروا على مثل ما أنتم عليه أحب الى من أن يوافينى كل امرئ منكم بمثل عمل جميعكم ولكنى أخاف أن تفتح عليكم الدنيا بعدى فينكر بعضكم بعضا وينكركم أهل السماء عند ذلك فمن صبر واحتسب ظفر بكمال ثوابه ثم قرأ ما عندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون وفى حديث ابن المنكدر عن جابر قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الايمان فقال الصبر والسماحة وقد قال الله تعالى وهو أصدق القائلين أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا وقال عز وجل انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب فضاعف أجر الصابرين على كل عمل ثم رفع جزاء الصبر فوق كل جزاء فجعله بلا نهاية ولا حد فدل ذلك انه أفضل المقامات وجمع للصابرين ثلاثا فرقها على جل أهل العبادات الصلاة والرحمة والهدى بعد البشارة فى الآخرة والعقبى وكان عمر رضى الله عنه يقول نعم العدلان ونعمت العلاوة للصابرين يعنى بالعدلين الصلاة والرحمة وبالعلاوة الهدى والعلاوة ما يعلى به فوق الحملين على البعير فيكون كعدل ثالث وقد أخبر الله تعالى انه مع الصابرين ومن كان الله تعالى معه غلب كما أن من كان معه علا فقال تعالى واصبروا ان الله مع الصابرين كما قال الله عز وجل وانتم الاعلون والله معكم واشترط الصبر لامداده بجنده ونصرة تأييده بقوله تعالى بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين وكان سهل يقول الصبر تصديق الصدق وأفضل منازل الطاعة الصبر على المعصية ثم الصبر على الطاعة وقال فى معنى قوله عز وجل استعينوا بالله واصبروا أى استعينوا بالله على أمر الله واصبروا على أدب الله وقال لم يمدح الله تعالى أحدا الا من صبر للبلاء والشدة فبذلك يثنى عليه وكان يقول الصالحون فى المؤمنين قليل والصادقون فى الصالحين قليل والصابرون فى الصادقين قليل فجعل الصبر خاصية الصدق وجعل الصابرين خصوص الصادقين وكذلك الله تعالى وهو أصدق القائلين قد رفع الصابرين على الصادقين فى ترتيب المقامات فجعل الصبر مقاما فى الصدق ان كانت الاوصاف المنسوقة نعتا واحدا للمسلمين وكانت الواو للمدح وان كانت مقامات فالواو للترتيب فقد جعل الله الصابرين فوق الصادقين والقانتين أعنى فى قوله تعالى ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الآية وفى حديث عطاء عن ابن عباس رضى الله عنهما لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الانصار فقال أمؤمنون أنتم فسكتوا فقال عمر رضى الله عنه نعم يا رسول الله قال وما علامة ايمانكم قال نشكر فى الرخاء ونصبر على البلاء ونرضى بالقضاء فقال مؤمنون ورب الكعبة والصبر ينقسم على عملين أحدهما لا صلاح للدين الا به والثانى هو أصل فساد الدين ثم يتنوع الصبر فيكون صابرا على الذى فيه صلاح الدين فيكمل به ايمانه ويكون صابرا عن الذى فيه فساد الدين فيحسن به يقينه ويناقى معنى هذا عن على رضى الله عنه انه لما دخل البصرة واستقام له الامر دخل جامعها فجعل يخرج القصاص ويقول القصص بدعة

لما فعل الله بك قال أنا محبوس عن الجنة بابرة استعرتها فلم أردها لصاحبها وعن قبيصة بن سفيان قال رأيت سفيان الثورى فى المنام بعد موته فقلت له ما فعل الله بك فقال شعر
نظرت الى ربى عيانا فقال لى
هنيأ رضائى عنك يا ابن سعيد
لقد كنت قواما اذا الليل قد دجى
بعبرة مشتاق وقلب عميد
فدونك فاختر أى قصر تريده
وزرنى فانى عنك غير بعيد
اللهم ارزقنا اتباع الصالحين واحشرنا فى زمرتهم يا أرحم الراحمين

(فصل) قال الله تعالى وحاق بآل فرعون سوء العذاب النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب ثم عن ابن عباس رضى الله عنهما مر النبى صلى الله عليه وسلم بقبرين فقال انهما يعذبان وما يعذبان فى كبير اما أحدهما فكان لا يستبرئ من البول وأما الآخر فكان يمشى بالنميمة ثم أخذ جريدة رطبة فشقها نصفين ثم غرز فى كل قبر واحدة فقال لعله أن يخفف عنهما ما لم ييبسا وفى التذكرة للقرطبى روى البيهقى عن الربيع ابن أنس عن أبى العالية عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم فى هذه

أذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور أى ان تصبروا على الاذى عن المكافأة وتتقوا
عند الابتلاء والمكاره ولا تجاوز وانه أفضل كما قال تعالى وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم
لهو خير للصابرين وقوله تعالى ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل ثم قال عز وجل ولمن صبر وغفر
ان ذلك لمن عزم الامور قال فالاول أعنى المكافأة والانتصار بالحق من العدل والعدل حسن والثانى أعنى
العفو والصبر من الفضل وهو الاحسان وهذا اختيار قوله تعالى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك
الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب فاستماع القول هو العدل والعدل حسن وهو الانتصار والعفو
أحسن وفيه المدح بالهدى والعقل وهذا هو مقام المخبتين قيل هم الذين لا يظلمون واذا ظلموا لم ينتصروا
فالمدح بالوصف لاهل هذا المقام هو الاخبات وهو الخشوع والطمأنينة بحسن الجزاء من الله سبحانه وتعالى
فى الآخرة لقرب اللقاء وسرعة فناء الدنيا أمدح كما قال تعالى وان الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل
والتقوى والصبر معنيان أحدهما منوط بالآخر لا يتم كل واحد منهما الا بصاحبه فان كانت التقوى
مقامه كان الصبر حاله فصار الصبر أفضل الاحوال من حيث كان التقوى أعلى المقامات اذ الاتقى هو
الاكرم عند الله تعالى والاكرم على الله تعالى هو الافضل وقد شرف الله تعالى الصبر بأن أضافه اليه بعد
الامر به فقال واصبر وما صبرك الا بالله وقال تعالى ولربك فاصبر وان كان كل شئ به وكل عمل صالح له ولا يصف
الله تعالى عبدا ولا يثنى عليه حتى يبتليه فان صبر وخرج من البلاء سليما مدحه ووصفه والا بين له كذبه
ودعواه وقيل لسفيان الثورى رضى الله عنهما أفضل الاعمال قال الصبر عند الابتلاء وقال بعض العلماء
وأى شئ أفضل من الصبر وقد ذكره الله تعالى فى كتابه فى نيف وتسعين موضعا ولا نعلم شيأ ذكره الله تعالى
هذا العدد الا الصبر فلا يطمعن طامع فى مدح الله وحسن ثنائه عليه قبل ان يبتليه فيصبر له ولا يطمعن
أحد فى حقيقة الايمان وحسن اليقين قبل ان يمدحه الله تعالى ويثنى عليه ولو أظهر الله تعالى على جوارحه
سائر الاعمال ثم لم يمدحه بوصف ولم يثن عليه بخير لم يؤمن عليه سوء الخاتمة وذلك ان من اخلاق الله تعالى انه اذا
أحب عبدا ورضى عمله مدحه ووصفه فى ابتلائه بكراهة ومشقة أو بهوى وشهوة فصبر له لك أو صبر عن ذلك
فان الله تعالى يمدحه ويثنى عليه بكرمه وجوده فيدخل هذا العبد فى أسماء الموصوفين ويصير واحدا من
الممدوحين فعندها يثبت قدمه من الزلل ويختم له بما سبق من صالح العمل ومن الصبر صبر على العوافى ان
لا يصرفها فى المخالفة والصبر على الغنى ان لا يبذله فى الهوى والصبر على النعمة ان لا يستعين بها على معصية
فحاجة المؤمن الى الصبر فى هذه المعانى ومطالبته بالصبر عليها كحاجته ومطالبته بالصبر على المكاره والفقر
وعلى الشدائد والضر ويقال ان البلاء والفقر يصبر عليهما المؤمن والعوافى لا يصبر فيها الا صديق وكان سهل
يقول الصبر على العافية أشد من الصبر على البلاء وكذلك قالت الصحابة رضى الله عنهم لما فتحت الدنيا فنالوا
من العيش واتسعوا ابتلينا بفتنة الضراء فصبرنا وابتلينا بفتنة السراء فلم نصبر فعلموا الاختبار بالسراء
وهو ما يسر على الاختبار بالضراء وهو ما ضر وقد قال تعالى الذين ينفقون فى السراء والضراء فمدحهم
بوصف واحد فى الحالين المختلفين لحسن يقينهم وسخاوة نفوسهم وحقيقة زهدهم ومن هذا المعنى قول
الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله لان فيهما ما يسر ويشغل عن الذكر ثم
قال عز وجل ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم لان فى الازواج والاولاد ما يخرج به الى
فتنة الهوى ويخالف بوجودهما المولى فصارا عدوين فى العقبى لما يؤل اليه من شأنهما ومن هذا الخبر
الذى روى عن النبى صلى الله عليه وسلم لما نظر الى ابنه الحسن يتعثر فى قميصه نزل عن المنبر واحتضنه ثم قال
صدق الله انما أموالكم وأولادكم فتنة انى لما رأيت ابنى هذا لم أملك نفسى ان أخذته ففى هذا عبرة لاولى
الابصار وروى عنه فى الحديث أيضا الولد محزنة مجهلة مجبنة فهذه مصادر الحزن والجهل والجبن انما يحمل
حب الاولاد والاموال على ذلك فمن صبر على السراء وهى العوافى والغنى والاولاد وغير ذلك وأخذ الاشياء

ذريته المؤمنين فيقول
روح طيبة ونفس طيبة
اجعلوها فى عليين ثم تعرض
عليه أرواح ذريته الفجار
فيقول روح خبيثة ونفس
خبيثة اجعلوها فى سجين
ثم مضيت هنيهة فاذا أنا بأخونة
عليها لحم مشرح ليس
يقربها أحد واذا أنا بأخونة
أخرى عليها لحم قد أروح
وأنتن عندها أناس يأكلون
منها قلت يا جبريل من
هؤلاء قال هؤلاء من أمتك
يتركون الحلال ويأتون
الحرام قال ثم مضيت هنيهة
فاذا أنا بأقوام بطونهم
أمثال البيوت كلما
نهض أحدهم خر
يقول اللهم لا تقم الساعة
قال وهم على سابلة آل
فرعون قال فتجئ السابلة
فتطؤهم قال فسمعتهم
يضجون الى الله عز وجل
قلت يا جبريل من هؤلاء
قال هؤلاء من أمتك الذين
يأكلون الربا لا يقومون
الا كما يقوم الذى يتخبطه
الشيطان من المس قال
ثم مضيت هنيهة فاذا أنا بقوم
مشافرهم كمشافر الابل
قال فتفتح أفواههم
ويلقمون ذلك الجمر ثم
يخرج من أسافلهم فسمعتهم
يضجون الى الله عز وجل
قلت يا جبريل من هؤلاء
قال هؤلاء من أمتك الذين
يأكلون أموال اليتامى
ظلما انما يأكلون فى
بطونهم نارا وسيصلون
سعيرا ثم مضيت هنيهة فاذا

برهم فقال تعالى والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون
فمعنى الصبر حبس النفس عن السعى فى هواها وحبسها أيضا عن مجاهدتها لمرضاته ولاهاء بسل ما يوجب
المجاهدة على قدر ما يبتلى به العبد لان المجاهدة على قدر البلاء والحبس عن نحو الشر ودوحبسها على دوام
الطاعة وصبرها عن شره الطبع الذى يظهر سوء الادب بين يدى الرب سبحانه وتعالى وصبرها على حسن
الادب فى المعاملة ثم يتفرع الصبر الى معان شتى من الصبر عن تفاوت الاهواء والصبر على الثبات فى خدمة
المولى فمن ذلك ما توجب المجاهدة صرف الهمة عنه وتطهير القلب منه من خطرات الهوى ونزغات الاعداء
وتزيين الدنيا ومن الآفات ما يوجب الصبر كف الجوارح عنها وحبس النفس عن المشى فيها ومن الصبر
حبس النفس على الحق وعكوفها عليه بمعاملة اللسان والقلب والجسم وبذلك وصف الله تعالى المؤمنين
الذين يعملون الصالحات واشترط لصلاح أعمالهم الصبر وأخبر ان الناس كلهم فى خسران الا من كان
من أهل الحق والصبر وعظم الصبر فأفرده باعادة التواصى به ومن الصبر حبس النفس على عبادة الخالق
سبحانه وتعالى وصبرها على القناعة وعلى صنع الرازق ومن الصبر كف الاذى عن الخلق وهو مقام العادلين
يدخل فى قوله تعالى ان الله يأمر بالعدل ثم احتمال الاذى عن الخلق وهو مقام المحسنين يدخل فى قوله
والاحسان ومن الصبر الصبر على الانفاق واعطاء أهل الحقوق حقوقهم الاقرب فالاقرب وهذا مقام
المنفقين يدخل فى قوله تعالى وايتاء ذى القربى ومنه الصبر على الفحشاء وهو الامر الفاحش فى العلم
والايمان والصبر عن المنكر وهو ما أنكره العلماء والصبر عن البغى وهو التطاول والغلو وتجاوز الحد
بالكبر والاسراف فى أمور الدنيا فهذه الآية كلها جامعة لمعنى الصبر وهى قطب القرآن ثلاث منها
وهى الاول الصبر على العدل والاحسان والاعطاء وثلاث منها الصبر عن الفحشاء والمنكر والبغى وكان ابن
مسعود رضى الله عنه يقول أجمع آية فى كتاب الله عز وجل لامر ونهى هذه الآية وقال الله تعالى نعم
أجر العاملين الذين صبروا فما أنعم أجرهم حتى وصفهم بالصبر وما أكرم رزقهم ووصفهم حتى مدحهم
بالصبر والصبر يحتاج اليه قبل العمل ومعه وبعده يحتاج فى أول العمل ان يصبر على تصحيح النية وعزم
العقود والوفاء بها حتى تصح الاعمال لان النبى عليه السلام قال انما الاعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى
وقال الله تعالى وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وحقيقة النية الاخلاص ولان الله تعالى قدم الصبر
على العمل فقال تعالى الا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير والصبر الثانى فى العمل
حتى يتم ويعمل لقوله تعالى نعم أجر العاملين الذين صبروا والصبر بعد العمل هو الصبر على كتمه وترك
التظاهر به والنظر اليه ليخلص من السمعة والعجب فيكمل ثوابه كما خلص من الرياء كما قال الله تعالى
أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم وقال تعالى فى مثله لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى
وقال بعض السلف لا يتم المعروف الا بثلاث تعجيله وتصغيره وكتمه ومن الصبر حبس النفس عن المكافأة
والصبر على الاذى توكلا على المولى عز وجل ومنه قوله تعالى ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل
المتوكلون وهذا صبر الخصوص ومنه قال بعض أهل المعرفة لا يثبت للعبد مقام فى التوكل حتى يؤذى ويصبر
على الاذى وقد ذكر الله تعالى ذلك فى قوله عز وجل ودع أذاهم وتوكل على الله وفى قوله تعالى فاتخذه وكيلا
واصبر على ما يقولون وهذا هو أول الرضا والمقام الثانى من الرضا هو الصبر على الاحكام وهو صبر أهل
البلاء الامثل فالامثل بالانبياء لقوله صلى الله عليه وسلم نحن معاشر الانبياء أشد الناس بلاء ثم الامثل فالامثل
ولقوله تعالى فى المجمل ولربك فاصبر ثم فسره فى الكلام المفسر واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا ومن الصبر
حبس النفس على التقوى والتقوى اسم جامع لكل خير فالصبر معنى داخل فى كل بر فاذا جمعهما العبد فهو
من المحسنين وما على المحسنين من سبيل ومنه قوله تعالى انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين
وقال تعالى لتبلون فى أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا

اذى

[illegible] يقول الله
عز وجل ولا تقعدوا بكل
صراط توعدون ثم مر على
رجل قد جمع حزمة عظيمة
لا يستطيع حملها وهو يريد
أن يزيد عليها فقال يا جبريل
من هذا قال هذا رجل من
أمتك عليه أمانة لا يستطيع
أداءها وهو يزيد عليها ثم
أتى على قوم تقرض
شفاههم بمقاريض من
حديد كلما قرضت عادت
كما كانت ولا يفتر عنهم شئ
من ذلك قال يا جبريل من
هؤلاء قال هؤلاء خطباء
الفتنة ثم أتى على جحر صغير
يخرج منه ثور عظيم فجعل
الثور يريد أن يدخل من حيث
خرج فلا يستطيع قال
ما هذا يا جبريل قال هذا
الرجل الذى تكلم بالكلمة
فيندم عليها فيريد أن
يردها فلا يستطيع وذكر
الحديث وخرج من حديث
ابن هرون العبدى عن أبى
سعيد الخدرى عن النبى
صلى الله عليه وسلم انه قال
له أصحابه يا رسول الله
أخبرنا عن ليلة أسرى بك
الحديث وفيه قال فصعدت
أنا وجبريل فاذا أنا بملك
يقال له اسمعيل وهو صاحب
سماء الدنيا وبين يديه
سبعون ألف ملك مع كل
ملك جنده مائة ألف ملك
قال وقال الله تعالى وما يعلم
جنود ربك الا هو فاستفتح
جبريل فاذا أنا بآدم
كهيئته يوم خلقه الله على
صورته تعرض عليه أرواح

والرياسة وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا مقطوعا الصبر فى ثلاث الصبر عن تزكية النفس والصبر عن شكوى المصيبة والصبر على الرضا بقضاء الله تعالى على خيره وشره ومن الصبر حبس النفس عن الحول والتواضع والذلة ايثارا للآخرة على الدنيا وهربا الى الله تعالى وتحققا بوصف العبودية وترك المنازعة والتشبه بمعانى أوصاف الربوبية أسماء الالهية واستسلاما للاحدية ولا يخرج حل قلة الصبر عن ذلك الى الطلب بشئ منه فتزل قدم بعد ثبوتها نعوذ بالله من ذلك ومن الصبر صبر على العيال فى الكسب لهم والانفاق عليهم والاحتمال للاذى منهم فان فى العيال طرقات الى الله تعالى أدناها الاهتمام بهم وأعلاها الرضا عن الله تعالى والتوكل عليه فيهم وأوسطها الانفاق وحبس النفس عليهم واعلم ان أكثر معاصى العباد فى شيئين قلة الصبر عما يحبون أو قلة الصبر على ما يكرهون وقد قرن الله تعالى الكراهة بالخير والمحبة بالشر فى قوله تعالى وعسى أن تكرهوا شيأ وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيأ وهو شر لكم وحد الصبر وهو أوله فريضة مثل أول الاخلاص والصبر أيضا حيلة من لا حيلة له لان الامر اذا كان بيد غيرك لم يكن الا الصبر عليه ولان الشئ اذا كان لا يأتيك الا قليلا قليلا وأنت تحتاج اليه لم يكن الا الصبر عليه والانتظار لذلك القليل وأصل قلة الصبر ضعف اليقين بحسن جزاء من صبر لله لانه لو قوى يقينه كان الاجل من الوعد عاجلا اذا كان الواعد صادقا فيحسن صبره لقوة الثقة بالعطاء ولا يصبر العبد الا بأحد معنيين مشاهدة العوض وهو أدناهما وهذا حال المؤمنين ومقام أصحاب اليمين أو النظر الى المعوض وهو حال الموقنين ومقام المقربين فمن شهد العوض عنى بالصبر ومن نظر الى المعوض حمله النظر وقد جعل بعض العارفين الصبر على ثلاثة معان وانه فى أهل مقامات ثلاث فقال أوله ترك الشكوى قال وهذه درجة التائبين والثانى الرضا بالمقدور وهذه درجة الزاهدين والثالثة المحبة لما يصنع به مولاه وهذه درجة الصادقين وقد نوع القدماء من السلف الصبر على ثلاثة أنواع وروينا عن الحسن وغيره الصبر على ثلاثة معان صبر عن المعصية وهو أفضلها وصبر على الطاعة وصبر فى المصائب وهذا داخل فى جمل ما فرقناه من معانى الصبر ويجمل ذلك ان الصبر فرض وفضل يعرف ذلك بمعرفة الاحكام فما كان أمرا واجبا فالصبر عليه أو عنه فرض وما كان مندوبا فالصبر عليه أو عنه فضل والتصبر غير الصبر وهو مجاهدة النفس وحملها على الصبر وترديدها اليه وهو التعمل للصبر والتصنع للصبور بمنزلة التزهد وهو أن يعمل فى أسباب الزهد ليحصل الزهد والصبر هو التحقق بالوصف وذلك هو المقام ولا يخرج العبد من الصبر كراهة النفس ولا وجدان المرارة والالم بل يكون مع ذلك صابرا الا ان هذا وصف البشرية لما ينافى طبعها ولكن كون حاله الكتم عن الشكوى ونفى السخط لحكم المولى لان عدم ذلك وفقده هو الرضا وحقيقة التوكل وهذا من أعلى مقامات اليقين ومن مراتب اليقين لا يخرج عن حد الصبر والذى يخرج عن حد الصبر ضده وهو الجزع وشبهه وقلة الحمد والعلم واظهار السخط وكثرة الشكوى وظهور الذم والتبرم ومن رياضة النفس على التصبر وهو مقام المتصبرين وحال ضعفاء المريدين ان النفس الامارة اذا جنحت بك الى فضول الشهوات أو نازعتك الى مطالبة متقدم العادات أن تمنعها حاجتها من كل شئ ويشغلها منع المباح ووجود الفاقة عن الابتداء [illegible] طلب فضول الشهوات فاذا رضتها بالمنع ومنعتها شهواتها بالتصبر عن الحلال انقادت لك بالصبر عن فضول الشهوات وتكون تاركة الشهوة بعوض عاجل من مباح وتكون صابرة عن فضول شهوة لما منعتها من مثاله الفاقة وتاركة للهوى طمعا فى نوال الحاجة من الغذاء وهذا من أكبر أبواب الرياضات للنفوس المطالبات وفيه فضل الاقوياء من المتصبرين الذين لم تستجب لهم نفوسهم بالصبر والصلاة ولم تنقد بالجوع والظمأ فأما الضعفاء من أهل الطبقة الثالثة لا من الاولين اهل الصوم والصلاة ولا من هؤلاء فانهم لا يصبرون على تصبر النفس عن الحاجة كما لا تصبر نفوسهم عن الشهوة فرياضة هؤلاء لنفوسهم ان يقطعوها من كل حرام معناه من الحلال ومن كل شهوة مهالكة وصفها من شهوة قصدة لتسكن نفوسهم

العرق حتى سقط على وجهى فقلت وما كان ذلك فقال نظرت الى شخص جميل فاستحييت ان أذكره وروى عن هشام بن احسان انه قال مات لى ابن حدث فرأيته فى النوم فاذا شيب فى رأسه فقلت اى بنى ما هذا الشيب قال لما قدم علينا فلان زفرت جهنم لقدومه زفرة فلم يبق أحد منا الا شاب وروى ان بعض الصالحين قال كان لى ابن استشهد فلم أره فى المنام الى ليلة توفى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه فتراءى لى تلك الليلة فقلت يا بنى الم تك ميتا فقال لا ولكنى استشهدت وأنا حى عند الله تعالى ارزق فقلت ما جاء بك فقال نودى فى أهل السموات ان لا يبقى نبى ولا صديق ولا شهيد الا وحضر الصلاة على عمر بن عبد العزيز فجئت لاشهد الصلاة ثم جئتكم لا سلم عليكم [illegible] هذه العقوبات لازمة [illegible] [illegible] بالتقوى ومن عرف ما بين يديه لم يؤثر الهوى [illegible] [illegible]

من حقها ووضعها فى حقها فهو من الصابرين الشاكرين لا يزيد عليه أهل البلاء والفقر الا بحقيقة الرضا والشكر وقد جمع الله تعالى بين ما سر وضر وجعلهما من وصف المتقين ومدحهم بالاحسان معهما فقال تعالى أعدت للمتقين الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين ومن الصبر كتمان المصائب والاوجاع وترك الاستراحة الى الشكوى بهما فذلك هو الصبر الجميل قيل هو الذى لا شكوى فيه ولا اظهار وروينا عن ابن عباس رضى الله عنهما الصبر فى القرآن على ثلاثة أوجه صبر على أداء الفرائض لله تعالى وصبر عن محارم الله تعالى وصبر فى المصيبة عند الصدمة الاولى فمن صبر على أداء فرائض الله تعالى فله ثلثمائة درجة ومن صبر على محارم الله تعالى فله ستمائة درجة ومن صبر فى المصيبة عند الصدمة الاولى فله تسعمائة درجة وهذا يحتاج الى تفسير ولم فضل ابن عباس الصبر على المصيبة لانه أفضل من الصبر عن المحارم وعلى الفرائض بل لان الصبر على ذينك من أحوال المسلمين والصبر على المصيبة من مقامات اليقين وانما فضل المقام فى اليقين على مقام الاسلام ومن ذلك ما روى من دعاء النبى صلى الله عليه وسلم أسألك من اليقين ما تهون به على مصائب الدنيا فاحسن الناس صبرا عند المصائب أكثرهم يقينا وأكثر الناس جزعا وسخطا فى المصائب أقلهم يقينا ومثل هذا الخبر الذى رويناه عن سلمة بن وردان عن أنس ابن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من ترك المراء وهو محق بنى له بيت فى أعلى الجنة ومن ترك المراء وهو مبطل بنى له فى وسط الجنة ومن ترك الكذب بنى له فى ربض الجنة فقد علمت ان ترك الكذب وترك المراء مبطلا أفرض وأوجب فينبغى ان يكونا أفضل ولكن المعنى فيه ان الكذب والمراء بالباطل يتركه المسلمون فأما المراء والعبد محق صادق ثم لا يمارى زهدا فى التظاهر ورغبة فى الصمت والسلامة فلا يصبر على هذا الا الموقنون وهم خصوص المؤمنين فمقامه من اليقين والزهد وايثار الخمول والصمت على الكلام والشهوة به أفضل وهو من اليقين فصار هذا المؤمن بمقامه أفضل من عموم المؤمنين الذين يتركون الكذب والمماراة وان كانا أفرض وأوجب فهذا بيان ذلك ومعناه ومن الصبر اخفاء أعمال البر ومنع النفس الفكاهة والتمتع بذكرها واخفاء المعروف والصدقات فان كتمه من الادب مع السلامة فى الاعلان وبره الساحة فى الاخبار ولكن اخفاؤه أفضل وأزكى وأحب الى الله تعالى بل هى من كنوز البر أعنى هذه الثلاثة اخفاء الاوجاع والمصائب والصدقة أى من الذخائر النفيسة عند الله تبارك وتعالى ومن الصبر صون الفقر واخفاؤه والصبر على بلاء الله تعالى فى طوارق الفاقات وهذا حال الزاهدين الراضين وأفضل الصبر الصبر على الله تعالى بالمجالسة له والاصغاء اليه وعكوف الهم عليه وقوة الوجد به وهذا خصوص للمقربين أو حياء منه أو حبا له أو تسليما أو تفويضا اليه وهو السكون تحت جريان الاقدار وشهودها من الانعام ومن حسن تدبير الاقسام فى شهود المشيئة له والحكمة فيها والقصد بالابتلاء بها وهو داخل فى قوله تعالى ولربك فاصبر وفى قوله تعالى واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا وقال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه وغيره من الائمة أصبحت ومالى سرور الا فى مواضع القدر وروى أيضا الا انتظار القضاء ويقال من علامة اليقين تسليم القضاء بحسن الصبر والرضا وهو مقام العارفين وقال سهل فى تأويل قول على رضى الله عنه ان الله تعالى يحب كل عبد نومة قال هو الساكن تحت جريان الاحكام يعنى من غير كراهة ولا اعتراض وأما اشتراط الصبر فى المصيبة عند الصدمة الاولى فى قول النبى صلى الله عليه وسلم انما الصبر عند الصدمة الاولى فلانه يقال ان كل شئ يبدو صغيرا ثم يكبر الا المصيبة فانها تبدو كبيرة ثم تصغر فاشترط لعظم الثواب لها عند أول كبرها قبل صغرها وهى فى صدمة القلب أول ما يبغته الشئ فينظر الى نظر الله تعالى فيستحى فيحسن الصبر كما قال فانك بأعيننا وهذا مقام المتوكلين على الله تعالى والصبر أيضا عن اظهار الكرامات وعن الاخبار بكشف القدرة والآيات داخل فى حسن الادب من المعاملات وهو من معنى الحياء من الله تعالى وهذا طريق المحبين لله تعالى وهو حقيقة الزهد ومن فضائل الصبر حبس النفس عن حب المدح والحمد

انا بنساء معلقات بثديهن فسمعتهن يضججن الى الله عز وجل قلت يا جبريل من هؤلاء النساء قال هؤلاء الزناة من أمتك قال ثم مضيت هنية فاذا انا بقوم يقطع من جنوبهم اللحم فيلقمون فيقال له كل كما كنت تأكل من لحم أخيك قلت يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء الهمازون من أمتك اللمازون وذكر الحديث وقال بعض الصالحين مات لى أخ فى الله فرأيته فى النوم فقلت له يا فلان عشت الحمد لله رب العالمين فقال لى لان أقدر أن أقولها يعنى الحمد لله رب العالمين أحب الى من الدنيا وما فيها ثم قال ألم تر حيث كانوا يدفنونى فان فلانا جاء فصلى ركعتين لان أقدر ان أصليهما أحب الى من الدنيا وما فيها وروى ان بعض النباشين نبش ذات ليلة قبرا فلما كشف عن الميت اذا بنار تحرق الميت فاهوت اليه منها شرارة فهرب وتاب الى الله تعالى وقيل رؤى الاوزاعى فى المنام فقال ما رأيت ههنا درجة ارفع من درجة العلماء ثم المحزونين وعن منصور بن اسمعيل قال رأيت عبد الله البزاز فى المنام فقلت له ما فعل الله بك فقال أوقفنى بين يديه وغفر لى كل ذنب أقررت به الا واحدا فانى استحييت ان أقر به فوقفنى فى

النفس وعن التنعم والترفه أفضل ان كان عبدا حاله النعمة فالصبر عن النعم والغنى مقام في المعرفة وهو أفضل لان فيه الزهد المجمع على تفضيله وتقول ان الشكر على الفقر والبلاء والمصائب أفضل ان كان عبدا حاله الجهد والبلاء فالشكر عليه مقام له في المعرفة فهو حينئذ أفضل لان فيه الرضا المتفق على فضله * نوع آخر من الاستدلال على فضل الصابر وتفضيل الصبر جملة الصابر العارف أفضل من الشاكر العارف لان الصبر حال الفقر والشكر حال الغنى فمن فضل الشكر على الصبر في المعنى فكأنه قد فضل الغنى على الفقر وليس هذا مذهب أحد من القدماء انما هذه طريقة علماء الدنيا طرقوا لنفوسهم بذلك وطرقوا للخلق الى نفوسهم من ذلك فان من فضل الغنى على الفقر فقد فضل الرغبة على الزهد والعز على الذل والكبر على التواضع وفي هذا تفضيل الراغبين والاغنياء على الزاهدين والفقراء ويخرج ذلك الى تفضيل أبناء الدنيا على أبناء الآخرة وانما فضلنا الصبر على الشكر في الجملة والمعنى لان الصبر حال من مقامات البلاء وأهل البلاء هم الامثل فالامثل بالانبياء ولان الصبر أبعد من أهواء النفوس وأقرب الى الضر والبؤس وأشد في مكاره النفوس وأنفر لطباعها وأشد مباينة لما يلائمها فاذا سكنت معه ووجد عندها كان أعز لوصفها وأعجب في طمأنينتها فمدحت بالسكون والطمأنينة وكانت راضية مرضية وأيضا فان الله تعالى أمر بالصبر وبالغ فيه بالمصابرة وأكدهما بالمرابطة في قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا قيل في أحد الوجوه رابطوا عليهما فهذه ثلاثة أمور في مكان واحد بمعنى الصبر فهذا يدل على تعظيمه للصبر ومحبته تعالى له فمن وجد منه ذلك كان أشد تعظيما لشعائر الله عز وجل ومن عظم شعائر الله فهو أتقى لله تعالى ومن كان أتقى لله كان أكرم على الله لقوله تعالى ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب ثم قال الله تعالى ان أكرمكم عند الله أتقاكم والصبر أيضا مقام أولي العزم من الرسل الذين أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالقدوة بهم وباهى الله تعالى بهم عبده فقال تعالى فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل وأيضا فان العزائم في الدين أولى من الرخص روينا عن سفيان الثوري رضي الله عنه عن حبيب بن أبي ثابت قال سئل مسلم البطين ايما أفضل الصبر أم الشكر فقال الصبر والشكر والعافية أحب الينا وقد قيل في معنى قوله تعالى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه قيل شدائده وعزائمه لان اباحة حلال الدنيا حسن والزهد فيه أحسن وقد جعل الله تعالى الصبر من العزائم في قوله وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور وقد شرك الله تعالى عباده في الشكر وأفرد عز وجل لنفسه تعالى الصبر فينبغي ان يكون المفرد للمفرد أعلى من المشترك بالعبد فقال تعالى أن اشكر لي ولوالديك وقال تعالى على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم من لم يشكر الناس لم يشكر الله عز وجل ولم يشرك في الصبر من خلقه أحدا فقال تعالى ولربك فاصبر وقال واصبر لحكم ربك واعلم ان الشكر داخل في الصبر والصبر جامع للشكر لان من صبر ان لا يعصي الله بنعمة فقد شكرها ومن أطاع الله فصبر نفسه على طاعته فقد شكر نعمته وقد سئل الجنيد رحمه الله عن غني شاكر وفقير صابر أيهما أفضل فقال ليس مدح الغني للوجود ولا مدح الفقير للعدم انما المدح في الاثنين قيامهما بشروط ما عليهما فشرط الغني يصحبه فيما عليه أشياء تلائم صفته وتمتعها وتلذذها والفقير يصحبه فيما عليه أشياء تؤلم صفته وتقبضها وتزعجها فاذا كان الاثنان قائمين لله تعالى بشروط ما عليهما كان الذي آلم صفته وأزعجها أتم حالا ممن متع صفته ونعمها هذا نقل كلام الجنيد رحمه الله تعالى وكان أبو العباس بن عطاء يخالفه في ذلك فقال ان الجنيد دعا عليه فلحقه ما أصابه من البلاء من قتل أولاده واتلاف ماله وزوال عقله أربع عشرة سنة فكان يقول دعوة الجنيد أصابتني ورجع عن قوله في تفضيل الغني على الفقر فصار يفضل الفقر ويشرفه وأيضا فقد روينا في الخبر أعرفكم بنفسه أعرفكم بما ابتلاه به منها وما ابتلاها به فأعظم ما ابتلانا به نفوسنا وابتلاها بعدا وتنافي أفضل ممن صبر على مجاهدة عدوه على انه مع ذلك عدو الله تعالى منازع لصفات الربوبية ومن أشد بلاء ممن ابتلي بعداوتك وابتليت بمحبته وأنت في ذلك تترك محبته لمحبة الله تعالى وتصبر على عداوته

أربعين لا أدري أربعين يوما أو أربعين شهرا أو أربعين عاما فيبعث الله عيسى بن مريم عليه السلام كأنه عروة بن مسعود فيطلبه فيهلكه ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة ثم يرسل الله عز وجل ريحا باردة من قبل الشام فلا يبقى على وجه الارض أحد في قلبه مثقال الذرة من خير أو ايمان الا قبضته حتى لو أن أحدكم دخل في كبد جبل لدخلته عليه حتى تقبضه فيبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا فيتمثل لهم الشيطان فيقول ألا تستجيبون فيقولون فماذا تأمرنا فيأمرهم بعبادة الاوثان وهم في ذلك دار رزقهم حسن عيشهم ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد الا أصغى ليتا ورفع ليتا قال فأول من يسمعه رجل يلوط حوض ابله قال فيصعق الناس ثم يرسل الله أو قال ينزل الله مطرا كأنه الطل فتنبت منه أجساد الناس ثم ينفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون ثم يقال يا أيها الناس هلم الى ربكم وقفوهم انهم مسؤلون ثم يقال أخرجوا بعث النار فيقال من كم فيقال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين قال فذلك

بذلك فى حبسها عن المحرمات وتنقطع شهوتها عما وراء ذلك من الموبقات فبهذا تطمئن نفوس الضعفاء وقد اختلف الناس فى الصبر والشكر أيهما أفضل وليس يمكن الترجيح بين مقامين لان فى كل مقام طبقة متفاوتين والمحققون من أهل المعرفة يقولون انه لا يجتمع عبدان فى مقام بالسواء بل لا بد من ان يكون أحدهما أعلى بعلم أو عمل أو وجد أو مشاهدة وان كان الصواب والقصد والاصل واحدا وأعلى التفاوت مشاهدات الوجه وقد قال الله تعالى ومن أصدق من الله حديثا ولكل وجهة هو موليها وقال تعالى قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا قيل أقصد وأقرب طريقا وظاهر الكتاب والسنة يدلان على تفضيل الصبر لقوله تعالى يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا فالشاكر يؤتى أجره مرة فأشبه مقام الصبر مقام الخوف وأشبه مقام الشكر مقام الرجاء وقد قال الله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان وقد اتفق أهل المعرفة على تفضيل الخوف على الرجاء من حيث اتفقوا على فضل العلم على العمل فالصبر حال من مقام الخوف فقرب حال الصابر فى الفضل من مقامه والشكر حال من مقام الرجاء كذلك يقرب حال الشاكر من مقامه ومن السنة قوله صلى الله عليه وسلم فى الخبر الذى ذكرناه من قبل من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن أعطى حظه منهما لم يبال ما فاته وذكر الحديث المتقدم فقرن الصبر باليقين الذى لا شئ أعز منه ولا أجل وارتفاع الاعمال وعلو اليقين به وفى مناجات أيوب عليه السلام ان الله سبحانه وتعالى أوحى اليه يا أيوب انى آليت على نفسى لا نشرت للصابرين ديوان توبيخ ولا انظروا الى حد الصراط ولا ارعهم نقص الميزان دارهم دار السلام *بيان آخر من تفضيل الصبر الصبر حال البلاء والشكر حال النعمة والبلاء أفضل لانه على النفس أشق لقول الله تعالى انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب فالشاكر يوفى أجره بحساب لان انما تحقيق للوصف ونفى ما عداه *بيان آخر من فضل الصبر قد رفع على كرم الله وجهه الصبر على أربع مقامات اليقين وجعلها دعائمه التى بها يستبين وجعله فيه فوقها فقال فى حديثه الطويل الذى وصف فيه شعب الايمان والصبر على أربع دعائم على الشوق والشفقة والزهد والترقب فمن أشفق من النار رجع عن المحرمات ومن اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات ومن زهد فى الدنيا هانت عليه المصيبات ومن ارتقب الموت سارع الى الخيرات فجعل هذه المقامات أركان الصبر لانها توجد عنه وتحتاج اليه فى جميعها وجعل الزهد أحد أركانه وقد جعل الله تعالى الصبر حال التقوى ورفع للمتقين فى الاكرام درجات فقال عز وعلا انه من يتق ويصبر وقال تعالى ان أكرمكم عند الله أتقاكم فأكرم واتقى فوق أن يقال كرامكم المتقون لان اكرم واتقى يدل على تفاوت فمن كان أتقى كان أكرم عند الله سبحانه وتعالى ومن كان أصبر على ما يوجب التقوى كان أتقى واعلم أن الصبر سبب دخول الجنة وسبب النجاة من النار لانه جاء فى الخبر حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات فيحتاج المؤمن الى صبر على المكاره ليدخل الجنة ويحتاج الى صبر عن الشهوات لينجو من النار فأما تفصيل التفضيل فعلى ثلاثة أوجه أحدها ان المقامات أعلى من الاحوال وقد يكون الصبر والشكر حالين وقد يكونان مقامين فمن كان مقامه الصبر كان حاله الشكر عليه فهو أفضل لانه صاحب مقام ومن كان مقامه الشكر كان حاله الصبر عليه فحاله مزيد لمقامه وقد صار الصبر مزيدا للشاكر فى مقامه الوجه الثانى من التفضيل المقربون أعلى من أصحاب اليمين فالصابرون من المقربين أفضل من الشاكرين من أصحاب اليمين والشاكرون من المقربين أفضل من الصابرين من أصحاب اليمين فان قيل فان كان الشاكر والصابر من المقربين فأيهما أفضل قيل فقد قلنا ان اثنين لا يتفقان فى مقام من كل وجه لانفراد الوجه بمعانى لطائف اللطيف بمثل ما انفردت الوجوه بلطايف الصنعة مع تشابه الصفات واستواء الادوات فأفضلهما حينئذ أعرفهما لانه أحبهما الى الله تعالى وأقربهما منه وأحسنهما يقينا لان اليقين أعز ما أنزل الله تعالى وجه آخر من بيان التفضيل نقول ان الصبر عما يوجب الشكر أفضل وان الشكر على ما يوجب الصبر أفضل فقد يختلف باختلاف الاحوال تفسيره ان الصبر عن حظ

بكاس الاجل اطفاله

شعر

لقد أخبرتك الحادثات نزولها
ونادتك الان سمعك ذو وقر
تنوح وتبكى للاحبة ان مضوا
ونفسك لا تبكى وأنت على الاثر

اللهم ارحمنا ولا تعذبنا وانصرنا ولا تخذلنا وعافنا ولا تحرمنا واكرمنا ولا تهنا وآثرنا ولا تؤثر علينا انك على كل شئ قدير

(فصل) فى أشراط الساعة قال الله تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون م عن حذيفة بن اسيد الغفارى قال اطلع النبى صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر فقال ما تذاكرون قالوا نذكر الساعة قال انها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى ابن مريم ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس الى محشرهم وروى نار تخرج من قعر عدن تسوق الناس الى المحشر ا عن عبد الله ابن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج الدجال فى أمتى فيمكث

له شيء فن قوله عز وجل واذكر عبدنا أيوب الى قوله نعم العبد انه أواب عظيم من الفرقان عند أهل الفهم والتبيان وجعل في أول وصف سليمان انه وهبه لابيه داود عليهما السلام فصار حسنة من حسنات داود عليه السلام واشتمل قوله تعالى *نعم العبد انه أواب* على أول وصفه وأوسطه وهو آخر وصف أيوب عليه السلام وعلى جميع الانبياء الصلاة والسلام وقد روينا في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر الانبياء دخولا الجنة سليمان بن داود عليهما السلام لمكان ملكه وآخر أصحابي دخولا الجنة عبد الرحمن بن عوف لمكان غناه وفي لفظ آخر يدخل سليمان بن داود الجنة بعد الانبياء بأربعين خريفا وقد جاء في الآثار ان أول من يدخل الجنة أهل البلاء امامهم أيوب وهو امام أهل البلاء وان أبواب الجنة كلها مصراعان الا باب الصبر فانه مصراع واحد وأول من يدخله أهل البلاء فقد زاد أيوب على سليمان عليهما السلام بعموم هذه الاخبار لانه سيد أهل البلاء وتذكرة وعبرة لاولي النهى وامام أهل الصبر والضر والابتلاء ولم نقصد بما ذكرناه التفضيل بين الانبياء لانا قد نهينا عن ذلك نهيا وروينا عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم انه قال لا تفضلوا بين الانبياء ولكن الله تعالى قد أخبرنا أن بعضهم مفضل على بعض في قوله ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وانما أظهرنا فضل الثناء المستودع في الكتاب فاستنبطنا باطن الوصف المكرر في الخطاب في قصة أيوب على قصة سليمان عليهما السلام بما ظهر لنا من فهم دليل الخطاب وتدبر معاني الكلام وعلم الله تعالى المقدم وهو عز وجل أعلم وأحكم وقد ندبنا الى الاستنباط في قول الرسول عليه السلام اقرؤا القرآن والتمسوا غرائبه ولان في ذلك عزا لاهل الصبر والبلاء وتقوية لقلوبهم وتعريفا لسوابغ نعم الله تعالى عليهم واظهارا لبواطن النعم وتنبيها على لطائف الكلام وتزهيدا في الدنيا والنفس وترغيبا في الآخرة والصبر وتفضيلا لطريق أهل البلاء الذين هم الامثل فالامثل بالانبياء فيما من ذلك تفضيل المبتلى الصابر على بلائه ورضا بحكم مولاه وتسليما لمرضاته على المنعم عليه الشاكر على نعمائه اذ النعم ملائمة للطبع موافقة للنفس لا يحتاج معها الى كد النفس بالصبر عليها ولا حملها على المشقة فيها بالرضا بها والبلاء مباين للطبع نافرة منه النفس يحتاج الى حمل عليه ومشقة فيه وما كرهته النفس فهو خير وأفضل ولا سبيل اليه الا بسكينة من الله تعالى وتصبر عليه بقوة به عز وجل وعناية منه واصبر وما صبرك الا بالله وهذا آخر شرح مقامات الصبر

(شرح مقام الشكر ووصف الشاكرين) وهو الثالث من مقامات اليقين قال الله تعالى ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم فقرن الشكر بالايمان ورفع بوجودهما العذاب وقال تعالى وسنجزي الشاكرين وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر وقال ابن مسعود رضي الله عنه الشكر نصف الايمان وقد أمر الله تعالى بالشكر وقرنه بالذكر في قوله تعالى فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون وقد عظم الذكر بقوله ولذكر الله أكبر فصار الشكر أكبر لاقترانه به ورضا الله تعالى بالشكر جزاء من عباده لفرط كرمه لان قوله تعالى فاذكروني أذكركم واشكروا لي خروج من لفظ المجازاة لتحقيق الامر وتعظيم الشكر لان الفاء للشرط والجزاء والكاف المتقدمة للتمثيل فقوله تعالى فاذكروني متصل بقوله كما أرسلنا فيكم رسولا منكم فاذكروني واشكروا لي والمعنى كمثل ما أرسلت فيكم رسولا منكم فاشكروا لي والعرب تكتفي من مثل بالكاف كما تكتفي من سوف بالسين في قوله تعالى سنؤتيهم وسنستدرجهم وهذا تفضيل للشكر عظيم لا يعلمه الا العلماء بالله تعالى وقد روينا في أخبار أيوب عليه السلام ان الله تعالى أوحى اليه اني رضيت بالشكر مكافأة من أوليائي في كلام طويل وفي أحد الوجوه من قوله عز وجل لاقعدن لهم صراطك المستقيم قال طريق الشكر فلولا أن الشكر طريق يوصل الى الله تعالى لما تعرض العدو على قطعه ولولا أن الشاكر حبيب رب العالمين لما نقمه ابليس اللعين في قوله تعالى ولا تجد أكثرهم شاكرين وكذلك قال الله تعالى وقليل من عبادي الشكور وكما قال تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين وقد قطع الله

بالله ولا تبعدنا من جنابك يا أرحم الراحمين

(فصل) قال الله سبحانه وتعالى لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة أيحسب الانسان أن لن نجمع عظامه بلى قادرين على أن نسوي بنانه بل يريد الانسان ليفجر أمامه يسأل أيان يوم القيامة فاذا برق البصر وخسف القمر وجمع الشمس والقمر يقول الانسان يومئذ أين المفر كلا لا وزر الى ربك يومئذ المستقر ينبؤ الانسان يومئذ بما قدم وأخر عن عائشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا قلت يا رسول الله الرجال والنساء جميعا ينظر بعضهم الى بعض فقال يا عائشة الامر أشد من أن ينظر بعضهم الى بعض قال الداني يحشر الله الامم من الجن والانس عراة أذلاء قد نزع الملك من ملوك أهل الارض ولزمهم الصغار بعد عتوهم والذلة بعد تجبرهم على عباد الله في أرضه ثم أقبلت الوحوش من أماكنها منكسة رؤسها بعد توحشها من الخلائق وانفرادها ذليلة من هول يوم النشور من غير ريبة ولا خطيئة أصابتها حتى وقفت من ورائه الخلائق بالذلة والانكسار للملك الجبار

بدوام مجاهدته لمرضاة الله تعالى فهذا أعدل العدل وأفضل الفضل ولا سبيل الى ذلك الا بفضل أثرة من الله تعالى وحسن عنايته ودوام نظره اذ لا توفيق ولا قوة ولا صبر الا به سبحانه وتعالى فاما المسئلة التى سئل عنها بعض القدماء عن عبدين ابتلى أحدهما فصبر وانعم على الآخر فشكر فقال كلاهما سواء قال لان الله تعالى اثنى على عبدين أحدهما صابر والآخر شاكر ثناء واحدا فقال تعالى فى وصف أيوب عليه السلام نعم العبد انه أواب وقال فى وصف سليمان عليه السلام نعم العبد انه أواب ففى قول هذا رحمه الله غفلة عن لطائف الافهام وذهاب عن حقيقة تدبر الكلام اذ عندنا بين ثناء الله عز وجل على أيوب فى الفضل على ثنائه على سليمان عليهما السلام ثلاثة عشر معنى وشركه سليمان عليه السلام بعد ذلك فى وصفين آخرين وافراد أيوب عليه السلام بفضل ثناء ثلاثة عشر معنى أول ذلك قوله عز وجل فى أول مدحه واذكر فهذه كلمة مباهاة باهى بأيوب عند رسوله المصطفى عليه السلام وشرفه وفضله بقوله تعالى واذكر يا محمد فامره بذكره والاقتداء به كقوله تعالى فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل قيل هم أهل الشدائد والبلاء منهم أيوب عليه السلام قرضوا بالمقاريض ونشروا بالمناشير وكانوا سبعين نبيا وقيل هم ابراهيم واسحق ويعقوب وهؤلاء آباء الانبياء وأفاضلهم لقوله تعالى واذكر فى الكتاب ابراهيم ولقوله تعالى واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب أولى الايدى والابصار يعنى أصحاب القوة والتمكن وأهل البصائر واليقين ثم ردع أيوب الى مقامهم فضمه اليهم وجعله سلوة له صلى الله عليه وسلم ثم ذكره اياه وذكره به ثم قال تعالى عبدنا فأضافه اليه عز وجل اضافة تخصيص وتقريب ولم يدخل بينه وبينه لام الملك فيقول عبد الناظرا الحقه بنظرائه من أهل البلاء فى قوله تعالى واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب وهم أهل الابتلاء الذين باهى بهم الانبياء وجعل من ذرياتهم الاصفياء فاضاف أيوب اليهم فى حسن الثناء وفى لفظ التذكرة به فى الثناء ثم قال اذ نادى ربه فافرده بنفسه لنفسه وانفرد له فى الخطاب بوصفه وقال مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين فوصفه بمواجهة التملق له ولطيف المناجاة وظهر له بوصف الرحمة فاستراح اليه به فناداه فشكا اليه واستغاث به فاشبه مقامه مقام موسى ويونس عليهما السلام فى قولهما سبحانك تبت اليك وفى قول الآخر لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين وهذا خطاب المشاهدة ونظر المواجهة ثم وصفه بالاستجابة له وأهله لكشف الضر عنه وجعل كلامه سببا لتنفيذ قدرته ومكانا لمجارى حكمته ومفتاحا لفتح اجابته ثم قال بعد ذلك كله ووهبنا له أهله فزاد على سليمان فى الوصف اذ كان بين من وهب لاهله وبين من وهب له أهله فضل فى المدح لانه قال فى وصف سليمان ووهبنا لداود سليمان فاشبه فضل أيوب فى ذلك على سليمان كفضل موسى على هرون لانه قال عز وجل فى مدح موسى عليه السلام وتفضيله على هرون ووهبنا له من رحمتنا أخاه هرون نبيا وكذلك قال فى مدح داود ووهبنا لداود سليمان فوهب لموسى أخاه كما وهب لداود ابنه وأشبه مقام أيوب فى المباهاة والتذكرة به مقام داود عليه السلام لانه قال تعالى فى وصف داود لنبيه عليه السلام فاصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود وكذلك قال تعالى فى نعت أيوب واذكر عبدنا أيوب اذ نادى ربه فقد شبه أيوب بداود وموسى عليهما السلام فى المعنى ورفعه اليهما فى المقام وهما فى نفوسنا افضل من سليمان عليهم السلام فاشبهان يكون حال أيوب أعلى من حال سليمان وعلم الله تعالى المقدم ولكن هكذا ألقى فى قلوبنا والله أعلم ثم قال تعالى بعد ذلك كله رحمة منا فذكر نفسه ووصفه عند عبده تشريفا له وتعظيما ثم قال عز وجل وذكرى لاولى الالباب فجعله اماما للعقلاء وقدوة لاهل الصبر والبلاء وتذكرة وسلوة من الكروب للاصفياء ثم قال تعالى انا وجدناه صابرا فذكر نفسه سبحانه وتعالى ذكرا ثانيا لعبده ووصل اسمه باسمه حباله وقربا منه لان النون والالف فى وجدنا اسمه تبارك وتعالى والهاء اسم عبده أيوب صلى الله عليه وسلم ثم قال صابرا فوصفه بالصبر فاظهر مكانه فى القوة وخلقه بخلقه ثم قال تعالى فى آخر أوصافه نعم العبد انه أواب فهذان أول وصف سليمان وآخره ههنا شركه فى الثناء وزاد أيوب بما تقدم من المدح والوصف الذى لا يقوم

يوم يجعل الولدان شيبا وذلك يوم يكشف عن ساق يا أخى أشفق من هذا اليوم العقيم وأخلص السفينة فان الخطر عظيم وبادر بالعمل فان الاجل قريب وجود فان الناقد بصير وأكثر الزاد فان الطريق سحيق وأوثق السفينة فان البحر عميق كما ينادى بالمحسن ليجازى باحسانه وكذلك ينادى بالمسىء ليؤخذ بعصيانه فيقال أين من أدبر وتولى أين من تمرد وعصى أين من تجبر وعلا أين من أذنب وطغى أين من ضل وغوى أين أصحاب الفجور أين أهل الجور أين من أكل الربا أين من جاهر بالفسق والزنا أين من خان واعتدى ليجزى الذين أساؤا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى كانت ابليس كالبلدة العامرة فوقعت فيها صاعقة الطرد فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا انما طرد ابليس لانه لم يسجد لكم فالعجب كيف صالحتموه وهجرتمونا شعر

طويل العمر فى الدنيا قصير
وغاية كل ما يفنى يسير
وما أحد من الايام يبقى
وكل سلامة فيها غرور
تحث بنا المسير الى المنايا
تخال بنا يسير عنها تطير
وأحسن حالة الانسان فيها
كفاف العيش والعمل الكثير

الهى بحرمة فقرنا اليك وغناك عنا لا تطردنا عن

الذي ليس كمثله شيء والذي بيده ملكوت كل شيء الى عبد مملوك لا يقدر على شيء ومن الشكر أن يشكر الله تعالى على اليسير لان القليل من الحبيب كثير ولان الله تعالى حكيم فمنعه حكمة وقدرة فاذا عرف وجه الحكمة في المنع مع القدرة على العطاء علم انه منعه ليعطيه فتم صار المنع عطاء واليسير منه كثيرا ويعلم أن الذل والصبر عند المنع عز وشرف وهو أفضل وأنفس عند العلماء من التعزز بالعبيد والتشرف بهم وان الطمع والتذلل اليهم والاستشراف الى عبد مملوك مثله ذل ذليل وحسن الذل للعزيز كحسن الذل للحبيب وقبح الذل للذليل كقبح الذل للعدو وقد قال الله تعالى ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه وقال تعالى في معناه ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم والعبادة هي الخدمة والطاعة والتذلل ولا يحسن للعبد المقبل أن يظهر فقره وفاقته الى غير مولاه الذي يلي تدبيره ويتولاه لانه عليم خبير بحاله يسمعه ويراه فهو أعلم بما يصلحه منه وقد قال الله تعالى في معناه ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض فعلى الموقن أن يشكر في القبض والمنع كما يشكر في العطاء والبسط ثم يشهد الشاكر بقلبه شهادة يقين ويعلم ان وصفه وصف العبودية وحكمه أحكام العبيد محكوم عليه بأحكام الربوبية وانه لا يستحق على الله شيأ وان الله عز وجل يستحق عليه كل شيء فالعبد خلقه وصنعته والرب صانعه ومالكه فاذا شهد العبد هذه الشهادة رأى لله عز وجل عليه كل شيء فرضي منه بأدنى شيء ولم يره على الله تعالى شيأ فلم يقنع لله تعالى منه بشيء ولم يطالب مولاه بشيء فكثرة الذكر وحسن الثناء وجميل النشر للنعماء وتعديد النعم والآلاء هو شكر اللسان لان معنى الشكر في اللغة هو الكشف والاظهار يقال كثر وشكر بمعنى اذا كشف عن ثغره فأظهره فيكون اظهار الشكر وكشفه باللسان ما ذكرناه كما جاء في الخبر ليس شيء من الاذكار يضاعف ما يضاعف الحمد وفي الحديث من قال سبحان الله فله عشر حسنات ومن قال لا اله الا الله فله عشرون حسنة ومن قال الحمد لله كتبت له ثلاثون حسنة ليس ان الحمد أعلى من التوحيد ولكن لفضل مقام الشاكر ولان الله تعالى افتتح به كلامه في كتابه وفي الخبر الحمد رداء الرحمن عز وجل وفي الخبر أفضل الذكر لا اله الا الله وأفضل الدعاء الحمد لله رب العالمين ويكون أيضا ظهور الشكر وغايته في القلب شكر القلب ويكون شكر الله تعالى لعبده كشفه له ما ستره عنه واظهاره له ما حجبه عنه من العلوم والقدر وهو المزيد فيفيده ذلك حسن معرفته سبحانه وتعالى وعلو مشاهدته منه وكل ذلك يرجع الى معنى الكشف والاظهار وأما شكر الجوارح للمنعم المفضل سبحانه وتعالى فهو أن لا يعصيه بنعمة من نعمه وانه يستعين بنعمته على طاعته ولا يستعين بها على معاصيه فيكون قد كفرها كما قال تعالى ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا قيل استعانوا بنعمه على معاصيه فالخلق لا يقدرون على تبديل نعمة الله عز وجل ولكن معناه بدلوا شكر نعمة الله كفرا وهذا من المضمر معناه الظهور دال عليه لانه أمرهم بالطاعة بالنعم فخالفوه فعصوه بها فكان ذلك تبديلا منهم لما أمروا ومثله قوله تعالى وتجعلون رزقكم انكم تكذبون المعنى شكر رزقكم تجعلونه تكذيبكم برسل الله تعالى وهذا من المحذوف أيضا وهي في قراءة النبي صلى الله عليه وسلم مظهرة مفسرة روينا عنه عليه السلام انه قرأ وتجعلون شكركم فهذا ظاهر ومعناه ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فان الله شديد العقاب أي يعاقب من كفر بالنعمة فتضييع شكرها بمعصيته بها يعاقبه بزوالها وكذلك قوله تعالى ولئن كفرتم ان عذابي لشديد بدليل ان كفرتم النعمة وقد يكون العذاب في الدنيا تبديل النعمة عقوبات وتغييرها هوان ومذلات وقد يكون العذاب مؤجلا كقوله تعالى ان عذابها كان غراما قال طالبهم على النعم بالشكر فلم يكن عندهم فأغرمهم ثمن النعمة فحبسهم في جهنم وقد قال الله تعالى وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ثم قال وذروا ظاهر الاثم وباطنه فنبه تنبيها لذوي الالباب الذين وصل لهم القول ليتذكروا أن يذروا ظاهر الاثم شكر الظاهر النعم ويذروا باطن الاثم شكر الباطن النعم وظاهر النعم سواء في الاجساد ووجود الكفايات من الاموال وظاهر الاثم أعمال الجوارح من معاني حظوظ النفس وباطن النعم معافاة القلوب وسلامة العقود وباطن الاثم

رؤسهم لعظيم هول يومهم قد تسربلوا أجنحتهم ونكسوا رؤسهم بالذلة والخضوع لربهم وكذلك ملائكة كل سماء الى السابعة قد أضعف أهل كل سماء على أهل السماء الذين قبلهم في المدة وعظم الاجساد والاصوات حتى اذا وافى الموقف أهل السموات السبع والارضين السبع كسيت الشمس حر عشر سنين ثم أدنيت من الخلائق قاب قوس أو قوسين فلا ظل ذلك اليوم الا ظل عرش الرحمن فمن بين مستظل بظل العرش وبين مضح بحر الشمس قد صهرته واشتد فيها كربه وأقلقته وقد ازدحمت الامم وتدافعت ودفع بعضها بعضا واختلفت الاقدام وانقطعت الاعناق من العطش قد اجتمع عليهم في مقامهم حر الشمس ووهج أنفاسهم وتزاحم أجسامهم ففاض العرق منهم على وجه الارض على أقدامهم على قدر مراتبهم ومنازلهم عند ربهم من السعادة والشقاوة فمنهم من يبلغ العرق الى كعبيه ومنهم من يبلغ الى ركبتيه ومنهم من يبلغ الى حقويه ومنهم من يبلغ الى شحمة أذنيه ومنهم من قد ألجمه العرق وكاد أن يغيب فيه في الاسماعة أهل بلاء كحق في عرق أهل الحشر وشدة كربهم وان فيهم من ينادي

تعالى بالمزيد مع الشكر ولم يستثن فيه واستثنى فى خمسة أشياء فى الاغناء والاجابة والرزق والمغفرة والتوبة فقال تعالى فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء وقال تعالى فيكشف ماتدعون اليه ان شاء وقال تعالى يرزق من يشاء ويغفر لمن يشاء وقال عز وجل ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء وختم بالمزيد عند الشكر من غير استثناء فقال تعالى لئن شكرتم لأزيدنكم فالشاكر على مزيد والشكور فى نهاية المزيد وهو الذى يكثر شكره على القليل من العطاء ويتكرر منه الشكر والثناء على الشئ الواحد من النعم وهذا خلق من أخلاق الربوبية لانه سماه باسم من أسمائه والمزيد هو الى المنعم يجعله ماشاء فأفضل المزيد حسن اليقين ومشاهدة الاوصاف وأوّل المزيد شهود النعم انها من المنعم بها من غير حول ولا قوّة الا به عز وجل وأوسط المزيد دوام الحال ومتابعة الخدمة والاستعمال وقد يكون المزيد أخلاقا وقد يكون علوما وقد يكون فى الآخرة وتثبيتا عند فراق العاجلة وقد جعل الله تعالى الشكر مفتاح كلام أهل الجنة وختام تنعمهم فى قوله تعالى الحمد لله الذى صدقنا وعده وقال تعالى وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين فلولا انه أحب الاعمال اليه مابقاه عليهم لديه ورويناه فى مناجاة أيوب عليه السلام ان الله تعالى أوحى اليه فى صفة الصابرين دارهم دار السلام اذا دخلوها ألهمتهم الشكر وهو خير الكلام وعند الشكر أستزيدهم وبالنظر الىّ أزيدهم وهذا غاية الفضل فأوّل الشكر معرفة النعم انها من المولى وحده لاشريك له فيها ولاظهير له عليها اذ قد نفى ذلك عن نفسه لانه هو الاوّل فى كل شئ لاشئ معه ولاظهير له فى شئ اذ قد جعل الضراء والسراء منه واليه جاريين على عباده فقال تعالى وماله فيهما من شرك وماله منهم من ظهير الشرك الخلط والظهير المعين ثم قال تعالى ومابكم من نعمة فمن الله ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون وقال تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يمسسك بخير فهو على كل شئ قدير وقال تعالى فى جمل النعم بعد اضافتها اليه وسخر لكم مافى السموات ومافى الارض جميعا منه وقال تعالى وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة فالاسباب مع صحتها والاواسط مع ثبوتها انماهى حكمه واحكامه فظروف العطاء وآثار المعطى لاتؤثر فى الحكم بها ولاتجعل لها حكما ولا تجعل لا يعنى لا تحكم ولا تجعل لانها محكومات فكيف تحكم ومجعولات فكيف تجعل لاحاكم الا الله وحده ولا يشرك فى حكمه أحدا وهذا الحرف فى مقرأ أهل الشام أبلغ وأوكد لانه يخرج على الامر لانهم قرؤه بالتاء وجزم الكاف ولا تشرك فى حكمه أحدا فالاسباب أحكام حق وأواسط حكمة فمشاهدة المنعم فى النعمة وظهور المعطى عند العطاء حتى ترى النعمة منه والعطاء عنه هو شكر القلب لان الشكر عند الشاكرين معرفة القلب ووصفه لاوصف اللسان وقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وأمر باقتناء الشكر واتخاذه مالا فى الآخرة عوضا من اقتناء الاموال فى الدنيا فقال فى حديث ثوبان وعمر بن الخطاب رضى الله عنهما حين نزل فى الكنوز مانزل سأله عمر أى المال نتخذ فقال ليتخذن أحدكم لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا وروينا فى أخبار موسى عليه السلام وداود عليه السلام يارب كيف أشكرك وأنا لا أستطيع أن أشكرك الا بنعمة ثانية من نعمك وفى لفظ آخر وشكرى لك نعمة أخرى منك توجب على الشكر لك فأوحى الله تعالى اليه اذا عرفت هذا فقد شكرتنى وفى خبر آخر اذا عرفت أن النعم منى فقد رضيت منك بذلك شكرا وشكر اللسان حسن الثناء على الله تعالى وكثرة الحمد والمدح له واظهار انعامه واكرامه ونشر أياديه واحسانه وأن لا يشكو المالك الى المملوك ولا المعبود الجليل الى العبد الذليل وفى الخبر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لرجل كيف أصبحت قال بخير فأعاد عليه النبى عليه السلام السؤال ثانية كيف أنت فقال بخير فأعاد عليه الثالثة كيف أنت فقال بخير أحمد الله تعالى وأشكره فقال هذا الذى أردت منك يعنى اظهار الحمد والشكر والثناء وانما كان السلف يتساءلون عن أحوالهم اذا التقوا ليستخرجوا بذلك حمد الله تعالى وشكره فيكونوا شركاء فى ذلك لانهم سبب ذكره لله تعالى فمن علمت انه يشكو مولاه ويتسخطه عند قضائه اذا سألته عن حاله فلا تسأله فتكون أنت سبب شكواه وشريكه فى جهله وما أقبح بالعبد أن يشكو المولى

الذى

وأقبلت الشياطين بعد تمردها وعتوها خاضعة ذليلة للعرض على الديان حتى تكاملت عدة أهل الارض من انسها وجنها وشياطينها ووحوشها وسباعها وانعامها وهوامها تناثرت نجوم السماء من فوقهم وطمست الشمس والقمر فأظلما عليهم ومارت سماء الدنيا من فوقهم فدارت بعظمها فوق رؤسهم وجميع ذلك بعينك وعين أهل الموقف ينظرون الى هوله ثم انشقت بغلظها وهو خمسمائة عام فياهول صوت انشقاقها فى سمعهم وتمزقت وتفطرت لهول يوم القيامة من عظيم يوم الطامة ثم ذابت حتى صارت مثل الفضة المذابة كما قال الجبار تبارك وتعالى فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان وقال يوم تكون السماء كالمهل وتكون الجبال كالعهن أى كالصوف المنفوش وهو أضعف الصوف وهبطت الملائكة من حافاتها الى الارض بالتقديس لربهم فتوهم انحدارهم من السماء بعظم أجسامهم وكثرة أخطارهم وهول أصواتهم وشدة فرقهم من خوف ربهم فتوهم فزعك حينئذ وفزع الخلائق لنزولهم مخافة أن يكونوا قد أمروا بهم فأخذوا مصافهم محدقين بالخلائق منكسى

تعالى بالوصفين معاً في الدعاء المأثور يا من أظهر الجميل وستر القبيح ومن النعمة الصحة والفراغ هما أوّل نعيم الدنيا وأصول أعمال الآخرة وبهما تكون المغابنات كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ وقال الفضيل بن عياض عليكم بمداومة الشكر على النعم فقل نعمة زالت عن قوم فعادت اليهم وقال بعض السلف النعم وحشية فقيدوها بالشكر وقد روي في خبر ما عظمت نعمة الله تعالى على عبد الا كثرت حوائج الناس اليه فمن تهاون بهم عرض تلك النعمة للزوال وقد قال الله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم قيل لا يغير نعمه عليهم حتى يغيروها بتضييع الشكر فيعاقبهم بالتغيير والوجه الآخر لا يغير ما بهم من عقوبة حتى يغيروا معاصيهم بالتوبة فذكر بذلك السبب الاول من حكمه ثم ذكر السبب الثاني من حكمته وهو مسبب الاسباب للحكمة والمشيئة ويقال ان تحت كل شعرة من جسم العبد نعمة وبكل عرق في جسده نعمتان في تسكينه وتحريكه وفي كل عظم أربع نعم وبكل مفصل سبع نعم وفي جسم الانسان ثلاثمائة وستون مفصلا ومثل ذلك من العظام وفي كل طرفة نعمتان وبكل نفس نعمتان وفي كل دقيقة تأتي عليه من عمره نعم لا تحصى والدقيقة جزء من اثني عشر جزأ من شعيرة والشعيرة جزء من اثني عشر جزأ من ساعة والانفاس أربعة وعشرون ألف نفس في اليوم والليلة وفي أخبار موسى عليه السلام يا رب كيف أشكرك ولك في كل شعرة من جسدي نعمتان ان لينت أصلها وان طمنت رأسها وقد روينا في الاثر من لم يعرف نعم الله تعالى عليه الا في مطعمه ومشربه فقد قل علمه وحضر عذابه هذا مع سوابغ العوافي والكفايات والوقايات ويقال ان في باطن الجسم من النعم سبعة أضعاف النعم التي في ظاهره وان في القلب من النعم أضعاف ما في الجسم كله من النعم وان نعم الايمان بالله تعالى والعلم واليقين اضعاف نعم الاجسام والقلوب فهذه كلها نعم مضاعفة على نعم مترادفة لا يحصيها الا من انعم بها ولا يعلمها الا من خلقها ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير سوى نعم المطعم والمشرب والملبس والمنكح من دخول ذلك وخروجه وكثرة تكرره وتزايده بان أدخل مهناه وأخرج اذاه وبأن طيب مدخله ويسر مخرجه وبقى منفعته وما أحال من صورته وغير من صفته فالتزهيد والذلة والاعتبار والتذكرة وتلك أيضا نعم قال يقال ان الرغيف لا يستدير حتى يعمل فيه ثلثمائة وستون صنعة من السماء والارض وما بينهما من الاجسام والاعراض والافلاك والرياح والليل والنهار وبني آدم وصنائعهم والبهائم ومعادن الارض أوّلها ميكائيل الذي يكيل الماء من الخزائن فيفرغه على السحاب ثم السحاب التي تحمله فيرسله ثم الرياح التي تحمل السحاب والرعد والبرق والملكان اللذان يسوقان السحاب وآخرها الخباز فاذا استدار رغيفا طلب سبعة آلاف صانع كل صانع أصل من أصول الصنائع فهذه كلها نعم في حضور رغيف فكيف بما زاد عليه مما وراءه فعلى العبد بكل نعمة شكران طولب بشكر نعمة واحدة على حقيقتها هلك الا ان تغمده رحمة من ربه فتغمره لتمام النعمة وروينا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقول اللهم اني أسألك تمام النعمة فقال هل تدري ما تمام النعمة قال لا قال دخول الجنة وقيل لبعض الحكماء ما النعيم قال الغنى فاني رأيت الفقير لا عيش له قيل زدنا قال العافية فاني رأيت السقيم لا عيش له قيل زدنا قال الامن فاني رأيت الخائف لا عيش له قيل زدنا قال الشباب فاني رأيت الهرم لا عيش له قيل زدنا قال لا أجد مزيدا وبعض ما ذكره هو أحد الوجوه في قوله تعالى أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا قيل الشباب وقيل الفراغ وقيل الامن والصحة وفي قوله تعالى وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون قيل العوافي والغنى وبمعناه في قوله تعالى واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة قيل ظاهرة العوافي وباطنة البلاوي لانها سبب نعيم الآخرة ومزيدها لقوله تعالى ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين وقد جاء في الخبر من أصبح معافى في بدنه آمنا في سربه وعنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها وأنشدت في معناه لبعض أهل القناعة

اذا القوت تأتى لك * والصحة والامن * وأصبحت أخا حزن * فلا فارقك الحزن

يحشر الناس في صعيد واحد يوم القيامة فينادي مناد فيقول أين الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل فيدخلون الجنة بغير حساب ثم يؤمر بسائر الناس الى الحساب وفي الاحياء وكتاب المؤمنات الصالحات فتفكر يا مسكين في طول ذلك اليوم وشدة أهواله وطول الانتظار حتى يخف عليك الصبر عن الشهوات والمعاصي في عمرك القصير المحتقر بالنسبة الى ذلك اليوم يوم يغضب فيه الرب غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله يوم تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد يوم يؤخذ بالنواصي والاقدام يوم لا تجزي نفس عن نفس شيأ يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه يوم الحسرة يوم الخزي يوم المحاسبة قال الله تعالى فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون يوم العدل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتؤدّن الحقوق الى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم

في مشاهدة قوله لمن شهد سر الكلام اذ يقول عز وجل ليس كمثله شيء وعن هذه المشاهدة اغتبط موسى عليه السلام بالربوبية وأنس بالتقريب فانبسط بالتمكين فقال لي ماليس لك فقال الله تعالى وماهو فقال لي مثالك وليس لك مثل نفسك فقال عز وجل صدقت يعني لي أنت على هذه الاوصاف التي هي غاية الطالبين ولا مزيد عليها للراغبين وليس لك كأنت اذ ليس كمثلك شيء وأن لا اله الا أنت فمن غامض النعم الشكر على هذه المعاني ما زوي عنك وصرفه من فضول الدنيا فانه أقل للشغل والاهتمام وأيسر للحساب ثم ابتلى به غيرك من الدنيا مما شغله به عنه وقطعه دونه ففي صرف الدنيا عنك وابتلاء غيرك بها نعمتان عليهما شكران وكذلك اذا رأيت مبتلى في دينه بصفات المنافقين أو مبتلى بنفسه بأخلاق المتكبرين أو منهمكا فيما عليه من أفعال الفاسقين عددت جميع ذلك نعما من الله تعالى عليك اذ لم يجعلك كذلك لانك قد كنت أنت ذاك لولا فضل الله عليك ورحمته فتحسب كل ما وجهه الى غيرك من الشر أو صرفه عنك من الخيرات تعده نعما عليك بمثل ما وجهه اليك من الخير وصرفه عنك من الشر لان النفوس كنفس واحدة في الامر بالسوء والمشيئة والقدرة واحدة فقدر جلك بما صرفه عنك من السوء فذلك من فضل الله تعالى عليك فعرفته بذلك شكر منك لله تعالى وأكثر عقوبات الخلق من قلة الشكر على النعم وأصل قلة الشكر الجهل بالنعمة وسبب الجهل بالنعمة قصور العلم بالله تعالى وطول الغفلة عن المنعم وترك التفكر في نعمه والتذكر لآلائه ومننه سبحانه وتعالى فقد أمر بذلك في قوله تعالى واذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون قيل نعمه وقال المفسرون واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به وبمعناه قوله تعالى ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون يعني على نعمة الهداية وتوفيق الطاعة فاذا جهل العبد النعمة لم يعرفها واذا لم يعرفها لم يشكر عليها واذا لم يشكر عليها انقطع مزيده ومن انقطع عنه المزيد فهو في نقصان ما ادعى وأيضا فان من لم يشكر النعم لجهله بها لم يؤمن عليه كفرها فان كفرها أدركه العذاب الشديد للوعيد الا أن تداركه نعمة من ربه وأصول نعم المرافق للاحياء أربعة أولها النطفة التي أخرجت من خزانة الارحام جميع البهائم والانام ثم الحرث الذي أخرج من خزانة الارض جميع الثمر ثم الماء الذي لنا منه شراب ومنه شجر ثم النار التي فيها ضياء ومصالح الاطعمة وبها الاهل المصائر تذكرة وهذه النعم هي التي ذكرها المنعم في آخر سورة الواقعة وأضافها الى نفسه عز وجل ولم يجعل فيها شريكا معه وفتح للعباد العمال أبوابها ومن أفضل النعم وأجلها نعمة الايمان به سبحانه وتعالى ثم نعمة الرسول ثم نعمة القرآن ثم ان جعلنا من خير أمة أخرجت للناس وقبل ذلك أول نعمة علينا ان جعلنا موجودين دون سائر المعدومات ثم جعلنا حيوانا دون سائر الموات ثم جعلنا بشرا دون سائر الحيوان ثم ان جعلنا ذكورا دون الاناث ثم صورنا في أحسن تقويم ثم عوافي القلوب من الزيغ عن السنة ومن الميل الى دواعي النفس الامارة ثم صحة الاجسام ثم كشف الستر ثم حسن الكفاية للعاجة ثم صنوف ما أظهر من الازواج للاقوات ثم تسخير الصنعة لنا مما بين السماء والارض فهذه أمهات النعم فكلما كثرت هذه المعاني وحسنت كثر الشكر عليها لعظم النعم بها وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وكان أبو محمد سهل رحمه الله يقول نخص بمعرفة النعم وبمعرفة عظيم حلم الله تعالى وستره الصديقون وقد قال الله تعالى أصدق القائلين وأحسن الواصفين وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الله لغفور رحيم فتمت النعمة بوصفيه اللذين هو لهما أهل من المغفرة والرحمة ثم قال أيضا في مثله ان الانسان لظلوم كفار فكان أعظم للنعمة وأوسع في الكرم والمنة على وصف الانسان اللذين هو أهل لهما من الظلم والكفر فهو سبحانه وتعالى أهل التقوى وأهل المغفرة والعبد أهل لما وصفه به مولاه عز وجل الى ان يجود عليه بقديم ما به تولاه فبنعمته أطاعه العاملون ومن نعمته جازاهم وبنعمته عصاه الجاهلون ومن نعمته ستر وحلم عنهم ومن النعم اظهار الجميل وستر القبيح فلا ندري أي النعمتين أعظم جميل ما أظهر أو قبيح ما ستر وقد مدح الله

تعالى

في الارض جميعا ثم يحبسه كما روى الطبراني في معجمه الكبير عن عبد الله بن عمرو ابن العاص انه قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية يوم يقوم الناس لرب العالمين ثم قال كيف بكم اذا جمعكم الله عز وجل كما يجمع النبل في الكنانة خمسين ألف سنة لا ينظر اليكم قال الحسن ما ظنك بيوم قاموا فيه على أقدامهم مقدار خمسين ألف سنة لم يأكلوا فيها أكلة ولم يشربوا فيها شربة حتى اذا انقطعت أعناقهم عطشا واحترقت أجوافهم جوعا انصرف بهم وسقوا من عين آنية قد أنى حرها واشتد لفحها عن عبد الله ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة ليس في وجهه مزعة لحم وقال ان الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرق نصف الاذن فبينما هم كذلك استغاثوا بآدم ثم بموسى ثم بمحمد صلى الله عليه وسلم وزاد عبد الله حدثني الليث قال حدثني أبو جعفر فيشفع ليقضي بين الخلق فيمشي حتى يأخذ بحلقة الباب فيومئذ يبعثه الله مقاما محمودا يحمده أهل الجمع كلهم وروى البيهقي في شعب الايمان عن أسماء بنت يزيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

واليقين سلامة الاديان من الزيغ والاهواء فهاتان نعمتان تستوجبان عظيم الشكر من العبد كما استوعب القلب والجسم جسيم النعم من المالك ومن أقوى المعانى فى قوله تعالى يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم قيل سالم من الشك والشرك والسالم الصحيح المعافى و بوجود عافية اليقين فى القلوب عدم الشك والنفاق وهى أمراض القلوب كما قال تعالى فى قلوبهم مرض قيل شك ونفاق وعافية القلب أيضا من الكبائر كما قال تعالى فيطمع الذى فى قلبه مرض يعنى الزياء و يقال ما من مصيبة الا ولله تعالى فيها خمس نعم أولها انها لم تكن فى الدين و يقال كل مصيبة فى غير الدين فهى طريق من الدين والثانية انها لم تكن أكبر منها والثالثة انها كانت مكتوبة عليه لا محالة فقد نفذت واستراح منها والرابعة انها عجلت فى الدنيا ولم تؤجل فى الآخرة فتعظم على مقدار عذاب الآخرة والخامسة ان ثوابها خير منها فان المصيبة اذا كانت فى أمر الدنيا فانها طريق الى الآخرة وعندنا فى قوله تعالى ان الانسان لظلوم كفار قيل ظلوم بالتسخط كفار بالمعاصى و بالنعم وحدثت ان العباس رضى الله عنه لما توفى قعد ابنه عبد الله رضى الله عنه للتعزية فدخل الناس أفواجا يعزونه فكان فيمن دخل اعرابى فانشده

اصبر نكن بك صابرين فانما * صبر الرعية بعد صبر الراس
خير من العباس أجرك بعده * والله خير منك للعباس

فقال ابن عباس ما عزانى أحد تعزية الاعرابى واستحسن ذلك وفى قوله تعالى ان الانسان لربه لكنود قيل هو الذى يشكو المصائب و ينسى النعم ولو علم ان مع كل مصيبة عشر نعم بجذائها او زيادة قلت شكواه وبدلها شكرا ثم ان المصائب لا تخلو من ثلاثة أقسام كلها نعم من الله تعالى اما أن تكون درجة وهذا للمقربين والمحسنين واما أن تكون كفارة وهذا لخصوص أصحاب اليمين والابرار أو تكون هذا عقوبة وهذا للكافة من المسلمين فتعجيل العقوبة فى الدنيا رحمة ونعمة ومعرفة هذه النعم طريق الشاكرين ومن أفضل النعم عند العلماء نعمة الايمان ثم دوامه لان دوام الشئ نعمة ثانية لانه بحكم ثان عن مشيئة ثانية لان الارادة منه تعالى بحكم الاظهار لا توجب دوام المظهر فكان الشئ يظهر بارادته ثم يتلاشى كان لم يكن الا أن يحكم سبحانه وتعالى حكما ثانيا بنعمة ثانية بالثبات والدوام اذ لو لم يرد دوام السموات والارض ما داما ولو لم يرد دوام ثبات الجبال ما ثبتت كذلك لو لم يرد دوام الايمان وثباته فى القلوب بعد الكتب لظهر بالكتب ثم انمحى ورجع القلب الى الكفر لكنه أنعم نعما لا تحصى بدوامه وثباته فى القلب ومنه قوله تعالى يمحو الله ما يشاء و يثبت أى يمحو ما لا يشاء ثبوته و يثبت ما يحب ولا يستطيع العبد شكر نعمة الايمان ومعرفة بداية التفضل به وقديم الاحسان من غير قدم من العبد ولا استحقاق بل بفضل الله و برحمته وهذا أحد الوجوه فى قوله تعالى كلا لما يقض ما أمره أى لا يقضى العبد أبدا شكر ما أمره الله تعالى من نعمة الاسلام التى هى أصول النعم فى الدنيا والآخرة وهى سبب النجاة من النار ومفتاح دخول الجنة ولا أول للعبد فيها ولا شفيع كان له الى الله تعالى بها ثم دوام ذلك وثباته مع الطرف والانفاس بمدد منه نعم مترادفة ومن هذا قوله تعالى كتب فى قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه أى قواهم بمدد يثبته ويقويه وهو معنى قوله تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم يا مقلب القلوب أى عن الايمان ومقلبها فى الشك والشرك ثبت قلبى على طاعتك ومعرفة هذه النعمة اللطيفة العظيمة تستخرج من القلب خوف سوء الخاتمة لمشاهدة سرعة تقلب القلب بالمشيئة وذلك مزيد شكرها وهذا داخل فى معنى قوله صلى الله عليه وسلم أحبوا الله تعالى لما أسدى اليكم من نعمه ولما يغذوكم به أيضا من فضل ما غذانا به نعمة الايمان له والمعرفة به وغذاؤه لنا منه دوام ذلك ومدده بروح منه وتثبيتنا عليه فى تصريف الاحوال اذ هو اصل الاعمال التى هى مكان النوال فلو قلب قلوبنا عن التوحيد كما يقلب جوارحنا فى الذنوب ولو قلب قلوبنا فى الشك والضلال كما يقلب نياتنا فى الاعمال أى شئ كنا نصنع وعلى أى شئ كنا

بهم الى النار ولا يعرض قبائح أعمالهم على الجبار ولا يكشف أستارهم على الخلائق و يظن كل واحد انه المقصود دون غيره فيقول الجبار لجبريل عليه السلام ائتنى بالنار فيجيئها ويقول لها أجيبى الجبار فلا تلبث بعد ندائه ان تثور وتزفر الى الخلائق فيسمع الخلائق تغيظها وزفيرها وتنبث خزانها الى الخلائق غضابا على العصاة فتمتلئ قلوب الخلائق رعبا ويتساقطون على ركبهم وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى الى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون و ينادى الظلمة وأعوانهم وهم تحت أرجل الخلائق بالويل والثبور جزاء لهم من جنس صنيعهم بالخلق فى الدنيا و ينادى الصديقون كل منهم نفسى نفسى فبينما هم كذلك اذ زفرت النار زفرة ثانية فتتضاعف خوفهم فيظنون انهم مأخوذون ثم تزفر الثالثة فتتساقط الخلق لوجوههم و يشخصون بأبصارهم ينظرون من طرف خفى و ينضج عند ذلك قلوب الظالمين فتبلغ لدى الحناجر كاظمين ما لهم من ولى ولا حميم انتهى

شعر

يا ناقض العهد يا من ماله فجعته
مع الاله بلا خوف ولا جزع
ضيعت عمرك يا هذا بلا عمل
تمسى وتصبح بين الحرص والطمع

وأنشد الآخر كن وفلقة خبز * وكوز ماء وأمن * ألذ من كل عيش * يحويه سحب وسجن

وحدثونا ان عابدا عبد الله تعالى سبعين عاما فارسل الله تعالى اليه ملكا يبشره بدخول الجنة برحمة الله تعالى فهجس في نفسه بل بعملي فاطلع الله تعالى على ذلك منه فأوحى الى عرق ساكن من عروقه ان تحرك عليه قال فاضطرب لذلك وقلق وانقطعت عبادته وذهبت أعماله شغلا منه بنفسه وقلق بنفسه ثم أوحى الله تعالى الى العرق ان اسكن فسكن فرجع العبد الى عبادته فأوحى الله تعالى اليه انما قيمة عبادتك عرق واحد سكن من عروقك فاعترف وروينا معناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوصف آخران رجلا عبد الله سبعين عاما قال فيأمر الله عز وجل به الى الجنة برحمته فيقول بلى بعملي فيقول الله عز وجل أدخلوا عبدي الجنة بعمله قال فيمكث في الجنة سبعين عاما فيأمر الله تعالى به أن يخرج ويقال له قد استوفيت ثواب عملك قال فيسقط في يديه ويندم فينظر أقوى شيء كان في نفسه بينه وبين ربه فاذا هو الرجاء وحسن الظن فيقول يارب اتركني في الجنة برحمتك لا بعملي قال فيقول الله عز وجل دعوا عبدي في جنتي برحمتي وحدثت عن رجل شكا الى بعض أهل المدينة فقره وأظهر لذلك غمه فقال له الرجل أيسرك انك أعمى ولك عشرة الاف قال لا قال فيسرك انك أخرس ولك عشرة آلاف قال لا قال فيسرك انك أقطع اليدين والرجلين ولك عشرة آلاف قال لا قال فيسرك انك مجنون ولك عشرة آلاف قال لا قال أفما تستحي أن تشكو مولاك وله عندك عروض بخمسين ألفا وهذا كما قال لان في الانسان قيم هذه الاشياء من الجوارح وزيادة من المال لانها ديات جوارحه لو قطعت وحدثني بعض الشيوخ في معناه ان بعض القراء المقربين اشتد به الفقر حتى أحزنه وضاق به ذرعا قال فرأى في المنام كأن قائلا يقول له تود أنا أنسيناك سورة الانعام وان لك ألف دينار قال لا قال فسورة هود قال لا قال فسورة يوسف قال لا قال فعلك قيم مائة ألف وأنت تشكو الفقر فأصبح وقد سري عنه همه وهكذا جاء في الخبر تغنوا بالقرآن أي استغنوا به ومن لم يستغن بآيات الله تعالى فلا أغناه الله عز وجل وان القرآن هو الغنى الذي لا فقر معه ولا غنى بعده ومن آتاه الله القرآن فظن ان أحدا أغنى منه فقد استهزأ بآيات الله تعالى وفي لفظ آخر فقد استخف بما أنزل الله عز وجل وفي الخبر من لم يتغن بالقرآن فليس منا وفي الخبر المجمل كفى باليقين غنى والقرآن هو حق اليقين وروينا عن بعض السلف يقول الله عز وجل ان عبدا أغنيته عن ثلاث فقد أتممت عليه نعمتي عن سلطان يأتيه وطبيب يداويه وعما في يد أخيه وروينا في مناجاة أيوب عليه السلام ان الله تبارك وتعالى أوحى اليه مامن عبد لي من الآدميين الا ومعه ملكان فاذا شكر على نعمائي قال الملكان اللهم زده نعماء على نعمه فانك أهل الشكر والحمد فكن من الشاكرين قريبا وزدهم شكرا وزدهم من النعماء وكفى بالشاكرين يا أيوب علو الرتبة عندي وعند ملائكتي فأنا أشكر شكرهم وملائكتي تدعو لهم والبقاع تحبهم والآثار تبكي عليهم فكن لي يا أيوب شاكرا ولا آلائي ذاكرا ولا تذكرني حتى أذكرك ولا تشكرني حتى أشكر أعمالك أنا أوفق أوليائي لصالح الاعمال واشكرهم على ما وفقتهم واقتضيهم الشكر ورضيت به مكافأة فرضيت بالقليل عن الكثير وتقبلت القليل وجازيت عليه بالجزيل وشر العبيد عندي من لم يشكرني الا في وقت حاجته ولم يتضرع بين يدي الا في وقت عقوبته وذكر الكلام وقد جعل الله تعالى الشاكرين بوصف الصالحين والمقربين والعالمين وهذه الاوصاف الثلاث من أعالي مقامات الموقنين فقال عز وجل وقليل من عبادي الشكور وكما قال الله تعالى الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ماهم وكما قال في وصف المقربين ثلة من الاولين وقليل من الآخرين وكما قال عز وجل مايعلمهم الا قليل وفي حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم سلوا الله العافية وما أعطي عبد أفضل من العافية الا اليقين ففضل العافية على كل عطاء ورفع اليقين فوق العافية لان بالعافية يتم نعيم الدنيا واليقين معه وجود نعيم الآخرة ولليقين فضل على العافية كفضل الدوام على الانتقال والعافية سلامة الابدان من الاسقام والعلل

واليقين

اللعنة ولهم سوء الدار فالويل كل الويل لنا معشر الغافلين ثم يرسل الله الينا سيد الاولين والآخرين وينزل عليه الكتاب يخبرنا بهذه الصفات من نعوت يوم الدين فنتلوه بالسنتنا ونحن عنه غافلون نعوذ بالله من هذه الغفلة التي عاقبتها هذه الاهوال والحسرة فبينما هم في هذه الاهوال اذ نزلت ملائكة من ارجاء السماء باجسام عظام وأشخاص ضخام غلاظ شداد أمروا بأخذ النواصي الى موقف العرض على الجبار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله ملكا ما بين شفري عينيه مسيرة خمسمائة عام فما ظنك بنفسك اذا شاهدت مثل هؤلاء الملائكة ارسلوا اليك ليأخذوك ويسوقوك الى مقام العرض وعند نزولهم لا يبقى صالح ولا صديق ولا نبي الا ويخر لذقنه خوفا من ان يكون هو المأخوذ فاذا كان هذا حال المقربين فكيف حال المقصرين فيبدأ بالرسل فيقول الله تعالى ماذا أجبتم فيقولون لا علم لنا فيا شدة هول تذهل فيه عقول الرسل حتى لا يدرون ماذا يجيبون ثم يقبل الملائكة فينادون واحدا واحدا باسمه هلم الى موقف العرض فعند ذلك ترتعد الفرائص وتضطرب الجوارح وتبهت العقول حتى يتمنى أقوام ان يذهب

الصابرين ويحب الشاكر وهذا آخر شرح مقام الشكر والحمد لله رب العالمين

(شرح مقام الرجاء ووصف الراجين وهو الرابع من مقامات اليقين)

قال الله تعالى الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وقال جلت قدرته وكان بالمؤمنين رحيما وقال تعالى يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا ورويناه فى قراءة النبى صلى الله عليه وسلم ولا يبالى انه هو الغفور الرحيم وفى الاخبار المشهورة فقبض قبضة فقال هؤلاء فى الجنة ولا أبالى المعنى والله أعلم ان رحمتى وسعت كل شئ فليس يضيق هؤلاء عنها ولا أبالى بدخولهم فيها ويكون هؤلاء أيضا فى الجنة ولا أبالى بأعمالهم السيئة كلها وقال سبحانه وتعالى فى وصف المتقين والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله وقال عز وجل فى وصف المتوكلين الا اللمم ان ربك واسع المغفرة وقال تعالى مخبرا عن الملائكة الحافين حول عرشه والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن فى الارض واخبر عز وجل ان النار أعدها لاعدائه وانه يخوف بها أولياءه فقال تعالى لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباده ومثله قوله عز وجل واتقوا النار التى أعدت للكافرين وقال فانذرتكم نارا تلظى لا يصلاها الا الاشقى الذى كذب وتولى وقال تعالى فى عفوه عن الظالمين وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وروينا ان النبى عليه السلام لم يزل يسأل فى أمته حتى قيل له أما ترضى وقد أنزلت عليك هذه الآية وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وفى تفسير قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى قال لا يرضى محمد صلى الله عليه وسلم ان يدخل واحد من أمته النار وكان أبو جعفر محمد بن على رضى الله عنه يقول أنتم أهل العراق تقولون أرجى آية فى كتاب الله تعالى قوله تعالى يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الآية ونحن أهل البيت نقول أرجى آية فى كتاب الله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى وعده ربه عز وجل ان يرضيه فى أمته وروينا فى حديث أبى بردة عن أبيه عن أبى موسى أمتى أمة مرحومة لا عذاب عليها فى الآخرة جعل عقابها فى الدنيا الزلازل والفتن فاذا كان يوم القيامة دفع الى كل رجل من أمتى رجلا من أهل الكتاب فيقال هذا فداؤك من النار وروينا فى لفظ آخر يأتى كل رجل من هذه الامة بيهودى أو نصرانى الى جهنم فيقول هذا فدائى من النار فيلقى فيها وفى الخبر ان الحمى من فيح جهنم وهى حظ المؤمنين من النار وروينا فى تفسير قوله تعالى يوم لا يخزى الله النبى والذين آمنوا معه ان الله تبارك وتعالى أوحى الى نبيه صلى الله عليه وسلم تريد ان أجعل حساب أمتك اليك فقال لا يا رب أنت خير لهم منى قال اذا لا نخزيك فيهم وقال سفيان الثورى رضى الله عنه ما أحب ان يجعل حسابى الى أبوى لانى أعلم ان الله تبارك وتعالى أرحم بى منهما وروينا فى خبر سلمة ابن وردان عن أنس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل ربه تعالى فى ذنوب أمته فقال يا رب اجعل حسابهم الى لئلا يطلع على مساويهم غيرى فأوحى الله تعالى اليه هم أمتك وهم عبادى وأنا أرحم بهم منك لا أجعل حسابهم الى غيرى كيلا تنظر فى مساويهم أنت ولا غيرك وقد روينا عنه صلى الله عليه وسلم انه قال حياتى خير لكم وموتى خير لكم أما حياتى فانى أبين لكم السنن وأشرع الشرائع وأما موتى فاعمالكم تعرض على فما رأيت منها حسنا حمدت الله عز وجل وما رأيت منها شيأ استغفرت الله عز وجل لكم وروينا فى الاثر اذا تاب العبد من ذنوبه انسى الله عز وجل ملائكته وبقاع الارض معاصيه وبدلها حسنات حتى يرد القيامة وليس شئ يشهد عليه وكذلك يقال ان المؤمن اذا عصاه ستره الله تعالى عن أبصار الملائكة كيلا تراه فتشهد عليه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم يا كريم العفو فقال له جبريل عليه السلام تدرى ما تفسير يا كريم العفو هو انه عفا عن السيآت برحمته ثم بدلها حسنات بكرمه وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يقول اللهم انى أسألك تمام النعمة فقال هل تدرى ما تمام النعمة قال لا قال دخول الجنة وقد أخبرنا الله تعالى انه قد أتم نعمته علينا برضاه الاسلام لنا فهذا دليل على دخول الجنة

وسلم أوّل ما يحاسب عليه العبد الصلاة وأوّل ما يقضى بين الناس الدماء ت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أوّل ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته فان صلحت فقد أفلح وأنجح وان فسدت فقد خاب وخسر وان انتقص من فريضته شيأ قال الرب تبارك وتعالى انظروا هل لعبدى من تطوع فيكمل بها ما انتقص من الفريضة ثم يكون سائر أعماله على ذلك ط عن يحيى بن سعيد قال بلغنى ان أوّل ما ينظر فيه من عمل المرء الصلاة فان قبلت منه نظر فيما بقى من عمله وان لم تقبل منه لم ينظر فى شئ من عمله م عن أنس قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك فقال هل تدرون مم أضحك قال قلنا الله ورسوله أعلم قال من مخاطبة العبد ربه يقول يا رب ألم تجرنى من الظلم قال يقول بلى فيقول فانى لا أجيز اليوم على نفسى شاهدا الا منى فيقول كفى بك اليوم عليك حسيبا وبالكرام الكاتبين شهودا قال فيختم على فيه ويقال لاركانه انطقى فتنطق بأعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت أناضل وروى فى شرح السنة ان رسول الله

تعول و بأى شئ كنا نأمن ونرجو فهذا من كبائر النعم ومعرفته هو من شكر نعمة الايمان والجهل بهذا غفلة عن نعمة الايمان توجب العقوبة وادعاء الايمان انه عن كسب معقول أو استطاعة بقوة وحول هو كفر نعمة الايمان وأخاف على من توهم ذلك ان يسلب الايمان لانه بدل شكر نعمة الله كفرا وقد جعل الله تعالى الخيرات من كسب الايمان وليس لنا فيما يكسبنا الخيرات مكان بل الله تعالى من علينا ان هدانا للايمان وجعله سببا يكسب لنا باحسانه الاحسان كما قال تعالى أو كسبت فى ايمانها خيرا قيل التوبة وقيل الصالحات كلها كسب الايمان ومن النعم بعد الايمان توفيقنا للحسنى وتيسيرنا لليسرى ثم صرف الكفر وأخلاق الكفرة وأعمالهم ثم تزيين الايمان وتحبيبه الينا وتكريه الفسوق والعصيان فضلا منه ونعمة الى ما لا يحصى من نعمه فشكر ذلك لا يقام به الا بما وهب أيضا وانعم به من المعرفة بذلك والمعونة عليه والحياء من تتابع النعم هو من الشكر والمعرفة بالتقصير عن الشكر شكر والاعتذار من قلة الشكر شكر والمعرفة بعظيم الحلم وكنف الستر شكر والاعتراف بما أعطى من حسن الثناء وجميل النشر انه من النعم من غير استحقاق من العبد بل هو مضاف الى نعمه بل هو من الشكر وحسن التواضع بالنعم والتذلل فيها شكر وشكر الخلق بالدعاء لهم وحسن الثناء عليهم لانهم ظروف العطاء وأسباب المعطى تخلقا بأخلاق المولى جل وعلا هو من الشكر وقلة الاعتراض وحسن الادب بين يدى المنعم شكر وتلقى النعم بحسن القبول وتكثير تصغيرها وتعظيم حقيرها من الشكر لان طائفة هلكت باستصغار الاشياء واستحقار وجود المنافع بها جهلا بحكمة الله تعالى واستصغار النعمة فكان ذلك كفرا بالنعم ومن الناس من يقول ان الصبر أفضل من الشكر وليس يمكن التفضيل بينهما عند أهل التحصيل من قبل ان الشكر مقام جملة من المؤمنين والترجيح بين جماعة على جماعة لا يصح من قبل تفاوتهم فى اليقين فى المشاهدات لان بعض الصابرين أفضل من بعض الشاكرين لفضل معرفته وحسن صبره وخصوص الشاكرين أفضل من عموم الصابرين لحسن يقينه وعلو مشاهدته ولكن تفضيل ذلك من طريق الاحوال والمقامات انا نقول والله أعلم ان الصبر عن النعيم أفضل لان فيه الزهد والخوف وهما أعلى المقامات وان الشكر على المكاره أفضل لان فيه البلاء والرضا وان الصبر على الشدائد والضراء أفضل من الشكر على النعم والسراء من قبل انه أشق على النفس وان الصبر مع حال الغنى والمقدرة ان يعصى بذلك أفضل من الشكر على النعم من قبل ان الصبر عن المعاصى بالنعم أفضل من الطاعة بها لمن جاهد نفسه فيها فاذا شكر على ما يصبر عليه فقد صار البلاء عنده نعمة وهذا أفضل لانها مشاهدة المقربين واذا صبر عما يشكر عليه من النعم كان أفضل لانها حال المجاهدة وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن معاشر الانبياء أشد الناس بلاء ثم الامثل فالامثل يعنى الاقرب شبها بنا فالاقرب فرفع أهل البلاء اليه ووصف نفسه به وجعلهم الامثل فالامثل منه فمن كان برسول الله صلى الله عليه وسلم أمثل كان هو الافضل وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم شاكرا على شدة بلائه كذلك الشاكر من الصابرين يكون أفضل لشكره على البلاء اذ هو الاقرب والامثل بالانبياء وكل مقام من مقامات المقربين يحتاج الى صبر وشكر وأحدهما لا يتم الا بالآخر لان الصبر يحتاج الى شكر عليه ليكمل والشكر يحتاج الى صبر عليه ليستوجب المزيد وقد قرن الله تعالى بينهما ووصف المؤمنين بهما فقال ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور فذكر الشكر بلفظ المبالغة فى الوصف على وزن فعول كما ذكر الصبر على وزن فعال وهو وصف للمبالغة أيضا ولذلك انقسم الايمان نصفين كما جاء فى الخبر الصبر نصف الايمان والشكر نصف الايمان واليقين الايمان كله لان اليقين أصلهما وهما فرعاه عنه يوجدان لان الشاكر أيقن بالنعمة انها من المنعم وأيقن بانجاز ما وعده من المزيد فشكر كما أيقن الصابر حسبه بالبلاء لانه هو المبتلى وأيقن بثواب المبلى وحسن ثنائه على الصابر من فصبر فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فهما حالا الموقن اذ لا يخلو فى أدنى وقت من أحد اثنين بلية وتحية اذ فى كل شئ له آية فحاله فى البلية الصبر وحاله فى العافية الشكر والله يحب

وتسمع الوعظ لا ينهاك زاجره
بل أنت فى غفلة عن ذاك فارتدع
فقم لتقرع بابا الذى كثرت
للسائلين عطاياه وأنت معى
لعله أن يرانا تائبين له
يمن بالعفو عن عصياننا الشنع

اللهم ارحمنا واسبل علينا سترك وأظلنا بظل عرشك ولا تخزنا بنار سياستك فاعف عنا وعن والدينا ومشايخنا وأصدقائنا وأحبائنا ومحبينا آمين يارب العالمين

(فصل فى المسئلة) قال الله تعالى فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون خ م عن عدى بن حاتم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من أحد الا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان ولا حجاب يحجبه فينظر أيمن منه فلا يرى الا ما قدم من عمله و ينظر أشأم منه ولا يرى الا ما قدم و ينظر بين يديه فلا يرى الا النار تلقاء وجهه فاتقوا النار ولو بشق تمرة ت عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع عن عمره فيم أفناه وعن علمه ما عمل به وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه وعن جسمه فيم أبلاه س قال قال رسول الله صلى الله عليه

الظلمات الى النور وفى الخبر المفرد عن النبى صلى الله عليه وسلم المؤمن أفضل من الكعبة والمؤمن طيب طاهر والمؤمن أكرم على الله تعالى من الملائكة وفى الخبر المشهور عن عبد الله بن عمرو وأبى هريرة رضى الله عنهما وكعب الاحبار انه نظر الى الكعبة فقال ما أشرفك وما أعظمك وللمؤمن أعظم حرمة عند الله منك وقد أمر الله سبحانه وتعالى أنبياءه بتطهير بيته لاوليائه اجلالا لهم فشرف البيت بهم وفى الخبر عن الله تعالى من أهان لى وليا فقد بارزنى بالمحاربة وأنا الثائر لوليى فى الدنيا والآخرة وفى أخبار يعقوب عليه السلام ان الله تعالى أوحى اليه تدرى لم فرقت بينك وبين يوسف عليه السلام هذه المدة قال لا قال لقولك لاخوته أخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون لم خفت الذئب عليه ولم ترجنى له ولم نظرت الى غفلة اخوته ولم تنظر الى حفظى له ومن سبق عنايتى بك انى جعلت نفسى عندك أرحم الراحمين فرجوتنى ولولا ذلك لكنت أجعل نفسى عندك أبخل الباخلين فالرجاء هو اسم لقوة الطمع فى الشئ بمنزلة الخوف اسم لقوة الحذر من الشئ ولذلك أقام الله تعالى الطمع مقام الرجاء فى التسمية وأقام الحذر مقام الخوف فقال علت كلمته يدعون ربهم خوفا وطمعا وقال تعالى يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه وهو وصف من أوصاف المؤمنين وخلق من أخلاق الايمان لا يصح الا به كما لا يصح الايمان الا بالخوف فالرجاء بمنزلة أحد جناحى الطير لا يطير الا بجناحيه كذلك لا يؤمن من لا يرجو من آمن به ويخافه وهو أيضا مقام من حسن الظن بالله تعالى وجميل التأميل له فلذلك أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا يموتن أحدكم الا وهو حسن الظن بالله تعالى لانه قال عن الله تعالى أنا عند ظن عبدى بى فليظن بى ما شاء وكان ابن مسعود رضى الله عنه يحلف بالله تعالى ما أحسن عبد بالله تعالى ظنه الا أعطاه الله تعالى ذلك لان الخير كله بيده أى فاذا أعطاه حسن الظن بالله تعالى فقد أعطاه ما يظنه لان الذى حسن ظنه به هو الذى أراد أن يحققه له وروينا عن يوسف بن أسباط قال سمعت سفيان الثورى رضى الله عنه يقول فى قوله تعالى وأحسنوا ان الله يحب المحسنين قال اى احسنوا بالله تعالى الظن وكذلك دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرجل وهو فى سياق الموت فقال كيف تجدك فقال أجدنى أخاف ذنوبى وأرجو رحمة ربى فقال عليه السلام ما اجتمعا فى قلب عبد فى هذا الموطن الا أعطاه الله تعالى ما رجا وأمنه مما يخاف ولذلك قال على كرم الله وجهه للرجل الذى أطار الخوف عقله حتى أخرجه الى القنوط فقال له يا هذا اياسك من رحمة الله تعالى أعظم من ذنبك صدق رضى الله عنه لان الاياس من روح الله تعالى الذى يستريح اليه المكروب من الذنوب والقنوط من رحمة الله تعالى التى يرجوها المبتلى بالذنوب أعظم من ذنوبه وهو أشد من جميع ذنوبه لانه قطع بهواه على صفات الله تعالى المرجوة وحكم على كرم وجهه بصفته المذمومة وكان ذلك من أكبر الكبائر وان كانت ذنوبه كبائر وهكذا جاء فى التفسير ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة قال هو العبد يذنب الكبائر ويلقى بيده ولا يتوب ويقول قد هلكت لا ينفعنى عمل فنهوا عن ذلك الا ان الرجاء مقام جليل وحال شريف نبيل لا يصلح الا للكرماء من أهل العلم والحياء وهو حال يحول عليهم بعد مقام الخوف يروحون به من الكرب ويستريحون اليه من مقارفة الذنب ومن لم يعرف الخوف لم يعرف الرجاء ومن لم يقم فى مقام الخوف لم يرفع الى مقامات أهل الرجاء على صحة وصفاء ورجاء كل عبد من حيث خوفه ومكاشفته عن أخلاق مرجوة من معنى ما كان كوشف به من صفات مخوفة فان كان أقيم مقام المخوفات من المخلوقات مثل الذنوب والعيوب والاسباب رفع من حيث تلك المقامات الى مقامات الرجاء بتحقيق الوعد وغفران الذنب وتشويق الجنان وما فيها من الاوصاف الحسان وهذه مواجهات أصحاب اليمين وان كان أقيم مقام مخاوف الصفات عن مشاهدة معانى الذات مثل سابق العلم وسوء الخاتمة وخفى المكر وباطن الاستدراج وبطش القدرة وحكم الكبر والجبروت رفع من هذه المقامات الى مقام المحبة والرضا فرجا من معانى الاخلاق وأسماء الكرم والاحسان والفضل والعطف واللطف والامتنان وليس يصح أن نخبر بكل ما نعلم من شهادة أهل الرجاء فى مقامات الرجاء من قبل انه

وأنت بهذه الصفة تتخطى الرقاب وتخترق الصفوف وتقاد كما يقاد الفرس الجنوب وقد رفعت الخلائق اليك أبصارهم فتوهم نفسك فى أيدى الموكلين بك على هذه الصفة حتى انتهى بك الى عرش الرحمن فرموك من أيديهم وناداك الله يا ابن آدم ادن منى فدنوت بقلب خافق محزون وجل وطرف خاشع ذليل وفؤاد منكسر وأعطيت كتابك الذى لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها ثم تفكر فى عظم حيائك اذا ذكرك ذنوبك شفاها اذ يقول يا عبدى أما استحييت من مبارزتى بالقبيح واستحييت من خلقى أكنت أهون عليك من عبادى استخففت بنظرى اليك وأعظمت نظر غيرى أظننت أنك لا تلقانى ألم أرسل اليك رسولا يتلو عليك كتابى ومن يقدر على هذا الخطاب فيا أعظم مصيبة من فرط فى طاعة مولاه واتبع هواه شعر

نحن المسيئون ومن ذنبنا
اليك يا رب الورى تائبون
فلا تؤاخذنا بأفعالنا
انا على أنفسنا مسرفون
قد مسنا الضر ولا راحم
سواك يا من لا تراه العيون
لا تشتكى الا اليك راحم
يطمع فى رحمته المذنبون

(فصل فى الميزان والقصاص) قال الله تعالى فأما من ثقلت

فقال عز وجل اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا وقد اشتركنا في ذلك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فنحن نرجو المغفرة لذنوبنا بفضله فقال عز من قائل ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك وفي خبر علي رضي الله عنه من أذنب ذنبا فستره الله تعالى عليه في الدنيا فالله تبارك وتعالى أكرم من ان يكشف ستره في الآخرة ومن أذنب ذنبا وعوقب عليه في الدنيا فالله تعالى أعدل من ان يثني عقوبته على عبده في الآخرة وفي لفظ آخر لا يذنب عبد في الدنيا فيستره الله تعالى عليه الا غفر له في الآخرة وعن بعض السلف كل عاص فانه يعصي تحت كنف الرحمن والكنف من الانسان حضنه ما بين يديه وصدره قال فمن ألقى عليه كنفه ستر عورته ومن رفع عنه كنفه افتضح ويقال ان من فضح في الدنيا بذنب فهو كفارته ولا يفضح به في الآخرة وفي الخبر اذا أذنب العبد فاستغفر الله يقول الله سبحانه وتعالى للملائكة انظروا الى عبدي أذنب ذنبا فعلم ان له ربا يغفر الذنب فيأخذ بالذنب أشهدكم اني قد غفرت له وحدثت عن محمد بن مصعب قال كتب الى اسود بن سالم بخطه ان العبد اذا كان مسرفا على نفسه يرفع يديه يدعو يقول يا رب فاذا قال يا رب حجبت الملائكة صوته فاذا قال الثانية يا رب حجبت الملائكة صوته فاذا قال الثالثة يا رب حجبت الملائكة صوته فاذا قال الرابعة يقول الله تعالى حتى متى تحجبوا صوت عبدي عني قد علم عبدي انه ليس له رب يغفر الذنوب غيري أشهدكم اني قد غفرت له وفي الحديث اذا أذنب العبد حتى تبلغ ذنوبه عنان السماء غفرتها له ما استغفرني ورجاني وفي حديث آخر لو لقيني عبدي بقراب الارض ذنوبا لقيته بقرابها مغفرة ما لم يشرك بي شيأ وفي الخبر ان الملك ليرفع القلم عن العبد اذا أذنب ست ساعات فان تاب واستغفر لم يكتبه عليه والا كتبها سيئة وفي لفظ آخر فاذا كتبها عليه وعمل حسنة قال لصاحب الشمال وهو أمير عليه ألق هذه السيئة حتى ألقي من حسناته واحدة من تضعيف العشرة وأرفع تسع حسنات فيلقي عنه هذه السيئة ويقال ان الله تعالى جعل في قلب صاحب اليمين من الرحمة للعبد أضعاف ما جعل في قلب صاحب الشمال مع انه أمير عليه فاذا عمل العبد حسنة فرح بها ملك اليمين ويقال فرح بها الملائكة فيكتب للعبد بفرحه الحسنات وروينا في حديث أنس بن مالك الطويل اذا أذنب العبد ذنبا كتب عليه فقال الاعرابي فان تاب قال محي من صحيفته قال فان عاد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتب عليه قال الاعرابي فان تاب قال محي من صحيفته قال الى متى يا رسول الله قال الى ان يستغفر ويتوب الى الله تعالى وان الله لا يمل من المغفرة حتى يمل العبد من الاستغفار فاذا هم العبد بحسنة كتبها صاحب اليمين حسنة قبل ان يعملها فاذا عملها كتبها عشر حسنات ثم ضاعفها الله عز وجل الى سبعمائة ضعف واذا هم بخطيئة لم تكتب عليه فان عملها كتبت خطيئة واحدة ووراءها حسن عفو الله تعالى وجاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني لا أصوم الا الشهر لا أزيد عليه ولا أصلي الا الخمس لا أزيد عليهن وليس لله تبارك وتعالى في مالي صدقة ولا حج ولا أتطوع أين أنا اذا مت فقال النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة قال يا رسول الله معك فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال نعم معي ان حفظت قلبك من اثنين الغل والحسد ولسانك من اثنين الغيبة والكذب وعينك من اثنين النظر الى ما حرم الله تعالى وان تزدري بهما مسلما دخلت معي الجنة على راحتي هاتين وروينا في الخبر الطويل عن أنس رضي الله عنه ان الاعرابي قال يا رسول الله من يلي حساب الخلق قال الله عز وجل قال هو بنفسه قال نعم قال فتبسم الاعرابي فقال النبي صلى الله عليه وسلم مم ضحكت يا أعرابي فقال ان الكريم اذا قدر عفا واذا حاسب سامح فقال النبي صلى الله عليه وسلم صدق الاعرابي ألا ولا كريم أكرم من الله عز وجل هو أكرم الاكرمين ثم قال عليه السلام فقه الاعرابي وفيه أيضا ان الله تبارك وتعالى شرف الكعبة وعظمها ولو ان عبدا هدمها حجرا حجرا ثم أحرقها ما بلغ جرم من استخف بولي من أولياء الله تعالى قال الاعرابي من أولياء الله قال المؤمنون كلهم أولياء الله تعالى أما سمعت الله تعالى يقول الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من

الظلمات

صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يتجشأ فقال اقصر من جشائك فان أطول الناس جوعا يوم القيامة أطولهم شبعا في الدنيا فتوهم نفسك يا مسكين وقد أخذت الملائكة بعضديك وأنت واقف بين يدي الله تعالى يسألك شفاها عن كل قليل وكثير وسر وعلانية وجميع جوارح فيقول لك ألم أنعم عليك بالشباب ففيما ذا أبليته ألم أمهلك في العمر ففيما أفنيته ألم أرزقك الاموال فمن أين اكتسبتها وفيما أنفقتها ألم أعلمك العلم فماذا عملت فيه فكيف ترى حياءك وخجلتك وهو يعدد عليك انعامه ومعاصيك فان أنكرت شهدت عليك جوارحك فيا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم حيث أغلقت الابواب وأرخيت الستور واستترت من الخلائق وقارفت الفجور فماذا تفعل وقد شهدت عليك جوارحك هنالك هب انه قد ستر عن غيرك أليس قد قرع سمعك النداء الى العرض فيكفيك تلك الروعة جزاء عن ذنوبك اذ قد توخذ بناصيتك منقاد وفؤادك مضطرب ولبك طائر وفرائصك مرتعدة وجوارحك مضطربة ولونك متغير والعالم عليك من شدة الهول مظلم فقدر نفسك

حقيقة عند الله تعالى فعلم المؤمن بهذه الاحكام الاربع تورثه الخوف والرجاء معا فاعتدل حاله بذلك لاعتدال ايمانه به وحكم على الخلق بالظاهر ووكل الى علام الغيوب السرائر ولم يقطع على عبد بظاهره من الشر بل يرجو له ما بطن عند الله تعالى من الخير ولم يشهد لنفسه ولا لغيره بظاهر الخير بل يخاف أن يكون قد استسر عند الله تعالى باطن شر الا ان حال التمام أن يخاف العبد على نفسه ويرجو لغيره لان ذلك هو وجد المؤمنين من قبل انهم متعبدون بحسن الظن فهم يحسنون الظن بالناس ويخرجون لهم المعاذير بسلامة الصدور وتسليم ما غاب الى من اليه تصير الامور ثم هم في ذلك يسيؤن الظن بنفوسهم لمعرفتهم بصفاتها ويوقعون اللاوم عليها ولا يخرجون لها الباطن الاشفاق منهم عليهم ولخوف التزكية منهم لهم فمن قلب عليه هذان المعنيان فقد مكر به حتى يحسن الظن بنفسه ويسيء ظنه بغيره فيكون ماقتا على الناس راجيا لنفسه عاذرا لنفسه محتجا لها لائما للناس ذاما لهم فهذه أخلاق المنافقين ثم ان للراجي حالا من مقامه ولحاله علامة من رجائه فمن علامة الرجاء عن مشاهدة المرجو دوام المعاملة وحسن التقرب اليه وكثرة التقرب بالنوافل لحسن ظنه به وجميل أمله منه وانه يتقبل صالح ما امر به تفضلا منه من حيث كرمه لا من حيث الواجب عليه ولا الاستحقاق منا وانه أيضا يكفر سيء ما عمله احسانا منه ورحمة من حيث لطفه بنا وعطفه علينا الاخلاقه السنية وألطافه الخفية لا من حيث اللزوم له بل من حيث حسن الظن به كما قال سفيان الثوري رضي الله عنه من أذنب ذنبا فعلم أن الله تعالى قدره عليه ورجا غفرانه غفر الله عز وجل له ذنبه قال لان الله تعالى عير قوما فقال تعالى وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم وقد قال سبحانه وتعالى في مثله وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا أي هلكى ففي دليل خطابه عز وجل ان من ظن حسنا كان من أهل النجاة وقد جاء في الاثر ان من أذنب ذنبا فاحزنه ذلك غفر له ذنبه وان لم يستغفر ومقام الرجاء كسائر مقامات اليقين منها فرض وفضل فعلى العبد فرض أن يرجو مولاه وخالقه ومعبوده ورازقه من حيث كرمه وفضله لا من حيث نظره الى صفات نفسه ولؤمه وقد كان سهل رحمه الله تعالى يقول من سأل الله تبارك وتعالى شيأ فنظر الى نفسه والى أعماله لا يرى الاجابة حتى يكون ناظرا الى الله تبارك وتعالى وحده والى لطفه وكرمه ويكون موقنا بالاجابة ولعمري ان من سأل الله تعالى ورغب اليه في شيء ورجاه ناظرا الى نفسه وعمله فانه غير مخلص في الرجاء له تعالى لشركه في النظر اليه واذا لم يكن مخلصا لم يكن موقنا ولا يقبل الله تعالى عملا ولا دعاء الا من موقن بالاجابة مخلص فاذا شهد التوحيد ونظر الى الوحدانية فقد أخلص وأيقن وهكذا جاء في الخبر اذا دعوتم فكونوا موقنين بالاجابة فان الله تعالى لا يقبل الا من موقن ومن داع دعاء بينا من قلبه لان من استعمله الله تعالى بالدعاء له فقد فتح له بابا من العبادة وفي الخبر الدعاء نصف العبادة ولا يقبل الله تعالى من الدعاء الا الناشئة يعني المنخول وهو الخالص وأقل ما يعطيه من دعائه أن يكون ذلك حسنة منه يضعفها له عشر الى سبعمائة ضعف وأعلاه أن يدخر له في الآخرة ما هو خير له من جميع الدنيا وما فيها مما لم يخطر على قلبه قط ويكون ذلك حسن نظر من الله تعالى له واختيار وأوسط ذلك أن يصرف عنه من البلاء الذي هو لو كان علمه كان صرفه أهم عليه وأحب اليه مما سأل فيه وقد روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من داع دعا موقنا بالاجابة في غير معصية ولا قطيعة رحم الا أعطاه الله تعالى احدى ثلاث اما أن يجيب دعوته فيما سأل أو يصرف عنه من السوء مثله أو يدخر له في الآخرة ما هو خير له وفي أخبار موسى عليه السلام يا رب أي خلقك أشد عليه أشد تسخطا فقال تعالى من لم يرض بقضائي ومن يستخيرني في أمر فاذا قضيت له كره ذلك وفي الخبر الآخر انه قال يا رب أي الاشياء أحب اليك وأيها أبغض فقال سبحانه وتعالى أحب الاشياء الي الرضا بقضائي وأبغضها الي أن تطري نفسك وروينا عن نبينا صلى الله عليه وسلم انه قال للرجل الذي قال أوصني فقال لا تتهم الله تعالى في شيء قضاه عليك وفي الخبر الآخر انه نظر الى السماء وضحك صلى الله عليه وسلم فسئل عن ذلك فقال عجبت لقضاء الله تعالى للمؤمن في كل قضائه له خير ان قضى له بالسراء رضي وكان خيرا له وان قضى عليه بالضراء

وأشقهم وأضر بهم فكيف أنا منهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة يحسب ما خانوك وعصوك وكذبوك وعقابك اياهم فان كان عقابك اياهم بقدر ذنوبهم كان كفافا لا لك ولا عليك وان كان عقابك اياهم دون ذنوبهم كان فضلا لك وان كان عقابك اياهم فوق ذنوبهم اقتص لهم منك الفضل فتنحى الرجل وجعل يهتف ويبكي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أما تقرأ قول الله عز وجل ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيأ وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين فقال الرجل ما أجد لي ولهؤلاء شيأ خيرا من مفارقتهم أشهدك انهم كلهم أحرار ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأتي أحدكم يوم القيامة بشاة يحملها على رقبته لها ثغاء فيقول يا محمد فاقول لا أملك لك من الله شيأ قد بلغت في الدنيا وفي التذكرة للقرطبي روى رزين عن أبي هريرة قال كنا نسمع ان الرجل يتعلق بالرجل يوم القيامة وهو لا يعرفه فيقول ما لك الي وما بيني وبينك معرفة فيقول كنت تراني على الخطايا وعلى المنكر ولا تنهاني وفيما روينا في الاربعين عن أبي هريرة

لا يصلح لعموم المؤمنين وهو يفسد من لم يرزقه أشد الفساد فليس يصلح الا لخصوصه ولا يجديه ولا يستجيب له ولا يستخرج الامن المحبة ولا محبة الابعد نصح القلب من الخوف وأكثر النفوس لا يصلح الا على الخوف كعبيد السوء لا يستقيمون الا بالسوط والعصا ثم يواجهون بالسيوف صلتا ومن علامة صحة الرجاء في العبد كون الخوف باطنا في رجائه لانه لما تحقق برجاء شئ خاف فوته لعظم المرجو في قلبه وشدة اغتباطه به فهو لا ينفك في حال رجائه من خوف فوت الرجاء والرجاء هو ترويحات الخائفين ولذلك سمت العرب الرجاء خوفا لانهما وصفان لا ينفك أحدهما عن الآخر ومن مذهبهم أن الشئ اذا كان لازما للشئ أو وصفا له أو سببا منه أن يعبروا عنه به فقالوا مالك لا ترجو كذا وهم يريدون مالك لا تخاف وعلى هذه اللغة جاء قول الله تعالى مالكم لا ترجون لله وقارا أجمعوا على تفسيره مالكم لا تخافون لله عظمة وهو أيضا أحد وجهي تفسير قوله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه أي يخاف من لقائه ومثل الخوف من الرجاء مثل اليوم من الليلة لما لم ينفك أحدهما عن الآخر جاز أن يعبر عن المدة بأحدهما فيقال ثلاثة أيام وثلاث ليال ومنه قول الله تعالى مخبرا عن قصة واحدة فقال عز وجل آيتك أن لا تكلم الناس ثلاث ليال سويا ثم قال تعالى ثلاثة أيام الا رمزا فلما لم يكن اليوم ينفصل عن ليلته والليلة لا تنفك عن يومها أخبر عن أحدهما بالآخر لان أحدهما يشبه الآخر مندرج فيه ولا يظهر الا أحدهما بحكمة الله تعالى وقدرته لتفاوت أحكامه فيهما وافتراق انعامه بهما فاذا ظهر النهار اندرج الليل فيه بقدرته تعالى واذا ظهر الليل استتر النهار بحكمة الله تعالى وهو حقيقة ايلاجه أحدهما في الآخر وتحقيق تكويره أحدهما على صاحبه فكذلك حقيقة الرجاء والخوف في معاني الملكوت اذا ظهر الخوف كان العبد خائفا وظهرت عليه أحكام الخوف عن مشاهدة التجلي بوصف مخوف فسمي العبد خائفا لغلبته عليه وبطن الرجاء في خوفه واذا ظهر الرجاء كان العبد راجيا وظهرت منه أحكام الرجاء عن مشاهدة تجلي الربوبية بوصف مرجو فوصف العبد به لانه هو الاغلب عليه وبطن الخوف في رجائه لانهما وصفان للايمان كالجناحين للطير فالمؤمن بين الخوف والرجاء كالطائر بين جناحيه وكلسان الميزان بين كفتيه ومنه قول مطرف لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا فهذا أصل في معرفة حقيقة الرجاء وصدق الطمع في المرجو فللمؤمنين في اعتدال الخوف والرجاء مقامان أعلاهما مقام المقربين وهو ما حال عليهم من مقام مشاهدة الصفات المخوفة والاخلاق المرجوة والثاني مقام أصحاب اليمين وهو ما عرفوه من بدائع الاحكام وتفاوت الاقسام من ذلك انه أنعم سبحانه وتعالى على الخلق بفضله عن كرمه اختيارا لا اجبارا فلما أعلمهم ذلك رجوا تمام النعمة من حيث ابتداؤها ومن ههنا طمع السحرة في المغفرة لما ابتدؤا بالايمان فقالوا انا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا أول المؤمنين أي من حيث جعلنا أول المؤمنين من هذا المكان نرجو أن يغفر لنا بان جعلنا مؤمنين به فرجوه منه وقد ذم الله تعالى عبدا أوجده نعمة ثم سلبها فأيس من عودها عليه فقال تعالى ولئن أذقنا الانسان منا رحمة ثم نزعناها منه انه ليؤس كفور ثم استثنى عباده الصابرين عليه الصالحين له فقال تعالى الا الذين صبروا وعملوا الصالحات وروى أن لقمان عليه السلام قال لابنه خف الله تعالى خوفا لا تأمن فيه مكره وارجه رجاء أشد من خوفك قال وكيف أستطيع ذلك وانما لي قلب واحد قال أما علمت أن المؤمن كذي قلبين يخاف بأحدهما ويرجو بالآخر والمعنى أن الخوف والرجاء وصف الايمان لا يخلو منهما قلب مؤمن فصار كذي قلبين حينئذ ثم ان الخلق خلقوا على أربع طبقات في كل طبقة طائفة فمنهم من يعيش مؤمنا ويموت مؤمنا فههنا رجاؤهم لانفسهم ولغيرهم من المؤمنين اذ قد أعطاهم فرجوا أن يتم عليهم نعمته وأن لا يسلبهم بفضله ما به بدأهم ومن الناس من يعيش مؤمنا ويموت كافرا فهذا موضع خوفهم عليهم وعلى غيرهم لمكان علمهم بهذا الحكم ولغيب حكم الله تعالى بعلمه السابق فيهم ومن الناس من يعيش كافرا ويموت مؤمنا ومنهم من يعيش كافرا ويموت كافرا فهذان المكانان أوجبا رجاءهم الثاني للمشرك اذا رأوه فلم يقنطوا بظاهره أيضا الخوف هذا الرجاء خوفا ثانيا أن يموت على تلك الحال وأن يكون ذلك هو

موازينه فهو في عيشة راضية وأما من خفت موازينه فأمه هاوية وما أدراك ماهيه نار حامية وفي التذكرة للقرطبي وحياة الحيوان ذكر خيثمة بن سليمان في مسنده عن جابر ابن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم توضع الموازين يوم القيامة فتوزن الحسنات والسيآت فمن رجحت حسناته على سيآته مثقال صؤابة دخل الجنة ومن رجحت سيآته على حسناته مثقال صؤابة دخل النار قيل يارسول الله فمن استوت حسناته وسيآته قال أولئك أصحاب الاعراف لم يدخلوها وهم يطمعون وروى أحمد بسند صحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقتص للخلق بعضهم من بعض حتى للجماء من القرناء حتى للذرة من الذرة خ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من كانت عنده مظلمة لاخيه من عرضه أو من شئ فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم ان كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته وان لم يكن له حسنات أخذ من سيآت صاحبه فحمل عليه ت عن عائشة رضي الله عنها قالت جاء رجل فقعد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ان لي مملوكين يكذبونني ويعصونني ويخونونني

والروح عندهم ومن الرجاء سقوط ثقل المعاونة على البر والتقوى ولوجود حلاوة الاعمال والمسارعة اليها والحث لاهلها عليها والحزن على فوتها والفرح بدركها ومن ذلك الخبر المأثور من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن والخبر المأثور خيار أمتي الذين اذا أحسنوا استبشروا واذا أساؤا استغفروا لان المؤمن على يقين من أمره وبصيرة من دينه والخوف والرجاء وصف الموقن بالله تعالى فهو اذا عمل حسنة أيقن بثوابها لصدق الوعد وكرم الموعد واذا عمل سيئة أيقن بالكراهة لها وخاف المقت عليها لخوف الوعيد وعظمة المتوعد من قبل ان دخوله في الطاعة دخول في محبة الله تعالى ومرضاته لما دل العلم عليه فهذا رضا الله سبحانه وتعالى في الدنيا فكيف لا يسره رضاه ومن قبل ان دخوله في المعصية دخول في غضب الله تعالى ومكارهه بما دل العلم عليه فذلك الذي يسوءه لان مقت الله تعالى اليوم معاصيه وسخطه غدا تعذيبه ومن هذا قول الله عز وجل وهو أصدق القائلين ينادون لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم قال لما نظروا الى أنفسهم بتشويه خلقهم في النار مقتوها فنودوا المقت الله في الدنيا على معاصيها أكبر من مقتكم أنفسكم اليوم في العذاب كما أن رضاه غدا تنعيمهم في جنته كذلك رضاه اليوم عملهم بطاعته ومرضاته وهذا وصف عبد مراد مكاشف بعلم اليقين ومن هذا حديث زيد الخيل اذ قال للنبي صلى الله عليه وسلم جئتك أسألك عن علامة الله تعالى فيمن يريد وعلامته فيمن لا يريد فقال كيف أصبحت فقال أصبحت أحب الخير وأهله واذا قدرت على شئ منه سارعت اليه وأيقنت بثوابه واذا فاتني شئ منه حزنت عليه وحننت اليه فقال صلى الله عليه وسلم هذه علامة الله تعالى فيمن يريد ولو أرادك للاخرى هيأك لها ثم لم يبال في أي أوديتها هلكت ومن الرجاء التلذذ بدوام حسن الاقبال والتنعم بمناجاة ذي الجلال وحسن الاصغاء الى محادثة القريب والتلطف في التملق للحبيب وحسن الظن به في العفو الجميل ومنال الفضل الجزيل وقال بعض العارفين للتوحيد نور وللشرك نار ونور التوحيد أحرق لسيئات المؤمن من نار الشرك لحسنات المشرك ولما احتضر سليمان التيمي قال لابنه يا بني حدثني بالرخص واذكر لي الرجاء حتى ألقى الله تعالى على حسن الظن به وكذلك لما حضر سفيان الثوري رضي الله عنه الوفاة جعل العلماء حوله يرجونه وحدثنا عن أحمد بن حنبل رضي الله عنه انه قال لابنه عند الموت اذكر لي الاخبار التي فيها الرجاء وحسن الظن فلولا أن الرجاء وحسن الظن من فواضل المقامات ما طلبه العلماء في آخر الاوقات عند فراق العمر ولقاء المولى لتكون الخاتمة به وهم يسألون الله حسن الخاتمة طول الحياة ولذلك قيل ان الخوف أفضل ما دام حيا فاذا حضر الموت فالرجاء أفضل وقد كان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول في مقامات الرجاء اذا كان توحيد ساعة يحبط ذنوب خمسين سنة فتوحيد خمسين سنة ماذا يصنع بالذنوب وقال أبو محمد سهل رضي الله عنه لا يصح الخوف الا لاهل الرجاء وقال مرة العلماء مقطوعون الا الخائفين والخائفون مقطوعون الا الراجين وكان يجعل الرجاء مقاما في المحبة وهو عند العلماء أول مقامات المحبة ثم يعلو في الحب على قدر ارتفاعه في الرجاء وحسن الظن وروينا عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث في الرجاء لا يصلح ذكرها لعموم الناس ولكن نذكر من ذلك ما ظهر خلق الله تعالى لجهنم من فضل رحمته سوطا يسوق الله عز وجل به عباده الى الجنة وخبرا آخر يقول الله تعالى انما خلقت الخلق ليربحوا علي ولم أخلقهم لاربح عليهم وفي حديث عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ما خلق الله تعالى شيأ الا جعل له ما يغلبه وجعل رحمته تغلب غضبه والخبر المشهور ان الله تعالى كتب على نفسه قبل أن يخلق الخلق ان رحمتي تغلب غضبي والاخبار المشهورة عن معاذ بن جبل وأنس بن مالك رضي الله عنهما من قال لا اله الا الله دخل الجنة ومن كان آخر كلامه قول لا اله الا الله لم تمسه النار ومن لقي الله تعالى لا يشرك به شيأ حرمت عليه النار ولا يدخل النار من في قلبه وزن ذرة من ايمان وقد قال في خبر آخر لو يعلم الكافر سعة رحمة الله تعالى ما يئس من رحمته أحد وقد قال الله تعالى في حسن عفوه عن أكبر الكبائر

ليعرفهم أن الغالب حسناتهم أو سيئاتهم فيتطاير الصحف وينصب الميزان وتشخص الابصار الى الكتب أتقع في اليمين أم في الشمال ثم الى لسان الميزان أيميل الى جانب السيئات أم الحسنات وهذه حالة هائلة تطيش عقول الخلق فمن رجحت سيئاته أخذت الزبانية بناصيته وأهوت بها في النار واعلم انه لا ينجو من خطر الميزان الا من حاسب نفسه في الدنيا ووزن فيها بميزان الشرع أعماله وأحواله وخطراته في جميع لحظاته وانما حسابه لنفسه ان يتوب عن كل معصية توبة نصوحا ويتدارك في طاعة الله ويرد المظالم حبة حبة ويستحل كل من آذاه بلسانه ويده وسوء ظنه بقلبه ويطيب قلوبهم حتى يموت ولم يبق عليه مظلمة ولا فريضة فهذا يدخل الجنة بغير حساب وان مات قبل رد المظالم أحاطت به خصماؤه فهذا يأخذ بيده وهذا يعضده وهذا يقبض بناصيته وكل أحد يتعلق به ويذكر مظلمته فيقول هذا شتمني ويقول الآخر استهزأ بي ويقول الآخر اغتابني والآخر أساء جواري والآخر غشني في المعاملة والآخر طفف على المكيال والميزان والآخر قد أخذ مني الربا

رضى به وكان خيرا له ومن حسن الظن بالله تعالى لطف التعلق له سبحانه وتعالى وهو من قوة الطمع فيه وفى الخبر حسن الظن بالله عز وجل من حسن عبادة الله عز وجل كما روينا فى تفسير قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه ان الكلمات هى قوله عليه السلام يا رب هذا الذنب الذى أصبته كان من قبل نفسى أو من شئ سبق فى علمك قبل أن تخلقنى قضيته على فقال بل شئ سبق فى علمى كتبته عليك قال يا رب فكما قضيته على فاغفره لى قال فهى الكلمات التى لقاه الله تعالى اياها وروينا عن النبى صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى للعبد يوم القيامة ما منعك اذ رأيت المنكر أن تنكره قال فان لقن الله تعالى العبد حجته قال يا رب رجوتك وخفت الناس قال لقد غفرت له وفى الخبر المشهور أن رجلا كان يداين الناس فيسمح لهم و يتجاوز عن المعسر فلقى الله تعالى ولم يعمل خيرا قط فقال الله سبحانه وتعالى نحن أحق بذلك منك قال فغفر له برجائه وظنه ثم يتفاوت الراجون فى فضائل الرجاء فالمقربون منهم رجوا النصيب الاعلى من القرب والمجالسة والتجلى بمعانى الصفات مما عرفوه وهذا عن علمهم به وأصحاب اليمين من الراجين رجوا النصيب الاوفر من مزيده والفضل الاجزل من عطائه يقينا بما وعد ومن الرجاء انشراح الصدر بأعمال البر وسرعة السبق والمبادرة بها خوف فوتها ورجاء قبولها ثم مهاجرة السوء ومجاهدة النفس رجاء انجاز الموعود وتقربا الى الرحيم الودود ومنه قول أصدق القائلين ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله وفسر رسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجرة والمجاهدة فقال المهاجر من هجر السوء والمجاهد من جاهد نفسه فى الله تعالى واقام الصلاة التى هى خدمة المعبود وبذل المال سرا وعلانية وقليلا وكثيرا وان لا يشتغل عن ذلك بتجارة الدنيا كما وصف الله سبحانه وتعالى المحققين من الراجين اذ يقول عز من قائل ان الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور ومن الرجاء القنوت فى ساعات الليل وهو طول القيام للتهجد والدعاء عند تجافى الجنوب عن المضاجع لما وقر فى القلوب من المخاوف ولذلك وصف الله الراجين بهذا فى قوله تعالى أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة و يرجو رحمة ربه قل هل يستوى الذين يعلمون و الذين لا يعلمون فسمى أهل الرجاء والحذر وأهل التهجد آناء الليل علماء ومحصول من دليل الكلام ان من لم يخف ولم يرج غير عالم لنفيه المساواة بينهما وهذا مما يحذف خبره اكتفاء بأحد وصفيه اذ فى الكلام دليل عليه فالرجاء أول مقام من اليقين عند المقربين وهو ظاهر أوصاف الصديقين ولا يكمل فى قلب عبد ولا يتحقق به صاحبه حتى يجتمع فيه هذه الاوصاف الايمان بالله تعالى والمهاجرة اليه سبحانه وتعالى والمجاهدة فيه وتلاوة القرآن واقام الصلاة والانفاق فى سبيل الله تعالى ثم السجود آناء الليل والقيام والحذر مع ذلك كله فهذه جملة صفات الراجين وهو أول أحوال الموقنين ثم تتزايد الاعمال فى ذلك ظاهرا و باطنا بالجوارح والقلوب عن تزايد الانوار والعلوم ومكاشفات الغيوب بالاوصاف الموجودة وفصل الخطاب ان الخوف والرجاء طريقان الى مقامين فالخوف طريق العلماء الى مقام العلم والرجاء طريق العمال الى مقام العاملين وقد وصف الله عز وجل الراجين مع الاعمال الصالحة لقوة رجائهم بالخوف تكملة لصدق الرجاء وتتمة لعظائم الغبطة به فقال تعالى وتقدس والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة وقال عز وجل مخبرا عنهم فى حال وفائهم وأعمال برهم انا كنا قبل فى أهلنا مشفقين فمن الله علينا وقال عز وجل يوفون بالنذر و يخافون يوما من قبل أن الخوف مرتبط بالرجاء فمن تحقق بالرجاء صار به الخوف أن يقطع به دون ما رجا وقال أهل العربية فى معنى قوله تعالى قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله أى للذين لا يخافون عقوبات الله تعالى فاذا كان هذا أمره بالمغفرة لمن لا يرجو فكيف يكون غفره وفضله على من يرجو و بعضهم يقول فى معنى قوله تعالى وترجون من الله ما لا يرجون أى تخافون منه ما لا يخافون فلولا انهما عند العلماء كشئ واحد ما فسر أحدهما بالآخر ومن الرجاء الانس بالله تعالى فى الخلوات ومن الانس به الانس بالعلماء والتقرب من الاولياء وارتفاع الوحشة بمجالسة أهل الخير وسعة الصدر

والروح

قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم جالس اذ رأيته ضحك حتى بدت ثناياه فقيل له مم تضحك يا رسول الله قال رجلان من أمتى جثيا بين يدى ربى عز وجل فقال أحدهما يا رب خذ لى مظلمتى من أخى فقال الله تعالى اعط أخاك مظلمته فقال يا رب ما بقى من حسناتى شئ فقال يا رب فليحمل من أوزارى وفاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال ان ذلك اليوم ليوم يحتاج فيه الناس الى ان تحمل عنهم أوزارهم ثم قال قال تعالى للطالب بحقه ارفع بصرك فانظر الى الجنان فرفع رأسه فرأى ما أعجبه من الخير والنعمة فقال لمن هذا يا رب فقال لمن أعطانى ثمنه قال ومن يملك ذلك يا رب قال أنت قال بماذا قال بعفوك عن أخيك قال يا رب فانى قد عفوت عنه قال خذ بيد أخيك فادخله الجنة ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا الله واصلحوا ذات بينكم قال القرطبى وهذا لبعض الناس ممن أراد الله ان يعفو عنه انتهى اعلم أن الناس بعد السؤال منهم من لا حسنة له فتلتقطهم عنق النار ومنهم من لا سيئة له فيسرحون الى الجنة ومنهم من خلط عملا صالحا وآخر سيئا وهم الاكثرون فتعدل فى حقهم بالميزان

ذلك بوادى الجود والكرم والاحسان مما لم يحسبه في الدنيا قط وقد كان الجنيد رحمه الله يقول ان بدت عين من الكرم ألحقت المسيئين بالمحسنين وعلى ذلك جاء في الخبر ليغفرن الله تعالى يوم القيامة مغفرة ما خطرت قط على قلب أحد حتى ان ابليس يتطاول رجاء ان تصيبه وفى الخبر ان لله تعالى تسعا وتسعين رحمة أظهر منها في الدنيا رحمة واحدة بها يتراحم الخلائق فحن الوالدة الى ولدها وتعطف البهيمة على ولدها فاذا كان يوم القيامة ضم هذه الرحمة الى تلك التسعة والتسعين ثم بسطها على جميع خلقه وكل رحمة منها طباق السموات والارضين قال فلا يهلك على الله تعالى الا هالك وقد قال بعض العلماء ان الله تعالى اذا غفر لعبد في موقف القيامة ذنبا غفر ذلك الذنب لكل من عمله وقال النبي صلى الله عليه وسلم اعملوا وأبشروا واعلموا ان أحدا لن ينجيه عمله وفى الحديث الآخر ما منكم من أحد يدخله عمله الجنة ولا ينجيه من النار قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا الا أن يتغمدنى الله تعالى برحمة وفضل وروى عنه صلى الله عليه وسلم انى اختبأت شفاعتى لاهل الكبائر من أمتى وفى لفظ آخر اترونها للمصطفين المتقين بل هى للمخلصين المتلوثين وقال صلى الله عليه وسلم لمعاذ وأبى موسى رضى الله عنهما وقد بعثهما واليين على اليمن فأوصاهما فيما أمرهما به فقال يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا فعلم المؤمنين بكرم الله تعالى وخفى الطافه ولطيف منته لا يقعدهم عن تأميله ولا يقصر بهم عن رجائه ولا حسن ظنهم به ولا يقوى الخوف فيخرجهم الى الاياس من رحمته لاجل علمهم بجبريته وكبريائه من قبل ان المهوب هو المحبوب فمحبته تؤنسهم وترجيهم وهيبته تزعجهم وتخيفهم نخوفهم في المهابة في اللذاذة ونعيمهم بالحب في مهابة فهم في مقام الخوف والمحبة معتدلون وبقوة العلم بهما متمكنون وفى مشاهدة المخوف والمحبوب مستقيمون وهذا المقام هو وصف العارفين من الموقنين وهم أهل كمال الايمان وصفوة خصوص ذوى الايقان اذ قد عرفوا ان الله تبارك وتعالى كامل في صفاته لا يعتريه نقصان في وصف دون وصف وانما الرحمة لسعة العلم كما العلم لسعة القدرة فلما شهدوا من وصفه بما سمعوا من كلامه انه كان عليما قديرا كذلك قال تعالى وسعت كل شئ رحمة وعلما وكذلك فهموا من قوله تعالى ورحمتى وسعت كل شئ فدخلت جهنم وغيرها في توسعة الرحمة من حيث كن شيأ وقوله عز وجل فسأكتبها للذين يتقون معناه خصوص الرحمة ووصلها الا كنهها اذ لا نهاية للرحمة لانها صفة الراحم الذى لا حد له ولانه لم يخرج من رحمته شئ كما لم يخرج من حكمته وقدرته شئ لان جهنم والنار الكبرى وغيرهما ليس كنه عذابه ولا كلية تعذيبه فمن ظن ذلك به لم يعرفه ولانه لما أظهر من عذابه مقدار طاقة الخلق كما انه أظهر من ملكه ونعمه مقدار مصالح الخلق وما لا يصلح للخلق ولا يطيقون اظهاره أكثر مما أظهر من النعيم والعذاب بل لا ينبغى لهم أن يعرفوا فوق ما أبدى لان نهاية تعذيبه وتنعيمه من نهاية ملكه الذى هو قائم به وما ملكه عن غاية قدرته وسلطانه ولا نهاية لذلك ولا يطيق الخلق كله اظهار ذلك وذلك أيضا عن تعالى صفاته وبهاء أسمائه المتناهيات ولا سبيل الى كشف ذلك من الغيوب فسبحان من لا نهاية لقدرته ولا حد لعظمته ولا أمد لسلطانه وكذلك شهدوا ما سمعوا من قوله عز وجل انه كان حليما غفورا وكان الله عليما حليما فعلموا ان المغفرة على سعة الحلم كما ان الحلم سعة العلم فلما رأوا عظيم حلمه رجوا عظيم مغفرته ولما شهدوا كثيف ستره أملوا جميل عفوه وكذلك يقال ان حملة العرش يتجاوبون بأصوات سبحانك على حلمك بعد علمك سبحانك على عفوك بعد قدرتك فالراجون من العارفين فهوم من السمع للكلام ثم علو نظرهم عن سمو علومهم بمعانى الصفات وكل صاحب مقام يشهد من مقامه ويسمع من حيث شهادته فأعلاهم شهادة الصديقون ثم الشهداء ثم الصالحون ثم خصوص المؤمنين فيه تبارك وتعالى استدلوا عليه ومنه اليه نظروا هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون وكان سهل رضى الله عنه يقول المحسن يعيش في سعة الرحمة والمسئ يعيش في سعة الحلم وصفاته تبارك وتعالى كاملات فمن شهد ترجيح بعضها على بعض دخل عليه النقص من مشاهدته لقصور علمه عن تمام علم من فوقه من الشهداء ولاجل مقامه المراد به دون

أيا من أضاع العمر في شهواته *
ولم ينل من فعل خيره ناه
بادر الى التوبة من قبل ان
تعدم والله سبيل النجاة
واستحلل الاخوان من كل ما
آذيتهم من قبل تأتى الوفاة
وازرع ليوم البعث زرع البقا
لعل ان ينمو وتجنى جناه
وان تخف من قبح ذنب مضى *
فلذ بمن تأوى اليه العصاة
محمد المختار خير الورى *
من طبق الارض جميعا شذاه
صلى عليه الله ما أشرقت *
شمس وما حنت اليها الحداة
الهى ان سألتنى حجة لم يكن لى حجة وان تحرقنى لم يكن لى طاقة فاعف عنا وعن أحبابنا بمحض فضلك وكرمك آمين يا مجيب دعوة المضطرين

(فصل في الصراط)

اعلم ان الناس بعد الاهوال يساقون الى الصراط وهو جسر ممدود على متن جهنم أحد من السيف وأدق من الشعر خرج عن حذيفة وأبى هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجمع الله تبارك وتعالى الناس فيقوم المؤمنون حتى تزلف لهم الجنة فيأتون آدم فيقولون يا أبانا استفتح لنا الجنة فيقول وهل أخرجكم من الجنة الا خطيئة أبيكم لست بصاحب ذلك اذهبوا الى ابراهيم خليل الله قال فيقول ابراهيم لست بصاحب ذلك انما كنت خليلا من وراء وراء

بعد ظهور الآيات ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات فعفونا عن ذلك وقال في خطاب لطيف لاوليائه يعرفهم نفاذ أحكامه فيهم وجريان مشيئته عليهم فان زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا أن الله عزيز حكيم عزيز لا يوصل اليه الا به حكيم حكم بمشيئته على عباده ثم يغفر الذنوب جميعا فلا يبالي كما أجرى على من فضله على العالمين مقالة الكافرين فلم يضرهم مع تفضيله لهم اذ قالوا لموسى عليه السلام اجعل لنا الها كما لهم آلهة فقال أغير الله أبغيكم الها وهو فضلكم على العالمين وبهذا المعنى عارض علي كرم الله وجهه رأس الجالوت لما قال له لم تلبثوا بعد نبيكم عليه السلام الا ثلاثين سنة حتى ضرب بعضكم وجه بعض بالسيف فقال علي كرم الله وجهه أنتم لم تجف أقدامكم من ماء البحر حتى قلتم لموسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حدثتم الناس عن ربهم فلا تحدثوهم بما يفزعهم وينفرهم وقال في حديث آخر بشروا ولا تنفروا ويسروا ولا تعسروا ولما وعظهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا الحديث فهبط جبريل عليه السلام فقال ان الله تعالى يقول لم تقنط عبادي فخرج اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجاهم وشوقهم ولما تلا الرسول صلى الله عليه وسلم هذه الآية ان زلزلة الساعة شئ عظيم قال أتدرون أي يوم هذا يوم يقال لآدم عليه السلام قم فابعث نصيب النار من ذريتك فقال كم قيل من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين الى النار وواحد الى الجنة قال فبكوا يومهم ذلك وتركوا الاشغال والعمل فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما بالكم أنتم في الامم مثل شعرة بيضاء في جلد ثور اسود والخبر المشهور لو لم تذنبوا لخلق الله تعالى خلقا يذنبون ليغفر لهم وفي لفظ آخر لذهب بكم وجاء بقوم يذنبون فيغفر لهم انه هو الغفور الرحيم أي ان وصفه سبحانه وتعالى المغفرة والرحمة فلا بد أن يخلق مقتضى وصفه حتى يحق وصفه عليه هذا كما يقول في علم المعرفة ان له سبحانه وتعالى من كل اسم وصفا ومن كل وصف فعلا وفي هذا سر المعرفة ومنه معرفة الخصوص وحكي لنا معناه عن ابراهيم بن ادهم رضي الله عنه قال خلا لي الطواف ذات ليلة وكانت ليلة مطيرة مظلمة فوقفت في الملتزم عند الباب فقلت يا رب اعصمني حتى لا أعصيك أبدا فهتف بي هاتف من البيت يا ابراهيم أنت تسألني العصمة وكل عبادي المؤمنين يطلبون ذلك فاذا عصمتهم فعلى من أتفضل ولمن أغفر وكان الحسن البصري رضي الله عنه يقول لو لم يذنب المؤمن لكان يطير طيرا ولكن الله تعالى قمعه بالذنوب وفي الخبر مثله لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو شر من الذنوب قيل وما هو قال العجب ولعمري ان العجب من صفات النفس المتكبرة وهو يحبط الاعمال وهو من كبائر أعمال القلوب والذنوب من أخلاق النفس الشهوانية ولان يبتلي العبد الشهواني بعشر شهوات من شهوات النفس خير له من أن يبتلي بصفة من صفات النفس مثل الكبر والعجب والبغي والحسد وحب المدح وطلب الذكر لان هذه منها معاني صفات الربوبية ومنها أخلاق الابالسة وبها هلك ابليس وشهوات النفس من وصف الخلقة وبها عصى آدم ربه فاجتباه بعدها وتاب عليه وهدى وقد قال بشر بن الحرث سكون النفس الى المدح أضر عليها من المعاصي ورأى يوسف بن الحسين مخنثا فأعرض عنه ازراء عليه فالتفت اليه المخنث وقال وأنت أيضا يكفيك ما بك ففزع من قوله فقال وأي شئ تعلم قال لان عندك انك خير مني فاعترف يوسف بقوله فتاب واستغفر وكان بعض الراجين من العارفين اذا تلا هذه الآية آية الدين التي في سورة البقرة يسر بذلك ويستبشر لها ويعظم رجاؤه عندها فقيل له في ذلك اما فيها رجاء ولا ما يوجب الاستبشار فقال بلى فيها رجاء عظيم قيل وكيف ذلك فقال ان الدنيا كلها قليل ورزق الانسان فيها قليل من قليل وهذا الدين من رزقه قليل ثم ان الله تبارك وتعالى احتاط في ذلك ورفق النظر لي بان وكد ديني بالشهود والكتاب وأنزل فيه أطول آية في كتابه ولو فاتني ذلك لم أبال به فكيف يكون فعله بي في الآخرة التي لا عوض لي من نفسي فيها وكذلك كان بعض الراجين يفهم من قوله تعالى اذا تلا وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون يرجون

والآخر قيد أخذ مني المكس والآخر وجدني مظلوما فما داهن الظالم مع القدرة ويذكر كل ما ظلم فيه حتى شكوته عمن يضر به ولو معلمه ويقول الآخر وجدني محتاجا فلم يسد حاجتي الى غير ذلك مما لا يكاد ينحصر فبينما أنت كذلك مبهوت متحير من كثرتهم وقد ضعفت عن المقاومة ورجوت ان يخلصك مولاك من أيديهم اذ سمعت نداء الجبار اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم فعند ذلك ينخلع قلبك من الهيبة وتوقن نفسك بالبوار فعند ذلك يؤخذ حسناتك التي تعبت فيها عمرك وتنقل الى خصمائك وان فنيت حسناتك قبل ان يقضى ما عليك حملت من أوزارهم وطرحت في النار فكيف أنت يا مسكين في يوم ترى صحيفتك خالية من حسنات طال فيها تعبك فتقول أين حسناتي فيقال نقلت الى صحيفة خصمائك وترى صحيفتك مشحونة بسيئات طال في الصبر عنها نصبك فتقول هذه سيئات ما قارفتها فيقال هذه سيئات القوم الذين اغتبتهم وشتمتهم وقصدتهم بالسوء وظلمتهم في المبايعة والمجاورة والمخاطبة والمناظرة والمذاكرة والمدارسة وسائر أصناف المعاملة

وصدق عبد الرزاق وصدقت قال فغلقت وخلع علي وألبست ومشى بين يدي الولدان الى الجنة فقلت
يا لها من فرحة وفي الخبر ان رجلا من بني اسرائيل كان يشدد على الناس و يقنطهم من رحمة الله تعالى
فيقول الله تعالى له يوم القيامة اليوم أؤيسك من رحمتي كما كنت تقنط عبادي منها وفي الحديث ان
رجلين تواخيا في الله تعالى من بني اسرائيل فكان أحدهما عابدا والآخر مسرفا على نفسه فكان هذا
العابد ينهاه و يزجره فيقول له دعني و ربي أبعثت علي رقيبا حتى رآه ذات يوم على كبيرة فغضب فقال لا يغفر
الله لك قال فيقول الله تعالى له يوم القيامة أتستطيع ان تحظر رحمتي على عبادي اذهب فقد غفرت لك ثم قال
للعابد وأنت فقد أوجبت لك النار قال فوالذي نفسي بيده لقد تكلم بكلمة أهلكت دنياه وآخرته وروينا
في معناه ان لصا كان يقطع الطريق أربعين سنة في بني اسرائيل فمر عليه عيسى عليه السلام وخلفه عابد من
عباد بني اسرائيل من الحواريين فقال اللص في نفسه هذا نبي الله يمر والى جنبه حواريه لو نزلت فكنت معهما
ثالثا قال فنزل فجعل يريد أن يدنو من الحواري و يزدري نفسه تعظيما للحواري و يقول في نفسه مثلي لا يمشي
الى جنب هذا العابد قال وأحس به الحواري فقال في نفسه هذا يمشي الى جانبي قال فضم نفسه وتقدم الى
عيسى عليه السلام فمشى الى جانبه فبقي اللص خلفه قال فأوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام قل لهما
ليستأنفان العمل فقد أحبطت ما سلف من أعمالهما أما الحواري فقد أحبطت حسناته لعجبه بنفسه وأما
الآخر فقد أحبطت سيآته بما ازدرى على نفسه قال فاخبرهما بذلك وضم اللص اليه في سياحته وجعله
من حوارييه وروينا عن مسروق بن الاجدع ان نبيا من الانبياء كان ساجدا فوطئ بعض العتاة على عنقه
حتى الزق الحصى بجبهته قال فرفع النبي عليه السلام رأسه مغضبا فقال اذهب فلن يغفر الله لك قال فأوحى
الله تعالى اليه تتألى علي في عبادي اني قد غفرت له قال ابن عباس رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقنت يدعو على المشركين و يلعنهم في صلاته فنزلت ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم الى قوله
ليس لك من الامر شئ أو يتوب عليهم أو يعذبهم قال فترك الدعاء عليهم قال فهدى الله تعالى عامة أولئك
الى الاسلام والاخبار فيما يوجب الرجاء وحسن الظن أكثر من أن تجمع ولم نقصد جمعها وانما دللنا بقليل
على كثير ونبهنا عقول ذوي التبصير وقد قال الله سبحانه وتعالى يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم فنبه
العبد مع غرته على كرمه وذكره مع جهله حسن تسويته اياه وتعديله يدله على نعمته وروينا عن الضحاك
ان العبد ليدنو من ربه تبارك وتعالى عند العرض فيقول عبدي أتحصي عملك فيقول الهي كيف أحصيه
من دونك وأنت الحافظ للاشياء فيذكره الله تعالى جميع ذنوبه في الدنيا في ساعاتها فيقول أنت عبدي فقر
بما عرفتك ذكرتك فيقول نعم سيدي فيقول الله سبحانه أنا الذي سترتها عليك في الدنيا فلم أجعل للذنوب
رائحة توجد منك ولم أجعل في وجهك شينها وأنا أغفرها لك اليوم على ما كان منك بايمانك بي وتصديقك
المرسلين وروينا عن محمد بن الحنفية عن أبيه علي كرم الله وجهه قال لما نزلت هذه الآية على رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاصفح الصفح الجميل قال يا جبريل وما الصفح الجميل قال يا محمد اذا عفوت عن ظالمك فلا
تعاتبه ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جبريل فالله مع كرمه تعالى أولى أن لا يعاتب من عفا عنه قال
فبكى جبريل وبكى النبي صلى الله عليه وسلم فبعث الله عز وجل اليهما ميكائيل فقال ان ربكما يقرئكما السلام
و يقول لكما كيف أعاتب من عفوت عنه هذا ما لا يشبه كرمي ومن الرجاء شدة الشوق الى ما شوق اليه
الكريم وسرعة التنافس في كل نفس ندب اليه الرحيم فأما الرجاء الذي هو همة جهلة الناس من الاقامة
في المعاصي والانهماك في الخطايا وهو يرجو المغفرة و ينتظر الكرامة فليس هذا رجاء عند العلماء لان
الرجاء مقام من اليقين وليس هذا وصف الموقنين لان هذا اسمه هو اغترار بالله تعالى وغفلة عن الله تعالى
وجهل بأحكام الله تعالى وقد تهدد الله تعالى قوما ظنوا مثل هذا وأصروا على حب الدنيا والرضا بها وتمنوا
المغفرة على ذلك فسماهم خلفا والخلف الردئ من الناس وتوعدهم بشديد الباس في قوله عز وجل فخلف

ما اشتملت النساء على ذي لهجة أكذب منك ولولا ان تسميني العرب بعجولا لقتلتك فسررت بقتلك الناس أجمعين فقال عمر يا رسول الله دعني أقتله فقال صلى الله عليه وسلم أما علمت ان الحليم كاد أن يكون نبيا ثم أقبل الاعرابي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال واللات والعزى لما آمنت بك أو يؤمن بك هذا الضب وأخرج الضب من كمه فطرحه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان آمن بك آمنت فقال صلى الله عليه وسلم يا ضب فكلمه الضب بلسان فصيح عربي مبين صريح يفهمه القوم جميعا لبيك وسعديك يا رسول الله رب العالمين فقال صلى الله عليه وسلم من تعبد قال الذي في السماء عرشه وفي الارض سلطانه وفي البحر سبيله وفي الجنة رحمته وفي النار عذابه قال فمن أنا يا ضب قال أنت رسول رب العالمين وخاتم النبيين قد أفلح من صدقك وقد خاب من كذبك فقال الاعرابي أشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله حقا لقد أتيتك وما على وجه الارض أحد أبغض الي منك والله لانت الساعة أحب الي من نفسي ومن ولدي فقد آمن بك شعري و بشري وداخلي وخارجي وسري وعلانيتي فقال له رسول الله صلى الله

طريق الصدق يقين من الاقوياء فعاد ذلك على العبد فصار ذلك مقاماله في القرب والبعد تعالى وصف المشهود عن النقصان والحد ومثل الرجاء من الخوف مثل الرخصة في الدين من العزائم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب أن يؤخذ برخصه كما يحب أن يؤخذ بعزائمه وفي لفظ آخر أبلغ من هذا وأوكد ان الله يحب أن يقبل رخصه كما يكره أن يؤتى معاصيه وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ولا تبغض الى نفسك عبادة الله تعالى وخير الدين أيسره وقال هلك المتعمقون هلك المتنطعون وقال عليه الصلاة والسلام بعثت بالحنيفية السهلة السمحة وقال صلى الله عليه وسلم أحب أن يعلم أهل الكتاب ان في ديننا سماحة وقال الله عز وجل ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم واستجاب للمؤمنين في قولهم ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا فقال عز وجل قد فعلت فهذه العلوم هي أسباب قوة الرجاء في أولي الالباب كيف وقد جاء ما يغلب حكم الرجاء من غير اغترار ما روي عن الله تعالى أنا الى الرحمة والعفو أقرب مني الى العقوبة وفي الخبر اذا حدثتم الناس عن ربهم فلا تحدثوهم بما يفزعهم ويشق عليهم وفي كلام لعلي رضي الله عنه انما العالم الذي لا يقنط الناس من رحمة الله تعالى ولا يؤمنهم مكر الله تعالى وأوحى الله سبحانه وتعالى الى داود عليه السلام مالك وحدانيا قال عاديت الخلق فيك قال أما علمت ان محبتي ان تعطف على عبادي وتأخذ عليهم بالفضل هنالك أكتبك من أوليائي وأحبابي ولا تنظر الى عبيدي نظرة جفاء ولا قسوة فاذا أنت قد أبطلت أجرك فاحفظ عني ثلاثا خالص حبيبي مخالصة وخالف أهل الدنيا مخالفة ودينك فقلد نيه وعن داود وغيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام أحبني وأحب من يحبني وحببني الى خلقي قال يارب هذا أحبك وأحب من يحبك فكيف أحببك الى خلقك فقال عز وجل اذكرني بالحسن الجميل واذكر آلائي واحساني وذكرهم ذلك فانهم لا يعرفون مني الا الجميل وروي عن يزيد الرقاشي عن أنس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الا أخبركم عن أقوام ليسوا بانبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء بمنازلهم من الله تعالى على منابر من نور يعرفون عليها قالوا من هم قال الذين يحببون عباد الله الى الله تعالى ويحببون الله عز وجل الى عباده ويمشون في الارض نصحاء فقلنا هذا يحببوا الله الى عباده فكيف يحببون عباد الله الى الله قال يأمرونهم بما يحب الله وينهونهم عما حرم الله فاذا أطاعوهم أحبهم الله ورؤي أبان بن عياش في النوم بعد موته وكان من أكثر الناس حديثا بالرخص وأبواب الرجاء فقال أوقفني ربي عز وجل بين يديه فقال ما حملك على ان حدثت عني بما حدثت به من الرخص قال فقلت يارب أردت أن أحببك الى خلقك قال قد غفرت لك وحدثت عن مالك بن دينار انه لقي أبانا فقال الى كم تحدث الناس بالرخص فقال يا أبا يحيى اني لأرجو أن ترى من عفو الله تعالى يوم القيامة ما تخرق له كساءك هذا من الفرح وفي حديث ربعي بن حراش عن أخيه وكان من خيار التابعين وهو ممن تكلم بعد الموت قال لما مات أخي سجي بثوبه وألقيناه على نعشه فكشف الثوب عن وجهه واستوى قاعدا وقال اني لقيت ربي عز وجل فحياني بروح وريحان ورب غير غضبان واني رأيت الامر أيسر مما تظنون ولا تغتروا فان محمدا صلى الله عليه وسلم ينتظرني وأصحابه حتى أرجع اليهم قال ثم طرح نفسه فكأنما كانت حصاة وقعت في طست فحملناه فدفناه وقال بكر بن سليمان دخلنا على مالك رحمه الله تعالى في العشية التي قبض فيها فقلنا كيف تجدك قال ما أدري ما أقول لكم الا أنكم ستعاينون غدا من عفو الله تعالى ما لم يكن لكم في حساب قال فما برحنا حتى أغمضناه ودفناه ورؤي يحيى بن أكثم في النوم فقيل ما فعل الله تعالى بك فقال أوقفني بين يديه وقال يا شيخ السوء فعلت وفعلت قال فأخذني من الرعب والفزع ما يعلم الله تعالى ثم قلت يارب ما هكذا حدثت عنك فقال وما حدثت عني فقلت حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن أنس بن مالك عن نبيك صلى الله عليه وسلم عنك انك قلت تباركت وتعاليت أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء وقد كنت أظن بك أن لا تعذبني فقال عز وجل صدق نبي وصدق انس وصدق الزهري وصدق معمر

اعمدوا الى موسى الذي كلمه الله تكليما فيأتون الى موسى عليه السلام فيقول لست بصاحب ذلك اذهبوا الى عيسى عليه السلام كلمة الله وروحه فيقول لست بصاحب ذلك فيأتون محمدا صلى الله عليه وسلم فيقوم فيؤذن له وترسل الامانة والرحم فتقومان جنبتي الصراط يمينا وشمالا فيمر أولهم كالبرق قال قلت بأبي أنت وأمي أي شيء كالبرق قال ألم تر الى البرق كيف يمر ويرجع في طرفة عين ثم كمر الريح ثم كمر الطير وشد الرحال تجري بهم أعمالهم ونبيكم صلى الله عليه وسلم قائم على الصراط يقول يارب سلم سلم حتى يعجز أعمال العباد حتى يجيء الرجل ولا يستطيع السير الا زحفا قال وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من مرت به فمخدوش ناج ومكردس في النار والذي نفس أبي هريرة بيده ان قعر جهنم لسبعون خريفا قال في حياة الحيوان روى الدارقطني والبيهقي وشيخه الحاكم وشيخه ابن عدي عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم كان في محفل أصحابه اذ جاء اعرابي من بني سليم قد صاد ضبا وجعله في كمه ليذهب به الى رحله فرأى جماعة فقال علام هؤلاء الجماعة فقالوا على هذا النبي فقال يا محمد

ونوحشها اذ قد جعل الرجاء طريقها فوجدت فيه قلوبها ومثل الرجاء في الاحوال مثل العوافي والغنى في الانسان من الناس من يقبل قلبه ويجتمع همه عندهما ويوجد نشاطه وتحسن معاملته بهما كما روينا عن الله سبحانه وتعالى ان من عبادي من لا يصلحه الا الغنى ولو أفقرته لافسده ذلك ومن عبادي من لا يصلحه الا الصحة ولو أسقمته لافسده ذلك انى أدبر عبادي بعلمي انى بهم خبير فكذلك من عبادي من لا يصلحه الا الرجاء ولا يستقيم قلبه الا عليه ولا تحسن معاملته الا بوجود حسن الظن فهو طريقه اليه ومقامه منه ومنه عليه وعنده يجد قلبه معه الا أنه وان كان طريقا يخرج الى الله عز وجل فان الخوف أقرب منه وما كان أقرب فهو أعلى كما أن الغنى والعوافي طريقات الى الله تعالى الا أن الفقر والبلاء عندي أقرب منهما وأعلى والله غالب على أمره وقد روينا عن معمر عن الحسن انه قال انما عمل الناس على قدر ظنونهم بربهم فأما المؤمن فأحسن بالله الظن وأحسن العمل وأما الكافر والمنافق فأساء بالله الظن ولكن أكثر الناس لا يعلمون (شرح مقام الخوف ووصف الخائفين وهو الخامس من مقامات اليقين) قال الله عز وجل وما يعقلها الا العالمون فرفع العلم على العقل وجعله مقاما فيه وقد قال سبحانه وتعالى انما يخشى الله من عباده العلماء فجعل الخشية مقاما في العلم حققهم بها والخشية حال من مقام الخوف والخوف اسم لحقيقة التقوى والتقوى معنى جامع للعبادة وهي وصية الله تعالى للأولين والآخرين بنظم هذين المعنيين قوله تعالى يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون وقوله تعالى ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم واياكم أن اتقوا الله وهذه الآية قطب القرآن مداره عليها والتقوى سبب أضافه تعالى اليه تشريفا له ومعنى وصله به وأكرم عباده عليه تعظيما له فقال لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم وقال ان أكرمكم عند الله أتقاكم وفي الخبر اذا جمع الله الاولين والآخرين لميقات يوم معلوم ناداهم بصوت يسمع أقصاهم كما يسمع أدناهم يقول يا أيها الناس اني قد أنصت لكم منذ خلقتكم الى يومكم هذا فانصتوا الى اليوم فانما هي أعمالكم ترد عليكم أيها الناس اني جعلت نسبا وجعلتم نسبا فوضعتم نسبي ورفعتم نسبكم قلت ان أكرمكم عند الله أتقاكم وأبيتم الا فلان بن فلان أغنى من فلان فاليوم أضع نسبكم وأرفع نسبي أين المتقون قال فينصب للقوم لواء فيتبع القوم لواءهم الى منازلهم فيدخلهم الجنة بغير حساب والخوف حال من مقام العلم وقد جمع الله تعالى للخائفين ما فرقه على المؤمنين وهو الهدى والرحمة والعلم والرضوان وهذه جمل مقامات أهل الجنان فقال تعالى هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون وقال انما يخشى الله من عباده العلماء وقال جل ذكره رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه وفي خبر موسى عليه السلام وأما الخائفون فلهم الرفيق الاعلى لا يشاركون فيه فأفردهم من غير مشاركة بالرفيق الاعلى كما حققهم اليوم بشهادة التصديق وهذا مقام من النبوة لهم مع الانبياء في المزية من قبل انهم ورثة الانبياء لانهم هم العلماء قال تعالى فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين ثم قال تعالى في وصف منازلهم وحسن أولئك رفيقا يعني رفقاء عبر عن جماعتهم بالواحد لانهم كانوا كأنهم واحد وقد يكون رفيقا مقاما في الجنة من عليين لقول الرسول صلى الله عليه وسلم عند الموت وقد خير بين البقاء في الدنيا وبين القدوم على الله تعالى فقال اسألك الرفيق الاعلى وفي خبر موسى عليه السلام فأولئك لهم الرفيق الاعلى فدل انهم مع الانبياء بتفسير النبي صلى الله عليه وسلم لذلك وشرف مقامهم فوق كل مقام لطالب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فالخوف اسم جامع لحقيقة الايمان وهو علم الوجود والايقان وهو سبب اجتناب كل نهي ومفتاح كل أمر وليس شيء يحرق شهوات النفوس فيزيل آثارا آفاتها الا مقام الخوف وقال أبو محمد سهل رحمه الله تعالى كمال الايمان العلم وكمال العلم الخوف وقال مرة العلم كسب الايمان والخوف كسب المعرفة وقال أبو الفيض المصري لا يسقى المحب كأس المحبة الا من بعد ان ينضج الخوف قلبه وقال خوف النار عند خوف الفراق بمنزلة قطرة قطرت في بحر لجي وكل مؤمن بالله تعالى خائف منه ولكن

عليه وسلم فلقاه ألف اعرابي على ألف دابة بألف سيف فقال لهم أين تريدون فقالوا نريد هذا الذي يكذب ويزعم انه نبي فقال الاعرابي أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فقالوا له صبوت فحدثهم بحديثه فقالوا كلهم لا اله الا الله محمد رسول الله ثم قالوا يا رسول الله مرنا بأمرك فقال كونوا تحت راية خالد ابن الوليد فلم يؤمن من العرب ولا من غيرهم ألف غيرهم اعلم يا مسكين ان من استقام في هذا العالم على الصراط المحمدي نجا ومن عدل عن الاستقامة في الدنيا وأثقل ظهره بالاوزار زل بأول قدم من الصراط وتردى فتفكر الآن فيما يحل من الفزع بفؤادك اذا رأيت الصراط ودقته ثم أبصرت سواد جهنم من تحته ثم سمعت شهيق النار وتغيظها وقد كلفت أن تمشي على الصراط مع اضطراب قلبك وثقل ظهرك بالاوزار فكيف بك اذا وضعت احدى رجليك وأحسست بحدته واضطررت الى أن ترفع القدم الثانية والخلائق بين يديك يزلون ويتناولهم الزبانية بالخطاطيف والكلاليب وأنت تنظر اليهم ينتكسون فتسفل الى جهة النار رؤسهم وتعلو أرجلهم فيا له من منظر ما أفظعه وأنت ترتقي عليه وتصعد اليه تلتفت

من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الادنى و يقولون سيغفر لنا والاخبار في حقيقة الرجاء تزيد المغترين اغترارا وتزيد المستدرجين بالستر والنعيم خسارا وهي مزيد للتوابين الصادقين وقرة عين المحبين المخلصين وسرور لاهل الكرم والحياء وروح ارتياح لذوي العصمة والوفاء ينتفع به و يشتد عنده حياؤهم ويروح به كروبهم وترتاح اليه عقولهم فهؤلاء يستخرج منهم الرجاء وحسن الظن من العبادات مالا يستخرجه الخوف اذ المخاوف تقطع عن أكثر المعاملات فصار الرجاء طريقا لاهله وصاروا راجين به كما قال عمر رضي الله عنه رحم الله صهيبا لو لم يخف الله تعالى لم يعصه أي يترك المعاصي للرجاء لا للخوف فصار الرجاء طريقه فهؤلاء هم الراجون حقا وهذه علامتهم ولمثل هذا ذكرنا الاسباب التي توجب الرجاء وتولد حسن الظن في قلوب أهل الصفاء ومن الرجاء تحسين الاخلاق مع الخلق وجميل الصبر عليهم وحسن الصفح ولطيف المداراة لهم تقربا الى الله عز وجل بذلك وتخلقا باخلاقه رجاء ثوابه و طمعا في تنجيز وعده واتباعا لسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ومن الرجاء ترك الاهواء الرديئة والشهوات الطاغية و يحتسب في ذلك على الله نفيس الذخائر العالية فقد روينا عن حميد عن أنس قال مقابل عرش الرحمن غرفة يرسل اليها جبريل عليه السلام فاذا انتهى اليها خر لله ساجدا ثم يقول يارب لمن خلقت هذه لاي نبي لاي صديق لاي شهيد قال فيرد عليه عز وجل لمن آثر هواي على هواه ومن الرجاء فتعال الطاعات وحسن الموافقات ينوي بها و يسأل مولاه الكريم عظيم الرغائب وجليل المواهب لما وهب له من حسن الظن به كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا سألتم الله تعالى فاعظموا الرغبة وسلوه الفردوس الاعلى فان الله عز وجل لا يتعاظمه شئ وفي حديث آخر فاكثروا وسلوا الدرجات العلى فانما تسألون جوادا كريما وفي الآثار ان رجلين كانا من العابدين متساويين في العبادة فاذا دخلا الجنة رفع أحدهما في الدرجات العلى على صاحبه فيقول الآخر يارب ما كان هذا في الدنيا باكثر عبادة لك مني فرفعته علي في عليين فيقول الله سبحانه وتعالى انه كان يسألني في الدنيا الدرجات العلى وكنت أنت تسألني النجاة من النار فاعطيت كل عبد سؤله وروينا في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا يخرج من النار فيوقف بين يدي الله تعالى فيقول له كيف وجدت مكانك فيقول يارب شر مكان فيقول ردوه الى مكانه قال فيمشي و يلتفت الى ورائه فيقول الله عز وجل الى أي معنى تلفت فيقول له يارب قد رجوت ان لا تعيدني اليها بعد اذ اخرجتني منها فيقول تعالى اذهبوا به الى الجنة فقد صار الرجاء طريقه الى الجنة كما كان الخوف طريق صاحبه في الدنيا اليها كما روينا ان الآخر سعى مبادرا الى النار لما قال ردوه فقيل له في ذلك فقال لقد ذقت من وبال معصيتك في الدنيا ماخشيت من عذابه في الآخرة فقيل اصرفوه الى الجنة وقال الله سبحانه في وصف قوم أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب و يرجون رحمته و يخافون عذابه فطرق لاوليائه من القرب والوسيلة الرجاء كما طرق الخوف منه الهاء وهذا أحد الوجهين في الآية لمن لم يجعله وصفا للاصنام لانها قرئت بالتاء تدعون قرأها طلحة بن مصرف فكذلك ندب المؤمنين الى طلب القرب منه في قوله عز وجل يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة فهذه جملة أحكام الرجاء وأوصاف الراجين فمن تحقق بجميعها فقد استحق درجات أهل الرجاء وهو عند الله تعالى من المقربين ومن كان فيه وصف من هذه الاوصاف فله مقام من الرجاء واعلم أن مقامات اليقين لا يزيل بعضها بعضا ولكن يندرج بعضها في بعض فمن غلب عليه حال مشاهدته وصف بما غلب عليه واستتر بما سوى ذلك من المقامات فيه ومن عمل بشرط مقام منها وقام بحكم الله تعالى فيه نقل الى ماسواه وكان المقام الاول له علما والثاني الذي أقيم فيه له وجدا فكتم الوجد لانه سره وعبر عن العلم لانه قد جاوزه فصار له علانية ومقام الرجاء هو جند من جنود الله عز وجل يستخرج من بعض العباد مالا يستخرج غيره لان بعض القلوب تلين وتستجيب عن مشاهدة الكرم والاحسان وتقبل وتطمئن بمعاملة النعم والاحسان مالا يوجد ذلك منها عند التخويف والترهيب بل قد يقطعها ذلك

عليه وسلم الحمد لله الذي هداك الى هذا الدين الذي يعلو ولا يعلى ولا يقبله الله الا بصلاة ولا تقبل الصلاة الا بقرآن قال فعلمني فعلمه النبي صلى الله عليه وسلم سورة الحمد وقل هو الله أحد وقال يا رسول الله ما سمعت في البسيط ولا في الوجيز أحسن من هذا قال صلى الله عليه وسلم ان هذا كلام رب العالمين وليس بشعر اذا قرأت قل هو الله فكأنما قرأت ثلث القرآن وان قرأتها مرتين فكأنما قرأت ثلثي القرآن وان قرأتها ثلاثا فكأنما قرأت القرآن كله فقال الاعرابي الهنا يقبل اليسير و يعطي الكثير ثم قال له النبي صلى الله عليه وسلم ألك مال فقال ما في بني سليم قاطبة رجل أفقر مني فقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه أعطوه فاعطوه حتى أبطروه وقال عبد الرحمن بن عوف يا رسول الله اني أعطيته ناقة عشراء تلحق ولا تلحق أهديت الى يوم تبوك فقال صلى الله عليه وسلم قد وصفت ما تعطي واصف لك ما يعطيك الله جزاء قال نعم قال لك ناقة من درة جوفاء قوائمها من زمرد أخضر وعيناها من زبرجد أخضر عليها هودج وعلى الهودج السندس والاستبرق تمر بك على الصراط كالبرق الخاطف فخرج الاعرابي من عند رسول الله صلى الله

من الكتاب تكون عند مفارقة الروح من الجسد وانا الموفوهم نصيبهم غير منقوص وقد جاء في خبر حتى لا يبقى بينه وبين الجنة الا فواق ناقة فيختم له بعمل أهل النار وهذا يكون عند بلوغ الروح التراقي وتكون النفس قد خرجت من جميع الجسد واجتمعت في القلب الى الحلقوم فهذا هو شبر وفواق ناقة هو ما بين الحلبتين وقيل هو شوط من عدو هابين سيرين وهذا من تقلبات القلوب عند حقيقة وجهة التوحيد الى وجهة الضلال والشرك عندما يبدوله من زوال عقل الدنيا وذهاب علم المعقول فيبدوله من الله مالم يكن يحتسب وأكثر ما يقع سوء الخاتمة لثلاث طوائف من الناس أهل البدع والزيغ في الدين لان ايمانهم مرتبط بالمعقول فاول آية تظهر لهم من قدرة الله تعالى ان يطيح عقله عند شهودها فيذهب ايمانه ولا يثبت لعاينتها كما تحترق الفتيلة فيسقط المصباح والطبقة الثانية أهل الكبر والانكار لآيات الله عز وجل وكراماته لأوليائه في الحياة الدنيا لانهم لم يكن لهم يقين يحمل القدرة وعدم الايمان فيعتورهم الشك ويقوى عليهم لفقد اليقين والطبقة الثالثة ثلاثة أصناف متفرقون متفاوتون في سوء الخاتمة وجميعهم دون تينك الطائفتين في سوء الخاتمة لان سوء الختم على مقامات أيضا كمقامات اليقين والشرك فيعمر الحياة منهم المدعي المتظاهر الذي لم يزل الى نفسه وعمله ناظرا والفاسق المعلن والمصر المدمن يتصل بهم المعاصي الى آخر العمر ويدوم تقلبهم فيها الى كشف الغطاء فاذا رأوا الآيات تابوا الى الله تعالى بقلوبهم وقد انقطعت أعمال الجوارح فليس يتأتى منهم فلا تقبل توبتهم ولا تقال عثرتهم ولا ترحم عبرتهم وهم من أهل هذه الآية وليست التوبة للذين يعملون السيآت حتى اذا حضر أحدهم الموت قال انى تبت الآن فهم مقصودون بقوله عز وجل وحيل بينهم وبين ما يشتهون وهم معنيون بمعنى قوله تعالى فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده فنصوص الآية للكفار ومعناها وقام منها لاهل الكبائر وذوى الاصرار من الفاسقين الرائغين من حيث اشتركوا في سوء الخاتمة ثم تفاوتوا في مقامات منها تظهر لهم شهوات معاصيهم ويعاد عليهم تذكرها فتحلو في قلوبهم من الذكر والخوف حتى يختم لهم بشهادتها فهذه الاسباب تجلب الخوف وتقطع قلوب ذوى الالباب وقد كان أبو محمد سهل رحمه الله يقول المريد يخاف ان يبتلى بالمعاصي والعارف يخاف ان يبتلى بالكفر وكذلك قال أبو يزيد رحمه الله تعالى قبله اذا توجهت الى المسجد كان في وسطى زنار أخاف ان يذهب بي الى البيعة وبيت النار حتى أدخل المسجد فيقطع عني الزنار فهو الى في كل يوم خمس مرات هذا لعلمهم بسرعة تقلب القلوب في قدرة علام الغيوب وقد روينا معنى ذلك عن عيسى عليه السلام انه قال يا معشر الحواريين أنتم تخافون المعاصي ونحن معشر الانبياء نخاف الكفر وروينا في أخبار الانبياء أن نبيا شكا الى الله تعالى الجوع والقمل والعرى سنين فأوحى الله تعالى اليه أما رضيت ان عصمت قلبك أن تكفر بي حتى تسألني الدنيا فأخذ التراب فوضعه على رأسه وقال بلى قد رضيت يا رب فاعصمني من الكفر فلم يذكر له نعمته عليه بنبوته وعرضه للكفر وجوز دخوله عليه بعد النبوة فاعترف النبي عليه السلام بذلك ورضي به واستعصم وقد كان عبد الواحد بن زيد امام الزاهدين قبلهما يقول ما صدق خائف قط ظن انه لا يدخل النار وما ظن أن يدخل النار الا خاف أن لا يخرج منها أبدا وقد قال الحسن البصري رحمه الله تعالى امام العلماء قبلهم يخرج من النار رجل بعد ألف عام ويا ليتني ذلك الرجل هذا الشدة خوفه من الخلود في الابدية قال فبعد أن أخرج منها وقت لا أبالي والعدو يدخل على العارفين من طريق الالحاد في التوحيد والتشبيه في اليقين والوسوسة في صفات الذات ويدخل على المريدين من طريق الآفات والشهوات فلذلك كان خوف العارفين أعظم ومن قبل أن العدو يدخل على كل عبد من معنى همه فيشككه في اليقين كما يزين له الشهوات فأرواحهم معلقة بالسابقة ماذا سبق لهم من الكلمة هنالك مشاهدتهم ومن ثم فزعهم لا يدرون أسبق لهم قدم صدق عند ربهم فيختم لهم بمقعد صدق فيكونون ممن قال تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون ويخافون أن يكونوا قد حقت عليهم الكلمة فيكونون ممن قال فيهم الرسول

ولى شفيع اليه لا يرد فى
جاهه الكل قد جار واوقد
تاهوا
محمد المصطفى المختار من مضر
من طبق الارض طيبا عند
رياه
أموت شوقا ولا أحظى برؤيته
واحسرتا فتى أحظى برؤياه
تالله ما فى فؤادى قط جارحة
الا وذكراه فيها ليس تنساه
صلى عليه اله العرش ما طلعت
شمس وغابت سماه من شيماه
اللهم اتنا اليانظارو جنات
واغفر لنا جميع معاصينا
وارزقنا جوازا على الصراط
ونصيبا من الجنة

(فصل فى الشفاعة)

خ م عن أبى سعيد الخدرى ان اناسا قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم قال هل تضارون فى رؤية الشمس بالظهيرة صحوا ليس معها سحاب وهل تضارون فى رؤية القمر ليلة البدر صحوا ليس فيها سحاب قالوا لا يا رسول الله قال ما تضارون فى رؤية الله تعالى يوم القيامة الا كما تضارون فى رؤية أحدهما اذا كان يوم القيامة اذن مؤذن ليتبع كل أمة ما كانت تعبد ولا يبقى أحد كان يعبد غير الله من الاصنام والانصاب الا يتساقطون فى النار حتى اذا لم يبق الا من كان يعبد الله من بر وفاجر أتاهم رب العالمين وقال فماذا تنتظرون يتبع كل أمة ما كانت

خوفه على قدر قربه فخوف الاسلام اعتقاد العزة والجبرية لله تعالى وتسليم القدرة والسطوة له والتصديق لما أخبر به من عذابه وماتهدد به من عقابه وقال الفضيل بن عياض اذا قيل لك تخاف الله فاسكت لانك ان قلت لا كفرت وان قلت نعم فليس وصفك وصف من يخاف وشكا واعظ الى بعض الحكماء فقال الاترى الى هؤلاء أعظهم واذكرهم فلا يرقون فقال وكيف تنفع الموعظة من لم يكن في قلبه لله تعالى مخافة وقد قال الله تعالى في تصديق ذلك سيذكر من يخشى ويتجنبها الاشقى أى يتجنب التذكرة الشقى فجعل من عدم الخوف شقيا وحرمه التذكرة فخوف عموم المؤمنين بظاهر القلب عن باطن العلم بالعقد وخوف خصوصهم وهم الموقنون بباطن القلب عن باطن العلم بالوجد فاما خوف اليقين فهو للصديقين من شهداء العارفين عن مشاهدتها آمن به من الصفات المخوفة وقد جاء في خبر اذا دخل العبد في قبره لم يبق شئ كان يخافه دون الله عز وجل الامثل له يفزعه ويرعبه الى يوم القيامة فاول خوف اليقين الموصوف الذى هو نعت الموصوفين من المؤمنين المحاسبة للنفس في كل وقت والمراقبة للرب في كل حين والورع عن الاقدام على الشبهات من كل شئ من العلوم بغير يقين بها ومن الاعمال بغير فقه فيها وفي خبر موسى عليه السلام وأما الورعون فانه لا يبقى أحد الا ناقشته بالحساب وفتشته عما في يديه الا الورعين فانى استحييهم وأجلهم ان أوقفهم للحساب فالورع حال من الخوف ثم كف الجوارح عن الشبهات وفضول الحلال من كل شئ بخشوع قلب ووجود اخبات وقال على كرم الله وجهه ومن اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات ومن أشفق من النار رجع عن المحرمات ثم سجن اللسان وخزن الكلام لئلا يدخل في دين الله عز وجل ولا في العلم مالم يشرعه الله في كتابه أولم يذكره رسوله صلى الله عليه وسلم في سنته أولم ينطق به الائمة من السلف في سيرهم مما لم يكن أصله موجودا في الكتاب والسنة وتسميته واضحة في العلم فيجتنب ذلك كله ولا تقف ماليس لك به علم خوفا من المساءلة ولا يدخل فيه لدقيق هوى يدخل عليه ولا لعظيم حظ دنيا يدخل فيه وان ينصح نفسه لله تعالى لانها أولى الخلق ثم ينصح الخلق في الله تعالى فيبتدئ بالنصح في أمور الدين والآخرة ثم يعقبه في أسباب الدنيا لان أمور الآخرة أهم والغش في الدين أعظم والتزود للمنقلب آثر روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من غش أمتى فعليه لعنة الله قيل وما غش أمتك يارسول قال ان يبتدع لهم بدعة فيتبع عليها فاذا فعل ذلك فقد غشهم وثمرة الخوف العلم بالله عز وجل والحياء من الله عز وجل وهو أعلى سريرات أهل المزيد يستبين أحكام ذلك في معنيين هما جملة العبادات يحفظ رأسه وما حواه من السمع والبصر واللسان وان يحفظ بطنه وما وعاه وهو القلب والفرج واليد والرجل وهذا خوف العموم وهو أول الحياء فاما خوف الخصوص فهو ان لا يجمع مالا يأكل ولا يبنى مالا يسكن ولا يكاثر فيما عنه ينتقل ولا يغفل ولا يفرط عما اليه يرتحل وهذا هو الزهد وهو حياء مزيد أهل الحياء من تقوى أصحاب اليمين وقد روينا معنى ماذكرناه في حديثين أحدهما عام والآخر خاص وكل من لم يستعمل قلبه في بدايته ويجعل الخوف حشو ارادته لم ينجب في خاتمته ولم يكن اماما للمتقين عند علو معرفته وأعلى الخوف ان يكون قلبه معلقا بخوف الخاتمة لا يسكن الى علم ولا عمل ولا يقطع على النجاة بشئ من العلوم وان علت ولا لسبب من أعماله وان جلت لعدم علمه بتحقيق الخواتم وقد قيل انما الوزن من الاعمال خواتمها وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان العبد ليعمل بعمل أهل الجنة خمسين سنة حتى يقال انه من أهل الجنة وفي خبر حتى ما يبقى بينه وبين الجنة الا شبر ثم يسبق عليه الكتاب فيختم له بعمل أهل النار ولا يتأتى في هذا المقدار من الوقت شئ من عمل الجسم بالجوارح انما هو من أعمال القلوب بمشاهدة العقول وهو شرك التوحيد الذى لم يكن محتسبا به وشك في اليقين الذى لم يكن في الحياة الدنيا مشاهدا له فظهر له بيان ذلك عند كشف الغطاء فغلب عليه وصفه وبدت فيه حاله كما يظهر له أعماله السيئة فيستحلها قلبه أو ينطق بها لسانه أو يخامرها وجده فتكون هى خاتمته التى تخرج عليها روحه وذلك في سابقته التى سبقت له من الكتاب كما قال تعالى أولئك ينالهم نصيبهم

يمشاو شمالا الى الخلق وهم يتهافتون في النار والزعقات بالويل والثبور قد ارتفعت اليك من قعر جهنم لكثرة من زل عن الصراط فكيف بك لو زلت بك قدمك ولم ينفعك ندمك فناديت بالويل وقلت ياليتنى قدمت لحياتى وعند ذلك تختطفك النار والعياذ بالله فكيف ترى الآن عقلك وهذه الاخطار بين يديك فان كنت غير مؤمن بذلك فما أطول مقامك مع الكفار في دركات جهنم وان كنت مؤمنا بها وبالاستعداد لها متهاونا فما أعظم حسراتك فطاول فكرك في هذه الاهوال ولا يحملك الاخوف يعدك عن المعاصى ويحملك على الطاعة ولا ينفع رقة النساء وخوف الحمق واذا سمعوا الاهوال سبق الى ألسنتهم الاستعاذة والبكاء وهم مع ذلك مصرون على المعاصى شعر

يانفس توبى الى مولاك واجتهدى
وصابرى فيه ايقانا برؤياه
يانفس من منقذى يوم الحساب غدا
سواه ومشهدى اياه الاهو
ومن لقلب اذالج الغرام به
الا الذى جلة العشاق تهواه
قم يامشوقا اذاجن الظلام تجد
قوما سكارى نشاوى عند ذكراه
وكيف يبعدنى عن بابه والى
جاه قدجئت أرجو طيب لقياه

هذه المتألية على الله عز وجل فقال الرجل هي امي يا رسول الله فقال وما يدريك لعل فلانا كان يتكلم بما
لا يعنيه ويبخل بما لا يغنيه وروينا بمثل معنى هذا أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى على طفل منفوس ففي
رواية انه سمع يقول له في دعائه اللهم قه عذاب القبر وعذاب جهنم وفي رواية ثانية انه سمع قائلة تقول
هنيأ لك عصفور من عصافير الجنة فغضب وقال ما يدريك انه كذلك والله اني رسول الله وما أدري ما يصنع بي
ان الله عز وجل خلق الجنة وخلق لها أهلا وخلق النار وخلق لها أهلا لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم وقد قاله
رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة عثمان بن مظعون وكان من المهاجرين الاولين واستشهد لما
قالت أم سلمة رضي الله عنها ذلك وكانت تقول والله لا أزكي أحدا بعد عثمان رضي الله عنه وأعجب من ذلك
انا روينا عن محمد بن الحنفية رضي الله عنه انه قال والله لا أزكي أحدا غير رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولا أبي الذي ولدني قال فتكلمت الشيعة فأخذ يذكر من فضائل علي كرم الله وجهه ومناقبه فهذه المعاني
أحرقت قلوب الخائفين واعمل ذكر البعد في الابعاد الذي شيب الحبيب القريب في قوله صلى الله عليه
وسلم شيبتني هود وأخواتها سورة الواقعة واذا الشمس كورت وعم يتساءلون لان في سورة هود ألا بعدا
لثمود ألا بعدا لعاد قوم هود الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود وفي سورة الواقعة ليس لوقعتها كاذبة يعني وقعت
السابقة لمن سبقت له وحقت الحاقة بمن حقت عليه خافضة رافعة خفضت قوما في الآخرة كانوا مرفوعين
في الدنيا حين ظهرت الحقائق وكشفت عواقب الخلائق وأما سورة التكوير ففيها شواهد المصير وهي
صفة القيامة لمن أيقن وفيها تجلي معاني الغضب لمن عاين آخر ذلك واذا الجحيم سعرت واذا الجنة أزلفت علمت
نفس ما أحضرت هذا فصل الخطاب أي عند تسعير النيران واقتراب الجنان حينئذ يتبين للنفس ما أحضرت
من شر يصلح له الجحيم أو خير يصلح له النعيم وتعلم اذ ذاك من أي أهل الدارين تكون وفي أي منزلين
تحل فكم من قلوب قد تقطعت حسرات على الابعاد من الجنان بعد اقترابها وكم من نفوس تصاعدت
زفرات عن يقينها بمعاينة النيران انها تصيبها وكم من أبصار ذليلة خاشعة لمشاهدة الاهوال وكم من عقول
طائشة لمعاينة الزلزال وحدثنا عن أبي محمد سهل رحمه الله تعالى قال رأيت كأني أدخلت الجنة فلقيت
فيها ثلثمائة نبي فسألتهم ما أخوف ما كنتم تخافون في الدنيا فقالوا الى سوء الخاتمة فالخاتمة هي من مكر
الله تعالى الذي لا يوصف ولا يفطن له ولا عليه يوقف ولا نهاية لمكره لان مشيئته وأحكامه لا غاية لها ومن
ذلك الخبر المشهور ان النبي صلى الله عليه وسلم وجبريل بكيا خوفا من الله تعالى فأوحى الله اليهما لم تبكيان
وقد أمنتكما فقالا ومن يأمن مكرك فلولا انهما علما ان مكره لا نهاية له لان حكمه لا غاية له لم يقولا ومن يأمن
مكرك مع قوله قد أمنتكما ولكان قد انتهى مكره بقوله ولكانا قد وقفا على آخر مكره ولكن خافا من بقية
المكر الذي هو غيب عنهما وعلما انهما لا يقفان على غيب الله تعالى اذ هو علام الغيوب فلا نهاية لعلام في
علم ولا غاية للغيوب بوصف فلم يحكم عليهما القول لعنايته بهما وفضل نظره اليهما ولانهما على مزيد من
معرفة الصفات اذ المكر عن الوصف واظهار القول لا يقضي على باطن الوصف فكأنهما خافا أن يكون
قوله تعالى قد أمنتكما مكرا منه أيضا بالقول على وصف مخصوص عن حكمة تقدا ستأثر بعلمها فيعتبر
بذلك حالهما وينظر كيف يعملان تعبدا منه لهما به اذ الابتلاء وصفه من قبل أن المبتلى اسمه فلا يترك
مقتضى وصفه لتحقق اسمه ولا تبدل سنته التي قد خلت في عباده كما اختبر خليله عليه السلام لما هوى به المنجنيق
في الهواء فقال حسبي الله ربي فعارضه جبريل عليه السلام فقال ألك حاجة قال لا وفاء بقوله حسبي الله فصدق
القول بالعمل فقال الله تعالى وابراهيم الذي وفى أي بقوله حسبي الله ولان الله تعالى لا يدخل تحت الاحكام
ولا يلزمه ما حكم به على الانام ولا يختبر صدقه سبحانه وتعالى ولا يجوز أن يوصف بضد الصدق وان بدل الكلام
هو بتبديل منه لان كلامه قائم به فله أن يبدل به ما شاء وهو الصادق في الكلامين العادل في الحكمين
الحاكم في الحالين لانه حاكم عليه ولا حكم يلزمه فيه لانه قد جاوز العلوم والعقول التي هي أماكن للحدود

كثيرا ثم يقول ارجعوا فمن
وجدتم في قلبه مثقال نصف
دينار من خير فاخرجوه
فيخرجون خلقا كثيرا ثم
يقول ارجعوا فمن وجدتم
في قلبه مثقال ذرة من خير
فاخرجوه فيخرجون خلقا
كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر
فيها خيرا فيقول الله
عز وجل شفعت الملائكة
وشفع النبيون وشفع
المؤمنون ولم يبق الا أرحم
الراحمين فيقبض قبضة من
النار فيخرج منها قوما لم
يعملوا خيرا قط قد عادوا
حمما فيلقيهم الله في نهر في
أفواه الجنة يقال له نهر
الحياة فيخرجون كما تخرج
الحبة في حميل السيل قال
فيخرجون كاللؤلؤ في
رقابهم الخواتم فيقول أهل
الجنة هؤلاء عتقاء الرحمن
أدخلهم الجنة بغير عمل
عملوه ولا خير قدموه فيقال
لهم لكم ما رأيتم ومثله معه
ق قال صلى الله عليه
وسلم يصف أهل النار فيمر
بهم الرجل من أهل الجنة
فيقول الرجل منهم يا فلان
ما تعرفني انا الذي سقيتك
شربة وقال بعضهم انا
الذي وهبت لك وضوأ
فيشفع له فيدخله الجنة
اعلم ان الله تعالى يقبل
شفاعة الانبياء والصديقين
والعلماء والشهداء
والصالحين فاحرص أنت
على رتبة الشفاعة فان
لا تحقر آدميا ولا معصية
ولا طاعة أصلا فانك لا تدري

صلى الله عليه وسلم يقول الله سبحانه وتعالى هؤلاء في النار ولا أبالي فلا ينفعهم شفاعة شافع ولا ينقذهم من النار داقم كما قال مولاهم الحق أفمن حقت عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من في النار وكقوله تعالى ولكن حق القول مني لأملأن جهنم فهذه الآية ومعناها تخويف لأولي الابصار وقال عالمنا رحمه الله في قوله تعالى وإياي فاتقون عموم أي فيما نهيت عنه وقوله تعالى وإياي فارهبون أي في السابقة وهذا خصوص وقد نوّع بعض العارفين خوف المؤمنين على مقامين فقال قلوب الابرار معلقة بالخاتمة يقولون ليت شعري ماذا يختم لنا به وقلوب المقربين معلقة بالسابقة يقولون ليت شعري ماذا سبق لنا به وهذان المقامان عن مشاهدتين احداهما أعلى وأنفذ من الاخرى لحالين أحدهما أتم وأكمل فهذا كما قيل ذنوب المقربين حسنات الابرار أي ما رغب فيه الابرار فهو عندهم فضائل قد زهد فيه المقربون فهو عندهم حجاب ومن حقت عليه كلمة العذاب وسبق له من مولاه الختم بسوء الاكتساب لم ينفعه شيء فهو يعمل في بطالة لا أجر له ولا عاقبة قد نظر اليه نظرة بعد فهو يزداد بأعماله بعدا من قبل أن سوء الخاتمة قد تكون في وسط العمر فلا ينتظر بها آخره يوافق معصية تكون سببها كعقد الخاتمة اذ هما في سبق العلم سواء فالخاتمة حينئذ فاتحة والوقتان واحد فاذا انقطعت الآجال وانتهت الاعمال تناهى في الابعاد فحل في دار البعد وقد روينا في الخبر والله لا يقبل الله تعالى من مبتدع عملا انه رد على الله تعالى سنته فرد عليه عمله كلما ازداد اجتهادا ازداد من الله تعالى بعدا كما قال الحكيم

من غص داوى بشرب الماء غصته * فكيف يصنع من قد غص بالماء

بل كيف يصنع من أقصاه مالكه * فليس ينفعه طب الاطباء

وعن مشاهدة هذا المعنى كان خوف الحسن البصري رحمه الله تعالى وحزنه لعلمه بانه عز وجل لا يبالي ما فعل فخاف أن يقع بوصف الجبرية في ترك المبالاة وأن يجعله نكالا لاصحابه وموعظة لاهل طبقته يقال انه ما ضحك أربعين سنة وكنت اذا رأيته قاعدا كأنه أسير قدم ليضرب عنقه واذا تكلم كأنه يعاين الآخرة فيخبر عن مشاهدتها واذا سكت كأن النار تسعر بين عينيه وعوتب في شدة حزنه فقال ما يؤمنني أن يكون قد اطلع علي في بعض ما يكره فمقتني فقال اذهب فلا غفرت لك فأنا أعمل في غير معمل فنحن أحق بهذا من الحسن رحمه الله ولكن ليس الخوف يكون لكثرة الذنوب فلو كان كذلك لكنا أكثر خوفا منه انما يكون لصفاء القلب وشدة التعظيم لله تعالى وقد بشر العلاء بن زياد العدوي بالجنة وكان من العباد فغلق عليه بابه سنينا ولم يذق طعاما وجعل يبكي ويقول أنا أنا في قصة طويلة حتى دخل عليه الحسن فجعل يعذله في شدة خوفه وكثرة بكائه فقال يا أخي من أهل الجنة ان شاء الله تعالى أفاقتل نفسك فما طاب لك برحل يعذله الحسن في الخوف وقد كان من فوقهم من علية الصحابة يتمنون انهم لم يخلقوا بشرا وقد بشروا بالجنة يقينا في غير خبر من ذلك قول أبي بكر رضي الله عنه ليتني مثلك الطير واني لم أخلق بشرا وقول عمر رضي الله عنه وددت اني كنت كبشا ذبحني أهلي لضيفهم وأبو ذر رضي الله عنه يقول وددت اني شجرة تعضد وطلحة والزبير رضي الله عنهما يقولان وددنا انا لم نخلق وعثمان رضي الله عنه يقول وددت اني اذا مت لا أبعث وعائشة رضي الله عنها تقول وددت اني كنت نسيا منسيا وابن مسعود رضي الله عنه يقول ليتني اني أكون رمادا وفي رواية عنه ليتني كنت بعرة ليتني لم أك شيأ في طبقة يكثر عددهم ونحن في ارتكاب الكبائر ونحدث نفوسنا بالدرجات العلى والقرب من سدرة المنتهى ونسينا أن أبانا آدم صلوات الله عليه أخرج من الجنة بعد أن دخلها بذنب واحد ونحن لم نرها بعد فانما نضرب في حديد بارد وروينا في خبر أن رجلا من أهل الصفة استشهد فقالت أمه هنيأ لك عصفور من عصافير الجنة هاجرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتلت في سبيل الله تعالى فقال النبي صلى الله عليه وسلم وما يدريك لعله كان يتكلم فيما لا يعنيه ويمنع ما لا يضره وفي حديث آخر بمثل هذه القصة انه دخل على بعض أصحابه وهو عليل فسمع أمه تقول هنيأ لك الجنة فقال من

ثم يعيد قالوا يا ربنا فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا اليهم ولم نصاحبهم وفي رواية أبي هريرة رضي الله عنه فيقولون هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فاذا جاء ربنا عرفناه وفي رواية أبي سعيد فيقول هل بينكم وبينه آية تعرفونه فيقولون نعم فيكشف عن ساق ولا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه الا أذن الله له بالسجود ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء الا جعل الله ظهره طبقة واحدة كلما أراد أن يسجد خر على قفاه ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون اللهم سلم سلم فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكردس في نار جهنم حتى اذا خلص المؤمنون من النار فوالذي نفسي بيده ما من أحد منكم بأشد مناشدة في الحق قد تبين لكم من المؤمنين لله يوم القيامة لاخوانهم الذين في النار يقولون ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون فيقال لهم أخرجوا من عرفتم فتحرم صورهم على النار فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا ما بقي فيها أحد ممن أمرتنا به فيقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا

لان ذلك يكون عن حقائق معاني الصفات التي ظهرت عن حقيقة الذات فأظهرت بدائع الافعال وغرائب الاعمال واعادت الاحكام على من أظهرها وجعل لها من حقت عليه الكلمات وجعل نصيبه من معاني هذه السريرة من الصفات فيؤدي ذلك منا الى كشف باطن الاوصاف وهذا غير مأمور به ولا مأذون فيه لانه لا يجب فلم يؤمر به ولانه لم يبح فلم يؤذن فيه وهو من سر القدر وقد نهى عن افشائه في خبر ولو لم يطلع الاولياء عليه لما قيل فلا تفشوه فان أقام الله تعالى عبدا مقام هذه المشاهدة أغناه بالمعاينة عن الخبر وآنسه بالمحادثة عن الاثر وذلك هو العلم النافع الذي يكون العلام معلمه وذلك هو الاثر اللازم الذي يكون الجاعل مؤثره ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه فالكتب الذي لا يمحى ما كان من نوره والعين التي لا تخفى لانها بحضوره والنور الذي لا يطفأ لانه من روحه والروح الذي لا كرب فيه لانه من ريحانه والمدد الذي لا ينقطع من روحه وقد كتب وأيد وكل كتاب بيد مخلوق فغير محفوظ وقد يضيع وكل أيد بغير روحه فمقطوع وما كتبه الصانع بصنعه في قلب حفيظ فثبت عتيد وقد روينا عن زيد بن أسلم في قوله تعالى في لوح محفوظ قال قلب المؤمن وقال آخر في قوله والبيت المعمور قلب العارف وقال بعض أهل المعرفة في بيوت اذن الله أن ترفع قلوب المقربين رفعت الى وصف الخالق عن ذكر المخلوقين ويذكر فيها اسمه بالتوحيد على تجريد الوحدانية عن شهادة الاحدية وقد كان أبو محمد سهل رحمه الله تعالى يقول الصدر هو الكرسي والقلب هو العرش والله تبارك وتعالى واضع عليه عظمته وجلاله وهو مشهود بلطفه وقربه فصدر المؤمن أوله صمدية وآخره روحانية وأوسطه ربوبية فهو صمدي روحاني رباني وقلبه أوله قدرة وآخره بر وأوسطه لطف فاذا كان كذلك فهو مشكاة فيها مصباح يرى به الزجاج كأنها كوكب دري تشهد به الآلاء فهو مرآة جسدي يرى فيرى به الوجه ويجده عنده كما يراه من وراء مرآة مشاهدة من قلب موقن بعين يقين يشهد الصدر الكرسي والقلب العرش والله تعالى عليه ولا يحل للعلماء أيضا كشف علامات سوء الخاتمة من رأوها فيه من العمال لان لها علامات جلية عند المكاشفين بها وأدلة خفية عند العارفين المشرفين بهم عليها ولكنها من سر المعبود في العبد خبيئة وخبأة في خزائن النفوس لم يطلع عليها الا الافراد وقد ستر ذلك وغطاه بسعة رحمته وحلمه وكثيف ستره وفضله وسيخرج ذلك الخباء يوم تبلى السرائر عند غضبه وعظيم سطوته فماله من قوة من عمل ولا ناصر من علم لا قوة له فينتصر بها لان النصرة عزة وهو ذليل ولا ناصر لان الناصر هو الخاذل والمقوي هو المضعف فما أسوأ حال من لا ينصر نفسه وليست له من مولاه محبة ولو محبه لنصره ولو نصره لاعزه ولو وليه لهرب منه عدوه قال تعالى لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا هم منها يصحبون وقال تعالى قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والارض الآية فمن حكمته غفره ومن رحمته ستره وقال تعالى يخرج الخبء في السموات والارض ويعلم ما تخفون وما تعلنون فهذه العلوم التي ذكرناها توجب حقائق المخاوف وهي من سر الملك وخباء الملكوت على أن للعبد عند الموت علامات ليس يخفى على العارف بسوء الخاتمة بمشاهدته لها وللاحياء علامات عند المكاشفين على الاطلاع يعرفون بها سوء الخاتمة منهم وهذا علم مخصوص به من أهم مقامات المكاشفات عن مشاهدة حقيقة من ذات وهو سر علام الغيوب عند من أطلعه عليه من أهل القلوب لان الكشف يتنوع أنواعا من المعاني فمنه كشف معاني الآخرة ومنه كشف بواطن الدنيا ومنه الاطلاع على حقائق الاشياء المستورة لظواهر الاحكام فهذا من سر الملكوت ومن معاني كشوف الجبروت وقد جاء في خبر القدر سر الله فلا تفشوه فهذا الخطاب لمن كوشف به وفي خبر آخر ستر الله فلا تكشفوه فهذا خطاب لمن لم يكاشف به وهذا النهي عن السؤال عنه وهو داخل في قوله تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم أي لا تتبع نفسك علم ما لم تكلف ولا تسأل عما لم يجعل من علمك ولم يوكل اليك ولانه اذا علمه لم ينفع علمه شيئا وانما ينفعه علم الاحكام والاسباب لانها طرقات ومثل مخاطبة المؤمنين خاطب أنبياءه عليهم السلام في

عن ثوبان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال حوضي من عدن الى عمان البلقاء وماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل وأكوابه عدد نجوم السماء من شرب منه شربة ليس يظمأ بعدها أبدا وأول الناس ورودا فقراء المهاجرين الشعث رؤسا الدنس ثيابا الذين لا ينكحون المتنعمات ولا تفتح لهم السدد ت عن كعب بن عجرة ان امراء يكونون من بعدي فمن غشي أبوابهم فصدقهم في كذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه ولا يرد علي الحوض ومن غشي أبوابهم ولم يصدقهم في كذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فهو مني وأنا منه وسيرد علي الحوض يا كعب بن عجرة انه لا يربو لحم نبت من سحت الا كانت النار أولى به وفي التذكرة قال علماؤنا المرتدون والمبتدعون كالروافض والمعتزلة والغلاة المسرفون في الجور وطمس الحق والمعلنون بالكبائر المستخفون بالمعاصي مطرودون عن الحوض انتهى [illegible] ذاب ج كل نبي أن يرد عليه الحوض [illegible] أن يكون [illegible] الصاد من بث العدل ونقى الارض وسقاها و [illegible] ودفع المراعق الى [illegible]

من الامر والنهي وفات الرسوم والمعقول التي هي أواسط الاحكام والاقدار وفي مشاهدة ماذكرناه علم دقيق من علوم التوحيد ومقام رفيع من أحوال التوحيد وبمثل هذا المعنى وصف صفيه موسى في قوله تعالى فأوجس في نفسه خيفة موسى بعد قوله تعالى لا تخافا انني معكما الآية فلم يأمن موسى أن يكون قد أسر عنه في غيبه واستثنى في نفسه سبحانه مالم يظهره له في القول لمعرفة موسى عليه السلام بخفي المكر وباطن الوصف ولعلمه انه لم يعطه الحكم اذ هو محكوم عليه مقهور فخاف خوفا ثانيا حتى أمنه أمنا ثانيا بحكم ثان فقال لا تخف انك أنت الاعلى فاطمأن الى القائل ولم يسكن الى الاظهار الاول لعلمه بسعة علمه انه هو علام الغيوب التي لا نهاية لها ولان القول أحكام والحاكم لا تحكم عليه الاحكام كما لا تعود عليه الاحكام وانما تفصل الاحكام من الحاكم العلام ثم تعود على المحكومات أبدا ولانه جلت قدرته لا يلزمه ما لزم الخلق الذين هم تحت الحكم ولا يدخل تحت معيار العقل والعلم تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا عند من عرفه فأجله وعظمه عن معارف من جهله ومن هذا قول عيسى عليه السلام ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك لما قال له أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله ومثل هذا قوله في يوم القيامة ان تعذبهم فانهم عبادك الآية فعلهم في مشيئته لعزته وحكمته ولا يصلح أن نكشف حقيقة ما فصلناه في كتاب ولا ينبغي أن نرسم ما رمزناه من الخطاب خشية الانكار وكراهة تفاوت علم أهل المعقول والمعيار الآن يسأل عنه من أقيم فيه وأريد به من ذوي القوة والابصار فينقل من قلب الى قلب فيشهد بتلوه شاهد منه أو يكشفه علام الغيوب في سرائر القلوب بوحي الالهام ويقذفه بنور الهدى للاعلام والله الموفق لمن شاء من العباد لما شاء من الحيطة بالعلم وهو الفتاح العليم اذا فتح القلب علمه واذا نوره باليقين ألهمه ومن خوف العارفين علمهم بان الله تعالى يخوف عباده بمن شاء من عباده الاعلين يجعلهم نكالا للادنين ويخوف العموم من خافه بالتنكيل ببعض الخصوص من عباده حكمة له وحكما منه فعند الخائفين في علمهم ان الله تعالى قد أخرج طائفة من الصالحين نكالا خوف بهم المؤمنين ونكل طائفة من الشهداء خوف بهم الصالحين وأخرج جماعة من الصديقين خوف بهم الشهداء والله تعالى أعلم بما وراء ذلك وقد أخرج جماعة من الملائكة وعظ بهم النبيين وخوف بهم الملائكة المقربين فصار من أهل كل مقام عبرة لمن دونهم وموعظة لمن فوقهم وتخويفا وتهديدا لأولي الابصار وهذا داخل في بعض تفسير قوله عز وجل آتيناه آياتنا فانسلخ منها قال بعض أهل التفسير في أخبار بلعم بن باعوراء انه أوتي النبوة والمشهور انه أوتي الاسم الاكبر فكان سبب هلاكه وهو مقتضى وصف من أوصافه وهو ترك المبالاة بما أظهر من العلوم والاعمال فلم يسكن عند ذلك أحد من أهل المقامات في مقام ولا نظر أحد من أهل الاحوال الى حال ولا أمن مكر الله تعالى عالم به في كل حال كيف وقد سمعوه تبارك وتعالى يقول ان عذاب ربهم غير مأمون فأجهل الناس من أمن غير مأمون وأعلمهم من خاف في الامن حتى يخرج من دار الخوف الى مقام أمين وهذا الخوف لا يقوم له شئ وكرب لا يوازيه مقام ولا عمل لولا ان الله تعالى عدله بالرجاء لاخرج الى القنوط ولولا انه روحه بروح الانس بحسن الظن لادخل في الاياس ولكن اذا كان هو المعدل وهو المروح كيف لا يعتدل الخوف والرجاء ولا يمتزج الكرب بالروح والرضا حكمة بالغة وحكما نافذا لعلم سابق وقدر جار ما شاء الله تعالى لا قوة الا بالله وفي شهود ما ذكرناه علم عن مشاهدة توحيد لمن أشهده فأقل ما يفيد علم هذا الخائفين ترك النظر الى أعمالهم ورفع السكون الى علومهم وصدق الافتقار في كل حال ودوام الانقطاع بكل هم والازراء على النفس في كل وصف وهذه مقامات لقوم فيكون هذا الخوف سبب نجاتهم من هذه الوقائع اذ قد جعل الله تعالى التخويف أمنة من الاخذ بالمفاجأة وسببا للرأفة والرحمة لمن ألبسه اياه وهو أحد الوجهين في قوله تعالى أفأمن الذين مكروا السيآت أن يخسف الله بهم الارض الآية ثم قال تعالى أو يأخذهم على تخوف فان ربكم لرؤف رحيم وليس يصلح أيضا أن نكشف سر المخاوف من الخاتمة والسابقة

في أي عباده نجيا ولا يثبته وفي أي معصية غضبه وفي أي طاعة رضاه واجتهد كل الجهد في تقوية محبة الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم الترسم بشفاعة المحبوب ولا تترك طاعة الله اتكالا على الشفاعة لان المعاصي بريد الكفر فلا تأمن أن ينزع ايمانك فلا شفاعة أصلا وأن يسلم فلا تقدر على نار جهنم وان علم ملك شك فيه فاجلس على نار الدنيا لتعرف قدرتك على نار جهنم شعر

سلام على قبر النبي محمد نبي الهدى والمصطفى والمهتدي
وكان رسول الله أفضل من مشى على الارض الا انه لم يخلد
وأول من ينشق عنه ضريحه وخير الورى الهادي المشفع في غد
وأصحابه مثل النجوم وحوضه لوراده فازوا بأعذب مورد
فيا خير مبعوث الى خير أمة ومن خص بالدين القويم المؤيد
سألتك يا خير الانام شفاعة بها أرتجي سؤلي وأبلغ مقصدي
عليك سلام الله يا خير مرسل وأشرف مخلوق وأكرم سيد

(فصل في الحوض) قال الله تعالى انا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الابتر تق

في نفسه لا يتبعض ولما احتضر سفيان الثوري رضي الله عنه جعل يبكي و يجزع فقيل له يا أبا عبد الله عليك بالرجاء فان عفو الله أعظم من ذنوبك فقال أوعلى ذنوبي أبكي لو علمت اني أموت على التوحيد لم أبال ان ألقى الله تعالى بأمثال الجبال من الخطايا وقال مرة ذنوبي أهون من هذه و رفع حبة من الارض انما أخاف أن أسلب التوحيد في آخر الوقت وقد كان رحمه الله أحد الخائفين كان يبول الدم من شدة الخوف وكان عرض المرضة من المخافة وعرض بوله على بعض الكتابيين فقال هذا بول راهب من الرهبان وكان يلتفت الى حماد بن سلمة فيقول يا أبا سلمة ترجو لمثلي العفو أو يغفر لمثلي فيقول له حماد نعم أرجو له وقد كان بعض العلماء يقول لو أني أيقنت ان يختم لي بالسعادة كان أحب الي مما طلعت عليه الشمس في حياتي أجعله في سبيل الله تعالى وحدثني بعض اخواني عن بعض الصادقين وكان خائفا انه أوصى بعض اخوانه فقال اذا حضرتني الوفاة فاقعد عند رأسي فاذا عاينت فانظر الي فان رأيتني مت على التوحيد فاعمد الى جميع ما أملكه فاشتر به لوزا وسكرا وانثره على صبيان أهل المدينة وقل هذا عرس المنفلت وان رأيتني مت على غير التوحيد فاعلم الناس اني قدمت على غير التوحيد حتى لا يغتر وا بشهود جنازتي ليحضر جنازتي من أحب على بصيرة لئلا يلحقني الرياء فأكون قد خدعت المسلمين فقلت ومن أين أعلم انك قدمت على التوحيد فذكر له علامة تظهر من بعض الاموات لم نحب ذكرها قال فكنت عند رأسه انظر اليه كما أمر حتى عاين فرأيت علامة حسن الخاتمة وأمارة الموت على التوحيد قد ظهرت وفاضت روحه قال فنفذت وصيته كما أمر ولم أحدث بذلك الا خصوص اخواني من العلماء وذلك ان العبد مهما عمل في حياته من سوء أعيد ذكره عليه عند فراق الحياة و وقعت مشاهدته فيه عند آخر ساعة من عمره فان استحلى ذلك بقلبه أو استهواه بنفسه وقف معه فاذا وقف معه حسب عليه عملا له وان قل وكان ذلك خاتمته وكذلك ما عمل من خير أعيد ذكره ومشاهدته عليه فان عقد عليه بقلبه أو أحب وقف معه فحسب عملا له وكان ذلك حسن خاتمته وقال بعض هذه الطائفة في قول الله تعالى خلق الموت والحياة ليبلوكم قال يبلوكم بتقليب القلوب في حال الحياة بخواطر الذنوب وفي حال الموت بالحادعن التوحيد فمن خرجت روحه على التوحيد وجاوزت البلاوى كلها الى المبلي فهو المؤمن وذلك هو البلاء الحسن كما قال الله تعالى وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا فهذه المعاني من العلوم أوجبت خوف الخائفين من علم الله تعالى فيهم فلم ينظروا معها الى محاسن أعمالهم لحقيقة معرفتهم بربهم وهذا الخوف هو الثواب لعلمهم بما يعلمون فلما سلموا من مطالبتهم بما يعلمون وصحوا على العلم ظهر لهم خوف علم الله تعالى فيهم نعمة من الله تعالى عليهم فكان ذلك مقاما لهم كما قال الله تعالى قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما قيل بالخوف والمقام الآخر لاصحاب اليمين دون هؤلاء خوف الجنايات والاكتساب وخوف الوعيد وسوء العقاب وخوف التقصير في الامر وخوف مجاوزة الحد وخوف سلب المزيد وخوف حجاب المقت بالغفلة وخوف حدوث الفترة بعد الاجتهاد عن المعاملة وخوف وهن العزم بعد القوة وخوف نكث العهد بنقض التوبة وخوف الوقوع في الابتلاء بالسبب الذي وقعت منه التوبة وخوف عود الاعوجاج عن الاستقامة وخوف العادة بالشهوة وخوف الحور بعد الكور وهو الرجوع عن الجنة الى طريق الهوى وحرث الدنيا وخوف اطلاع الله تعالى عليهم عند ما سلف من ذنوبهم ونظره اليهم على قبيح فعلهم فيعرض عنهم و يمقتهم وهذه كلها مخاوف وطرقات لاهل المعارف و بعضها أعلى من بعض و بعضهم أشد خوفا من بعض و يقال ان العرش جوهرة يتلألأ مثل الكون فلا يكون للعبد وجد في حال من الاحوال الا طبع مثاله في العرش على الصورة التي يكون عليها العبد فاذا كان يوم القيامة و وقف للمحاسبة أظهرت له صورته من العرش فرأى نفسه على هيئته التي كان في الدنيا فذكر فعله بمشاهدته نفسه فيأخذه من الحياء والرعب ما يجل وصفه و يقال ان الله سبحانه اذا أعطى عبدا معرفة ثم لم يعامله بها لم يسلبه اياها بل

هو سيد الكونين والنور الذي
ظهرت شرى يعتنابه بعد الخفا
وهو المشفع في القيامة وحده
فمن هوى في النار أو من أشرفا
هو صاحب الخلق العظيم فلا يرى
الا صفو وعاطفا متلطفا
هو صاحب المعراج من أسرى به
ليلا الى أسنى مقام أشرفا
ملئت به الآفاق نورا باهرا
وعلا على متن البراق مشرفا
كانت ملائكة السما خدما له
وله جنان الخلد أبدت زخرفا
أوحى اليه الله جل جلاله
اسراره واغيره لن تكشفا
يا سيد الكونين جئتك اشتكي
من جور دهر لي غدا متعسفا
أنوي المسير اليك وهو يصدني
والى اب نحولك قد غدا متشوقا
والعمر قد ولى ضياعا حسرة
وانا لاجلك قد فنيت تأسفا
فعسى لديك عز عقبى ربة *
أبغي بها قصدي وعيشا قد صفا
صلى عليك الله يا علم الهدى *
ما بات تري الآل وو صفا
اللهم ارزقنا زيارة نبيك في الدنيا وشفاعته في العقبى واحشرنا تحت أقدام الصالحين يا أرحم الراحمين

(فصل في جهنم) قال الله تعالى وان منكم الا واردها أي بالجواز على الصراط الممدود على جهنم كان أي الورود على ربك حتما أي واجبا أوجبه على نفسه مقضيا أي قضاه الله

هذا المعنى فى قوله تعالى لنوح عليه السلام حين قال ان ابنى من أهلى وان وعدك الحق لانه قد كان وعده نجاة أهله فقال سبحانه وتعالى انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح فلا تسألنى ما ليس لك به علم أى دعاءك ومسألتك لى ما لم أجعله من علمك ولم أكله اليك عمل غير صالح فعندها استغفر ربه واسترجع وان العبد عند موته فى آخر ساعة من عمره يكشف له عند كشف الغطاء عن بصره وجوه كثيرة قد اتخذت آلهة من دون الله أو أشرك بها مع الله تعالى وكلها تزيين وغرور فان وقف القلب مع أحدها أو زين له بعضها أو تقلب قلبه فى شئ منها عند آخر أنفاسه ختم له بذلك فخرجت روحه على الشك أو الشرك وهذا هو سوء الخاتمة وهو نصيب العبد من الكتاب فى السابقة عند خلق الارواح معدومة لها فى الاشباح فى الآباد والآزال قبل اظهار الاكوار والادوار فشهدتها الارواح هنالك غررا وزورا ووقفت معها وقد زادت لها زورا رسوم فى القلب فى التخطيط قبل خلق الاجسام لها وقبل حجبها بكشف الهيا كل عند ظهورها الى الوجود وقبل اقامتها بشاهد العقل لكن بشاهد الاولية بدت وبمعنى القيومية وجدت وبوصف الجامع جمعت ثم فرقت ههنا فظهرت الآن عند الفراق لما كانت شهدت فى التلاق واعترفت فى الآخر بما كانت نطقت فى الاول وخرجت الروح على ما شهدت وهذا كان خبر السابقة التى أدركت الارواح المرافقة لها فى الاجسام عند الخاتمة ومن ذلك جاء فى الاثر يأخذ ملك الارحام النطفة فى يده فيقول يارب اذكر أم أنثى أسوى أم معوج ما رزقه وما عمله ما أثره ما خلقه قال ثم يخلق الله تعالى على يده كما قال فاذا صوره قال يارب انفخ فيه بالسعادة أو بالشقاوة فلذلك خرجت الروح بما دخلت به فاما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم وأما ان كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين وأما ان كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم كما بدأكم تعودون فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة كما بدأنا أول خلق نعيده ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول منى وقال سبحانه وتعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى ان الذين حقت عليهم كلمة ربك ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ان فى هذا لبلاغا لقوم عابدين فهذه الآى ونظائرها وردت فى السوابق الاول والخواتم الاخر وفيها سرائر الغيوب وغرائب الفهوم وهى من آى المطلع لاهل الاشراف على شرفات العرش والاعراف وقال بعض العارفين لو علمت أحدا على التوحيد خمسين سنة ثم حالت بينى وبينه اسطوانة فمات لم أقطع له بالتوحيد لانى لا أدرى ما ظهر من التقليب وقد كان أبو محمد سهل رحمه الله يقول خوف الصديقين من سوء الخاتمة عند كل حركة وكل خطرة وهمة يخافون البعد من الله تعالى وهم الذين مدح الله تبارك وتعالى وقلوبهم وجلة وقال لا يصح خوفه حتى يخاف من الحسنات كما يخاف من السيآت وقال أيضا أعلى الخوف ان يخاف سابق علم الله تعالى فيه ويحذر ان يكون منه حدث خلاف السنة يجره الى الكفر وقال خوف التعظيم ميزان خوف السابقة وكان بعض العارفين يقول لو كانت الشهادة على باب الدار والموت على الاسلام عند باب الحجرة لاخترت الموت على الشهادة قيل ولم قال لانى لا أدرى ما يعرض بقلبى من المشاهدة فيما بين باب الحجرة وباب الدار فيغير التوحيد وروينا عن زهير بن نعيم البابى قال ما أكره مى ذنوبى انما أخاف ما هو أعظم على من الذنوب وهو ان أسلب التوحيد وأموت على غيره وروى ابن المبارك عن أبى لهيعة عن بكر بن سوادة قال كان رجل يعتزل الناس أينما كان يكون وحده فجاء أبو الدرداء فقال أنشدك الله تعالى ما يحملك على ان تعتزل الناس قال انى أخشى ان أسلب دينى وأنا لا أشعر قال أترى فى الحى مائة يخافون ما تخاف فلم يزل ينقص حتى بلغ عشرة قال فحدثت بذلك رجلا من أهل الشام فقال ذلك شرحبيل بن سمط يعنى من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وقد كان أبو الدرداء يحلف بالله تعالى ويقول ما أحد أمن على ايمانه ان يسلبه عند الموت الا سلبه وقد كان بعض علمائنا يقول من أعطى التوحيد أعطيه بكماله ومن منعه منعه بكماله اذا كان التوحيد

وأما من ترك الحسرات والزراعة وتنقية الارض وسقيها وارتجاء نبات الله الحب والكلأ كهيئة مغرور ومتمن وهكذا رجاء أكثر الخلق وهو غرور والحمق نعوذ بالله منه فان الاغترار بالله أعظم من الاغترار بالدنيا عن أبى سعيد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ما طول هذا اليوم فقال والذى نفسى بيده انه ليخفف على المؤمن حتى يكون أهون عليه من الصلاة المكتوبة يصليها فى الدنيا فاجتهد ان تكون من أولئك المؤمنين بتركك هواك لولاك فما بقى لك نفس من عمرك فالامر اليك والاستعداد بيديك فاعمل فى أيام قصار لايام طوال تربح ربحا كثيرا لا منتهى لسروره شعر

يا ذا الذى قد نام وهنا أو غفا * ماذا يفوت النائمين من الوفا
قم يا غفولا عن وصال حبيبه * اسكب الدموع على الخدود تأسفا
واسمع ودع عنك التكلف انه * ما طاب من أخفى هواه تكلفا
لى بالعقيق وبين جرعاء الحمى * بدر رشيق القد أسمر أهيفا
أعيا عيون الناظرين بحسنه * وقضى لعارف ماله ان يطرفا
ان يبد فى ليل ترى بدرا بديل * ولو انثنى قلبا الحسام المرهفا

فى معانى الشرك وتلويحات الشك ان وافق وقت الوفاة كان خاتمته عند لقاء مولاه وانما سميت الخاتمة لانها آخره وآخر ساعة من العمر وخاتم الشئ آخره ومن ذلك قوله تعالى وخاتم النبيين أى آخرهم ومثله ختامه مسك وخاتمه مسك أى آخر الكاس بدلا من الثفل يكون مسكا ومن المخاوف خوف قطع المزيد من علم الايمان مع بقية المعرفة المبتدأة ليكون مستدرجا بها كما قال بعض العلماء ان الله تبارك وتعالى اذا أعطى عبدا معرفة فلم يعامله بها لم يسلبه تلك المعرفة ولكن يبقيها فيه حجة عليه ليحاسبه على قدرها وانما يقطع عنه المزيد وقد يقسى قلبه وتجرى عينه وذلك من النقصان الذى لا يعرفه الا أهل التمام لانه يمنع منه ما ينفعه عنده ويعطيه ما يغتر به ويفتتن عند الخلق لان عين الوجه من الملك للدنيا وعين القلب من الملكوت للآخرة وقال مالك بن دينار قرأت فى التوراة اذا استكمل العبد النفاق ملك عينيه فيبكى متى شاء وقد كانوا يستعيذون بالله عز وجل من بكاء النفاق وهو ان يفتح للعبد الوان البكاء ويغلق عنه باب الذل والخشوع وقد قال الله عز وجل وجاؤا أباهم عشاء يبكون وكان السلف أيضا يقولون استعيذوا بالله من خشوع النفاق قيل وما هو قال ان تبكى العين والقلب قاس فلأن يعطى الانسان رقة القلب فى جمود عين خير من ان يعطى دموع عين فى قسوة قلب ورقة القلب عند أهل القلوب هو خشوعه وخوفه وذله وانكساره وانخباته فمن أعطاه هذا فى قلبه لم يضره ما منعه من بكاء عينه فان رجله بفيض العين فهو فضل ومن أعطاه بكاء العين وحرمه خشوع القلب وذله وخضوعه وانخباته فهو مكر به وهذا هو حقيقة المنع وعدم النفع وجملة بكاء العين انما هو فى علم العقل فاما علم التوحيد بمشاهدة اليقين فلا بكاء فيه لانه ينهر لشاهد الوحدانية فيحمله على علم القدرة فتفيض الدموع بانشاق القوة وقد وصف الله تعالى البكاء كيف ان البكاء يزيدهم خشوعا فى قوله تعالى يبكون ويزيدهم خشوعا فاذا زادنا البكاء كبرا وفرا علمنا بذلك عدم الخشوع فى القلب فكان تصنعا وعجبا الخفايا آفات النفوس فاعلى المخاوف خوف السوابق والخواتم كما كان بعض العارفين يقول ما بكائى وغمى من ذنوبى وشهواتى لانها أخلاقى وصفاتى لا يليق بى غيرها انما حزنى وحسرتى كيف كان قسمى منه ونصيبى حين قسم الاقسام وفرق العطاء بين العباد فكيف كان قسمى منه البعد فهذا الذى ذكرناه هو جمل خوف العلماء الذين هم ورثة الانبياء وهم أبدال النبيين وأئمة المتقين أولوا القوة والتمكين وسئل أبو محمد رحمه الله هل يعطى الله أحدا من الخوف مثقالا من المؤمنين من يعطى من الخوف وزن الجبل قيل فكيف يكون حالهم يأكلون وينامون وينكحون قال نعم يفعلون ذلك والمشاهدة لا تفارقهم والمأوى يظلهم قيل فاين الخوف قال يحمله بحجاب القدرة بلطيف الحكمة ويستر القلب تحت الحجاب فى التصريف بصفات البشرية فيكون مثل هذا العبد مثل المرسلين وهذا كما قال لان مشاهدة التوحيد بالتصريف والحكمة تقيمه بالقيام بالاحكام وذلك ان نور الايمان فى القلب عظيم لو ظهر للقلب لاحرق الجسم وما اتصل به من الملك الا انه مستور بالفضل مغطى بالعلم لا يقاع الاحكام وايجاب التصريف فيها والقيام بمجرى الغايات من معانى القدر والصفات لان الانوار محجوبة بالاسماء والاسماء محجوبة بالافعال والافعال محجوبة بالحركات فتظهر الحركة بالقدرة وهى غيب من ورائها كذلك يظهر التصريف بالحكمة عن نور الايمان وأنوار الايمان مستورة من ورائه وقال بعض العارفين لو كشف وجد المؤمن للخلق عند الله تعالى لعبدوه من دون الله تعالى ولو ظهر نور قلبه للدنيا لم يثبت له شئ على وجه الارض فسبحان من ستر القدرة ومعانيها بالحكمة وأسبابها احكاما منه ورحمة وتطريقا للخلق اليه للمنفعة وفى قراءة أبى بن كعب مثل نور المؤمن ولولا ان نوره من نوره ما استجاز ابدال حرف بغير معناه وقد كان سهل رحمه الله تعالى يقول الخوف مباينة للنهى والخشية الورع والاشفاق الزهد وكان يقول دخول الخوف على الجاهل يدعوه الى العلم ودخوله على العالم يدعوه الى الزهد ودخوله على العامل يدعوه الى الاخلاص وقال أيضا الاخلاص فريضة لاتنال الا بالخوف ولا ينال الخوف الا بالزهد

سلط عليه فى الدنيا الجهل وسوء الخلق وايذاء الناس ت ق عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ان قطرة من الزقوم قطرت فى دار الدنيا لافسدت على أهل الارض معايشهم فكيف بمن يكون طعامه ق عن الحسن قال قال عتبة ابن غزوان على منبر البصرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الصخرة العظيمة تلقى من شفير جهنم فتهوى فيها سبعين عاما وما تفضى الى قرارها وكان عمر يقول أكثروا ذكر النار فان حرها شديد وان قعرها بعيد وان مقامعها حديد وعن أحمد عن النبى صلى الله عليه وسلم لو ضرب جبل بمقمع من التفتش وفى التذكرة قال ابن زيد وان الحلقة من غل أهل جهنم لو ألقيت على أعظم جبل فى الدنيا لهدته وفى الوسيط عنه صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى ولهم مقامع من حديد لو وضع مقمع من حديد فى الارض ثم اجتمع عليه الثقلان ما أقلوه من الارض وقال كعب لو فتح من جهنم قدر منخر ثور بالمشرق ورجل بالمغرب لغلى دماغه حتى يسيل من حرها وان جهنم لتزفر زفرة لا يبقى ملك مقرب ولا نبى مصطفى الا خر جاثيا على ركبتيه ويقول نفسى نفسى ت قال النبى صلى الله عليه وسلم لو ان دلوا من غساقه

أبقاها عليه ليحاسبه على مقدارها ولكن يرفع عنه البركة ويقطع عنه المزيد وقد ذم الله تعالى عبدا أوجد له نعمة استعملها بها صالحا بعد ان كان قد ابتلاه بهواه فغفر الآن بعمله ونسي ماقدمت يداه ولم يخف ان يعيده فيما قد كان جناه في قوله تبارك وتعالى ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيآت عني انه لفرح فخور ومن المخاوف خوف النفاق وقد كان السلف الصالح من الصحابة رضي الله عنهم وخيار التابعين يخافون ذلك كان حذيفة رضي الله عنه يقول ان كان الرجل ليتكلم بالكلمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يصير بها منافقا حتى يلقى الله تعالى اني لاسمعها من أحدكم في اليوم عشر مرات وكان يقول تأتي على القلب ساعة يمتلئ بالايمان حتى لا يكون للنفاق فيه مغرز ابرة ويأتي عليه ساعة يمتلئ بالنفاق حتى لا يكون للايمان فيه مغرز ابرة وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون انكم لتعملون أعمالا هي أدق في أعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكبائر وفي لفظ آخر من الموبقات وقد كان الحسن رحمه الله يقول لو اني أعلم اني بريء من النفاق كان أحب الي مما طلعت عليه الشمس وقيل لا يعرى من النفاق الا ثلاث طبقات من المؤمنين الصديقون والشهداء والصالحون وهؤلاء الذين مدحهم الله تعالى بكمال النعمة عليهم والحقهم بمقامات أنبيائه لكمال الايمان وحقيقة اليقين فيهم وقيل من أمن من النفاق فهو منافق وكان بعضهم يقول علامة النفاق ان يكره من الناس ما يأتي مثله وان يحب على شيء من الجور وان يبغض على شيء من الحق ومن النفاق من اذا مدح بما ليس فيه أعجبه ذلك وعلامات النفاق أكثر من ان تحصى يقال هي سبعون علامة والحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في أربع هن أصولها تتشعب منها الفروع فقال عليه السلام أربع من كن فيه فهو منافق خالص وان صام وصلى وزعم انه مسلم وان كانت فيه خصلة منهن ففيه شعبة من نفاق حتى يدعها من اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا ائتمن خان واذا خاصم فجر وفي لفظ آخر واذا عاهد غدر فصارت خمسا وقال رجل لابن عمر رضي الله عنهما انا ندخل على هؤلاء الامراء نصدقهم بما يقولون فاذا خرجنا تكلمنا فيهم فقال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وروينا عنه من طريق آخر انه سمع رجلا يذم الحجاج ويقع فيه فقال له أرأيت لو كان الحجاج حاضرا أكنت تتكلم بما تكلمت به قال لا قال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأشد من ذلك ان نفرا قعدوا على باب حذيفة رضي الله عنه ينتظرونه فكانوا يتكلمون في شيء من شأنه فلما خرج عليهم سكتوا حياء منه فقال تكلموا فيما كنتم تقولون فسكتوا فقال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعظم من هذا ما كان الحسن رحمه الله يذهب اليه كان يقول ان من النفاق اختلاف السر والعلانية واختلاف اللسان والقلب والمدخل والمخرج فدقائق النفاق وخفايا الشرك عن نقصان التوحيد وضعف اليقين أوجبت المخاوف على المؤمنين خشية مقت الله تعالى وخوف حبوط الاعمال من ذلك ما كان ابن مسعود رضي الله عنه يقول ان الرجل ليخرج من منزله ومعه دينه فيرجع الى منزله وليس معه من دينه شيء يلقى الرجل فيقول انك لذيت وذيت ويلقى الآخر فيقول لانت وأنت ولعله لا يخلى منه بشيء وقد سخط الله تعالى عليه يعني به التزكية لما لا يعلم والمدح لمن يستحق الذم واختلاف قلبه ولسانه ففي هذا مقت من الله تعالى وفوق هذه المخاوف خوف سلب الايمان الذي هو عندك في خزانة المؤمن يظهره كيف شاء ويأخذه متى شاء لا يدري أهبة وهبه لك فيبقيه عليك لكرمه أو وديعة وعارية أودعك اياه وأعارك هو فيأخذه اذا لاعجالة لعدله وحكمته وقد أخفى عنك حقيقة ذلك واستأثر بعاقبته وقال بعض العارفين انما قطع بالقوم عند الوصول مع الخاتمة وقال آخر وانحطاراه كما قال أبو الدرداء وحلف ما احد أمن من ان يسلب ايمانه الاسلبه أفرأيت الوقت الذي قال حذيفة يأتي على القلب ساعة فيمتلئ نفاقا حتى لا يكون فيه للايمان مغرز ابرة ان صادف الموت ذلك الوقت وكان هو آخر وقت أليس تخرج روحه على النفاق وكذلك تقليبات القلوب

عليكم ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا فتفكر يا أخي فانك من الورود على يقين ومن النجاة على شك م عن سمرة بن جندب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال منهم من تأخذه النار الى كعبيه ومنهم من تأخذه النار الى ركبتيه ومنهم من تأخذه النار الى حجزته ومنهم من تأخذه النار الى ترقوته خ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أهون أهل النار عذابا هو أبو طالب وهو متنعل بنعلين يغلي منهما دماغه ق عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ناركم هذه جزء من سبعين جزأ من نار جهنم ولولا انها أطفئت بالماء مرتين ما انتفعتم بها وانها لتدعو الله ان لا يعيدها فيها ق عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت ثم أوقد عليها حتى اسودت فهي سوداء مظلمة (ا) عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في النار حيات كأمثال البخت يلسعن اللسعة فيجد حموتها أربعين خريفا وان في النار عقارب كأمثال البغال الموكفة تلسع احداهن اللسعة فيجد حموتها أربعين وفي الاحياء وهذه الحيات والعقارب انما تسلط على من

الا انه قد سلك ببعض الزهاد والعباد فيها وأريد ببعض العارفين بها ليست بفضيلة كل ذلك عن العلماء ولا يتنافس فيها مغبوط عليها عند العارفين لانها قد تخرج من طرقات السالك الى مفاوز المهالك وانما أريد ببعضهم التعريف لها والاطلاع عليها ومنهم من أريد منه التيه والوله فيها الا انها أشهر في اسماع العامة وأعجب وأهول عند العموم * ذكر تفصيل هذه المخاوف اعلم ان للخوف سبع مفائض تفيض الهيام من القلب فالى أي مفيض فاض من القلب اليه أتاف صاحبه به الاما استثنيه فقد يفيض الخوف من القلب الى المرارة وهي أرق صفات الادمة وهي باطن البشرة فيحرقها فيقتل العبد وهؤلاء هم الذين يموتون من الغشي والصعق وبداوة الوجه وهم ضعفاء العمال وقد يطير الخوف من القلب الى الدماغ فيحرق العقل فيتيه العبد فيذهب الحال ويسقط المقام وقد يحل الخوف السحر وهو الرئة فينتفخ فيذهب الاكل والشرب حتى يسل الجسم وينشف الدم وهذا لاهل الجوع والطي والاضطرار وقد يسكن الخوف الكبد فيورث الكمد اللازم والحزن الدائم ويحدث الفكر الطويل والسهو الذاهب وفي هذا المقام يذهب النوم ويدوم السهر وهذا من أفضلها وفي هذا الخوف العلم والمشاهدة وهو من خوف العاملين وقد يقدح الخوف في الفرائص والفريصة هي اللحمة التي تكون على الكتف يقال للحمتي الكتفين الفريصتان وجمعها الفرائص ومنه الخبر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحب الفريصتان من الغنم وهو أرق لحم الحيوان وأعذبه ففي هذا الخوف يكون الاضطراب والارتعاش واختلاف الحركة وقد يبدو الخوف من القلب فيغشى العقل فيمحي سلطانه لقهر سلطان القدرة ومحو الشمس اذا برزت ضوء القمر البادي الذي يبدو على السر من خزائن الملكوت فيضعف لذلك العقل فيضطرب لضعفه الجسم فلا يتمكن العبد من القرار لضعف صفته وذلك ان أجزاء الانسان وان كانت متفرقة في البنيان للحكمة والاتقان فهي كشيء واحد يجمعها لطيف القدرة باظهار المشيئة فاسفل البنية منوط باعلاها فاذا اضطرب أعلاها مال أسفلها واذا وصل الداء والدواء الى عضو منها تداعى له سائرها وهذه الطائفة أشبه بالفضل وأدخل في وصف العلم وقد سلك في هذا الطريق أكابر العلماء وأفاضل أهل القلوب وقد كان هؤلاء في التابعين كثير منهم الربيع بن خيثم وأويس القرني وزرارة بن أوفى ونظراؤهم من الاخيار رضي الله عنهم ولم ينكر هذا عليه الصحابة مثل عمر وابن مسعود رضي الله عنهم وقد كان عمر رضي الله عنه يغشى عليه حتى يضطرب مثل البعير ويسقط من قيام وقد كان ذلك يلحق سعيد بن حذيم وكان من زهاد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أمراء الاجناد بعثه عمر رضي الله عنه واليا على أهل الشام وكان يوصف له من زهده وشدة فاقته ما يعاتبه عمر في ذلك ويبعث اليه بالمائة دينار وبار بعمائة دينار ليستنفقها على أهله فيفرق ذلك على الغزاة في قصة طويلة فكتب اليه أهل الشام يذكرون شأنه وكان يغشى عليه في مجلسه فخشوا عليه من دخل في عقله ولم يعرف ذلك أهل الشام فسأله عمر لما لقيه عن الذي يصيبه اذا تحدث فاخبره بما يجد من مشاهدته وهو وجد الصوفية من أهل الاحوال فعرف عمر ذلك وعذره وما زاده ذلك عنده الا خيرا فكان يكرمه ويعرف له فضله وكتب الى أهل الشام ان لا تعنفوا في أمره ودعوه وقد كان أقوى الاقوياء وهادي الهداة رسول رب العالمين صلى الله عليه وسلم يغشى عليه عند نزول الوحي اذا لبسه أزال ترتيب العقل منه ورفع مكان السكون عنه ويغط ويتربد وجهه ويتحدر منه مثل الجمان من العرق في اليوم الشاتي الا ان هذا كان يصيبه في ضرب من الوحي اذا تغشاه وينزل عليه روح القدس في روحه واستبطن باطن قلبه لان الوحي على أربعة أضرب ضربان متصلان هذا أحدهما وضربان منفصلان ومن كل واحد يلحق العلماء بالله تعالى أهل القلوب الناظرة والشهادة الحاضرة وشرح هذا يطول وليس يعرفه علم يقين الا من سلك طريقه ولا يشهده شهادة تحقيق الا من ذاق حقيقته ومن آمن به تصديق تسليم فله منه نصيب الا ان هذا في أهل مقامات ثلاث من المقربين مقام المعرفة والمحبة والخوف وكل ضروب الوحي بعد هذه الاربعة وهي عشرة لاهل هذه المقامات

وسلم قال يا أيها الناس ابكوا فان لم تستطيعوا فتباكوا فان أهل النار يبكون في النار حتى يسيل دموعهم على وجوههم كأنها جداول حتى ينقطع الدموع فتسيل الدماء فتقرح العيون فلو أن سفنا أزجيت فيها لجرت

شعر

فيا عاملا للنار جسمك لين فجربه تمرينا بحر الظاهرة
ودرجه في لسع الزنابير تجترى على نهش حيات هناك عظيمة
فان كنت لا تقوى فويلك ما الذي دعاك الى اسخاط رب البرية
تبارزه بالمنكرات عشية وتصبح في أثواب نسك وعفة
فأنت عليه منك أجرى على الورى بما فيك من جهل وخبث طوية
تقول مع العصيان ربي غافر * صدقت ولكن غافر بالمشيئة
وربك رزاق كما هو غافر فلم تصدق فيهما بالسوية
فانك ترجو العفو من غير توبة ولست ترجو الرزق الا بحيلة
على انه بالرزق كفل نفسه لكل ولم يكفل لكل بجنة
الهي أجرنا من عظيم ذنوبنا * ولا تجزنا وانار اليناريحة
الهي اهدنا فيمن هديت وخذ بنا الى الحق نهجا في سواء الطريقة
وخذ بنوادينا اليك وهب لنا يقينا يقينا كل شك وريبة

(فصل) قال الله تعالى فاما من طغى وآثر الحياة

فقد صار الخوف يصلح للكافة اذ دخوله على العامة يخرجهم عن الحرام ودخوله على الخاصة يدخلهم فى الورع والزهد لان من خاف ترك وقال أيضا من أحب ان يرى خوف الله تعالى فى قلبه فلا يأكل الا حلالا ولا يصلح علم الرجاء الا للخائف وقال الخوف ذكر والمحبة أنثى ألا ترى ان أكثر النساء يدعون المحبة يريد بهذا ان فضل الخوف على الرجاء كفضل الذكر على الانثى وهذا كما قال لان الخوف حال العلماء والرجاء حال العمال وفضل العالم على العابد كفضل القمر على الكواكب وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفضل من علم أحب الى من فضل من عمل وخير دينكم الورع واعلم ان الخوف عند العلماء على غير ما يتصور فى أوهام العامة وخلاف ما يعدونه من القلق والاحتراق أو الوله والانزعاج لان هذه خطرات وأحوال ومواجيد للوالهين وليست من حقيقة العلم فى شئ بمنزلة مواجيد بعض الصوفية من العارفين فى أحوال المحبة من احتراقهم ووالهم والخوف عند العلماء انما هو اسم لصحيح العلم وصدق المشاهدة فاذا أعطى عبد حقيقة العلم وصدق اليقين سمى هذا خائفا فلذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم من أخوف الخلق لانه كان على حقيقة العلم ومن أشدهم حبا لله تعالى لانه كان فى نهاية القرب وقد كان حاله السكينة والوقار فى المقامين معا والتمكين والتثبيت فى الاحوال كلها ولم يكن وصفه القلق والانزعاج ولا الوله والاستهتار قد أعطى أضعاف عقول الخليقة وعلومهم ووسع قلبه لهم وشرح صدره لهم بعلمهم فكان صلى الله عليه وسلم مع الاعرابى كانه اعرابى ومع الصبى بمعناه ومع المرأة فى نحوها يقاربهم فى علومهم ويخاطبهم بعقولهم ويظهر منه مثل وجدهم ليعطيهم نصيبهم من الانس به ويوفيهم حقوقهم من الدرك منه ولئلا تعظم هيبته فى صدورهم فينقطعون عن السؤال له والانس به حكمة منه لا يفطنون لها ورحمة منه قد جبل عليها فقد ألبس مواجيدهم لبسة وأدخل ذلك عليه صبغة بغير تكلف ولا تصنع تعلم ذلك من الحكيم العليم ولذلك وصفه عز وجل بخلقه وتعجب من وصفه فقال تعالى وانك لعلى خلق عظيم قيل على أخلاق الربوبية وقرئت بالاضافة ليكون عظم اسم الله سبحانه لا يظهر من حاله ونصيبه شيأ القوة التمكين وفضل العقل ولا يبخس من نصيبهم منه شيأ لحقيقة العدل ولا يتظاهر بشئ لحقيقة الزهد ونهاية الخشوع والتواضع ولا يظهر عليه شئ لمكانة القوة ورسوخ العلم والحكمة وعلى منهاجه وسنته وصف العارفين من أهل البلاء الذين هم الامثل فالامثل بالانبياء وقال بعض أهل المعرفة من طالب الخلق بعلمه وخاطبهم بعقله فقد بخسهم حقوقهم منه ولم يقم بحق الله تعالى فيهم وقال بعض العلماء لا يكون اماما من حدث الناس بكل ما علمه وأظهر لهم نصيبه وكان يحيى بن معاذ يقول لا تخرج أحدا من طريقه ولا تخاطبه بغير علمه فتتعب ولكن اغرف له من نهره واسقه بكاسه وسئل بعض العلماء عن العارف هل يستوحش من الخلق قال لا يستوحش ولكن قد يكون نفورا قيل فهل يستوحش منه فقال العارف لا يستوحش منه ولكن قد يهاب ومما يدلك ان الخوف اسم لحقيقة العلم ان فى قراءة أبى بن كعب فى قوله تعالى فخشينا ان يرهقهما فخاف ربك ان يرهقهما وقال يحيى ابن زياد النحوى ومعناه فعلم ربك وقال الخوف من أسماء العلم والله أعلم * بيان آخر فى معنى الخوف والخوف أيضا من أسماء المعانى فوجوده بانتفاء ضده فاذا اعدم من القلب الامن من كل وجه من أحوال الدنيا وأمور الآخرة فلم يأمن مكر الله تعالى فى كل الاحوال فى تصريف أحكام الدنيا وتقليب حركات القلوب والنفوس وجواذب الشهوات واثارة طبائع العادات ولم يسكن الى عرف ولا اعتياد ولم يقطع بسلامته وبراءته فى شئ كان هذا هو الخوف فاذا فقد العبد الامن من جميع ذلك كان خائفا فهذا مستعمل فاش فى كلام العرب ومذهبهم يقول أحدهم أخاف من كذا اذا لم يأمنه أو أخاف ان يكون ذا اذا تحقق علمه وقيل لبعض العلماء ما بال العارف يخاف فى كل حال فقال لعلمه ان الله تعالى قد يأخذ فى جميع الاحوال ثم ان للخائفين بعد هذا طرقا ووجوها من قبل الخوف القلق والاشفاق المرعج والوجل المحرق هى مجاوزات للطرق السالمة التى هى مناهج للائمة المختارة الفاضلة وفيها مقامات ومهالك يغلب عنها العلماء السادة والصفوة المختارة

يهراق فى الدنيا الاتن أهل النار ت عن أبى سعيد عن النبى صلى الله عليه وسلم قال وهم فيها كالحون قال تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخى شفته السفلى حتى تضرب سرته ت عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الحميم ليصب على رؤسهم فينفذ الحميم حتى يخلص الى جوفه فيسلت ما فى جوفه حتى يمرق من قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان قالوا الحميم الماء الحار عن ابن عباس لو سقطت نقطة على جبال الدنيا لاذابتها ت عن أبى امامة عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى ويسقى من ماء صديد يتجرعه قال يقرب الى فيه فيكرهه فاذا أدنى شوى وجهه ووقعت فروة رأسه فاذا شربه قطع امعاءه حتى يخرج من دبره يقول الله تعالى وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم ويقول وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه ا عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يعظم أهل النار فى النار حتى ان بين شحمة اذن أحدهم الى عاتقه مسيرة سبعمائة عام وان غلظ جلده سبعون ذراعا وان ضرسه مثل أحد وفى شرح السنة عن أنس عن النبى صلى الله عليه

أهل النار ومثلهم أيضا مثل المعتزلة هربوا من طريق المرجئة ان الموحدين لا يدخلون النار فحققوا الوعيد
على الموحدين وخلدوا الفاسقين في النار فجازوا حد المرجئة وزادوا عليهم كما جاوزت المرجئة طريق أهل
السنة وقصرت عنهم وكان شيخنا أبو محمد رحمه الله تعالى يقول أهل البدع كلهم يرون الخروج على السلطان
ويرون السيف على الامة ويكفرون الائمة فهذا أضر الوجوه في مجاوزة الخوف عن قدره وهو من التعدي
لحدود الله تعالى وأمره قد جعل الله لكل شئ قدرا ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه فصدق الرجاء واعتدال
الخوف به من حقيقة العلم بالله تعالى ومجاوزة الشئ كالتقصير عنه والمؤمن حقا هو المعتدل بين الخوف والرجاء
فالخوف المتلف للنفس بالموت أو المزيل للعقل بالفوت خير من هذا الوصف الذي هو القنوط لان هذا
مزيل للعلم ومسقط للمقام موقع في الكبائر على أن هذين القسمين من الخوف ليس فيهما علم ولا مشاهدة على
الكشف وانما هو قوة وجد تصطلم مرارته فتوجد اتلاف النفس ومحو العقل من عبد بمنزلة خوف الكروبيين
خاصة من الاملاك أهل الكرب والتمكين لانهم لا ينقلون في المقامات التي يعبدون بها كمقربي الروحانيين
وبلغني أن منهم جبيلا يخرج كل يوم من تحت العرش بعدد البشر قد أقلقه الشوق وحقره الكرب يريد
النظر الى وجه العلي الاعلى فيحرقهم شعاع سبحات وجهه الكريم سبحانه وتعالى فيحترقون احتراق الفراش
في المصباح ثم يعود مثلهم من الغد فهذا دأبهم الى يوم القيامة كل ملك لو جمع السموات والارضين في كفه
غابت في قبضته ولعمري ان سائر الملائكة لا ينقلون في المقامات كالمؤمنين بل لكل ملك مقام معلوم
لا ينتقل منه الى غيره انما يمدون من ذلك المقام بمدد لا نهاية له الى يوم القيامة بأكثر ما يزاد جميع البشر ولكن
أولئك يحمل خوفهم قواهم ويثبت بمشاهدة وصف المخوف خوفهم وصفاتهم فلا يؤودهم ولا يقتلهم لانهم
يمدون بالقوى ويعصمون من الموت بحفظ آجالهم الى وقتها في الآخر على أن منهم من يطيش عقله ويتوله
قلبه ومنهم من يصيح في تيهه ومنهم من يتيه فلا يرد وجهه شئ الى يوم القيامة ومنهم من يفزع الفزعة فلا يرتد
اليه طرفه ولا يرجع اليه عقله الى يوم الحشر ومنهم من يصعق صعقة فلا يزال في صرخة واحدة الى نفخ
الصور وكثير منهم يصعقون عند سماع الكلام من الملك الجبار حتى اذا فزع عن قلوبهم سألوا الروحانيين
من المقربين ذوي الحجب القريبة والرتب العلية منهم جبريل واسرافيل وميكائيل ماذا قال ربكم فهؤلاء
الحاضرون من الناظرين والمتمكنون من الشاهدين بحبة القدس أولو المحبة والانس قالوا الحق وهو
العلي الكبير فمثل هؤلاء الخائفين مثل المخلصين من المؤمنين الذين قال الله أولئك لهم رزق معلوم ومثل
الاقوياء من العالمين أولي البصائر والتمكين مثل الصابرين الذين يؤتون أجرهم بغير حساب وعلماء
الموقنين ينقلون في مقامات اليقين بمقتضى احكامها من مقام خوف الى مقام رجاء مثله فاذا عملوا في هذه
المقامات بما يقتضيهم رفعوا الى ما فوقها من مقام رجاء الى مقام رجاء هو خير منه ومن حال خوف الى حال
خوف أشرف منه ثم ينقلون من مقامات الاشفاق الى حال الاشتياق ومن أحوال الوجل والاحتراز الى
مقام الملق والطمأنينة ومن حال الفزع الى مقام الانس ومن الابعاد والوحشة والتهويل الى الرضا
والمحبة والتأميل فهذا مكان فضلهم على من وقف في مقامه لم يجاوزه من العموم ومن استقر بحاله وقام في
ظله فلم يقطعه الى ظل ممدود فوقه ولم يرفع منه الى محل رفيع أعلاه ومثل الخائفين من المؤمنين مثل
الكروبيين من الملائكة ومثل الراجين من المحبين كمثل الروحانيين من المقربين وأصل الرجاء وفضله
ان عند العلماء بالله تعالى من عظيم الرجاء ما يضاهي عظيم الخوف فيعدل البنية ويحكم بين القسمين بالسوية
فلا يبدو على قلوبهم باد من الخوف عن مشاهدة وصف من الصفات المخوفة تنكر بهم الا طلع طالع وراءه
من عظيم الرجاء أشهد خلقا من الاخلاق اللطيفة تروحهم ولا يطرأ على قلوبهم طارئ من الخوف يرهبون
منه الا بدا عليهم باد من الرجاء يأنسون به اليه فتعتدل صفاتهم وتستوي مقاماتهم عن معاينة معنى من
معاني صفاته لاستواء كمال ذاته فتكون قلوبهم كلسان الميزان بين الخوف والرجاء وتكون كالطائر مقوما بين

جوادوقد قبل ذلك ثم يؤتى
بالذي قتل في سبيل الله
فيقول الله فيم اذا قتلت
فيقول أمرت بالجهاد في
سبيلك فقاتلت حتى قتلت
فيقول الله له كذبت وتقول
له الملائكة كذبت ويقول
الله بل أردت ان يقال فلان
جرىء وقد قيل ذلك ثم ضرب
رسول الله صلى الله عليه
وسلم على ركبة أبي هريرة
فقال يا أبا هريرة أولئك
الثلاثة أول خلق الله تسعر
بهم النار يوم القيامة فاخبر
معاوية بهذا الحديث عن
أبي هريرة فقال قد فعل
بهؤلاء هذا فكيف بمن بقي
من الناس ثم بكى معاوية
بكاء شديدا حتى ظن انه
هالك ثم أفاق ومسح عن
وجهه وقال صدق الله
ورسوله من كان يريد
الحياة الدنيا وزينتها نوف
اليهم أعمالهم فيها وهم
فيها لا يبخسون أولئك
الذين ليس لهم في الآخرة
الا النار وحبط ما صنعوا
فيها وباطل ما كانوا
يعملون ثم مرت فالرسول
الله صلى الله عليه وسلم
تحاجت الجنة والنار فقالت
النار أوثرت بالمتكبرين
والمتجبرين وقالت الجنة
فمالي لا يدخلني الا ضعفاء
الناس وسقطهم وعجزتهم
فقال الله تعالى للجنة انما
أنت رحمتي أرحم بك من
أشاء من عبادي وقال للنار
انما أنت عذابي أعذب بك
من أشاء من عبادي ولكل

الثلاث منه نصيب خواطر أو وجد أو شهادة أو حال أو مقام وهو وصف التمام الانوعين من أنواع الوحي فانهما ممتنع ومخصوص بهما المرسلون أحدهما ظهور الملك في صورة وسمع كلام الله بصفته ونظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جبريل عليه السلام في صورته بالابطح فصعق وروى حمزة عن حمران بن أعين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ آية في سورة الحاقة فصعق وقال الله تعالى وخر موسى صعقا وقد يفيض الخوف من القلب الى النفس فيحرق الشهوات ويمحو العادات ويخمد الطبع ويطفئ شعل الهوى وهذا أحد المخاوف وأعلاها عند أهل المعارف وهؤلاء أفضل الخائفين وأرفعهم مقاما وهو خوف الانبياء والصديقين وخصوص الشهداء وليس فوق هذا وصف يغبط عليه الخائف ولا يفرح به عارف فان جاوز الخوف هذه الاوصاف فقد خرج عن حده وجاوز قدره لانه اذا أحرق الشهوات ومحا الاهواء فلم يترك شهوة ولا هوى ثم ان لم يعصم العبد من مجاوزة حد الخوف خرج به الخوف الى أحد ثلاثة معان خيرها أن يسرى الى النفس فيحرقها فيتلف العبد فتكون له شهادة وليس هذا محمودا عند علماء الخائفين من أرباب العلوم والمشاهدات الا انه قد قال بعض العلماء ما شهداء بدر بأعظم أجرا من مات وجدا وهذه أوصاف ضعاف المريدين اذ للعلماء الموقنين بكل شهادة من اليقين اجر شهيد وأوسطها أن يعلو الى الدماغ فيستدنيه فتنحل عقدة العقل لذويه فتضطرب الطبائع لانحلال عقدة العقل ثم تختلط المزاجات لاضطرابها فتحترق الصفراء فتحول سوداء فيكون من ذلك الوسواس والهذيان والتوه والوله وذلك أن الدماغ جامد وهو مكان العقل هو مركب عليه معقود به فاذا اختلطت المزاجات اشتعلت فتلهب شعلها الى الدماغ فأحرقه وأذابه فحل محل العقل الذي مكانه مخ الدماغ وسلطانه صقال القلب الناهر كصقال الرقعة وهو بمنزلة الشمس الطالعة محلها الفلك العلوي وشعاعها على الارض كذلك العقل محله المخ وسلطانه في القلب وفي هذا المقام الطيش والهيمان وهذا مكروه عند العلماء وقد أصاب ذلك بعض المحبين في مقام المحبة فانطبق عليهم فولهوا بوجده ومنهم من فزع ذلك عن قلوبهم فسرى عنهم فنطقوا بعلمه وقد كان أبو محمد رحمه الله تعالى يقول لاهل النقال الطاوين من المتقشفين احفظوا عقولكم فانه لم يكن ولي الله ناقص العقل والمعنى الثالث وهو شرها في مجاوزة الخوف هو أن يعظم الخوف ويقوى فيذهب الرجاء اذا لم يواجه بعلم الاخلاق من الجود والكرم والاحسان التي تعدل المقام فتروح كرب الحال فيخرجه ذلك الى القنوط من رحمة الله والاياس من روح الله تعالى دخلت عليهم هذه المشاهدة من قبل العدل والانصاف بعيار العقل فجاوزت بهم علم وصفه بالكرم وخفي الالطاف فتعدت بهم الحدود من قبل قوة نظرهم الى الاكتساب وتمكن تحكم شهادة الاسباب ورجوعهم الى أنفسهم في الحول والاستطاعة واثباتهم لتحقيق الوعيد عليهم خاصة لاحالة والحكم على الحاكم الراحم بعقولهم وعلومهم من غير تفويض منهم الى مشيئته ولا استسلام لقدرته ولا تأميل لاحد معاني صفاته الحسنى التي تعم جميع صفاتهم السوأى فظهرت سيآتهم الثواني أمامهم فحجبتهم عن المحسن الاول ولم يعلموا انهم باحسانه اليهم أساؤا وبسبق علمه فيهم تعدوا وان قلمه لم يكن بأيديهم اذ جرى بما عليهم وان قهر قدرته وسلطان جبره أظهر منهم من خزائنه ما فيهم يدلك على صحة ماذكرناه ان أكثر هذه المخاوف كانت في البصريين وأهل عبادان والعسكريين فكان مذهبهم القدر والقول باللطف وتفويض المشيئة وتقديم الاستطاعة منهم العمرية أصحاب عمرو والعبادية شيعة عباد والفوطية والعطوية أصحاب هشام الفوطي وابن عطاء الغزالي ومنهم التيمية نفوا نصف القدر ومنهم المنازلية أصحاب المنزلة بين المنزلتين والقول بقدر من قادرين وفعل من فاعلين فابتلوا بالاعتماد على الاسباب وبالنظر الى أولية الاكتساب فحجبهم ذلك عن المقدر الوهاب فهرب هؤلاء من الامن والاغترار فوقعوا في أعظم منهما من القنوط والاياس فصاروا في كبائر المعاصي من خوفهم منها فمثلهم مثل الخوارج خرجوا على الائمة بالسيف لانكار المنكر فوقعوا في أنكر المنكر من تكفير الائمة وانكارهم السلطان وتكفيرهم الامة بالصغائر وهذا من أبدع البدع وهؤلاء كلاب

الدنيا فان الجحيم هي المأوى وعن أنس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات وفي التذكرة المكاره كل ما يشق على النفس فعله كالطهارة في السبرات وغيرها من أعمال الطاعات والشهوات كل ما يوافق النفس وتدعو اليه أعلم النبي صلى الله عليه وسلم ان الجنة لا تنال الا بقطع مفاوز المكاره وبالصبر عليها وان النار لا ينجي منها الا بترك الشهوات وفطام النفس عنها م ق س عن أبي هريرة رضي الله عنه قال صلى الله عليه وسلم أول من يدعى يوم القيامة رجل جمع القرآن ورجل قتل في سبيل الله ورجل كثير المال فيقول الله للقارئ ألم أعلمك ما أنزلت على رسولي فيقول بلى يارب قال فماذا عملت فيما علمت فيقول كنت أقوم به آناء الليل وآناء النهار فيقول الله تعالى كذبت وتقول له الملائكة كذبت انما أردت ان يقال فلان قارئ فقد قيل ذلك ويؤتى بصاحب المال فيقول الله له ألم أوسع عليك حتى لم أدعك تحتاج الى أحد فيقول بلى يارب فيقول فماذا عملت فيما آتيتك فيقول كنت أصل الرحم وأتصدق فيقول الله تعالى له كذبت وتقول له الملائكة كذبت ويقول الله بل أردت ان يقال فلان

حقيقة معناه عارف بالمعروف الذى هو بكل نهاية ونظل موصوف وغموض غريبة عند غير أبناء جنسه أن ينكروه فان تعرف اليهم أوعرفوه فليس بعارف وقال بعضهم فى وصف العارف أن يعرف كل شئ ولا يتعرف الى شئ وقيل حقيقته أن يعرف ولا يعرف عن مقتضى وصف من اوصاف الربوبية لانه روحانى ربانى وثلاث مقامات لا يقاس عليها ولا يمثل بها فمن قاس عليها أحدا ومن تمثل بها ادعى مقام النبوة ومقام المعرفة ومقام محبوب وقد ذكرناوصفه فى شرح مقام المحبة فى كتاب المحبين فهذه طرائق الخائفين وجل صفات العارفين لانهم متفاوتون فى القرب والاقتراب متعالون فى التقرب والتقريب مترافعون فى التعرف والتعريف فاوقنوت من الشهداء وهم المقربون من الصديقين بشهادتهم فاقوت لهم من القرب الاقتراب ومن التقرب التقريب ومن التعريف التعرف ومن الايلاف التأليف لان مقامهم من القريب العالى الطريق الاقرب والوجهة العليا وهم السابقون لاهل مقامات اليمين أوّل القرب والتقرب وأول الحب التحبب ولهم التألف والتأليف والتعريف وهؤلاء الابرار ومن أفضل طرقات الخائفين ماسرى خوفه الى النفس فاطفأ شغل الهوى وأخمد نار الشهوات فسقطت له أثقال المجاهدة وخفت عنده مؤنة المكابدة ووجدت معه حلاوة الطاعة لفقد حلاوة المعصية واجتمع لهم بالحق عند زوال التشتت بالهوى والخلق وسكنت النفس بالطمأنينة لمعاينة القلب للشهادة وظهر نعيم الزهد والرضا بالباطن الصدق والاخلاص ثم سكن الخوف فى القلب بعد ذلك ولم يتجاوزه فيتعدى الحد الى بعض المقامات التى ذكرناها بل كان منه الحزن الدائم والهم اللازم والخشوع القائم وهذا هو وصف القلب المنكسر وحال العبد المتحير الذى يوجد عنده الجبار فجبره بعد كسره فصلح له بعد ان عطل من غيره وصار مزيد العالم الخائف من الله تعالى كشوف اليقين وتقبله لديه فى شهادة المقربين فكان القريب لديه موجودا وصار الحبيب عنده مطلوبا لانه من المنكسرة قلوبهم من أجله وبانه صار عنده من أهله واعلم أن الذى قطع الخلق عن هذه حلاوة الهوى ولا يخرجها الا أحد شيئين تجرع مرارة الخوف فيغلب حلاوة الهوى فيخرجه أوغلبة حلاوة المحبة فيستغرق حلاوة الهوى فيغمره فان عدم أحد هذين فهو من المذبذبين بين ذلك وروينا أن عليا رضى الله عنه قال لبعض الخائفين وقد تاه عقله فأخرجه الخوف الى القنوط ما أصارك الى ما أرى فقال ذنوبى العظيمة فقال وعلك ان رحمة الله تعالى أعظم من ذنوبك فقال ان ذنوبى أعظم من أن يكفرها شئ فقال ان قنوطك من رحمة الله تعالى أعظم من ذنوبك والخوف جند من جنود الله تعالى قد يستخرج من قلوب المريدين والعابدين مالا يستخرجه الرجاء فتستجيب له القلوب المرادة به بنهايات الزهد وحقائق التوبة وشدة المراقبة وقد يفعل الله تعالى جميع ذلك باهل الرجاء فى المحبة ومقام الرجاء مستخرج منهم الكرم والحياء والخوف اسم جامع لمقامات الخائفين ثم يشتمل على خمس طبقات فى كل طبقة ثلاث مقامات فالمقام الاوّل من الخوف هو التقوى وفى هذا المقام المتقون والصالحون والعاملون والمقام الثانى من الخوف هو الحذر وفى هذا المقام الزاهدون والورعون والخاشعون والمقام الثالث هو الخشية وفى هذا طبقات العالمين والعابدين والمحسنين والمقام الرابع هو الوجل وهذا للذاكرين والمخبتين والعارفين والمقام الخامس هو الاشفاق وهو للصديقين وهم الشهداء والمحبون وخصوص المقربين وخوف هؤلاء عن معرفة الصفات لاجل الموصوف لاعن مشاهدة الاكتساب لاجل العقوبات كما جاء فى الخبر أوحى الله تعالى الى داود عليه السلام ياداود خفنى كما تخاف السبع الضارى فالسبع انما يخاف لوصفه بالبأس والسطوة ولما ألبس وجهه من الهيبة والكبر لا لاجل ذنب كان من الانسان اليه وكذلك لهؤلاء من الرجاء العظيم والنصيب الاوفر على معنى خوفهم مالا يسع للعموم أن يذكر فطلبهم برجائهم وحسن ظنهم بما هو اهم لا يصفه الاهم ولا يعرفه سواهم بجل ذلك أنصبة القرب ونعيم الانس وروح اللقاء وسرور التملق وحلاوة الخدمة وفرح المناجاة وروح الخلوة وارتياح المحاورة فلهم منه تجلى معانى الصفات وظهور معانى محاسن

قالوا يكفرن بالله قال يكفرن
العشير ويكفرن الاحسان
لوأحسنت الى احداهن
الدهر كله ثم رأت منك شيأ
قالت ما رأيت منك خيرا
قط شعر
وكيف قرت لاهل العلم
أعينهم
أو استلذوا لذيذ النوم اذ
هجعوا
والموت ينذرهم جهرا علانية
لو كان للقوم اسماع لقد
سمعوا
والنار بادية لابد موردهم
وليس يدرون من ينجو
ومن يقع
قد أمست الطير والانعام
آمنة
والنون فى البحر لا يخشى
لها فزع
والآدمى بهذا الكسب
مرتهن
له رقيب على الاسرار مطلع
حتى يوافيه يوم الجمع منفردا
وخصمه الجلد والابصار
والسمع
اذا النبيون والاشهاد قائمة
والجن والانس والاملاك
قد خشعوا
وطارت الصحف والايدى
منشرة
فيها السرائر والاخبار تطلع
فكيف سهوك والانباء واقعة
عما قليل ولا تدرى بما تقع
فى الجنات وفوز لا انقطاع له *
أم الجحيم فلا تبقى ولا تدع
تهوى بسكانها طورا وترفعهم
اذا رجوا مخرجا من غمها قمعوا
طال البكاء فلم يرحم تضرعهم
فيها ولا رقة تغنى ولا جزع

جناحيه عن شهود وصف وخلق اقتضاء ظهور البلاء والنعماء فيحمل الخوف الرجاء و يستولي الرجاء على الخوف و يفيضان معاني سعة القلب وقوّته فيغيبان فيه لانه قوي بقوي ووسع بواسع وقادر بمقتدر و ينفرد الهم عن المعنيين فيقف بمشاهدة منفرد فيحكم عليه مابه أفرد ومن هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم بك أحول و بك أقول و بك أصول ومن ذلك قوله في علو شهادته ونفاذ علمه من كونه بشاهده أعوذ بك منك ومثله قوله * ألا كل شئ ماخلا الله باطل * فهذا انطق عن وجد في مقام البقاء بعد فقد حال الفناء هنالك سمع قول الباقي المغني كل من عليها فان و يبقى وجه ربك ومن ذلك الاثر المشهور عن الله سبحانه وتعالى لم تسعني سمائي ولا أرضي ووسعني قلب عبدي المؤمن الشاكر اللين الوادع ولا يصلح تفصيل ما أجملناه ولا شرح ما رمزناه وقال بعض علماء السلف ما ألبس المؤمن لبسة أحسن من سكينة في خشوع وذلة في خضوع فهذا حالان من الخوف وهي لبسة الانبياء وسيما علماء الاولياء وقال لقمان لابنه يا بني خف الله تعالى خوفا لا تيأس فيه من رحمته وارجه رجاء لا تامن فيه مكره ثم فسره مجملا فقال المؤمن كذي قلبين يخاف بأحدهما و يرجو بالآخر ومعنى ذلك أن المؤمن ذو وصفين عن مشاهدتين لان المؤمن الاوّل والشاهد الاعلى ذو وصف مخوف مثل البطش والسطوة والعزة والنقمة فاذا شهد العبد ما آمن به من هذه الصفات خاف اذ عرفه بها وتجلى له بشاهدها والمعروف أيضا هو المألوف ذو أخلاق مرجوّة من الكرم والرفق والرحمة واللطف فاذا شهد القلب ما آمن به من هذه الاخلاق رجا من شهده بها فصار العبد لوصفيه الرجاء والخوف عن معنى شهادتيه المخوفة والمرجوّة عن وصفي مخوفه ومرجوه صار كذي قلبين كأنه يرجو بقلب و يخاف بآخر وانما هما شهادتان في قلب واحد لانهما مقامان لقلب واحد عن شهود مخوف ومرجو واحد فهذا تفسير قول لقمان وهو صفة المؤمن ذي الايقان الا ان الخائف يوصف بما غلب عليه من الحال بما قوي عليه من المشاهدة و يندرج الرجاء في مقامه و يوصف الراجي بما قوي عليه من الحال عن غلبة شهادته و ينطوي الخوف في مقامه ولا كنه للمخوف تعالى وعلا ولا نهاية للمرجو عز وجل سبحانه وتعالى فأما الشهيد الموقن العالم المقرب فبالحالين جميعا يوصف مع اعتدالهما و بالوصفين جميعا يعرف مع استوائهما ثم يغلب عليه الوصف التام والحال الكامل فاذا عرف به أدرج الوصفان فيه فيقال صديق لانه قد تحقق بالصدق فأغنى عن أن يقال مخلص ثم يقال عارف لانه قد رسخ في العلم فكفى أن يقال صادق ثم يقال مقرب لانه قد أشهد القرب فاقترب ولم يحتج الى أن يقال عامل وهذه أسماء الكمال وأحوال التمام لا يفتقر الى ذكر حال دونها ولا يوصف بوصف ككوصف خائف أو راج لوجودهما فيه واعتدالهما عنده لان الخوف والرجاء قد فاضا عليه ثم غاضا فيه فاذا قلت عارف أو مقرب أو صديق فقد دخل فيه وصف محب خائف راج عامل لا محالة كما اذا قلت فلان هاشمي استغنيت أن تقول قرشي أو عربي لان كل هاشمي يكون عربيا قرشيا لا محالة ثم تصفه بوصف التمام أيضا فيندرج الوصفان فيه فتقول فلان حسني أو حسيني فاكتفيت أن تقول هاشمي أو قرشي أو علوي وان كان هاشميا قرشيا علويا لانه قد عرف ان كل حسيني فهو هاشمي قرشي علوي لا محالة فاما أن تقول فلان عربي أو هاشمي أو قرشي أو علوي فلا يعرف الاعلى وسمته به لانه قد يكون علويا وهو الغاية في النسب ولا يكون حسنيا وقد يكون هاشميا غير علوي و يكون قرشيا غير هاشمي و يكون عربيا غير قرشي فيلزمه وصف ما عرفته حسب فكذلك قولك عارف أو محب أو مقرب أو صديق هي اسم التمام والكمال في المقامات التي تحتوي على جميع الاسباب كقولك حسني هو اسم التمام وشرف الكمال الذي يفوق على كل الانساب ولا يصح مقام المعرفة الا بعين اليقين وشاهد التوحيد بعد أن لا يبقى من النفس بقية في مقام اليقين ولا من الخلق رؤية في شاهد التوحيد فيكون روحانيا بعد فناء النفس باليقين ربانيا عند شهود الخالق سبق منه التوحيد لان العارف لا يوسم بحال دون حال وقد استغرق الاحوال ولا يوسم بمقام دون مقام اذ قد جاوز المقامات

واحد منهما ملؤها طب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها الى النار أبعد مما بين المشرق والمغرب د قال صلى الله عليه وسلم لا يحل لمسلم ان يهجر أخاه فوق ثلاث فمن هجر فوق ثلاث فمات دخل النار م قال صلى الله عليه وسلم أهل الجنة ثلاثة ذو سلطان مقسط متصدق موفق ورجل رحيم رفيق القلب لكل ذي قربى ومسلم وعفيف متعفف ذو عيال وأهل النار خمسة الضعيف الذي لا زبر له الذين هم فيكم تبع لا يبغون أهلا ولا مالا والخائن الذي لا يخفى له طمع وان دق الا خانه ورجل لا يصبح ولا يمسي الا وهو يخادعك عن أهلك ومالك وذكر البخل والكذب والشنظير الفحاش خ م عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق اقتاب بطنه فيدور بها كما يدور الحمار في الرحى فيطيف به أهل النار فيقولون مالك فيقول كنت آمر بالخير ولا آتيه وانهى عن الشر وآتيه وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في صلاة كسوف الشمس رأيت النار فلم أر منظرا كاليوم قط ورأيت أكثر أهلها النساء قالوا بم يا رسول الله قال بكفرهن

الفقراء من هذه الآية عند أهل الاستنباط والتفكر وهو مشاركتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم في حاله ووصف الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بمثل حالهم في قوله تعالى قلت لا أجد ما أحملكم عليه ثم نعتهم بمثله لانهم هم الأمثل فالأمثل به فقال تعالى أن لا يجدوا ما ينفقون فمن كان برسول الله صلى الله عليه وسلم أمثل فهو أفضل كيف وقد روينا عن النبي صلى الله عليه وسلم تحفة المؤمن في الدنيا الفقر فجعل الفقر تحية له من ذي التحيات المباركات مع الخبر المشهور الفقر على المؤمن أزين من العذار على خد الفرس الجواد والفقر اختيار رسول الله صلى الله عليه وسلم وشعار الانبياء وطريقة علية الصحابة والاصفياء وروينا في الخبر آخر الانبياء دخولا الجنة سليمان بن داود لمكان ملكه وآخر أصحابي دخولا الجنة عبد الرحمن بن عوف لاجل غناه في الدنيا وفي الخبر الآخر رأيته يدخل الجنة زحفا ولا نعلم في الامة أفضل من طائفتين المهاجرون وأهل الصفة وجميعا مدح الله تعالى بالفقر فقال للفقراء المهاجرين الذين أحصروا في سبيل الله فقدم وصفهم بالفقر على أعمالهم الهجرة والحصر والله تعالى لا يمدح من يحب الاجتماعب ولا يصفه حتى يحبه وروينا في قوله تعالى وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا قيل عن الدنيا وفي خبر العلماء أمناء الرسل ما لم يدخلوا في الدنيا فاذا دخلوا في الدنيا فاحذروهم على دينكم وجاء في الاثر لا يزال لا إله إلا الله ترفع عن العباد سخط الله تعالى ما لم ينالوا ما نقص من دنياهم وفي خبر آخر ما لم يؤثروا صفقة دنياهم على دينهم فاذا فعلوا ذلك وقالوا لا إله إلا الله قال الله عز وجل كذبتم لستم بها صادقين وقد روينا في خبر عن أهل البيت اذا أحب الله تعالى عبدا ابتلاه فاذا أحبه الحب البالغ اقتناه قيل وما اقتناؤه قال لم يترك له أهلا ولا مالا وفي أخبار أهل الكتب أوحى الله تعالى الى بعض أوليائه احذر اذا مقتك فتسقط من عيني فأصب عليك الدنيا صبا ويقال ليس عمل من أعمال البر يجمع الطاعات كلها الا الزهد في الدنيا وعن بعض الصحابة رضي الله عنهم تابعنا الاعمال كلها فلم نر أبلغ في أمر الآخرة من زهد في الدنيا وقال بعض الصحابة لصدر التابعين أنتم أكثر أعمالا واجتهادا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم كانوا خيرا منكم قيل ولم ذلك قال كانوا أزهد منكم في الدنيا وفي وصية لقمان لابنه واعلم أن أعون الاشياء على الدين زهادة في الدنيا ويقال من زهد في الدنيا أربعين يوما أجرى الله تعالى ينابيع الحكمة في قلبه وأنطق بها لسانه وفي خبر آخر اذا رأيتم العبد قد أعطي صمتا وزهدا في الدنيا فاقتربوا منه فانه يلقى الحكمة وقد قال الله تعالى ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وروينا في الآثار جمل هذه الاخبار من أصبح وهمه الدنيا شتت الله تعالى عليه أمره وفرق عليه ضيعته وجعل فقره بين عينيه ولم ينل من الدنيا الا ما كتب له ومن أصبح وهمه الآخرة جمع الله همه وحفظ عليه ضيعته وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة وقال الله تعالى في معنى ذلك من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب وقد روينا في خبر قلنا يا رسول الله أي الناس خير قال مخموم القلب صدوق اللسان قلنا يا رسول الله وما مخموم القلب قال التقي النقي الذي لا غل فيه ولا غش ولا حسد ولا بغي قيل يا رسول الله فمن على أثره قال الذي يشنأ الدنيا ويحب الآخرة والشيء يعرف بضده كما يعرف بمثله وضد الشنآن المحبة وضد الزهد الرغبة وفي دليل خطابه ان شر الناس الذي يحب الدنيا وان الراغب فيها هو المحب لها والاقتناء لها والاستكثار منها علامة الرغبة فيها كيف وقد جاء أيضا ان أردت أن يحبك الله تعالى فازهد في الدنيا فجعل الزهد سبب محبة الله تعالى فصار الزاهد حبيب الله تعالى فينبغي أن يكون الزهد من أفضل الاحوال اذ المحبة أعلى المقامات وفي دليل الكلام ان من رغب في الدنيا فقد تعرض لبغض الله تعالى الذي لا شيء أعظم منه وأن المحب للدنيا بغيض الله تعالى وكان أبو محمد رحمه الله تعالى يقول اجعلوا أعمال البر كلها في موازين الزهاد ويكون ثواب زهدهم زيادة لهم وقال أيضا العباد في موازين العلماء والعلماء في موازين الزهاد يوم القيامة فلا يطمعن طامع في محبة الله تعالى وهو محب للدنيا الا ان الله تعالى مقتها وفي خبر ما نظر اليها منذ خلقها يقول لها اسكتي يا لا شيء

وخذ فيا مسكين من زوال ايمانك بشؤم ذنوبك فتخلد في عذاب جهنم بأهوالها وتلحقك حسرة لا منتهى لها فقد روى البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار جيء بالموت كأنه كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار ثم يذبح ويقال يا أهل الجنة خلودا بلا موت ويا أهل النار خلودا بلا موت ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنذرهم يوم الحسرة اذ قضي الامر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون وفي رواية الترمذي ويقال هل تعرفون هذا فيقولون نعم فيضجع فيذبح ولولا ان الله عز وجل قضى لاهل الجنة بالحياة والبقاء لماتوا فرحا ولولا ان الله عز وجل قضى لاهل النار بالحياة فيها والبقاء لماتوا ترحا وعن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى على أهل النار الجوع فيعدل ما هم فيه من العذاب فيستغيثون فيغاثون بطعام من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع فيستغيثون فيغاثون بطعام ذي غصة فيذكرون انهم كانوا يجيزون الغصص في الدنيا بالشراب فيستغيثون بالشراب فيرفع اليهم الحميم

الاوصاف فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين ولاصحاب اليمين اظهار نعيم الافعال ومواهب العطاء والافضال وقد كان يحيى بن معاذ يقول من عبد الله تعالى بالخوف دون الرجاء غرق فى بحار الافكار ومن عبده بالرجاء دون الخوف تاه فى مفاوز الاغترار ومن عبده بالخوف والرجاء معا استقام فى محجة الاذكار وقال مكحول النسفى رحمه الله تعالى فى معناه الا انه جاوز فيه الحد فقال من عبد الله تعالى بالخوف فهو حرورى ومن عبده بالرجاء فهو مرجئ ومن عبده بالمحبة فهو زنديق ومن عبده بالخوف والرجاء والمحبة فهو موحد والله سبحانه وتعالى أعلم

(شرح مقام الزهد ووصف أحوال الزاهدين)

وهو المقام السادس من مقامات اليقين قد سمى الله تعالى أهل الزهد علماء بقوله تعالى اذ وصف قارون فخرج على قومه فى زينته الى قوله تعالى وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن قيل هم الزاهدون فى الدنيا وقال عز وجل أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا جاء فى التفسير صبروا على الزهد فى الدنيا وقال جل وعلا والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم قيل على الفقر ويشهد للصبر عن الدنيا فى هاتين الآيتين قوله عز وجل فى وصف العلماء الزاهدين لما قال وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير قال عقيب ذلك فى بقية ثنائه عليهم ولا يلقاها الا الصابرون أى عن زينة الدنيا ثم قال فى مدحهم بوصف آخر يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا فقد حصل للزاهد أجران بصبره على الفقر وبوجود زهده وللفقير المعدم أجر واحد على الغنى لوجود فقره وعدم زهده وعلى ذلك تأويل الخبرين عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال فى أحدهما يدخل فقراء أمتى الجنة قبل اغنيائهم بأربعين خريفا وقال فى الخبر الآخر يدخل فقراء المؤمنين الجنة قبل الاغنياء بخمسمائة عام لان الفقير الزاهد يدخل الجنة قبل الغنى المصلح بخمسمائة عام وهؤلاء خصوص الفقراء وان الفقير غير الزاهد يدخل الجنة قبل الاغنياء بأربعين خريفا لاجل فقره فقط وهم عموم الفقراء فصار الاغنياء مفضولين فى الحالين معا وان جملة الفقراء يدخلون الجنة قبلهم لمكان غناهم فى الدنيا وان عموم الاغنياء من أهل الدنيا وأبنائها موقوفون للحساب ومطالبون بالانفاق والاكتساب بالخبر الثالث اطلعت فى الجنة فاذا أكثر أهلها الفقراء واطلعت فى النار فاذا أكثر أهلها الاغنياء وفى معناه الخبر الآخر فقلت أين الاغنياء فقال حبسهم الجد اى الحظ وقد سمى الله تعالى الفقراء الزاهدين محسنين ووضع عنهم السبيل فقال تعالى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج ثم قال ما على المحسنين من سبيل ثم نص على ذكر من عليه الحجة والمطالبة فقال جل وعلا انما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخوالف اعنى النساء وعلى هذا المعنى جاء تأويل قوله تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا قيل أزهد فى الدنيا فصار الاحسان مقام الزاهدين وهو وصف اليقين كذلك فسره رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سئل ما الاحسان فقال أن تعبد الله كأنك تراه يعنى على اليقين وهو المشاهدة ولعمرى ان الزهد حال الموقن لانه مقتضى يقينه وقد يحتج متوهم بفضل الاغنياء على الفقراء عنده لقوله تعالى خبرا عن الفقراء تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ان لا يجدوا ما ينفقون ولا يعلم ان هذا عند أهل التدبر للقرآن مزيد للفقراء لتمام حالهم لما كانوا محسنين كما قال سبحانه وتعالى وسنزيد المحسنين فكان مزيدهم الحزن والاشفاق وخوف التقصير لمشاهدة عظم حق الربوبية عليهم حتى كأنهم مسيئون حتى بشرهم الله تعالى بانهم محسنون لما قال عز وجل ما على المحسنين من سبيل لانه ضمهم اليهم فى الوصف وعطفهم عليهم فى المعنى وأيضا فلم يكن بكاؤهم على فوت الدنيا ولا على طلب الغنى والله تعالى يمدحهم بصبرهم عن الدنيا ويذم الدنيا اليهم بل حزنهم على طلب المزيد من الفقر ليجدوا الانفاق فيخرجوه فيفتقروا منه فيزدادوا فقرا بيذله الى فقرهم فعلى كثرة الانفاق وحقيقة الفقر من الدنيا كان حزنهم فهذا فضل ثان للفقراء لا على الجمع والادخار والموضع الاعلى الذى فضل

ليشفع العلم قبل الموت غاله قد سال قوم بها الرجعى فما رجعوا

(فصل) قال الله تعالى فأنذرتكم نارا تلظى لا يصلاها الا الاشقى الذى كذب وتولى وسيجنبها الاتقى الذى يؤتى ماله يتزكى وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى ولسوف يرضى روى الدارمى عن النعمان ابن بشير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أنذرتكم النار فما زال يقولها حتى لو كان فى مقامى هذا سمعه أهل السوق وحتى سقطت خميصة كانت عليه عند رجليه *اخوانى حاسبوا أنفسكم قبل ان تحاسبوا وزنوا أعمالكم قبل ان توزنوا وتطالبوا واعرضوا المعاصى على أنفسكم فما كان منها فى أنفسكم توبوا عنه توبة نصوحا كى لا توقعها فى نار وقودها الناس والحجارة فأى بدن يصبر عليها وأى قلب يطيقها وفى التذكرة قال كعب لو فتح من جهنم قدر منخر ثور بالمشرق ورجل بالمغرب لغلى دماغه حتى يسيل من حرها وان جهنم لتزفر زفرة لا يبقى مقرب ولا نبى مصطفى الا خر جاثيا على ركبتيه ويقول نفسى نفسى وقال ابن زيد وان الحلقة من غل أهل جهنم لو ألقيت على أعظم جبل فى الدنيا لهدته

عنهما قال انه نظر الى ماخرج منه فآذاه ريحه فاغتم لذلك فقال له جبريل هذه رائحة خطيئتك فشهد العقلاء عن الله تعالى الدنيا فى صورة كنيف فلم يدخلوا فيها الا ضرورة فكلما استغنيت عن دخولك الكنيف كان أفضل وشهدها بعضهم جيفة فلم ينالوا منها الا البلغة فكلما تقللت من الجيفة كان خيرا وقال وهب بن منبه قرأت فى بعض الكتب يا ابن آدم ان تردنى اترك الدنيا وان ترد الدنيا طال عنائك وفى بعض كتب الله تعالى يا ابن آدم أنا بدك اللازم فلا تؤثر على ما منه بد وقال بعض المخبرين عن الله سبحانه وتعالى انه أوحى الى الدنيا اخدمى من خدمنى واتعبى من خدمك وقال آخر وقد روينا مسندا ان الله تعالى أوحى الى الدنيا تمررى لاوليائى حتى تكون رغبتهم فيما عندى واحلولى لاعدائى حتى يكرهوا لقائى وفى حديث عائشة رضى الله عنها من أحب لقاء الله تعالى أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله تعالى كره الله لقاءه فهذه الآثار كلها قاصمة لظهر أبناء الدنيا مسخنة لعين محبيها واضدادها من الاخبار الحسنى فى فضل الزهد وشرف الفقر رافعة لرؤس الفقراء الصادقين وقرة عين الصالحين لله عز وجل الزاهدين فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون وأصل الرغبة فى الدنيا من ضعف اليقين لان العبد لو قوى يقينه نظر بنوره الى الآجل فغاب فى نظره العاجل فزهد فيما غاب وأحب الحاضر فآثره لانه أعود عليه وأبقى وأنفع له ولمولاه أرضى وقدم ما يفنى و ينقطع الى ما يدوم و يتصل وهذا هو صورة الزهد وشهادة الموقن وان الحاضر لا يحب ما غاب وانتقل ألم تر الى وصفه عز وجل لابراهيم وليكون من الموقنين قال لا أحب الآفلين والموقن مأمور باتباع ملة ابراهيم بقوله تعالى ملة أبيكم ابراهيم أى عليكم ملة أبيكم ابراهيم واتبعوا ملته وليس يشهد الوعد والوعيد الآجل بنور العقل انما يشهد بنور اليقين على انا نقول ان الانوار أربعة والقلب موجه جهات أربعة الى الملك والملكوت والى العز والجبروت فبنور العقل يشهد الملك و بنور الايمان يشهد الملكوت وهو الآخرة و بنور اليقين يشهد العزة وهى الصفات و بنور المعرفة يشهد الجبروت وهو الوحدانية والجبار تعالى فوق القلب محيط به يكاشفه بما شاء فيغلب عليه وجد ما أشهده وضعف اليقين قد يدخل فى كل شئ وقوة اليقين تحتاج اليه فى كل عمل والا فهو دنيا يهتدى اليه بنور العقل فمن لم يعط نور اليقين لم ير الملك الكبير فاستهواه الملك الصغير فأحب الاشى فلم تكن همته فى العلو ولا عنده الاعلى شيأ * ذكر ماهية الزهد أى شئ هو وليس يمكن عبد أن يعرف الزهد حتى يعرف الدنيا أى شئ هى فقد قال الناس فى الزهد أشياء كثيرة ونحن غير محتاجين الى ذكر أقوالهم بما بين الله تعالى وأغنى بكتابه الذى جعل فيه الشفاء والغنى وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الحبل المتين والصراط المستقيم من طلب الهدى فى غيره أضله الله وقال سبحانه وتعالى وما اختلفتم فيه من شئ فحكمه الى الله وقال عز وعلا فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه فقد ذكر الله جل اسمه فى كتابه ان الدنيا سبعة أشياء وهو قوله تعالى زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ثم قال تعالى فى آخرها ذلك متاع الحياة الدنيا ووصف حب الشهوات بالتزين ثم نسق الاوصاف السبعة على الحب لها ثم أشار اليها بقوله تعالى ذلك فذا اشارة الى الكاف والكاف كناية عن المذكور المتقدم المنسوق واللام بين ذا والكاف للتمكن والتوكيد فحصل من تدبر الخطاب ان هذه السبعة جملة الدنيا وان هذه الدنيا هذه الاوصاف السبعة وما تفرع من الشهوات ردالى أصل من هذه الجمل فمن أحب جميعها فقد أحب جملة الدنيا نهاية الحب ومن أحب أصلا منها أو فرعا من أصل فقد أحب بعض الدنيا فعلمنا بنص الكلام ان الشهوة دنيا وفهمنا من دليله ان الحاجات ليس بدنيا لانها تقع ضرورات فاذا لم تكن الحاجة دنيا دل انها لا تسمى شهوة وان كانت قد تشتهى لان الشهوة دنيا ولتفرقة الاسماء لاتباع الاحكام عليها واستدذلك الى خبر رويناه عن الله سبحانه وتعالى فى الاسرائيليات ان ابراهيم صلوات الله عليه أصابته حاجة فذهب الى صديق يستقرض منه شيأ فلم يقرضه فرجع مغموما فأوحى الله تعالى اليه لو سألت

يانفس ان القوم زادوا خيفة
من مكره وقلوبهم متذكره
يانفس جدى فى التقى
وتزودى
عجلا وكونى للبقا مستشعره
يانفس كم قوم على الدنيا
احتووا
ظلما ومالهم اذا من آخره
يانفس كم أمم تفانوا فى البلى
وعظامهم أضحت عظاما
ناخرة
يانفس توبى اليوم من قبل
الردى
وعسى تكونى فى غد مستبشرة
يانفس من لى بالذنوب وكلها
يوم القيامة فى الكتاب محررة
يانفس ما يخجلك فى يوم اللقا
من عظم أهوال الحساب
المحضرة
الا شفاعة أحمد الهادى
الذى
يرجى لديه العفو عند المقدرة
فهو النبى الهاشمى المصطفى
المجتبى من خلقه اذ أظهره
يانفس جدى فى المسير لقبره
واسعى الى أبوابه مستغفره
وتشبثى بجماله وجلاله
كى لا تكونى فى الورى متحيرة
واذا وصلت الحيرباه فعفى
تلك المواقف وادخلى متوقرة
وعسى تنالى الفوز من رب
العلى
وتعود زلات الذنوب مكفرة
وتشاهدى ذاك الشريف
وقد بدت
أنواره للكائنات منورة
هو صفوة الرحمن من كل الورى
و بأحسن التكوين حسنا

أنت وأهلك الى النار وفى الخبر يقول الله تعالى يوم القيامة الدنيا ميز واما كان منها لى والقوا سائرها فى النار وكذلك روينا فى الاثر الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر الله تعالى وما والاه وفى لفظ آخر فمثل الدنيا مثل ابليس خلقه الله تعالى للبعد واللعنة ليبتليه ويبتلى به ويهلكه ويهلك به وقد شهد ذلك بعض المكاشفين فقال رأيت الدنيا فى صورة جيفة ورأيت ابليس فى صورة كلب وهو جاثم عليها ومناد ينادى من فوق أنت كلب من كلابى وهذه جيفة من خلقى وقد جعلتها نصيبك منى فمن نازعك شيأ منها فقد سلطتك عليه فما من هذا الا من امكانه فمن تمكن فى شئ منها تسلط العدو بالمكانة منه بقدر ما أصاب منها وقد كوشف بها بعض الاولياء فى صورة امرأة ورأى أكف الخلق ممدودة اليها وهى تجعل فى أيديهم شيأ قال فقلت له ماهو قال شئ يلتذ وطائفة تمر عليها مكتوفى الايدى لاتعطيهم شيأ وكوشف بها ورق العجلى فى صورة عجوز شمطاء دندانية مسمجة عليها ألوان المصبغات وأنواع الزينة قال فقلت أعوذ بالله منك فقالت ان أردت أن يعيذك الله تعالى منى فابغض الدرهم وكذلك جاء فى الخبر الدنيا موقوفة منذ خلقها الله تعالى بين السماء والارض لا ينظر اليها فتقول يوم القيامة يارب اجعلنى لادنى أوليائك نصيبا اليوم فيقول اسكتى يالاشئ أنا لم أرضك لهم فى الدنيا أرضاك لهم اليوم وقال بعض السلف الدنيا دنية وأدنى منها قلب من يحبها وروى عن على كرم الله وجهه الدنيا جيفة فمن أرادها فليصبر على مزاحمة الكلاب وفى أخبار موسى عليه السلام ان لم تلق الفقير بمثل ماتلقى به الغنى فاجعل كل علم علمتك تحت التراب واذا رأيت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين واذا رأيت الغنى مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته وقال امامنا أبو محمد رحمه الله تعالى وروينا عن بعض علمائنا فى أخبار داود عليه السلام انى خلقت محمدا لاجلى وخلقت آدم لاجل محمد وخلقت ماخلقت لاجل ولد آدم فمن اشتغل منهم بما خلقته لاجله حجبته عنى ومن اشتغل منهم بى سقت اليه ماخلقته لاجله وكان يقول الصديقون فى بداياتهم طلبوا الدنيا من الله تعالى فمنعهم فلما تمكنوا من أحوالهم عرضها عليهم فامتنعوا منها وكان عيسى عليه السلام يقول للدنيا اليك عنى ياخنزيرة وقد روينا هذا القول عن يزيد بن ميسرة وكان من علماء الشام قال كان أشياخنا يسمون الدنيا خنزيرة ولو وجدوا لها اسما شرا من هذا لسموها به قال وكانت اذا أقبلت على أحدهم الدنيا قال لها اليك عنا ياخنزيرة لاحاجة لنا بك انا قد عرفنا الهنا عز وجل معناه قد عرفنا بالابتلاء بك لينظر كيف نعمل فى الزهد فيك والاثرة له سبحانه وتعالى وعرفناه أيضا بالمقت لك فوافقناه فى ذلك وعرفناه أيضا فقد ألهت قلوبنا اليه وأعرضنا عما سواه وكذلك كان الحسن رحمه الله تعالى يصف أشياخه كان أحدهم يعرض عليه المال الحلال فيقال خذه فاستغن به فيقول لاحاجة لى فيه أخاف أن يفسد على قلبى فهذا كان له قلب صالح راعاه فخاف تغيره كذلك روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه مر بجدى ميت أجرب فقال أترون هذا هان على أهله قلنا يارسول الله من هوانه القوه فقال للدنيا أهون على الله تعالى من هذا على أهله وفى لفظ آخر انه قال أيكم يحب ان هذا له بدرهم قلنا لا أينا وأى شئ يساوى هذا قال صلى الله عليه وسلم الدنيا اهون على الله تعالى من هذا عليكم وكذلك أخبر بالغاية فى قلتها وعدم قيمتها بقوله لو كانت الدنيا تزن عند الله تعالى جناح بعوضة ماسقى كافرا منها شربة ماء وضرب المثل فى نتنها وانقلابها على أهلها بقوله للاعرابى أرأيت ماتأكلون وتشربون ألستم تتغوطون وتبولون قال بلى قال فالى أى شئ يصير قال الى ماعلمت يارسول الله قال أليس يقعد أحدكم خلف بيته فيجعل يده على أنفه من نتن ريحه قال نعم قال فان الله تعالى جعل الدنيا مثلا لما يخرج من ابن آدم وكذلك روينا فى تأويل قوله تعالى وفى أنفسكم أفلا تبصرون فى سبيل مواضع الغائط والبول وقال سبحانه وتعالى وما الحياة الدنيا فى الآخرة الا متاع قال بعض أهل اللغة متاع أى جيفة سمعت عن الاصمعى قال بعض العرب يقول متع اللحم اذا تغير وانتن وقد كان الحسن رحمه الله تعالى يقول لما هبط آدم عليه السلام الى الدنيا كان أول شئ عمل فيها انه أحدث وروينا عن ابن عباس رضى الله

بكلاليب الحديد فاذا أدنيت من وجوههم شوت وجوههم فاذا دخلت بطونهم قطعت مافى بطونهم فيقولون أدعوا خزنة جهنم فيقولون أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين الا فى ضلال قال فيقولون أدعوا مالكا فيقولون يامالك ليقض علينا ربك قال فيجيبهم انكم ماكثون قال الاعمش ثبت ان بين دعائهم واجابة مالك اياهم ألف عام قال فيقولون أدعوا ربكم فلا أحد خير من ربكم فيقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون قال فيجيبهم اخسؤا فيها ولا تكلمون قال فعند ذلك يئسوا من كل خير وعند ذلك يأخذون فى الزفير والحسرة والويل ورؤى الحسن جالسا فى زاوية وهو يبكى فقيل له لم تبكى قال اخشى ان يطرحنى الله فى النار ولا يبالى شعر

يانفس توبى عن فعال منكرة
واسعى الى دار البقا مستبصرة
يانفس فاز القوم من رب العلى
بالعفو عن زلاتهم والمغفرة
يانفس قد قطعوا النهار لربهم
بصيامهم وقيامهم ماأكثره
يانفس ويحك للمتاب فبادرى
من قبل يأتيك الذنوب

لانه حقيقة الزهد في الدنيا ولان الله تعالى يحب من زهد في الدنيا ثم كان مخالفة الهوى أفضل الجهاد لانه هو حقيقة الرغبة في الدنيا وقد عبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الزهد في الدنيا اذ قال في الحديث الاول ازهد في الدنيا يحبك الله تعالى ثم قال في الخبر الثاني بمعناه اجتنب المحارم يحبك الله تعالى واجتنابها زهد في الدنيا فالزاهد في الدنيا حبيب ربه تعالى والراغب في حب البقاء لنفسه منافق في دين ربه تعالى ومنه الخبر الذي جاء من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بغزو مات على شعبة من نفاق وبه كشف الله تعالى الكاذبين ووصفهم بمرض القلوب فقال سبحانه وتعالى فاذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض يعني نفاقا ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت فاولى لهم تهدد ووعيد أي وليهم العذاب وقرب منهم ثم قال طاعة وقول معروف أي يظهر منهم طاعة وقول معروف فاذا عزم الامر وحقت الحقائق كذبوا ونكثوا فلو صدقوا الله أي في الوفاء لكان خيرا لهم وهذا من الكلام المضمر فلذلك أشكل والبقاء والحياة اسمان لمعنى ولذلك جعل الله تعالى الدنيا وصفا للحياة فتكون الدنيا هي الحياة ونعتها بالدنيا لانها مؤنث لدخول الهاء في الاسم التي هي احدى علامات التأنيث فصارت الحياة هي الدنيا وصار قوله الدنيا نعتها بالدناءة ولو كان الاسم مذكرا مثل البقاء نعته بمذكر فقال الادنى وقد قال في مثله يأخذون عرض هذا الادنى فالادنى تذكير الدنيا والدنيا تأنيث أدنى كالاعين والاقنى والاشعث تذكير عيناء وقنواء وشعثاء والعرض اسم لما يعرض ويقل بقاؤه فمن أحب ذلك فقد أحب الدنيا بحبه الادنى وهذا يرجع الى حب الحياة الاصل لانه انما يريد العرض الادنى لاجل الحياة فصار حب البقاء الذي لاجله يريد عرض الادنى هو الدنيا وصار حب العرض لاجل البقاء من الدنيا فجاء من هذا الذي ذكرناه ان حقيقة الدنيا حب البقاء لطاعة الهوى وموافقة الهوى في حب العرض لاجل البقاء فدخل أحد هذين في الآخر لان حب البقاء لاجل المتعة هو من الهوى الذي هو صفة النفس الامارة بالسوء وطاعة الهوى التي هو عيش النفس انما يكون لحب البقاء لان العبد لو أيقن بالموت ساعته لآثر الحق على الهوى ولو أيس من البقاء لما رغب في العرض الادنى فصار حب البقاء من الهوى وصار ايثار الهوى انما هو لحب البقاء فكان ذلك حقيقة الدنيا وكان أقصر الناس أملا للبقاء أزهدهم في الدنيا حتى لا يدخر شيأ لغد لانه عنده غير باق الى غد وصار أرغب الناس في الدنيا أطولهم أملا لان رغبته اشتدت فيها وحرصه كثر عليها لامتداد أمله للحياة فيها فاذا قصر أمله لغد لاختيار الفقر حينئذ واختيار الفقر هو الزهد * بيان آخر من الزهد أي شيء هو قال الله سبحانه وتعالى وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين فهذه تسميتهم بالزهد لتحققهم بالمعنى فنحتاج ان نكشفه ليكون من يتحقق بمعنى ذلك زاهدا قوله تعالى وشروه باعوه والعرب تقول شريت بمعنى بعت لانهم يقولون ابتعت بمعنى اشتريت فلما باعوه وخرج من أيديهم صار وا زاهدين كذلك العبد اذا باع نفسه وماله من الله تعالى وخرج من هواه الى سبيل مولاه فهو من الزاهدين وكذلك قال المولى عز وجلا ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة كما قال عز من قائل ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى فاذا كان العوض واحدا وهو الجنة اذ ذكر في المعنيين كان بيع النفس والمال واخراجهما لله تعالى بمعنى النهي عن الهوى فيه الذي هو الحياة الدنيا وهو اقتناء النفس وحبس النفس عليه أعني المال فاستبدال ذلك بضده من اخراج الهوى من النفس وادخال الفقر على المال هو الزهد في الدنيا وليس ذلك من أمر النفس الامارة بالسوء لان هذا نزاهة الخير وصار نزاهة من الهوى الذي هو اقتناء المال للجمع والمنع وهذا هو الدنيا بوصف النفس الامارة بالسوء لانها حينئذ سوء كأن من كان بهذا الوصف فنفسه غير مرحومة لامرها بالسوء واذا لم تكن مرحومة لم يكن صاحبها بائعها واذا لم يبعها لم تكن مشتراة فلا يكون صاحب هذه النفس الجامعة المانعة راغبا في الدنيا محبا لها وليس هذا من صفة المؤمن والله أعلم * وصف آخر من البيان والتفصيل لما حقق الله تعالى الزهد بمعنى النفس واخراج

أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم غدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها ولو ان امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت الى الارض لاضاءت ما بينهما ولملأت ما بينهما ريحا ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها ثم قال صلى الله عليه وسلم ان للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة عرضها وفي رواية طولها ستون ميلا وفي كل زاوية منها للمؤمن أهل لا يراهم الآخرون يطوف عليهم المؤمن وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين ان ينظروا الى ربهم الارداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن عن سعد بن أبي وقاص عن النبي صلى الله عليه وسلم لو أن ما يقل ظفر مما في الجنة بدا لتزخرفت له ما بين خوافق السموات والارض ولو ان رجلا من أهل الجنة اطلع فبدت أساوره لطمس ضوءه ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم انتهى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله مم خلق الخلق قال من الماء قلت الجنة ما بناؤها قال لبنة من ذهب ولبنة من فضة وملاطها المسك الاذفر وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وتربتها الزعفران من يدخلها

خليلك لاعطالك فقال يارب عرفت مقتك للدنيا فخشيت أن أسألك منها فتمقتني فأوحى الله تعالى اليه ليس الحاجة من الدنيا ثم سمعناه تعالى وجل قد ردهذه السبعة الاوصاف فى مكان آخر الى خمسة معان فقال جل من قائل اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فهذه الخمسة هي وصف من أحب تلك السبعة ثم اختصر الخمسة فى معنيين منها هما جامعان للسبعة فقال انما الحياة الدنيا لعب ولهو ثم رد الاثنين الى وصف واحد وعبر عنه بمعنيين فصارت الدنيا ترجع الى شيئين جامعين مختصرين يصلح ان يكون كل واحد منهما هو الدنيا فالوصف الواحد الذى رد الاثنين اليه اللذان هما اللعب واللهو هو الهوى اندرجت السبعة فيه فقال عز وجل ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى فصارت الدنيا طاعة النفس الهوى بدليل قوله تعالى فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هي المأوى فلما كانت الجنة ضد الجحيم كان الهوى هو الدنيا لان النهى عنه ضد الايثار له فمن نهى نفسه عن الهوى فانه لم يؤثر الدنيا واذا لم يؤثر الدنيا فهذا هو الزهد كانت له الجنة التى هى ضد الجحيم التى هى لم ينه نفسه عن الهوى بايثاره الدنيا فصارت الدنيا هى طاعة الهوى وايثاره فى كل شئ فينبغي ان يكون الزهد مخالفة الهوى من كل شئ وأما المعنى الآخر الذى عبر به عن هذا الوصف الذى هو الهوى فجعله دنيا أيضا فهو حب البقاء لمتعة النفس استنبطنا ذلك من قوله تعالى وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا الى أجل قريب فالقتال هو فراق الحياة الدنيا لانه المشى بالسيف الى السيف والفناء بين السيفين فقالوا هلا بقيتنا الى وقت آخر هو أجلنا بالموت لا بالقتل وهذا هو حب البقاء ففسر حب البقاء بانه هو الدنيا فقال تعالى قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى فانكشف الناس وافتضح المنافقون وابتلى المؤمنون عند فرض القتال وظهر المحبون الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص وعند ذلك ربح الذين هم لانفسهم وأموالهم بائعون وخسر الذين هم للحياة الدنيا بالآخرة مشترون لما قال الله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة فلما اشتراها باعوها وقال فى المشترين الخاسرين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة يعنى رغبوا فى البقاء الادنى لما اشتروه ببيع البقاء الآخرة اذ باعوه فمن اشترى ثلاثين سنة وأربعين سنة بألف ألف وبأبد الابد فما ربحت تجارته ولا هدى سبيله فهذه تجارة من رغب فى حياة دنياه فاشتراها ببقاء الابد فقد صار بائعا للحياة العالية بما استبدل به من اشترائه ضدها فهذا تدبر قوله تعالى اشتروا الحياة الدنيا أى باعوا الحياة العليا وذلك الاول تجارة من باع حياة نفسه وفرق مجموع ماله فاشتراه الله تعالى منه وعوضه داره وأسكنه عنده جواره فقد ربحت تجارته واهتدى سبيله لما باع حياة عشرين سنة وثلاثين سنة بحياة الابد الابد فهذا ربح تجار الآخرة الزاهدين فى الدنيا وذلك خسر تجار الدنيا الراغبين فى الهوى فشتان بين التجارتين فما أعظم حسرة الفوت على من خسر ما ربحه الزاهدون بعد الموت وقد كان الناس مستورين باظهار الزهد فى البقاء ومظنونا بهم حب الباقى الاعلى حتى نزلت ألم تر الى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية الآية وحتى نزل يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كانوا قالوا انا نحب ربنا ولو علمنا فى أى شئ محبته لفعلناه فلذلك قال تعالى كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا ولذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه ما كنت أحسب ان فينا أحدا يريد الدنيا حتى نزلت منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة وكذلك قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نزلت ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم قال ابن مسعود قال لى رسول الله عليه السلام قيل لى أنت منهم أى من القليل الذى كان يفعل ذلك فاذا كان حب البقاء هو الدنيا فينبغى ان يكون حب بقاء الباقى هو الزهد فصار الزهد فى الدنيا هو الزهد فى البقاء فمن زهد فى الحياة الفانية وفى ماله المجموع بالجهاد للنفس والانفاق فى سبيل الله فقد زهد فى الدنيا ومن زهد فى الدنيا أحبه الله تعالى كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولذلك صار الجهاد أفضل الاعمال

لانه

أسرى به البارى البجهرة
فى جنح ليل صبحه ما أسفره
ورقى على ظهر البراق معظما
والكون من أنواره قد نوره
واستبشرت بقدومه أهل السما
فبذاك أضحت من شذاه معطرة
وهو الذى جليت جمال عروسه
فى ليلة المعراج لما أظهره
وهو الذى بالحق جاء وبالهدى
وأباحنا الدين القويم وأظهره
صلى عليك الله ما سرت الصبا
وأتت بطيب ثنائه متعطرة

اللهم أجرنا من النار اللهم لا تشوه خلقنا بالنار اللهم لا تجعلنا من حطب النار فانها بئس الدار وبئس المثوى وبئس القرار

(فصل فى الجنة) قال الله تعالى وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات تجرى من تحتها الانهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل وأتوا به متشابها ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون خ م عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر واقرؤا ان شئتم فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين خ م عن

الارادة أو لارادة الزهد فقد كذبت على نفسك بتمسكك بها زاهدا وكذبتك نفسك بوجودها جهلا منها بالعلم زهدا أو كذب وجدك على العلم جهلا منك بربك عز وجل أو موهت على نفس غيرك ممن لا يعرف الزهد وهذا زهد منك في الزهد ورغبة منك أيضا في الدنيا حتى يخرج الشئ الذي تظن انك زهدت فيه وتعتاض منه محبة الله تعالى وطلب مرضاته تبارك وتعالى أو ما عنده من ثوابه فحينئذ يصح زهدك فيه على العلم وعند العلماء فتكون صادقا فهنالك وصلك الزاهد بالزهد وسماك الزاهدون زاهدا فاما اذا لم يكن الشئ موجودا لك فان زهدك فيما لا تملك لا يصح والزهد في معدوم باطل من قبل أن تصرفك لا يصح فيما لا تملك فكذلك لا يصح زهدك فيه ولعله لو كان موجودا تغير قلبك به وتقلب فيه اذ ليس الخبر كالمعاينة لان الخبر قد يشتبه ويوهم والمعاينة تكشف الحقيقة وتحكم على الخلقة ولان النفس ذات بدوات لما طبعت عليه من حب المتعة بالرفاهية فكذلك لا تجعل ظنا معدوما كيقين موجود اذ لو كان كيف كان الامر ولكن قد يكون لك مقام من الزهد في المعدوم بقيامك بشرطه وهو أن لا تحب وجود الشئ ولا تأسى على فقده أو تكون مغتبطا بعدمك مسرورا بفقرك يعلم الله تعالى ذلك من غيبك ويطلع على سرك انك لا تفرح بوجوده لو وجدته وتخرجه ان دخل عليك وان قلبك قانع بالله سبحانه وتعالى راض عن الله تعالى بحالك التي هي العدم من الدنيا غير محب للاستبدال بها من الغنى بصدق يقينك بفضيلة الزهد فاذا كنت بهذا الوصف حسب لك جميع ذلك زهدا وكان لك باحد هذه المعاني ثواب الزاهدين وان لم تكن للدنيا واجدا وهذا زهد الفقراء الصادقين وهو التحقق بالفقر وقد قال بعضهم حقيقة الفقير أن يكون مغتبطا بفقره خائفا أن يسلب الفقر كما يكون الغني مغتبطا بغناه يخاف الفقر وقد كان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول اذا قيل له انك زاهد قال انما الزاهد عمر بن عبد العزيز جاءته الدنيا وملكها فزهد فيها فاما أنا ففي أي شئ زهدت وقد يصح الزهد للعارف في الشئ مع وجوده عنده اذا لم يقتنيه لمتعة نفسه ولم يتملكه ويسكن اليه بل كان موقوفا في خزانة الله سبحانه وتعالى التي هي يده منتظرا حكم الله تعالى فيه ومحنة ذلك استواء وجوده وعدمه والمسارعة اذا رأى حكم الله تعالى الى تنفيذه فيكون في ذلك كأنه لغيره من عيلته أو اخوانه أو سبيل من سبيل الله تعالى وهذا المقام زائد على الزهد فكذلك لم يخرجه بل كان مخصوصا فيه بخصوص وهو أيضا مقام من التوكل وبيان آخر مستنبط من السنة في ماهية الزهد أي شئ هو الزهد أيضا تقليل الدنيا وتقريبها واحتقارها بالقلب واستصغارها من ذلك الخبر الذي جاء في ساعة يوم الجمعة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال هي في آخر ساعة قال وجعل يزهدها يقللها أي يقرب وقتها ويدنيه من الغروب والمعنى الآخر في الخبر الثاني من قول النبي صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه لما نزلت آية الامر بالصدقة لمناجاة الرسول صلى الله عليه وسلم فقال له كم ترى أن نجعل عليهم من الصدقة مقدمة للمناجاة فقال شعيرة من ذهب قال انك لزهيد أي مقلل مصغر للدنيا ولكن نجعل عليهم دينارا وزهيد كأنه معدول من زاهد للمبالغة في الوصف بالزهد كما عدل شهيد من شاهد ومجيد من ماجد وكما عدل عليم وقدير ورحيم من عالم وقادر وراحم للمبالغة في العلم والقدرة والرحمة * ذكر وصف الزاهد وفضل الزهد قوت الزهد الذي لا بد منه وبه تظهر صفة الزاهد وينفصل به عن الراغب هو أن لا يفرح بعاجل موجود من حظ النفس ولا يحزن على مفقود من ذلك وأن يأخذ الحاجة من كل شئ عند الحاجة الى الشئ ولا يتناول عند الحاجة الا سد الفاقة ولا يطلب الشئ قبل الحاجة وأول الزهد دخول غم الآخرة في القلب ثم وجود حلاوة المعاملة لله تعالى ولا يدخل غم الآخرة حتى يخرج هم الدنيا ولا تدخل حلاوة المعاملة حتى تخرج حلاوة الهوى وكل من تاب من ذنب ولم يجد حلاوة الطاعة لم يؤمن عليه الرجوع فيه وكل من ترك الدنيا ولم يذق حلاوة الزهد رجع في الدنيا ولا يدخل حلاوة المعاملة حتى يخرج حلاوة الهوى وخالص الزهد اخراج الموجود من القلب ثم اخراج ما خرج من القلب عن اليد وهو عدم الموجود على الاستصغار له

والله أكبر يغرس لك بكل واحدة شجرة في الجنة ت عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة خ قيل لوهب أليس لا اله الا الله مفتاح الجنة قال بلى ولكن ليس مفتاح الا له اسنان فان جئت بمفتاح له اسنان فتح لك والا لم يفتح لك ت عن بريدة بن خصيب قال اصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا بلالا فقال يا بلال بم سبقتني الى الجنة فما دخلت الجنة الا سمعت خشخشتك امامي فقال بلال يا رسول الله ما أذنت قط الا صليت ركعتين وما أصابني حدث الا توضأت عنده ورأيت ان لله ركعتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بهما ت قال النبي صلى الله عليه وسلم ان في الجنة لغرفا يرى ظهورها من بطونها وبطونها من ظهورها فقام اليه اعرابي فقال لمن هي يا رسول الله قال لمن أطاب الكلام وأطعم الطعام وأدام الصيام وصلى بالليل والناس نيام وفي الاحياء قال علي الطلحي رأيت في المنام امرأة لا تشبه نساء الدنيا فقلت من أنت قالت حوراء

المال فى ذكر المبيع والمشترى فى قوله تعالى يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وكان الزهد هو ترك طاعة الهوى وبيع النفس بنهيها عنه من المولى وكان العوض من ذلك الجنة كان الزاهد هو الخائف مقام ربه البائع نفسه طوعا قبل ان تخرج نفسه اليه كرها وكان الله تبارك وتعالى هو المحبوب له القريب منه فصار العبد محباله فجعله من المقربين عنده تعالى واذا كانت الدنيا هى طاعة الهوى وحب الحياة الدنية لمتعة النفس الشهوانية كان الراغب فى ذلك آمنا لمكر الله تعالى مشتريا للحياة الدنيا بائعا بذلك الحياة العليا فلم يكن محباله وكان من المبعدين عنه بسوء اختياره وحق عليه الخسران والجحيم فى الآخرة لانه ضد الزاهد المقرب الظافر بدار القرب فى جوار الحبيب القريب * ذكر بيان حقيقة الزهد وتفصيل أحكامه ووصف الزاهد اعلم ان الزهد يكون بمعنيين ان كان الشئ موجودا فالزهد فيه اخراجه وخروج القلب منه ولا يصح الزهد فيه مع تبقيته للنفس لان ذلك دليل الرغبة فيه وهذا زهد الاغنياء وان لم يكن موجودا وكان العدم هو الحال فالزهد هو الغبطة به والرضا بالفقد وهذا هو زهد الفقراء وكذلك القول فى الزهد فى ترك الهوى لا يصح الا بعد الابتلاء به والقدرة عليه ألم تر ان اخوة يوسف عليهم السلام هموا بالزهد فيه بقولهم ليوسف وأخوه أحب الى أبينا منا ولم يسمهم الله تعالى زاهدين وتكلموا بالزهد فيه بقولهم اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم ولم يسموا زاهدين وأرادوا الزهد فيه بقولهم أرسله معنا غدا يرتع ويلعب ولم يحققوا بالزهد فيه وعزموا على الزهد فيه واجمعوا عليه ولم يسمهم الله تعالى زاهدين مع قوله تعالى مخبرا عنهم فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه فى غيابة الجب لان هذا كله من أسباب الزهد ومقدماته قد يلتبس ويشكل على من لا يعرف حقيقة الزهد فيظنه زهدا وليس هو زهدا لانه فى أيديهم فلما خرج من أيديهم واعتاضوا منه سواه حق زهدهم فيه فقال تعالى مخبرا عن حقيقتهم وشروه أى باعوه وكانوا فيه من الزاهدين وكذلك الثوب تهم ببيعه وتريد بيعه ويغلب عليك بيعه ولا تكون زاهدا ولكن تكون موصوفا بالارادة للزهد حتى تبيعه وتعتاض منه فحينئذ حق زهدك فيه ففى تدبر الخطاب من قوله وكانوا فيه من الزاهدين ان من اخرج الشئ من يده طوعا ونفسه تتبعه فله مقام فى الزهد بالمجاهدة ومن أمسك الشئ وأظهرت نفسه الزهد فيه بالارادة والهمة فلا مقام له فى الزهد لان الامساك علامة الرغبة والرغبة ضد الزهد فكيف يوصف بالشئ وضده فى حال قائمة فالممسك للشئ المتوهم للزهد فيه باظهار نفسه ذلك باحد وصفين اما ان لا يعرف الزهد أو لا يعرف خفى شهوة النفس هذا ان لم يموه على الراغبين والمخرج لقلبه عنه هو المتحقق بالزهد فيه وهذا هو الذى وصف الله تعالى به اخوة يوسف والممسك للشئ المغتبط به الذى همه فيه وقلبه عاكف عليه هو المتحقق بالرغبة فيه وهذا وصف عزيز مصر فى يوسف لما اشتراه فحققه الله تبارك وتعالى بالرغبة فيه لاقتنائه له فقال مخبرا عنه بعد ما اشتراه اكرمى مثواه عسى ان ينفعنا أو نتخذه ولدا وكذلك وصف امرأة فرعون فى رغبتها فى موسى عليه السلام بقولها قرة عين لى ولك لا تقتلوه عسى ان ينفعنا أو نتخذه ولدا فكذلك كل من أمسك شيئا أدخره لنفسه لا يكون زاهدا فيه حتى يخرجه عن يده وقلبه اذ لم يكن ذلك وصف اخوة يوسف الزاهدين فيه الا بعد ان اخرجوه استصغارا له وتعوضوا منه * بيان آخر مستنبط من الكتاب اعلم ان زهد اخوة يوسف عليهم السلام فى أخيهم قد كان يقارب زهدهم فى يوسف عليهما السلام لانه كان نظيره عند أبيه وقد كانوا هموا بالزهد فيه أيضا ليخلو لهم وجه أبيهم منهما الم تسمع الى قولهم ليوسف وأخوه أحب الى أبينا منا وكذلك جاء فى الخبر انهم أرادوا ان يلقوا أخاه معه فى الجب حتى ألقى نفسه عليهم وذا فشفع فيه فرحمه ومنعهم منه وكان شديدا منهم منيعا مهيبا فيهم وقد قيل انه استوهبه منهم وقال دعوه يكون فيه سلوة للشيخ الكبير لا تفجعوه بهما ولا تفقدوه اياهما معا فوهبوه له ثم ان الله تعالى لم يقل مع ارادتهم لذلك وهمهم به وكانوا فيهما من الزاهدين من قبل انهم لم يحققوا بالزهد فيه كالزهد فى أخيه لانه كان فى أيديهم لم يخرجوه فكذلك أنت اذا كان الشئ موجودا عندك وأنت ممسكه لنفسك ثم توهمت انك زاهد فيه لخواطر

يتمهم ولا ييأسون ويخلدون ولا يموتون ولا تبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم ت عن عبد الله ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان المرأة من نساء أهل الجنة ليرى بياض ساقيها من وراء سبعين حلة حتى يرى مخها وذلك بان الله تعالى يقول كأنهن الياقوت فانه حجر لو أدخلت فيه سلكا ثم استصفيته لرأيته خ م عن النبى صلى الله عليه وسلم ان أول زمرة تدخل الجنة من أمتى على صورة القمر ليلة البدر ثم الذين يلونهم على أشد نجم فى السماء اضاءة ثم هم بعد ذلك منازل لا يتغوطون ولا يبولون ولا يتمخطون ولا يتفلون أمشاطهم الذهب ورشحهم المسك ومجامرهم الالوة وأزواجهم الحور العين اخلاقهم على خلق رجل واحد على طول أبيهم آدم صلوات الله عليه ستون ذراعا فى السماء ت عن أبى سعيد عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى وفرش مرفوعة قال ارتفاعها لكما بين السماء والارض مسيرة خمسمائة سنة ق عن أبى هريرة قال ان النبى صلى الله عليه وسلم مر به وهو يغرس غرسا فقال يا أبا هريرة ما الذى تغرس قال غراسا قال ألا أدلك على غراس خير من هذا سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله

وتجمعون مالا تأكلون ويعني هذا تمام ايمان الوفد الذين سألهم ما أنتم فقالوا مؤمنون قال وما علامة ايمانكم فذكروا الصبر على البلاء والشكر عند الرخاء والرضا بمواقع القضاء وترك الشماتة بالمصيبة اذا نزلت بالأعداء فقال عليه الصلاة والسلام ان كنتم كذلك فلا تجمعوا مالا تأكلون ولا تبنوا مالا تسكنون ولا تنافسوا فيما عنه ترحلون فهذا هو الزهد جعله تكملة ايمانهم وعلو مقامهم وتماما على احسانهم وأعظم من هذه كلها الخبر الرابع الذي جعل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم الزهد من شرط الاخلاص التوحيد في حديث رويناه عن ابن المنكدر عن جابر قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من جاء بلا اله الا الله لا يخلط معها غيرها وجبت له الجنة فقام اليه علي كرم الله وجهه فقال بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما لا يخلط بها غيرها صفه لنا فسره لنا فقال حب الدنيا وطلبا لها واتباعا لها وقوم يقولون قول الانبياء ويعملون أعمال الجبابرة فمن جاء بلا اله الا الله ليس شيء فيها من هذا وجبت له الجنة فلذلك كان علي رضي الله عنه يجعل الزهد مقاما في الصبر ويجعل الصبر عمدة الايمان في حديثين رويناهما عنه أولهما قوله في الحديث الطويل الذي رواه عكرمة وعتبة بن حميد والحرث الاعور وقبيصة بن جابر الاسدي في مباني الايمان انه قال الايمان على أربع دعائم على الصبر واليقين والعدل والجهاد ثم قال فيه والصبر منها على أربع شعب على الشوق والشفق والزهادة والترقب فمن اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات ومن أشفق من النار رجع عن المحرمات ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات ومن ترقب الموت سارع في الخيرات والخبر الآخر في الصبر الذي جعله عمود الايمان ينهدم الايمان بهدمه هو قوله والصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد لا جسد لمن لا رأس له ولا ايمان لمن لا صبر له وروينا في خبر مقطوع السخاء من اليقين ولا يدخل النار موقن والبخل من الشك ولا يدخل الجنة من شك فكان هذا الحديث مفسر الخبر المجمل السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس قريب من النار فسر في ذلك الخبر بأي معنى يكون السخي قريبا من الله تعالى قريبا من الجنة لان السخاء من اليقين وبأي معنى يكون البخيل بعيدا من الله تعالى قريبا من النار لان البخل من الشك فالسخاء وصف الزاهد ولا يكون الزاهد الا سخيا والبخل وصف الراغب ولا يكون الحريص الا بخيلا ولا يكون البخيل زاهدا لان الزهد يدعو الى اخراج الشيء والبخل يدعو الى امساكه فنفس السخاء زهد فاذلك ذم البخل لانه رغبة في الدنيا ثم ان الحرص علامة البخل لانه دليل الرغبة والقناعة علامة السخاء لانها باب الزهد فلذلك قيل سخاء النفس عما في أيدي الناس أفضل من سخاء البذل ثم يفترقان في الحكم بعد اجتماعهما في الاسم فمن جاد بماله لله تعالى كان زاهدا فيه لله تعالى ووقع أجره على الله ومن جاد بماله لاجل الناس كان أيضا زاهدا في ذلك موصوفا بالسخاء ولكن ذلك لنفسه ولاجل هواه ولا أجر له عند الله تعالى اذ لم يكن من عمال الله تعالى فبطل أجره لانه عمل لنفسه وحصل شكره وذكره في الدنيا لانه عمل لاجل الناس كما قال ابن المبارك رحمه الله ما رأيت بين الفتوة والقراءة فرقا الا في شيء واحد ما حاذرت القراءة شيئا الا قد جنته الفتوة وانما يفترقان في ان القراءة يراد بها وجه الله تعالى والفتوة يراد بها وجوه الناس ومدحهم وقد كان أستاذه سفيان الثوري رحمه الله يقول من لم يحسن يتفتى لم يحسن يتقرى اي من لم يعرف أحكام الفتى فيقوم بها حتى يستحق وصف فتى لم يحكم أوصاف التقرى حتى يوصف بانه قارئ ثم ان العبد قد يجاهد نفسه على الزهد كما يجاهدها على مخالفة الهوى وكما يجاهدها بالصبر على الحق بان يخرج المرغوب وينفق المحبوب على كراهة من النفس وحمل بالزهد عليها فيكون له مقام في الزهد بحال البر ويستوجب مدحا من البر والمتزهد غير الزاهد وهو الذي يتصنع للزهد ويعمل في أسبابه من التقلل ورثاثة الحال في كل شيء فله مثل المتصبر من الصابر الذي يحمل على نفسه بالصبر ويصابرها على العلم فيكون له مقام من الصبر وصفوة الزهد انتظار الموت وقصر الامل لان فيهما ترك الادخار وتحسين الاعمال وقال ابن عيينة

اسأل الله ان يجمع بيني وبينك في سوق الجنة فقال سعيد أفيها سوق قال نعم أخبرني رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أهل الجنة اذا دخلوها نزلوا فيها بفضل أعمالهم ثم يؤذن لهم في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا فيزورون ربهم ويبرز لهم عرشه ويتبدى لهم في روضة من رياض الجنة فيوضع لهم منابر من نور ومنابر من لؤلؤ ومنابر من ياقوت ومنابر من زبرجد ومنابر من ذهب ومنابر من فضة ويجلس أدناهم وما فيهم دني على كثبان المسك والكافور ما يرون ان أصحاب الكراسي بأفضل منهم مجلسا قال أبو هريرة قلت يا رسول الله وهل نرى ربنا قال نعم هل تتمارون في رؤية الشمس والقمر ليلة البدر قلنا لا قال كذلك لا تتمارون في رؤية ربكم ولا يبقى في ذلك المجلس رجل الا حاضره الله محاضرة حتى يقول للرجل منهم يا فلان بن فلان أتذكر يوم قلت كذا وكذا فيذكره ببعض غدراته في الدنيا فيقول يا رب أفلم تغفر لي فيقول بلى فبسعة مغفرتي بلغت منزلتك هذه فبينما هم على ذلك

والاحتقار والتقالل لهوان الدنيا عنده وصغرها فى عينه فبهذا يتم الزهد ثم ينسى زهده فى زهده فيكون حينئذ
زاهدا فى زهده لرغبته فى مزهده وبهذا يكمل الزهد وهذا به وحقيقته وهو أعز الاحوال فى مقامات اليقين
وهو الزهد فى النفس لا الزهد لاجل النفس ولا للرغبة فى الزهد للزهد وهذه مشاهدة الصديقين وزهد
المقربين عنه وبعده عين اليقين ودون هذا مقامات اخراج المرغوب فيه عن اليد مع ثبات اليه وعلى مجاهدة
النفس فيه وهو زهد المؤمنين وذلك العمل بالزهد عقد وعمل اذ كان الزهد عن الايمان والايمان قول
وعمل وكذلك الزهد عقده وعمل فعقده خروج حب الدنيا من القلب بدخول حب الآخرة فى القلب
والعمل بالزهد اخراج المحبوب من اليد فى سبيل الله تعالى معتاضا منه ما عنده سبحانه وتعالى من وجهه
الكريم جل وتعالى أو قرب بجواره فى داره وان لم تكن الدنيا موجودة فان ترك الاسف عليها وقلة
الحرص فيها وترك الطلب والتمنى لها وسكون القلب مع العدم ورضاه بيسير القسم يحسب للعبد زهدا لان
ذلك حال الفقير فاذا قام بحكمه لم يجب عليه أكثر من القيام به والورع هو من الزهد كالزهد من الايمان
والحياء والايمان فى قرن واحد كما جاء فى الخبر اذا نزع أحدهما تبعه الآخر وروينا فى ذلك حديثا
من طريق أهل البيت الزهد والورع يجولان فى القلب كل ليلة فان صادفا قلبا فيه الايمان والحياء اقاما فيه
والا ارتحلا والقناعة باب من الزهد أيضا والرضا باليسير من الاشياء حال من الزهد والتقلل فى الاشياء
مفتاح الزهد وقال ابراهيم بن أدهم رحمه الله قد حجبت قلوبنا بثلاثة أغطية فلن يكشف للعبد اليقين حتى
ترفع هذه الحجب الفرح بالموجود والحزن على المفقود والسرور بالمدح فاذا فرحت بالموجود فأنت
حريص والحريص محروم واذا حزنت على المفقود فأنت ساخط والساخط معذب واذا سررت بالمدح
فأنت معجب والعجب يحبط العمل وقال الله تعالى لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم
أى منها وهذان الوصفان هما أتم حال فى الزهد من أعطى أحدهما تبعه الآخر لان الذى لا يأسى
على ما فاته من الدنيا هو الذى لا يفرح بما أتاه منها لانه مثله والذى لا يفرح بما أتاه منها هو الذى لا يحزن
على ما فاته وهذا وصف عبد غير مملوك وسيما عبد قائم بحكم ربه ونعت عبد موقن محب قد شغله
مشاهدة الآخرة عن التفرغ لمتعة الدنيا وقد فرغته معاينة الآخرة من الاشتغال بما يغنى وفى أحد
الوجوه من قوله تعالى وانه هو أغنى وأقنى قيل أغنى أهل الآخرة بالله سبحانه وتعالى وأغناهم عن
الدنيا للآخرة وأقنى أهل الدنيا من الدنيا أى جعل لهم قنية ومدخرا وعدة كما وصف من ذمه من قوله تعالى
جمع مالا وعدده أى قال هذا عدة لكذا وهذه عدة لكذا فهدده بالويل فصل من ذلك ان الزاهد فى المال
عدته الله تعالى فى كل الاحوال وكنزه وذخره وطوبى له وحسن مآب وروينا عن النبى صلى الله عليه وسلم
انه قال كفى باليقين غنى وكفى بالعبادة شغلا وكفى بالموت واعظا وهذا جملة وصف الزاهد الموقن الذى
هو للموت مرتقب مع الخبر المشهور ليس الغنى عن كثرة العرض انما الغنى غنى النفس وقد جعل النبى
صلى الله عليه وسلم الزهد فى الدنيا علما لحقيقة الايمان وقربه بمشاهدة الايقان فى قوله عليه الصلاة والسلام
لحارثة عرفت فالزم عبد نور الله قلبه لما قال أنا مؤمن حقا قال وما حقيقة ايمانك فابتدأ بالزهد فقال عزفت
نفسى عن الدنيا فاستوى عندى حجرها وذهبها وكأنى بالجنة والنار وكأنى بعرش ربى بارزا وأشد من
هذا الخبر الآخر الذى جعل النبى صلى الله عليه وسلم الزهد من علامة شرح الصدر بالنور وهو نور التصديق
الذى هو عموم وصف المؤمنين لانه هو فى التحقيق الاسلام ففسر قوله تعالى فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره
للاسلام قيل يا رسول الله ما هذا الشرح قال ان النور اذا دخل القلب انشرح له الصدر وانفتح قيل يا رسول
الله هل لذلك من علامة قال نعم التجافى عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله
فهذا هو الزهد جعله شرطا لحقيقة الاسلام وأشد من هذين الخبرين الخبر الثالث الذى فسر الحياء من الله
تعالى بالزهد فى الدنيا فقال استحيوا من الله تعالى حق الحياء قلنا انا نستحى قال تبنون ما لا تسكنون

فقلت زوجينى نفسك قالت
اخطبنى الى سيدى
وامهرنى فقلت ما مهرك
فقالت حبس نفسك عن
آفاتها شعر
فيا عجبا ندرى بنار وجنة
وليس لذى نشتاق أو تلك
نحذر
اذا لم يكن خوف وشوق
ولا حيا
فماذا بقى فينا من الخير
يذكر
ولسنا نحر صابرين ولا بلى
فكيف على النيران يا قوم
نصبر
وفوت جنان الخلد أعظم
حسرة
على تلك فليتحسر المتحسر
فاف لنا اف كلاب مزابل
الى نتن الغدو ولا نتدبر
نبيع خطيرا بالحقير عماية
وليس لنا عقل وناب منوّر
فطوبى لمن يؤتى القناعة
والتقى
وأوقاته فى طاعة الله يعمر
اللهم انا نسألك الجنة وما
قرب اليها من قول وعمل
ونية واعتقاد ونعوذ بك
من النار وما قرب اليها
من قول وعمل ونية
واعتقاد
(فصل فى الرؤية) قال
الله تعالى للذين أحسنوا
الحسنى وزيادة ت عن
سعيد بن المسيب انه لقى
أبا هريرة فقال أبو هريرة

وتجمعون

بشكره وجعل لكم الارض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وهم من كل حدب ينسلون ان ربى لطيف لما يشاء فاجتمع الفرق وارتتق الفتق وغاب كل متفرق ونطق وكان عرشه على الماء ليبلوكم وهذه مشاهدة أبناء الآخرة هى أعلى من زهدهم فى الدنيا وافترق الجمع وافتتق الرتق وظهر من الماء كل شئ حى ظاهر واتسع الفضاء واستتر الغطاء وو جد التفصيل وحكم الحسبان بالتفصيل كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شئ حى أفلا يؤمنون هذه مشاهدة أبناء الدنيا هى أعظم عليهم اذا انتقلوا من غيبهم وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا هذه مشاهدة العموم عند الموت فيعظم عليهم بالحسرة الفوت وقد فرغ الخصوص من نصيبهم لمشاهدته فهم ناظرون الى مستقبل المزيد مشغولون به عن العبيد قائمون بشاهد الحق لهم متصرفون باشهاده اياهم ظاهرا وباطنا ولطيفا ومستترا ومعروفا ومنكرا والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون فما غاب عليه لا يظهر وما غلبه عليهم اياهم قهر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أصدق كلمة قالها الشاعر

* ألا كل شئ ما خلا الله باطل * وقال فالحق والحق أقول خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل شئ قدير وأن الله قد أحاط بكل شئ علما وكان ابن عباس رضى الله عنهما يقول لو فسرت لكم هذه الآية لكفرتم قيل وكيف قال كنتم تنكرونها وانكاركم لها كفر بها وفى لفظ آخر لو فسرت الآية التى فى سورة النساء القصرى لرجمتونى بالحجارة معناه لكفرتمونى لانهم لا يقتلون الا كافرا عندهم ورويناعنه فى قوله تعالى جميعا منه قال فى كل شئ اسم حرف من أسمائه فاسم كل شئ من اسمه فانما أنت بين أسمائه وصفاته وأفعاله باطنا بقدرته وظاهرا بحكمته وبمعناه كان أبو محمد رحمه الله تعالى يتأول قوله ما نزل من السماء أعز من اليقين فغابت السبع فى السبع العلى والسبع السفلى لما طوى نفس الهوى وغابت العليا والسفلى فى ملكوت العرش والثرى لما طوى طى النفس وغاب العرش والثرى فى جبروت الاعلى لما مضى طى الطى وحضر الازلى الاول اذا غاب الحدثان الثانى وظهر الباطن الاخير حين بطن الظاهر الساتر فصار العبد شهيدا لقول الرسول صلى الله عليه وسلم ألا كل شئ ما خلا الله باطل وأراه الآيات فى الآفاق فتبين الحق بقول الحق سبحانه وتعالى سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق أولم يكف بربك انه على كل شئ شهيد ألا انهم فى مرية من لقاء ربهم ألا انه بكل شئ محيط وكذلك قال الرسول صلى الله عليه وسلم للرجل الذى قال اللهم أرنى الدنيا كما تراها فقال لا تقل هكذا فان الله تعالى لا يرى الدنيا كما تراها ولكن قل أرنى الدنيا كما يراها الصالح من عبادك وهذه شهادة أهل الله تعالى وغابت فيه الشهادة الاولى كما غيبت تلك الاولى مشاهدة أهل الدنيا فكشف هذا المقام واظهار هذه الشهادة لا تحل الا لشهيد ذى مقام فى الصدق يقين عتيد وقال الحكيم لقد عزت معانيه فغابت عن الابصار الا الشهيد وهم أولو المطالع فى القرآن الذين سلموا من هول المطلع فى العيان وافشاء سر الربوبية معصية واعلان سر السر كفر ولكن يحتاج هذا الزاهد أن يشهد المزهود بمنزلة الزهد ان لم يبلغ نظره شهادة المزهد الاحد ليكون من أهل السمع والشهادة فينبئ بذكر قلبه معارفه والعادة ويكون عند الله شهيدا له أجره ونوره كما قال الشاهد الاعلى والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم فكيف يكون شهيدا من لم يشهد بشهادته بل كيف يشهد وصف الاولية بغير نورها أم كيف يقوم بشهادته من لم يشهد قيومية بل كيف يرى قيوميته بغير نور وحدانية فان لم يقرب فى هذا المكان وكما قال أو ألقى السمع وهو شهيد فيسمع من مكان هو الى جنب القرب بعيد ويكون من أهل البيان والفكر كقول الحق المبين كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون فى الدنيا والآخرة أى تتفكرون فى فناء الدنيا وزوالها وبقاء الآخرة ودوامها فتؤثرون الباقى الدائم وترغبون فيه على الزائل الفانى وتزهدون فيه لان ما يكون

خ م عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لاعلم آخر أهل النار خروجا منها وآخر أهل الجنة دخولا الجنة رجل يخرج من النار حبوا فيقول الله تبارك وتعالى له اذهب فادخل الجنة فيأتيها فيخيل اليه انها ملأى فيرجع فيقول يارب وجدتها ملأى فيقول الله له اذهب فادخل الجنة قال فيأتيها فيخيل اليه انها ملأى فيرجع فيقول يارب وجدتها ملأى فيقول الله له اذهب فادخل الجنة فان لك مثل الدنيا وعشرة امثالها أو ان لك عشرة أمثال الدنيا قال فيقول أتسخر بى أو تضحك بى وأنت الملك قال لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه قال وكان يقال ذلك أدنى أهل الجنة منزلة ات عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر الى جنانه وأزواجه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة ألف سنة وأكرمهم على الله من ينظر الى وجهه غدوة وعشية ثم قرأ وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة رزقنا الله تعالى واياكم النظر الى

جد الزاهد أن يكون شاكرا عند الرخاء صابرا عند البلاء وقال بشر بن الحرث رحمه الله الزهد في الدنيا
هو الزهد في الناس من زهد فيهم فقد زهد في الدنيا وكذلك قال بعض الحكماء اذا طلب الزاهد الناس فاهرب
منه واذا هرب من الناس فاطلبه وقيل ليحيى بن معاذ رحمه الله متى يكون الرجل زاهدا فقال اذا بلغ حرصه
في ترك الدنيا حرص الطالب لها كان زاهدا وقال قاسم الجوعي الزهد في الدنيا هو الزهد في الجوف بقدر
ما تملك من بطنك كذلك تملك من الزهد فكانت الدنيا عنده الشبع وأكل الشهوات وقال فضيل بن عياض
رحمه الله الزهد هو القناعة فكانت الدنيا عنده هو الحرص والشره وقال الثوري الزهد هو قصر الامل فكانت
الدنيا عنده طول الامل وكان أبو سليمان الداراني رحمه الله تعالى يقول الدنيا كل ما يشغلك عن الله تعالى
فكان الزهد عنده التفرغ لله تعالى وقد قال انما الزاهد من تخلى عن الدنيا واشتغل بالعبادة والاجتهاد فأما
من تركها وتبطل فانما طلب الراحة لنفسه وكان داود الطائي رحمه الله تعالى يقول كلما شغلك عن الله
تعالى من أهل أو مال فهو عليك شؤم وقال أبو سليمان من تزوج أو كتب الحديث أو طلب معاشا فقد
ركن الى الدنيا وقرأ قوله تعالى الا من أتى الله بقلب سليم قال هو القلب الذي ليس فيه غير الله تعالى وقال
انما زهدوا في الدنيا لتفرغ قلوبهم من همومها للآخرة وقد قال أويس القرني رحمه الله تعالى اذا خرج
بطلب ذهب الزهد وكان امامنا وشيخنا أبو محمد سهل بن عبد الله رحمه الله يقول أول الزهد التوكل
وأوسطه اظهار القدرة وقال لا يزهد العبد زهدا حقيقيا لا رجعة بعده الا بعد مشاهدة قدرة فان أول
القدرة عندي ان يشهد ما سمع من كلام القادر المزهد اذ يقول تبارك وتعالى ومما توقدون عليه في النار
ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله فالحلية الذهب والفضة وهما قيم الاشياء اللذان ملكا النفوس ونكسا الرؤس
فالمتاع ما سواهما من معادن الارض فاذا شهد العبد الذهب الذي هو سبب الدنيا ولاجله أشرك من أشرك
وبحبائله ارتبك من ارتبك ولوقوع حلاوته في القلب وقع من وقع فاذا شهد جوهر الذهب والفضة زبدا
طافيا على وجه الماء لا نفع فيه ولا غنية به ولا قيمة له زهد فيه حينئذ زهدا صادقا فكان زهده معاينة لا خبرا وكان
من المؤمنين حقا الذين وصفهم الحق بالحق في قوله تعالى اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته
زادتهم ايمانا فالزهد مزيد الايمان ثم قال وعلى ربهم يتوكلون فالزهد يدخل في التوكل ثم قال فاتخذه وكيلا
واصبر على ما يقولون فالتوكل يوقف على الصبر وكان هذا قد سمع من كلام الله تعالى فعقله فابلغه الله تعالى
مأمنه في المقام الامين في جنات وعيون واستحق وصف الله تعالى بالايمان اذا تلا القرآن بحقيقة الايقان
فقال عز وجل الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به وذلك ان هذا الزبد تشبيه من الله
تعالى لمثل ضربه للحق والباطل فالمثل هو الماء والزبد فمثل الحق في نفعه وبقائه بالماء ومثل الباطل في
ذهابه وقلة نفعه بالزبد ثم شبه الذهب لذهابه عن الحقيقة بالزبد تشبيه مماثلة لا تشبيه مجاز لقوله زبد مثله
والمماثلة مستقصاة ثم قال كذلك يضرب الله الامثال للذين استجابوا لربهم الحسنى أي الجنة والبقاء وقال
تعالى للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء هم المريدون للحياة الدنيا وزينتها الراضون المطمئنون بما
ليس لهم في الآخرة الا النار فسبحان من نفذ بصره الابصار وسبحان مقلب الليل والنهار وسبحان من
كل شئ عنده بمقدار يبصر ما لا نبصر كما يقدر على ما لا نقدر خص المشاهدين بمعنى مشاهدته كما خصهم
بالاحاطة بشئ من علمه فأحاط عليهم بما شاء لما أحاط لهم ما شاء فكان الذهب والفضة عندهم زبدا طافيا تفرقه
الرياح فيكون فوق الماء متجافيا وهما من معادن الجبال فكانت الجبال عندهم امواجا ثابتة بالنبات وساكنة
بتسكين تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي أتقن كل شئ وصارت الارض بحرا عجاجا يضرب
بالامواج فيظهر بينهما من المدن والقفار للاستواء والاعوجاج وصار الانام يسبحون في الاسراب يدبون
بين المناكب والاحداب أظهر فيهما من كل شئ موزون بمقدار كتنفس النهار في الليل وكالعشاء على
السبيل ذلك لظهور حكمته وخفي قدرته ولطيف صنعه ودقيق صنعته ذلك لشهود نعمته من القيام

غشيتهم سحابة من فوقهم فأمطرت عليهم طيبا لم يجدوا مثل ريحه قط ويقول ربنا قوموا الى ما أعددت لكم من الكرامة فخذوا ما اشتهيتم فنأتي سوقا قد حفت به الملائكة فيها ما لم تنظر العيون الى مثله ولم تسمع الآذان ولم يخطر على القلوب فيحمل لنا ما اشتهينا ليس يباع فيها ولا يشترى وفي ذلك السوق يلقى أهل الجنة بعضهم بعضا قال فيقبل الرجل ذو المنزلة المرتفعة فيلقى من هو دونه وما فيهم دني فيروعه ما يرى عليه من اللباس فما ينقضي آخر حديثه حتى يتخيل عليه ما هو أحسن منه وذلك انه لا ينبغي لاحد ان يحزن فيها ثم ننصرف الى منازلنا فيتلقانا أزواجنا فيقلن مرحبا وأهلا لقد جئت وان بك من الجمال أفضل مما فارقتنا عليه فنقول انا جالسنا اليوم ربنا الجبار ويحقنا ان ننقلب بمثل ما انقلبنا ت عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أدنى أهل الجنة له ثمانون ألف خادم واثنتان وسبعون زوجة وينصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية الى صنعاء

والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله ورويناه في أخبار عيسى عليه السلام انه مر في سياحته ومعه طائفة من الحواريين بذهب مصبوب في الارض فوقف عليه ثم قال هذا القاتول فاحذروه ثم عبر وأصحابه فتخلف ثلاثة لاجل الذهب فأقام اثنان ودفعا الى واحد شيأ منه يشتري لهم من الطيبات من أقرب الامصار اليهم فوسوس اليهما العدو ترضيان أن يكون هذا المال بينكم أثلاثا اقتلاه هذا فيكون المال بينكم نصفين فأجمعا على قتله اذا رجع اليهما قال وجاء الشيطان الى الثالث فوسوس اليه أرضيت لنفسك أن تأخذ ثلث المال اقتلهما فيكون المال كله لك قال فاشترى سما فجعله في الطعام فلما جاء همابه وثبا عليه فقتلاه ثم قعدا يأكلان الطعام فلما فرغا ماتا فرجع عيسى عليه السلام من سياحته فنظر اليهم حول الذهب صرعى والذهب بحاله فعجب أصحابه وقالوا ما شأن هؤلاء فأخبرهم بهذه القصة وقيل لابن المبارك من الناس قال العلماء قيل فمن الملوك قال الزاهدون ورويناه عن ابن المسيب عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من زهد في الدنيا أدخل الله تبارك وتعالى الحكمة قلبه وأنطق بها لسانه وبصره داء الدنيا ودواءها وأخرجه منها سالما الى دار السلام ورويناه في أخبار الدنيا دار من لادار له ومال من لامال له ولها يجمع من لاعقل له وكان الحسن البصري رحمه الله تعالى يقول رأيت سبعين بدريا كانوا والله فيما أحل الله تعالى لهم أزهد منكم فيما حرم الله تعالى عليكم وفي حديث آخر كانوا بالبلاء والشدة تصيبهم أشد فرحا منكم بالخصب والرخاء لو رأيتموهم قلتم مجانين ولو رأوا خياركم قالوا ما لهؤلاء من خلاق ولو رأوا أشراركم قالوا ما يؤمن هؤلاء بيوم الحساب قال وكان أحدهم يعرض له المال الحلال فلا يأخذه ويقول أخاف أن يفسد علي قلبي فمن كان له قلب حفظه من فساده وصانه من تغيره وابعاده وعمل في صلاحه وارشاده ومن لم يكن له قلب فهو يتقلب في ظلمات الهوى فربما انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة أو يكون من أهل الرضا بالدنيا وأهل الغفلة عن آيات الله تعالى فيكون قد رضي بالدني وآثره على من ليس كمثله شئ كوصف من أخبر الله تعالى عنه في قوله تعالى ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون فيستحق الاعراض من الحبيب ويستوجب المقت من القريب كما قال من أمر الله تعالى بالاعراض عنهم وترك القبول منهم اذ يقول عز من قائل فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم وقال عز وجل ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا أي تجاوز المنهي عنه مقصرا عما أمر به وقيل مقدما الى الهلاك وقد نهى الله تعالى رسوله أن يوسع نظره الى أهل الدنيا امتثالهم وأخبر أن ما أظهره من زهرة الدنيا فتنة لهم وأعلم أن القناعة والزهد خير وأبقى تنتظم هذه المعاني في قوله تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى قيل القناعة وقيل قوت يوم بيوم ويقال الزهد في الدنيا وهذا الوجه أشبه بكتاب الله تعالى بدليل قوله تعالى والآخرة خير وأبقى وكذلك قوله تعالى ورزق ربك خير وأبقى يعني الزهد في الدنيا وقال أيضا في مثله بقية الله خير لكم يعني القناعة وقيل الحلال وفي خبران رسول الله صلى الله عليه وسلم مر في أصحابه بعشار من النوق حفل وهي الحوامل وكانت من أحب اموالهم اليهم وأنفسه عندهم لانها تجمع الظهر واللحم واللبن والولد والوبر وهي الرواحل من الابل التي ضرب النبي عليه السلام بها مثل خيار الناس فقال عليه السلام الناس كابل مائة لا تكاد تجد فيها راحلة أي الابل كثيرة والراحلة التي تجمع هذه الاوصاف الحسنة من الابل قليل وهي العشار التي ذكر الله تعالى في قوله واذا العشار عطلت أي تركها أهلها وهربوا والهول قيام الساعة شغلا بنفوسهم عنها قال فأعرض عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم وغض بصره فقيل له يا رسول الله هذه أنفس أموالنا لا تنظر اليها فقال قد نهاني الله تعالى عن ذلك ثم تلا هذه الآية ولا تمدن عينيك الآية وفي حديث عمر رضي الله عنه لما نزلت هذه الآية والذين يكنزون الذهب والفضة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تبا للدينار والدرهم قال فما نأخذ أنا الله تعالى

عليم بأني لست أهلا وعلهم
ولكن جرى ما كان في اللوح فعلا
ولو لم يعفنا الا لطيف موفق
لصار الهوى الوعظ للناس عطلا
فما كان من جهل وسهو وعثرة
وكبر وعجب والرياء تنزلا
أعفني منها الهي وسيدي
وأحبابنا الاعمروا العمدى افتخالا
وبلغ مرادي واقض حاجة باطني
وسلم ووفق واعف عنا تفضلا
بحق كتاب فرقان محمدا
وما فيه من اسم عظيم مبجلا
وتوراة موسى ثم انجيل ذي الكلا
م مهد صبيا ثم اسمائك الولا
وحق جميع الانبياء وآلهم
واعلام دين والمشايخ كلا
وصل على خير الانام وآله
وصحبه وكل الانبياء على الولا
وأرض جميع الاولياء ومشايخ
واسلام دين صار منه سم تكملا

آخره فناء يشبه آخره أول أمره وأوله لم يكن ومايكون آخره بقاء فكأنه لم يزل فاشبه أوله آخره في البقاء وكذلك قال العليم الحكيم والآخرة خير وأبقى فوصفها بالقائم الباقي المآل بوصفين من صفاته كما قال تعالى والله خير وأبقى ولانه قال تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق فنسب الدنيا الينا ليذمها الينا لانا أهل الفناء وليزهدنا فيها وأضاف الآخرة اليه ليعزها به لانه أهل البقاء وليرغبنا فيها فاذا شهد العبد بعين قلبه ويقين ايمانه ماصدق به مما عقله الذي هو فهم سمعه وادراك خبره ما يفنى آخره كأنه لم يكن وما يبقى آخره كأنه لم يزل كان من المتفكرين في هذه الآية المشاهدين لها ومن تلاها حق تلاوتها فآمن بحقيقة الايمان وزهد في الدنيا حقيقة الزهد ورغب في الآخرة حق الرغبة وكان من أولى الايدي والابصار أي من ذوي القوى في الدين والبصائر في اليقين فلما أبصر بقواه عبر الدنيا الى الله تعالى وكان زاده تقواه كما قال تعالى ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون أي تذكرون الفرد ففروا الى الله أي من الاشكال والاضداد وكما قال فاعتبروا يا أولي الابصار فعبر لما أبصر معه عندها كان ممن أخذ الكتاب بقوة قيل بعمل فيه وقيل بيقين فيه ويقال بجد واجتهاد فكان من المحسنين الذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة وتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض الآية وقال ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها ويل لمن تلاها ومسح بها سبلته وذلك ان السموات والارض عبر بهما عما وراءهما من درجات الجنان ودركات النيران وهو الملكوت الى الملك الباطن والملك الكبير فكشف هذان عما علا وسفل وأحاط بهما من العرش والثرى لمن تفكر فيهما ثم كشف ذلك له ورآه من العزة وجاوزت الافكار الملكوت لما شرحت القلوب بانوار اليقين الى الافق الاعلى والجبروت فنفذت أبصار المتفكرين بقواها الى مشاهدة ذلك وبقيت أنوار يقينهم معاينة ما أحاط بذلك وهو ما قدمنا ذكره آنفا مما لم ينظر بنور كشفه كنحو ما نبه الله تعالى العباد عما يشهدون الى ما وراءه مما به أيقنوا وللمؤمنين مشاهدة للدنيا قريبة دون هذه من طريق العقول يشهدون انها عقوبة كما قيل ما فتحت الدنيا على عبد الا مكرا به ولا زويت عنه الا نظرا له وسمعنا في أخبار داود عليه السلام ان الله تعالى أوحى اليه تدري لم ابتليت آدم بأكل الشجرة لاني جعلت معصيته سببا لعمارة الدنيا فينبغي في دليل الخطاب أن تكون الطاعة سبب خرابها وهو الزهد فيها افصح بذلك الخبر المشهور حب الدنيا رأس كل خطيئة لانه كان أساسها ولكن لا يسع ذلك العامة لانهم مرادون بالعمارة وصلح لنفر من الخاصة لان نقصان عددهم من الكافة لا ينقص عمارة الدنيا اذ المراد عمارتها باهلها ويقال عن آدم عليه السلام لما أكل من الشجرة تحركت معدته لخروج الثفل ولم يكن ذلك مجعولا في شيء من أطعمة الجنة الا في هذه الشجرة فلذلك نهيا عن أكلها قال فجعل يدور في الجنة فأمر الله تعالى ملكا يخاطبه فقال له أي شيء تريد فقال آدم عليه السلام أريد أن أضع ما في بطني من أذى فقيل للملك قل له في أي مكان تضعه على الفرش أم على السرر أم على الانهار أم تحت ظلال الاشجار هل ترى ههنا موضعا يصلح لذلك ولكن اهبط الى الدنيا قال وتلطف الله تعالى له بهذا المعنى فاهبطه الى الارض وقد نغص الله تعالى فاكهة الدنيا وغيرها بحشو العجم والثفل ليزهد فيها وأخبر انها مقطوعة ممنوعة ليرغب في الدائم الموهوب وكان بعض العلماء يقول ما سطع لي زينة من زخرف الدنيا الا كشف لي باطنه فظهر لي عزوف عنه فهذه عناية من الله تعالى بمن وليه من أوليائه المقربين منه فمن شهد الدنيا بأول وصفها لم يغتر بآخره ومن عرفها بباطن حقيقتها لم يعجب بظاهرها ومن كوشف بعاقبتها لم يستهوه زخرفها وكان عيسى عليه السلام يقول ويلكم علماء السوء مثلكم مثل قناة حش ظاهرها جص وباطنها نتن وقال مالك بن دينار رحمه الله اتقوا السحارة فانها تسحر قلوب العلماء يعني الدنيا فمن حرص على الدنيا بالباطل فقد قتل نفسه فان قوي حرصها عليه او اشتد عشقه لها قتل غيره قال الله تعالى ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ولا تقتلوا أنفسكم وقال في قتل غيره بصده اياه عن سبيل الله ان كثيرا من الاحبار

والرهبان

وجهه الكريم وادخلنا دار النعيم بمحض فضله وكرمه العظيم أيها المسكين لا حزم ولا احتياط للعبد أحسن من طاعة سيده الذي براه ولا حماقة ولا سفاهة أكبر من الاغترار بحلم مولاه ولا حسرة أعظم من فوت الجنة ونعيمها ولا زاد أفضل من التقوى ورعايتها ولله در القائل شعر

حياة القلب علم فاغتنمه * وموت القلب جهل فاجتنبه
وخير الزاد تقوى فادخره * كفاك الوعظ هذا فاتبعه

اللهم ارزقنا اتباعه واغفر لنا زلاتنا وعثراتنا واغفر لنا خطيئاتنا واستر عيوبنا وامح ذنوبنا واعف عن زلة اللسان وعثرة القلم انك أنت الاعز الاكرم شعر

أيا عدتي عند الشدائد والبلى
وذخري لما قد كان يأتي مهولا
كسبت ذنوبا لا أطيق أعدها
وذكرت ناسا من عبادك غفلا
واني غفول ذو معاص كثيرة
أسير الهوى كسلان طاعة ذي العلا

وعظ الناس وعليه ثياب الفساق قلت وما كان عليه قال ثياب رقاق وجاء عامر بن عبد الله بن ربيعة الى أبي ذر رضي الله عنه في بزته فجعل يتكلم في الزهد فوضع أبو ذر راحته على فيه وجعل يضرط به فغضب عامر فأتى ابن عمر رضي الله عنهما فقال ألم تر مالقيت من أخيك أبي ذر قال وماذاك قال جعلت أقول في الزهد فأخذ يهزأ بي فقال ابن عمر أنت صنعت بنفسك تأتي أبا ذر في هذه البزة وتتكلم في الزهد وقال علي كرم الله وجهه ان الله تعالى أخذ على أئمة الهدى أن يكونوا في مثل أدنى أحوال الناس ليقتدي بهم الغني ولا يزري بالفقير فقره وقد عوتب عمر رضي الله عنه في لباسه وكان يلبس الخشن من الكتان قيمة قميصه ثلاثة دراهم وخمسة دراهم ويقطع مافضل عن أطراف أصابعه وقال هذا أدنى الى التواضع وأجدر أن يقتدي بي المسلم وأتت برود من اليمن الى عمر رضي الله عنه فقسمها على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بردا بردا ثم صعد المنبر يوم الجمعة فخطب الناس في حلة منها والحلة عند العرب ثوبان من جنس واحد وكان ذلك من أحسن زيهم فقال ألا اسمعوا ألا اسمعوا ثم وعظ فقام سلمان فقال والله لا نسمع والله لا نسمع قال وما ذاك قال لانك قد أعطيتنا ثوبا ثوبا وخرجت في حلة فقد تفضلت علينا بالدنيا فتبسم ثم قال عجلت يا أبا عبد الله رحمك الله اني كنت غسلت ثوبي الخلق فاستعرت برد عبد الله بن عمر فلبسته مع بردي فقال سلمان قل الآن حتى نسمع ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التنعم وقال ان عباد الله تعالى ليسوا بالمتنعمين وروي فضالة بن عبيد وهو والي مصر أشعث حافيا فقيل له أنت الامير وأنت هكذا فقال نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الارفاه وأمرنا أن نحتفي أحيانا وروينا أن عمر رضي الله عنه خطب الناس فقال أنشد الله رجلا علم في عيبا الا أخبرني به فقام شاب فقال فيك عيبان اثنان قال وماهما رحمك الله قال تذيل بين البردين وتجمع بين الادمين قال فما أذال بين البردين وما جمع بين الادمين حتى لقي الله تعالى هكذا وجدناه قال الشيخ باسناده يذيل بالذال فمعناه تجمع بين ذيليهما فيتفق ذيل الاعلى على ذيل الاسفل من طول البرد الاعلى وأنا أحسب أن معناه تديل بالدال أي تبدل أحدهما بالآخر دولة ذا ودولة ذا ويصلح أن يكون بالذال من الاذالة أي الوضع يقال أذل هذا وأذل هذا مثل قول الناس من اذالة العلم ان يجيب العالم عن كل مايسأل عنه كأنه أراد تضعهما عندك معا وهو راجع الى معنى تديل من الدولة وقال علي لعمر رضي الله تعالى عنهما ان أردت أن تلحق بصاحبيك فارقع القميص ونكس الازار واخصف النعل وكل دون الشبع وكان عمر رضي الله تعالى عنه يقول اخشوشنوا واخشوشنوا وتمعددوا واياكم وزي العجم كسرى وقيصر وقال علي رضي الله تعالى عنه من تزيا بزي قوم فهو منهم وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد من هذا ان من شرار أمتي الذين غذوا بالنعيم الذين يطلبون ألوان الطعام وألوان الثياب ويتشدقون في الكلام ولما قدم عمير بن سعد أمير حمص على عمر رضي الله عنه قال له مامعك من الدنيا ياعمير قال معي عصاي أتوكأ عليها وأقتل بها حية ان لقيتها ومعي جرابي أحمل فيه طعامي ومعي قصعتي آكل فيها وأغسل فيها رأسي وثوبي ومعي مطهرتي أحمل فيها شرابي ووضوئي للصلاة يعني السطيحة فما كان بعد هذا من الدنيا فهو تبع لما معي فقال له عمر صدقت رحمك الله وكان عمر رضي الله عنه قد كتب الى أهل حمص أن عدوا الى فقرائكم وسموا لي في الكتاب نفرا وذكروا فيهم سعيد بن حذيم ويقال بل عمير بن سعد فقال عمر من سعيد بن حذيم فقالوا أميرنا يا أمير المؤمنين قال أو فقير هو قالوا انه ما فينا أفقر منه قال فما فعل عطاؤه قالوا يخرجه كله لا يترك لنفسه ولا لاهله شيأ منه فوجه اليه عمر رضي الله عنه بأربعمائة دينار وسأله أن ينفقها على نفسه وأهله فلما وصلت اليه دخل على زوجته وهو يبكي فقالت له ما شأنك مات أمير المؤمنين قال أعظم من ذلك قالت فتق فتق في المسلمين قال أشد من ذلك قالت فما هو قال أتتني الدنيا قد كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم تفتح الدنيا علي ثم كنت في أيام أبي بكر رضي الله عنه فلم تفتح الدنيا علي وخلفت الى أيام عمر رضي الله عنه ألا وشر أيامي أيام عمر ثم حمد ثم قالت نفسي فداؤك فاصنع بها ما بدا لك فقال أوتساعديني على ما أريد قالت نعم قال اعطيني خلق ذلك البرد قال فجعل يجزئه

(هذا كتاب سراج القلوب في كيفية الوصول الى المحبوب)

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الامام العالم العامل المتقن المحقق عماد الدين محمد بن الحسن بن علي القرشي الاموي الاسنوي الاشعري رحم الله سلفه وبوأه من أعلى الجنان غرفه الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل الحمد لله المتفرد بالالهية الازلية والربوبية التي وجب له نعت الوحدانية وصفة الفردانية تفرد بالربوبية واختص بالالوهية لم تكن لازليته ابتداء ولا لابديته انتهاء أحاط بالاشياء قبل كونها علما ونفذت فيها ارادته أبد الابد وسابقا السرمد وأحدث الاشياء الحي منها والميت والناطق والصامت وأبدع موادها وصورها وأشكالها وتراكيبها وسائر أعراضها ليظهر لاولي العقول من مخلوقاته باهر عظمته وعظيم قدرته وبالغ حكمته وعجائب صنعته ونفوذ مشيئته وارادته فظهر لهم بذلك عظيم القدرة وبالغ الحكمة وعجائب الصنعة وأسرار التدبير ونفوذ المشيئة واحاطة العلم وعلم

عن كنز الذهب والفضة فأى شئ نتخذه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليتخذ أحدكم لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا وزوجة صالحة تعينه على أمر الآخرة وفى حديث حذيفة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من آثر الدنيا على الآخرة ابتلاه الله تعالى بثلاث هما لا يفارق قلبه أبدا وفقر لا يستغنى أبدا وحرص لا يشبع أبدا ورويناحديثا مرسلا عن على بن معبد عن على بن أبى طلحة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يستكمل العبد الايمان حتى يكون أن لا يعرف أحب اليه من أن يعرف وحتى يكون قلة الشئ أحب اليه من كثرة الشئ وروينا عن عيسى عليه السلام الدنيا قنطرة تخلقت بعبرها الى الآخرة فاعبروها ولا تعمروها وقال له رجل احملنى معك فى سياحتك فقال اخرج مالك وألحقنى قال لا أستطيع فقال عيسى عليه السلام بشدة يدخل الغنى الجنة أو قال بجهد وقالوا له لو أمرتنا يانبى الله أن نبنى بيتا نعبد الله فيه فقال اذهبوا فابنوا بيتا على الماء قالوا كيف يستقيم بنيان على الماء قال فكيف تستقيم عبادة على حب الدنيا وقال لا يبلغ أحدكم حقيقة الايمان حتى لا يحب أن يحمد بعبادة الله تعالى ولا يبالى من أكل الدنيا وكان بشر ابن الحرث يقول لا تحسن التقوى الا بزهد وقال مرة العبادة لا تليق بالاغنياء مثل العبادة على الغنى مثل روضة على المزبلة ومثل العبادة على الفقير مثل عقد الجوهر فى جيد الحسناء وقد استنبطنا ذلك من كتاب الله تعالى فعنى وصف الفقراء فى العبادة فى قوله سبحانه وتعالى للفقراء المهاجرين الذين أحصروا فى سبيل الله ثم قال تراهم ركعا سجدا فحسنت لبسة العبادة عليهم لحسن سيماهم بالفقر وروينا فى وصية لقمان لابنه وهو يحذره مداخل العدو قال واذا جاءك من قبل الفقر فاخبره أن الغنى من أطاع الله تعالى والفقير من انتهك معصيته واذا شهى اليك الغنى فاخبره أنه لا يحسن جمع الغنى والقراءة وقال بعض السلف أبى أهل العلم بالله تعالى أن يسمعوا الحكمة والوعظ الا من الزاهدين فى الدنيا وقالوا ليس أهل الدنيا لذلك أهلا ولا يليق بهم وروينا عن عيسى عليه السلام فيما أوحى الله تعالى اليه يا ابن آدم ابك أيام الحياة بكاء من ودع الدنيا وارتفعت رغبته الى ما عند الله تعالى اكتف بالبلغة من الدنيا يكفك منها الجشب والخشن بحق أقول لك ما أنت الا بيومك وساعتك مكتوب عليك ما أخذت من الدنيا وفيما أنفقته فاعمل على حسب هذا فانك مسؤل عنه لو رأيت ماوعدت الصالحين لزهقت نفسك فكان عيسى عليه السلام يقول حلاوة الدنيا مرارة الآخرة وجودة الثياب خيلاء القلب يعنى اعجابه وكبره وملء البطن جمام النفس يعنى قوتها واجتماعها بحق أقول لكم كما لا يلذ المريض بطيب الطعام كذلك لا يجد حلاوة العبادة من أحب الدنيا ومن الزهد فى الدنيا ترك الملبس الناعم والمنظور اليه المرتفع واجتناب النزهات من لطائف الطعام والتفتق فى الشهوات التى يرغب فيها المتنعمون وترك الزينة والمفاخر من الآلة والاثاث الذى يستأنس فيه المترفون ومن الزهد أن يكون الشئ الواحد يستعمل فى أشياء كثيرة كذلك كان سيرة السلف فى الاثاث وهو التقلل كما كان أبناء الدنيا يستعملون للشئ الواحد أشياء كثيرة وهو وصف من التكاثر وذلك من أبواب الدنيا وقال بعض السلف أول النسك الزى وقال بعض العلماء من رق ثوبه رق دينه وقال ابن مسعود رضى الله عنه لا يشبه الزى الزى حتى يشبه القلب القلب وفى الخبر المشهور البذاذة من الايمان قيل هو التقارب فى اللباس والحديث المشهور من ترك ثوب جمال وهو يقدر عليه تواضعا لله تعالى خيره الله تعالى من حلال الايمان أيها شاء وفى لفظ آخر من ترك زينة لله تعالى ووضع ثيابا حسنة تواضعا لله تعالى وابتغاء وجهه كان حقا على الله تعالى أن يدخله من عبقرى الجنة فى تخت الياقوت ولما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل قبا أتوه بشربة من لبن مشوبة بعسل فوضع القدح من يده قال أما انى لست أحرمه ولكنى أتركه تواضعا لله تعالى وأتى عمر رضى الله عنه بشربة من ماء بارد وعسل فى يوم صائف فقال اعزلوا عنى حسابها وأوحى الله تعالى الى نبى من أنبيائه قل لاوليائى لا تلبسوا ملابس أعدائى ولا تدخلوا مداخل أعدائى فتكونوا أعدائى كما هم أعدائى ولما خطب بشر بن مروان على منبر الكوفة قال بعض الصحابة انظروا الى أميركم

وشفعهم فينا لنجو من ردى
ومن نار تعذيب وما كان هائلا

اللهم اغفر لنا ما سلف من الذنوب واعصمنا فيما بقى من الاجل الهنا ومولانا نسألك أن تصلح شأننا وشأن أولادنا وأقاربنا وأصحابنا وأحبابنا واعف عنا وعن والدينا ومشايخنا وأحبابنا وعمن أحب وأحسن الينا والمسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين تم الكتاب بعون الله الملك الوهاب المسمى بسراج القلوب وعلاج الذنوب وصلى الله على خير خلقه سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين ويليه كتاب حياة القلوب فى كيفية الوصول الى المحبوب

تعالى ما ستر العورة وأديت فيه الفرائض والذي للنفس ما طلبت لينه ونقاءه والذي للناس ما طلبت جوهره وحسنه ثم قال وقد يكون الثوب الواحد لله تعالى وللنفس وقد كان بعض العلماء يكره أن يكون على الرجل من الثياب ما يجاوز قيمة أربعين درهما وبعضهم يقول الى المائة ويعده سرفا فيما جاوزها وكان جمهور العلماء وخيار التابعين قيمة ثيابهم ما بين العشرين الى الثلاثين وكان المتقدمون من الصحابة أثمان ازارهم اثنا عشر درهما فكانوا يلبسون ثوبين قيمة نيف وعشرين درهما واشترى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبا بأربعة دراهم وكان قيمة ثوبيه عشرة الى دينار وكان طول ازاره أربعة أذرع ونصف واشترى سراويل بثلاثة دراهم وكان يلبس شملتين بيضاوين من صوف وكانت تسمى حلة لانهما ثوبان من جنس واحد وربما لبس ثوبين من جنس واحد وربما لبس بردتين يمانيين أو سحوليين من هذه الغلاظ وفي الخبر كان قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه قميص زيات وقد لبس عليه السلام يوما واحدا ثوب سيراء من سندس قيمته مائتا درهم فكان أصحابه يلمسونه ويقولون انزل عليك هذا من الجنة تعجبا منه وكان قد أهداه اليه المقوقس ملك الاسكندرية فأراد أن يكرمه بقبول هديته ويلبسه ثم نزعه وأرسل به الى رجل من المشركين وصله به ثم حرم لبس الحرير والديباج وقد يكون لبسه اياه توكيدا للتحريم بعده كما لبس خاتما من ذهب يوما واحدا ثم نزعه فحرم لبسه على الرجال وكما قال لعائشة رضي الله عنها في شأن بريرة اشترطي لاهلها الولاء فلما اشترطته صعد المنبر فحرمه فهذا يكون مؤكدا للتحريم وكما أباح المتعة ثلاثا ثم حرمها لتوكيد أمر النكاح وقد يحتج بمثل هذا علماء الدنيا ويطرقون به لنفوسهم ويدعون الناس رحمة اليهم ويظهرون الدعوة الى الله تعالى تأولا بمتشابه الحديث كما تأول أهل الزيغ متشابه القرآن على علم على ما ابتغاء الفتنة وطلبا للدنيا لان حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم على معاني كلام الله تعالى فيه صدق وصواب محكم ومتشابه وخاص وعام وعدل علماء الدنيا وأهل الاهواء عن المحكم السائر من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله الى ما ذكرناه وقد صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في خميصة لها علم فلما سلم قال شغلني النظر الى هذه اذهبوا بها الى أبي جهم وأتوني بانبجانيته يعني كساءه فاختار لبس الكساء على الثوب الناعم وكذلك غير لان السارون الله عنها ستر افهتكه وقال كلما رأيته ذكرت الدنيا أرسلي به الى آل فلان وفرشت له عائشة رضي الله عنها ليلة فراشا جديدا وكان ينام على عباءة مثنية فما زال يتقلب ليلته فلما أصبح قال أعيدي العباءة الخلقة ونحي هذا الفراش عني قد أسهرني الليلة وكذلك أتته دنانير خمسة أو ستة عشاء فبيتها فسهر ليلته حتى أخرجها من آخر الليل قالت عائشة فنام حينئذ حتى سمعت غطيطه ثم قال ما ظن محمد بربه لو لقي الله تعالى وهذه عنده وكان شراك نعله العربي قد أخلق فابدل بسير جديد فصلى فيه فلما سلم قال أعيدوا الشراك الخلق وانزعوا هذا الجديد فاني نظرت اليه في الصلاة ولبس خاتما فنظر اليه وهو على المنبر نظرة فرمى به وقال شغلني هذا عنكم نظرة اليه ونظرة اليكم وقد قال الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحبني فليستن بسنتي وقال في الخبر المشهور عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ وقد كان أبو محمد سهل رحمه الله يقول من علامة حب الله تعالى حب النبي عليه السلام ومن علامة حب النبي صلى الله عليه وسلم حب السنة ومن علامة حب السنة بغض الدنيا وعلامة بغضها أن لا يأخذ منها الا زادا وبلغة وقال النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها ان أردت اللحوق بي فاياك ومجالسة الاغنياء ولا تنزعي ثوبا حتى ترقعيه وكان صلى الله عليه وسلم قد احتذى نعلين جديدتين فاعجبه حسنهما فخر ساجدا وقال أعجبني حسنهما فتواضعت لربي خشية أن يمقتني ثم خرج بهما فدفعهما الى أول مسكين رآه وأمر عليا رضي الله عنه فاحتذى له نعلين سبتيتين قال فرأيته وقد لبسهما يعني جرداوين أي معلوفتين وقال صلى الله عليه وسلم ان أقرب الناس مني مجلسا يوم القيامة من كان على مثل ما أنا عليه من الدنيا وكان صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا وقال عليه

الابرار والعلماء الانبياء ذوي البصائر النافذة والسرائر الطاهرة والاعمال الباطنة والظاهرة رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا ان حزب الله هم المفلحون *(أما بعد)* فان علم الباطن وهو المسمى بعلم القلب وبعلم التصوف علم جليل شريف نفيس وهو أجل العلوم وأشرفها وهو الزبدة الممخوضة من الشريعة التي لم تبعث الانبياء عليهم السلام الا لاجلها وقد حض الشرع عليه تحضيضا كثيرا في الكتاب العزيز وفي السنة النبوية وأكد في طلبه وتعلمه وفي العمل به بعد ان بينه وقسمه وأجمله وفصله وهو الطريق التي توصل الى الله وبه تعرف كيفية السير اليه والفرار منه وبالعمل به تنال سعادة الابد فيما سلف من الايام ومضى من الاعوام وحين اقامتي ببلاد الشام طالعت كثيرا من كلام الائمة الاعلام أرباب هذا العلم فجمعت منه ما قدره الله مفيدا لي وبسر وجهة منه بي وقد حرك الله مني في هذا الزمان داعية وقوى عندي عزيمة على تأليف كتاب في هذا العلم أجمع فيه ما كنت قد حصلته من كلام هؤلاء السادة ووقفت عليه في كتب المصنفين في علومهم فشرعت فيه مستعينا ومتوكلا على الله تعالى

و يصرها فيه صررا ما بين العشرة والخمسة والثلاثة حتى أفناها ثم جعلها في مخلاة وتأبطها وخرج فاعترض جيشا من المسلمين يريدون الغزو فجعل يدفع اليهم صرة صرة على نحو ما يرى من حالهم ثم رجع ولم يترك لاهله منها دينارا فهذه كانت شمائل جلة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين لهم باحسان رضي الله تعالى عنهم وروينا في حديث عياض بن غنم عن النبي صلى الله عليه وسلم في وصف الاخيار ان من خيار أمتي فيما أنبأني الملأ الاعلى قوم يضحكون جهرا من سعة رحمة ربهم ويبكون سرا من خوف عذابه مؤنتهم على الناس خفيفة وعلى أنفسهم ثقيلة يلبسون الخلقان ويتبعون الرهبان أجسامهم في الارض وأفئدتهم عند العرش وفي حديث أبي الدرداء رضي الله عنه لما وصف الابدال قال فقلت له فكيف لي أن أكون بهذا الوصف وأنى لي أن أكون مثلهم فقال يا ابن أخي ما بينك وبين أن تكون في أول ذلك وأوسطه الا أن تزهد في الدنيا فتعاين الآخرة بقلبك فتعمل لها وروينا في الخبر أن الله تعالى يحب المتبذل الذي لا يبالي ما لبس وقال الثوري وفضيل رحمهما الله تعالى جعل الشر كله في بيت وجعل مفتاحه الرغبة في الدنيا وجعل الخير كله في بيت وجعل مفتاحه الزهد في الدنيا وسئل يوسف بن أسباط وسفيان الثوري رحمهما الله تعالى أي الاعمال أفضل فقالا الزهد في الدنيا وهذا موجود في ظاهر الخبر المنقول عن عيسى عليه السلام ورويناه عن نبينا صلى الله عليه وسلم حب الدنيا رأس كل خطيئة ففي تدبره أن بغضها رأس كل طاعة كذلك كان بعض السلف يقول كفى به ذنبا الا يستغفر منه حب الدنيا وأشد من ذلك ما رواه سفيان عن يحيى بن سليم الطائفي رفعه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ان عبدا عبد الله تعالى عبادة أهل السموات والارض وفيه حب للدنيا الا أقامه الله تعالى في الموقف مقاما شهره فيه بين الخلائق ألا ان فلان بن فلان قد أحب ما أبغض الله تعالى وقال يحيى بن سليم الطائفي قال عمرو بن الاسود العنسي لا ألبس مشهورا أبدا ولا أنام بليل على دثار أبدا ولا أركب على مأبور أبدا ولا أملأ جوفي من طعام أبدا فقال عمر رضي الله عنه من سره أن ينظر الى هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلينظر الى عمرو بن الاسود وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفر فدخل على فاطمة رضي الله تعالى عنها فرأى على بابها سترا وفي يديها قلبين من فضة فرجع فدخل عليها أبو رافع وهي تبكي فأخبرته برجوع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله فقال من أجل الستر والسوارين فهتكت الستر ونزعت السوارين فأرسلت بهما بلالا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت قد تصدقت به فضعه حيث ترى فقال اذهب فبعه وادفعه الى أهل الصفة فباع القلبين بدرهمين ونصف وتصدق به عليهم فدخل عليها وقال بأبي أنت قد أحسنت وفي الخبر ما من عبد لبس ثوب شهرة الا أعرض الله تعالى عنه حتى ينزعه وان كان عنده حبيبا وقال سفيان الثوري وغيره البس من الثياب ما لم يشهرك عند العلماء ولا يحقرك عند الجهال وكان يقول ان الفقير ليمر بي وأنا أصلي فادعه يجوز ويمر بعض هؤلاء من أبناء الدنيا وعليه هذه البزة فأمقته فلا أدعه يجوز قال بعضهم ما رأيت الغني في مجلس قط أذل منه في مجلس الثوري رحمه الله تعالى ولا رأيت الفقير أعز منه في مجلس الثوري وقال آخر كنا اذا جلسنا الى سفيان خيل الينا انا كنا فقراء لما نرى من اقباله عليهم واعظامه لهم وقال بعضهم انما العالم هو الذي يقوم الفقير من عنده غنيا والغني من عنده فقيرا وقال بعضهم قومت ثوبي سفيان ونعليه بدرهم وأربعة دوانيق وقال ابن شبرمة خير الثياب ما خدمني وشرها ما خدمته وقال بعض السلف أحب الثياب الي ما لا يستخدمني وأحب الطعام الي ما لا أغسل يدي منه وقال بعض العلماء البس من الثياب ما يخلطك بالسوقة ولا تلبس منها ما يشهرك فينظر اليك قال وعددنا في قميص عمر رضي الله عنه أربعة عشر رقعة بعضها من أدم وكان بعض العلماء يقول كثرة الثياب على ظهر ابن آدم عقوبة من الله تعالى له وكان الخواص رحمه الله تعالى لا يلبس أكثر من قطعتين ازار بن أو قميص ومئزر تحته ويعطف ذيل قميصه على رأسه ويحله في وسطه فيغطي به رأسه وكذلك استحب للفقير وحدة اللباس وقال أبو سليمان الداراني رحمه الله تعالى الثياب ثلاثة ثوب لله تعالى وثوب للنفس وثوب للناس فالذي لله

تعالى

انه الاله الواحد الحي القيوم العليم الحكيم الخبير الفعال لما يريد ليس كمثله شئ وهو السميع البصير أحاط علمه بما كان وما هو كائن وما هو سيكون علم ما استتر في حجب الغيوب وخفي في سرائر القلوب حصر الضمائر فراصدها ودنا من السرائر فراقبها يعلم حبيش الضمائر وكسر الحواجب واغضاء الجفون وعامل الحركات وموجبات السكون لا يغيب عنه شئ باستتاره ولا مواضع الذر في حالتي استقراره وانتشاره الاشياء كلها ظاهرة مكشوفة بسلطان القهر محبوسة موقوفة حتى يجري عليها الاحكام بما قضاه لها في القدم من الاقسام وأشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له الملك العلام والصلاة والسلام على أنبيائه ورسله الذين هم الصفوة من خلقه مخصوصا امام المتقين وسيد الزاهدين وسلطان العارفين محمد بن عبد الله بن عبد المطلب النبي العربي المكي المدني رسول رب العالمين الى الثقلين أجمعين وصفيه وخليله وحبيبه وخيرته من خلقه وامينه أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون دينه أشرف الاديان وأمته خير الامم جعل منهم الاصفياء والاولياء والنجباء العارفين

باب مشيد قال لا تنظر اليه فقلت يا أبا عبد الله ما تنكر من النظر قال اذا نظرت اليه كنت عوناله على بنائه لانه انما بناه لينظر اليه ولو كان كل من مر به لم ينظر اليه ما عمله وقد قال بعض السلف قبله ولا تنظر الى بنيانهم فانهم انما زخرفوه لاجلكم وفي قول الله تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا قيل حب الكثرة والرياسة والتطاول فى البنيان وكذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل بناء وبال على صاحبه يوم القيامة الا ما أكن من حر أو برد وقال للرجل الذى شكا اليه ضيق منزله اتسع فى السماء أى فى الجنة وهذا أحد التأويلين والثانى اتسع فى المعرفة ولا تطلب اتساع المكان واعلم ان الزهد لا ينقص من الرزق ولكنه يزيد فى الصبر ويديم الجوع والفقر فيكون هذا رزقا للزاهد من الآخرة على هذا الوصف من حرمان نصيبه من الدنيا وحمايته عن التكثر منها والتوسع فيها ويكون الزهد سببه فيكون ما صرف عنه ومنعه من الغنى والتوسع رزقه من الآخرة والدرجات العلى بحسن اختيار من الله تعالى وحماية نظر كما حدثنا عن بعض العلماء ان بقالا جاءه فقال انى كنت أبيع فى محلة لا بقال فيها غيرى فكنت أبيع الكثير ثم قد فتح على بقال آخر فهل ينقص ذلك من رزقى شيأ فقال لا ولكن يزيد فى بطالتك عن البيع فاعل بقالا الاعجاب بحث التوسعه وهو اوجوه على أبناء الدنيا ممن يتولاه فيقول بان الزهد فى الدنيا لم ينقص من رزقى شيأ قد صح مقامى مع التوسع والاستكثار وعلى التنعم والرفاهية والاستئثار لانى انما آكل رزقى وآخذ قسمى فلى فى الزهد مقام ومن الرضا والتوكل حال أو يقول ان الزهد قد يصح مع التكاثر والزينة يزخرف بقوله على من لا يعرف الزهد ويغر بقالته من لا يعرف طريق الزاهدين ولعله ممن يأكل الدنيا بالدين أو يزخرف القول ويشبه العلم على الغافلين فهو كما قال على رضى الله عنه للخوارج حين قالوا لا حكم الا لله فقال كلمة حق أريد بها باطل وصدق رضى الله عنه لانهم أرادوا بذلك اسقاط حكم الائمة وترك الطاعة للامام العادل كما أراد القائل انما آكل رزقى وآخذ من الاشياء قسمى الاحتجاج لنفسه بما هواه والاعتذار عند الجاهلين خيفة لومهم اياه ولا يسره المساكين اياه الغرور وانه وان كان يأكل رزقه من الدنيا ويأخذ قسمه من العطاء فبحكم النقص والبعد وبوصف غفلتهم بنقص الا ان السارق والغاصب أيضا يأكل رزقه ويأخذ قسمه ولكن بحكم المقت وسوء الاختيار اذ كان الله سبحانه كثيرا ما يرزق الحرام للظالمين كما يرزق الحلال للمتقين وانما بينهما سوء القضاء ودرك الشقاء للاعداء وحسن التوفيق والاختيار بالسعادة للاولياء من المولى الكريم فقد حرم المدعى لذلك رزقه من الزهد وبخس نصيبه الاوفر من حب الفقر ونقص حظه الافضل من الآخرة اذ كانت الدنيا ضدها وجعل ما صرف فيه وما صرف اليه سببا للنقصان من رتبته من طرائق الزاهدين وانه قد اختبر بالدنيا بما فتح عليه من السراء ليظهر صدقه من كذبه فوقع فى الفتنة ولم يفطن للابتلاء وصارت مشاهدته هذه اذا كان صادقا فيها غير كاذب على وجده حجابا له عن علوم العارفين المعصومين واستدرج بعلمه هذا لانه علم من علوم الدنيا يفنى بفنائها لا ثمرة له فى الباقية مكر به فيه وعدل به اليه عن علوم الخائفين ومشاهدة الورعين الزاهدين الذين نظروا من الحلال فى الدقيق وصدقوا القول فى ترك الرغبة بالعمل بالزهد للتحقيق وان كان كاذبا فى مشاهدته ظالما لنفسه بما ادعاه من وجده فهو من أولياء الشياطين ومن أئمة المضلين قيض للاعمين وسيق اليهم فتنة لهم ليس اماما للمتقين بل من الائمة المضلين المغرورين من أبناء الدنيا الغافلين رغبة فى الدنيا وزهدا فى طرائق السلف لوجود الطمع وعدم اليقين فقد مكر بهذا المعدول به عن علوم الموقنين وحقائق مشاهدتهم على هذا الوصف الذى أريد به بالذى تقلب فيه وهو لا يشعر بالمكر ولا يعرف الاستدراج بالعلم والنعم الله يعلم ذلك والله تبارك وتعالى يقول سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وقال تعالى ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون فهيهات هيهات ان يفطن الممكور لما مكر به أو يعلم المستدرج ما درج فيه لان الماكر ألطف الماكرين والمدرج أحكم الحاكمين نعوذ بالله تعالى من الاغترار بالعلم الاظهار ونسأله الصلاة على نبيه محمد وآله

الالهامات والخواطر والهواجس والوساوس والعلوم والنيات والقصود والعزائم والاعتقادات وحديث النفس وغير ذلك وأما مسائله فالاحكام المتعلقة بهذه الخواطر والهواجس والنيات والقصود والعزائم وسائر أحوال النفس

(الفصل الثانى) فى جلالة هذا العلم وشرفه وعظم قدره وبيان ان أهله هم الصفوة من بنى آدم بعد الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام اعلم أن علم الباطن وهو علم طريق الآخرة وهو العلم الذى درج عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم وهو العلم الذى لم يبعث الله الانبياء الا لاجله وقد سماه الله تعالى فى كتابه فقها وعلما وضياء ونورا وهدى ورشدا وهو مستخرج من القرآن والسنة ومدلول عليه منهما نصا وظاهرا وتلويحا وكناية واشارة وغير ذلك من أصناف الدلالة قال الغزالى علم الباطن هو علم الصديقين والمقربين وثمرته الفوز برضا الله تعالى ونيل سعادة الابد وبه تزكية النفس وتطهيرها وتنوير القلب وصفاؤه بحيث ينكشف بذلك النور أمور جليلة ويشهد أحوالا عجيبة ويعاين ما يحيط عند بصيرة غيره من المعرفة الحقيقية بذات الله

السلام لا يعذب الله عبدا جعل رزقه في الدنيا قوت يوم بيوم وقال عليه السلام طوبى لمن هدي الى الاسلام
وكان رزقه في الدنيا قوتا وقنع به وفي لفظ آخر وصبر عليه وقال عليه السلام ما من أحد غني ولا فقير الا ود يوم
القيامة ان رزقه كان في الدنيا قوتا وروينا عنه صلى الله عليه وسلم اللهم من أحبني وأجاب دعوتي فأقلل
ماله وولده ومن أبغضني ولم يجب دعوتي فأكثر ماله وولده وأوطئ عقبيه يعني كثرة الاتباع وكانت هذه دعوة
الصحابة على من مقتوه وروينا في الخبر نقصان الدنيا زيادة الآخرة وزيادة الدنيا نقصان الآخرة وفي الاثر
ما من أحد أعطي من الدنيا شيأ الا نقص من درجته وان كان على الله تعالى كريما وقال ابراهيم بن أحمد
الخواص رحمه الله في وصف المدعين وقوم ادعوا الزهد ولبسوا الفاخر من الثياب يموهون بذلك على الناس
ليهدوا اليهم مثل لباسهم ولئلا ينظر اليهم بالعين التي ينظر بها الى الفقراء فيحتقرون فيعطون كما يعطى
المساكين ويحتجون لنفوسهم باتباع العلم وانهم على السنة وان الاشياء داخلة عليهم وهم خارجون منها
وانما يأخذون بعلة غيرهم هذا اذا طولبوا بالحقائق والجؤا الى المضايق وكل هؤلاء أكلة الدنيا بالدين لم
يعنوا بتصفية أسرارهم ولا بتهذيب أخلاق نفوسهم فظهرت عليهم صفاتهم فغلبتهم فادعوا حالا لهم مائلون
الى الدنيا متبعون الهوى وكان الخواص رحمه الله تعالى لا يلبس أكثر من قطعتين ازار من وقميص
ومئزر يتحته ويعطف ذيل قميصه على رأسه ويغطي به رأسه وكذلك استحب للفقير هذا اللباس والاخبار
في فضائل الفقر وفضل الفقراء وفي ذم الدنيا ونقص الاغنياء أكثر من ان تذكر ولم نقصد جمعها ولا كثرة
الاستدلال بها ومن الزهد ترك فضول البنيان وان لا يجعله عاليا ولا مشيدا ولا من الطين الا ما يحتاج اليه وقيل
أول بدعة حدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المناخل والموائد وأول شيء ظهر من طول الامل التدريز
والتشييد يعني درز الثياب وانما كان الاسود العنسي يبني بالجص والآجر وهو التشييد وانما كانوا
يبنون بالسعف والجريد وقد جاء يأتي على الناس زمان يوشون بنيانهم كما توشى البرود اليمانية
ونظر عمر رضي الله عنه في طريق الشام فرأى صرحا قد بني بجص وآجر فكبر وقال ما كنت أظن ان في هذه
الامة من يبني بنيان هامان يعني قول فرعون فأوقد لي ياهامان على الطين يعني به الآجر ويقال
أول من بني له الآجر فرعون وأول من شيد له هامان ثم تبعهما الجبابرة فهذا هو الزخرف وذكر بعض
السلف جامعا في بعض الامصار فقال أدركت هذا المسجد مبنيا من الجريد والسعف ثم رأيته مبنيا من
رهوص ثم رأيته الآن مبنيا باللبن فكان أصحاب السعف خيرا من أصحاب الرهوص وكان أصحاب الرهوص
خيرا من أصحاب اللبن وقد كان في السلف من يبني داره مرارا في مدة عمره لضعف بنائه وقصر أمله ولزهده في
اتقان البنيان وكان منهم من اذا حج أو غزا نزع بيته أو وهبه لجيرانه فاذا رجع أعاده وكانت بيوتهم من
الحشيش والثمام والجلود وعلى ذلك العرب ببلاد اليمن الى اليوم وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم العباس
رضي الله عنه ان يهدم علية كان قد علا بها ومر عليه السلام بقبة معلاة فقال لمن هذه قالوا لفلان فلما
جاء الرجل أعرض عنه فلم يكن يقبل عليه كما كان فسأل الرجل أصحابه عن تغير وجه رسول الله صلى الله
عليه وسلم فأخبروه فرجع فهدمها فمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالموضع فلم يرها فسأل عنها فأخبر انه
هدمها فدعا له بخير وكان سمك بناء السلف قامة وبسطة وقال الحسن كنت اذا دخلت بيوت أصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم ضربت بيدي الى السقف وقال عمرو بن دينار اذا علا العبد البناء فوق ستة أذرع
ناداه ملك الى أين يا فاسق الفاسقين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من بنى فوق ما يكفيه كلف ان
يحمله يوم القيامة ومر عمر رضي الله عنه ببيت عال فقال أبت الدراهم الا ان تخرج رؤسها ومر بعامل له فرآه
قد علا وشيد فقال لي على كل خائن أمينان الماء والطين ثم شاطره ماله فجعله في بيت المال وفي الخبر كل نفقة
يؤجر عليها العبد الا ما أنفقه على الماء والطين وقد روينا عن بعض السلف اذا مقت الله تعالى مال عبد
سلط عليه الماء والطين وقال يحيى بن عمان رحمه الله كنت أمشي مع الثوري رحمه الله في طريق فنظرت الى

حسبته بدايته مقسمة ثامن أحول والقسوة الابه واذا فرغت منه ان شاء الله تعالى شرعت في غيره (وسميته بحياة القلوب في كيفية الوصول الى المحبوب) ليوافق اسمه مسماه ويطابق لفظه معناه ورتبته على مقدمة وقسمين وخاتمة اللهم اجعل ذلك حجة لي ولا تجعله حجة علي وانفعني به وأيقظني ونبهني وانشطني ورغبني وزكني وطهرني واغفر لي وارحمني انك أنت الغفور الرحيم الجواد الكريم ذو الفضل العظيم ولنشرع في مقدمة الكتاب وفيها فصول (الفصل الاول) في حد هذا العلم وحقيقته وفائدته وموضوعه اما حد علم الباطن وحقيقته فقيل هو علم يعرف منه أحوال النفس في الخير والشر وكيفية تنقيتها من عيوبها وآفاتها وتطهيرها من الصفات المذمومة والرذائل والنجاسات المعنوية التي ورد الشرع باجتنابها والاتصاف بالصفات المحمودة وهي الصفات التي طلب الشرع تحصيلها وكيفية السلوك والسير الى الله تعالى والفرار اليه وأما فائدته وثمرته فهي النجاة في الآخرة والفوز برضا الله تعالى ونيل سعادة الابد وأما موضوعه فهو الباطن أعني القلب من ناحية ما يعرض له من

الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر وقال الفقير مثل ذلك لم يلحق الغني الفقير وان انفق فيها عشرة آلاف درهم وكذلك أعمال البر كلها فرجع اليهم فقالوا رضينا رضينا فهذا يدل على صحة تأويلنا وقد روينا معنى هذا مجملا في الخبر الذي رويناه عن اسمعيل بن عياش عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه أي الناس خير قالوا موسر من المال يعطي حق الله في نفسه وماله فقال نعم الرجل هذا وليس به قالوا فمن خير الناس قال مؤمن فقير يعطي جهده فذهب القوم الى علم العقل فردهم الرسول صلى الله عليه وسلم الى علم اليقين فكذلك من فضل حال الغني على حال الفقير فانه ينظر في العلم بعين العقل وانما شهد الآخرة والحقيقة بعين اليقين وهذا نص في تفضيل حال الفقير فمن فضل الغني بعده فقد عاند السنة ان كان عالما فأحسن حاله الجهل بالآثار وان كان جاهلا فقدمه في الجهل أضر عليه من نطقه بالعلم بهوى وفي الخبر الآخر خير هذه الامة فقراؤها وأسرعها تضجعا في الجنة ضعفاؤها وقال صلى الله عليه وسلم لبلال الق الله تعالى فقيرا ولا تلقه غنيا قال وكيف لي بذلك قال اذا سئلت فلا تمنع واذا أعطيت فلا تخبأ افتراه كان يأمر بلالا بأدنى الحالين فكيف وهو من أعلى الصحابة فأشبه الفقر في الاحوال اليقين في الايمان كما قال لابن عمر اعمل لله بالرضا واليقين فان لم يكن فان في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا فرفعه الى اليقين لفضله كما رفع بلالا الى الفقر لشرفه في الاحوال فلم يكن صلى الله عليه وسلم يرضى لبلال الا ما يرضاه لنفسه فصار الفقر حال الموقن لانه يكشف الآخرة وصار الشكر في الغني حال المؤمن لانه يوجد الدنيا ففضل الفقير الزاهد على الغني الشاكر كفضل الموقن الشاهد على الموقن المجاهد وكذلك روينا في حديث عطاء عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم توفني فقيرا ولا توفني غنيا ولم يكن ليأمر بلالا بأدنى الحالين فيقول الق الله تعالى فقيرا كما لم يندب ابن عمر الى أخفض المقامين لقوله اعمل لله تعالى بالرضا في اليقين وكذلك جاء في الخبر المشهور الذي دعا فيه صلى الله عليه وسلم لنفسه أن يحييه الله تعالى مسكينا ويتوفاه مسكينا ويحشره في زمرة المساكين كل ذلك لتفضيل الفقر وتشريف الفقراء مع قوله صلى الله عليه وسلم يدخل فقراء أمتي الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم خمسمائة عام وروينا عن عيسى عليه السلام انه قال اني لاحب المسكنة وأبغض المال للغني وان في المال داء كثيرا قيل يا روح الله وان كان يكتسبه من حلال قال يشغله كسبه عن ذكر الله تعالى قال وهب بن منبه لابن عباس انا نجد في التوراة ان الفقير المصلح خير من الغني المصلح قال ابن عباس أما علمت انه لا شيء أحب الى الله تعالى من المستتر اذا كان صالحا وقيل كان أحب الاسماء الى عيسى عليه السلام أن يدعى به أن يقال له يا مسكين وكان يقول من شر الغني أن العبد يعصي ليستغني ولا يعصي ليفتقر وقد قال بعض حكمائنا في كلام منظوم

يا عائب الفقر تبغي الغنى * عيب الغنى أعظم لو تعتبر
انك تعصي لتنال الغنى * ولست تعصي الله كي تفتقر

وروينا في حديث عطاء عن أبي سعيد الخدري يا أيها الناس لا تحملنكم العسرة والفاقة على أن تطلبوا الرزق من غير حله فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم توفني فقيرا ولا توفني غنيا واحشرني في زمرة المساكين وقال لقمان لابنه يا بني ان من أعون الاخلاق على صلاح الدين زهدا في الدنيا من زهد في الدنيا رغب فيما عند الله تعالى ومن رغب فيما عند الله تعالى يعمل لله تعالى ومن يعمل لله تعالى يأجره الله تعالى وقال الحواريون يا روح الله نحن نصلي كما تصلي ونصوم كما تصوم ونذكر الله تعالى كما أمرتنا ولا نقدر نمشي على الماء كما تمشي أنت فقال أخبروني كيف حبكم للدنيا قالوا انا لنحبها فقال ان حبها يفسد الدين لكنها عندي بمنزلة الحجر والمدر وفي خبر آخر انه رفع حجرا فقال أيهما أحب اليكم هذا أو الدينار والدرهم قالوا الدينار قال فانهما عندي سواء ويقال ان من صح زهده في الدنيا حتى يستوي عنده الذهب والحجر مشى على الماء وقد اشتهر ذلك في العامة حتى قال الشاعر

في الزمن الاول ينطلق على علم طريق الآخرة ومعرفة دقائق آفات النفوس ومفسدات الاعمال وقوة الاحاطة بحقارة الدنيا وشدة التطلع الى نعيم الآخرة الذي أشار اليه الحق سبحانه وتعالى بقوله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين وأشار اليه نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله ان الله أعد لعباده الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر الى غير ذلك من دقائق علم القلوب وانما أرباب العلم الظاهر تصرفوا في هذا اللفظ بالتخصيص والتصرف لا بالنقل والتحويل كما تصرف أهل العرف في لفظ الدابة ويدلك على هذا قوله تعالى ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم وما به الانذار والتخويف هو المتعلق باصلاح القلب واستقامته والفقه الذي به تزكية النفس وتطهيرها دون تعريفات السلم والاجارة والطلاق واللعان فان ذلك لا يحصل به الانذار والتخويف ولا ينفي النفس من هواها كاتمها ولا يخلصها من ورطاتها قال السادة الائمة أرباب البصائر واهل اليقين العرفاني من علم طريق الآخرة ما به النجاة والفوز مع الاشتغال بالعلم الظاهر والعمل به أولا من الاشتغال بالاغراق في العلم الظاهر الذي لا يراد به ...

أجمعين وحسن التوفيق لمشاهدة علم التحقيق وبمثل ماقلناه جاءت الآثار وكثرت الاخبار ان مثل الدنيا
والآخرة كضرتين رضا احداهما في سخط الاخرى وانهما بمنزلة المشرق والمغرب من استقبل احدهما
استدبر الآخر وانهما بمنزلة كفتي الميزان ورجحان احداهما بنقصان الاخرى وكان عمر رضي الله عنه
يقول والله ان هما الا بمنزلة قدحين للشاملي أحدهما فما هو الا ان تفرغ أحدهما في الآخر يعني انك ان
امتلأت من الدنيا تفرغت من الآخرة وان امتلأت من الآخرة تفرغت من الدنيا وان كان لك ثلث قدح
الآخرة أدركت الثلثي قدح الدنيا وان كان لك ثلثا قدح الآخرة يكون لك ثلث قدح الدنيا وهذا تمثيل
حسن الا أن فيه شدة وتدقيقا وقال بعض السلف مثل من زهد في الدنيا مع التنعم فيها كمثل من يغسل يديه من
الغمر بسمك وقال آخر مثل من زهد وهو يطلب الدنيا مثل من يطفئ النار بالحلفاء وكان بعض الزاهدين
من أهل الشام يتكلم عليهم فكان رجاء بن حيوة فقيه أهل الشام يحضر مجلسه فاحتبس يوما عنهم وقد
اجتمعوا فتكلم عليهم مؤذن الجامع فانكر صوته رجاء بن حيوة فقال من هذا فقال انا فلان فقال اسكت
عافاك الله انا نكره ان نسمع الزهد الا من أهله وفي لفظ آخر انا نكره ان نسمع الوعظ الا من أهل الزهد
وقال عيسى عليه السلام لا تنظروا الى أموال أهل الدنيا فان بريق أموالهم يذهب بنور ايمانكم وقال بعض
العلماء تقليب الاموال تمص حلاوة الايمان وروينا في الخبر ان لكل أمة عجلا وعجل هذه الامة الدينار
والدرهم وكان أصل العجل من الحلية وقال عز وجل ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله فكان فهم هذه السنة عن
سمع هذه الآية يقال ما من يوم ذي شارقة الا وأربعة أملاك ينادون في الآفاق بأربعة أصوات ملكان
بالمشرق وملكان بالمغرب يقول أحدهما من المشرق يا باغي الخير هلم ويا باغي الشر أقصر ويقول الاخر اللهم
أعط منفقا خلفا واعط ممسكا تلفا ويقول احد الذين في المغرب لدوا للموت وابنوا للخراب ويقول الآخر
كلوا وتمتعوا لطول الحساب وقال بعض العلماء ان الله تعالى وسم الدنيا بالوحشة ليجعل أنس المطيعين به
وبلغنا ان من دعاء أبي بكر الصديق رضي الله عنه اللهم اني أسألك الذل عند النصف من نفسي والزهد فيما
جاوز الكفاف وقال يحيى بن معاذ ليس من شيء الا وهو مطروح في الخزائن الا الفقر مع المعرفة فانه مخزوم
مختوم عليه ... طبع بطابع الشهداء وقد يحتج بعض علماء الدنيا لانفسهم بتفضيل الغنى على
الفقر بما ... من قوله تعالى ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وهذا عند أولي الالباب في تدبر الخطاب
معني به الفقراء لانه قيل لهم في أول الكلام ان فعلتم كذا لم يسبقكم أحد قبلكم ولم يدرككم أحد بعدكم
ثبت هذا القول من رسول الله صلى الله عليه وسلم فصح لانه معصوم في قوله كما هو معصوم في فعله فلا ينبغي
أن ينقض أول الكلام آخره فما جاء بعده محمول عليه ولم يصلح أن ينقلب لانه اخبار عن شيء فلا يجوز الرجوع
عنه ولما فعل الاغنياء ما أمر به الفقراء وقف الفقراء في نظر الرسول صلى الله عليه وسلم لنظرهم الى مزيد
الاغنياء عليهم بالقول فرجعوا اليه يستفتون منه ما أخبر به فقال لا تعجلوا فان الذي قلت لكم كما قلت هو
فضل الله تعالى يؤتيه من يشاء وأنتم من شاء أن يؤتيه فضله فصح تأويلنا هذا وبطل تأويلهم بدليل قول
الرسول صلى الله عليه وسلم الاول فكان قوله الثاني بالآخر مواطئا لقوله الاول ولم يناقض الاول بالآخر
كيف وقد جاء دليل ماقلناه مكشوفا في الحديث المفسر الذي رويناه عن زيد بن أسلم عن أنس رضي الله عنه
قال بعث الفقراء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم رسولا فقال اني رسول الفقراء اليك فقال مرحبا بك
وبمن جئت من عندهم من عند قوم أحبهم قال قالوا يا رسول الله ان الاغنياء ذهبوا بالجنة يحجون ولا نقدر
عليه ويعتمرون ولا نقدر عليه واذا مرضوا بعثوا بفضل أموالهم ذخيرة لهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
أبلغ عني الفقراء ان لمن صبر واحتسب منكم ثلاث خصال ليست للاغنياء أما خصلة واحدة فان في الجنة
غرفا ينظر اليها أهل الجنة كما ينظر أهل الارض الى نجوم السماء لا يدخلها الا نبي فقير أو شهيد فقير أو مؤمن
فقير والثانية يدخل الفقراء الجنة قبل الاغنياء بنصف يوم وهو خمسمائة عام والثالثة اذا قال الغني سبحان

وبصفات الله التامات
وبأفعاله وحكمته في خلق
الدنيا والآخرة والمعرفة
بمعنى النبوة والنبي ومعنى
الوحي ومعنى لفظ الملائكة
والشياطين وكيفية معاداة
الشياطين للانسان وكيفية
ظهور الملك للانبياء وكيفية
الوحي والمعرفة بملكوت
السموات والارض وكيفية
تصادم جنود الملائكة
والشياطين ومعرفة الفرق
ومعرفة القلب بين لمة الملك
ولمة الشياطين ومعرفة
الآخرة والجنة والنار
وعذاب القبر والصراط
والميزان والحساب ومعرفة
معاني المتشابهات ومعنى
قوله تعالى وان الدار الآخرة
لهي الحيوان لو كانوا
يعلمون ومعنى لقاء الله
والنظر اليه ومعنى القرب
منه والنزول في جواره ومعنى
حصول السعادة بمرافقة
الملأ الاعلى ومقارنة
الملائكة والنبيين ومعنى
تفاوت درجات أهل الجنان
حتى يرى بعضهم البعض
كما يرى الكوكب الدري في
جو السماء كما ورد ذلك
في صحيح البخاري الى غير
ذلك مما يكثر شرحه ويطول
تفصيله وهذه هي العلوم
التي عناها بالرحمة ومعدن
الحكمة الذي لا ينطق عن
الهوى صلى الله عليه وسلم
بقوله ان من العلم كهيئة
المكنون لا يعلمه الا أهل
المعرفة بالله وقال أيضا في
موضع آخر كان اسم الفقه

به جفاء الفقير الصادق فسلك الطريق المستقيم الى الآخرة واطرح تخويف العدو بحول الله وقوته وقبل الاغنياء المغتبطون بغناهم تخويف العدو جفاء بنو الفقر فخافهم مثل السوء من ذلك قوله انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون فتبسلوا بتخويف الشيطان وخالفوا أدب الرحمن فكانوا ممن قيل فيهم ومن الناس من يعبد الله على حرف فان أصابه الآية فلو لم يكن من فضل الزاهدين الا انهم توسطوا الطريق الذي هرب الناس منه وأمنوا بالتوكل على الله والرضا عنه ما خافه أبناء الدنيا لكفاهم *(ذكر ماهية الدنيا وكيفية الزهد فيها وتفاوت الزهاد في مقاماتهم)* ثم ان الدنيا هي نصيب كل عبد من الهوى وما دنا من قلبه من الشهوات فمن زهد في نصيبه وملكه من هواه المذموم فهذا هو الزهد المفترض ومن زهد في نصيبه من المباح وهو فضول الحاجة من كل شيء فهذا هو الزهد المفضل يرجع ذلك الى حظوظ جوارحه التي هي أبواب الدنيا منه وطرقها اليه فالزهد في محرماتها هو زهد المسلمين به يحسن اسلامهم والزهد في شبهاتها هو زهد الورعين به يكمل ايمانهم والزهد في حلالها من فضل حاجات النفس هو زهد الزاهدين به يصفو يقينهم وروينا في حديث عمرو بن ميمون عن الزبير بن العوام أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له يا زبير اجهد نفسك عند نزول الشهوات والشبهات بالورع الصادق عن محارم الله عز وجل وتدخل الجنة بغير حساب وكان سهل يقول في فضائل الزهد وأعلى مقاماته لا يتم زهد عبد حتى يزهد في هذه الثلاث في الدرهم الذي يريد أن ينفقه في أبواب البر يتقرب بذلك الى الله تعالى ويزهد في الثياب التي تستر بدنه في الطاعات ويزهد في قوته الذي يستعين به على العبادة وانما قال هذا لان عنده حقيقة الزهد من أفضل المقامات كلها لانه كان يقول يعطى الزاهد جميع ثواب العلماء والعباد ثم يقسم على المؤمنين ثواب أعماله وقال لا يوافي القيامة أحد أفضل من ذي زهد وعالم ورع وقال أيضا لا ينال الزهد الا بالخوف لان من خاف ترك فجعل الزهد مقاما في الخوف رفعه من يد الهم عليه وقد روى مسروق عن ابن مسعود ركعتان من زاهد قلبه خير له وأحب الى الله تعالى من عبادة المتعبدين المجتهدين الى آخر الدهر أبدا سرمدا ولا نهاية للزهد عند طائفة من العارفين لانه يقع عن نهاية معارفهم بدقائق أبواب الدنيا وخفايا لوائح الهوى وقال بعضهم نهاية الزهد أن تزهد في كل شيء وتتورع عن كل شيء للنفس فيه متعة وبه راحة فهذا كما روي عن عيسى عليه السلام انه وضع تحت رأسه حجرا فكأنه لما ارتفع رأسه عن الارض استراح بذلك فعارضه ابليس فقال يا ابن مريم ألست تزعم انك قد زهدت في الدنيا قال نعم قال فهذا الذي وطأته تحت رأسك من أي شيء هو قال فرمى عيسى عليه السلام بالحجر وقال هذا لك مع ما تركت ومثله روينا عن يحيى بن زكريا عليهما السلام انه لبس المسوح حتى نقب جلده فسألته أمه أن ينزع مدرعته الشعر ويلبس مكانها جبة من صوف ففعل فأوحى الله تعالى اليه يا يحيى آثرت علي الدنيا قال فبكى ونزع الصوف ورد مدرعته الشعر على جسده وكان الحسن يقول أدركت سبعين من الاخيار ما لاحدهم الا ثوبه وما وضع أحدهم بينه وبين الارض ثوبا قط كان اذا أراد النوم باشر الارض بجسمه وجعل ثوبه فوقه واعلم اني رأيت جمل النعم ثلاثا وتمامها بالزهد وذلك ان أصل النعم كلها الاسلام لان من ورائه مقامات كثيرة أخطؤا فيها حقيقة التوحيد ثم النعمة الثانية السنة اذ من ورائها بدع كثيرة كلهم أخطؤا حقيقة السنة والنعمة الثالثة العلم بالله تعالى لان من ورائه جهلا كثيرا بعظمة الله تعالى وقدرته ثم الزهد في الدنيا فمن أعطيه مع الثلاث تمت عليه النعم فكان مع الذين أنعم الله تعالى عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين أي تمت نعمة الله عليهم لان من ورائه حرصا كثيرا على الشبهات ورغبة عظيمة في الشهوات وقد كان سهل رحمه الله تعالى يجعل الزهد من شرط السنة والاتباع لقوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني قال في السنة اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وكان زاهدا ثم تفاوت الزاهدون لاي شيء زهدوا ومقامات على نحو علو المشاهدات فمنهم من زهد اجلالا لله تعالى ومنهم من زهد حياء من الله تعالى ومنهم من زهد خوفا من الله تعالى ومنهم من زهد رجاء موعود الله تعالى ومنهم

حارثة والبراء بن مالك وأبو اسرائيل وحذيفة وأبي الدرداء وأبي ذر وعكاشة وعبد الله بن عمرو بن العاص وأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وسلمان وصهيب وأبي رافع وبلال وخباب وهم قريب من ألف عارف زهاد عباد قائمون لله بالعبودية باذلون له حقوق الربوبية ومن التابعين علي بن الحسين ابن زين العابدين وابنه محمد الباقر وابنه جعفر الصادق وأويس القرني وابن حازم وسلمة بن دينار والحسن البصري وعلقمة والاسود بن زيد وابراهيم النخعي ومالك بن دينار ومحمد بن سيرين وغيرهم ممن لا يحصى عددهم وهم يزيدون على ألف ولي ومن تابعيهم وهم مثل عبد الواحد بن زيد وعتبة الغلام والفضيل بن عياض وابراهيم بن أدهم وداود الطائي وسفيان الثوري وأبي سليمان الداراني وابنه سليمان وذي النون الاخميمي وأخيه ذي الكفل وبشر ابن الحرث والسري السقطي والحرث المحاسبي وأبي القاسم الجنيد وابراهيم الخواص وغيرهم ممن لا يحصى عددهم ومن أراد أن يطلع على أكثر مما ذكرناه فعليه بكتاب حلية الاولياء لابي نعيم وكتاب صفوة الصفوة لابن

لو كان زهدك فى الدنيا كزهدك فى * وضلى مشيت بلا شك على الماء

وروينا أن عيسى عليه السلام مر فى سياحته برجل نائم ملتف فى عباءة فأيقظه وقال قم يا نائم فاذكر الله تعالى فقال ما تريد منى انى قد تركت الدنيا لاهلها فقال له عيسى عليه السلام نم حبيبى اذا نم وروينا عن موسى عليه السلام انه مر برجل نائم على التراب وتحت رأسه لبنة ووجهه ولحيته فى التراب وهو متزر بشمل عباءة فقال يارب عبدك هذا فى الدنيا ضائع فأوحى الله تعالى اليه ياموسى أما علمت انى اذا نظرت الى عبدى بوجهى كله زويت عنه الدنيا كلها وأوحى الله سبحانه وتعالى الى نبيه اسمعيل عليه السلام اطلبنى عند المنكسرة قلوبهم قال يارب ومن هم قال الفقراء الصادقون فهذا كأنه مفسر لخبر موسى عليه السلام فى قوله أين أجدك قال عند المنكسرة قلوبهم وقد كان أحمد بن عطاء وهو من المتأخرين يفضل حال الغنى على الفقر لشبهة دخلت عليه وهو أن بعض الشيوخ سأله عن الوصفين أيهما أفضل قال الغنى لانه صفة الحق فقال له الشيخ فالله غنى بالاعراض والاسباب فانقطع ولم ينطق بحرف وهذا كما قال الشيخ لان الله تعالى غنى بوصفه والفقير أحق بهذا المعنى لانه غنى بوصفه بالايمان لا بالاسباب لانفراده عنه فهو الافضل فاما الغنى فانه مشتت مجتمع بالاسباب فهو مفضول بالارتياب وقد خالفه الخواص فوفق للصواب وكان فوقه فى المعرفة فقال فى كتاب شرف الفقر والفقر صفة الحق أى صفة منه يصف به الفقراء فوافقنا فى التأويل يعنى انه تعالى متخل عن الاشياء منفرد عنها ووجه آخر من الغلط الذى دخل عليه من جهة الغنى الذى ذكره لانه ان كان فضل الغنى على الفقر لانه صفة الحق فينبغى أن يفضل المتكبر الجبار ومن أحب المدح والعز والحمد لان ذلك كله صفة الحق فلما أجمع أهل القبلة على ذم من كان هذا وصفه كان من وصفه الغنى فى معناه لان وصف الغنى صفة الحق مقترن بالعز والكبر وينبغى أن يسلم صفات الحق للحق ولا ينازع اياها ولا يشاركه فيها فبطل قول ابن عطاء لصحة قول الرسول صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى العز ازارى والكبرياء ردائى من نازعنى أحدهما قصمته فى النار وقد خالفه أيضا ووافقنا من لا يشك الخاص والعام فى فضل معرفته عليه أبو محمد سهل بن عبد الله فقال من أحب الغنى والبقاء والعز فقد نازع الله تعالى صفاته وهذه صفات الربوبية يخاف عليه الهلكة فاذا ثبت ذلك كان الفقر أفضل لانه وصف العبودية فمن جعل وصفه فقد تحقق بالعبودية وأوصاف العبودية هى أخلاق الايمان وهى التى أحبها الله تعالى من المؤمنين مثل الخوف والذل والتواضع والفقر مضاف اليها وأوصاف الربوبية ابتلى به قلوب أعدائه الجبارين والمتكبرين مثل العز والكبر والبقاء والغنى مضموم اليها وكان الحسن رحمه الله يقول ما رأيت الله تعالى جعل البقاء الا لابغض خلقه اليه وهو ابليس وكذلك كان العلماء يقولون لا ترغبوا فى البقاء فى هذه الدنيا فان شرار الخلق أطولهم بقاء وهم الشياطين والغنى غمار للبقاء ويقال ان الجنيد رحمه الله تعالى باهل ابن عطاء فى هذه المسئلة ودعا عليه لانه أنكر قوله أشد الانكار وكان يقول الفقير الصابر أفضل من الغنى الشاكر وان تساويا فى القيام بحكم حالهما لان الغنى النقى يتبع نفسه وينعم صفته والفقير الصابر قد أدخل على صفته الآلام والمكاره فقدرا دعليه بذلك وهذا كما قال وكذلك كان أحمد بن حنبل يقول ما أعدل بالفقر شيأ وكان يفضل حال الفقر ويعظم شأن الفقير الصابر وقال المروزى وذكر بعض الفقراء فجعل يحمده ويكثر السؤال عنه قال فقلت له يحتاج الى علم فقال ويحك اسكت صبره على الفقر ومقاساته للضر فيه خير من كثير من العلم ثم قال هؤلاء خير منا بكثير وأقول ان من فضل حال الغنى على الفقر فانه لم يذق مرارة الفقر ولا حلاوته فهو غر بشدته فاقد لحلاوته لانه لو ذاق مرارته من الضر والهم لفضله ولو أذيق حلاوته من الزهد والرضا لما فضل عليه وقد روينا فى الخبر يقول ابليس لم ينج الغنى منى من احدى ثلاث خصال ان أحبب اليه المال فكتسبه من غير حقه أو يضعه فى غير حقه أو يمنعه من حقه فلو لم يعلم العدو ان الفقر من أفضل الاحوال ما قعد على طريقه وقد قال لاقعدن لهم صراطك المستقيم فأخبر الخبير عنه فقال الشيطان يعدكم الفقر أى يخوفكم

به

والدماميل والتهاون باخراج المادة بالفصد والاسهال وعلماء الآخرة يدورون مع الاعمال الظاهرة بتطهير الباطن وقطع مواد الشر والآفات والامراض بافساد منابتها وقلع مغارسها وهى فى القلب قال النبى صلى الله عليه وسلم ألا ان فى الجسد لمضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب وأما بيان ان أهل العلم بالله وبطريق الآخرة هم الصفوة من بنى آدم بعد الانبياء والرسل عليهم السلام فنقول أرباب هذا العلم هم الذين ورثوا علوم الانبياء والمرسلين عليهم السلام واقتفوا آثارهم وسلكوا طريقهم فرفضوا الدنيا وفرغوا عنها واجتهدوا فى جهاد أنفسهم قال الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وصبروا على مرارات الطريق ومشاق السير فكابدوا وحشة الطريق وصبروا على وعثاء السفر حتى وصلوا الى مقصودهم وظفروا بالقرب من معبودهم فهم الفارون الى الله عند ما سمعوا أمره بالفرار حيث قال الله تعالى ففروا الى الله انى لكم منه نذير مبين وهؤلاء هم عباد الصحابة وزهادهم من أهل الصفة وغيرهم ومن التابعين وتابعيهم من الصحابة مثل

ويمدح الخلق أشد من الزهد في الدينار والدرهم قال لان الدينار والدرهم قد يبذلان في طلب ذلك وكان يقول هذا باب غامض لا يبصره الا سماسرة العلماء وقال الفضيل رحمه الله تعالى نقل الصخور من الجبال أيسر من ازالة رياسة قد ثبتت في قلب جاهل وذهب أويس القرني رحمه الله تعالى الى أن الزهد هو ترك الطلب للمضمون قال هرم بن حيان لقيته على شاطئ الفرات يغسل كسرا وخرقا قد التقطها من المنبوذ وكان ذلك أكله ولباسه قال فسألته عن الزهد أي شئ هو فقال في أي شئ خرجت قلت أطلب المعاش فقال اذا وقع الطلب ذهب الزهد وكان أحمد بن حنبل رضي الله عنه يقول لا أزهد الا زهد أويس بلغ به العري حتى قعد في قوصرة وكان أبو سليمان الداراني رحمه الله تعالى يقول الزهد في النساء ان تختار المرأة الدون أو اليتيمة على المرأة الجميلة والمرأة الشريفة وذهب الى هذا مالك بن دينار وقال سهل بن عبد الله رحمه الله تعالى لا يصح الزهد في النساء لانهن قد حببن الى سيد الزاهدين ووافقه ابن عيينة فقال ليس في كثرة النساء دنيا لان أزهد الصحابة علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكان له أربع نسوة وبضعة عشر سرية وكان الجنيد يقول أحب للمريد المبتدى أن لا يشغل قلبه بهذه الثلاث والا تغير حاله التكسب وطلب الحديث والتزوج وقال أحب للصوفي أن لا يقرأ ولا يكتب لانه أجمع لهمه وفي الخبر انما الزهد أن تكون بما في يد الله سبحانه وتعالى أوثق منك بما في يديك فهذا مقام التوكل وذهب قوم الى أن الزهد ترك الادخار وكانت الدنيا عندهم هو الجمع وقال بعضهم الدنيا هو ما شغل القلب واهتم به فهؤلاء الزهد ترك الاهتمام وطرح النفس تحت تصريف الاحكام وهذا هو التفويض والرضا وقال أحمد بن أبي الحواري قلت لابي سليمان الداراني ان مالك بن دينار قال للمغيرة اذهب الى البيت فخذ الركوة التي كنت أهديتها الي فان العدو يوسوس الي ان اللص قد أخذها فقال أبو سليمان هذا من ضعف قلوب الصوفيين هو قد زهد في الدنيا ما عليه من أخذها فأراد أبو سليمان منه حقيقة الرضا بجريان الاحكام وأراد مالك من نفسه حقيقة الزهد بأن يصرف عن قلبه الاهتمام وقال بعض العلماء الدنيا هو العمل بالرأي والمعقول والزهد انما هو اتباع العلم ولزوم السنة وهذه طريقة أهل الحديث وهذا القول من الظواهر يشبه قول علماء الظاهر كما روينا عن سفيان قال قالوا للزهري ما الزهد قال ما لا يغلب الحرام صبره ولا يمنع الحلال شكره يعني أن يكون العبد صابرا عن الحرام حتى لا تغلبه شهوة الحرام ويكون شاكرا في الحلال حتى لا يغلبه الحلال فيشغله عن الشكر وأما الحسن فانه قال الزاهد هو الذي اذا رأى أحدا قال هذا أفضل مني فذهب الى أن الزهد هو التواضع وكان الفضيل يقول القناعة هو الزهد وقال أبو سليمان الورع هو أول الزهد وقال أحمد بن أبي الحواري قلت لابي هشام المغازلي أي شئ الزهد قال قطع الآمال واعطاء المجهود وخلع الراحة وكان يوسف ابن اسباط يقول من صبر على الاذى وترك الشهوات وأكل الخبز من حلاله فقد أخذ بأصل الزهد وقال أحمد قلت لابي صفوان الرعيني ما الدنيا التي ذمها الله تعالى في القرآن وينبغي للعاقل أن يجتنبها فقال كل ما عملت في الدنيا تريد به الدنيا فهو مذموم وكل ما أصبت فيها تريد به الآخرة فليس منها فرثت به مروان فقال الفقه ما قال أبو صفوان انما قال ذلك لان الدنيا كل شئ الا الاخلاص فما وافق العلم فهو مباح وما خالفه فهو الهوى حظ النفس والاخلاص حظ الرب عز وجل فالمخلصون بينة الله عز وجل من عباده على عدوه وهم أهل الآخرة في الدنيا وكان ابن السماك يقول الزاهد قد خرجت الافراح والاحزان من قلبه فهو لا يفرح بشئ من الدنيا أتاه ولا يحزن على شئ منها فاته لا يبالي على عسر أصبح أم على يسر وقال أبو سعيد بن الاعرابي عن أشياخه الصوفية انما الزهد عندهم خروج قدر الدنيا من القلب اذ هي لا شئ ولا يكون في نفسه زاهدا لانه لم يترك شيئا اذ كانت لا شئ وهذا العمري هو الزهد في الزهد لانه زهد ثم لم ينظر الى زهده فزهده اذ لم ير شيئا لانه زهد في لا شئ وهذا يشبه ما نقول ان حقيقة الزهد هو الزهد في النفس لانه قد يزهد

والمتكلمين وذلك مثل العوارض والعوائق وحقائق الاذكار وتجريد التوحيد ومعنى تجريد التوحيد ان لا يشوب توحيده خاطر تشبيه أو تعطيل ومنازل التفريد ومناجاة السر وتلاشي المحدث اذا قوبل بالقديم وعيون الاحوال وجميع المفترقات والاعراض عن الاعراض وترك الاعتراض والتفويض فهم مخصوصون بالوقوف على المشكل من ذلك بالمنازلة والمباشرة والهجوم ببذل المهج فهم حماة الدين وأنصاره وأعوانه وهم ورثة الانبياء وهم نازلوا المقامات وباشروا الاحوال وكابدوا الرياضات وقاسوا شدائد الطريق وركبوا المنازل وعبروا المفاوز أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم المفلحون

(الفصل الثالث) في معنى التصوف وأحوال الصوفية وأدبهم مع الحق والخلق قال الائمة أول التصوف علم وأوسطه عمل وآخره موهبة فالعلم يكشف عن المراد والعمل يعين على المطلوب والموهبة تبلغ غاية الامل وأهله على ثلاث طبقات طبقة مريد طالب ومتوسط سالك ومنتهى واصل فالمريد صاحب وقت والمتوسط صاحب حال والمنتهى صاحب نفس وأفضل الاشياء عندهم عد الانفاس فالمريد الطالب متعوب في طلب المراد

من زهد مسارعة منه لامر الله تعالى ومنهم من زهد حبا لله تعالى وهو أعلاهم وأدناهم من زهد مخافة طول الوقوف ومناقشة الحساب كما قيل ذو الدرهمين أشد حسابا يوم القيامة من ذى الدرهم ولان طريق المتقين لا يسلكه من ملك فى الدنيا زوجين من شئ وما أحد يعطى من الدنيا شيأ الا قيل خذه على ثلاثة أثلاث ثلث هم وثلث شغل وثلث حساب وان الرجل من الاغنياء ليوقف للحساب مالو ورد مائة بعير عطاش على عرقه لصدرن رواء وانه ليرى منازله من الجنة فلما وقر هذا فى قلوب الورعين أشفقوا من طول الحساب فزهدوا فى الجمع والمنع وفارقوا فضول الاموال طلبا لخفة السؤال وسرعة الوقوف فى الاهوال ومن الزهد فى الدنيا حب الفقر وأهله ومجالسة المساكين فى أوطانهم والتذلل لهم كما كان مطرف رحمه الله تعالى يجالس المساكين فى مزبلة يتقرب بذلك الى ربه وكان محمد بن يوسف الاصفهانى عالما زاهدا ومن الناس من كان يفضله على الثورى رحمهما الله تعالى الا انه كان يؤثر الخمول فلم يكن يعرفه الا العلماء وكان من حسن رعايته وشدة يقظته يعمل فى كل وقت أفضل ما يقدر عليه فى ذلك الوقت فلما طلبه ابن المبارك بالمصيصة قال له بعض من يعرف حاله ان ذاك لا يكون فى المصر الا فى أفضل موضع فيه قال فهو اذا فى الجامع فطلبه فقيل له انه لا يقعد الا فى أفضل مكان قال فطلبه عند الفقراء فاذا هو دس رأسه وأخمل نفسه مع المساكين فكان عنده ان أفضل وطن فى المصر الجامع لانه يقال ان الصلاة فيه بخمسين صلاة وان أفضل الاماكن موضع الفقراء من الجامع وان أفضل الاحوال الخمول فلذلك أخمل نفسه فيما بين الفقراء فى الجامع ليحوز فواضل الاعمال ومن الزهد أن يكون بفقره مغتبطا مشاهدا العظيم نعمة الله تعالى عليه به يخاف أن يسلب فقره ويحول عن زهده كما يكون الغنى مغتبطا بغناه يخاف الفقر ثم وجود حلاوة الزهد حتى يعلم الله تعالى من قلبه ان القلة أحب اليه من الكثرة وان الذل أحب اليه من العز وان الوحدة آثر عنده من الجماعة وان الخمول أحب اليه من الاشتهار فهذا من اخلاصه فى زهده وروينا عن عيسى عليه السلام وعن نبينا عليه السلام أربع لا يدركن الا بعجب الصمت وهو أول العبادة والتواضع وكثرة الذكر وقلة الشئ وقال الثورى رحمه الله تعالى لا يكون الرجل عالما حتى يعد البلاء نعمة والرخاء عقوبة وقال بعض السلف لا يفقه العبد كل الفقه حتى يكون الفقر أحب اليه من الغنى والذل آثر عنده من العز وقد روينا خبرا مقطوعا لا يبلغ العبد حقيقة الايمان حتى يكون أن لا يعرف أحب اليه من أن يعرف وحتى يكون قلة الشئ أحب اليه من كثرته وكان السلف الصالح يقولون نعمة الله علينا فيما صرف عنا من الدنيا أعظم من نعمته فيما صرف الينا وكان الثورى رحمه الله تعالى يقول الدنيا دار التواء لا دار استواء ودار ترح لا منزل فرح من عرفها لم يفرح برخاء ولم يحزن على شقاء وكان سهل بن عبد الله رحمه الله يقول لا يصح التعبد لاحد ولا يخلص له عمل حتى لا يجزع ولا يفر من أربعة أشياء الجوع والعرى والفقر والذل كما روينا أن ابراهيم التيمى رحمه الله تعالى دفع اليه خمسون ألف درهم فردها فقيل له لم رددتها فقال أكره أن أمحو اسمى من ديوان الفقراء بخمسين ألفا ومن الزهد عند الزاهدين ترك فضول العلوم التى معلوماتها تؤل الى الدنيا وتدعو الى الجاه والمنزلة عند أبنائها وفيما لا نفع فيه فى الآخرة ولا قربة به عند الله تعالى وقد تشغل عن عبادة الله تعالى وتفرق الهم عن اجتماعه بين يدى الله تعالى وتقسى القلب عن ذكر الله تعالى وتحجب عن التفكر فى آلائه وعظمته وقد أحدثت علوم كثيرة لم تكن تعرف فيما سلف اتخذها الغافلون علما وجعلها البطالون شغلا انقطعوا بها عن الله تعالى وحجبوا بها عن مشاهدة علم الحقيقة لا نستطيع ذكرها لكثرة أهلها الا أن نسئل عن شئ منها أعلم هو أم كلام أم حق أو تشبيه أو صدق وحكمة أم زخرف وغرور أم سنة هو عتيق أو محدث وتشديق فحينئذ نخبر بصواب ذلك ومن أفضل الزهد الزهد فى الرياسة على الناس وفى المنزلة والجاه عندهم والزهد فى حب الثناء والمدح منهم لان هذه المعانى هى من أكبر أبواب الدنيا عند العلماء فالزهد فيها هو زهد العلماء كان الثورى رحمه الله تعالى يقول الزهد فى الرياسة

ومدح

الجوزى وغيرهما من الكتب واعلم أن الصوفية دخلوا مع الفقهاء والمفسرين والمحدثين والمتكلمين فى علومهم فسمعوا الحديث ونظروا فى الاحاديث وقرؤا القرآن واشتغلوا بتدبره ونظروا فى أصول الدين وعلم الفقه فالبداية فقهية والنهاية صوفية ومن لم يبلغ من الصوفية مبلغ الفقهاء وأصحاب الحديث ولم يحط بما أحاطوا به فانه يرجع فيما وقع له من المسائل الى العالمين بأحكام أفعال الجوارح الظاهرة وهم أصحاب العلوم الظاهرة والصوفية يلزمون أنفسهم بالاخذ بالاغلظ والاشق من أقوال العلماء فى المسائل الخلافية ثم انهم خصوا مع ذلك بعلوم عالية وأحوال شريفة ومقامات رفيعة فتكلموا فى علوم المعاملات وعيوب النفس وآفات القلب وشريف المقامات مثل اليقظة وهى الانتباه والتوبة والزهد والورع والصبر والرضا والتوكل وكيفية جهاد النفس والهوى والشيطان ومعاداته والخشية والمراقبة واليقين وغير ذلك من المقامات والاحوال وفى معرفة النفس ورياضتها ودقائق الرياء والشهوة الخفية والشرك الخفى وكيفية الخلاص منها ولهم أيضا علوم مستنبطة من أمور مشكلة على فهوم الفقهاء

شرف الحسن الذى رفض الدنيا لان مقام الزهد يجمع التوكل والرضا ألا تسمع الى الخبر الذى جاء الزهد أن تكون بما فى يد الله أوثق منك بما فى يدك فهذا هو التوكل ثم قال وان تكون بثواب المصيبة أفرح منك لو انها بقيت لك وهذا هو الرضا ثم ان المعرفة والمحبة بعد الزهد داخلان عليه فأى مقام أعلى من مقام جمع هذه الاربعة وهى غاية الطالبين ولعمرى انه هكذا لانه روى عن ابن عباس رضى الله عنهما حديث فيه شدة قال يؤتى بالدنيا يوم القيامة فى صورة عجوز شمطاء زرقاء أنيابها بادية مشوه خلقتها فتشرف على الخلائق فيقال أتعرفون هذه فيقولون نعوذ بالله تعالى من معرفة هذه فيقال هذه الدنيا التى تفاخرتم عليها بها تقاطعتم الارحام وبها تحاسدتم وتباغضتم واغتررتم ثم تقذف فى جهنم فتنادى أى رب أين اتباعى واشياعى فيقول الله الحقوا بها اتباعها واشياعها وقد روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا أشد من هذا حدثنا عن عبد الواحد بن زيد عن الحسن عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليجيئن أقوام يوم القيامة وأعمالهم كجبال تهامة فيؤمر بهم الى النار قالوا يا رسول الله مصلين قال نعم كانوا يصلون ويصومون ويأخذون هنة من الليل فاذا عرض لهم شئ من الدنيا وثبوا عليه وكذلك كان الحرث ابن أسد المحاسبى رحمه الله يقول انما الزهد اسقاط قيمة الدنيا من القلب وأن لا يكون لشئ عاجل فى القلب وزن فاذا سقطت قيم الاشياء واستوت فى القلب فهو الزهد فأما أبو يزيد البسطامى رحمه الله فانه كان يقول ليس الزاهد من لا يملك شيأ انما الزاهد من لا يملكه شئ وقال عالم مثله فى معناه الزاهد من لا يملك الاشياء ولم يسكن اليها وكان يقول الزاهد قوته ما وجد وثوبه ما ستر وبيته ما أواه وحاله وقته وقال بعض العارفين الزهد انما هو ترك التدبير والاختيار والرضا والتسليم لاختياره شدة كان أو رخاء وهذا طريق الخواص والثورى وذى النون رحمهم الله تعالى وقال أبو يزيد رحمه الله مرة انما الزاهد من لا يملك شيأ ولا يملكه شئ وقال حقيقة الزهد لا يكون الا عند ظهور القدرة والعاجز لا يصح زهده وان يعلم كن ويطلعه على الاسم ويقدره على الاشياء باظهار الكون فيزهد فى ذلك حياء من الله تعالى ويتركه حبا له وكان يستعيذ بالله من أربعة وعشرين مقاما من اظهار القدرة وقال لابى موسى عبد الرحيم فى أى شئ تتكلم قلت فى الزهد قال فى أى شئ قلت فى الدنيا قال فنفض يده وقال ظننت انه يتكلم فى الزهد فى شئ الدنيا لاشئ ايش تزهد فيه وذهب الى هذا المعنى سهل وغيره وقال سبعة عشر مقاما فى المعرفة أدناها المشى على الماء وفى الهواء وظهور كنوز الارض وهذا كله من زخرف الدنيا وقد حكى لنا معنى هذا عن الجنيد قال اجتمع أربعة من الابدال فى جامع المنصور ليلة العيد فلما أسحروا قال أحدهم أما انا فقد نويت ان أصلى العيد فى بيت المقدس وقال الآخر أما أنا فقد نويت أن أصلى العيد بطرسوس وقال الثالث أما أنا فقد نويت ان أصلى العيد بمكة وسكت الرابع وكان أعرفهم فقيل له أنت أى شئ نويت فقال أما انا فقد نويت اليوم ترك الشهوات لا أصلى الا فى هذا المسجد الذى بت فيه فقالوا أنت أعلمنا فقعد واعنده فصار عندهم ولا مزاد كرناه آنفا ان هذه الآيات هى من الشهوات اذ ليست حاجات مقامات والشهوة من الدنيا لانها من الهوى وأيضا ففيها تدبير واختيار وعند الزهاد العارفين والمحبين انه مكر وخداع يبتلون به ويتطلعون لينظر كيف يعملون اذ ابتلاء كل عبد على قدر مرتبته وحاله فيلزمه الزهد فيه ويقال هى فى المقام السابع عشر من المعرفة فمن سلك به الطريق رآها فيه وفوقها نيف وسبعون مقاما أفضل من ذلك وقد سئل الجنيد عن زهد فقال معنيان ظاهر وباطن فالظاهر بغض ما فى الايدى من الاملاك وترك طلب المفقود والباطن زوال الرغبة عن القلب ووجود العزوف والانصراف عن ذكر ذلك فاذا تحقق بذلك رزقه الله تعالى الاشراف على الآخرة والنظر اليها بقلبه فحينئذ يجد فى العمل بتقصير الامل وتقريب الاجل لان الاسباب عن قلبه منقطعة والقلب منفرد بالآخرة وحقيقة الزهد قد خلصت الى قلبه فامتلأ من الذكر الخالص

وحذيفة ومحمد بن مسلمة وعكاشة بن محصن الاسدى وأبى الدرداء وحنظلة بن الراهب وأبى رافع مولى النبى صلى الله عليه وسلم ووابصة وعمرو بن ثعلب وعمرو بن الاسد ومصعب ابن عمير والبراء بن معرور وسلمان الفارسى وابن الهيثم بن التيهان وغيرهم من أصحاب الصفة وأصحاب بيعة العقبة وأهل بيعة الرضوان والخلفاء من المهاجرين والانصار كان صلى الله عليه وسلم قبل نزول الوحى عليه وبعده متخليا فى غار حرا ثم سار مع الخلق ولا فرق عنده بين الخلوة والجلوة وكذا أصحاب الصفة جماعة منهم بعد التمكين أمراء لانهم تمكنوا فى الايمان بالله والمعرفة به والاخلاص له فلم تؤثر المخالطة بالخلق فيهم ولا فى أحوالهم وهذه أحوال المشايخ من بعدهم واعلم أن التصوف له ظاهر وباطن فظاهره استعمال الادب مع الخلق بالاخلاق الحسنة معهم وباطنه منازلة الاحوال والمقامات مع الحق فالظاهر علامة الباطن والباطن حقيقة الظاهر ألا ترى ان النبى صلى الله عليه وسلم لما نظر الى المصلى وهو يعبث فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه قال الله تعالى ان الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين

في الدنيا لنفسه طلبا العوض فيكون ذلك رغبة على صفة فاذا زهد في النفس التي يريد بها الاعواض على الزهد فهو حقيقة الزهد وهذا اشبه قول من قال ان حقيقة الزهد في الفناء هو الزهد في البقاء لان العبد ربما زهد في الفناء فلم يزهد في البقاء فيكون فيه بقية من الرغبة فاذا زهد في البقاء فهو حقيقة الزهد في الفناء اذ كان الفناء يراد للبقاء

(فصل آخر) ان الرغبة في الهوى حقيقة الدنيا وان كان العبد زاهدا في المال من قبل انه يعطى الزهد في شيء دون شيء كما يزهد في الثناء ولا يزهد في المال ولا يعطى الزهد في الاطعمة وقد يعطى الزهد في المال ولا يعطى الزهد في منصبه لغلبة الهوى فاذا أعطى الزهد في الهوى كائنا ما كان فقد أعطى حقيقة الزهد في الدنيا وهذا هو الزهد في النفس لان النفس عين الرغبة والهوى روح النفس فاعرف هذا وكان يونس بن ميسرة الجيلاني يقول ليس الزهادة في الدنيا بتحريم الحلال ولا اضاعة المال ولكن الزهادة في الدنيا أن تكون بما في يد الله تعالى أوثق منك بما في يديك وأن يكون حالك في المصيبة وحالك اذا لم تصب بها سواء وأن يكون ذامك ومادحك في الحق سواء وقال سلام بن أبي مطيع رحمهما الله الزهد على ثلاثة أوجه واحد أن تخلص العمل لله عز وجل والقول فلا يراد بشيء منه الدنيا والثاني ترك ما لا يصلح والعمل بما يصلح والثالث الحلال أن يزهد فيه وهو تطوع وكان اماما في هذا العلم ابراهيم بن أدهم رحمه الله يقول الزهد ثلاثة أصناف زهد فرض وزهد فضل وزهد سلامة فالزهد الفرض في الحرام والفضل الزهد في الحلال والسلامة الزهد في الشبهات وأما أيوب السختياني رحمه الله فكان يقول الزهد أن يقعد أحدكم في منزله فان كان قعوده لله تعالى رضا والا خرج وان يخرج فان كان خروجه لله تعالى رضا والا رجع فان كان رجوعه لله تعالى رضا والا سار ويخرج درهمه فان كان اخراجه لله رضا والا حبسه ويحبسه فان كان حبسه لله تعالى رضا والا رمى به ويتكلم فان كان كلامه لله تعالى رضا والا سكت فان كان سكوته لله تعالى رضا والا تكلم فقيل هذا صعب فقال هذا الطريق الى الله عز وجل والا فلا تلعبوا وقد ذهب الى أن الزهد هو المراقبة والمراقبة هي الاخلاص وسئل حاتم الاصم صاحب شقيق البلخي رحمهما الله تعالى عن الزهد فقال أوله الثقة وأوسطه الصبر وآخره الاخلاص فاذا كان الاخلاص عندهم هو آخر الزهد فكيف يصح لعبد آخر الزهد قبل أوله أم كيف يجاوز الاخلاص الى مقامات المعرفة فقد صار آخر الزهد عندهم أول المعرفة وذهبت طائفة الى أن الزهد في الدنيا فريضة على المؤمنين لان حقيقة الاخلاص هو الزهد عندهم فأوجبوه من حيث أوجبوا على المؤمنين الاخلاص ومال الى هذا القول عبد الرحيم بن يحيى الاسود وقد روينا معناه عن الامام أحمد بن حنبل رحمه الله قيل لاحمد بأي شيء ذكر القوم وصاروا أئمة فقال بالصدق قالوا وما الصدق قال الاخلاص قيل وما الاخلاص قال هو الزهد قيل وما الزهد يا أبا عبد الله فاطرق ثم قال سلوا الزهاد سلوا بشر بن الحرث وقال قوم الزهد في الدنيا طلب الحلال وانه واجب مفترض في مثل زماننا هذا لاختلاط الاشياء وغلبة الشبهات قالوا فقد تعين فرض الزهد وهذا مذهب ابراهيم بن أدهم ووهيب بن الورد وسليمان الخواص وجماعة من أهل الشام وقد كان سهل يقول أزهد الناس في الدنيا أصفاهم مطعما وقال أقصى مقام في الورع أدنى مقام من الزهد وقد روينا عن يوسف بن اسباط ووكيع رحمهما الله قالا لو زهد عبد في زماننا هذا حتى يكون كأبي ذر وأبي الدرداء ما سميناه زاهدا الان الزهد عندنا انما هو في الحلال المحض ولا نعرف الحلال المحض اليوم وكذلك كان الحسن البصري رحمه الله امام الائمة يقول لا شيء أفضل من رفض الدنيا وقال الفضيل بن ثور قلت للحسن يا أبا سعيد رجلان يطلب أحدهما الدنيا بحلالها فأصابها فوصل بها رحمه وقدم منها لنفسه ورجل رفض الدنيا قال أحبهما الي الذي رفض الدنيا قلت يا أبا سعيد هذا طلبها بحلالها فأصابها فوصل بها رحمه وقدم منها لنفسه قال أحبهما الي الذي جانب الدنيا وانما

والمتوسط السالك مطالب بآداب المنازل وهو صاحب تلوين لانه يترقى من حال الى حال وهو في الزيادة والمنتهي الواصل محمول قد جاوز المقامات وهو في محل التمكين لا تغيره الاحوال ولا تؤثر فيه الاهوال كما نقل في قصة يوسف عليه السلام عند زليخا لما كانت صاحبة تمكين في حب يوسف لم تؤثر فيها رؤية يوسف كما أثرت في اللاتي قطعن أيديهن لانها كانت أتم حالا في حبه منهن في بلائها بحبه وهذا قول الدقاق فمقام المريد المجاهدات والمكابدات وتحمل المشاق وتجرع المرارات ومجانبة الحظوظ ومقام المتوسط ركوبه الاهوال في طلب المراد ومراعاة الصدق في الاحوال واستعمال الادب في المقامات ومقام المنتهي الصحو والتمكين واجابة الحق من حيث دعاه قد استوى في حقه الشدة والرخاء والمنع والعطاء والعافية والبلاء قد فنيت حظوظه باطنه مع الحق وظاهره مع الخلق وكل ذلك معقول معلوم مشهور من أحوال النبي صلى الله عليه وسلم وحركاته وسكناته في ابتداء أمره وانتهائه ومن أحوال الصحابة والنقباء والنجباء والاصفياء العلماء الحكماء أرباب البصائر واليقين مثل حارثة والبراء بن مالك وأبي ذر وعمار وبلال وصهيب

الى الانس بالله تعالى وقال عثمان بن عمارة كان يقال الورع يبلغ بالعبد الى الزهد
والزهد يبلغ به حب الله تعالى فهذان الحالان غاية الطالبين الحب للجليل والانس
باللطيف فمن لم يتحقق بالزهد لم يبلغ مقام الحب ولم يدرك حال الانس ثم ان
سرائر الغيوب في مقام الحب والخلة وفي حال الانس والقربة
وفقنا الله واياكم لما يحب وبلغنا ما نؤمل بفضله ورحمته
ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
وهذا آخر كتاب الزهد

(تم الجزء الاول من قوت القلوب ويليه الجزء الثاني)
(أوله شرح مقام التوكل ووصف أحوال المتوكلين)

راهم مقبلين قال أقول كما قال أخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين اشارة الى اختلاف مسالكهم اعلم ان
مسالكهم مختلفة لاختلاف أحوالهم ومقاماتهم فمنهم من سلك طريق الزهد والعبادة ولازم المساجد والمحراب واشتغل بكثرة الذكر والنوافل
وواظب على الاوراد وهي أسلم الطرق أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب ومنهم من سلك طريق الرياضات والمكابدة وقهر
النفس بالمخالفة وهي أفضل الطرق أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ومنهم من سلك طريق العزلة والخلوة طلبا للسلامة من المخالطة وهي
أصح الطرق أولئك ما عليهم من سبيل ومنهم من سلك طريق التجرد عن الخلق والتفرد بالحق والموالاة في الله والمعاداة فيه وهي
أعضد الطرق أولئك حزب
الله ألا ان حزب الله هم
المفلحون ومنهم من سلك
طريق السياحة والاسفار
والاغتراب عن البلدان
وخمول الذكر وهي
أوضح الطرق أولئك الذين
يتقبل عنهم أحسن ما عملوا
ويتجاوز عن سيآتهم
ومنهم من سلك طريق
الخدمة وبذل الجاه
للاخوان وادخال السرور
عليهم وهي أظرف الطرق
أولئك يجزون الغرفة بما
صبروا ومنهم من سلك
طريق المجاهدات وركوب
الاهوال ومباشرة الاحوال
وهي أعز الطرق أولئك
كتب في قلوبهم الايمان
وأيدهم بروح منه ومنهم
من سلك طرق اسقاط
الجاه عند الخلق وقلة
الالتفات اليهم وترك
الاشتغال بخيرهم وشرهم
ونفعهم وضرهم وهو أوعر
الطرق أولئك عليهم
صلوا ت من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون تلك أمة قد خلت فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا ومنهم من سلك طريق العجز
والا نكسار وهي أقرب الطرق أولئك يرجون رحمة الله ومنهم من سلك طريق التعلم وحفظ المسائل ومجالسة العلماء واستماع الاخبار
والا حاديث وحفظ العلوم وهي أظهر الطرق أولئك لهم الامن وهم مهتدون ولكل طريق من هذه الطرق أهل ولهم بها آداب وشرائط
ولهم أعلام ومناهل وكل سالك طريق يحتاج فيه الى موقف ودليل يأخذ به ليسلم من الحيرة والفتنة فان لم يكن معه في سيره من يعرفه
السد رو يؤنسه والا خيف عليه الرجوع والهلاك لبعضهم ان ولا فاقد رجع فقال ما أراد رجع الامن وحشة الطريق وقلة سالكيه

ويأ بعد هذا في هامش الجزء الثاني الفصل الرابع في شرح عقيدتهم

لربه سبحانه وتعالى فالزهد عن حقيقة الايمان والمشاهدة للآخرة تكون بعد الزهد واستواء الاشياء فيكون عدمها كوجودها بعد المشاهدة لاستواء القلب ومعه يستوى المدح والذم لسقوط النفس وذهاب رؤية الخلق فعندها خاص الاخلاص الى قلبه لصفاء الزهد وثبت الزهد لسقوط النفس دليل ذلك الخبر الذى رويناه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لرجل هل استويت قال وكيف أستوى قال يستوى عندك المدح والذم وقول حارثة لما سأله عن حقيقة الايمان عزفت نفسى عن الدنيا فابتدأ بالزهد ثم ذكر الاستواء لحجرها وذهبها ثم ذكر المشاهدة بعد ذلك الحديث وهذه كلها مقامات فى الزهد وكل من جعل الدنيا شيأ مبلغ علمه وعلو مشاهدته جعل الزهد ضده وقد نوع أهل المعرفة الايمان فى القلب على مقامين فجعل لهما زهدين فقال اذا تعلق الايمان بظاهر القلب أحب العبد الدنيا وأحب الآخرة وعمل لهما فاذا بطن الايمان فى سويداء القلب وباشره أبغض الدنيا فلم ينظر اليها ولم يعمل لها وقد كان أبو سليمان يقول من شغل بنفسه شغل عن الناس وهذا مقام العاملين ومن شغل بربه سبحانه وتعالى شغل عن نفسه وهذا مقام العارفين ولهذين المقامين دليل من السنة ان النبى صلى الله عليه وسلم سئل أى الناس خير فقال من يشنأ الدنيا ويحب الآخرة فأوقع الشنآن للدنيا لوقوع ضده من حب الآخرة والمقام الاعلى دليله من جعل الهموم هما واحدا كفاه الله تعالى أمر آخرته ودنياه والهم الواحد يوجد واحد لرب واحد هو وصف عبد متوحد لواحد مقاله الى واحد وقد وهب له خلقا من أخلاقه فهو الاحد يوحدانية صفته وعبد متوحد بوجده بين خلقه فهو منفرد الهم مجتمع القلب وانفراد الهم يكون بعد محو الهوى ومحوه بعد امتحان القلب للتقوى واجتماع القلب يكون مع طيب النفس وطمأنينتها بالايمان أو فلاحها بالتزكية والرضا كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم طيب النفس من النعيم وقال الله تعالى قد أفلح من زكاها وقال تعالى راضية مرضية فيكون متوحدا بالروح مخلقة بأخلاق الايمان مواطئة للقلب بمشاهدة اليقين وقال وهب بن منبه وجدت فيما أنزل الله تعالى على موسى عليه السلام من أحب الدنيا أبغضه الله تعالى ومن أبغضها أحبه الله تعالى ومن أكرم الدنيا أهانه الله تعالى ومن أهانها أكرمه الله تعالى وأما علماء الظاهر فقالوا الزهد فى الدنيا هو موافقة العلم والقيام بأحكام الشرع وأخذ الشئ من وجهه ووضعه فى حقه وما خالف العلم فهو هوى كله فذكروا فرض الزهد وظاهره ولم يعرفوا دقائقه وبواطنه وقد روينا عن سفيان بن عيينة والثورى معنى هذا أنهما سئلا أيكون الرجل زاهدا وله مال قالا نعم اذا كان اذا ابتلى فصبر واذا أنعم عليه شكر قال ابن أبى الحوارى فقلت له يا أبا محمد يعنى ابن عيينة قد أنعم عليه فشكر وابتلى فصبر وحبس النعمة كيف يكون زاهدا فضربنى بيده وقال اسكت من لم تمنعه النعماء من الشكر ولا البلوى عن الصبر فذلك الزاهد ووافقهما الزهرى فقال كذلك وقد فصل ذلك أبو سليمان فقال ابن أبى الحوارى قلت له أكان داود الطائى رحمه الله تعالى زاهدا قال نعم قلت بلغنى انه ورث من أبيه عشرين دينارا فانفقها فى عشرين سنة فكيف يكون زاهدا وهو يمسك الدنانير فقال أردت منه أن يبلغ حقيقة الزهد ولعمرى انا روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نعما بالمال الصالح للمرء الصالح والمال الصالح هو الحلال والمرء الصالح المنفق ماله بالليل والنهار سرا وعلانية فى سبيل الله ابتغاء مرضاته كما وصفه الله تعالى ومدحه وقد روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يعطى الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطى الدين الا من يحب والذى يحبه الله تعالى ممن أعطاه الدنيا لا يخالف حبيبه الى هواه ولا يؤثر نفسه على محبة مولاه تبارك وتعالى اذ قد تولاه فيما أعطاه وقد روينا عن النبى صلى الله عليه وسلم قال الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر والطاعم الشاكر هو الذى يستعين بطعمته على خدمة مولاه ويعبده شكرا لما أولاه وقد قالوا فى الزهد وصفان جامعان لاحوال القلوب قال مضاء بن عيسى قلت للسباع الموصلى يا أبا محمد الى أى شئ أفضى بهم الزهد قال

امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم وقال أبو نصر السراج أدب أهل الدنيا بالفصاحة والبلاغة وحفظ العلوم والتاريخ والشعر وأدب أهل الدين معرفة العلم به ورياضة النفس وتأديب الجوارح وتهذيب الطباع وحفظ الحدود وترك الشهوات والمسارعة الى الخيرات وأدب أهل الخصوصية من أهل الدين حفظ القلوب ومراعاة الاسرار واستواء السر والعلانية والنظر الى الاعداء بعين الرحمة كما كان دابه صلى الله عليه وسلم مع عداته وداب سائر الانبياء مع أعدائهم كسرت رباعيته صلى الله عليه وسلم وشج وجهه فى بعض غزواته فجعل يمسح عن وجهه الدم ويقول اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون ومسكه اعرابى بردائه وجذبه حتى أثرت حاشية الرداء فى عنقه وما كلمه بكلام فيه خشن وقال اعدل يا محمد فقال له صلى الله عليه وسلم ويحك من يعدل ان لم أعدل خبت وخسرت اذا لم أعدل وفى كتب السنة من هذا الباب شئ كثير ومر المسيح على قوم من اليهود فقالوا له شرا فقال لهم خيرا فقال له بعض الحواريين يقولون لك شرا وتقول لهم خيرا فقال عيسى كل ينفق مما عنده ولما فتح صلى الله عليه وسلم مكة ودخلها جاءه أهلها فلما